١١٤

المملكة الأردنية الهاشمية
جمعية المحافظة على القرآن الكريم

السيرة المستنيرة

الدكتور

محمد سعيد بكر

المدير العام لأحسن الأفكار للتدريب على التنمية المجتمعية

جمعية المحافظة على القرآن الكريم

مكتبة | 489

السيرة المستنيرة

الدكتور

محمد سعيد بكر

عضو رابطة علماء الأردن

عضو جمعية المحافظة على القرآن الكريم

المدير العام لأحسن الأفكار للتدريب على التنمية المجتمعية

حقوق الطبع محفوظة
الطبعة الأولى
١٤٤٠هـ - ٢٠١٩م

المملكة الأردنية الهاشمية
رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(٢٠١٨/١/٤٤٨)

٢٣٩
بكر، محمد سعيد
السيرة المستنيرة / محمد سعيد بكر. - عمان: جمعية المحافظة على القرآن الكريم، ٢٠١٨.
(٦٧٦) ص.
ر.إ.: ٢٠١٨/١/٤٤٨.
الواصفات: /السيرة النبوية /
الرقم المعياري الدولي: (ردمك) ISBN 978 - 9957 - 638 - 49 - 8

يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوي مصنفه ولا يعبّر هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى.

تم إعداد بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية من قبل المكتبة الوطنية

مكتبة t.me/ktabrwaya ٢٧ ٧ ٢٠١٩

جمعية المحافظة على القرآن الكريم

هاتف: ٤٦٢٨٣٣٣ ٦ ٩٦٢+ فاكس: ٤٦٢٨٣٣٦ ٦ ٩٦٢+
ص.ب: ٩٢٥٨٩٤ - الرمز البريدي: ١١١٩٠
حسابنا لدى البنك الإسلامي الأردني / فرع الحسين (١٧٦٧١)
عمان - الأردن
www.hoffaz.org
E-mail:hoffaz@hoffaz.org

مطبعة عمال المطابع
Printers Press

الإهداء

إلى روح الروح،،

وعين العين،،

وقلب القلب،،

حبيب الله محمد ﷺ

معتذراً له عن تقصيري في:

الذبِّ عنه.. وإحياء سُنته.. وتمثُّل سيرته.. ومتابعة صحابته.. ونُصرة أمته.

راجياً بعد هذا الاعتذار المخجل.. أن أنال شفاعته.. وأن أحظى بصحبته.. وأن يجمعني الله تعالى معه، بمعية والديَّ وزوجتي وأولادي وإخواني ومشايخي، ومن لهم حقوق عليَّ.

حبيبي يا رسول الله،،

المحب لرسوله الكريم ﷺ

د. محمد سعيد بكر

١٩ جمادى الأولى ١٤٣٩هـ

مكتبة t.me/ktabrwaya

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الأمين، وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد:

فلقد أكرمني الله تعالى بالعيش في ظلال السيرة النبوية، **المستنيرة بنور الوحي الرباني**، فترة من الزمن، مستلهماً منها أبرز الأنوار والفوائد والعبر، بما يخدم واقعنا الذي نعيش، عن طريق تتبع واكتشاف قواعد وسنن النهضة، والانطلاق، والإقلاع الحضاري.

فكانت النظرات تلو النظرات، والمطالعة والبحث الحثيث، فيما كتب سادتنا العلماء، وما خطَّته أيديهم من كلمات مشرقة في السيرة النبوية، من لدن إمام التدوين الأعظم للسيرة، الإمام محمد بن إسحاق إلى تلميذه الفذِّ الإمام عبد الملك بن هشام عليهما رحمة الله تعالى، مروراً بالأكابر جامعي السيرة والمغازي، عبر الأزمنة المتعاقبة، وصولاً إلى تجليات علماء معاصرين، سطروا الفوائد الجليلة، على ضوء دراستهم الواقعية في زماننا هذا، لسيرة النبي ﷺ.

ولقد رأيتُ فيما قرأتُ لكل كاتب لمساته الرائعة، ومنهجه المميز، وأسلوبه الماتع النافع، ما جعل من الإضافة والزيادة على هؤلاء أمراً في منتهى الصعوبة، **بَيد أنني استعنت بالله تعالى، ثم بنيتُ على أساسات كريمة أسَّسَها الأكابر من أهل العلم من قبل**، ومضيت في تحقيق أمنية لطالما تمنيتها؛ وهي خدمة سيرة سيد الخلق عليه أفضل الصلوات وأتمُّ التسليم، لعلي أنال ببركتها شفاعة، وشربة هنيئة من يده الشريفة، عند حوضه الطاهر لا أظمأ بعدها أبداً.

ومما أعان وسهَّل الأمر - على صعوبته وشدته - في طريق البحث أمران اثنان هما:

١- وضوح خطة الدراسة، فهي في الأصل خطة منهجية لدراسة السيرة النبوية كمادة من مواد معهد علوم الشريعة، التابع لجمعية المحافظة على القرآن الكريم في الأردن، التي منحني فيها أعضاء المجلس العلمي للمعهد شرف تكليفهم لي

بوضع مؤلَّف في السيرة النبوية، وفق الخطة المقررة، فكان هذا الخير، ولله الحمد والمنَّة في كل حين.

٢- وجود جهود جبارة وعظيمة سابقة في التحقيق والتخريج لأحاديث السيرة النبوية، وتمييز الصحيح من الدخيل عليها، **ولقد اعتمدتُ في ضبط روايات كتابي هذا على أربعة كتب رئيسة كانت بمنزلة رفيق الدرب طيلة مشوار البحث**، فجزى الله مؤلفيها خير الجزاء، على ما بذلوه من جهد في التحقيق والتنقيح والتخريج والحُكم، **وهذه الكتب الأربعة هي**:

أ- السيرة النبوية الصحيحة (محاولة لتطبيق قواعد المحدثين في نقد روايات السيرة النبوية) للأستاذ الدكتور المتألق أكرم ضياء العمري.

ب- صحيح السيرة النبوية لفضيلة الشيخ المبارك الشيخ إبراهيم العلي رحمه الله تعالى.

ج- تخريج أحاديث كتاب فقه السيرة النبوية للشيخ محمد الغزالي، بتحقيق فضيلة الشيخ العلامة محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله تعالى.

د- السيرة النبوية في الصحيحين وعند ابن إسحاق (دراسة مقارنه في العهد المكي) للدكتور سليمان بن حمد العودة[1].

أما فيما يتعلق بالدراسة والتعليق والتحليل والربط بالواقع، واستلهام أدلة السياسة الشرعية، فلا شك أنها كانت وظيفتي ومهمتي الكبرى في بحثي هذا، منتفعاً بما تركه السابقون واللاحقون من بصمات في فقه السيرة، والدراسات التحليلية والموضوعية والمقارنة للسيرة النبوية المطهرة.

ولقد نهجتُ في الدراسة والبحث **منهجاً يجمع بين الدراسة التحليلية والموضوعية** على حدٍّ سواء، وذلك على النحو الآتي:

- تحديد الباب المراد إجراء الدراسة عليه من السيرة النبوية، فهي أبواب منتقاة وفق الخطة المنهجية المرسومة.

---

(١) قمت بمطالعة هذا الكتاب النافع بعد انتهائي من التأليف، فوجدت أنني لم أخرج في أصول الرواية عما قال (غالباً)، باعتبار أنني كنت قد اعتمدت على الصحيحين في معظم ما ذكرتُ من روايات، فلم أقتبس منه إلا نادراً.

- ذكر الآيات الواردة فيه أو الدالة عليه إن وجدت.
- ذكر الأحاديث الصحيحة التي تحكي ما جرى، دون مجازفة في إقحام الضعيف، فضلاً عن الموضوع وما لا أصل له من الروايات.
- تقسيم الفوائد والأنوار المستنبطة من الروايات على شكل موضوعات أو مجالات محددة، وذلك بعد تحليلها، وربطها بالواقع قدر المستطاع، وهذه المجالات والموضوعات هي:

أنوار وفوائد في العلاقات والحياة الاجتماعية:

وأقصد بها بيان الأدلة والشواهد التي تعزز وتؤكد دور التواصل الاجتماعي مع الناس، وما لهذا التواصل من آثار وثمار في حياة المسلم الداعية، وما يتطلبه من ذوقيات، وما يكتنفه من فرص، أو يتهدده من أخطار.

أنوار وفوائد في إدارة المواقف والسياسة الشرعية:

ومما يقصد بالسياسة الشرعية أنها: «تدبير حاكم أو من ينوب مكانه، شؤون الأمة في مختلف مجالات الحياة، بما يحقق المصلحة ويتفق مع الشرع»[1].

وعرّف ابن عقيل السياسة الشرعية بأنها « ما كان فعلاً يكون معه الناس أقرب إلى الصلاح، وأبعد عن الفساد، وإن لم يضعه الرسول ﷺ، ولا نزل به وحي »[2].

يقول الدكتور منير الغضبان: «**الذين يريدون أن يفصلوا الدين عن السياسة، ويعتبرون الدخول في السياسة جريمة أو خروجاً عن الإسلام**، ندعوهم إلى أن يستمعوا إلى حديث رسول الله ﷺ في استعمال لفظ السياسة بالضبط، وأنها كانت إحدى مهمات الأنبياء في الوجود، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء، كلما هلك نبيٌّ خلفه نبي، وإنه لا نبيَّ بعدي،

---

(١) السياسة الشرعية عند الإمام ابن قيم الجوزية، لجميلة بنت عبد القادر الرفاعي، ص ٤٧، دار الفرقان، عمان، الأردن، ط٢٠٠٤م.

(٢) الطرق الحكمية في السياسة الشرعية، لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر « ابن قيم الجوزية »، تحقيق: محمد بن حامد الفقي، ص ١٣، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، جمهورية مصر العربية، ط ١٩٥٣م.

وستكون خلفاء فيكثرون، قالوا: فما تأمرنا؟ قال: فُوا ببيعة الأول فالأول، وأعطوهم حقهم، فإن الله مستخلفهم فيما استرعاهم»[1].

ثم يؤكد أن عمل النبي ﷺ في معظمه عمل دعوي سياسي، وذلك بحسبة عدد السنوات التي قضاها عليه الصلاة والسلام في ذلك قياساً على عمله الجهادي[2].

أنوار وفوائد في الجانب الاقتصادي والمعاشي:

عرف أهل الاختصاص الاقتصاد تعريفات منها ما قاله المناوي: «والقصد: استقامة الطريق، ومنه الاقتصاد وهو فيما له طرفان إفراط وتفريط»[3].

وقال فيه رفيق يونس: الاقتصاد: «**دراسة سلوك الإنسان في إدارة الموارد النادرة، وتنميتها لإشباع حاجاته**»[4].

وأما محمود بابلي فقال فيه: «هو تدبير شؤون المال، إما بتكثيره وتأمين إيجاده وإما بتوزيعه»[5].

- وفي المحصلة يمكن أن يُعرَّف الاقتصاد بأنه: **حسنُ إدارة المال بشكل خاص، أو إدارة الموارد بشكل عام، ولقد وجدت في السيرة من حسن إدارة الموارد ما يؤكد هذا المعنى الذي هو أوسع من حصرها بإدارة السوق والمال، فالوقت والرجال من الموارد كذلك.**

أنوار وفوائد في الجانب التربوي وتهذيب السلوك:

وأقصد بها الإرشادات والتوجيهات التي تُعنى بتمكين السلوك الإيجابي لدى الفرد في المجتمع، وما يتعلق بنقل أثر هذا الفرد الإيجابي بشكل تلقائي إلى الدوائر المحيطة به.

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، ح٣٢٠٨.

(٢) المنهج السياسي للسيرة النبوية، الدكتور منير الغضبان، دار السلام، القاهرة، ط١، ٢٠١٣م، ص٨.

(٣) التوقيف على مهمات التعاريف، للمناوي/ باب القاف، فصل الصاد، ص٥٨٣.

(٤) أصول الاقتصاد الإسلامي، لرفيق يونس، دمشق، دار القلم، بيروت، الدار الشامية، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م،ص١٢.

(٥) الاقتصاد الإسلامي في ضوء الشريعة الإسلامية، لمحمود بابلي، الرياض، مطبعة المدينة المنورة،ط٢، ١٣٩٥ه/ ١٩٧٦ م، ص١٥.

- هذا وقد اخترتُ لكتابي هذا اسم (**السيرة المستنيرة**)، لأنني على يقين تام بأن سيرة النبي ﷺ ليست سيرة إنسان عادي، بل هي حكاية رجل مبارك، أنار الله تعالى بصره وبصيرته، وألهمه بالوحي وأيّده بالرسالة، **فهي سيرة مستنيرة بنور الله تعالى**، قال تعالى: ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾النور: ٣٥، وقال تعالى: ﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ﴾البقرة: ٢٦٩، وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾الحج: ٧٥، وقال تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾النجم: ٤.

فعلى الرغم مما كان للدَّور البشري الذي ظهر بشكل جليٍّ في سيرة النبي ﷺ، **إلا أنه لولا تسديد الوحي وتأييده ما كان للحبيب ﷺ أن ينجز كل هذه الإنجازات**، ولا أن يتجاوز كل هذه التحديات، أو أن يقطع تلك المفاوز والعقبات، في زمن قياسي لا يزيد على ثلاثةٍ وعشرين عاماً[1]، **وهذا كله يدعونا لأن نقتدي بالنبي ﷺ من جهة، وأن نستعين بالذي أعانه وأيّده وسدده وأرشده وألهمه وأنار طريقه سبحانه وتعالى، لينير دروبنا كما أنار دربه من جهة أخرى**، لاسيما والأمة اليوم في عطش شديد للقوة والنور والضياء.

وبسبب تطرف الفهم فيما يتعلق بالجانب البشري وجانب الوحي من حياة النبي ﷺ تضيع روعة التعايش مع السيرة، وتضعف فاعلية الانتفاع بها؛ فصنفٌ من الباحثين (المستشرقين) أرادوها سيرة رجل عظيم يملك من الطاقات والقدرات الذاتية بانفكاكٍ تام عن الوحي المبارك، ما جعله يملك زمام القوة ويحقق غاياته وأهدافه الخاصة في ذاك الزمان، وصنف آخر أرادوها مجرد أداة للوحي ليس للنبي ﷺ من أمره شيء، وكأنه ليس بإنسان ولا بشَرٍ لينزعوا عمن جاء بعده من المؤمنين بهديه واجب الاقتداء به، بوصفهم بشَراً، وهو أقرب ما يكون إلى الملاك!!.

والصحيح الذي لا مراء فيه أنه ﷺ بشرٌ، ولكنه نبي مرسَلٌ من عند الله تعالى إلى الناس كافة، **فقد قال تعالى**: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾الكهف: ١١٠، **فهو بشرٌ لكنه مستنيرٌ بنور الوحي، وهذا ما ميَّزه، وهو ما ينبغي علينا السعي لبلوغه، فنحن من جهةٍ نقتدي بفعل النبي ﷺ، ونسير على خُطاه، ومن جهة أخرى نستنير بنور**

---

(١) هي مدة البعثة النبوية المستنيرة.

الوحي الذي ألهمه وسدده خُطاه، ليصير لكل فرد في مجتمعنا كذلك سيرة مستنيرة تحكي حكمته، وحُسن تصرفه في المواقف كلها، فيتحقق لكل فرد في مجتمعنا حالة الملهَمُ والراشد والمستنير، عند سَيْرهم في دروب الحياة، بدلاً من السير الذي يترك سِيَراً تائهة وضائعة ومظلمة، أصبحنا نتركها كتبعات ثقيلة للأجيال بعدنا ثم نرحل، لنزيدهم تيهاً على تيههم، وضعفاً على ضعفهم.

إننا في كل مرة نقرأ فيها السيرة النبوية، ونستحضر عمق علاقة النبي ﷺ بربه، وتنويره لدربه، نسعى لأن نحقق شيئاً من جماليات تلك العلاقة التي أفاد منها النبي ﷺ من مولده إلى وفاته، ولم تكن لتفارقه في أشدِّ الظروف، يوم قال الله تعالى له: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾ الضحى: ٣، وقال له: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ﴾ الأنفال: ١٧، **كل ذلك في سياق بحثنا عن أسباب القوة والضياء والنور، وطلباً لأسباب السعادة والسرور.**

إنها سيرة النبي الأعظم التي «تجمع عدة مزايا تجعل دراستها متعة روحية وعلمية وتاريخية، **ومن أجمل مزايا هذه السيرة الكريمة**: أنها أصح سيرة لتاريخ نبي مرسَل، وأنها واضحة كل الوضوح في جميع مراحلها، وأنها تحكي سيرة إنسان أكرمه الله بالرسالة فلم تخرجه عن إنسانيته، وأنها شاملة لكل النواحي الإنسانية، وأنها تعطينا الدليل الذي لا ريب فيه على صدق رسالته ونبوته»[1].

كما ينبغي لفت الانتباه إلى أننا لم نقصد بالعنوان المطروح السير على طريقة التنويريين الجدد، أولئك الذين يتزعم كبرهم المستشرقون، بقصد إقحام العقل بصورة فَظة في عالم النقل، وحذف ما لا تستطيع العقول الصغيرة إدراكه من المعجزات والكرامات التي أجراها الله تعالى لنبيه ﷺ، لأجل ذلك كانت الدراسة تنويرية بالمعنى الإيجابي، الذي يعتمد النصوص الصريحة الصحيحة بمنزلة كشافات وبصائر، تنير دروبنا المظلمة، دون التطاول عليها بنفي، أو مسخها بتأويلات فاسدة.

ولعل من أكثر الأمور المتعلقة بدراسة السيرة النبوية، التي لازلتُ أعتقد أن علماء الاسلام لم يصلوا إلى إرواء الغليل فيها، **هي ضعف قدرتهم على الربط بين القرآن الكريم**

---

(١) السيرة النبوية دروس وعبر للدكتور مصطفى السباعي: ط دار ابن حزم، ٢٠١٠م، ص١٥ - ٢٣.

والحديث الشريف من جهة، وبين السيرة النبوية المطهرة من جهة أخرى، فأصبح عالَم القرآن الكريم في واد، على الرغم من كونه نزل في فترة بعثة النبي ﷺ، والسيرة في واد آخر، إلا النزر اليسير من الاستشهادات التي نأتي بها أحياناً على استحياء لندلل على موقف من مواقف النبوة الكثيرة، وكذا الحال بالنسبة للحديث النبوي الشريف، فإننا لم نجد من البحوث والدراسات ما يعتني ببيان الحديث المكي والحديث المدني بانفصال بينهما على الأقل، كما هو الحال بالنسبة للقرآن المكي والمدني، ولعل هذا الأمر يحتاج إلى جهود وجهود، وإلى اجتهادات كريمة متظافرة من علمائنا الكرام، لما يُرجى مِن وراء ذلك من الخير العظيم، وإلا فكيف نرى بركات السيرة المستنيرة، إن لم نلحظ تنزُّلَ الوحي عند كل موقف من مواقفها، يسدد المسار، ويبعث الأنوار، أو كيف نلمس تلك الاستنارة على وجه هذه السيرة المباركة إن لم نتتبع جوامع كلم النبي ﷺ في كل موقف من مواقفها.

إننا بحاجة ماسة اليوم للربط الوثيق بين الجانب النظري والجانب العملي من ديننا، فإذا كان القرآن والحديث هما الجانب النظري، فإن السيرة النبوية هي الجانب العملي، ولقد حاولتُ في هذا الكتاب أن أربط من خلال بعض الاستدلالات بين القرآن والحديث من جهة، وبين السيرة النبوية من جهة أخرى، ويبقى ميدان البحث مفتوحاً في هذا الباب، حتى يأتي الله تعالى بالفتح القريب على أيدينا أو أيدي سادتنا وإخواننا العلماء والدعاة.

وإن أكثر ما كان يؤرقني بين يدي كتابة هذا البحث، وعلى الرغم من حرصي الشديد على تتبع الصحيح من الروايات والامتناع عن السقيم منها، خشيتي أن أجتهد في الموافقة على تصحيح العلماء رواية تُثبت فعلاً من أفعال النبي ﷺ، **فألاقي رسول الله ﷺ يوم القيامة فيسألني: ومن قال لك أنني فعلت كذا؟!**، أو أن أجتهد في الموافقة على تضعيف رواية تنفي فعل النبي ﷺ لأمر ما، **فأجد يوم القيامة رسول الله ﷺ فيسألني: ومن قال لك أنني لم أفعل كذا؟!**، ولكن حسبي في ذلك أنني مجتهد باحث عن الحقيقة، وللمجتهد المخطئ أجر واحد، فالله أسأل أن لا يؤاخذنا بتقصيرٍ لا نقصده، وأن يعفو عنا عموم الزلات، وأن يتقبل منا الحسنات، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

ولا يسعني إلا أن أشكر إخوة كراماً كان لهم الأثر الطيب في مراجعة وإثراء هذا الكتاب وهم: فضيلة الدكتور محمد فاروق جزر، وفضيلة الدكتور ناصر سعادة، وفضيلة الدكتور سميح قرقش،وفضيلة الدكتور سامي أبو زيد وفضيلة الأستاذ أحمد السلاق فجزاهم الله تعالى عني خير الجزاء، وبارك لهم فيما قدموه من نفع وإثراء.

هذا ومن أروع ما قاله الشعراء في مدح النبي ﷺ صاحب السيرة المستنيرة[1]:

عَـزَّ الـــورودُ وطــال فيك أوام ... وأرقـــتُ وحــدي والأنـــام نيـامُ
ورَدَ الجميع ومـن سناك تـزودوا ... وطُـــردتُ عن نبع السنا وأقاموا
ومنعتُ حتى أن أحـوم ولم أكد ... وتقطعتْ نفسي عليك وحاموا
قصدوك وامتدحوا ودوني أُغلقتْ ... أبــواب مدحك فالحروف عقامُ
أدنـــو فـأذكـر مـا جنيتُ فأنثني ... خـجـلاً تضيق بحملي الأقــلامُ
أمِنَ الحضيض أريدُ لمساً للذرى ... جــلَّ المـقــام فـلا يـطـال مـقـامُ
وِزْرِي يكبلني ويخرسني الأسى ... فيموتُ في طـرف اللسان كـلامُ
كيف الدخول إلى رحاب المصطفى ... والنفس حـيرى والـذنـوب جِسامُ
يا ملء روحيَ وهجُ حبك في دمي ... قـبـسٌ يـضيء سريـــرتي وزمـــامُ
أنت الحبيب وأنـت من أروى لنا ... حـتـى أضـــاء قـلـوبـنـا الإسـلامُ
حوربتَ لم تخضع ولم تخشَ العِدى ... منْ يحمِهِ الرحمن كيف يُضامُ؟!
ومـلأتَ هذا الكون نـوراً فاختفتْ ... صُـــوَرُ الـظـلام وقُـوِّضـتْ أصنامُ

مكتبة t.me/ktabrwaya

(١) وامحمداه، للدكتور سيد العفاني، ط ١، ٢٠٠٦، دار العفاني، ص٨، والقصيدة متنازَع فيها بين الشاعر نزار قباني أو الشاعر السعودي يحيى توفيق حسن.

أولاً: مفهوم السيرة

١- السيرة لغة، من السَيْر، ولها عدة دلالات لغوية فهي من:

- الطريقة، سواء أكانت خيراً أو شراً[١]
- الهيئة، وفي ذلك يقول تعالى: ﴿سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ﴾ طه: ٢١
- السُّنة، يقول خالد بن زهير [٢]:

فلا تجزعن من سُنَّة أنت سرتها ... فأول راضٍ سُنة من يسيرها

وفي تاج العروس ما يجمع بين المعنى اللغوي والاصطلاحي، إذ يقول الزبيدي: «والسيرة النبوية، وكتب السِيَر مأخوذة من السيرة، بمعنى الطريقة، وأدخل فيها الغزوات، وغير ذلك إلحاقاً وتأويلاً»[٣]

وفي المعجم الوسيط: هي الحالة التي يكون عليها الإنسان وغيره[٤].

وهي حكاية خطوط سَير الإنسان من مولده إلى وفاته.

٢- السيرة اصطلاحاً: في الغالب الأعم، إذا تم إطلاق كلمة السيرة، فهي تعني: **بيانٌ تفصيلي يحكي حياة النبي ﷺ من مولده إلى وفاته وما كان قُبيل مولده.**

وقيل إن أول من استخدم هذا المصطلح هو: محمد بن شهاب الزهري، وقيل بل هو الواقدي، وقيل بل هو الشافعي[٥]، وقيل عبد الملك بن هشام.

ولابن حجر العسقلاني رحمه الله بعض بيانٍ لمصطلح السيرة يقول فيه: «والسير جمع سيرة، وأطلق ذلك على أبواب الجهاد، لأنها متلقاة من أحوال النبي ﷺ في غزواته»[٦] وكأنه يركز على الجهاد في حكايته لمفهوم السيرة **بما يحمل الجهاد، وما**

---

(١) التعريفات لعلي بن محمد الجرجاني: تحقيق ابراهيم الأبياري، ط دار الريان للتراث، ص١٦٣.

(٢) لسان العرب لابن منظور: ط دار احياء التراث بيروت، ط١، ١٩٩٥م، مادة سير: ٢١٦٩/٣.

(٣) تاج العروس من جواهر القاموس للزبيدي: ط دار إحياء التراث، ط١٩٨٤م، ١٢/ ١٢١.

(٤) المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية، القاهرة، ط٣، ١٩٩٨م، ١/ ٤٦٧.

(٥) ينظر في السيرة النبوية للدكتور عمر نجار علي: دار النداء اسطنبول، ط١، ٢٠١٤م، ج١/ ص٦-٧.

(٦) فتح الباري لابن حجر العسقلاني: ط دار الكتب العلمية بيروت، ط١، ١٩٨٩م، ج٦/٦.

تحكي الغزوات، من تعددٍ لمواقف النبي ﷺ، فليس هو بأمر يقتصر على الجانب العسكري البحت، كما سيأتي تفصيلاً في العهد المدني بعون الله تعالى.

يقول الدكتور صالح رضا: «السيرة النبوية هي: حياة رسول الله ﷺ من الولادة إلى الوفاة، بمراحلها وتفاعلاتها المختلفة الشخصية والاجتماعية»[1].

وعند إلقاء نظرة على فهارس بعض المصادر الأصيلة، كسيرة ابن اسحاق وما لخَّصه عنه ابن هشام، نجد مفهوم السيرة يتسع ليحكي حياة النبي ﷺ من ميلاده إلى وفاته، مع عرضٍ سريع لسلسلة النبوات، وبيانٍ لتاريخ التوحيد الممتد من لدن سيدنا آدم عليه السلام إلى خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد ﷺ.

كما أننا نجد بعض كُتاب السيرة قد أضافوا أبواب الشمائل ودلائل النبوة مع شيء من حياة الخلفاء الراشدين، إلى ما صنفوه من كتب كان محورها الأبرز؛ حياة النبي ﷺ من الميلاد إلى الوفاة.

ويعتري كتابة السيرة الذاتية لأي إنسان مشاعر تجعل المؤلف أحياناً ينحاز ويخرج عن موضوعية الباحث فيبالغ في المدح أو القدح، **والأصل في كتابة السيرة أن يتم إثبات المواقف بتسلسلها دون أي تدخل في الأحداث واليوميات، وإن كان من تعليق أو تحليل أو بيان فبعيداً عن النصوص التأريخية التي ننصف بها صاحب السيرة أيّاً كان.**

(١) إنها النبوة: الدكتور صالح رضا، ط دار الخيل للنشر، ٢٠١٠م، ط٣، ص٢٤.

ثانياً: أهداف السيرة النبوية، وأهداف دراستها

ينبغي التفريق بين أهداف السيرة، وبين أهداف دراستها، أما أهداف السيرة النبوية:

فهي ذاتها أهداف البعثة النبوية، وغايات خلق النبي الكريم، والحكمة من الرسالة الخاتمة، يلخصها قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾الأنبياء: ١٠٧، **فلقد أنزل الله تعالى القرآن ليكون كتابه المسطور، ثم أرسل عبده ونبيَّه وحبيبه محمداً ﷺ ليكون كتابه المنظور**، وذلك ﴿ لِّئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِ ﴾النساء: ١٦٥، وصدق الله تعالى أيضاً في بيان الحكمة من النبوة: ﴿ هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴾الجمعة: ٢ ،ومعلومٌ أن الاسلام سورة(القران) وسيرة(حياة النبي ﷺ)

أما أهداف دراسة السيرة فمنها:

- التعرف على دقائق وتفاصيل حياة (خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ)، من ميلاده إلى وفاته، فمثلما كان القرآن الكريم قد عرض لجوانب من سِيَرِ الأنبياء السابقين، لاسيما إبراهيم ويوسف وموسى عليهم الصلاة والسلام، وقد أفرد لهم القرآن العظيم دقائق حياتية تفصيلية، فإن في القرآن كذلك، وفي السيرة شفاء وغناء في باب المعرفة بخير ولد آدم ﷺ.

- تمييز الصحيح من السقيم، والأصيل من الدخيل، على السيرة النبوية المطهرة، وبيان ما كان عليه ﷺ من صفات وشمائل، والوقوف على دلائل معجزاته ﷺ، مما يزيد الإيمان ويقويه، وهذا بالتالي ما يحقق الاقتداء بالحبيب ﷺ في الظروف الطبيعية، قال تعالى: ﴿ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ ﴾الأحزاب: ٢١، والاحتكام إليه عند النزاعات، قال تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ﴾النساء: ٦٥، والحذر من تنكب طريقه في كل حال، قال تعالى: ﴿ فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾النور: ٦٣، واستشعار خطورة الحياة بدون هديه عليه الصلاة والسلام، قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمۡ وَأَنتَ فِيهِمۡ ﴾الأنفال: ٣٣.

- **صناعة الجانب التفاعلي التحفيزي المحرك نحو الفضيلة في النفس البشرية، وتحقيق البعث المنشود والإيجابية الذاتية بشكل انسيابي مع كل مشهد من مشاهدها، فالنفس لا تتحرك نحو الجمال بمجرد الاقتناع بالشيء الجميل، بقدر ما يحركها التفاعل مع ذاك الجمال وانجذابها نحوه إن هي وجدت أنموذجاً يُحتذى في الجمال (الجاذبية المغناطيسية لآثار الشخصية النبوية).**

- استنباط جوانب التشريع والفقه من مظانها في السيرة النبوية، وملاحظة الظروف والملابسات التي أحاطت بها، وبالتالي مساعدة الفقيه على الوصول إلى الفقه التنزيلي المناسب لكل زمان ومكان يعيش فيه، **وعلى ضوء السيرة النبوية نفهم مقاصد التشريع، ومن ثمَّ نستطيع فهم كتاب الله تعالى**، وليس فقط ما يتعلق من آياته بمشاهد السيرة فحسب، **ذلك أن القرآن الكريم هو البيان، والسنة والسيرة هي المبين**، كما نتعلم من السيرة النبوية (بعض) حيثيات وتفاصيل التشريع ففيها صورة الحج والصلاة والصيام والزكاة والجهاد وغيرها من العبادات.

- بناء منظومة القيم المتكاملة وصولاً إلى الشخصية المتوازنة في المجتمع المسلم، **فلا يطغى جانب الشدة على جانب اللين والعكس، كما لا يطغى جانب العفو على جانب العقوبة والعكس، ولا يطغى جانب الثقة على جانب الحذر والعكس**، وهكذا في جميع الصفات المتقابلة، قال تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ الفتح: ٢٩، وهذا مما يساعد على استنباط جوانب السلوك التي يأخذها علماء السلوك والتربية والآباء والأمهات والمعلمون، كاستدلالات نموذجية عُليا في التربية للأجيال المتعاقبة.

- في التتبع الدقيق للسيرة النبوية تمكين لقدراتنا الإدارية والقيادية، **مما يفيدنا نحن ورثة النبي الكريم ﷺ في استعادة دورنا قادة للبشرية، ومديرين لأزماتها ومختلف مجالات حياتها**، تقول الدكتورة رقية العلواني: «لقد حوت السيرة النبوية منهجية متكاملة لمعالجة قضايا الحياة الإنسانية في كل زمان ومكان، وقد تحقق ذلك بالفعل تاريخياً، وتمثل في معالجة أخطر حلقات القضايا الإنسانية: إصلاح أوضاع المرأة،

العبيد، التعامل مع المخالفين، النقلة الحضارية»[1].

- في قراءة السيرة النبوية استعراضٌ لتاريخ الدعوات الذي يُكرر نفسه في زماننا هذا، وفي كل زمان لاحق، من حيث جهات المكر الثلاث بالدعوة الإسلامية (المشركون (يهود وصليبيون)، الوثنيون (اللادينيون)، والمنافقون)، ومن حيث أساليب الكيد الثلاثة بالدعاة إلى الله (السجن والقتل والإبعاد)، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ﴾الأنفال: ٣٠.

- من وحي السيرة النبوية نضع لأنفسنا الوصف المعياري الذي يمكن لنا أن نقيس أنفسنا عليه، وليس القياس هنا بالنظر إلى شخص النبي ﷺ فحسب، بقدر ما هو أيضاً بالنظر إلى أصحابه ومن كان معه، (فهم بشرٌ ونحن بشر، وهم رجال ونحن رجال؛ **إن أردنا أن نكون كذلك**)، وهذا كله ثمرة من ثمار ملاحظة الجانب البشري جنباً إلى جانب المعية الإلهية الخاصة والمؤيدة بالوحي في حياة النبي ﷺ، وبالتالي ضرورة التأكيد على أهمية الانتفاع به، **واتخاذه مثلاً أعلى فيما صدر عنه كبشر مستقيم، والاقتداء به ولزوم هديه فيما صدر عنه كنبي كريم**، كما نقف بتتبعنا للسيرة وقفات إجلال واحترام لرجال ونساء حول الرسول ﷺ، ونقدِّر لهم جهدهم وجهادهم، ونجعل منهم القدوات الصالحة لنا ولأبنائنا.

- يدرك المتتبع لمفاصل السيرة النبوية أصول العقيدة والتزكية، كما يلحظ عمق عناية الله تعالى بنبيه الكريم ﷺ، ويستطيع الباحث البصير بالسيرة أن يشتق معاني وآثار أسماء الله الحسنى، مستدلاً بمواقف من السيرة تدلل عليها، **ففي دقائق تفاصيل السيرة نقرأ بوضوح اسم الله اللطيف والعليم والحكيم والقدير والنصير والوهاب والخبير والرحيم والتواب والسميع والقدوس والسلام والمؤمن والمهيمن والعزيز والجبار والمتكبر وغيرها، كما نجدد بمطالعتنا للسيرة النبوية محبتنا وإيماننا بالملائكة الكرام، وذلك من خلال التعرف على أدوارهم في حمل الوحي، وحماية ونصرة المؤمنين، وغير ذلك من المهمات الكريمة.**

- ندرك بدراسة السيرة عظيم منزلة النبي ﷺ عند ربه، وكيف أنه جعل كل محنة

---

(١) ماذا قدم النبي الكريم ﷺ للإنسانية، للدكتورة رقية العلواني، ط دار النهضة، ط١/ ٢٠٠٨م، ص٢٨٥.

في حياته منحة، وبعد كل حرج فرج كما ندرك سرَّ الاصطفاء الإلهي له من دون سائر خلقه، ليكون خاتم أنبيائه ومرسليه، **ونقتبس من سيرته الكريمة ما يخفف آلمنا ويبعث آمالنا حتى في أشد الظروف في حياتنا.**

- نتوقع من تتبعنا للسيرة النبوية أحداثاً قادمة، فنحسن التخطيط والتدبير لها، لاسيما إن كان بإمكاننا تحديد المرحلة الزمنية التي نعيش فيها اليوم قياساً على المرحلة المشابهة لها من السيرة، وذلك بطريق التقدير النسبي لا القطع في الأمور، **ومن ثمَّ نتمكن من ترتيب أولويات حياتنا على ضوء تلك الأولويات التي رتبها الله تعالى للنبي ﷺ في زمانه، ما بين العهد المكي والمدني.**

- وليست السيرة ودراستها مفيدة ومطلوبة بالنسبة للمسلمين فقط، بل لكل باحثٍ في التاريخ، متأملٍ أحوال الرجال، وأنت ترى كم هي الحفاوة التي حظيت بها السيرة في أبحاث ودراسات الغربيين ممن يبحثون عن أسرار النجاح، ويطلبون أسباب القوة في كل شيء، ويبغون تحقيق السعادة لأنفسهم.

- من خلال التعايش مع السيرة النبوية **يحسن المسلم الذبَّ عن الإسلام، والدفاع عن الدين، ببيان المشهد المتكامل لحياة صاحب الرسالة**، لاسيما ونحن نعلم حجم الهجمة التي تديرها قوى الشر على ديننا العظيم، وتتهمه بأنه دين عنف وإرهاب، أو تخلُّف ورجعية، أو ذلٍّ وهوان، أو امتهان للمرأة، واستغلال للطفل، وإلا فهو دين مرحلة محصورة ولا يصح أن يمتد ويتكرر (غير صالح لكل زمان ومكان!!) كما يزعمون.

- في دراسة السيرة نوع (احتفاء) بصاحبها، يزيد في معناه عن كل (احتفال) يقيمه بعضهم في مناسبات متفرقة، وذكريات من السيرة عطرة، كذكرى المولد النبوي، وذكرى الإسراء والهجرة وغيرها، وفي ذلك ما فيه من تمكين وتمتين العلاقة الوجدانية بيننا وبين شفيعنا ومعلمنا النبي الأكرم ﷺ، فإن كنا لن ندرك ردِّ الجميل والمعروف الكبير الذي أسداه لنا؛ فلا أقل من تتبع خطواته، وتلمُّس آثاره شوقاً وعرفاناً له، قال رسول الله ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين»[1]،

(١) أخرجه البخاري، كتاب الايمان، باب حب الرسول ﷺ، ح١٥.

وجاء رجل إلى النبي ﷺ فقال متى الساعة؟ فقال له الرسول ﷺ: ما أعددتَ لها؟ قال: ما أعددتُ لها من كبيرٍ أَحمدُ عليه نفسي، إلا أني أحب الله ورسوله، فقال رسول الله ﷺ: **فإنك مع من أحببتَ، قال أنس: فما رأيتُ المسلمين فرحوا بشيء بعد الإسلام أشد من فرحهم بقوله ﷺ**»[1]، وما أحسن ما قاله الشاعر[2]:

لم أسْعَ في طلب الحديث لسُمعة ... أو لاجتماعِ قديمه وحديثه

لكنْ إذا فات المحب لقاء مَنْ ... يهوى تعللْ باستماع حديثه

(١) أخرجه البخاري: كتاب المناقب، ح٣٦٨٨.

(٢) الأبيات من قواعد التحديث لجمال الدين القاسمي: تحقيق محمد البيطار، ط دار احياء الكتب العربية، ص٤٠٥، وهي لابن خطيب داريا.

مرَّ تدوين السيرة النبوية بعدة مراحل، تلك المراحل التي أتت بشكل تلقائي، تحكي حكاية النمو المرحلي لصناعة مراجعها.

ولاشك أن الفضل الأكبر لتدوين السيرة يرجع بعد الله تعالى، لأصحاب النبي ﷺ، الذين عاشوا السيرة النبوية خطوة بخطوة، وقاموا بحفظها في الصدور، واستذكارها بعد وفاة النبي الكريم ﷺ في السطور، لتصير بعد ذلك حاضرة بين أيدينا، كأننا نراه ونتابعه خطوة خطوة من الميلاد إلى الوفاة.

وقبل الحديث عن التدوين البشري للسيرة النبوية لابد من وقفة مع البيان الإلهي لسيرة النبي ﷺ وهو ما يمكن أن نطلق عليه بالتدوين للسيرة قبل أن يولد صاحبها الكريم ﷺ.

فالقرآن هو البيان الخالد، والذي سجَّله الله تعالى في القرآن العظيم قبل أن يخلق الخلق، وقبل أن يولد محمد ﷺ مما لا طائل للبشر به ولا قدرة عليه، فقد حكى القرآن الكريم حكاية أنبياء الله تعالى الذين يُعدُّ النبي ﷺ امتداداً لسلسلتهم الذهبية، وحكى كذلك طرفاً عن ميلاد النبي الكريم ﷺ وطفولته وبعثته وما تعرض له من مواقف وأزمات، وما أجرى له ربه تعالى من معجزات، وما حقق له من إنجازات، وما كان في زمانه من مواقف وغزوات، حتى ذكر وفاته ومواقف بعض المؤمنين به بعد ذلك، قال تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِين مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴾الأنبياء: ٣٤، **أما مراحل تدوين السيرة فهي على النحو الآتي**[1]:

١- التدوين للسيرة في العصر النبوي (من ميلاد صاحبها وحتى وفاته)

لم يكن يخطر ببال واحد من الصحابة أن يكتب السيرة في زمن صاحبها الكريم، وذلك أن بعضهم لم يكن يخطر بباله أن نبي الله ﷺ سيموت، وإن كانوا كلهم يؤمنون

(١) السيرة النبوية للدكتور عمر نجار عبد الحافظ، دار النداء، اسطنبول، ٢٠١٤م/ بتصرف.

بأنه لابد لكل مخلوق من وفاة، كما أن مجرد كتابة (سُنَّة) النبي ﷺ كانت تتعرض للحظر النبوي الكريم بادئ الأمر، حتى لا يختلط المحفوظ من القرآن الكريم بكلام النبي ﷺ، فضلاً عن التدوين لحيثيات وتفاصيل سيرته الشريفة، ثمَّ إن الاعتماد على **حفظ المواقف دون تدوينها بصورة يوميات**، قد حرمنا من الاستمتاع باليوميات المباركة الكاملة، والدقائق الغالية لسيد الخلق محمد ﷺ، ولاشك أن اهتمام الصحابة الكرام بالسيرة وحفظها ونقلها لأبنائهم كان مما عرف سابقاً حتى أنه ورد عن علي بن الحسين رضي الله عنه قال: «**كنا نُعلَّم مغازي النبي ﷺ كما نعلم السورة من القرآن**»[1]، وقال إسماعيل بن محمد بن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: «**كان أبي يعلمنا المغازي، ويَعُدُّها علينا ويقول: يا بني؛ هذه مآثر آبائكم فلا تضيعوها**».

٢- التدوين للسيرة بعد وفاة صاحبها الكريم ﷺ

بدأت الكتابة والتدوين الجاد والممنهج للسيرة النبوية بعد وفاة النبي ﷺ، وقد مرَّ التدوين آنذاك بعدة مراحل:

١- مرحلة المذاكرة والتدوين في دائرة الصحابة الكرام فيما بينهم.

٢- مرحلة المذاكرة والتدوين بين الصحابة والتابعين، فقد كان بعض أبناء الصحابة يحملون السيرة أو بعض مواقفها إلى من بعدهم من أتباع التابعين ومن هؤلاء الكرام: أبان بن عثمان بن عفان، وعروة بن الزبير بن العوام وغيرهما رضي الله عنهما.

٣- **مرحلة التدوين فيما بعد عصر التابعين:**

في هذه المرحلة بدأت المؤلفات المكتملة، ووجدت المصنفات المنهجية، بل إن كل من كتب في السيرة يُعدُّ عالة على كُتَّاب ومؤلفي هذه المرحلة رحمهم الله تعالى، ومن أبرزهم الإمام محمد بن إسحاق بن يسار بن خيار الأخباري القرشي المطلبي[2]،

---

(١) هذه العبارة جاءت منسوبة مرة لعبد الله بن مسعود ومرة لعمرو بن العاص ومرة لسعد بن أبي وقاص وغيرهم رضي الله عنهم، فإما أن يكونوا كلهم قالوها في مواطن متعددة وإما أن يكون هنالك ثمة خطأ في الروايات.

(٢) ولد محمد بن إسحاق سنة ثمانين، وتوفي سنة خمسين ومائة، وقال فيه الذهبي في السِّيَر: هو أو من دون العلم بالمدينة، وذلك قبل مالك وذويه، وكان في العلم بحراً عجاجا...»، وانظر في سير أعلام النبلاء لشمس الدين محمد بن عثمان الذهبي، ط مؤسسة الرسالة، ط١١، ١٩٩٨م، تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرون، ج٧/٣٥.

فقد كان الإمام الشافعي يقول: من أراد أن يتبحر في المغازي فهو عيال على محمد بن إسحاق[1].

ومن أبرزهم كذلك معمر بن راشد أبو عروة البصري، وقد انتشرت رواياته في تاريخ الطبري وطبقات ابن سعد ومغازي الواقدي.

ومنهم أبو إسحاق الفزاري، وقد صنف كتاباً في السيرة أسماه (السير)، حققه الدكتور فاروق حمادة، وهو مبوَّب على الأبواب الفقهية.

ومنهم كذلك وإن كان في طبقة بعدهم الإمام محمد بن عمر الواقدي الذي امتاز بالدراسة الميدانية لمواقع الغزوات، **وقد وصفه الإمام الذهبي بأنه يُحتاج إليه في الغزوات والتاريخ، وإن كان يصفه بأنه ضعيف في الحديث**[2].

ومنهم الإمام عبد الملك بن هشام راوي سيرة ابن اسحاق ومُهذبها، قال الذهبي في ترجمة ابن هشام: «هذَّب السيرة النبوية، وسمعها من زياد البكَّائي صاحب ابن اسحاق»[3]، وقد اعتنى العلماء كثيراً بسيرة ابن هشام، فوضعوا لها الشروح والحواشي والتعليقات والتحقيقات.

ثم أخذ التدوين بعد ذلك يأخذ أشكالاً أخرى، ومن ذلك:

- التدوين ضمن المصنفات الحديثية: «وأقدم كتاب وصل إلينا في الأحاديث هو موطأ الإمام مالك، ولم يخل من ذكر جملة الأحاديث فيما يتعلق بسيرة النبي ﷺ، وأوصافه وأسمائه، وذكر شيء مما يتعلق بجهاده، وغزواته، وكذلك الإمام أحمد في مسنده»[4]، وقد صنف الإمام البخاري في الجامع الصحيح كتاب المغازي في ثنايا كتب جامعه، الذي يُعدُّ الكتاب الثاني في الإسلام، ومثله كذلك فعلُ الإمام مسلم في صحيحه وغيرهما من أصحاب الجوامع.
- التصنيف في أبواب مخصوصة من السيرة: ومن ذلك كتاب وفاة النبي ﷺ للإمام النسائي، وكتاب تركة النبي ﷺ لحماد بن إسحاق، وكتاب الشمائل المحمدية

---

(١) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لشمس الدين بن خلكان، ط دار الثقافة بيروت، ط٢، ٢٧٦/٤.

(٢) سير أعلام النبلاء للإمام الذهبي: ٤٦٩/٩.

(٣) السابق: ٤٢٩/١٠.

(٤) دراسات في السيرة النبوية، حسين مؤنس/ الزهراء للإعلام العربي، ط١، ١٩٨٤م، القاهرة، ص١١.

للإمام الترمذي، وكتاب دلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني، وإنسان العيون في سيرة النبي المأمون لعلي برهان الدين الحلبي.

- التصنيف في السيرة بوصفها جزءاً من كتب التاريخ والطبقات: ومن ذلك ما كتبه الإمام الطبري في كتابه تاريخ الأمم والملوك، وما كتبه الإمام ابن كثير في كتابه البداية والنهاية عن حياة النبي ﷺ.

وبذلك أصبح لدينا مدرستان في كتابة السيرة؛ مدرسة المحدثين، ومدرسة المؤرخين، ولكل ميزتها وخصائصها.

- التصنيف العصري للسيرة النبوية: **انقسم المصنفون المعاصرون في نظرتهم للسيرة النبوية إلى قسمين اثنين هما:**

١- قسم صنَّف في السيرة بقصد إبراز جواهرها، وتعميق فكر الاتِّباع لصاحبها عليه الصلاة والسلام، وهم علماء الإسلام ودعاته، ومن هؤلاء الكرام: الأستاذ الدكتور محمد أبو شهبة في كتابه السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة، والشيخ محمد الصادق عرجون في كتابه محمد رسول الله ﷺ منهج ورسالة، والشيخ محمد الغزالي في كتابه فقه السيرة النبوية، وصفيّ الدين المباركفوري في كتابه الرحيق المختوم، وأبو الحسن الندوي في كتابه السيرة النبوية، والدكتور منير الغضبان في كتبه حول السيرة ومنها: المنهج الحركي والمنهج التربوي للسيرة النبوية، والشيخ إبراهيم العلي في كتابه صحيح السيرة النبوية، والدكتور أكرم ضياء العمري في كتابه السيرة النبوية الصحيحة، والدكتور مصطفى السباعي في كتابه السيرة النبوية دروس وعبر، والدكتور علي الصلابي في كتابه «دروس وعبر في تربية الأمة وبناء الدولة»، واللواء محمود شيت خطاب في كتابه الرسول القائد، وغيرهم الكثير.

٢- قسم صنَّف في السيرة بقصد الطعن والتشكيك فيها، ومن هؤلاء: المستشرقون، وأتباعهم من المستغربين الذين حملوا فكرهم، وأخذوا يطعنون في بعض مفاصل السيرة، ومن هؤلاء قسيس كانتربري والأب لامنس وغيرهما، وممن تأثر بهم الكاتب محمد حسين هيكل صاحب كتاب حياة محمد، وأحمد أمين في كتابيه؛ فجر الإسلام وضحى الإسلام، وغيره من أتباع المدرسة العقلية المطلقة، وممن

فُتنوا بأبحاث أو قُلْ: بعطايا الأعداء الحاقدين، لكنَّ الله تعالى قيَّض من أبناء الأمة من يردُّ على هؤلاء ردوداً تليق بسخافاتهم[1].

وبعد كل ما سبق من سردٍ لمراحل تدوين السيرة يتبين لنا أن من **أبرز مصادر ومراجع السيرة النبوية:**

- القرآن العظيم وتفاسيره المباركة.
- كتب السُّنة والحديث الشريف وشروحاتها.
- كتب التاريخ والأخبار.
- كتب الأدب العربي، التي احتوت بعض أشعارها على توثيق مُهمٍّ لبعض مفاصل السيرة.
- كتب دلائل النبوة والشمائل المحمدية والمغازي وهي أقرب إلى كتب الحديث والسُّنة.
- كتب الإدارة وعلوم النفس والحياة المختلفة التي جعلت من السيرة مرجعاً ثابتاً ومعياراً من معايير الجودة والاتقان.
- كتب الدعوة والمدرسة الحركية التي اهتمت ببيان الجانب الفقهي والحركي من السيرة، واستخراج الدروس العملية التي تصلح علاجاً لمواطِن الضعف في جسد الأمة العربية والإسلامية.

---

(١) وممن ردَّ على المستشرقين: الدكتور عماد الدين خليل، في كتابه «دراسة في السيرة»، والدكتور محمد البوطي، في كتابه «فقه السيرة النبوية»، والدكتور أحمد شوقي ابراهيم، في كتابه «موسوعة الرد على الشبهات والافتراءات».

على قدر أهمية السيرة النبوية في باب التشريع الإسلامي، وبما لها من مكانة في جانب حُسن الاقتداء بصاحبها عليه أفضل الصلاة والتسليم، وعلى ضوء ما يطلبه المسلم عند دراسته للسيرة المستنيرة من استنارة وإرشاد وتوجيه في مختلف مجالات الحياة، صار من الواجب تقعيد وضبط دراستها بضوابط وقواعد تؤسس لحسن الانتفاع بها، دون مضاعفات جانبية تجعلنا نجازف، فنسيء للسيرة ولأنفسنا، من حيث نحسب أننا نحسن صُنعاً، **فمن أهم القواعد والضوابط في دراسة السيرة النبوية ما يأتي:**

١- أن يتم دراسة السيرة النبوية في ضوء حُسن الدراية بمقاصد التشريع الاسلامي، **فالمقصد الأعظم للشريعة السمحة أنها جاءت لتحقق سعادة البشرية في الدنيا والآخرة**، ولتحفظ الضرورات الخمس وهي: (الدين والنفس والنسل والعقل والمال).

٢- أن تكون دراسة السيرة النبوية متناغمة مع باقي علوم الشريعة، فلا يجوز فكُّ الارتباط بين السيرة النبوية وأصول التفسير، أو بينها وبين علوم الحديث الشريف، أو بينها وبين الفقه الإسلامي وهكذا.

٣- أن ينوي الدارس للسيرة النبوية حُسن الانتفاع، **وأن يُحضر نية الاقتداء بصاحب السيرة عليه الصلاة والسلام**، بوصف سيرته الكريمة ليست محلًّا لإبداء الإعجاب أو للتسلية والثقافة العامة، بل هي مركز الاتِّباع، ودليل الاقتداء بالنبي الخاتم ﷺ.

٤- أن يتتبع الدارس للسيرة النبوية ما صحَّ من المرويات الحديثية، وما حسُن من الأخبار التاريخية، **وأن لا يبني تحليلاً لأخبار، ولا تعليلاً لروايات موضوعة لا أصل لها.**

٥- أن يلزم دارس السيرة النبوية جانب الحذر من دسائس المستشرقين؛ الذين يحترفون وضع السُّم في الدسم، ويحاولون الطعن في شخص الرسول ﷺ، أو في منهجه أو في آل بيته وأصحابه، وقد يأتي طعنهم في باب تعظيم قدر النبي ﷺ، أكثر من طعنهم في باب تحقيره وإهانته وشتيمته، **وأما الطعن في باب تعظيم**

قدره فهم يرفعون من قيمته ويحاولون إثبات بطولته مع قطع صلته بالوحي، بحيث يصبح قائداً عبقرياً أكثر من كونه رسولاً أو نبياً.

٦- أن يستوعب الدارس للسيرة النبوية أهمية الربط بين جانب الوحي، والجانب البشري في حياة النبي ﷺ، فهو بشرٌ، ولكن ليس كأيِّ بشر، بما أوحى الله تعالى له، وما هيَّأه سبحانه من تهيئة تليق بمقامه كنبي خاتم للبشرية كلها.

٧- كلما كانت دراسة السيرة في ضوء الواقع المعاش، كانت فرصة الانتفاع بها أكبر، **لاسيما إذا توافرت للدارس الملكة العلمية، والقدرة على الربط والمقايسة، وتنزيل شيء من وقائع السيرة على ما يجري في زماننا من أحداث ومواقف حياتية متنوعة.**

٨- بقدر ما للتسلسل التاريخي لأحداث السيرة من أهمية بالغة في فهم التسلسل التشريعي، وقراءة المشهد المتكامل للسيرة النبوية، إلا أنه من المهم كذلك التقاط وقفات موضوعية تحكي جوانب مخصوصة من حياة النبي ﷺ، **كأن نتناول في البحث جوانب من حياته الشخصية في بيته، ومع زوجاته وبناته مثلاً، أو أن يتم تسليط الضوء في دراسة خاصة على حياته السياسية أو الاقتصادية أو التربوية أو الاجتماعية وغير ذلك.**

٩- لابد من الانتباه عند دراسة أحداث السيرة النبوية بأنها لا تحكي كامل تفاصيل حياة النبي ﷺ، وإنما تتناول التفاصيل الأهم أو تحكي لنا ما استطاع الباحثون الحصول عليه مما استذكره الرواة الأوائل من حياة النبي ﷺ، فلا يصح ملء الفراغات الباقية مجازفة من دون إسناد متصل وصحيح، ولا يجوز الاعتقاد بأن السيرة هي ما تم نقله إلينا فقط، كما يجدر الاستيعاب بأنه لو كان هنالك ثمة نفع في معلومة إضافية في تفاصيل حياة النبي ﷺ لحفظها الله تعالى بالطريقة ذاتها التي حفظ بها غيرها، والله تعالى أعلم.

١٠- لابد من قراءة أدوار الشخصيات التي كان لها حُضور في السيرة النبوية سواء كان ذلك حضوراً إيجابياً، وهم الصحابة الكرام، والمؤمنون من آل بيته، وأزواجه، وبعضُ مَنْ ناصره وإن لم يؤمن به من كفار زمانه، أو حضوراً سلبياً وهم الكفار والمشركون بأشكالهم وألوانهم كالوثنيين، والكتابيين من يهود ونصارى،

والمنافقين والمجوس وغيرهم، وبيان ما انتهى إليه هؤلاء بعد ختم الرسالة، وما تركته الرسالة على امتداد ذلك التاريخ وبعده وامتداد الجغرافيا من آثار وبصمات.

١١-رفض منطق التسويغ والتبرير عند التعامل مع أحداث السيرة[١]:

١- في غمرة الانبهار بالغرب وأفكاره، وما تلا ذلك من انهزام نفسي، بدأ بعض المسلمين يُقبل على دراسة سيرة النبي ﷺ في محاولة للملاءمة بين بعض ما جاء فيها وما يؤمن به الغرب من قيم، حتى إذا عجزوا عن تحقيق تلك الملاءمة، بذلوا قصارى جهدهم في توهين الرواية التي أعجزتهم وتضعيفها.

٢- وكمثال على ذلك؛ موقف محمد حسين هيكل من رواية حادثة شق الصدر وردُّها، مع أنها صحيحة ثابتة، ومن الأمثلة أيضاً عدَّ بعض الدارسين الجهاد حركة دفاع فقط عن الدولة الإسلامية الناشئة، وحيث لا اعتداء فلا جهاد!! مع أن الرسول ﷺ قال مباشرة بعد انصراف المشركين من غزوة الخندق: «الآن نغزوهم ولا يغزوننا، نحن نسير إليهم»[٢]، وهذا ما فعله عليه السلام في غزوة خيبر مثلا، وقد «بدأها رسول الله ﷺ وأغار بها فجأة على اليهود الذين استوطنوا بقاع خيبر، دون أن يبدأوا المسلمين بأي محاربة أو قتال»[٣]

٣- ومما نفاه بعضهم أيضاً رواية قتل مقاتلي بني قريظة على الرغم من صحتها[٤] لعدم توصلهم إلى مخرج لتسويغ حُكم سعد بن معاذ رضي الله عنه في اليهود: «...فإني أحكم فيهم أن تقتل المقاتلة، وأن تسبى النساء والذرية، وأن تقسم أموالهم»[٥].

---

(١) هذه الفائدة والتي تليها تم اشتقاقها من بحث نافع بعنوان: أصول وضوابط في دراسة السيرة النبوية الشريفة: للأستاذ عبد اللطيف بن محمد الحسن، مجلة البيان الغراء، عدد ١٤٧، ذو القعدة ١٤٢٠، فبراير - مارس ٢٠٠٠.

(٢) أخرجه البخاري عن سليمان بن صرد رضي الله عنه في المغازي، باب غزوة الخندق، حديث ٤١١٠.

(٣) فقه السيرة للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي، دار الفكر، بيروت، ط.٧، ١٣٩٨ - ١٩٧٨ ص: ٢٥٩.

(٤) أخرجه البخاري في المغازي، باب مرجع النبي ﷺ من الأحزاب ومخرجه إلى بني قريظة، حديث ٤١٢١، ومسلم في الجهاد والسير، باب إجلاء اليهود من الحجاز، حديث ١٧٦٦.

(٥) أخرجه البخاري، الموضع السابق، حديث ٤١٢١.

١٢-معرفة حدود العقل في قبول النصوص وردها:

يرى كثير من الدارسين وخاصة المستشرقين أن علماء المسلمين أهملوا نقد المتون، بزعم غياب عقليتهم النقدية، وهذا مردود، وهذه بعض أمثلة لمحاكمات تاريخية مستندة إلى نقد المتن:

١- رفض ابن حزم العدد المذكور عن عدد جند المسلمين في أُحُد؛ بناء على محاكمة المتن وفق أقيسة عقلية بحتة.

٢- قدّم موسى بن عقبة غزوة بني المصطلق إلى السنة الرابعة، خلافاً للأكثرين الذين جعلوها في السنة السادسة؛ لاشتراك سعد بن معاذ فيها، وهو متوفى عقب بني قريظة وهي في السنة الخامسة، وتابعه على تقديم تاريخها ابن القيم والذهبي.

٣- أخّر البخاري غزوة ذات الرقاع إلى ما بعد خيبر؛ نظراً لاشتراك أبي موسى الأشعري فيها، وقد قدم بعد خيبر، وتابعه على تأخيرها ابن القيم وابن كثير وابن حجر، خلافاً لرأي ابن إسحاق والواقدي في تقديمها.

٤- الخلاف حول تشريع صلاة الخوف معظمه مبنيٌّ على محاكمة المتن بين أن يكون أول ما كان في الحديبية أو غيرها.

لقد انزلق المطالبون بنقد المتون؛ إذ أجروا أحكام العقل في المتون الثابتة، وجعلوا ذلك أساساً للرد والقبول، وذلك أمر تتفاوت فيه العقول، وإنما يجيء الإشكال من جهة قصور العقل عن إدراك الخطاب للتوفيق بينه وبين النصوص الأخرى».

يقول الدكتور أكرم ضياء العمري: «**وربما يُثبت من لم يلتزم منهج المحدثين حديثاً واهياً لصحة معناه، وقد يردُّ رواية الشيخين لظنه تعارضها مع مبادئ الإسلام وقواعده، وهذا تحكيم ضعيف للعقل**»[1].

(١) السيرة النبوية الصحيحة: الدكتور أكرم ضياء العمري: مكتبة العبيكان، ط٧، ٢٠١٣م، ص١٢.

العهد
المكي

مكة المكرمة هي بيت التوحيد، وفيها أول مكان وضعه الله تعالى للعبادة في الأرض، وقد أسس أساساته ملائكة السماء، ولما أرسل الله تعالى أبا الأنبياء إبراهيم عليه السلام، كلفه ببناء الكعبة بمعية ابنه إسماعيل عليه السلام، قال تعالى:﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾البقرة: ١٢٧.

ولما للبيئة التي ينطلق منها الأنبياء والدعاة من دَور **في إعانتهم أو إعاقتهم** عن حمل الرسالة، سواء بما توفره هذه البيئة من فُرص مشجعة، أو من تحديات معيقة، صار من المهم دراسة حالة مكة قبل الإسلام، لنرى ما هي الفرص والتحديات التي واجهت النبي ﷺ في دعوته الأولى؟ **وكيف أن الله تعالى أعانه فاستثمر الفرص، وتجاوز التحديات، بل وحوَّلَ تلك التحديات إلى فُرَصٍ متقدمة.**

الحياة الاجتماعية في مكة

كانت مكة مجتمعاً قَبَلياً، للقبيلة فيه شأنها، فقد سكنتها قبيلة جُرهم ثم خزاعة، ثم آل الأمر فيها قبيل الإسلام إلى قبيلة قريش، التي كان أحد أجداد النبي الأوائل قصي بن كلاب سيدها بلا منازع، فقد قام بتنظيم مكة فقسَّم الوظائف الرئيسة بين أولاده وهي: السقاية والرفادة والحجابة واللواء والندوة[1]، وفي دار الندوة كانت قريش تتشاور في أمور السلم والحرب، وفيها تجري عقود الزواج والمعاملات...وكان النزاع سيد الموقف بين العشائر القرشية على السيادة[2].

---

(١) هذه الأشياء كلها من مظاهر السيادة والشرف عند أهل مكة، وكانت موزعة بينهم، فكانت السقاية والرفادة لبني هاشم، والسدانة واللواء لبني عبد الدار، وأما بيان معانيها فهي: ١- السقاية هي موضع يتخذ لسقي الناس، وذلك أن أهل مكة في موسم الحج يملئون حياضا من الماء يحلونها بالتمر والزبيب.٢- الحجابة، وهي عبارة عن الأمور المتعلقة بالكعبة وخدمتها.٣- الرفادة، هي طعام كان يصنع للحجاج على طريقة الضيافة.٤- اللواء، المراد به حمل الراية في الحرب، وقد قتل يوم أحد عشرة من بني عبد الدار كانوا يحملون اللواء يومئذ.٥- القيادة، هي الرئاسة العامة على الجيش وتدبير شؤونه.

(٢) السيرة النبوية الصحيحة للدكتور أكرم ضياء العمري، مكتبة العبيكان، ط٧، ٢٠١٣م، ص٩٩.

أما الفرصة التي أتيحت للنبي ﷺ من كون مكة تشكل ثقلاً اجتماعياً عشائرياً مترابطاً، فقد وجدها النبي ﷺ في بعض مَن ساهم في نصرته وحمايته ﷺ من أقاربه من غير المسلمين[1]، فضلاً عمن نصره ودخل في دينه من أهله وعشيرته[2].

وأما التحدي فكان فيما تحمله فكرة العشيرة من تعصُّب لدين الآباء والأجداد، مما حجب بعض كبراء قريش عن الدخول في الدين الجديد[3]، ومحاربتهم لكل من تبعَ النبي ﷺ على دينه الكريم.

الحياة الاقتصادية في مكة

كان اقتصاد مكة يقوم على التجارة، أما الصناعة فكانت قليلة، وكان من أبرز الصناعات صناعة الأسلحة من رماح وسيوف ودروع ونِبال، ثم صناعة الفخار، والنجارة لصناعة الأسرَّة والأرائك، كما أن الموارد الاقتصادية الأخرى مثل تربية الماشية والصيد كانت معروفة، ولكن بقيت التجارة أساساً لاقتصاد مكة، فكانت سياسة الإيلاف[4] والمعاهدات سبباً في ازدهار مكة، وتكاثر رؤوس الأموال فيها بسبب الانتقال من التجارة المحلية إلى التجارة الدولية، وقد ساعد النزاع بين الفرس والروم على ازدهار طرق التجارة البحرية، بدل الطريق البري بين العراق والشام، فكانت البضائع تُنقل من الهند إلى اليمن ثم مكة فالشام...وكانت قريش تحصل من الحبشة على البخور والأطياب وريش النعام وغيرها، وتحصل من الشام على القمح والدقيق والزيت والخمر، ومن الهند على الذهب والقصدير والحجارة الكريمة وغيرها...وقد

---

(١) إشارة إلى عمه أبي طالب وغيره.

(٢) يمثل مشهد أعمام النبي ﷺ صورة مصغرة لأنواع الناس الذين عرض عليهم النبي ﷺ دعوته بشكل عام، فعددٌ من أعمامه مات قبل البعثة وأمرهم إلى الله، وواحد أسلم ودافع باستماتة عن الإسلام وعن ابن أخيه النبي الكريم حتى استشهد في غزوة أحد، وهو حمزة رضي الله عنه، وآخر أسلم وأخفى إسلامه أو أنه أسلم متأخرا قبيل فتح مكة (وأمر توقيت إسلامه مختلف فيه) وهو العباس رضي الله عنه، وثالث لم يسلم لكنه دافع عن النبي ﷺ وكان عونا له وهو أبو طالب، ورابع رفض فكرة الاسلام واشتد على ابن أخيه وآذاه ومات على كفره وعناده وهو أبو لهب.

(٣) إشارة إلى عمه حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه وغيره.

(٤) وهي الأحلاف على خطوط التجارة والتي أوجدها هاشم بن عبد مناف.

نشأت طبقة متخمة وأخرى متوسطة وثالثة مُعدمة بسبب تكدس رؤوس الأموال بيد الأغنياء، الذين تعاظموا باحتكارهم التجارة، وممارسة الإقراض الربوي[1].

أما الفرصة الكبرى التي استثمرتها الدعوة النبوية نتيجة هذه الظروف الاقتصادية، فهي تكمن في دَور الحركة التجارية النشطة في تركيز حركة العلاقات والتواصل مع عموم من يدخل أو يخرج من مكة، وهذا بالتالي ما يجعل فرصة حمل الدين الجديد، - والذي يحمل صبغة العالمية - إلى عموم الناس أمراً ممكناً.

وأما التحدي الأكبر فيكمن في وجود طبقة ثرية تخاف على نفسها من دين جديد يملك من القوانين الضابطة للدخل والإنفاق ما يجعلهم يكرهونه، ما دام يخالف سياساتهم الجشعة في ذلك كله، على الرغم من أن بعض كبار تجار مكة قد أسلم ولم يبالِ بتلك الهواجس كلها، فعاد الإسلام عليه مزيداً من البركة والخير والثراء[2].

الحياة السياسية في مكة

لم تكن مكة قرية صغيرة كما يتخيلها بعض الناس، وإنما كانت بحسب تسمية القرآن لها أم القرى، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾الشورى: ٧، أو البلد الأمين، قال تعالى: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ﴾التين: ١ - ٣، يقول أبو الحسن الندوي: «والحق أن مكة قد انتقلت في منتصف القرن الخامس الميلادي من طَور البداوة إلى طَور الحضارة، وإن كانت حضارة بالمعنى المحدود، وخضعت لنظام يقوم على اتفاق تطوعي، وتفاهم جماعي، وتوزيع للمسؤوليات والمهام (السياسة الداخلية)»[3].

وقد كان زعماء قريش يسلكون مسلك الحياد بين القوى السياسية الكبرى كالفرس والروم، وكانوا يقيمون علاقاتهم على أساس المصلحة المرتبطة بتجارتهم من مكة وإليها.

مكتبة t.me/ktabrwaya

وتحكي الروايات التي بينت ملاحقة قريش للنبي ﷺ وأصحابه إلى الحبشة

(١) السيرة النبوية الصحيحة للدكتور أكرم ضياء العمري، مكتبة العبيكان، ط٧، ٢٠١٣م، ص٩٦.

(٢) إشارة إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه وعبد الرحمن بن عوف وغيرهما رضي الله عنهما.

(٣) السيرة النبوية، للشيخ أبو الحسن الندوي: ط دار القلم/ دمشق/ ط٥/ ٢٠١٠م/ ص٨٤.

والشام، وإلى الطائف وقبائل يهود المدينة، كيف أن قريشاً كان لها شأنها وكلمتها فيما حولها، من خلال اتصال زعاماتها مع ملوك وزعامات هذه البلاد[1].

ويرى بعضهم أنه لم يكن هنالك سلطة سياسية ظاهرة وقوية ومتماسكة في المجتمع المكي، وإلا لوقفت في وجه أبرهة الأشرم عندما عزم على هدم الكعبة، ولعملت على حلِّ النزاعات دون إراقة للدماء.

أما الفرصة التي أتاحتها هذه الحياة السياسة للدعوة الجديدة؛ فتكمن في أن الجامع بين تلك العلاقات السياسية كلها هو المصالح المشتركة، والمصالح مهما تكن راسخة وقوية إلا أنه يسهل تفكيكها ما دامت لا تقوم على مبدأ راسخ وعقيدة ثابتة، وإن كان الأمر يحتاج إلى مصابرة.

وأما التحدي فيكمن في قدرة أصحاب هذه المصالح على التنازل عن بعض مصالحهم في مقابل توحُّد صفهم واجتماع كلمتهم لمواجهة الدين الجديد، **وهذا ما حصل يوم غزوة الأحزاب، وهو ما يزال يحصل باطراد كبير في زماننا هذا.**

الحياة الدينية في مكة

كانت مكة المكرمة أرض توحيد مُذ بنى فيها إبراهيم عليه السلام الكعبة كأول بيت لعبادة الله، قال تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾ آل عمران: ٩٦، إلا أن الانحراف قد أصاب أهل مكة على مرِّ السنين.

وأما الوثنية فقد دخلت مكة المكرمة عن طريق عمرو بن لحيٍّ الخزاعي الذي جلب الأصنام من الشام إلى مكة، ودعا الناس إلى عبادتها، فقد قال النبي ﷺ: (رأيتُ

---

(١) ومما يقال في العلاقة بين قريش ويهود مثلا، ما روى ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال قريش ليهود: أعطونا شيئاً نسأل هذا الرجل، فقالوا: سلوه عن الروح، قال: فسألوه عن الروح فأنزل الله تعالى: «ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلا» (الاسراء: ٨٥، قالوا: أوتينا علما كثيرا، أوتينا التوراة، ومن أوتي التوراة فقد أوتي خيرا كثيرا، فأنزلت: «قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر..» الكهف: ١٠٩، والحديث أخرجه الترمذي برقم ٣١٤٠، وأحمد برقم ٢٥٦/١، وصححه الألباني في صحيح الترمذي برقم: ٢٥١٠.

في المنام عمرو بن لحي يجرُّ قُصبه[1] في النار، لأنه كان أول من سيَّب السوائب)[2]، والسوائب تحريم ظهر الأنعام، فلا يُحمل عليها شيء نذراً للأصنام، ولا تُحبس عن مرعى ولا عن ماء، ومع الشرك والوثنية التي ابتدعوها صاروا ينكرون البعث، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾ الجاثية: ٢٤.

أما الفرصة في هذه الحياة الدينية لأهل مكة فتكمن في كونها مهد الديانات كلها، وما على الدعوة الجديدة إلا تذكير أهلها بأصل التوحيد الذي كان عليه آباؤهم وأجدادهم، ما دام لديهم تقدير واحترام للآباء والأجداد كما يزعمون.

وأما التحدي فيكمن فيما علق في نفوس أهل مكة من وثنيات صرفتهم عن فطرة الله التي فطر الله الناس عليها، وصارت بالنسبة لهم دينهم اللصيق.

في المحصلة؛ ما من بيئة كاملة يمكن أن تكون حاضنة للدعوة الناشئة بشكل تام، ولو كان الأمر كذلك لاحتجَّ كل داعية على الله تعالى بعد النبي ﷺ بسوء بيئته وعناد قومه.

وقد ذكر صاحب الرحيق المختوم عدة أخلاق ومزايا للمجتمع القبلي في مكة، كانت تشكل فُرَصاً مهمة للدعوة، ومن هذه الأخلاق: الكرم، والوفاء بالعهد، وعزة النفس، والمضي في العزائم، والحلم والتؤدة، والاقتراب من الفطرة[3].

وبمقارنة سريعة بين بيئة البداوة المكية وغيرها من البيئات الريفية مثلاً؛ يمكننا القول بأن صعوبة وشدة الإنسان البدوي تمنح الدعوة الوليدة فرصة للتجذُّر والصمود بشكل أكبر عند من يهتدي من أهل البادية، لأنه في الوقت الذي تجده يشتدُّ فلا يقبل الإسلام، تجده كذلك يشتدُّ فلا يتخلى عنه بسهولة إن أكرمه الله وأسلم، وهنا يقول الشاعر مصطفى صادق الرافعي:

ليس كالمسلم في الخلق أحَـد ... ليس خلقَ اليوم بل خلقُ الأبَـدْ
إنمـا الإسـلام في الصحرا امتهدْ ... لـيـجـيء كـل مـسـلـمٍ أسـدْ

---

(١) قُصبه: يعني أمعاءه، ويؤذي برائحتها أهل النار.

(٢) أخرجه البخاري/ كتاب المناقب، باب قصة خزاعة، ح ٣٣٣٣.

(٣) الرحيق المختوم: صفي الرحمن المباركفوري، ط دار النفائس، ٢٠٠٠م، ص٥٠.

ويمكن للباحث المتمعن إجراء دراسة شاملة عن حالة العالم وليس فقط عن حالة مكة قبل الاسلام، ليدرك كيف أن الله تعالى أوصل العالم كله إلى حالة عطش عالمي شديد لظهور النبي الكريم، وبذلك أكرمه الله تعالى فظهر[1].

النسب النبوي الكريم

هيأ الله تعالى نبيَّه ﷺ للرسالة باصطفائه للنبوة من أصل نسبٍ كريم طاهر، فقد قال ﷺ: (إن الله اصطفى كنانة من ولد اسماعيل، واصطفى قريشاً من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم)[2].

- فهو «محمد بن عبد الله، بن عبد المطلب، بن هاشم، بن عبد مناف، بن قصي، بن كلاب، بن مرة، بن كعب، بن لؤي، بن غالب، بن فهر، بن مالك، بن النضر، بن كنانة، بن خزيمة، بن مدركة، بن إلياس، بن مضر، بن نزار، بن معد، بن عدنان»[3]
- وقد أجمع علماء السِّيَر على أن نَسَب النبي ﷺ متفق عليه إلى عدنان، وأما ما وراء ذلك فلم يصح فيه سند ثابت، قال البغوي: (ولا يصح حفظ النَّسب فوق عدنان)[4]، يقول الإمام الذهبي: «وعدنان من ولد إسماعيل بن ابراهيم عليه السلام بإجماع الناس، ولكن اختلفوا فيما بين عدنان وإسماعيل من الآباء»[5].
- وأما أمه فهي آمنة بنت وهب، من بني زهرة، بن كلاب.
- يقول ابن القيم في نسب النبي ﷺ: «وهو خير أهل الأرض نسباً على الإطلاق، **فلنَسبه من الشرف أعلى ذروة، وأعداؤه كانوا يشهدون له بذلك**»[6].

---

(١) يمكن قراءة حالة العالم قبل الإسلام في مقدمة كتاب السيرة النبوية للشيخ أبو الحسن الندوي رحمه الله ففيها تفصيل بديع.

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الفضائل، ح٦٠٧٧.

(٣) ذكره البخاري هكذا بتمامه في ترجمة أحد أحاديث كتاب المناقب، باب مبعث النبي ﷺ، ح٣٦٣٨.

(٤) شرح السنة لأبي محمد الحسين البغوي، تحقيق علي معوض، دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٦٥م/ ١٣/ ١٩٣.

(٥) السيرة النبوية للإمام شمس الدين الذهبي، تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرون، ط مؤسسة الرسالة، ط١١، ١٩٩٨م، ص١.

(٦) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن قيم الجوزية، تحقيق مصطفى عطا، دار الكتب العلمية، ط٢، ٢٠٠٢م، ٧٢/١.

- وقد شهد أبو سفيان أمام هرقل بعلوِّ نَسَب النبي ﷺ حين سأله: «كيف نسبُهُ فيكم؟ فأجاب أبو سفيان: هو فينا ذو نَسَب، فقال هرقل: **فكذلك الرسل تُبعث في نَسَب قومها**»[1].
- هذا النسب الشريف الذي أكرم الله تعالى به سيدنا محمداً ﷺ كان دافعاً إيجابياً، في بيئة عشائرية ومجتمع قبلي يقيم شأناً للنَّسب المميز، وقد حمى الله تعالى نبيَّه ﷺ من اختلاطٍ في نسبه في مجتمع كانت تسوده بعض صور الفجور والرذيلة[2].
- وهذه المقدمات كلها لم يكن للنبي صلى الله تعالى فيها أيُّ يدٍ، فهو لم يخلُقْ نفسه، ولم يختر نَسَبه وإنما هي من متممات الاصطفاء الرباني ل(سيد ولد آدم ولا فخر)[3].
- ويعجبني هنا ما قاله الشيخ محمد الغزالي في فكرة عراقة النَّسب: «**وعراقة الأصل لا تمنح الرجل الفاشل فضلاً، كالصلب إذا تُرك للصدأ، يمسي لا غناء فيه، أما إذا تعهدته اليد الصّناع فإنها تبدع منه الكثير**»[4].
- ولما سئل النبي ﷺ أي الناس أكرم؟ قال: «...فعن معادن العرب تسألوني؟ قالوا: نعم، قال: فخيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا»[5].
- يقول الدكتور مصطفى السباعي: «كلما كان الداعية إلى الله أو المصلح الاجتماعي في شرفٍ من قومه، كان ذلك أدعى إلى استماع الناس له، فإن من عادتهم أن يزدروا بالمصلحين والدعاة إذا كانوا من بيئة مغمورة»[6].
- ومن بديع ما يقال في نسب النبي ﷺ، أنه لم يكن أحد من قبائل قريش إلا وللنبي

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب بدء الوحي، ح ٧.

(٢) يقول الشيخ أبو الحسن الندوي: «ولم يكن الزنى نادراً، وكان غير مستنكر استنكاراً شديداً، فكان من العادات أن يتخذ الرجل خليلات، وتتخذ النساء أخلاء بدون عقد، وقد كانوا يُكرِهون بعض النساء على الزنى» السيرة النبوية للندوي ص٤١.

(٣) من حديث قال فيه رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ الْقَبْرُ وَأَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ» أخرجه مسلم: كتاب الفضائل: ح٤٢٢٣.

(٤) فقه السيرة للشيخ محمد الغزالي: ط دار القلم، دمشق/ ط١ ٢٠٠٦م/ ص٥٩.

(٥) أخرجه البخاري، كتاب المناقب، باب نزل القرآن بلغة قريش، ح٣٣٠٤.

(٦) السيرة النبوية دروس وعبر للدكتور مصطفى السباعي، دار ابن حزم، ٢٠١٠م، ص٣٥.

ﷺ صلة قرابة بها، فعن طاووس رحمه الله قال: سأل رجل ابن عباس رضي الله عنه عن قوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ الشورى: ٢٣، فقال سعيد بن جبير: قرابة محمد ﷺ، قال ابن عباس: عجلتَ (يعني استعجلت الإجابة يا سعيد)، إن رسول الله ﷺ لم يكن بطنٌ من قريش إلا لرسول الله ﷺ فيهم قرابة، فنزلت الآية، والمعنى: إلا أن تصلوا قرابة ما بيني وبينكم»[1].

وهذا بحد ذاته يشكل أكبر فرصة لدعوة النبي ﷺ في مراحلها كلها.

(١) أخرجه أحمد في مسنده برقم: ٢٢٩/١، وهو في صحيح أسباب النزول للشيخ ابراهيم العلي، برقم ١٢٤.

لم يكن ميلاد النبي ﷺ كأيِّ ميلاد، بل كان ميلاد أمة ناهضة، حملت على عاتقها إيقاظ البشرية من غفلتها، فكان بحقٍّ يوم ميلاده يوماً من أيام الله تعالى[1].

وجدير بأمة ولد لها مثل الحبيب محمد ﷺ أن تحتفي بميلاده، احتفالاً يشعل الهمة فيها نحو البناء والعطاء، ويدفعها لاستذكار واجبها نحوه، والذبِّ عنه ونصرة شريعته، وذلك في كل يوم من أيام العام، لا بطريق احتفالات هامدة بلا روح، يجري فيها من البدع، أو من المداهنة والنفاق بما يبتعد بها عن هدي صاحب الذكرى ﷺ، وعن تضحياته وغزواته وشمائله وصفاته، **فيما يسمونه تجاوزاً: عيد ميلاد النبي ﷺ، في حين أنه ليس للنبي ﷺ ولا لأمته إلا عيدان هما: الفطر والأضحى.**

ولقد مرَّ هذا الميلاد الأغر وما تلاه من الطفولة والنشأة الأولى بأحداث، ومراحل متعددة، نجملها فيما يأتي:

- توفي والد النبي ﷺ بعد أن حملت زوجته آمنة بنت وهب بالنبي الكريم ﷺ بشهرين، وقد كانت وفاة عبد الله بن عبد المطلب عند أخواله (بنو عدي بن النجار) وهو في رحلة تجارية إلى الشام، يقول الزهري: «بعث عبد المطلب عبد الله يمتار (يبيع ويشتري) له تمراً من يثرب، فتوفى عبد الله بها، وولدت آمنة رسول الله ﷺ، فكان في حِجر عبد المطلب»[2].
- وفي كتاب الله تعالى ما يثبت يُتم النبي ﷺ، قال تعالى ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ﴾ الضحى: ٦.
- ولد النبي ﷺ يوم الاثنين، في العام الذي حاول فيه أبرهة الأشرم هدم الكعبة، فردَّ الله كيده هو وجيشه وفيله العظيم، وسُمي ذلك العام؛ بعام

(١) قال تعالى: «وذكرهم بأيام الله»: سورة ابراهيم: ٥.

(٢) مصنف عبد الرزاق: ٣١٧/٥، بإسناد صحيح الى الزهري، والخبر مرسل، كما ذكر الدكتور أكرم العمري في السيرة الصحيحة.

الفيل[1]، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ۝١ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ ۝٢ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝٤ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾الفيل: ١ - ٥، وعلى الرغم من عدم رؤية النبي ﷺ البصرية للحادثة باعتباره لم يكن مولوداً آنذاك بعد، إلا أن تصديقه المطلق لكتاب ربه وما فيه من قصص يحكي أنه رأى ذلك، وإن لم يره.

- قال النبي ﷺ عن يوم الاثنين: (ذاك يومٌ ولدتُ فيه، ويومٌ بعثتُ أو أنزل عليَّ فيه)[2].
- «رأت أمُّ النبي ﷺ حين وضعته أن نوراً خرج منها، **أضاءت منه قصور بُصرى من أرض الشام**»[3].
- كانت ثويبة مولاة عمه أبو لهب ممن أرضعه[4].
- رضع النبي ﷺ في بني سعد من حليمة السعدية[5].
- **وقعت حادثة شقِّ الصدر** للنبي ﷺ عندما كان طفلاً في الرابعة من عمره، فعن أنس رضي الله عنه: «أن رسول الله ﷺ أتاه جبريل عليه السلام وهو يلعب مع الغلمان، فأخذه فصرعه، فشقَّ عن قلبه، فاستخرج منه علَقة، فقال: هذا حظّ

---

(١) السيرة النبوية-اسحاق: ١٩٩/١: وهذا أصح ما جاء في تاريخ ميلاد النبي الكريم ﷺ، أما تحديد يوم ميلاده فمختلف فيه على عدة أقوال وذلك لأنهم ما كانوا يُسجلون مواليدهم حينئذ، وان كان يرجح بحسب التاريخ المشهور تارخيا انه ١٢ ربيع الأول،وفي ذلك رواية عن جابر وابن عباس انهما قالا: ولد رسول الله عام الفيل يوم الاثنين الثاني عشرمن شهر ربيع الأولوفيه بعث ومنه عرج به الى السماءوفيه هاجر وفيه مات، وهذا المشهورعند العلماء

(٢) أخرجه مسلم: كتاب الصيام: باب استحباب صيام ثلاثة أيام من كل شهر: ح١١٦٢.

(٣) أخرجه ابن اسحاق بسند قال فيه الدكتور أكرم العمري بأنه حسن، وقال ابن كثير عنه: هذا اسناد جيد وقوي، أنظر السيرة النبوية الصحيحة للعمري: ٢٢٩/١.، قال ابن كثير: وتخصيص الشام بظهور نوره، فيه البشارة بأن الشام سيكون معقلاً للإسلام وأهله»، ذكر ذلك في التفسير ١/ ١٨٤.

(٤) أخرجه البخاري، كتاب النكاح، ح ٤٨١٣، ولم يثبت أن أبا لهب يُخفف عنه العذاب لأجل ذلك، وكل ما في المسألة وجود رؤية رآها بعض أهله أنه خفف عنه العذاب لذلك.

(٥) مسند أحمد: ١٨٤/٤، وصححه الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة: ٥٩/٤، وحكاية حليمة السعدية وإرضاعها للنبي ﷺ وما حلَّ ببيتها من البركة لوجود النبي ﷺ عندها؛ كل ذلك يرويه ابن حبان في موارد الظمآن: ٥١٢، ٥١٣، وقال فيه الشيخ ابراهيم العلي: حسن لشواهده، وانظر: صحيح السيرة النبوية للشيخ ابراهيم العلي رحمه الله: ص٥١ - ٥٢/ ط دار النفائس/ ٢٠١٥م.

الشيطان منك، ثم غسله في طَست من ذهب بماء زمزم، ثم لأمَهُ (أي: جمعه)، ثم أعاده في مكانه، وجاء الغلمان (إخوانه من الرضاعة) يسعون إلى أمه (مرضعته حليمة) فقالوا: إن محمداً قد قُتل، فاستقبلوه وهو منتقع اللون.

قال أنس: «**وقد كنت أرى أثر المخيط في صدره**»(١).

- أعادت حليمة السعدية النبي ﷺ إلى أمه وهو ابن أربع سنوات، وبقي معها حتى توفيت وهو ابن ست سنين، حيث توفيت بمنطقة الأبواء بين مكة والمدينة، وكانت قدمتْ به على أخواله من بني عدي بن النجار، **فماتت وهي راجعة إلى مكة**(٢).
- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «زار النبي ﷺ قبر أمه، فبكى وأبكى من حوله، ثم قال: استأذنتُ ربي في زيارة قبر أمي فأذن لي، **واستأذنته في الاستغفار لها فلم يأذن لي**، فزوروا القبور تذكركم الموت»(٣).
- قام على كفالته ورعايته بعد وفاة أمه؛ جده عبد المطلب، الذي توفي وعُمر النبي ﷺ ثماني سنوات، وقد أوصى به لعمه أبي طالب، الذي كان يحبه ويعطف عليه، ولكن يبدو أنه لم يكن ميسور الحال، فاشتغل النبي ﷺ برعاية الأغنام حيث يروي «أنه كان يرعاها لأهل مكة مقابل قراريط»(٤).
- سافر النبي ﷺ إلى بصرى الشام، مع عمه أبي طالب، وفي هذه الرحلة العابرة السريعة حذَّر الراهب بحيرى عمه من يهود والروم، أن يتسببوا بالأذى للنبي ﷺ لأنه وجَدَ عليه شيئاً من علامات النبوة(٥).

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب الاسراء برسول الله ﷺ، ح٢٤٠.

(٢) السيرة النبوية لعبد الملك بن هشام، ط مؤسسة علوم القرآن، ج١/ص١١٥، وذكر ذلك الدكتور أكرم العمري في السيرة النبوية الصحيحة.

(٣) أخرجه مسلم، كتاب الجنائز، باب استئذان النبي ﷺ الدعاء لأمه، ح٩٧٦.

(٤) أخرجه البخاري، كتاب الإجارة، باب رعي الغنم على قراريط، ح ٢١٤٣، والقراريط هي الأجرة الزهيدة.

(٥) أخرجه الترمذي: ٥/٥٩٠، وقد شكك الإمام الذهبي في رواية الترمذي، انظر السيرة النبوية للذهبي ص ٢٨، ولقد التقط بعض المستشرقين الخبثاء هذه الرواية، وبالغوا فيها وفي تفاصيلها ليثبتوا أن النبي ﷺ قد تلقى القرآن والدين عن هذا الراهب!!. بل قالوا كذلك انه تلقاه عن غلام نصراني فأنزل الله تعالى: ﴿لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ﴾ النحل: ١٠٣.

أنوار وفوائد في العلاقات والحياة الاجتماعية:

١- ظهرت قيمة التماسك الاجتماعي في المجتمع القبلي منذ تعرُّض النبي ﷺ لليُتم، ثم تأكد ذلك بدخول النبي ﷺ حالة اليُتم المركَّب، وما كان من كفالة ورعاية له في مهده وطفولته، **وهذا تأكيد لحراسة الله تعالى لنبيه ﷺ منذ نعومة أظفاره.**

٢- لم يكن التماسك الاجتماعي والعاطفة الجياشة من آمنة تجاه ولدها اليتيم ليمنع من السير وفق أعراف العشيرة وتقاليدها، بإرسال الغلام إلى البادية، لأن مصلحة وجوده وتربيته هناك في المهد، تغلب على مصلحة بقائه في حِجر أمه.

٣- في مسألة زيارة النبي ﷺ قبر أمه ما يؤكد أهمية الترابط الاجتماعي والوفاء، لاسيما بيننا وبين أصحاب الفضل علينا، لكن مسألة العقيدة تقف حائلاً دون الاستغفار لمن مات على غير الإسلام، وحكاية مصير أم النبي ﷺ وأبيه يطول فيها الشرح، والذي نرجوه أن يجعل الله لهما شأناً حسناً كرامة لنبينا ﷺ، والأمر لله مِن قبل ومِن بعد.

٤- في مسألة اليتم المبكر[1] عبرة فيما يتعلق باعتماد النبي ﷺ على نفسه لينشأ أصلب عوداً وأقوى شكيمة، يقول أحمد شوقي في فضل اليُتم النبوي:

نِعمَ اليتيم بدتْ مخايلُ فضله ... واليتم رزقٌ بعضه وذكاءُ

أنوار وفوائد في إدارة المواقف والسياسة الشرعية:

١- في ترتيب شؤون رضاعة وكفالة النبي ﷺ بعد وفاة والديه، ما يدل على وجود لمسات إدارية، تدل على أن لدى القرشيين من السياسة والحكمة وحُسن تنظيم شؤونهم الشيء الكثير.

٢- لمس النبي ﷺ حاجة عمه أبي طالب فلم يكن ليقبل أن يظل في المعاش عالة

(١) لمزيد من البيان في شرف اليتم النبوي يمكن الرجوع إلى كتاب أيتام عبر التاريخ للمؤلف بمعية الأستاذ أحمد السلاق.

عليه، فكان من حُسن إدارته للموقف أن يختار رعاية الأغنام، ثم التجارة بعد ذلك، ليكفي نفسه ويعين عمه، **وهنا يتحول اليُتم من نقطة ضعف إلى نقطة قوة.**

أنوار وفوائد في الجانب الاقتصادي والمعاشي:

١- في رحلة النبي ﷺ مع عمه إلى الشام، وهو لا يزال فتىً صغيراً، ما يؤكد أهمية التدريب على خوض غمار التجارة لمن يعيش في مجتمع يعتمد عليها بشكل رئيس، **والتجارة عالم فيه من حسن التدبير والتقدير والمغامرة والموازنة والاستيعاب وحسن استثمار الفرص وتجاوز التحديات والاقتصاد ما فيه.**

٢- في نشاط النبي ﷺ الرعوي منذ الصغر بقصد التخفيف عن عمه وكافله، ما يؤكد أهمية المساهمة ولو بالقليل في الاعتماد على الإنفاق الذاتي، **وكلما تحرر المرء من الآخرين اقتصادياً ومعاشياً، ساهم ذلك في تحرره الفكري والوجداني.**

٣- في البركة التي رآها كل من صحِب النبي ﷺ منذ الصغر، ما يثبت أنه يجري على المال معادلات لا تُرى بالعين المجردة، لكن لها الأثر الأكبر في زيادته ونمائه، **إنها البركة تلك النفحة التي تحلُّ في المال والوقت والصحة والولد، ما دام المرء حريصاً على الحلال، وابتعد عن الغش والاحتكار والتحايل.**

أنوار وفوائد في الجانب التربوي القيمي وتهذيب السلوك:

١- كانت الغاية الكبرى من تنشئة الأطفال في البادية منذ نعومة أظفارهم، أن تحصل لهم **المناعة من أعراض الميوعة والرخاوة**، بحيث ينشأ ناشئ الفتيان صلباً في جسده، منضبطاً في لغته ومخارج حروفه، محملاً بسلوكيات تفرضها بيئة الكرم والشجاعة والصبر والوفاء هناك، هذا كله فضلاً على صحة البدن، والمناعة الجسدية.

٢- **كانت القيمة العليا التي تركتها مراحل اليُتم المركب التي مرَّ بها النبي ﷺ هي قيمة الشعور بالمسؤولية**، فضلا عن قيمة المحبة لمن يراهم يحنون عليه ويكرمونه وهو فتى يتيماً بعيداً عن أجواء الكراهية والحسد، ولاشك أنه في قابل أيامه أدرك عناية

الله به، حيث كان يجمع له قلوب الخلق على غير مصلحة يبغونها منه.

يقول الشيخ محمد الصادق عرجون: «لك الله يا سيدي يا رسول الله، خرجت في رفقة أمك الحبيبة شوقاً إلى زيارة بلد ضمَّ جسد أبيك، الذي لم يشهد إشراق طلعتك، ولم تشهد شخصه في حياته، وكان قدَرُ الله تعالى الحكيم رصداً لوالدتك في طريق عودتها بك إلى بلدك الحرام، وجدّك الشيخ العظيم، **فجمع لك ربك يُتم الأبوين، ليستخلصك بالتربية، ويصطنعك بالتأديب، حتى تكون نشأتك ربانية وتأديبك إلهياً**»[1].

(١) محمد رسول الله ﷺ، منهج ورسالة، للشيخ محمد الصادق عرجون، ط/ دار القلم، دمشق، ط٢٠٠٩م، ج١/ ص١٥٩.

للشباب في كل عصر ومِصر دورهم البالغ في البناء، من خلال قدرتهم على العطاء بصوره ومجالاته، سواء أكان ذلك العطاء فكرياً أم روحياً أم بدنياً، **والأمم الحيَّة الناهضة هي التي تكتشف طاقة شبابها وتنميتها وتستثمرها، وإلا فإن نقطة القوة هذه، ستتحول إلى نقطة ضعف**، تُرهق المجتمع وتتسبب في هلاكه، ولقد عصم الله تعالى نبيَّه في مرحلة الفتوة والشباب من نزوات شباب قومه، وجعله مترفعاً عن سفاسفهم، بعيداً عن بعض اهتماماتهم.

عاش النبي ﷺ حياة الشباب كادحاً في جهده وعمله، قريباً من أهله وعشيرته، فقد كانت له مشاركات مجتمعية تؤكد تهيئة الله تعالى له لحمل رسالة الدعوة والتبليغ، **ومن هذه المشاركات الفاعلة:**

حرب الفجار، وحلف الفضول

١- يروي كُتاب السيرة الأوائل من أمثال الواقدي وابن إسحاق أن النبي ﷺ شهد حرب الفِجَار بين قريش وكنانة من ناحية، وقيس وعيلان من ناحية أخرى، لكن روايتهم لمشاركته ﷺ في هذه الحرب، ودعمه وإسناده لأعمامه فيها، لم تثبت، لأن رواتها أتوا بها بلا إسناد، ولما هو معلوم أن الحرب إذ ذاك كانت في إطار الأعراف الجاهلية[١].

٢- ويقال بأنها سميت بحرب الفِجار، بسبب ما استُحل فيها من حرمات مكة التي كانت مقدسة عند العرب[٢].

٣- شهد النبي ﷺ، وهو في العشرين من عمره حلفاً اسمه حلف الفضول، أو حلف المطيبين، وهو حلف تعاقد فيه أهل مكة على نصرة المظلوم، وإغاثة الملهوف منهم أو ممن دخل عليهم، فقد قال ﷺ وهو يستذكر بعض أيام شبابه قبل البعثة:

(١) هذا ما أكده الدكتور أكرم ضياء العمري في كتابه السيرة النبوية الصحيحة، ص١٣٤.

(٢) السيرة النبوية للدكتور علي الصلابي، دار الكتاب الثقافي، الأردن، ط ١، ٢٠١٤م، ص٦٦.

«شهدتُ حِلفَ المطيبين مع عمومتي، وأنا غلام، فما أحبُّ أن لي حُمُرَ النَّعم وأني أنكثه»[1].

يقول الزبير بن عبد المطلب مبيناً شرف هذا الحلف:

إن الفضول تعاقدوا وتحالفوا ألا يقيم ببطن مكة ظالمُ

أمرٌ عليه تعاقدوا وتواثقوا فالجار والمعترُّ فيهم سالمُ

٤- أما الروايات التي تقول بأن النبي ﷺ عُصم ومُنع من حضور عُرسين في فترة صباه، فيؤكد الدكتور أكرم ضياء العمري ضعفها[2].

الزواج بأم المؤمنين خديجة رضي الله عنها[3]

١- ومن الأحداث المهمة في سنوات شباب النبي ﷺ زواجُه بأم المؤمنين خديجة بنت خويلد رضي الله عنها، التي عمل في تجارتها مع غلامها ميسرة، وقد ذهب بتجارتها إلى الشام، وقيل إلى اليمن مرتين، فربح، ووجدت أمانته وبركته في كلتا الرحلتين، ويروي الواقدي أن النبي ﷺ تزوج بخديجة وهي تبلغ أربعين عاماً، وقد أنجبت له ذكرين هما: القاسم وعبد الله، وأربع بنات هُنَّ: زينب وأم كلثوم ثم فاطمة ورقية[4]، وخديجة رضي الله عنها هي «من خير نساء أهل الجنة»[5]، وكان النبي ﷺ يقول: «إني قد رزقت حبها»[6].

---

(١) أخرجه الإمام أحمد: ١٩٠/١، والبخاري في الأدب المفرد ح٥٦٧، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة: ٥٢٤/٤.

(٢) وانظر تحقيق المسألة في السيرة النبوية الصحيحة للدكتور أكرم العمري، ص١٣٠.

(٣) هناك خلاف حول الرجل الذي كان وليَّ خديجة عند زواج النبي ﷺ بها، فمنهم من قال: كان وليها أبوها، وقيل: بل أخوها، وقيل: بل عمها، ولا مشكلة طالما أنها تزوجت بصورة شرعية وحسب الأعراف المتبعة آنذاك.

(٤) المعجم الكبير للطبراني: ٣٩٧/٢٢.

(٥) أخرجه البخاري في مناقب الأنصار، باب تزويج النبي خديجة: ح٣٨١٥.

(٦) أخرجه مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل خديجة رضي الله عنها، ح٢٤٣٥.

المشاركة في تجديد بناء الكعبة

١- شارك النبي ﷺ في تجديد بناء الكعبة، وقد اشترك مع عمه العباس في رفع حجارة الكعبة، واقترح عليه عمُّه أن يرفع إزاره ويجعله على رقبته ليقيَهُ أثر الحجارة ما دام بعيداً عن الناس، فلما فعل ذلك سقط على الأرض مغشياً عليه، فلما أفاق طلب أن يشدُّوا عليه إزاره»[١].

٢- اختلفت قريش أثناء تجديد بناء الكعبة، واتفقوا على تحكيم أول داخل من باب بني شيبة، فدخل رسول الله ﷺ، فأمر بثوبٍ فأخذ الحجَرَ ووضعه في وسطه، ثم أمرهم برفعه جميعاً، ثم أخذه فوضعه مكانه»[٢].

٣- وفي رواية عبد الله بن السائب المخزومي، وهو شاهد عيان اشترك في بناء الكعبة يومئذ، بأن قريشاً قالت لما دخل النبي ﷺ من باب بني شيبة: **أتاكم الأمين**[٣].

٤- لم يتمكن مشركو قريش من إتمام بناء الكعبة، **وبقي حِجر إسماعيل، وكأنه خارج عنها وهو جزء منها، وذلك لعدم وجود الوفرة في المال الحلال الذي يُتمون به بناء الكعبة كما قيل يومذاك، ومن هنا يقول النبي ﷺ لعائشة رضي الله عنها بعد مدة من الزمن: « يا عائشة لولا أن قومك حديثو عهد بجاهلية، لأمرت بالبيت فهُدِّم، فأدخلت فيه ما أُخرج منه، وألزقته بالأرض، وجعلت له باباً شرقياً وباباً غربياً، فبلغتُ به أساس إبراهيم»**[٤].

التحنث والخلوة ومخالفة عبادة قومه

١- ومما حصل للنبي ﷺ في فترة شبابه تلك العلاقة بينه وبين الكون الذي يعيش فيه، فقد كان يعتكف في الغار ليتدبر السماء وما فيها من قمر ونجوم، ويروي عن نفسه فيقول: «إني لأعرف حجراً بمكة كان يسلم عليَّ قبل أن أُبعث، إني لأعرفه

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الحج، ح١٥٨٢.

(٢) أخرجه أحمد: ٣/ ٤٢٥، والحاكم في المستدرك: ٣/ ٤٥٨، وصححه وأقره الذهبي.

(٣) أخرجه أحمد: ٣/ ٤٢٥، ومعظم رجاله ثقات، سوى واحد قالوا فيه بأنه ثقة وفيه كلام.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الحج/ ح ١٥٨٦.

الآن»[1].

٢- وكان النبي ﷺ يطوف بالبيت لكنه كان يخالف قريشاً في أمور منها:

أ- أنه كان يقف بعرفة، فلما رآه جبير بن مطعم واقفاً بعرفة قال: هذا والله من الحمس، فما شأنه ها هنا؟[2]

ب- كان النبي ﷺ لا يمسُّ الأصنام عند الطواف، بل إنه نهى زيد بن حارثة (مولاه) عن مساس الأصنام عند الطواف بالكعبة أيام الجاهلية، وقد حلف زيد بن حارثة أن رسول الله ﷺ ما مسَّ صنماً حتى أكرمه الله بالوحي[3].

الأنوار والفوائد

أنوار وفوائد في العلاقات والحياة الاجتماعية:

١- كان مما أعد الله تعالى به نبيه ﷺ لحمل الرسالة أن جعله قريباً من قومه، مشاركاً لهم في كل أمر إيجابي، في الوقت الذي جعله يتنزه عن سفاسفهم الكثيرة، **وهي حالة تسمى بالعزلة الشعورية، التي تجعلك حاضراً مع الناس بجسدك وذاتك الإيجابية لكن روحك معلقة مع الله.**

٢- اختارت خديجة رضي الله عنها النبي ﷺ زوجاً لها لنُبله وبركته وأمانته، خلافاً لما رأت من شباب زمانه، لاسيما وقد كان لها تجربة مع رجلين كانت قد تزوجت بهما قبله[4]، فقبلها ﷺ لما لديها من وعي وعقل، وهذا الفارق العمري بينهما يثبت أن العلاقة بينهما لم تقم على أساس شهواني بقدر ما تم بناؤها وفق أسس قيمية نبيلة وعالية، لاسيما وهي تبلغ من العمر أربعين عاماً، وكانت من دلائل رجاحة عقلها؛ نجاحها في إدارة شؤون مالها وتجارتها، وهكذا فليكن الاختيار وإلا فلا.

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب الفضائل، باب فضل نسب النبي ﷺ وتسليم الحجر عليه قبل النبوة ح٢٢٧٧.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الحج، باب الوقوف بعرفة، ح١٥٨١، وقال سفيان: الحمس: يعني قريشاً وكانت لا تجاوز الحرم ويقولون نحن أهل الله لا نخرج من الحرم، وكان سائر الناس يقفون بعرفة.

(٣) أخرجه الطبراني: المعجم الكبير: ٥/ ٨٨، والبيهقي: دلائل النبوة ٢/ ٣٤ وإسناده حسن.

(٤) منهم رجل كان يسمى بأبي هالة، وهالة هو ابن خديجة رضي الله عنها الذي رباه النبي ﷺ في حجره.

٣- يقول الشيخ محمد الغزالي: «وخديجة مَثَلٌ طيب للمرأة التي تكمل حياة الرجل العظيم، **إن أصحاب الرسالات يحملون قلوباً شديدة الحساسية، ويلقون غُبناً بالغاً من الواقع الذي يريدون تغييره، ويقاسون جهاداً كبيراً في سبيل الخير الذي يريدون فرضه، وهم أحوج ما يكونون إلى من يتعهد حياتهم الخاصة بالإيناس، والترفيه**، وكانت خديجة سبَّاقة إلى هذه الخصال، وكان لها في حياة محمد ﷺ أثر كريم»[1].

٤- المجاملات الاجتماعية مطلوبة، ولكن ليس على حساب القيم والثوابت، فالنبي ﷺ كان ممنوعاً معصوماً من ربه عن الخوض في المجاملات والأعراس التي يختلط حلالها بحرامها.

أنوار وفوائد في إدارة المواقف والسياسة الشرعية:

١- يحكي لنا مشهد إدارة النبي ﷺ لأزمة وضع الحجر الأسود في مكانه، ما كان يتحلى به عليه الصلاة والسلام من قُدرة على إدارة المواقف الحساسة والصعبة، وعلى الوصول إلى الحلول الوسط، على الرغم من بساطة الحل الذي أقترحه عليهم[2]، علماً بأن هناك روايات تقول أنهم اختصموا في ذلك أربعة أيام كادوا يقتتلون على إثرها، حتى أتاهم النبي ﷺ بالحل.

٢- يؤكد ثناء النبي ﷺ على حلف الفضول، - على الرغم من أن الذين اجتمعوا لأجله رجال ليس لهم علاقة بالدين والتوحيد -، **على أنه من السياسة الشرعية أن يعمل الدعاة على تشجيع كل مبادرة أو حِلف أو برنامج يستهدف الانتصار للمظلوم أو إغاثة الملهوف**، بصرف النظر عمن وراءه، إلا إذا قصدوا بذلك تضليل الناس وخداعهم.

٣- **من حُسن إدارة الموقف بل ومن السياسة الشرعية ترك فعل بعض الأمور المستحسنة درءاً للفتنة ودفعاً للمفسدة** التي قد تترتب عليها، ولأجل ذلك لم يقم النبي ﷺ بما

---

(١) فقه السيرة للشيخ محمد الغزالي: ص٧٥.

(٢) هذا الحل لم يكن ليصدر إلا عن خبرة مسبقة اكتسبها النبي ﷺ من مجالسته للكبار وخوضه للغمار بعد توفيق الله.

أحب القيام به بشأن إعادة بناء الكعبة لاحقاً، خشية عدم استيعاب قريش للفكرة، **وفقه الموازنات** يخبرنا أنه إما أن نوازن بين المصالح، أو أن نوازن بين المفاسد، أو أن نوازن بين المصالح والمفاسد، والأخيرة تناسب ذاك الموقف.

أنوار وفوائد في الجانب الاقتصادي والمعاشي:

١- تعد الأمانة في البيع والشراء، ومطلق الأمانة في التعامل والسلوك، باب رزق واسع يمنح صاحبه شرفاً بين الناس، فضلاً عما للتاجر الصدوق من كرامة عند رب الناس، وهذا بالتالي ما يجعله مقبولاً مرغوباً به في الشراكة التجارية أولاً، ثم في الشراكة الحياتية بشكل عام، **إذ لولا أمانته ﷺ ما قبلته خديجة رضي الله عنها ليتاجر لها، ولا قبلته ليكون زوجاً لها، ولا قبله قومه للتحكيم بينهم.**

أنوار وفوائد في الجانب التربوي القيمي وتهذيب السلوك:

١- السلوك الرفيع يفتح آفاق العلاقات الكريمة بين الناس، لاسيما إن صدر هذا السلوك عن شاب يافع، كان ذلك أدعى لاحترام الناس وتقديرهم له، **فإذا قبلوه اليوم في حَلِّ نزاعاتهم الصغيرة، فإن هذا جدير أن يؤهله ليحلَّ أزماتهم النفسية الناتجة عن تنكبهم الصراط القويم.**

٢- كلما تنزه الإنسان عن الذنوب أو سفاسف الأمور التي يعتادها الناس، كان ذلك أدعى لتقدير الناس له، وهذه كلها من باب تهيئة الله تعالى لنبيه الكريم ﷺ ليكون النبي الخاتم، وليكون المصلح لحياة عمها الفساد في كل جانب.

٣- يقول الدكتور البوطي: «إن للنفس آفات لا يقطع شرتها إلا دواء العزلة عن الناس، ومحاسبتها في نجوة من ضجيج الدنيا ومظاهرها؛ فالكِبر والعُجب والحسد، والرياء وحب الدنيا، كل ذلك آفات من شأنها أن تتحكم في النفس، وتتغلغل إلى أعماق القلب»[1].

---

(١) فقه السيرة للدكتور محمد البوطي/ط دار الفكر، دمشق/ ١٩٩١م/ ص٦٠.

مثلما كان رب العزة يُعِدُّ نبيَّه الكريم ليكون النبي الخاتم عليه الصلاة والسلام، كان أيضاً يُعدُّ الجغرافيا والتاريخ لاستقباله وحمله واحتضانه، ولقد تعددت إرهاصات ما قبل النبوة التي تحكي أو تُلْمحُ باقتراب ظهور نبي جديد، يختم به الله تعالى تاريخ النبوات المرسَلة إلى العالمين، ومن هذه الإرهاصات أو الدلائل والعلامات:

بشارات الأنبياء الكرام بسيدنا محمد ﷺ

١- بشَّر بعض أنبياء الله تعالى بخاتم النبيين سيدنا محمد ﷺ، قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ الصف: ٦ .

٢- وقبل هذه البشارة الطيبة كانت دعوة إبراهيم عليه السلام التي سطرها القرآن الكريم حيث قال على لسانه: ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ﴾ البقرة: ١٢٩، وقد تحققت في سيدنا محمد ﷺ.

ما جاء في كُتب السابقين

١- يقول الدكتور أكرم ضياء العمري:

«وقد وقع التحريف في نُسَخ التوراة والإنجيل، وحذف منهما التصريح باسم محمد ﷺ، إلا توراة السامرة وإنجيل برنابا الذي كان موجوداً قبل الإسلام، وحرَّمتْ الكنيسة تداوله في آخر القرن الخامس الميلادي، وقد أيدته المخطوطات التي عُثر عليها **في منطقة البحر الميت حديثاً**، فقد جاء في إنجيل برنابا العبارات المصرحة باسم النبي محمد ﷺ، مثل ما جاء في الإصحاح الحادي والأربعين منه، ونص العبارة (٢٩): «فاحتجب الله وطردهما الملاك ميخائيل من الفردوس (٣٠) **فلما التفت آدم رأى مكتوباً فوق الباب: «لا إله إلا الله محمد رسول الله»**، وفي موضع آخر منه:

(١٦٣: ٧) أجاب التلاميذ: يا معلم مَنْ عسى أن يكون ذلك الرجل الذي تتكلم عنه الذي سيأتي إلى العالَم؟ أجاب يسوع بابتهاج قلب: إنه محمد رسول الله».

وأما إنجيل لوقا ففيه: (٢: ١٤) «الحمد لله في الأعالي، وعلى الأرض إسلام، وللناس أحمد».

وفي إنجيل يوحنا في الإصحاح السادس عشر: إن لم أنطلق لا يأتيكم الفارقليط»[١].

٢- وصدق الله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴾الأعراف: ١٥٧.

٣- ولقد شهد شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله بأنه رأى اسم النبي ﷺ صريحاً في كتب السابقين، فتراه يقول: «قد رأيتُ أنا من نُسَخ الزبور ما فيه تصريح بنبوة محمد ﷺ باسمه، ورأيت نسخة أخرى بالزبور فلم أرَ ذلك فيها، وحينئذ فلا يمنع أن يكون في بعض النُّسَخ من صفات النبي ﷺ ما ليس في الأخرى»[٢].

٤- ومن إرهاصات النبوة ما أسلفنا ذِكره من أنه ﷺ **كان يسمع صوت حجر يُسلم عليه قبل أن يُبعث، ومنها الرؤيا الصادقة فكان لا يرى رؤيا إلا وتقع كأنها فلق الصبح(٣)، ومنها اعتزاله آلهة قومه وتحنثه على التوحيد في غار حراء**[٤].

٥- ومن الإرهاصات كذلك بعض كلمات أطلقها أصحاب الديانات السابقة تدل على اقتراب ظهور النبي الخاتم، ومن ذلك ما قاله راهب عمورية لسلمان الفارسي رضي الله عنه وهو يبحث عن الحقيقة، حيث أوصاه قائلاً: «**أي بني، والله ما أعلمه بقي أحد على مثل ما كنا عليه آمرك أن تأتيه، ولكنه قد أظلك زمان نبي يُبعث**

---

(١) والفارقليط هو الحامد أو الحماد أو أحمد، وانظر في السيرة النبوية الصحيحة للدكتور أكرم ضياء العمري: ص١٤٠.

(٢) الجواب الصحيح لمن بدَّل دين المسيح لشيخ الاسلام ابن تيمية، تحقيق علي ناصر وآخرون، دار العاصمة، ط٢، ١٩٩٩م، ٢/ ٢٧.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب بدء الوحي، باب أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي، الرؤيا الصالحة، ح٨.

(٤) السابق.

من الحرم، مُهَاجَره بين حرَّتين[1] إلى أرض سبخة ذات نخيل، وإنَّ فيه علامات لا تخفى: بين كتفيه خاتم النبوة، يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة، فإن استطعت أن تخلُص إلى تلك البلاد فافعل، فإنه قد أظلك زمانه»[2].

٦- وقد كان يهود المدينة يقولون للأوس والخزرج قبيل بعثة النبي ﷺ: «أن نبياً من الأنبياء مبعوث في هذا الزمان، **سيخرج فنتْبعه [3] ونقتلكم معه قتل عاد وإرم»[4].**

٧- ومن الارهاصات ظهور بعض الأصوات القريبة من التوحيد تجعل من إعادة طرح موضوع التوحيد في المجتمع الوثني أمراً مستساغاً، ومن ذلك صوت زيد بن عمرو بن نفيل، تقول أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما: «رأيت زيد بن عمرو بن نفيل قائماً مسنِداً ظهره إلى الكعبة يقول: يا معشر قريش، والله ما منكم على دين إبراهيم غيري، وكان يحيي الموءودة، يقول للرجل إذا أراد أن يقتل ابنته: أنا أكفيك مؤنتها، فيأخذها، فإذا ترعرعت قال لأبيها: إن شئتَ دفعتها إليك، وإن شئتَ كفيتُك مؤنتها»[5].

أما أول لقاء لنبينا محمد ﷺ بالوحي

١- فقد جاء الوحي جبريل عليه السلام إلى النبي ﷺ وقد مضى من عمره أربعون عاماً[6]، وكان ذلك في الغار يوم الاثنين[7].

٢- قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ﴾ النساء: ١٦٣.

---

(١) الحرة أرض ذات حجارة سوداء كأنها محروقة بالنار.

(٢) أخرجه أحمد في المسند: ٤٤١/٥ وابن هشام في السيرة: ١٦٤/١ وقال الشيخ ابراهيم العلي في صحيح السيرة: والإسناد حسن.

(٣) أي سنلاحقه، وليس ستَّبعه، من الاتباع لأن هذا ينافي تهديهم له بالقتل في العبارة نفسها، وهناك من يرى خلاف ذلك.

(٤) أخرجه ابن هشام في السيرة، ١/ ٤٢٨، والبيهقي في الدلائل، ٢/ ٤٣٣، وإسناده حسن، وقد أورده الشيخ ابراهيم العلي في صحيح السيرة، ص١٤٦.

(٥) أخرجه البخاري ١١٤/٧، وقال الشيخ الألباني في تخريجه لأحاديث فقه السيرة للغزالي بأن هذا الحديث مُعلق، وتم وصله وتغليقه فهو صحيح، وانظر في فقه السيرة: ص٨٨.

(٦) أخرجه البخاري في مناقب الأنصار، باب هجرة النبي ﷺ والصحابة إلى المدينة، ح٣٩٠٢.

(٧) أخرجه مسلم، كتاب الصيام، باب استحباب صيام ثلاثة أيام من كل شهر: ح١١٦٢.

٣- وقال تعالى في أول ما نزل: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝٣ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾العلق: ١ - ٥[1].

٤- وفي ليلة نزول القرآن يقول تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ۝١ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ۝٢ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾القدر: ١ - ٣.

٥- أما حكاية اللقاء الأول بالوحي وما جرى للنبي ﷺ بعد ذلك عند نزوله من الغار وموقف خديجة رضي الله عنها، فكل ذلك مما ترويه أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بما أخبرها به الصادق المصدوق ﷺ إذ تقول:

مؤشرات النبوة الأولى:

- «أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حُبب إليه الخلاء، وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه، (وهو التعبد) الليالي ذوات العدد، قبل أن ينزع إلى أهله ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها.

مجيء الوحي جبريل عليه السلام في الغار:

- تتابع عائشة رضي الله عنها فتقول: «حتى جاءه الحق وهو في غار حراء، فجاءه الملَك فقال: اقرأ، قال: «ما أنا بقارئ» قال: «فأخذني فغطني[2] حتى بلغ مني الجَهد، ثم أرسلني فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثالثة، ثم أرسلني فقال: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾العلق: ١ - ٣.

رجوع النبي ﷺ من المقابلة الأولى للوحي:

- تتابع عائشة رضي الله عنها فتقول: «فرجع بها رسول الله ﷺ يرجف فؤاده، فدخل على خديجة بنت خويلد رضي الله تعالى عنها، فقال: «زملوني زملوني[3]» فزملوه، حتى ذهب عنه الروع، فقصّ عليها ما كان من أمره، وقال لها: «**لقد خشيت على نفسي**».

---

(١) لعل من الحِكَم في أن تسبق سورة العلق من حيث النزول أم الكتاب (الفاتحة) ليعلم المسلمون بأن سورة (اقرأ) هي فاتحة الفاتحة، بل هي فاتحة الإسلام والتوحيد كله.

(٢) الغط هو العصر والضم الشديد.

(٣) أي غطوني بالثياب ولفوني بها.

الموقف الكبير لخديجة رضي الله عنها:

- تتابع عائشة رضي الله عنها فتقول: «فقالت خديجة: **كلا والله ما يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكلَّ[1]، وتُكسِب المعدوم، وتُقري الضيف[2]، وتعين على نوائب الحق.**

الموقف الأكبر لخديجة رضي الله عنها:

- تتابع عائشة رضي الله عنها فتقول: «فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى ابن عم خديجة، وكان امرءاً تنصَّر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العبراني، فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخاً كبيراً قد عمي، فقالت له خديجة: يا ابن عم اسمع من ابن أخيك.

موقف ورقة بن نوفل ونيته الطيبة:

- تتابع عائشة رضي الله عنها فتقول: فقال له ورقة: يا ابن أخي ماذا ترى؟ فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأى، فقال له ورقة: هذا الناموس[3] الذي نزَّل الله على موسى، **يا ليتني فيها جذع(٤)، ليتني أكون حياً إذ يخرجك قومك**، فقال ﷺ: «أو مخرجيَّ هم!!» قال: نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئتَ به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزراً، ثم لم ينشب ورقة أن توفى، وفتر[5] الوحي»[6].

---

(١) تنفق على الضعيف واليتيم وصاحب العيال.

(٢) تكرم الضيف.

(٣) جبريل عليه السلام، والناموس كلمة كانوا يطلقونها على صاحب سر الخير.

(٤) شاب قوي.

(٥) تأخر نزوله، ويروي البخاري في كتاب التفسير باب تفسير قوله تعالى: اقرأ باسم ربك الذي خلق، ح٤٩٥٣: «وفتر الوحي حتى حزن رسول الله ﷺ فيما بلغنا حزناً غدا منه مراراً كي يتردى من رؤوس شواهق الجبال، فكلما أوفى بذروة جبل لكي يلقي نفسه تبدى له جبريل عليه السلام فقال له: يا محمد إنك رسول الله حقاً، فيسكن ذلك جأشه، وتقر نفسه عليه الصلاة والسلام فيرجع فإذا طالت عليه وفتر الوحي غدا لمثل ذلك، فإذا أوفى بذروة جبل تبدى له عليه السلام فقال له مثل ذلك»، هناك من يرجح أن غياب الوحي لم يزد على أيام معدودة، وانظر الرحيق المختوم للمباركفوري..

(٦) أخرجه البخاري، كتاب التعبير، باب أول ما بدئ به الرسول ﷺ، ح ٦٥٩١، أما حكاية محاولة النبي ﷺ أن يلقي بنفسه من شواهق الجبال عند فتور الوحي عنه فهي من بلاغات الزهري وهي لا تصح.

أنوار وفوائد في العلاقات والحياة الاجتماعية:

١- كان للعلاقة المتينة بين خديجة رضي الله تعالى عنها وبين زوجها النبي الأكرم ﷺ وتقديره لها ومشاركته حياتها ونظرته الكريمة لها في زمان ازدرى الناس فيه المرأة دَور كبير في وقوفها إلى جانبه، وتهدئة روعه، عندما جاءها يرتعش فؤاده، بعد اللقاء الأول بالوحي، **ولقد استدعت تاريخه الحافل بالخير لتؤكد له بأن الله تعالى لن يخذله.**

٢- كان لموقف النبي ﷺ من قومه وعشيرته وعموم مَن حوله، - حيث الصدقة والبر والصلة والإعانة لهم -؛ أكبر شاهد بين يدي خديجة رضي الله عنها وهي تخفف عن زوجها المذعور، **وكأنها تريد أن تقول له: إن الله تعالى لن يقطع من كان واصلاً للرحم.**

٣- كان لحُسن علاقة خديجة رضي الله عنها بابن عمها ورقة بن نوفل دَور في تسهيل مهمتها التالية، بعد أن خففت عن زوجها النبي الأكرم ﷺ، وهي مهمة التأكد مما جال في خاطرها يوم حدَّثها النبي ﷺ عن لقائه بالوحي.

أنوار وفوائد في إدارة المواقف والسياسة الشرعية:

١- من مطالعتنا للكثير من الإرهاصات والدلائل المبشرة بقدوم نبي جديد نتبين أن من حُسن تدبير الله سبحانه وتعالى للكون أن يقدم بين يدي كل حدث عظيم جلل أموراً تمهِّد له، وأحداثاً تجعله متوقعاً أو غير مستغرَب.

٢- يُعدُّ سِنُّ الأربعين السنَّ الأنسب لحمل المسؤوليات الكبرى، وهذا أيضاً من تدبير الله تعالى لأنبيائه، **فما دون الأربعين لم يبلغ مرتبة الحكمة لاقترابه من سن الفتوة (المراهقة)، وما بعدها أقرب إلى سنِّ الشيخوخة**، والله تعالى قادر على تحميل الرسالة إن شاء لمن هم أصغر أو أكبر من هذا السنِّ المتوسط الفاعل إلا أنه أراد ذلك لحكمة جليلة يعلمها.

٣- أحسنت خديجة رضي الله عنها في إدارة الموقف، وهي ترى زوجها الكريم يرتعش فؤاده، **فهي وإن لم تملك معرفة مستقبله، وما سيحلُّ به، إلا أنها استدعت**

تاريخه النظيف مبدئياً لتحقيق الطمأنينة لقلبه، حتى يتسنى لها سؤال مَن كان لديه خبرة بشأن النبوات.

٤- أحسنت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، وهي تروي تفاصيل التفاصيل في هذا الموقف المهيب، وهكذا كان لعناية زوجات النبي ﷺ بالتفاصيل الدقيقة ما جلب لنا من الفوائد والأنوار الشيء الكثير، وسيأتي بيان التفاصيل الدقيقة لموقف الهجرة إلى الحبشة من رواية أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها لاحقاً.

٥- **نَهَج ورقة بن نوفل منهج التبشير ثم التحذير ثم الاستعداد التام ليكون للنبي ﷺ خير نصير**، وفي هذا الترتيب ما فيه من حُسن إدارة الموقف بشكل علمي عملي، فقد بشَّره بأنه نبيٌّ كريم كسائر الأنبياء، وحذَّره مما وقع من الأذى لسائر الأنبياء، ثم تمنى لو يرجع به الزمان ليصير شاباً قوياً يملك من القدرة ليقدم النصرة للنبي ﷺ ودينه، وكلها خطوات دعم نفسي كان لها ما بعدها من تحفيز للحبيب ﷺ.

أنوار وفوائد في الجانب الاقتصادي والمعاشي:

١- كان من صفة النبي ﷺ أنه كان يقبل الهدية ولا يقبل الصدقة، وكأنه بذلك لا يريد منافسة الفقراء على ما يأتيهم من رزق، ثم هو يريد أن يجبر خاطر من أتاه بهدية عن طيب نفس، ويسعده بقبولها.

٢- في تنزيل القرآن الكريم منجماً طيلة مدة البعثة النبوية على الرغم من قدرة الله تعالى على إنزاله مرة واحدة ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ﴾ النحل: ١٠١، حيث كان له نزولٌ أول من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا جملة واحدة[1] ثم نزَّله إلى

---

(١) روى النسائي في سننه والحاكم في مستدركه وابن أبي شيبة في مصنفه والبيهقي في الأسماء والصفات من طريق حسان بن حريث عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: فُصل القرآن من الذكر فوضع في بيت العزة من السماء الدنيا، فجعل جبريل ينزل به على النبي ﷺ». صححه الحاكم ووافقه الذهبي.
وذكر السيوطي في الإتقان قال: وأخرج الطبراني والبزار عن ابن عباس قال: أنزل القرآن جملة واحدة حتى وضع في بيت العزة في السماء الدنيا ونزله جبريل على محمد ﷺ»، وأخرج ابن أبي شيبة من وجه آخر عنه قال: دفع إلى جبريل في ليلة القدر جملة واحدة فوضعه في بيت العزة ثم جعل ينزله تنزيلا، وقال السيوطي: واختلف في كيفية إنزاله من اللوح المحفوظ على ثلاثة أقوال أحدها وهو الأصح والأشهر أنه نزل إلى سماء الدنيا ليلة القدر جملة واحدة.

عالم البشر مفرقاً في مدة بعثة النبي ﷺ (ثلاثاً وعشرين عاماً) ليعالج كل حدث في وقت حصوله، قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا ﴾الفرقان: ٣٢، **كل ذلك فيه ما فيه من التدبير الاقتصادي الذي يقوم على صرف ما يحتاجه الناس دون زيادة**، حتى لو كان هنالك ثمة وفرة في الخير، فكل زيادة إسراف، وكل إنقاص تقتير وبخل، والاقتصاد يحكي الاعتدال، وإعطاء كل شيء حقه ومستحقه، ولله تعالى حكمة فيما يُنزِّل وفيما يقدم وما يؤخر، وهو العليم الحكيم.

٣- كلما كان الوضع الاقتصادي للداعية متقدماً كان دوره وعطاؤه أكبر لاجل ذلك كانت خديجة رضي الله عنها رديفاً اقتصادياً لنبي كريم أذن الله تعالى له بالظهوروقد واسته بنفسها ومالها.

أنوار وفوائد في الجانب التربوي القيمي وتهذيب السلوك:

١- في الضمة الشديدة التي ضمها جبريل عليه السلام للنبي ﷺ ما يؤكد له أن ما رآه كان في عالم الحقيقة والعلم، لا في عالم الخيال والحُلُم، وهو نوع تفاعل مباشر بين الأستاذ وتلميذه يدعونا لأن نكون الأقرب إلى تلاميذنا من حيث التفاعل والسلوك.

٢- الارهاصات قبيل موعد ظهور النبي الجديد تؤكد قيمة التهيئة والإعداد والتحضير لكل فكرة جديدة، ثم الإحسان بعد ذلك في إخراجها والصبر على معارضتها؛ كل ذلك حتى لا يظل لمنكِرٍ أو مُعرِضٍ عذرٌ عند الله وعند الناس إن نزلت به العقوبة والعذاب المهين، **ذلك أنه لا عقوبة قبل البيان، ولا عذر لأحد بعده.**

٣- المشاركة في الخير قيمة عليا يسعى لها كل نبيل، والعجز عن تحقيق تلك المشاركة لا ينفي بركة النية والرغبة والعزم الأكيد على ذلك، فهذا ورقة بن نوفل[1]

(١) قال الإمام الحافظ العراقي رحمه الله في ألفيته في السيرة مثبتاً أن ورقة بن نوفل كان ثاني من آمن بعد خديجة:

ثمَّ أتتْ به تؤم ورقهْ *** قصَّ عليهِ ما رأى فصدقه

فهو الذي آمن بعدُ ثانيا *** وكان بَراً صادقاً مواتيا

والصادق المصدوق قال إنه *** رأى له تخضْخضاً في الجنة

وقد أقر عليه الشارح حفيد العراقي من ناحية الأم الشيخ المناوي حيث قال رحمه الله: وقد قرن ابن كثير له بين الترحم والترضي وجزم بإسلامه، قال ابن الشحنة: وهو الراجح عند جهابذة أئمة الأثر، قلت: والأمر فيه خلاف.

يتمنى العودة إلى سن الشباب والقوة، لينصر النبي ﷺ عند الهجرة القسرية له من وطنه.

٤- وفي عظيم أثر حادث بدء الوحي يقول الدكتور البوطي: «**حديث بدء الوحي هذا هو الأساس الذي يترتب عليه جميع حقائق الدين، بعقائده وتشريعاته وفهمه واليقين به هما المدخل الذي لا بد منه إلى اليقين بسائر ما جاء به النبي ﷺ من إخبارات غيبية وأوامر تشريعية**...من أجل ذلك يهتم محترفو التشكيك بالإسلام بمعالجة موضوع الوحي في حياته ﷺ، ويبذلون جهداً فكرياً شاقاً في تكلُّفٍ وتمحُّلٍ من أجل التلبيس في حقيقته والخلط بينه وبين الإلهام، وحديث النفس، بل وحتى الصرع أيضا»[(١)].

ويقول سيد قطب: «**إنه حادث ضخم...ما حقيقة هذا الحادث الذي تم في هذه اللحظة؟...حقيقته أن الله جل جلاله العظيم الجبار القهار المتكبر مالك الملك كله قد تكرم في عليائه، فأراد أن يرحم هذه الخليقة المسماة بالإنسان، القابعة في ركن من أركان الكون، لا يكاد يُرى هذا الركن الذي يسمى الأرض، وكرَّم الخليقة باختيار واحد منها ليكون ملتقى نوره الإلهي، ومستودع حكمته، ومهبط كلماته، وممثل قدره الذي يريده سبحانه لهذه الخليقة**»[(٢)].

٥- وفي حكمة بدء الرسالة بقوله تعالى: «اقرأ»، يقول الشيخ محمد الصادق عرجون: «**العلم هو العنوان الأول في رسالة محمد ﷺ...بدأت رسالة محمد ﷺ بأول وأعظم عنوان للعلم والمعرفة كتبه القدر الحكيم، على أبرز لوحات التاريخ، يوم أن قالت السماء لنموذج الرسالات الإلهية الأعلى محمد ﷺ: (اقرأ)، هكذا مطلقة، بصيغة الأمر المطلق، الذي لا يتقيد بمقروء معين من علوم البشر ومعارفهم وفنونهم وأفكارهم**»[(٣)].

٦- ليس من عجب أن يحزن النبي ﷺ حزناً بسبب انقطاع الوحي عنه، وقد جاءه

---

(١) فقه السيرة للدكتور محمد البوطي، دار القلم، دمشق، ط١، ٢٠٠٦م، ص٦٣.

(٢) في ظلال القرآن لسيد قطب، ط دار الشروق، ط٢٥، ١٩٩٦م، ج ٦/ ٣٩٣٦.

(٣) محمد رسول الله ﷺ منهج ورسالة، للشيخ محمد الصادق عرجون، دار القلم دمشق، ط٣، ٢٠٠٩م، ج١/ ص٢٤١.

وأخبره أنه نبي البشرية القادم، **وذلك أن سليم الفطرة، نقي السريرة، صاحب الخلق القويم، تعزُّ عليه نفسه أن يظهر بمظهر الكاذب أو غير الصادق بين الناس، كيف لا وقد علم الناس مِنْ حوله أنه قد صار نبي هذه الأمة، فما بال الوحي يغيب عنه؟!**، ولعل في حكمة فتور الوحي عن النبي ﷺ مزيد تربية لنفسه على التعلق والاشتياق للوحي، لاسيما وأنه قد فزع منه في اللقاء الأول.

٧- أربعين عاماً هي ثلثي عُمر النبي ﷺ قبل البعثة النبوية كلها تأهيل وإعداد رباني مباشر ليكون الزمان والمكان والإنسان جاهزاً لاستقبال بعثة النبي العدنان، ويبقى الثلث الأخير من عمره هو الجهد والعطاء والبذل والدعوة والجهاد، وفي ذلك اشارة إلى أنه كلما كان المشوار والواجب طويلاً وكبيراً كان الاعداد والتحضير له أكبر وأطول.

بدأت دعوة النبي ﷺ بشكل سريٍّ، ليس فيه أي نوع من أنواع الإعلان، الذي قد يشكل مفاجأة صادمة، وبالتالي تحدياً صارخاً لقومه، لأن القصد من الدعوة تأليف الناس على هذا الدين الجديد، لا تخويفهم وإفزاعهم، فقد راعى النبي ﷺ من خلال الطرح الهادئ لأفرادٍ مخصوصين من قومه تقديم ما جاءهم به من توحيد، في أجواء مفعمة بالأريحية، ودون أن يكون هنالك شغَبٌ وضوضاء، فانتشر الإسلام في سائر فروع وعشائر قريش بصورة متوازنة، وقد بقي النبي ﷺ يدعو بشكل متكتم محدود النطاق، سريِّ الأسلوب ثلاث سنين، كما ذكر ذلك ابن اسحاق والواقدي[1].

حتى قيل إنه في أول سنتين ونصف تقريباً من هذه السنوات الثلاث، لم يكن كثيراً ممن أسلم يعرف باقي إخوانه المسلمين، **وفي ذلك دلالة على أن التكتم كان حتى في دائرة المهتدين**، حتى إذا بلغ عدد المسلمين الأوائل ما يزيد على الثلاثين، اختار لهم النبي ﷺ دار الأرقم بن أبي الأرقم ليلتقيهم فيها، في مطلع أو منتصف السنة الثالثة من سنوات الدعوة، وقبيل الجهر بالدعوة كما هو معلوم.

وفي إثبات مكان التقاء النبي ﷺ بأصحابه يقول عثمان بن الأرقم: «**..وكانت داره - أي الأرقم - بمكة على الصفا وهي الدار التي كان النبي ﷺ يكون فيها أول الإسلام**[2].

---

(١) سيرة ابن هشام: ١/ ٢٦٢، وهي رواية أصح من رواية تقول بأن الدعوة السرية استمرت أربع سنوات، كما بيَّن ذلك الدكتور أكرم العمري في السيرة النبوية الصحيحة.

(٢) أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبير بإسناده، مكتبة الخانجي بالقاهرة، تحقيق علي محمد عمر، ط١، ٢٠٠١م، ج٣، ص٢٢٤.

أما المسلمون الأوائل فكان منهم:

١- خديجة بنت خويلد رضي الله عنها[١]، أمّ المؤمنين، وزوج رسول الله ﷺ، فقد كانت أول من آمن به وصدقَّه ﷺ.

٢- علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فقد كان في حِجر النبي ﷺ حينذاك، وقد بلغ من العمر عند إسلامه عشر سنين[٢]، ويقول عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: «أول من صلى مع النبي ﷺ بعد خديجة، علي»[٣]

٣- أبو بكر الصديق رضي الله عنه، فقد قال النبي ﷺ: «إن الله بعثني إليكم، فقلتم: كذبتَ، وقال أبو بكر: صدق، وواساني بنفسه وماله»[٤].

٤- وقد أسلم أهل بيت أبي بكر رضي الله عنه بإسلامه، تقول عائشة رضي الله عنها: «لم أعقل أبواي إلا وهما يدينان الدين»[٥]

٥- أم أبي بكر الصديق: وهي سلمى بنت صخر قال ابن سعد: «أسلمت قديمًا في دار الأرقم بن أبي الأرقم وبايعت النبي ﷺ وماتت مسلمة»[٦].

٦- سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، فقد روى البخاري أن سعداً رضي الله عنه بقي أسبوعاً ثالث مسلم، ثم أسلم آخرون[٧]، وفي سعد وإسلامه وما لاقاه من معارضة

---

(١) يقول الإمام الذهبي في ترجمتها: «...ومناقبها جمة، وهي ممن كمُل من النساء، كانت عاقلة جليلة ديِّنة مصونة كريمة، من أهل الجنة، وكان النبي ﷺ يثني عليها، ويفضلها على سائر أمهات المؤمنين، ويبالغ في تعظيمها، بحيث إن عائشة كانت تقول: ما غرت من امرأة ما غرت من خديجة، من كثرة ذكر النبي ﷺ لها، ومن كرامتها عليه ﷺ أنه لم يتزوج امرأة قبلها، وجاءه منها عدة أولاد، ولم يتزوج عليها قط، ولا تسرَّى إلى أن قضت نحبها، فوجد لفقدها، فإنها كانت نعم القرين، وكانت تنفق عليه من مالها، ويتجر هو ﷺ لها، وقد أمره الله أن يبشرها ببيت في الجنة من قصب، لا صخب فيه ولا نصب» سير أعلام النبلاء للذهبي: ج٢ ترجمة خديجة/ ط مؤسسة الرسالة/ ٢٠٠١م.

(٢) فتح الباري لابن حجر العسقلاني، ط دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٨٩م، ج٧ / ١٧٤.

(٣) أخرجه الترمذي في المناقب، باب مناقب علي، ح٣٧٣٤، وقال الشيخ ابراهيم العلي في صحيح السيرة: وسنده جيد.

(٤) أخرجه البخاري، كتاب المناقب، باب مناقب أبي بكر رضي الله عنه، ح١٣٣٩.

(٥) أخرجه البخاري، كتاب مناقب الأنصار، ح ٣٦٩٤.

(٦) صفة الصفوة، لأبي الفرج بن الجوزي، ط دار الكتب العلمية، تحقيق سعيد اللحام وابراهيم رمضان، ط١، ١٩٨٥م، ج١،ص١٢٣.

(٧) أخرجه البخاري، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب مناقب سعد بن أبي وقاص، ح٣٧٢٥.

أمه نزل قول الله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ﴾ العنكبوت: ٨ [١].

٧- الزبير بن العوام رضي الله عنه، وقد عذَّبه عمه بالنار بسبب إسلامه[٢].

٨- عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، وقد شهد من بركة النبي ﷺ يوم حلَبَ شاةً كان يرعاها لعقبة بن أبي معيط، وكانت لا تدرُّ لبناً إذ بها تسقيه وصاحبه أبا بكر رضي الله عنهما، وهما في سترٍ عن المشركين، يقول ابن مسعود رضي الله عنه أتيتُ النبي ﷺ فقلت: علمني من هذا القول الطيب؟ فقال رسول الله ﷺ: إنك غلام معلَّم، فأخذتُ مِنْ فيه سبعين سورة، لا ينازعني فيها أحد)[٣].

٩- بلال الحبشي رضي الله عنه، وقد كان رقيقاً فاشتراه أبو بكر وأعتقه[٤].

١٠- ومن أوائل من أسلم من الأعبُد سوى زيد بن حارثة وبلال رضي الله عنهما: عامر بن فهيرة مولى أبي بكر، وأبو فكيهة مولى صفوان بن أمية، وشقران مولى رسول الله ﷺ[٥].

١١- عمار بن ياسر رضي الله عنه وهو الذي يقول: «رأيت رسول الله ﷺ وما معه الا خمسة أعبُد، وامرأتان، وأبو بكر»[٦].

١٢- عمرو بن عنبسة رضي الله عنه، وقد كان يقول: «فلقد رأيتني إذ ذاك رُبع الإسلام»[٧]، وقد ثبت أن النبي ﷺ بعد أن عرض عليه الإسلام ورضي الدخول به قال له: **إنك لا تستطيع ذلك يومك هذا، ألا ترى حالي وحال الناس، ولكن ارجع إلى أهلك، فاذا سمعتَ بي قد ظهرتُ فأتني**[٨].

١٣- أبو ذر الغفاري رضي الله عنه، وهو يقول أيضاً بأنه كان رابع من أسلم، **ويرجح**

---

(١) سبب نزول الآية أخرجه مسلم، بشرح النووي في المنهاج، ٥/ ١٨٥.

(٢) صفة الصفوة، لأبي الفرج بن الجوزي، ج١/ ص١٨٠.

(٣) أخرجه أحمد في المسند: ١/ ٣٧٩ وإسناده حسن.

(٤) أخرجه البخاري، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب مناقب بلال بن رباح رضي الله عنه، ح٣٧٥٤.

(٥) انظر تفصيلا في فتح الباري لابن حجر العسقلاني: ٧/ ٢٤.

(٦) أخرجه البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب لو كنت متخذا خليلا، ح ٣٤٦٠.

(٧) أخرجه أحمد في المسند بسند حسن: ٤/ ١١٢.

(٨) أخرجه مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب اسلام عمرو بن عبسة، ح ١٣٨٠.

الدكتور أكرم العمري أن مبدأ السرية كان يجعل كل واحد منهم يظن أنه رابع من أسلم، وهو لا يدري بإسلام غيره[1].

١٤- يقول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: أول من أظهر إسلامه سبعة: رسول الله ﷺ، وأبو بكر، وعمار، وأمه سمية، وصهيب، وبلال، والمقداد[2].

١٥- ورقة بن نوفل، قال ﷺ: «لا تسبوا ورقة، فإني رأيت له جنة أو جنتين»[3].

١٦- وقد قيل إن من أوائل من أسلم أيضا نفرٌ من الجن سمعوا رسول الله ﷺ يتلوا القرآن الكريم، وفيهم نزل مطلع سورة الجن[4].

١٧- وممن ذُكروا في عِداد أول من أسلم كذلك[5]:

أ- عثمان بن عفان رضي الله عنه.

ب- طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه.

ج- خالد بن سعيد بن العاص رضي الله عنه.

د- خباب بن الأرت رضي الله عنه.

الأنوار والفوائد

أنوار وفوائد في العلاقات والحياة الاجتماعية:

١- استفادت الدعوة الجديدة من حجم العلاقات الاجتماعية التي كان النبي ﷺ قد أقامها قبل تكليفه بالرسالة، لأجل ذلك كانت الدعوة في بدايتها تدور (غالباً) في رحى الأقارب والأصدقاء، **كما استفاد المسلمون الجدد أيضاً من علاقاتهم، في نشر الدين للدوائر المحيطة بهم.**

---

(١) السيرة النبوية الصحيحة لأكرم ضياء العمري: ص ١٦٤.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده: ١/ ٤٠٤، بإسناد حسن.

(٣) أخرجه البزار والحاكم: ٦٠٩/٢، وقال الألباني في فقه السيرة للغزالي ص١٠٣، هذا حديث حسن بمجموع طرقه.

(٤) السيرة النبوية الصحيحة للدكتور أكرم العمري/ ص١٦٤.

(٥) السابق: ص١٦٥.

٢- لأن أعلم الناس بالمرء زوجه وأهله، فإنه كان لشهادة خديجة رضي الله عنها بالنبي ﷺ الدور الأبرز في تثبيت قلبه، كما كان لحسن علاقتها بابن عمها ورقة بن نوفل دور في تعزيز النبي ﷺ.

٣- كان لحسن علاقة أبي بكر رضي الله عنه بأهله دَور في إسلامهم من إثر عرضه الدعوة عليهم، فكان آل بيت أبي بكر رضي الله عنه من أوائل من أسلم.

٤- بالنسبة للموالي أو الخدم والعبيد الذين أسلموا، **فإن للمعاملة الطيبة لهم قبيل الإسلام، وحُسن عشرتهم، والعلاقة الطيبة بهم؛ الدور الأكبر في هدايتهم.**

٥- لاشك بأنه من التحديات الكبرى في المجتمع المكي عند بدء الدعوة، تلك العلاقة الاجتماعية الراسخة بين أفـراده، مما أدى إلى وقوف بعض الأهل والأقارب كالسدِّ المانع في وجه كل من يريد الإسلام، وكانوا يسمونه: صابئاً عن دين الآباء والأجداد، **ولكن ما لبث هذا التحدي أن زال وصار للعقيدة أولوية في حياة المهتدين الجدد،** وصدق الله تعالى في تمكين عقيدة الولاء والبراء: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ ... ﴾المجادلة: ٢٢.

مكتبة t.me/ktabrwaya

أنوار وفوائد في إدارة المواقف والسياسة الشرعية:

١- اقتضت الحكمة وحُسن الإدارة للموقف، ومتطلبات السياسة الشرعية، عدم البدء بالدعوة الجهرية، وذلك رفقاً بالمسلمين الجدد من ناحية، ومن ناحية أخرى لعدم إحداث صدمة كبيرة ومفاجئة للمجتمع المكي، الذي تغلغلت فيه الوثنية فترة من الزمن، **كما أن السرية لم تكن لتقتصر على إخفاء العيون عن المشركين فحسب، بل تم إخفاؤها أيضاً عن عموم المهتدين الجدد، حتى لا يتسبب أحد بفتنة نفسه وغيره إن تعرض للأذى قبل أن يتغلل الإيمان في قلبه.**

٢- اقتضى المنطق والترتيب أن تكون البداية في الدائرة الأقرب، لأنها الأولى بالمعروف من جهة، وللحاجة إلى دعمها وإسنادها من جهة أخرى، ولأنها الجهة التي تملك التزكية بحكم العشرة الطويلة لصاحب الرسالة الكريم ﷺ.

٣- كان للتنويع في الفئة المستهدفة في الدعوة دَوره الأكبر في صناعة إثراء تركيبة هذه الدعوة الناشئة، ففي المسلمين الأوائل من وجوه القوم، ومن ساسة قريش، وتجارها، ورجالها، ونسائها، وغلمانها، وخدَمها، وأسيادها، ما يجعل من فرصة اتصال هؤلاء لاحقاً بأمثالهم من المجتمع فرصة تعظِّم من قوة الدعوة، فهم بمثابة (عَيِّنات) كريمة مُركَّزة لعموم أفراد المجتمع.

٤- السياسة التي اتبعها النبي ﷺ مع الصحابي عمرو بن عنبسة رضي الله عنه تحكي حُسن الإدارة في التعامل مع رجل يعيش في بيئة خارجية، خشي عليه النبي ﷺ من الأذى، **فطلب منه الاحتفاظ بالإيمان والبقاء في بلده.**

٥- ومما يضاف إلى حُسن الإدارة والسياسة الشرعية في تلك المرحلة، ما ذكره الدكتور راغب السرجاني **في سبب اختيار النبي ﷺ لدار الأرقم بن أبي الأرقم** فيقول[1]:

أ- أن الأرقم لم يكن معروفًا بإسلامه، فما كان يخطر ببال قريش أن يتم لقاء محمد وأصحابه بداره.

ب- أن الأرقم بن أبي الأرقم رضي الله عنه وأرضاه من بني مخزوم، وقبيلة بني مخزوم هي التي تحمل لواء التنافس والحرب ضد بني هاشم، فلو كان الأرقم معروفًا بإسلامه فلا يخطر في البال أن يكون اللقاء في داره، لأن هذا يعني أنه يتم في قلب صفوف العدو.

ج- كان الأرقم رضي الله عنه فتىً عند إسلامه، فلقد كان في حدود السادسة عشرة من عمره، ويوم أن تفكر قريش في البحث عن مركز التجمع الإسلامي، فلن يخطر في بالها أن تبحث في بيوت الفتيان الصغار من أصحاب محمد ﷺ، بل يتجه نظرها وبحثها إلى بيوت كبار أصحابه، أو بيته هو نفسه عليه الصلاة والسلام، ومن ثم نجد أن اختيار هذه الدار كان في غاية الحكمة من جميع النواحي.

ومن الميزات في اختيار دار الأرقم مقراً: « أن هذه الدار تقع على الصفا، وكانت

---

(١) ينظر في موقع قصة الإسلام على الشبكة العنكبوتية ويشرف عليه الدكتور راغب السرجاني بنفسه.

بمعزل عن أعين الطغاة ومجالسهم، ولا تخفى الأهمية الأمنية لهذا الموقع، فكونها في معزلٍ يجعلها بعيدة عن مراقبة قريش، كما أن لموقعها أسفل جبل الصفا ميزة أخرى، فلو كانت في أعلاه لكانت مكشوفة وسهلتْ مراقبتها»[1].

- يقول الدكتور منير الغضبان: «ويعجب المرء أن تكون المرحلة السرية في الدعوة داخلة ضمن المنهج السياسي، لكن هذا العجب يزول حينما نقف عند أسباب السرية في هذه المرحلة، والتي استمرت قرابة ثلاث سنين، فهي في حقيقة الأمر عمل سياسي لا يحكمه الفعل ورد الفعل، إنما يحكمه العقل الأعظم المدبر **المستضيء بنور الوحي**، فالمواجهة في مرحلة النشوء وقبل أن ينضج الجيل الأول بالتربية هي مقتل للدعوات والحركات السياسية، وذلك في ظل نظام لا يؤمن بحرية الكلمة ولا بحرية الرأي...والسرية أحياناً تكون وبالاً على الجماعة المسلمة، في مجتمع يسمح بحرية الدعوة، وحرية الكلمة، وحرية التظاهر، وحرية الرأي، لأن السرية تعني تواطؤاً على النظام الديمقراطي، أما في المجتمعات الدكتاتورية الفرعونية فلا خيار للجماعة المسلمة فيها عن السرية»[2].

أنوار وفوائد في الجانب الاقتصادي والمعاشي:

١- ما من فكرة ناشئة إلا وتحتاج إلى دعم متكامل، سواء أكان هذا الدعم فكرياً، أم سياسياً، أم مادياً واجتماعياً، ولاشك أنه لحضور عدد من أصحاب المال في دائرة المهتدين الأوائل، أكبر الأثر في دعم وإسناد الدعوة الجديدة، **فرضي الله عن خديجة، وأبي بكر، وعثمان بن عفان وغيرهم، ممن كانوا خير سند وظهير بما يملكون لدعوة الإسلام العظيم.**

يقول الدكتور عماد الدين خليل: «ما الذي دفع عثمان بن عفان، وهو في قمة قريش غنى ومكانة وأماناً ومحبة وجاهاً، إلى أن يتمرد على جاهليته، ويقف في لحظات الدعوة الأولى الصعبة الغامضة الخطيرة، بمواجهة قومه وعشيرته، رافضاً

(١) في السيرة النبوية، قراءة في جوانب الحذر والحماية، للدكتور ابراهيم علي محمد أحمد، من سلسلة كتاب الأمة، العدد ٥٤، السنة السادسة عشرة، وزارة الأوقاف في قطر، ١٤١٧ه، ص٣٨.

(٢) المنهج السياسي للسيرة النبوية، الدكتور منير الغضبان، دار السلام، القاهرة، ط١، ٢٠١٣م، ص١٣.

الغنى والمكانة والجاه والمحبة، مختاراً بدلاً منها الفقر والاحتقار والزراية والخوف والكراهية؟، وما الذي دفع أبا بكر وعشرات غيره، إلى أن ينفقوا من أموالهم الخاصة التي سهروا وكدحوا في جمعها وتنميتها، ينفقونها حتى آخر درهم، حتى إن الرسول ليسأل رفيقه الصدِّيق: وما الذي أبقيت لعيالك يا أبا بكر؟ فيكون جوابه: أبقيت لهم الله ورسوله، وما الذي دفع سعد بن أبي وقاص، الغني المدلل إلى أن يرفض توسُّلات أمه، وقد أوثقته رباطاً من أجل أن يرتد عن دينه...!!»[1].

٢- لم يكن الطمع بالمال هو السبب في إسلام الموالي والخدم، لأنهم يعلمون كم ستكلفهم الدعوة الجديدة من مشقة وعنت وتبعات مادية ومعنوية، **ولو بقي واحدهم في دائرة الخدمة لسيده ما تكلف عناء وهج الصحراء، ولا ما أصاب ظهره لأجل الإسلام من شواء.**

٣- لاشك أن بعض من تم عرض الدعوة عليهم في بداية الأمر وفي المرحلة السرية لم يهتدوا، **ولكن يبدو أن الاقتصاد في إعطاء المعلومة للمدعوين الجدد أدى إلى سكوتهم، وعدم وجود ردات فعل مؤذية للدعوة الناشئة حولهم.**

٤- كان الاقتصاد حتى في إخراج العبادة وصورتها هو العنوان الأبرز لهذه المرحلة، **ولعل التوجيه الرباني للنبي ﷺ بالقصد والاعتدال في تلاوة كتاب الله تعالى كان في أواخر هذه المرحلة،** فقد روى ابن عباس رضي الله عنهما في قوله عز وجل: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾ الإسراء: ١١٠، قال: **نزلت ورسول الله ﷺ متوارٍ بمكة،** فكان إذا صلى بأصحابه رفع صوته بالقرآن، فإذا سمع ذلك المشركون سبُّوا القرآن، ومن أنزله، ومن جاء به، فقال الله تعالى لنبيه ﷺ: «ولا تجهر بصلاتك» فيسمع المشركون قراءتك، ولا تخافت بها، عن أصحابك، أسمعهم القرآن، ولا تجهر ذلك الجهر «وابتغ بين ذلك سبيلا» بين الجهر والمخافتة»[2].

---

(١) دراسة في السيرة النبوية: الدكتور عماد الدين خليل/ ط دار النفائس، ٢٠١٤م، ص٨٣.

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الصلاة، باب التوسط في القراءة، ح٤٤٦.

أنوار وفوائد في الجانب التربوي القيمي وتهذيب السلوك:

١- لعل في المنهج النبوي المتَّبع في عرض الرسالة دوره الأكبر في تحفيز المهتدين الجدد على أن يكون لهم دَور في حمل الرسالة لغيرهم، **وهنا نرى كيف زرع النبي ﷺ الإيجابية، وذاتية الحركة في نفوس أصحابه، ليكونوا في وقت قصير، شركاء له في عرض الدعوة على مَن حولهم**، ومن هنا يقال بأن خمسة من العشرة المبشرين بالجنة قد أسلموا على يدي أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وهؤلاء الخمسة هم: عثمان بن عفان، والزُّبَير بن العوَّام، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وطلحة بن عبيد اللّه، رضي الله عنهم أجمعين[١].

٢- **لولا القيم العقدية المتقدمة التي عززها النبي ﷺ في أصحابه ما احتمل أحدهم الأذى الذي لحق بهم**، ولعل في مقتضيات كلمة التوحيد: (لا إله إلا الله محمد رسول الله) وحدها ما يبعث الحافز على الثبات، لما يرى فيها المسلم الصادق من عظيم الأجر والثواب، لأجل تركه جميع الآلهة المزعومة سوى الله.

٣- لقد كان النبي ﷺ في هذه المرحلة شديد الحرص على الكسب الدعوي الجديد، لدرجة أنه عوتب لما أخذ بخلاف الأولى وصرف نظره عن صاحبه الأعمى (ابن أم مكتوم رضي الله عنه)، من شدة اهتمامه بأحد كبراء قريش كان يحاوره ويطمع في إسلامه، فأنزل الله تعالى تعزيزاً لقيمة الحرص على مشاعر المؤمنين، وتقديم ذلك على أية أولوية أخرى كما أخبرت بذلك سورة «عبس» في مطلعها[٢].

---

(١) يتم الرجوع إلى سيرة كل واحد من هؤلاء الأصحاب على حده من خلال النظر في طبقات الصحابة أو الإصابة في تمييز الصحابة أو سير أعلام النبلاء للتأكد من سبب إسلامهم.

(٢) وانظر فيما أخرجه الترمذي برقم ٣٣٣١، وقد ذكره الشيخ ابراهيم العلي في صحيح أسباب النزول برقم ٣١٤وقال: هو صحيح.

نزل قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾الشعراء: ٢١٤، فخرج النبي ﷺ، وصعد الصفا ثم هتف: يا صباحاه، فاجتمعت إليه قريش فقال: يا بني فلان، يا بني عبد مناف، يا بني عبد المطلب، أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلاً تخرج بسفح هذا الجبل أكنتم مصدقيَّ؟ قالوا ما جربنا عليك كذباً، قال: **فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد**، فقال أبو لهب: تبًّا لك أما جمعتنا إلا لهذا؟ ثم قام فنزلت هذه السورة ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٣﴾ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ﴿٤﴾ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾المسد: ١ - ٥ [(١)].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «قام رسول الله ﷺ حين أنزل الله عليه: «وأنذر عشيرتك الأقربين، فقال: يا معشر قريش اشتروا أنفسكم، لا أغني عنكم من الله شيئاً، يا بني عبد المطلب لا أغني عنكم من الله شيئاً، يا عباس بن عبد المطلب لا أغني عنك من الله شيئاً، يا صفية عمة رسول الله لا أغني عنك من الله شيئاً، **يا فاطمة بنت رسول الله، سليني ما شئت من مالي، لا أغني عنك من الله شيئاً**»[(٢)].

١- وعند الإمام الطبري - رحمه الله - أن قوله تعالى: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾الحجر: ٩٤، هي التي انتهت بها مرحلة الدعوة السرية[(٣)].

٢- **وممن جهر بالدعوة في مرحلة الدعوة العلنية الجهرية؛ أبو ذر الغفاري رضي الله عنه** الذي أوصاه النبي ﷺ بالرجوع إلى قومه، وأن يدعوهم إلى الإسلام فقال: والذي نفسي بيده لأصرخن بها بين ظهرانيهم، فخرج حتى أتى المسجد فنادى بأعلى صوته: أشهد أن لا إله إلا الله، وأنَّ محمداً رسول الله، وثار القوم

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب ما جاء في قوله تعالى: وأنذر عشيرتك الأقربين، ح ٢٠٨.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب تفسير قوله تعالى: وأنذر عشيرتك، ح ٤٤٩٣.

(٣) تاريخ الأمم والملوك للإمام أبي جعفر الطبري، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، دار سويدان بيروت، ط١، ٢/ ٣١٨.

فضربوه حتى أضجعوه، فأتى العباس بن عبد المطلب، فحذَّرهم من انتقام غِفار، والتعرض لتجارتهم التي تمرُّ بديارهم إلى الشام، فأنقذه منهم»[1]

٣- ومن بركات الجهر بالدعوة على الرغم مما فيها من أذى؛ **إقامة الحُجة على قريش كلها، وإسلام عدد جديد من الصحابة منهم:**

أ- ضماد الأزدي (من أزد شنوءة) فقد كان ضماد يُرقي من مسِّ الجنون، وقد ذهب إلى الرسول ﷺ، وعرض عليه أن يرقيه، فقال رسول الله ﷺ: إن الحمد لله نحمده ونستعينه، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، أما بعد:

فقال ضماد: أعد عليَّ كلماتك هؤلاء، فأعادهن عليه رسول الله ﷺ ثلاث مرات، فقال ضماد: لقد سمعتُ قول الكهنة، وقول السحرة، وقول الشعراء، فما سمعتُ مثل كلماتك هؤلاء، **ثم أسلم، وبايع عن نفسه وقومه**»[2].

ب- الطفيل بن عمرو الدوسي رضي الله عنه.

ج- عثمان بن مظعون رضي الله عنه.

د- حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه[3].

وفي هذه المرحلة بدأت اعتراضات قريش تظهر بصورة كبيرة على كثير مما جاء به النبي ﷺ، **ومن الأمور التي اعترضوا عليها بحسب ما أحصى الدكتور علي الصلابي**[4]:

١- مسألة الإيمان بالله الواحد، فهم يؤمنون بوجود إله، لكنهم ينكرون وحدانيته، قال تعالى: ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ ۖ وَخَرَقُوا۟ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ الأنعام: ١٠٠.

٢- مسألة وجود اليوم الآخر، وما فيه من حساب وعقاب، قال تعالى: ﴿وَقَالُوٓا۟ إِنْ هِىَ

---

(١) أخرجه البخاري، فتح الباري: ٧/ ١٧٣، وقد رجع أبو ذر إلى قومه غفار، فأسلم نصفهم، وأسلم النصف الثاني بعد الهجرة النبوية.

(٢) أخرجه مسلم، في كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة، ح ٥٩٢.

(٣) يقول الشيخ ابراهيم العلي: جاء في قصة إسلام حمزة رضي الله عنه آثاراً مرسلة بأسانيد رجالها ثقات، لأجل ذلك ذكرها في صحيح السيرة عنده، بينما أعرض عنها الدكتور اكرم ضياء العمري، وانظر صحيح السيرة النبوية للشيخ العلي، ص٨٢.

(٤) ذكر ذلك في السيرة النبوية له، ص ١٩٩ - ٢٠٤.

﴿إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ الأنعام: ٢٩.

٣- اعتراضهم على شخص الرسول ﷺ، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ الزخرف: ٣١، يقول ابن كثير: «كان كفار مكة يطمعون أن ينزل القرآن على الوليد بن المغيرة بمكة، أو عروة بن مسعود الثقفي في الطائف»[1].

٤- اعتراضهم على القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ الحاقة: ٤٠ - ٤٣.

ومما يمكن إضافته على ما ذكره الدكتور الصلابي من اعتراضات، أن مشركي مكة كانوا يعترضون حتى على أصحاب النبي ﷺ، كما كان أقوام الأنبياء السابقين يعترضون على اتباعهم، قال تعالى: ﴿وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ﴾ هود: ٢٧.

ولقد ردّ القرآن الكريم عليهم كل هذه التهم والشبهات.

أما صور الأذى بعد الجهر بالدعوة فقد تعددت حتى طالت النبي ﷺ، وسائر أصحابه الكرام.

ومن صور الإيذاء التي أوقعها المشركون على شخص النبي ﷺ:

١- وصف المشركون النبي ﷺ بأشدِّ الصفات فقالوا: هو شاعر ومجنون وساحر وكاهن، قال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُو آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ﴾ الصافات: ٣٦، وكان رب العزة لهم بالمرصاد؛ ينفي عن حبيبه كل التهم، قال تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ﴾ يس: ٦٩.

٢- وما عبَّر عنه النبي ﷺ بقوله: (ألا تعجبون كيف يصرف الله عني شتم قريش ولعنهم، يشتمون مذمماً، ويلعنون مذمماً، **وأنا محمد**)[2].

٣- ويروي عبد الله بن مسعود رضي الله عنه فيقول: بينما رسول الله ﷺ قائم يصلي عند الكعبة وجمعٌ من قريش في مجالسهم، إذ قال قائل منهم: ألا تنظرون إلى هذا

---

(١) تفسير القرآن العظيم، للإمام اسماعيل بن كثير، دار الجيل بيروت، ط١، ج٤/ ١٢٦.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب المناقب، باب ما جاء في أسماء الرسول ﷺ، ح ٣٣٤٠.

المرائي؟ أيكم يقوم إلى جزور آل فلان، فيعمد إلى فرثها ودمها وسلاها، فيجيء به ثم يمهله، حتى إذا سجد وضعه بين كتفيه؟ فانبعث أشقاهم، فلما سجد رسول الله ﷺ، وضعه بين كتفيه، وثبت النبي ﷺ ساجداً، فضحكوا حتى مال بعضهم إلى بعض من الضحك، فانطلق مُنطلِقٌ إلى فاطمة رضي الله عنها وهي جويرية فأقبلت تسعى، وثبت النبي ﷺ حتى ألقته عنه، وأقبلت عليهم تسبُّهم، فلما قضى رسول الله ﷺ الصلاة قال: «**اللهم عليك بقريش، اللهم عليك بقريش، اللهم عليك بقريش، ثم تسمى: اللهم عليك بعمرو بن هشام، وعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة، وأمية بن خلف، وعقبة بن أبي معيط، وعمارة بن الوليد، قال عبد الله بن مسعود: فو الله لقد رأيتهم صرعى يوم بدر، ثم سُحبوا إلى القليب - قليب بدر - ثم قال رسول الله ﷺ: «وأتبع أصحاب القليب لعنة**»[1].

٤- وفي رواية عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن كفار قريش لما أكثروا الهمز والغمز بالنبي ﷺ قال لهم ذات مرة: «**تسمعون يا معشر قريش، أما والذي نفس محمد بيده، لقد جئتكم بالذبح**»، فأخذت القوم كلمته، حتى ما منهم رجل إلا كأنما على رأسه طائر واقع، حتى إن أشدهم فيه وصاةً قبل ذلك ليرفؤه (يتآلفه) بأحسن ما يجد من القول، حتى إنه ليقول: انصرف يا أبا القاسم، انصرف راشداً، فوالله ما كنت جهولا»[2].

٥- محاولة أبي جهل أن يطأ عنق النبي ﷺ، إلا أنه خاف وتراجع فسأله كبراء قريش عن ذلك، فقال: (إن بيني وبينه لخندقاً من نار، وهولاً وأجنحة، فقال رسول الله ﷺ: لو دنا مني لاختطفته الملائكة عُضواً عُضواً)[3]، وفي ذلك نزل قوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ۝٧ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ۝٨ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ۝٩ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ۝١٠ أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ۝١١ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ﴾ العلق: ٦ - ١٢.

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الصلاة، باب سترة المصلي، ح ٤٩٨.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده برقم: ٢/ ٢١٨، وقال الدكتور همام سعيد وابنه الدكتور محمد في كتابهما موسوعة أحاديث الشمائل النبوية الشريفة، حديث حسن، وهو عندهما برقم: ٣٥٧٢، ط١، مطبوعات مجلة البيان، الرياض، ٢٠١٢م.

(٣) أخرجه مسلم، كتاب صفة القيامة، باب قول الله تعالى: (كلا إن الانسان ليطغى)، ح ٢٧٩٧.

٦- سأل عروة بن الزبير عبد الله بن عمروٍ بن العاص قال: أخبرني بأشدِّ ما صنع المشركون برسول الله ﷺ قال: بينا رسول الله ﷺ يصلي بفناء الكعبة، إذ أقبل عقبة بن أبي معيط، فأخذ بمنكب رسول الله ﷺ، ولوى ثوبه في عنقه، فخنقه خنقاً شديداً، فأقبل أبو بكر فأخذ بمنكبه، ودفع عن رسوله الله ﷺ، وقال: (أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم)[١].

٧- يقول رسول الله ﷺ: **(لقد أُخفت في الله عز وجل وما يُخاف أحد، ولقد أوذيت في الله وما يؤذى أحد، ولقد أتت عليَّ ثلاثون من بين يوم وليلة، وما لي ولبلال طعام يأكله ذو كبد إلا شيء يواريه إبط بلال)**[٢].

٨- ولعله في تلك الأوقات نزل قوله تعالى: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾الأنعام: ٣٣، فعن علي رضي الله عنه أن أبا جهل قال للنبي ﷺ إنا لا نكذِّبك، ولكن نكذب بما جئت به، فأنزل الله تعالى هذه الآية»[٣].

٩- وقد ثبت أن الخبيث عقبة بن أبي معيط أتى النبي ﷺ، فبصق في وجهه، وشتمه بأخبث الشتائم، فلم يزد النبي ﷺ أن مسح وجهه من البصاق، ثم التفت إليه وقال: **إن وجدتك خارجاً من جبال مكة، أضرب عنقك صبراً**،[٤] فكان ذلك يوم جيء به أسيراً في بدر، وهو الذي نزل فيه قول الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا﴾الفرقان: ٢٧.

١٠- ولم يسلم رسولنا حتى من الأذى النفسي، فعن جندب بن سفيان رضي الله عنه قال: اشتكى رسول الله ﷺ، فلم يقم ليلتين أو ثلاثاً، فجاءت امرأة فقالت: يا محمد، إني لأرجو أن يكون شيطانك قد تركك، لم أره قربَكَ منذ ليلتين أو ثلاثة، فأنزل الله عز

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب ما لقي النبي ﷺ وأصحابه من أذى المشركين، ح ٣٦٤٣.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده ٣/ ٢٨٦ والترمذي في سننه ٤/ ٦٤٥ وصححه الألباني في صحيح الجامع ٥٠٠١.

(٣) أخرجه الترمذي، ح٣٠٦٤، وصححه الشيخ ابراهيم العلي في صحيح أسباب النزول، ط دار القلم، ط١، ٢٠٠٣م، ح١٧٢.

(٤) أخرجه أبو نعيم في دلائل النبوة برقم ٤٠١، وقال الشيخ العلي في صحيح أسباب النزول برقم ٢٤٥: اسناده صحيح.

وجل: ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾ الضحى: ١ - ٣[1].

من صور الإيذاء التي تعرض لها الصحابة الكرام:

١- حاول المشركون فتنتهم عن دينهم، وممن أوذي في تلك الفترة: بلال رضي الله عنه فقد (أعطوه الوِلدان، وأخذوا يطوفون به شِعاب مكة، **وهو يقول: أحد أحد**)[2].

٢- يقول الإمام الواقدي: أعتق أبو بكر رضي الله عنه ممن كان يُعذَّب في الله سبعة: عامر بن فهيرة، وبلال، ونذيرة، وأم عبيس، والنهدية، وأختها، وجارية بني عمرو بن مؤمل)[3].

٣- ومن أعجب وأطرف صور الإيذاء، إيذاء العبد الكافر لسيده المؤمن، فقد أخرج ابن جرير في سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيۡنِ أَحَدُهُمَآ أَبۡكَمُ لَا يَقۡدِرُ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوۡلَىٰهُ أَيۡنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأۡتِ بِخَيۡرٍۖ هَلۡ يَسۡتَوِي هُوَ وَمَن يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ النحل: ٧٦، قال: نزلت في عثمان بن عفان ومولاه، **فقد كان عثمان ينفق على مولاه ويكفيه المؤونة، وكان الخادم يكره الإسلام ويأباه، وينهى عثمان عن الصدقة والمعروف، فنزلت فيهما**»[4].

٤- وقد نال النبي ﷺ الأذى لأجل أصحابه أيضاً، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «مرَّ الملأ من قريش بالنبي ﷺ، وعنده صهيب، وعمار، وبلال، وخباب، ونحوه من ضعفاء المسلمين، فقالوا: يا محمد أرضيت بهؤلاء من قومك!، هؤلاء الذين منَّ الله عليهم من بيننا!، أنحن نكون تبعاً لهؤلاء!، اطردهم عنك، فلعلك إن طردتهم أن نتبعك[5]، فنزلت هذه الآية: ﴿وَلَا تَطۡرُدِ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥ﴾ الأنعام: ٥٢.

---

(١) أخرجه البخاري برقم ٤٩٥٠، والآيات مطالع سورة الضحى.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده ١/ ٤٠٤ بإسناد حسن.

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه ١٢/ ١٠ بإسناد صحيح.

(٤) أخرجه الطبري، ١٤/ ١٥١، والواحدي في أسباب النزول، ٢٨٦، وقد ذكره الشيخ ابراهيم العلي في صحيح أسباب النزول برقم ٢١٨.

(٥) أخرجه مسلم، ح٢٤١٣.

وممن ناله الأذى كذلك:

عمار بن ياسر ووالداه، ولهم قال النبي ﷺ: « صبراً آل ياسر فإن موعدكم الجنة»[1].

خباب بن الأرت رضي الله عنه[2]، وهو الذي جاء شاكياً استضعاف المشركين له ولإخوانه من الصحابة، فقال له النبي ﷺ: «قد كان مَن قبلكم يؤخذ الرجل، فيُحفر له في الأرض، فيُجعل فيها، ثم يؤتى بالمنشار، فيوضع على رأسه، فيُجعل نصفين، ويُمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه، ما يصدُّه ذلك عن دينه، **والله ليُتمنَّ الله هذا الأمر، حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت، فلا يخاف إلا الله، والذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون**»[3].

أسلوب المناورة والإغراء:

١- ولما أدرك كفار مكة أن صور التعذيب والشدة والتشويش والشتائم والأذى النفسي والمادي لم تنفع في صدِّ النبي ﷺ وأصحابه الكرام عن دينهم، أخذوا يستخدمون أسلوب المناورة والإغراء، فعن محمد بن كعب القرظي، قال: حدثت أن عتبة بن ربيعة - وكان سيداً - قال يوماً وهو جالس في نادي قريش ورسول الله - ﷺ - جالس في المسجد وحده: يا معشر قريش، ألا أقوم إلى محمد فأكلمه، وأعرض عليه أموراً لعله يقبل بعضها، فنعطيه أيها شاء، ويكفَّ عنا؟ وذلك حين أسلم حمزة، ورأوا أصحاب رسول الله - ﷺ - يزيدون ويكثرون، فقالوا: بلى يا أبا الوليد، قم إليه فكلمه، فقام إليه عتبة حتى جلس إلى رسول الله - ﷺ - فقال: يا ابن أخي، إنك منا حيث قد علمت من السلطة في العشيرة والمكان في النسب،

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده: ٤٣٩، وقال الشيخ الألباني في تخريجه لأحاديث كتاب فقه السيرة للغزالي: حديث حسن صحيح، وهو في الأصل منقطع لكن له طرق تشهد له بالصحة.

(٢) ولخباب رضي الله عنه موقف كبير في تحدي عتاة المشركين، حيث يروي البخاري أن خباباً رضي الله عنه قال: «كنت قيْناً في الجاهلية، وكان لي على العاص بن وائل دَين، فأتيته أتقاضاه، قال: لا أعطيك حتى تكفر بمحمد ﷺ فقلت: لا أكفر حتى يميتك الله ثم تُبعث، قال: دعني حتى أموت وأبعث، فسأوتى مالاً وولداً فأقضيك، فنزلت: «أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتين مالاً وولداً أطلع الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهدا» سورة مريم الآيات ٧٧ و٧٨، والحديث أخرجه البخاري ح٢٠٩١..

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الإكراه، ح ٦٥٤٤.

وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم فرَّقتَ به جماعتهم، وسفَّهتَ به أحلامهم، وعبت به آلهتهم ودينهم، وكفَّرت به من مضى من آبائهم، فاسمع مني، أعرض عليك أموراً تنظر فيها، لعلك تقبل منها بعضها.

قال: فقال له رسول الله ﷺ: **قل يا أبا الوليد أسمع.**

قال: يا ابن أخي، **إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالاً، جمعنا لك من أموالنا، حتى تكون أكثرنا مالاً، وإن كنت تريد به شرفاً سوَّدناك علينا، حتى لا نقطع أمراً دونك، وإن كنت تريد به ملكاً ملَّكناك علينا، وإن كان هذا الذي يأتيك رِئياً تراه لا تستطيع رده عن نفسك، طلبنا لك الطب، وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه،** فإنه ربما غلب التابع على الرجل حتى يداوَى منه، أو كما قال له، **حتى إذا فرغ عتبة ورسول الله ﷺ يستمع منه قال: أقد فرغت يا أبا الوليد»؟**

قال: نعم، قال: « **فاسمع مني**»، قال: أفعل، قَالَ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝٣ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ۝٤ وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَٱعْمَلْ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ﴾فصلت: ١ - ٥.

ثم مضى رسول الله - ﷺ - فيها يقرؤها عليه فلما سمعها منه عتبة أنصت لها، وألقى يديه خلف ظهره معتمداً عليهما، يسمع منه، ثم انتهى رسول الله - ﷺ - إلى السجدة منها، فسجد ثم قال: قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت، فأنت وذاك.

فقام عتبة إلى أصحابه، **فقال بعضهم لبعض: نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به،** فلما جلس إليهم قالوا: ما وراءك يا أبا الوليد؟

قال: **ورائي أني قد سمعت قولاً والله ما سمعت مثله قط، والله ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة، يا معشر قريش أطيعوني واجعلوها بي، وخلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه فاعتزلوه، فو الله ليكونن لقوله الذي سمعت منه نبأ عظيم، فإن تصبه العرب فقد كُفيتموه بغيركم، وإن يظهر على العرب، فملكه ملككم، وعزه عزكم، وكنتم أسعد الناس به، قالوا: سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه.**

قال: هذا رأيي فيه فاصنعوا ما بدا لكم»[1].

أسلوب طلب الخوارق:

لجأ المشركون إلى استراتيجية طلب المعجزات المادية، وهو أسلوب مَن كان قبلهم من المشركين.

١- عن أنس رضي الله عنه: «أن أهل مكة سألوا نبي الله ﷺ أن يريهم آية، فأراهم انشقاق القمر مرتين»[2].

٢- وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «سأل أهل مكة النبي ﷺ أن يجعل لهم الصفا ذهباً، وأن ينحي الجبال عنهم فيزدرعوا، فقيل له: إن شئت أن تستأني بهم[3]، وإن شئت أن تؤتيهم الذي سألوا، فإن كفروا أهلكوا كما أهلكت من قبلهم، قال: لا، بل أستأني بهم[4]، فأنزل الله عز وجل هذه الآية: ﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْـَٔايَـٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ﴾الإسراء: ٥٩.

أسلوب إثارة الشبهات الفكرية:

١- عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: آيةٌ لا يسألني الناس عنها، لا أدري، أعرفوها فلم يسألوا عنها؟ أو جهلوها فلا يسألون عنها؟، قيل: وما هي؟ قال: لما نزلت: «إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون» شقَّ ذلك على قريش فقالوا: يشتم آلهتنا؟، فجاء ابن الزبعري[5] فقال: ما لكم؟ قالوا: يشتم

(١) أخرجه ابن إسحق في المغازي (١/ ١٨٥) من سيرة ابن هشام بسند حسن عن محمد ابن كعب القرظي مرسلاً، ووصله عبد بن حميد وأبو يعلى البغوي من طريق أخرى من حديث جابر - رضي الله عنه - تفسير ابن كثير (٤/ ٩٠ - ٩١) وسنده حسن إن شاء الله، قاله العلامة الألباني في تخريج فقه السيرة ص (١١٦).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب انشقاق القمر، ح ٣٩٥٥.

(٣) تصبر عليهم.

(٤) أخرجه النسائي في كتاب التفسير، ح٣١٠، وقد صححه الشيخ ابراهيم العلي في صحيح أسباب النزول، برقم ٢٢٣.

(٥) عبد الله بن الزبعري بن عدي بن قيس بن عدي بن سعيد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي القرشي، أبو سعيد، شاعر قريش في الجاهلية، كان يحارب المسلمين في شعرة حتى فُتحت مكة، فهرب إلى نجران، ثم عاد إلى مكة، واعتذر للنبي محمد، ومدحه، فأمر له بحلّة.

آلهتنا، قال: فما قال: قالوا: الآية.، قال: ادعوه لي، فلما دُعي رسول الله ﷺ قال: يا محمد هذا شيء لآلهتنا خاصة أو لكل مَن عُبد مِن دون الله؟ قال: لا، بل لكل من عُبد من دون الله، فقال ابن الزبعري: خُصمتَ ورب الكعبة، ألستَ تزعم أن الملائكة عبادٌ صالحون، وأن عيسى عبد صالح، وأن عزيراً عبد صالح؟ قال: بلى: قال: فهذه بنو مُليح يعبدون الملائكة، وهذه النصارى يعبدون عيسى، وهذه اليهود يعبدون عزيراً، فصاح اليهود (يعني فرحاً)، فأنزل الله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾الأنبياء: ١٠١ (١).

٢- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء مشركو قريش إلى رسول الله ﷺ يخاصمون في القدر، فنزلت هذه الآية: ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾القمر: ٤٨ - ٤٩ (٢).

الأنوار والفوائد

أنوار وفوائد في العلاقات والحياة الاجتماعية:

١- «كان من المنطقي أن تبدأ الدعوة الجهرية بالأقارب، لأن التكليف في حقهم أوجب، ولما يُرجى من اهتدائهم، قال تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ الشعراء: ٢١٤»(٣)، وقد كان الرد القاسي متوقعاً من قوم اعتادوا على الوثنية، حتى صارت تجري منهم مجرى الدماء في العروق، ولا يدل الرفض العلني من قبل أبي لهب لدعوة النبي ﷺ على الرفض المطلق لآل النبي ﷺ كلهم، **ولكن لعله**

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير برقم ١٢٧٣٩، وذكره الشيخ ابراهيم العلي في صحيح أسباب النزول برقم ٢٣١ وقال: اسناده صحيح، والآيات من سورة الأنبياء.

(٢) أخرجه مسلم، كتاب القدر، باب كل شيء بقدر، برقم ٢٦٥٦.

(٣) الروض الآنف للسهيلي: ٤٦/٢، وسيرة ابن هشام: ٢٩٣/١، وقد حسنه الألباني في صحيح السيرة النبوية ص١٥٩، وذكره في فقه السيرة ص ١٠٦، وقال: حسن.
فائدة: يقول الشيخ الألباني بأن حديث: «والله يا عم لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري...» ضعيف، وانظر فقه السيرة للغزالي: ص١١٦.

كان لعلوِّ صوت أبي لهب، وارتفاع نبرته، وسبقه في تحدي الدعوة الإسلامية، لم يُسمع حينئذ صوت غيره.

٢- صحيح أن بعض مشركي قريش قد حرصوا على فتنة أقاربهم عن دينهم الجديد، إلا أن البعض الآخر كانوا يشكلون معاً جداراً مانعاً من تسرُّب الشرك إليهم بعد الإيمان، حتى لو تسبب ذلك بهلاكهم في ذات الإله العظيم، ومن هؤلاء آل ياسر رضي الله عنهم أجمعين.

٣- في اللغة القريبة التي استخدمها عتبة بن ربيعة (أبو الوليد) وهو يخاطب النبي ﷺ قائلاً: يا ابن أخي، ما يدل على أن للقرابة والنَّسب ما لهما في باب تقريب وجهات النظر، وتسهيل مهمة الحوار، وإن لم يصل أبو الوليد إلى مراده ولم يحقق غايته.

٤- ليس الغريب في المجتمع القبلي أن تجد صدوداً عند طرح فكرتك الجديدة، إنما الغريب هو الموافقة لك ومتابعتك على ما ترى، ومن هنا ينبغي استحضار شرف المسلمين الأوائل، وإبداء الإعجاب في الخطوة الجريئة التي اتخذوها أكثر من اندهاشنا مما سمعنا عن الصدود والجحود لدى باقي أهل مكة، وما تبعها من صور الإيذاء لشخص صاحب الفكر الجديد، والهدي الرشيد، وأصحابه الكرام ومَن ناصره.

٥- في تشديد عقوبة أبي لهب وتعنيفه في القران ما يؤكد شدة جُرمه باعتبار أن المتوقع منه الانتصار لابن اخيه لا محاربته.

أنوار وفوائد في إدارة المواقف والسياسة الشرعية:

١- كان قرار التحول من الدعوة السرية إلى العلنية قراراً مكلفاً، لكنه كان مدعوماً بتكليف الوحي وتأييده، فالدعوة لابد وأن تظهر ذات يوم، لاسيما وأنها تكتسب صفة العالمية، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ الأنبياء: ١٠٧، ولن تقف عند حدود مكة وأهلها، **ومثلما شكَّل الإعلان عن الدعوة والجهر بها تحدياً صارخاً لكفار مكة ما جعل ذلك أيضاً يزيد من كلفة الحركة بالإسلام على الصحابة الكرام، إلا أن ذلك كان بمثابة فرصة كبيرة للإعلان عن العقيدة، وإقامة**

الحجة على القريب والبعيد.

٢- من المعلوم أنه في السياسة الشرعية قاعدة أصولية تقول: بأن درء المفاسد أولى من جلب المصالح، ولاشك أن لهذه القاعدة حضورها البالغ في مختلف مجالات السياسة الشرعية، ولكن ليس كل مفسدة درؤها أولى من جلب كل مصلحة، لأن المصالح العليا لابد لتحققها في عالم البشر من تضحيات، **ولا يصح مقارنة مفسدة ما نتج عن الجهر بالدعوة من أذى للنبي ﷺ وأصحابه، بما تحصَّل للدعوة على إثر ذلك من مصالح وبركات، إذ لا تزال الأمة إلى يومنا هذا تجني بركات الدعوة الجهرية.**

٣- لم تكن قريش لتلجأ لأسلوب المناورة وتقديم العروض والبحث عن أنصاف الحلول؛ إلا بعدما رأت من ثباتٍ وصلابةٍ لأصحاب النبي ﷺ من جهة، ولوجود مكاسب دعوية جديدة لصالحه، تكللت في إسلام حمزة رضي الله عنه من جهة أخرى، **وهكذا هي سنة التدافع بين الخير والشر، يحكم الشدُّ والجذب فيها عوامل وأوراق ضغط بين جميع الأطراف.**

٤- من حُسن إدارة الموقف الدعوي في الحوار الذي تم بين النبي ﷺ وأبي الوليد تركُهُ يتكلم حتى ينهي ما جاء به بشكل تام، **لأن إصغاءك للآخرين يفرض عليهم الإصغاء لك عندما تتكلم**، ولاشك أن اختيار النبي ﷺ آيات من سورة فُصلت لم يكن من فراغ، وإنما كان لما فيها من ترغيب وترهيب، ولما تحمله من بيان للعلة التي استحكمت من قريش، وهي الكِبر، والأسباب الحقيقية التي تقف وراء كفرها.

٥- على الرغم مما أصاب النبي ﷺ وأصحابه من أذى وبلاء، إلا أنه لم يصدر عن ردود أفعال، فلم يُعلن النفير، ولم يبدأ بتوجيه ضربات عسكرية للمجتمع المكي، ولعل السبب الأبرز في ذلك أنه كان حريصاً على تمكين (**السلم المجتمعي**) في مكة، لا لأجل حُرمة مكة فحسب، وإنما لما للسلم المجتمعي من دَور في تمكين فكرة الداعية دون ضغط ولا إكراه في المجتمع، ومن أسباب ذلك كما ذكر

الدكتور علي الصلابي[1]:

- أن العهد المكي كان عهد إعداد وتربية وزرع للعقيدة الراسخة.
- أن الدعوة السلمية آنذاك كانت أشد أثراً وأنفذ، في بيئة ذات عنجهية وشرف، قد يستفزها القتال إلى الانجرار في معارك تبدأ ولا تكاد تنتهي.
- حتى لا تدخل المعارك في كل بيت من بيوتات مكة.
- لعلم الله تعالى الأزلي المسبق أن كثيراً من المعاندين للدعوة والرافضين لها اليوم، سيكونون من جنودها والمدافعين عنها غداً.
- ولقلة عدد المسلمين آنذاك، وأي عمل مسلح في ضوء هذه القلة العددية يكون من باب المجازفة غير المحمودة.
- أنه لم تكن هنالك ظروف قاهرة وملحة للقتال، طالما أن هنالك مجال للصبر من جهة، أو حتى للهجرة من جهة أخرى.

قلت: والأمور تُقدَّرُ بقدرها، وهذا علم يرتبط بفقه الميدان، وفقه السياسة الشرعية، وإلا فقد ملَك النبي ﷺ حقَّ الرد على كل من آذاه في مكة، لكنه لم يستخدم هذا الحق إلا خارج أسوار مكة، وقد تحدى قريشاً يوم أن خرج لاعتراض قوافلها التجارية، في صورة توحي بأنه ﷺ يريد أن يستخدم حقه في الرد على من آذاه وشرَّد أصحابه، فكان أن قرر الله تعالى عليه بدل العير النفير، قال تعالى: ﴿وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ﴾الأنفال: ٧، **وصدق الله:** ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾الحج: ٣٩.

٦- إن صحت رواية ما جرى لعمار رضي الله عنه[2]، وأنه قال في اللات والعزى خيراً أو أنه شتم النبي ﷺ، مع شدة ما لاقاه من عذاب، وأن النبي ﷺ قال له: «فكيف تجد قلبك؟ قال: أجده مطمئناً بالإيمان، فقال: يا عمار، إن عادوا فعُدْ، فأنزل الله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾النحل: ١٠٦، **فإن من السياسة**

---

(١) السيرة النبوية للدكتور علي الصلابي/ ص٢٤٨.

(٢) يحكي الشيخ الألباني رحمه الله أنه كان قد اغترَّ بالرواية قديماً فصححها، لكنه اكتشف لاحقا أنها معلولة بالإرسال، ثم هو في الوقت ذاته يؤكد أن الآية إنما نزلت في عمار رضي الله عنه من مجموع طرق ساقها الإمام الطبري في التفسير، ولك أن تنظر في تخريجات الشيخ الألباني على فقه السيرة للشيخ الغزالي: ص١١٢.

الشرعية، ومن حُسن إدارة الموقف؛ الأخذ بالرخصة، والتلفظ حتى بالكفر عند الضرورة القصوى، والضرورات تبيح المحظورات، لكن الضرورات تُقَدَّرُ بقدرها، وهي تبيح (مؤقتاً)، لكنها لا تستبيح (مطلقاً) المحظورات.

٧- لقد أوتي بعض أعداء الإسلام الجدل فلا بأس من إحالة ملف الرد عليهم في بعض المواقف بشكل تام للوحي الكريم، لاسيما إذا كانت الشبهات التي يثيرونها حول القرآن الكريم، ففي كتاب الله تعالى شفاء الغليل من كل مرض عليل.

٨- إن صحَّت رواية طريقة إسلام حمزة رضي الله عنه، وأنه أسلم غضباً لابن أخيه سيدنا محمد ﷺ، فإن توجيه الدكتور منير الغضبان في ذلك يكون موفقاً إذ يقول: « لقد أسلم حمزة إسلاماً سياسياً ابتداءً، ثم كان إسلاماً إيمانياً فيما بعد، واستعمل القيم الجاهلية في مجتمعه، إذ لم يكن جزءاً من المجتمع الإسلامي المكلف بكف اليد، (في إشارة إلى حالة لطمه لأبي جهل)، ويكفي أن نعرف أنه أسلم حميَّة وغضباً»[1].

أنوار وفوائد في الجانب الاقتصادي والمعاشي:

١- كان للثقل المادي والسعة التي يتمتع بها أبو بكر رضي الله عنه الدور الأكبر في نصرة الدعوة وأهلها، وهي في مهدها، لاسيما بعد مرحلة الجهر بالدعوة، وما تبعها من أذى وبلاء.

٢- كان للثقل المادي الذي يتمتع به بعض كبراء قريش دَور كبير في استخدام أدوات الضغط بشقيها؛ المادية والمعنوية على المسلمين، كيف لا وهم برون في الرسالة الجديدة تهديداً لمصالحهم وقطعاً لأطماعهم وضبطاً لمكتسباتهم، فكان الترهيب المأجور، بالمال السياسي، **أو ما يسمى ب (البلطجة) باستخدام بعض الولدان في سبيل إيذاء المسلمين الجدد من جهة، كما فُعل ببلال رضي الله عنه، وكان الترغيب بالمساومة أو ما يسمى ب (الاختراق والإسقاط) لأجل ترك الدين مقابل المال والجاه والملك، كما فعل أبو الوليد مع النبي ﷺ، ولكن الضغط**

(١) المنهج السياسي للسيرة النبوية، الدكتور منير الغضبان، دار السلام، القاهرة، ط١، ٢٠١٣م، ص٥٨.

المادي والإيذاء في الأرزاق والمعيشة لم تكن لتصدَّ مسلماً عن دينه، ولا صاحب فكر عن فكرته أبداً.

٣- لم يكن النبي ﷺ ليلبي جميع ما طلب المشركون من خوارق مادية باعتبار أن معجزته الكبرى - وهي القرآن الكريم - كانت معنوية أدبية بلاغية تشريعية، تتناسب مع ما يتقنون، لكنه في الوقت ذاته كان يستعين بالله تعالى، فيُجري على يديه بعض الخوارق، مثل: انشقاق القمر وغيرها، وهو من خلال منهج الاعتدال والاقتصاد يُقدِّر ما يجيبهم عليه من الخوارق، وما لا يجيبهم، بحسب ما يرى من حاجتهم، كما الطبيب الذي يُقدِّر حاجة المريض لجرعة الدواء، وهو يعلم أن الزيادة في الجرعة والنقصان منها في إيذاء المريض سواء.

أنوار وفوائد في الجانب التربوي القيمي وتهذيب السلوك:

١- ليس من زاد في ميدان البلاء؛ أعظم من زاد القدوة الحسنة في الصبر والمصابرة والاحتساب والثبات والتضحية، وغيرها من القيم العليا المرتبطة بالبلاء، **ولقد ربى النبي ﷺ أصحابه على الثبات بثباته، وعلى الصبر بصبره، وعلى التضحية بتضحيته وهكذا.**

٢- **صحيح أن سعة الصدر، والاستيعاب، والقدرة على الاحتمال مطلوبة، ولكن للمظلوم أن يدعو على ظالمه، ولا حرج في ذلك**[1]، فلقد كان من عادة النبي ﷺ أن يدعو لقومه بالهداية، لكن دعاءه عليهم في بعض المواقف، أو دعاءه المحدد على بعضهم لا يقلل من قيمة صبره عليهم، واحتماله الأذى في سبيل الله تعالى.

٣- كان النبي ﷺ يتمتع بفنٍ لطالما كان ينقص الدعاة في كل زمان ومكان، **ألا وهو**

(١) تحكي رواية أخرى أن النبي ﷺ لما اشتدَّ به الأذى من قريش «دعا عليهم بسنين كسنيِّ يوسف، فأصابهم قحط وجهد، حتى أكلوا العظام، فجعل الرجل ينظر الى السماء فيرى ما بينه وبينها كهيئة الدخان من الجهد، فأنزل الله تعالى: «فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين يغشى الناس هذا عذاب أليم» قال: فأُتي رسول الله ﷺ فقيل له: يا رسول الله استسق الله لمضر، فإنها قد هلكت، قال: لمضر؟! إنك لجريء، فاستسقى لهم فسقوا، فنزلت: « إنكم عائدون « فلما أصابتهم الرفاهية عادوا إلى حالهم حين أصابتهم الرفاهية، فأنزل الله عز وجل: «يوم نبطش البطشة الكبرى إنَّا منتقمون» قال: يعني يوم بدر».أخرجه البخاري برقم ١٠٠٧، والآيات من مطالع سورة الدخان.

فنُّ التغافل، ويظهر ذلك من حديثه عن قريش التي كانت تشتم مذمماً، وهو يقول بأنه محمد، وليس مذمماً.

٤- أجرى الدكتور صالح رضا شيئاً من **التحليل لشخصية المشركين في العهد المكي**، وذلك بغية التعرف على الأرضية النفسية التي كان هؤلاء المشركون ينطلقون منها لممارسة إيذاء النبي ﷺ وأصحابه، ومحاصرة دعوتهم الوليدة، وذكر من ذلك[1]:

- أنهم مفلسون من الحجج المنطقية التي تؤيد مواقفهم العقدية.
- أنهم مفلسون من الطمأنينة النفسية، ويشعرون بالضعف والانهزام النفسي أمام النبي ﷺ واتباعه الكرام.
- أنهم خائفون على مصالحهم الشخصية ومكانتهم الاجتماعية.
- أنهم أتباع لأهوائهم، فهي أساس حركتهم، وليس الحق والمبادئ والقيم.
- أنهم ضعاف يقبلون بأنصاف الحلول للخروج من الحرج والضيق النفسي.
- السطحية في التفكير والنظرات الظاهرية للأمور.
- البعد الدنيوي المادي حاضر وغالب عليهم، دون أي اعتبار للمغيبات وما وراء عالم المادة.

٥- مثلما اهتمت السيرة بدراسة أحوال الثابتين الأوائل، كان لا بد من الاهتمام بدراسة نماذج السوء القبيحة كأبي جهل وأبي لهب وابن أبي المعيط وغيرهم لما في دراستهم دراسة نفسية مستوعبة من فائدة باعتبار تكرر تلك الشخصيات القبيحة عبر التاريخ.

(١) إنها النبوة، الدكتور صالح رضا، مطبعة الشرق الأوسط، ط٣، ٢٠١٠م، ص١٤٩، بتصرف.

قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْ لَنُبَوِّئَنَّهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗۖ وَلَأَجۡرُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَكۡبَرُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ﴾ النحل: ٤١.

يقول قتادة: «المراد أصحاب محمد ﷺ، ظلمهم المشركون بمكة، وأخرجوهم، حتى لحق طائفة منهم بالحبشة، ثم بوَّأهم الله تعالى دار الهجرة، وجعل لهم أنصاراً من المؤمنين»[(١)].

أولا: الهجرة إلى الحبشة

هاجر الصحابة الكرام إلى الحبشة مرتين؛ كانت الأولى منهما في شهر رجب من سنة خمس من البعثة، وهم أحد عشر رجلاً وأربع نسوة، خرجوا مُشاة إلى البحر، فاستأجروا سفينة بنصف دينار[(٢)].

أسباب الهجرة إلى الحبشة[(٣)]:

- يقول الدكتور راغب السرجاني: «في قرار الهجرة قد يثار سؤال مهم مفاده: **هل قرر المسلمون الهجرة للحفاظ على الدعوة أم للحفاظ على الدعاة؟** فهل يضحَّى بالدعوة من أجل الحفاظ على الدعاة، أم يضحَّى بالدعاة من أجل الحفاظ على الدعوة؟ ويرجح أن السبب هو حماية الدعوة، لأنها الأصل الأهم، ويؤكد أن إرادة أن يكون للدعوة أكثر من مركز لحمايتها هو السبب الأبرز في الهجرة، دون تقليل من قيمة أرواح الدعاة»[(٤)].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن للإمام محمد بن أحمد القرطبي، دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٩٩٥م، ج١٠/ ١٠٧.

(٢) السيرة النبوية لعبد الملك بن هشام، مؤسسة علوم القرآن، ط١، ١/ ٣٤٤.

(٣) يقال بأن النبي ﷺ قد تعرف على أخبار الحبشة وأحوالها من حاضنته أم أيمن التي كانت حبشية، وانظر في السيرة النبوية للدكتور الصلابي/ ص٢٩٣.

(٤) موقع قصة الإسلام على الشبكة العنكبوتية للدكتور راغب السرجاني، بتصرف.

- تقول أم سلمة رضي الله عنها وهي ممن هاجر للحبشة الهجرة الأولى: «لما ضاقت علينا مكة، وأوذي أصحاب رسول الله ﷺ وفُتنوا، ورأوا ما يصيبهم من البلاء والفتنة في دينهم، وأن رسول الله ﷺ لا يستطيع دفع ذلك عنهم، وكان رسول الله ﷺ في منَعَة من قومه وعمه، لا يصل إليه شيء مما يكره مما ينال أصحابه».
- **قلت: ولا مانع أن يكون من أسباب الهجرة إلى الحبشة فتح أفق جديد للدعوة** هناك وليس فراراً بالدين وبحثاً عن ملاذ آمنٍ فحسب، يقول الدكتور سلمان العودة: «ومما يدعم الرأي القائل بكون الدعوة للدين الجديد في أرض الحبشة سبباً وهدفاً من أسباب الهجرة، إسلام النجاشي، وإسلام آخرين من أهل الحبشة»[1].

التكليف بالهجرة:

- تتابع أم سلمة فتقول: فقال لهم رسول الله ﷺ: إن بأرض الحبشة ملِكاً لا يُظلم أحد عنده، فالحقوا ببلاده حتى يجعل الله لكم فرجاً ومخرجاً مما أنتم فيه، فخرجنا إليها أرسالاً حتى اجتمعنا بها، **فنزلنا بخير دار إلى خير جار، أمنَّا على ديننا، ولم نخش منه ظلماً**[2].
- يقول الدكتور منير الغضبان: «يكاد يكون جميع المسلمين قد مضوا إلى الحبشة، فقد هاجر من الخمسين الأوائل أربعة وعشرون، وهاجرت الخمسون الثانية تقريباً، ولم يبق في مكة إلا المجموعات التالية - وهذه لم تغادر مكة إطلاقاً، وهي التي تعرضت للحصار في الشِّعب- وهم محمد رسول الله ﷺ ورهطُه، وأبو بكر رضي الله عنه ورهطُه، وعمر رضي الله عنه ورهطُه، وعدَّدهم فوجدهم ستاً وعشرين صحابياً، ثم قال: **وكأنما نُقل مركز الدعوة كله إلى الحبشة، وبقي حول رسول الله ﷺ كتيبة الفدائيين**»[3].

---

(١) الهجرة الأولى في الإسلام: الدكتور سليمان بن حمد العودة/دار طيبة للنشر/ ط ١/ ١٤١٩ه/ ص٣٤.

(٢) فتح الباري ٧/ ١٨٩، وسيرة ابن هشام ١/ ٣٣٤ بإسناد حسن.

(٣) المنهج السياسي للسيرة النبوية، الدكتور منير الغضبان، دار السلام، القاهرة، ط١، ٢٠١٣م، ص٨٦.

هجرة أبي بكر رضي الله عنه للحبشة:

- وممن خرج مهاجراً إلى الحبشة أبو بكر رضي الله عنه، لكن رجلاً من كفار مكة وأشرافها يدعى: ابن الدغنَّة لحقه ومنعه من الخروج، وأدخله في جواره حامياً له من كفار مكة حتى حين[1]، يقول أبو بكر الجزائري: «في هجرة أبي بكر رضي الله عنه مثلٌ لكل مؤمن يُضطهد في بلده، فيخرج منه طالباً لعزة نفسه، وحرية عمله الإسلامي»[2].
- وممن هاجر إلى الحبشة: عثمان بن عفان، الزبير بن العوام، مصعب بن عمير، أبو سلمة، عثمان بن مظعون، سهيل بن بيضاء، عامر بن ربيعة، أبو حذيفة بن ربيعة، وغيرهم، ومن النساء: رقية بنت النبي ﷺ، سهلة بنت سهيل بن عمرو، أم سلمة.

سبب العودة من الهجرة الأولى للحبشة:

- ثبت أن النبي ﷺ قد صلى في المسجد الحرام بعد الهجرة الأولى للحبشة، فقرأ من سورة السجدة، ففزع كفار مكة وخافوا، فسجدوا عند موضع السجود، كما سجد النبي ﷺ إلا اثنين من مستكبريها، فشاع الخبر أن قريشاً قد أسلمت، وعندئذ رجع مهاجرو الحبشة الأوائل إلى مكة[3].
- اكتشف الصحابة أن أهل مكة لم يسلموا فرجعوا إلى الحبشة، وقد زاد عددهم حتى تجاوز الثمانين رجلاً، سوى نسائهم وأبنائهم، وقيل أنهم كانوا اثنين وثمانين رجلا وثماني عشر امرأة[4].

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه، ح ٣٦٩٤.

(٢) هذا الحبيب محمد ﷺ يا محب، أبو بكر الجزائري، دار البيان الحديثة، ط١، ٢٠٠٢م، ص١٠٢.

(٣) أخرجه البخاري كما في الفتح ٢/ ٥٥١، ومسلم ١/ ٤٠٥، وذلك دون قصة الغرانيق الموضوعة، والتي فيها زيادة تقول بأن النبي ﷺ داهن المشركين وقال عن آلتهم: (تلك الغرانيق العلا وإن شفاعتهن لترتجى) وهذا مما لا أصل له.

(٤) أخرجه البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه، ح ٣٦٩٤.

حكاية ملاحقة قريش للمهاجرين:

وفي تفصيل لقاء الصحابة الكرام بالنجاشي رحمه الله تقول أُمُّ سَلَمَةَ ابْنَةِ أَبِي أُمَيَّةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ زَوْجُ النَّبِيِّ ﷺ: «لَمَّا نَزَلْنَا أَرْضَ الْحَبَشَةِ جَاوَرْنَا بِهَا خَيْرَ جَارٍ، النَّجَاشِيَّ أَمِنَّا عَلَى دِينِنَا، وَعَبَدْنَا اللَّهَ لَا نُؤْذَى وَلَا نَسْمَعُ شَيْئًا نَكْرَهُهُ، فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ قُرَيْشًا، ائْتَمَرُوا أَنْ يَبْعَثُوا إِلَى النَّجَاشِيِّ فِينَا رَجُلَيْنِ جَلْدَيْنِ وَأَنْ يُهْدُوا لِلنَّجَاشِيِّ هَدَايَا مِمَّا يُسْتَطْرَفُ مِنْ مَتَاعِ مَكَّةَ، وَكَانَ مِنْ أَعْجَبِ مَا يَأْتِيهِ مِنْهَا إِلَيْهِ الْأَدَمُ (الجلود)، فَجَمَعُوا لَهُ أَدَمًا كَثِيرًا، وَلَمْ يَتْرُكُوا مِنْ بَطَارِقَتِهِ بِطْرِيقًا إِلَّا أَهْدَوْا لَهُ هَدِيَّةً، ثُمَّ بَعَثُوا بِذَلِكَ مَعَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ الْمَخْزُومِيِّ، وَعَمْرِو بْنِ الْعَاصِ بْنِ وَائِلٍ السَّهْمِيِّ، وَأَمَرُوهُمَا أَمْرَهُمْ، **وَقَالُوا لَهُمَا: ادْفَعَا إِلَى كُلِّ بِطْرِيقٍ هَدِيَّتَهُ قَبْلَ أَنْ تُكَلِّمُوا النَّجَاشِيَّ فِيهِمْ، ثُمَّ قَدِّمُوا لِلنَّجَاشِيِّ هَدَايَاهُ، ثُمَّ سَلُوهُ أَنْ يُسْلِمَهُمْ إِلَيْكُمْ قَبْلَ أَنْ يُكَلِّمَهُمْ**، قَالَتْ: فَخَرَجَا، فَقَدِمَا عَلَى النَّجَاشِيِّ، وَنَحْنُ عِنْدَهُ بِخَيْرِ دَارٍ، وَعِنْدَ خَيْرِ جَارٍ، فَلَمْ يَبْقَ مِنْ بَطَارِقَتِهِ بِطْرِيقٌ إِلَّا دَفَعَا إِلَيْهِ هَدِيَّتَهُ قَبْلَ أَنْ يُكَلِّمَا النَّجَاشِيَّ، ثُمَّ قَالَا: لِكُلِّ بِطْرِيقٍ مِنْهُمْ إِنَّهُ قَدْ صَبَا إِلَى بَلَدِ الْمَلِكِ مِنَّا غِلْمَانٌ سُفَهَاءُ، فَارَقُوا دِينَ قَوْمِهِمْ، وَلَمْ يَدْخُلُوا فِي دِينِكُمْ، وَجَاءُوا بِدِينٍ مُبْتَدَعٍ لَا نَعْرِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتُمْ، وَقَدْ بَعَثَنَا إِلَى الْمَلِكِ فِيهِمْ أَشْرَافُ قَوْمِهِمْ لِنَرُدَّهُمْ إِلَيْهِمْ، فَإِذَا كَلَّمْنَا الْمَلِكَ فِيهِمْ، فَتُشِيرُوا عَلَيْهِ بِأَنْ يُسْلِمَهُمْ إِلَيْنَا، وَلَا يُكَلِّمَهُمْ، فَإِنَّ قَوْمَهُمْ أَعْلَى بِهِمْ عَيْنًا، وَأَعْلَمُ بِمَا عَابُوا عَلَيْهِمْ، فَقَالُوا لَهُمَا: نَعَمْ...».

حكاية ما جرى في مجلس النجاشي:

تتابع أم سلمة رضي الله عنها فتقول: «ثُمَّ إِنَّهُمَا قَرَّبَا هَدَايَاهُمْ إِلَى النَّجَاشِيِّ فَقَبِلَهَا مِنْهُمَا، ثُمَّ كَلَّمَاهُ فَقَالَا لَهُ: أَيُّهَا الْمَلِكُ، إِنَّهُ قَدْ صَبَا إِلَى بَلَدِكَ مِنَّا غِلْمَانٌ سُفَهَاءُ، **فَارَقُوا دِينَ قَوْمِهِمْ، وَلَمْ يَدْخُلُوا فِي دِينِكَ**، وَجَاءُوا بِدِينٍ مُبْتَدَعٍ لَا نَعْرِفُهُ نَحْنُ، وَلَا أَنْتَ، وَقَدْ بَعَثَنَا إِلَيْكَ فِيهِمْ أَشْرَافُ قَوْمِهِمْ مِنْ آبَائِهِمْ، وَأَعْمَامِهِمْ، وَعَشَائِرِهِمْ، لِتَرُدَّهُمْ إِلَيْهِمْ، فَهُمْ أَعْلَى بِهِمْ عَيْنًا، وَأَعْلَمُ بِمَا عَابُوا عَلَيْهِمْ، وَعَاتَبُوهُمْ فِيهِ.

قَالَتْ: وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ أَبْغَضَ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ، وَعَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، مِنْ أَنْ يَسْمَعَ النَّجَاشِيُّ كَلَامَهُمْ.

فَقَالَتْ بَطَارِقَتُهُ حَوْلَهُ: صَدَقُوا أَيُّهَا الْمَلِكُ، قَوْمُهُمْ أَعْلَى بِهِمْ عَيْنًا، وَأَعْلَمُ بِمَا عَابُوا عَلَيْهِمْ، فَأَسْلِمْهُمْ إِلَيْهِمَا، فَلْيَرُدَّاهُمْ إِلَى بِلَادِهِمْ وَقَوْمِهِمْ.

قَالَتْ: فَغَضِبَ النَّجَاشِيُّ، ثُمَّ قَالَ: **لَا هُم اللَّهِ ايْمُ اللَّهِ** (١) **إِذَنْ لَا أُسْلِمُهُمْ إِلَيْهِمَا، وَلَا أُكَادُ**(٢)**، قَوْمًا جَاوَرُونِي، وَنَزَلُوا بِلَادِي، وَاخْتَارُونِي عَلَى مَنْ سِوَايَ، حَتَّى أَدْعُوَهُمْ فَأَسْأَلَهُمْ مَاذَا يَقُولُ هَذَانِ فِي أَمْرِهِمْ، فَإِنْ كَانُوا كَمَا يَقُولَانِ، أَسْلَمْتُهُمْ إِلَيْهِمَا وَرَدَدْتُهُمْ إِلَى قَوْمِهِمْ، وَإِنْ كَانُوا عَلَى غَيْرِ ذَلِكَ، مَنَعْتُهُمْ مِنْهُمَا، وَأَحْسَنْتُ جِوَارَهُمْ مَا جَاوَرُونِي.**

قَالَتْ: ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَدَعَاهُمْ فَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولُهُ اجْتَمَعُوا، ثُمَّ قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: مَا تَقُولُونَ لِلرَّجُلِ إِذَا جِئْتُمُوهُ؟ قَالُوا: نَقُولُ وَاللَّهِ مَا عَلَّمَنَا، وَمَا أَمَرَنَا بِهِ نَبِيُّنَا ﷺ، كَائِنٌ فِي ذَلِكَ مَا هُوَ كَائِنٌ فَلَمَّا جَاءُوهُ وَقَدْ دَعَا النَّجَاشِيُّ أَسَاقِفَتَهُ، فَنَشَرُوا مَصَاحِفَهُمْ حَوْلَهُ، سَأَلَهُمْ فَقَالَ: مَا هَذَا الدِّينُ الَّذِي فَارَقْتُمْ فِيهِ قَوْمَكُمْ، وَلَمْ تَدْخُلُوا فِي دِينِي، وَلَا فِي دِينِ أَحَدٍ مِنْ هَذِهِ الْأُمَمِ...؟.

توفيق الله تعالى لجعفر رضي الله عنه في الحوار:

قَالَتْ أم سلمة رضي الله عنها: «فَكَانَ الَّذِي كَلَّمَهُ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، فَقَالَ لَهُ: أَيُّهَا الْمَلِكُ، كُنَّا قَوْمًا أَهْلَ جَاهِلِيَّةٍ نَعْبُدُ الْأَصْنَامَ وَنَأْكُلُ الْمَيْتَةَ وَنَأْتِي الْفَوَاحِشَ وَنَقْطَعُ الْأَرْحَامَ وَنُسِيءُ الْجِوَارَ، يَأْكُلُ الْقَوِيُّ مِنَّا الضَّعِيفَ، فَكُنَّا عَلَى ذَلِكَ حَتَّى بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْنَا رَسُولًا مِنَّا نَعْرِفُ نَسَبَهُ وَصِدْقَهُ وَأَمَانَتَهُ وَعَفَافَهُ، فَدَعَانَا إِلَى اللَّهِ لِنُوَحِّدَهُ وَنَعْبُدَهُ، وَنَخْلَعَ مَا كُنَّا نَعْبُدُ وَآبَاؤُنَا مِنْ دُونِهِ مِنَ الْحِجَارَةِ وَالْأَوْثَانِ، وَأَمَرَنَا بِصِدْقِ الْحَدِيثِ، وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ وَصِلَةِ الرَّحِمِ وَحُسْنِ الْجِوَارِ وَالْكَفِّ عَنِ الْمَحَارِمِ وَالدِّمَاءِ، وَنَهَانَا عَنِ الْفَوَاحِشِ وَقَوْلِ الزُّورِ وَأَكْلِ مَالَ الْيَتِيمِ وَقَذْفِ الْمُحْصَنَةِ، وَأَمَرَنَا أَنْ نَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَأَمَرَنَا بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالصِّيَامِ.

قَالَتْ: فَعَدَّدَ عَلَيْهِ أُمُورَ الْإِسْلَامِ، فَصَدَّقْنَاهُ وَآمَنَّا بِهِ وَاتَّبَعْنَاهُ عَلَى مَا جَاءَ بِهِ، فَعَبَدْنَا اللَّهَ وَحْدَهُ فَلَمْ نُشْرِكْ بِهِ شَيْئًا، وَحَرَّمْنَا مَا حَرَّمَ عَلَيْنَا وَأَحْلَلْنَا مَا أَحَلَّ لَنَا، فَعَدَا عَلَيْنَا قَوْمُنَا

(١) من أنواع اليمين لدى أهل الحبشة.

(٢) البعض ضبطها بالفتح (ولا أكاد)، والبعض ضبطها بالضم (ولا أُكاد)، وعند ضبطها بالفتح تفيد التأكيد وعند ضبطها بالضم تفيد شدة حذر النجاشي وأنه لا يقع في المكائد والأفخاخ.

فَعَذَّبُونَا وَفَتَنُونَا عَنْ دِينِنَا لِيَرُدُّونَا إِلَى عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ مِنْ عِبَادَةِ اللَّهِ، وَأَنْ نَسْتَحِلَّ مَا كُنَّا نَسْتَحِلُّ مِنَ الْخَبَائِثِ، **فَلَمَّا قَهَرُونَا وَظَلَمُونَا وَشَقُّوا عَلَيْنَا وَحَالُوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ دِينِنَا، خَرَجْنَا إِلَى بَلَدِكَ وَاخْتَرْنَاكَ عَلَى مَنْ سِوَاكَ وَرَغِبْنَا فِي جِوَارِكَ وَرَجَوْنَا أَنْ لَا نُظْلَمَ عِنْدَكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ.**

قَالَتْ: فَقَالَ لَهُ النَّجَاشِيُّ: هَلْ مَعَكَ مِمَّا جَاءَ بِهِ عَنِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ؟ قَالَتْ: فَقَالَ لَهُ جَعْفَرٌ: نَعَمْ، فَقَالَ لَهُ النَّجَاشِيُّ: فَاقْرَأْهُ عَلَيَّ، فَقَرَأَ عَلَيْهِ صَدْرًا مِنْ (كهيعص) سورة مريم آية١، قَالَتْ: فَبَكَى وَاللَّهِ النَّجَاشِيُّ، حَتَّى أَخْضَلَ لِحْيَتَهُ، وَبَكَتْ أَسَاقِفَتُهُ حَتَّى أَخْضَلُوا مَصَاحِفَهُمْ حِينَ سَمِعُوا مَا تَلَا عَلَيْهِمْ، ثُمَّ قَالَ النَّجَاشِيُّ: **إِنَّ هَذَا وَاللَّهِ وَالَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى لَيَخْرُجُ مِنْ مِشْكَاةٍ وَاحِدَةٍ، انْطَلِقَا فَوَ اللَّهِ لَا أُسْلِمُهُمْ إِلَيْكُمَا أَبَدًا، وَلَا أُكَادُ.**

الجولة الثانية واستمرار الكيد:

قَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: «فَلَمَّا خَرَجَا مِنْ عِنْدِهِ، قَالَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ: وَاللَّهِ لَأُنَبِّئَنَّهُ غَدًا عَيْبَهُمْ عِنْدَهُ، ثُمَّ أَسْتَأْصِلُ بِهِ خَضْرَاءَهُمْ، قَالَتْ: **فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ، وَكَانَ أَتْقَى الرَّجُلَيْنِ فِينَا: لَا تَفْعَلْ، فَإِنَّ لَهُمْ أَرْحَامًا، وَإِنْ كَانُوا قَدْ خَالَفُونَا،** قَالَ: وَاللَّهِ لَأُخْبِرَنَّهُ أَنَّهُمْ يَزْعُمُونَ أَنَّ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ عَبْدٌ، قَالَتْ: ثُمَّ غَدَا عَلَيْهِ الْغَدَ، فَقَالَ لَهُ: أَيُّهَا الْمَلِكُ إِنَّهُمْ يَقُولُونَ فِي عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ قَوْلًا عَظِيمًا، فَأَرْسِلْ إِلَيْهِمْ فَاسْأَلْهُمْ عَمَّا يَقُولُونَ فِيهِ، قَالَتْ: فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ يَسْأَلُهُمْ عَنْهُ.

الاستعداد للمواجهة الثانية وخوض غمارها بثبات:

قَالَتْ: وَلَمْ يَنْزِلْ بِنَا مِثْلُهَا، فَاجْتَمَعَ الْقَوْمُ فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: مَاذَا تَقُولُونَ فِي عِيسَى إِذَا سَأَلَكُمْ عَنْهُ؟ قَالُوا: نَقُولُ وَاللَّهِ فِيهِ مَا قَالَ اللَّهُ وَمَا جَاءَ بِهِ نَبِيُّنَا، كَائِنًا فِي ذَلِكَ مَا هُوَ كَائِنٌ، فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ، قَالَ لَهُمْ: مَا تَقُولُونَ فِي عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ؟ فَقَالَ لَهُ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ: **نَقُولُ فِيهِ الَّذِي جَاءَ بِهِ نَبِيُّنَا هُوَ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ وَرُوحُهُ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ الْعَذْرَاءِ الْبَتُولِ.**

لحظة الحسم ويظهر فيها انتصار الحق وخيبة الباطل:

قَالَتْ: فَضَرَبَ النَّجَاشِيُّ يَدَهُ إِلَى الْأَرْضِ، فَأَخَذَ مِنْهَا عُودًا، ثُمَّ قَالَ: مَا عَدَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ، مَا قُلْتَ هَذَا الْعُودَ، فَتَنَاخَرَتْ بَطَارِقَتُهُ حَوْلَهُ حِينَ قَالَ مَا قَالَ فَقَالَ: وَإِنْ نَخَرْتُمْ وَاللَّهِ، اذْهَبُوا فَأَنْتُمْ سُيُومٌ بِأَرْضِي، وَالسُّيُومُ: الْآمِنُونَ، مَنْ سَبَّكُمْ غُرِّمَ، ثُمَّ مَنْ سَبَّكُمْ غُرِّمَ[1]، فَمَا أُحِبُّ أَنَّ لِي دَبْرًا ذَهَبًا، وَأَنِّي آذَيْتُ رَجُلًا مِنْكُمْ، وَالدَّبْرُ بِلِسَانِ الْحَبَشَةِ: الْجَبَلُ، رُدُّوا عَلَيْهِمَا هَدَايَاهُمَا، فَلَا حَاجَةَ لَنَا بِهَا، فَوَ اللَّهِ مَا أَخَذَ اللَّهُ مِنِّي الرِّشْوَةَ حِينَ رَدَّ عَلَيَّ مُلْكِي فَآخُذَ الرِّشْوَةَ فِيهِ، وَمَا أَطَاعَ النَّاسَ فِيَّ فَأُطِيعَهُمْ فِيهِ، قَالَتْ: فَخَرَجَا مِنْ عِنْدِهِ مَقْبُوحَيْنِ مَرْدُودًا عَلَيْهِمَا مَا جَاءَا بِهِ، وَأَقَمْنَا عِنْدَهُ بِخَيْرِ دَارٍ مَعَ خَيْرِ جَارٍ.

ردُّ الجميل من الصحابة الكرام للنجاشي الطيب:

قَالَتْ: فَوَ اللَّهِ إِنَّا عَلَى ذَلِكَ إِذْ نَزَلَ بِهِ، يَعْنِي مَنْ يُنَازِعُهُ فِي مُلْكِهِ، قَالَ: فَوَ اللَّهِ مَا عَلِمْنَا حُزْنًا قَطُّ كَانَ أَشَدَّ مِنْ حُزْنٍ حَزِنَّاهُ عِنْدَ ذَلِكَ، تَخَوُّفًا أَنْ يَظْهَرَ ذَلِكَ عَلَى النَّجَاشِيِّ، فَيَأْتِيَ رَجُلٌ لَا يَعْرِفُ مِنْ حَقِّنَا مَا كَانَ النَّجَاشِيُّ يَعْرِفُ مِنْهُ، قَالَتْ: وَسَارَ النَّجَاشِيُّ وَبَيْنَهُمَا عُرْضُ النِّيلِ، قَالَتْ: فَقَالَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: مَنْ رَجُلٌ يَخْرُجُ حَتَّى يَحْضُرَ وَقْعَةَ الْقَوْمِ، ثُمَّ يَأْتِينَا بِالْخَبَرِ؟ قَالَتْ: فَقَالَ الزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ: أَنَا، قَالَتْ: وَكَانَ مِنْ أَحْدَثِ الْقَوْمِ سِنًّا، قَالَتْ: فَنَفَخُوا لَهُ قِرْبَةً، فَجَعَلَهَا فِي صَدْرِهِ، ثُمَّ سَبَحَ عَلَيْهَا، حَتَّى خَرَجَ إِلَى نَاحِيَةِ النِّيلِ الَّتِي بِهَا مُلْتَقَى الْقَوْمِ، ثُمَّ انْطَلَقَ حَتَّى حَضَرَهُمْ، قَالَتْ: وَدَعَوْنَا اللَّهَ لِلنَّجَاشِيِّ بِالظُّهُورِ عَلَى عَدُوِّهِ، وَالتَّمْكِينِ لَهُ فِي بِلَادِهِ، وَاسْتَوْسَقَ عَلَيْهِ أَمْرُ الْحَبَشَةِ، فَكُنَّا عِنْدَهُ فِي خَيْرِ مَنْزِلٍ، حَتَّى قَدِمْنَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ بِمَكَّةَ»[2].

تفضيل مهاجري الحبشة الكرام:

وفي المفاضلة بين مهاجري الحبشة والمدينة حصل مشهد ظريف، إذ قال عمر

---

(١) وفي رواية أن النجاشي قال لجعفر رضي الله عنه: أنت آمن في أرضي، من ضربك قتُلت، ومن سبك غرّمتُه، وقال لآذنه: متى استأذنك هذا فأذن له، إلا أن أكون عند أهلي، فإن أتى فأذن له» مجمع الزوائد ٦/ ٣٢.

(٢) سيرة ابن هشام ١/ ٢٨٦ وهو في مسند الإمام أحمد ح ١٦٧٦، بإسناد قال فيه الشيخ ابراهيم العلي: هو صحيح، وكذا صححه أحمد شاكر.

بن الخطاب رضي الله عنه ذات يوم لأسماء بنت عميس، وهي من المهاجرات إلى الحبشة: «سبقناكم بالهجرة (يعني للمدينة) فنحن أحق برسول الله ﷺ منكم.

فقالت: كلا والله، كنتم مع رسول الله يطعم جائعكم ويعظ جاهلكم، وكنا في دار البُعداء البُغضاء في الحبشة، وذلك في الله وفي رسوله...ففصل النبي ﷺ في الأمر بقوله: «**ليس بأحق بي منكم، وله ولأصحابه هجرة واحدة، ولكم أنتم أهل السفينة هجرتان، فعظم الفرح بين مهاجرة الحبشة**»[1].

هجرة الأشعريين للحبشة:

كان ممن انضمَّ إلى مهاجري الحبشة في جمع من قومه يبلغ عددهم ثلاثة وخمسون رجلاً أبو موسى الأشعري، وكانوا قد ركبوا السفينة يريدون الهجرة إلى المدينة؛ فألقتهم الرياح إلى الحبشة، فالتحقوا بالمسلمين، ومكثوا معهم إلى أن عادوا جميعاً إلى المدينة حين افتتح المسلمون خيبر، وكانوا كلهم تحت إمرة جعفر بن أبي طالب الذي فرح به النبي ﷺ كثيراً، وكان ذلك في السنة السابعة للهجرة[2].

إسلام النجاشي رحمه الله:

قال النبي ﷺ حين مات النجاشي: «مات اليوم رجل صالح، فقوموا فصلوا على أخيكم أصحمة»[3].

إسلام عمر رضي الله عنه:

وفي الفترة بعد هجرة الحبشة الأولى أسلم عمر بن الخطاب رضي الله عنه[4]،

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل جعفر رضي الله عنه، ح ٢٥٠٣.

(٢) انظر ما أخرجه البخاري/ فتح الباري ٦/ ٢٣٧، وهو من سيرة ابن هشام في قدوم جعفر في آخر غزوة خيبر، وقول النبي ﷺ: «لا أدري بأيهما أسَرُّ أكثر؛ بفتح خيبر، أم بقدوم جعفر» وحسنه الشيخ الألباني في تعليقه على أحداث غزوة خيبر فقه السيرة للغزالي،

(٣) أخرجه البخاري/ كتاب المناقب/ باب موت النجاشي/ ح٣٨٧٧.

(٤) هناك خلاف في تاريخ اسلام عمر رضي الله عنه بين من قال في أواخر السنة الثالثة للبعثة قبيل الجهر بالدعوة بقليل، لكن الدكتور أكرم العمري في السيرة الصحيحة يرجح أن اسلام عمر رضي الله عنه كان في السنة السادسة للبعثة.

وكان ذلك سنة ست من البعثة، وهو ابن ست وعشرين عاماً بعد أن كان شديداً غليظاً على المسلمين، حتى قال سعيد بن زيد زوج أخت عمر رضي الله عنه: «والله لقد رأيتني وإن عمر لموثقي على الاسلام قبل أن يُسلم»[1].

فلما أسلم قال فيه عبد الله بن مسعود رضي الله عنهما: «**ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر**»[2].

وقد صح أن عمر رضي الله عنه عند إسلامه دعا أكثر أهل قريش نقلاً للحديث وأخبره بشأن إسلامه لتعلم قريش أنه قد أسلم، فلما علمت قريش بذلك اجتمعوا يريدون قتل عمر رضي الله عنه حتى سال بهم الوادي، لولا إجارة العاص بن وائل السهمي له منهم، روى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: «بينما هو (عمر رضي الله عنه) في الدار خائفاً، إذ جاءه العاص بن وائل السهمي أبو عمرو، عليه حلة حبرة، وقميص مكفوف بحرير، وهو من بني سهم، وهم حلفاؤنا في الجاهلية، فقال له: ما بالك؟ قال: زعم قومك أنهم سيقتلوني إن أسلمت، قال: لا سبيل إليك، (بعد أن قالها أمنت)، فخرج العاص، فلقي الناس قد سال بهم الوادي، فقال: أين تريدون؟ فقالوا: نريد هذا ابن الخطاب الذي صبأ، قال: لا سبيل إليه، فكَرَّ الناسُ»[3].

حصار المسلمين في شِعب أبي طالب:

يقال إن قريشاً لما أخفقت في ردِّ مهاجري الحبشة في السنة السابعة للبعثة قررت فرض حصارها الجائر على النبي ﷺ وعلى بني عبد المطلب مسلمهم وكافرهم، وكانوا في شِعب بني هاشم مدة ثلاث سنين إلى أن اتفق عدد من مشركي قريش على نقض الصحيفة، وتم لهم ذلك، حيث لم يجدوا من وثيقة المقاطعة التي وضعوها في الكعبة إلا ما فيه اسم الله تعالى[4].

يروي أبو هريرة رضي الله عنه فيقول: (قال لنا رسول الله ﷺ - ونحن نازلون

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب اسلام سعيد بن زيد، ح٣٦٤٩.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب إسلام عمر، ح ٣٦٥٠.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب اسلام عمر رضي الله عنه، ح ٣٦٥١.

(٤) السيرة النبوية لعبد الملك بن هشام، مؤسسة علوم القرآن، ط١، ١/ ٣٧٧.

بمنى- (نحن نازلون غداً بخيف بني كنانة حيث تقاسموا على الكفر)، وذلك أن قريشاً وبني كنانة تحالفت على بني هاشم وبني المطلب؛ أن لا يناكحوهم، ولا يبايعوهم، حتى يسلموا إليهم رسول الله ﷺ، يعني بذلك المحصب)[1].

ثانياً: عام الحزن:

وفي آخر العام العاشر للبعثة، والذي يسمى بعام الحزن، توفي عم النبي ﷺ ونصيره في دعوته أبو طالب، تقول الرواية: إنه كان يحوط النبي ﷺ ويغضب له[2]، وينصره»[3]، لأجل ذلك لما سئل النبي ﷺ عن عمه أبي طالب قال: «نعم هو في ضحضاح من نار، ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار»[4].

- وقد حزن النبي ﷺ لوفاة عمه على غير الإسلام، حيث قال له قبيل وفاته: «**قل لا إله إلا الله، أشهد لك بها يوم القيامة، فقال أبو طالب: لولا أن تعيرني بها قريش، يقولون إنما حمله عليها الجزع لأقررت بها عينك**، فنزل قول الله ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ القصص: ٥٦ [5].
- وفي العام ذاته توفيت أم المؤمنين خديجة بنت خويلد رضي الله عنها، وذلك قبل الهجرة بثلاث سنين»[6].

الأنوار والفوائد

أنوار وفوائد في العلاقات والحياة الاجتماعية:

١- للمركز الاجتماعي أثره في حماية الداعية، ولو في مرحلة من المراحل، ذلك أنه

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الحج/ باب نزول النبي مكة/ ح ١٥٨٩.
(٢) أخرجه البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب قصة أبي طالب، ح ٣٦٧٠.
(٣) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب شفاعة النبي ﷺ لأبي طالب والتخفيف عنه، ح ٥٣١.
(٤) السابق.
(٥) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، ح٢٥.
(٦) أخرجه البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب تزويج النبي ﷺ من عائشة، ح ٣٦٨٣.

لا تزال هناك عصابات فاسدة تعمل حساباً للثقل الاجتماعي، **وهذا ما يتطلب من الدعاة مزيداً من التواصل مع محيطهم الاجتماعي بشكل مستمر.**

٢- كلما كان الداعية ملتصقاً بقبيلته وعشيرته وجد منها مزيداً من الدعم والإسناد، لاسيما إذا وصل التهديد من الخصوم بقتله، فترى تفاعلاً في قضيته، وإسناداً له حتى من أولئك الذين لا يؤمنون بعقيدته ودعوته، ولكن دون تنازل عن ثوابت دعوته.

٣- حفظت أم سلمة لعبد الله بن أبي ربيعة عطفه على مهاجري الحبشة (على الرغم من شدة عدائه للمسلمين)، وأنه كان أتقى الرجلين فيهم لما صدر عن هذا الرجل من كلام يوحي بعدم رغبته باستئصال المسلمين المهاجرين، لأجل أن لهم أرحاماً (علاقات اجتماعية) تربطهم بعموم أهل مكة.

٤- كان للعلاقات الواسعة بين كفار مكة ودول الجوار ما استطاعوا من خلالها أخذ زمام المبادرة لملاحقة المسلمين المهاجرين حيث كانوا، وكان للهدايا أثرها في تليين نفوس البطاركة والرهبان، **ولولا حماية الله تعالى لكسرت هذه الهدايا نفس النجاشي كما كسرت وأسرت نفوس رهبانه وبطاركته، فأعطى قريشاً ما طلبت، ولكن الله سلَّم.**

٥- كان لشهادة جعفر رضي الله عنه في النبي ﷺ، وهو ابن عمه دورها البالغ في إقناع النجاشي بعدم إعطاء كفار قريش ما طلبوا، لاسيما لما أخبره بأنه كان يأمرهم بصلة الأرحام.

٦- يقول الدكتور منير الغضبان: «ووجود ابن عم رسول الله ﷺ (جعفر)، وصهرُ رسول الله ﷺ (عثمان بن عفان)، وابنة رسول الله ﷺ (رقية)، **ذو دلالة عميقة على أن الأخطار لا بد أن يتجشمها المقربون إلى القائد وأهله ورَحِمِه، أما أن يكون خواصُّ القائد في منأى عن الخطر**، ويُدفع إليه الأبعدون غير ذوي المكانة؛ فهو خطٌّ خارج على منهج سيد الدعاة صلوات الله عليه[1].

(١) المنهج السياسي للسيرة النبوية، الدكتور منير الغضبان، دار السلام، القاهرة، ط١، ٢٠١٣م، ص٧٤.

أنوار وفوائد في إدارة المواقف والسياسة الشرعية:

١- ليست الهجرة لما فيها من عنت ومشقة هدفاً لذاتها ولا غاية، وفي السياسة الشرعية ما يبيحها فراراً بالدين من مكان يترجح لدينا فيه أنه يصعب التأثير فيه إيجاباً، بل نخشى أن يؤثر أهله فينا سلباً، **فإذا انتهى مبرر الهجرة صار من واجب إدارة الموقف العدول عنها، والعودة إلى الدار الأولى لما للمهاجرين فيها من مصالح وعلاقات، وما لهم من أدوار تنتظرهم ليساهموا في بناء المجتمع المسلم مع من سبقهم.**

٢- تقتضي السياسة الشرعية وحُسن إدارة المواقف الصعبة أن يكون هنالك التفاتةٌ مبصرةٌ خارج الصندوق، للبحث عن مخارج وآفاق جديدة، لأجل ذلك انبثقت فكرة الهجرة إلى الحبشة.

٣- **قد لا تكون الحبشة هي الخيار المثالي، لكن فقه الموازنات بين المصالح والمفاسد يقضي بالذهاب إليها، لأنه فيها ملك عادل، وإن لم يكن ملكاً مسلماً.**

٤- لم يكن المهاجرون إلى الحبشة من فئة الموالي أو الخدم، بل كانوا من فئة ذات امتداد عشائري واقتصادي جيد، فقد كان فيهم أمثال عثمان بن عفان وجعفر بن أبي طالب وغيرهما رضي الله عنهما، وذلك لتوجيه ضربة لقريش، وللتأثير على نسيجها العام، فلو كانوا من فئة الخدم والموالي ما أرسلت قريش في طلبهم، ولا اهتمت لشأنهم، **وهنا يكمن حُسن إدارة المواقف الصعبة من حيث استخدام أوراق الضغط المتاحة لتحويل التحديات إلى فرص.**

٥- تشبه إقامة المسلمين الأوائل في الحبشة إلى حدٍّ ما، إقامة بعض المسلمين في بعض بلاد أوروبا اليوم، فهم لا يجدون هناك ما يعارضهم أو يمنعهم من إقامة شعائر دينهم، في وقت تم إخراجهم قسراً من بلادهم (لجوء سياسي)، **ومن ثَمَّ لا غرابة في ثناء مسلمي اليوم على إدارة بلد اللجوء إن احتاجوا لذلك في بعض المواقف، لاسيما إن كانت تعدل في معاملتهم**، قال تعالى: ﴿اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ المائدة: ٨، مثلما أثنت أم سلمة على عدل النجاشي، ولا غرابة في مخاطبتهم ب(الملوك) كما خاطب جعفر رضي الله عنه النجاشي بقوله له: أيها

الملك، تلك العبارة التي بدأ وختم بها كلامه.

٦- سلك مبعوثا قريش مسلكاً خبيثاً في إدارة المواجهة والملاحقة للصحابة المهاجرين، **وذلك من عدة زوايا:**

- اختيار الهدايا، وليس أي هدايا، بل هدايا يرغب بها أهل الحبشة لتكون مدخلاً لهم في الطلب.
- الدخول المتفرق على البطاركة والرهبان، وشراء ذممهم بتلك الهدايا.
- الدهاء في الخطاب عند الجولة الأولى، إذ بينوا للنجاشي أن الصحابة خرجوا من دين القرشيين ولم يدخلوا دينه!!، وفي الجولة الثانية، إذ اختاروا الحديث في أمر حساس يتعلق بعيسى عليه السلام، ولكنَّ الله سلَّم.

٧- كان من حُسن تدبير الله تعالى للصحابة الكرام - وتدبيره فوق كل تدبير - أن النجاشي أصرَّ على السماع من الصحابة، وأنه لم يكن من السذاجة بحيث تنطلي عليه حيلة مبعوثي قريش.

٨- فصاحة الكلمة، وحُسن التعبير هو أكثر ما أفاد الصحبة في تلك المقابلة الملكية الصعبة، ولا تقف الخطط والتدابير كلها إلى جانب سلامة المقصد والوضوح وعدم المواربة، **وليست الحيلة بالضرورة قادرة على منح صاحبها النجاة، إن لم تسعفه عناية الله تعالى.**

٩- من حُسن التعبير وسلامة المنطق في خطاب جعفر رضي الله عنه ما قام به من تقديم يبين كيف كان حالهم في الجاهلية، وما الذي أحدثه الاسلام في حياتهم من نقلات نوعية إيجابية.

١٠- **في عبارة التفضيل التي استخدمها جعفر رضي الله عنه ما زاد من إعجاب النجاشي بالمسلمين، فهم بحسب ما قاله جعفر رضي الله عنه قد اختاروا النجاشي وبلده على مَن سواه مِن الملوك والبلاد،** وفي ذلك ما فيه من الثناء والأدب في حضرة الملك، طمعاً في استمالة قلبه، وليس في ذلك حرج في باب السياسة الشرعية، بقصد تحصيل مصلحة حماية المسلمين، وردِّ كيد الكافرين، سيما وأن جعفر رضي الله عنه لم يكذب في مقولته تلك.

١١- ويستمر الإبداع في إدارة هذا الموقف الصعب من قبل جعفر رضي الله عنه، حتى في اختياره لمطالع سورة مريم ليقرأها على النجاشي، عندما طلب منه أن يسمع مما نزل على رسول الله ﷺ شيئاً من القرآن.

١٢- بلغت قمة تفاعل النجاشي مع الصحابة رضي الله عنهم عندما أطلق تعميمه الكريم في عموم البلاد، ليؤكد حمايته ورعايته للصحابة الكرام عندما قال: من سبَّكمْ غرِمْ، ليفرض غرامة مالية على كل من يزعج الصحابة ولو بكلمة واحدة، وما كان هذا التفاعل الأخير ليكون لولا سوء إدارة عمرو بن العاص للموقف، فهو بدلاً من أن يكسب النجاشي إلى جانبه بعد تساؤله الخبيث الذي طرحه بشأن عيسى عليه السلام؛ خسر صحبته للنجاشي، وعزز موقف الصحابة لديه، **وهكذا هي السياسة والإدارة تنقلب على صاحبها إن لم تواتيه الأقدار، ولم يُحكِم إدارته للمواقف والأزمات، وفي المحصلة:** ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾ فاطر: ٤٣.

١٣- في التفاعل عن قُرب، وفي الحزن الصادق والشديد الذي أبداه الصحابة على ما أصاب دولة النجاشي من تهديد خارجي، أعظم دليل على ضرورة تفاعل المسلم مع القضايا الساخنة، لاسيما تلك التي تمسه كمسلم من قريب أو بعيد، وفي ذلك نوع ردٍّ جميل للنجاشي الذي أكرمهم وآواهم، وهذا من باب السياسة الشرعية في الموازنة بين الأمور، ويشبه ذلك فرح المسلمين بانتصار الروم على الفرس في بضع سنين كما حكت مطالع سورة الروم[1].

١٤- في اعتماد مهاجري الحبشة مبدأ الشورى بينهم ما فيه من حُسن إدارة الموقف، باعتبار أن الأمر ليس أمراً شخصياً خاصاً، بل هو أمر يعمُّ كل مهاجر، **وبالتالي فإن الشورى واجبة وضرورة، وهذا ما زاد من تفاعل الجميع مع الموقف الجلل، قال تعالى:** ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ﴾ آل عمران: ١٥٩.

١٥- تتقدم المبادئ على الرجال، فلو حمل المبدأ العظيم رجل ضعيف فإنه لاشك سيقوى وينتعش، فكيف إن حمل هذا المبدأ العظيم رجل بوزن عمر رضي الله عنه؟!...لأجل ذلك كان النبي ﷺ يحرص على إسلام عمر رضي الله عنه، ليكون

---

(١) مطالع السورة الكريمة.

نصيراً لدين الله تعالى، **ولكي يتحول التحدي الكائن في شخصية عمر (الكافرة)، إلى فرصة في شخصية عمر (المسلمة)**، ومن هنا كان النبي ﷺ يدعو: (اللهم أعزَّ الإسلام بأحب هذين الرجلين إليك؛ بأبي جهل أو بعمر بن الخطاب، فكان أحبهما إلى الله عز وجل عمر بن الخطاب)[1].

١٦- **موت الأنصار الكبار لا يوقف عجلة التقدم، ولا يمنع من الاستمرار** (عام الحزن نموذجاً).

١٧- كان الهدف(المعلن) للهجرة الى الحبشة حماية المسلمين، ولم يكن من الحكمة ولا من السياسة الشرعية الاعلان عن الهدف الثاني(الدعوة) في الحبشة.

أنوار وفوائد في الجانب الاقتصادي والمعاشي:

١- **استخدم النبي ﷺ عند إرساله أصحابه إلى الحبشة سياسة اقتصادية متقدمة، فالاقتصاد لا يعني حُسن تدبير المال فحسب، بل حُسن تدبير الرجال كذلك،** وهو في الوقت الذي كان يرى تضحية عظيمة من الثابتين على الأذى في مكة، كان يخشى أن ينفد الرصيد لدى هؤلاء الثابتين، ولكل إنسان طاقة، لأجل ذلك بحث لهم عن مخرج هو أقل كلفة، على الرغم من مشقته، من كلفة البقاء في مكة، تحت ألوان العذاب.

٢- **أثبت التفضيل النبوي لمهاجري الحبشة على مهاجري المدينة، بأن هناك حسابات كثيرة ينبغي مراعاتها عند إجراء المفاضلة بين الأمور، دون الوقوف عند حدود ظواهرها القريبة.**

٣- كان للضغط الاقتصادي الذي مارستْهُ قريش على بني هاشم أثر كبير في التضييق على النبي الكريم ﷺ وآله ومَن حوله، لكنَّ أصحاب المبادئ لا يأبهون لأيِّ ضغط، ولاشك بأن الانفراج العام؛ هو جزاء الثابتين ولو بعد حين.

---

(١) أخرجه أحمد في السند: ٩٥/٢، والترمذي: ٣٦٨٢ في المناقب، باب اللهم أعز الإسلام بأبي جهل أو بعمر، وصححه ابن حبان برقم ٦٨٤٢، وذكره الشيخ ابراهيم العلي في صحيح السيرة النبوية: ص١٠٩، مشيراً إلى موافقته لتصحيح ابن حبان له.

أنوار وفوائد في الجانب التربوي القيمي وتهذيب السلوك:

١- تعدُّ الهجرة من أقسى أنواع العمل، بل هو الاختبار الأعظم الذي يؤكد إيمان الإنسان بفكرته، لاسيما وهو يترك مصالحه وأهله إلى عالَم مجهول، ولقد كانت هجرة الحبشة اختباراً عملياً لقيمة التضحية من أجل الدين، **ولكنَّ يقين المهاجرين بأن من ترك شيئاً لله عوَّضه الله خيراً منه، دفعهم للهجرة بحماس دون توقف،** وصدق الله: ﴿وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً﴾ النساء: ١٠٠.

٢- **الحذر من الإشاعات، وتأكيد التثبت من الأخبار والمعلومات،** قيمة تعلَّمها الأصحاب بعد عودتهم إلى مكة ومعرفتهم بأن أهلها لم يُسلموا، على خلاف ما وصلهم وهم في الحبشة، ما كلفهم العودة منها، ثم الرجوع إليها مرة ثانية.

٣- **الثبات على القيم وعدم الذوبان في ديار الهجرة واللجوء، من أعظم القيم التي يتحلى بها المهاجر،** ولقد شهد عمرو بن العاص للصحابة الكرام بين يدي النجاشي بهذه الصفة، عندما وصفهم بقوله: «خرجوا من دين آبائهم، ولم يدخلوا في دينك (دين النصارى)».

٤- **الموضوعية التي كان يتحلى بها النجاشي هي التي ساقته للعدل،** ومن ثم للإسلام، فهو لم يحكم حتى سمع من الطرفين، ثم انحاز للغة العقل والمنطق، لا للغة الإغراء والإغواء.

٥- الشجاعة العالية التي تحلى بها النجاشي في مواجهة اعتراض البطاركة والرهبان هي التي جعلته يستمر في قراره الإيجابي والثبات عليه.

٦- **قيمة النبل التي تحلى به الصحابة الكرام هي التي دفعتهم لمناصرة النجاشي بصدق تام.**

٧- قيمة التنافس والتسابق على الاقتراب من النبي ﷺ، ونيل شرف صحبته هي التي جعلت عمر رضي الله عنه يُجري المفاضلة لمهاجري المدينة على مهاجري الحبشة.

٨- يقول الدكتور منير الغضبان مشيراً إلى موقف الصحابة بين يدي النجاشي: «**وفي مثل هذه المواقف تنزلق الأقدام، وتزلُّ القلوب، فكثيراً ما يتوهم الدعاة أنهم**

لو صارحوا بحقيقة مبادئهم، لخسروا حياتهم ومركزهم، وتبدأ نقطة الانحراف صغيرة، ثم تنفرج الزاوية، فإذا بالدعاة إلى الله ينسون رسالتهم التي لاقوا ما لاقوا من أجلها، وتصبح القضية عندهم: أمنهم، وراحتهم، وحياتهم، لا حياة دعوتهم، وانتشار دينهم»[1].

٩- ويقول في موضع قيمي آخر يحكي فيه ثبات الصحابة الكرام في فترة الحصار: «أثبتت عظمة الصف المؤمن في التزامه بأوامر قائده، وبُعده عن التصرفات الطائشة، **فلم يكن هناك شيء أسهل من اغتيال أبي جهل، وإشعال معركة غير مدروسة، لا يعلم مداها إلا الله**، وغير متكافئة، تضيع فيها العقيدة، وتتحول إلى حرب قبلية داخلية، تفنى فيها قريش بسبب دعوة محمد ﷺ، فتُنسى الدعوة، وتحمل الأجيال صورة متشائمة عن هذا الرجل الذي جاء بدعوة أفنت قريش، وقضت على رجالاتها وشبابها»[2].

١٠-قيمة البيان اللغوي الذي تمتع به جعفر رضي الله عنه إذ استطاع أن يُلخص الإسلام في بضع كلمات، فأوجز وأبلغ وأفاد وأجاد.

١١.بتتبع رواية أم سلمة رضي الله عنها لدقائق تفاصيل الهجرة الى الحبشة ما يؤكد قدرة النساء تحديداً على رسم المشهد كاملاً، فقد احترفت حتى برواية ما لم تشاهده بنفسها وذلك من خلال سؤالها لمن شاهد وعاين الموقف حتى تكتمل صورة الرواية وتكتمل الفائدة منها.

---

(١) المنهج السياسي للسيرة النبوية، الدكتور منير الغضبان، دار السلام، القاهرة، ط١، ٢٠١٣م، ص٧٥.

(٢) السابق، ص ٩٥.

رحلة الطائف[1]

يعدُّ حديث عائشة رضي الله عنها أصحُّ ما ورد في الرحلة إلى الطائف، وهي إحدى محاولات النبي ﷺ لفتح أفق جديد من آفاق الدعوة، بعد أن أغلقت مكة أبوابها، وضيَّقت الخناق على المسلمين، وبعد وفاة خديجة رضي الله عنها، وأبي طالب في السنة العاشرة للبعثة، فقد سألت عائشة رضي الله عنها رسول الله ﷺ: «**هل أتى عليك يومٌ كان أشد من يوم أحد؟**، فقال: لقد لقيت من قومك، وكان أشد منهم يوم العقبة[2] إذ عرضتُ نفسي على ابن عبد يا ليل، فلم يجبني إلى ما أردت (بل أغرى به السفهاء وكشف سرَّه لقريش، فمنعته من العودة لمكة إلا بجوار رجل كافر اسمه: المطعم بن عدي) فانطلقتُ وأنا مهموم على وجهي، فلم أستفق إلا بقرن الثعالب[3] فرفعتُ رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني، فنظرتُ فإذا فيها جبريل، فناداني، فقال:

إن الله عز وجل قد سمع قول قومك لك، وما ردوا عليكم (إذ كان معه مولاه زيد بن حارثة في تلك الرحلة)، وقد بعث إليك مَلك الجبال لتأمره بما شئت، قال: فناداني مَلك الجبال، وسلَّم عليَّ ثم قال: يا محمد، إن الله قد سمع قول قومك لك، وأنا مَلك الجبال، وقد بعثني ربك إليك لتأمرني بأمرك، فما شئتَ إن شئتَ أن أطبق عليهم الأخشبين[4]»[5].

---

(١) يبدو أن لُبساً وقع للشيخ ابراهيم العلي رحمه الله فقدم رحلة الإسراء والمعراج على رحلة الطائف وجعل رحلة الطائف في جملة الأحداث التي وقعت للنبي ﷺ بين الإسراء والمعراج والهجرة إلى المدينة، والصحيح الذي عليه علماء السيرة وقد أثبته الدكتور العمري في السيرة الصحيحة هو تقديم رحلة الطائف على رحلة الإسراء والمعراج لتكون الأخيرة مكافأة من الله تعالى للنبي ﷺ على آلام الأولى، وانظر: صحيح السيرة النبوية للشيخ ابراهيم العلي: ص١٣٤، والسيرة النبوية الصحيحة للدكتور العمري: ص٢١٦.

(٢) عقبة بالطائف وليست عقبة مِنى التي حصلت فيها البيعتان.

(٣) ميقات أهل نجد على بُعد يوم وليلة من مكة.

(٤) الأخشبان جبلان في مكة هما جبل أبي قبيس الذي عليه القصر الملكي اليوم، وجبل قعيقعان، وهما مطلان على المسجد الحرام من المشرق.

(٥) أخرجه البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة، ح ٣٠٥٨.

أما دعاء النبي ﷺ لثقيف بقوله: (اللهم إليك أشكو ضعف قوتي...) ولقاؤه بعدَّاس النصراني فقد أخرجها ابن اسحاق بإسناد صحيح، لكنه مرسَلٌ، والإرسال من الضعف كما تتبع ذلك الدكتور أكرم ضياء العمري في السيرة النبوية الصحيحة[1].

---

(١) أكد الشيخ ابراهيم العلي في صحيح السيرة ما قاله الدكتور أكرم العمري من أن تفاصيل رحلة الطائف وحكاية عداس النصراني مرسلة لكنه أتى بها في صحيح السيرة عنده في إشارة منه إلى قبولها، وهذه الرواية هي:

عن محمد بن كعب القرظي، قال:

• **عرض الإسلام ورد زعماء الطائف:**

«لما انتهى رسول الله ﷺ إلى الطائف، عمد إلى نفر من ثقيف، هم يومئذ سادة ثقيف وأشرافهم، وهم إخوة ثلاثة: عبد ياليل بن عمرو بن عمير، ومسعود بن عمرو بن عمير، وحبيب بن عمرو بن عمير، وعندهم امرأة من قريش من بني جمح، فجلس إليهم، فدعاهم إلى الله، وكلمهم بما جاء لهم من نصرته على الإسلام، والقيام معه على من خالفه من قومه.

فقال أحدهم: هو يمرط ثياب الكعبة إن كان الله أرسلك.

وقال الآخر: ما وجد الله أحدا يرسله غيرك!

وقال الثالث: والله لا أكلمك كلمة أبدا، لئن كنت رسولا من الله، كما تقول، لأنت أعظم خطرا من أن أرد عليك الكلام، ولئن كنت تكذب على الله ما ينبغي لي أن أكلمك».

• **خروج الرسول ﷺ من عندهم وإيذائهم له:**

«فقام رسول الله ﷺ من عندهم وقد يئس من خير ثقيف، وقد قال لهم، فيما ذكر لي: إذا فعلتم ما فعلتم فاكتموا علي.وكره رسول الله ﷺ أن يبلغ قومه عنه، فيذئرهم (يحرضهم) ذلك عليه، فلم يفعلوا، وأغروا به سفهاءهم وعبيدهم يسبونه، ويصيحون به، حتى اجتمع عليه الناس، وألجئوه إلى حائط لعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وهما فيه، ورجع عنه من سفهاء ثقيف من كان يتبعه، فعمد إلى ظل حبلة من عنب، فجلس فيه، وابنا ربيعة ينظران إليه، ويريان ما لقي من سفهاء ثقيف، وقد لقي رسول الله ﷺ فيما ذكر لي، تلك المرأة من بني جمح، فقال لها: ماذا ألقينا من أحمائك.

• **دعاء النبي ﷺ:**

«فلما اطمأن رسول الله ﷺ قال، فيما ذكر لي: **اللهم إليك أشكو ضعف قوتي، وقلة حيلتي، وهواني على الناس، يا أرحم الراحمين، أنت رب المستضعفين، وأنت ربي، إلى من تكلني؟ إلى بعيد يتجهمني؟ أو إلى عدو ملكته أمري؟ إن لم يكن بك علي غضب فلا أبالي، ولكن عافيتك هي أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة، من أن ينزل بي غضبك، أو يحل علي سخطك، لك العتبى حتى ترضى، لا حول ولا قوة إلا بك.**

• **حكاية عداس النصراني:**

«فلما رأى ابنا ربيعة عتبة وشيبة ما لقي، تحركت له رحمهما، فدعوا له غلاما لهما نصرانيا، يقال له: عداس، فقالا له: خذ قطفا من هذا العنب، وضعه في ذلك الطبق، ثم اذهب به إلى ذلك الرجل، فقل له يأكل منه، ففعل عداس، ثم أقبل به حتى وضعه بين يدي رسول الله ﷺ فلما وضع رسول الله ﷺ يده، قال: بسم الله، ثم أكل، فنظر عداس إلى وجهه، ثم قال: والله إن هذا لكلام ما يقوله أهل هذه البلدة، قال له رسول الله، ﷺ: ومن أهل

أي البلاد أنت يا عداس؟ وما دينك؟ قال أنا نصراني، وأنا رجل من أهل نينوى، فقال له رسول الله، ﷺ: أمن قرية الرجل الصالح، يونس بن متى؟ **قال له: وما يدريك ما يونس بن متى؟ قال رسول الله ﷺ: ذاك أخي، كان نبيا، وأنا نبي، فأكب عداس على رسول الله ﷺ يقبل رأسه ويديه ورجليه.**

قال: يقول ابنا ربيعة، أحدهما لصاحبه: أما غلامك فقد أفسده عليك.

فلما جاءهما عداس، قالا له: ويلك يا عداس، ما لك تقبل رأس هذا الرجل ويديه وقدميه؟ قال: يا سيدي، ما في هذه الأرض خير من هذا الرجل، لقد خبرني بأمر لا يعلمه إلا نبي، فقالا: ويحك يا عداس، لا يصرفنك عن دينك، فإن دينك خير من دينه.

• حكاية الجن وسماعهم للقرآن:

«ثم إن رسول الله ﷺ انصرف من الطائف راجعا إلى مكة، حين يئس من خبر ثقيف، حتى إذا كان بنخلة قام من جوف الليل يصلي، فمر به نفر من **الجن**، الذين ذكر الله، عز وجل، قال محمد بن إسحاق: وهم، فيما ذكر لي، سبعة نفر من جن أهل نصيبين اليمن، فاستمعوا له، فلما فرغ من صلاته ولوا إلى قومهم، منذرين، قد آمنوا وأجابوا إلى ما سمعوا، فقص الله، عز وجل، خبرهم عليه: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ۝٢٩ قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٣٠ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ الأحقاف: ٢٩ - ٣١، وقال: ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ الجن: ١، إلى آخر القصة من خبرهم، في هذه السورة.

• محاولات دخول مكة:

قال: ثم قدم رسول الله ﷺ **مكة**، وقومه أشد ما كانوا عليه من خلافه وفراق دينه، إلا قليلا مستضعفين ممن آمن به.وذكر بعضهم أن رسول الله ﷺ لما انصرف من الطائف مريدا مكة، مر به بعض أهل مكة، فقال له رسول الله، ﷺ: هل أنت مبلغ عني رسالة أرسلك بها؟ قال: نعم.قال: ائت الأخنس بن شريق، فقل له: يقول لك محمد: هل أنت مجيري حتى أبلغ رسالة ربي؟ قال: فأتاه، فقال له ذلك، فقال الأخنس: إن الحليف لا يجير على الصريح.قال: فأتى النبي فأخبره، قال: تعود؟ قال: نعم.قال: ائت سهيل بن عمرو، فقل له: إن محمدا يقول لك: هل أنت مجيري حتى أبلغ رسالات ربي؟ فأتاه، فقال له ذلك، قال: فقال: إن بني عامر بن لؤي لا تجير على بني كعب.

قال: فرجع إلى النبي فأخبره، قال: تعود؟ قال: نعم، قال: **ائت المطعم بن عدي، فقل له: إن محمدا، يقول لك: هل أنت مجيري حتى أبلغ رسالات ربي؟ قال: نعم، فليدخل.قال: فرجع الرجل إليه فأخبره، وأصبح المطعم بن عدي قد لبس سلاحه هو وبنوه وبنو أخيه، فدخلوا المسجد، فلما رآه أبو جهل، قال: أمجير أم متابع؟ قال: بل مجير.قال: فقال: قد أجرنا من أجرت.**فدخل النبي ﷺ مكة، وأقام بها، فدخل يوما المسجد الحرام، والمشركون عند الكعبة، فلما رآه أبو جهل، قال: هذا نبيكم يا بني عبد مناف.قال عتبة بن ربيعة: وما تنكر أن يكون منا نبي أو ملك.فأخبر بذلك النبي ﷺ أو سمعه.فأتاهم، فقال: أما أنت يا عتبة بن ربيعة، فوالله ما حميت لله ولا لرسوله، ولكن حميت لأنفك.وأما أنت يا أبا جهل بن هشام، فوالله لا يأتي عليك غير كبير من الدهر، حتى تضحك قليلا وتبكي كثيراً، وأما أنتم يا معشر الملإ من قريش، فوالله لا يأتي عليكم غير كبير من الدهر حتى تدخلوا فيما تنكرون وأنتم كارهون.وكان رسول الله ﷺ يعرض نفسه في المواسم، إذا كانت، على قبائل العرب، يدعوهم إلى الله، ويخبرهم أنه نبي مرسل، ويسألهم أن يصدقوه ويمنعوه حتى يبين عن الله ما بعثه به»، وانظر تخريجات الشيخ العلي على هذه الرواية بالتفصيل في صحيح السيرة النبوية: ص١٣٤ - ١٣٦.

أنوار وفوائد في العلاقات والحياة الاجتماعية:

١- لعب التماسك العشائري لأهل الطائف دوراً خطيراً في تعطيل مهمة الرسول ﷺ في بلدهم، على الرغم من محاولات النبي ﷺ الدخول عليهم بشكل متفرق، وهنا يكمن الدور السلبي للنظام القبلي والعشائري حيث يصعب اختراقه بأي فكر إيجابي.

٢- لعب التماسك العشائري في محيط قبائل مكة دوراً خطيراً أيضاً في محاصرة مهمة النبي ﷺ في مكة أولاً ثم في صعوبة عودته إلى مكة بعد أن خرج منها باحثاً عن أفق جديد للدعوة في الطائف.

٣- بقيت هذه الوقفات العشائرية تُشكل تحديات في طريق الدعوة الإسلامية، حتى حولها الجهد النبوي المتواصل بعد عون الله وتأييده إلى فُرَص، يوم استطاع اختراق هذه الكتل العشائرية بالإيمان، ليصبح التكتل على أساس الإيمان أشد وأقوى من كل تكتل سواه.

أنوار وفوائد في إدارة المواقف والسياسة الشرعية:

١- لم يرد نص يفيد بتكليف الله تعالى نبيه ﷺ الذهاب إلى الطائف، كما أنه لم يرد نص يمنع من ذلك، وهي خطوة متقدمة قام بها النبي ﷺ من باب طرق الأبواب، معتمداً على رب الأرباب، وقد اعتمد في اختياره للطائف على عدة أمور وجد أنها يمكن أن تكون منطلقاً جديداً للدعوة، **وهذا من باب الإدارة الميدانية، وتغليب الجانب العملي في حياة الداعية، وهذه الأمور هي:**

- قُرب المسافة بين مكة والطائف، قياساً على غيرها من المدن المجاورة، لاسيما يثرب التي كان النبي ﷺ يستبعد الذهاب إليها، لوجود اليهود فيها من جهة، ولتناقضات ونزاعات في نسيج المجتمع اليثربي آنذاك، ولبُعد المسافة عن مكة، ولاختلاف أجواء يثرب عن أجواء مكة ولقربها من دولة الروم في الشام، **فهي (يثرب) لم تكن خياره المفضل (حتى أن ظنه ذهب الى اليمامة ومُضر ولم يذهب اليها عندما رأى في المنام دار الهجرة)، وإنما خيار الله تعالى، والذي ثبت للقاصي**

والداني أن الخيرة فيما يختاره الله، ولكنه اخذ بالاسباب الموجودة(الطائف) فأعطاه الله تعالى الاسباب المفقودة.

- وجود حالة من التنافس القديم على الشرف بين أهل الطائف وأهل مكة، فإذا رفض أهل مكة شرف وجود النبي ﷺ بينهم، **فلعل أهل الطائف يقبلونه، حتى لو لم يؤمنوا بدعوته، من باب النكاية بقريش (ولو بصورة لاجئ سياسي عندهم)**، قال تعالى: ﴿ وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾ الزخرف: ٣١، والقريتان هما: مكة والطائف.
- في اختيار النبي ﷺ الحديث مع زعماء الطائف ما يبين أهمية دخول الأماكن الغريبة من أبوابها، وليس من شبابيكها، حتى لو لم يلق المرء جواباً يعجبه.
- في اختيار النبي الكريم ﷺ لصحبته في تلك الرحلة مولاه زيد بن حارثة فقط، ودون غيره من الأصحاب؛ دليل على حُسن الإدارة والترتيب من قبل النبي ﷺ، **فهو يريد أن يتقدم إلى هذه الخطوة الشجاعة وحده وبكل هدوء، دون أن يُحرج أصحابه من جهة، ودون أن يلفت انتباه عُتاة الشرك في مكة لتحركاته من جهة أخرى.**
- **في تشديد النبي ﷺ على عُتاة الطائف أن يكتموا خبر وجوده بينهم عن عُتاة مكة، ما يؤكد حرص النبي ﷺ على إدارة ملف الرحلة بالكتمان**، إلا أنه لم يجد موافقة من عُتاة الطائف، فهم لم يُسلموا ولم يكتموا.
- في مسألة طلب النبي ﷺ الرجوع إلى مكة بجوار أحد المشركين ما يؤكد أنه في باب السياسة الشرعية، ومن أجل حُسن إدارة الموقف، وعند الضرورة، يجوز الاستعانة بالمشرك، لتحقيق مصلحة ضرورية، على ألا يكون ذلك على حساب المبادئ والثوابت، ودون اشتراطات مسبقة ومؤثرة على الثوابت مِنْ قِبَلِ مَنْ نستعين بهم من المشركين عند الضرورة لذلك، **ويأتي هذا في باب الأخذ بالأسباب، فالله سبحانه قادر أن يحمل حبيبه محمداً ﷺ إلى مكة برغم أنوف عُتاة المشركين، ودون أن يُضطر النبي ﷺ إلى الدخول بجوار المطعم بن عدي ولا غيره، ولكن حتى يتعلم المسلمون فقه الضرورة، ومن باب رفع الحرج، ولا يقلل ذلك من واجب استعانة النبي ﷺ بربه وتوكله عليه مطلقاً.**

أنوار وفوائد في الجانب الاقتصادي والمعاشي:

١- على الرغم من الكلفة التي وجدها النبي ﷺ في رحلة الطائف، إلا أنه كان مقتصداً، فلم يكلف عموم الصحابة من عناء تلك الرحلة شيئاً.

٢- الأخشبان جبلان في مكة وملك الجبال أراد قلبهما على مشركي مكة لكن النبي ﷺ كان مقتصداً رحيماً فلم يأذن بذلك توفيراً لدماء هؤلاء المتسببين بالعنت له أكثر من أهل الطائف.

أنوار وفوائد في الجانب التربوي القيمي وتهذيب السلوك:

١- في سلوك عدّاس النصراني مع النبي ﷺ، ما يدل على أن في سلامة الفطرة والقُرب من عالم التوحيد، ما يجعل النفس زكية نقية تقبل الحق وتحترم حامل لوائه.

٢- في دعاء النبي ﷺ لأهل الطائف، **وعدم قبوله للعرض المقدم من مَلَك الجبال بشأن كفار مكة، ما يوحي بنبل النبي ﷺ وتعاليه وترفُّعه عن أن يكون انتقامه لذاته ولشخصه الكريم.**

٣- لم يكن موقف المطعم بن عدي مع النبي ﷺ عند قبوله تحدي قومه، وإدخاله النبي ﷺ في جواره الموقف الأول من مواقف نبل هذا الرجل على الرغم من شِركه بالله تعالى، بل يذكر رواة السيرة كذلك موقفه في الاشتراك مع بعض زعماء مكة في إلغاء المقاطعة والحصار المضروب على بني هاشم، ولقد مات هذا الرجل قبل غزوة بدر، فلما حضرت الغزوة، وأسر المسلمون فيها سبعين رجلاً من عُتاة المشركين، جمعهم النبي ﷺ، ثم قال وهو يريد ردّ جميل المطعم بن عدي بعد وفاته: «لو كان المطعم بن عدي حياً، ثم كلمني في هؤلاء النتنى لتركتهم له»[1].

يقول عبد القادر التجاني: «**رفض النبي ﷺ منهج الاستئصال (بقبول عرض مَلَك الجبال)، وامتنع عن فكرة الاعتزال (بترك مكة لأهلها)**، أو الهجرة المستمرة، ونظر إلى المستقبل بنور الإيمان، وقرر الدخول إلى مكة الكافرة ليواصل جهاده الميمون،

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب فرض الخمس، باب ما منَّ النبي ﷺ على الأسرى، ح٢٩٧٠.

ويستثمر كل ما يستطيعه من أجل دعوة التوحيد، لم يختر النبي ﷺ أحد المنهجين السابقين، بل تقدم نحو المنهج البديل الذي عزم عليه، وهو منهج يقوم على دخول مكة الكافرة، وعدم الانسحاب منها، ويقوم على ضرورة التواجد على الأرض ذاتها التي يقف عليها الكافرون، واعتصار مؤسساتها، واستثمار علاقاتها، وتحوير غاياتها، ليتغذى بكل ذلك مجتمع المؤمنين الذي سيولد في أحشائها، أي أنه كان يريد أن يتخذ من أصلاب الكافرين مصانع بشرية تخرج أجيالاً من المسلمين المقاتلين في سبيل الله، فالنظر النبوي هنا مصوب نحو المستقبل بصورة جلية، ولم يكن ذلك يعني الانسحاب من الحاضر»[1].

٤- في المحصلة لم يفشل رسول الله ﷺ في تلك الرحلة المباركة، بل نجح لانه حقق هدفها في تبليغ الرسالة لأهل الطائف، ولكنهم هم الذين فشلوا في احتضان دعوته فخسروا لأجل ذلك شرفاً حازه أهل المدينة لاحقاً ﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ﴾ الجمعة: ٤.

(١) أصول الفكر السياسي في القرآن المكي: عبد القادر التجاني/ ط١/ ١٩٩٥م/ دار البشير في عمان/ ص١٦٧.

قال الله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾الإسراء: ١.

وقال الله تعالى: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ﴾النجم: ١ - ٥.

يقول القاضي عياض؛ بأن حادثة الإسراء والمعراج كانت قبل هجرته ﷺ بسنة[١].

إثبات حكاية شقِّ الصدر قبيل الرحلة ذاتها:

وعن أنس بن مالكٍ، قال: كان أبو ذَرٍّ يحدِّث أنَّ رسول الله قال: «فُرِجَ عَنْ سَقْفِ بَيْتِي وَأَنَا بِمَكَّةَ، فَنَزَلَ جِبْرِيلُ فَفَرَجَ صَدْرِي، ثُمَّ غَسَلَهُ بِمَاءِ زَمْزَمَ، ثُمَّ جَاءَ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مُمْتَلِئٍ حِكْمَةً وَإِيمَانًا، فَأَفْرَغَهُ فِي صَدْرِي، ثُمَّ أَطْبَقَهُ، ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي فَعَرَجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا...)[٢].

تفصيلات الرحلة المباركة:

تعدُّ رواية الإمام البخاري حول ما جاء في رحلة الاسراء من تفصيلات دقيقة، تبين عظم منزلة هذه الرحلة؛ الرواية الأتمُّ والأحسن، فعن أنس بن مالكٍ رضي الله عنه عن مالك بن صعصعة رضي الله عنهما أنَّ نبيَّ الله ﷺ حدَّثهم عن ليلةَ أُسْرِيَ به: «...

---

(١) الشفا بتعريف حقوق المصطفى، القاضي عياض، دار الكتاب العربي، ١٩٨٤م، ط١، ١/ ١٠٨، وذكر صفي الرحمن المباركفوي ستة أقوال في تحديد وقت حادثة الاسراء والمعراج، ثم جزم بأنها حدثت في وقت متأخر من عُمر الدعوة المكية، وانظر الرحيق المختوم: ص١٣٥.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الصلاة، ح٣٤٢.

إثبات حكاية البراق:

«...ثُمَّ أُوتِيتُ بِدَابَّةٍ دُونَ الْبَغْلِ وَفَوْقَ الْحِمَارِ أَبْيَضَ» - فَقَالَ لَهُ الْجَارُودُ: هُوَ الْبُرَاقُ يَا أَبَا حَمْزَةَ؟ قَالَ أَنَسٌ: نَعَمْ، يَضَعُ خَطْوَهُ عِنْدَ أَقْصَى طَرْفِهِ- فَحُمِلْتُ عَلَيْهِ.

إثبات حكاية السلام على أنبياء الله تعالى في السموات السبع:

« فَانْطَلَقَ بِي جِبْرِيلُ حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الدُّنْيَا فَاسْتَفْتَحَ، فَقِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ.

قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ.

قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ.

قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ، فَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ، ففُتِحَ، فَلَمَّا خَلَصْتُ، **فَإِذَا فِيهَا آدَمُ**، فَقَالَ: هَذَا أَبُوكَ آدَمُ، فَسَلِّمْ عَلَيْهِ.

فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَرَدَّ السَّلاَمَ، ثُمَّ قَالَ: مَرْحَبًا بِالابْنِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ.

ثُمَّ صَعِدَ حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الثَّانِيَةَ، فَاسْتَفْتَحَ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ.

قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ، فَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ، ففُتِحَ.

فَلَمَّا خَلَصْتُ، **إِذَا يَحْيَى وَعِيسَى**، وَهُمَا ابْنَا الْخَالَةِ، قَالَ: هَذَا يَحْيَى وَعِيسَى، فَسَلِّمْ عَلَيْهِمَا، فَسَلَّمْتُ فَرَدَّا، ثُمَّ قَالاَ: مَرْحَبًا بِالأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ.

ثُمَّ صَعِدَ بِي إِلَى السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ، فَاسْتَفْتَحَ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ.

قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ.

قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ، فَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ، فَفُتِحَ.

فَلَمَّا خَلَصْتُ **إِذَا يُوسُفُ**، قَالَ: **هَذَا يُوسُفُ**، فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَرَدَّ، ثُمَّ قَالَ: مَرْحَبًا بِالأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ.

ثُمَّ صَعِدَ بِي حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الرَّابِعَةَ، فَاسْتَفْتَحَ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ.قِيلَ: أَوَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ، فَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ، فَفُتِحَ، فَلَمَّا خَلَصْتُ إِلَى إِدْرِيسَ قَالَ: **هَذَا إِدْرِيسُ**، فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَرَدَّ، ثُمَّ قَالَ: مَرْحَبًا بِالأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ.

ثُمَّ صَعِدَ بي حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الْخَامِسَةَ، فَاسْتَفْتَحَ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ، فَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ.

فَلَمَّا خَلَصْتُ فَإِذَا هَارُونُ، قَالَ: **هَذَا هَارُونُ**، فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَرَدَّ، ثُمَّ قَالَ: مَرْحَبًا بِالأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ.

ثُمَّ صَعِدَ بي حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ السَّادِسَةَ، فَاسْتَفْتَحَ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: مَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: مَرْحَبًا بِهِ، فَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ، فَلَمَّا خَلَصْتُ، **فَإِذَا مُوسَى**، قَالَ: هَذَا مُوسَى، فَسَلِّمْ عَلَيْهِ.فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَرَدَّ، ثُمَّ قَالَ: مَرْحَبًا بِالأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، **فَلَمَّا تَجَاوَزْتُ بَكَى، قِيلَ لَهُ: مَا يُبْكِيكَ؟ قَالَ: أَبْكِي لأَنَّ غُلامًا بُعِثَ بَعْدِي، يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِهِ أَكْثَرُ مَنْ يَدْخُلُهَا مِنْ أُمَّتِي.**

ثُمَّ صَعِدَ بي إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: مَرْحَبًا بِهِ، فَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ.فَلَمَّا خَلَصْتُ، فَإِذَا **إِبْرَاهِيمُ**، قَالَ: هَذَا أَبُوكَ، فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، قَالَ: فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَرَدَّ السَّلامَ، قَالَ: مَرْحَبًا بِالابْنِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ.

إثبات حكاية سدرة المنتهى:

« ثُمَّ رُفِعَتْ لي سِدْرَةُ الْمُنْتَهَى، فَإِذَا نَبِقُهَا مِثْلُ قِلالِ هَجَرَ، وَإِذَا وَرَقُهَا مِثْلُ آذَانِ الْفِيَلَةِ، قَالَ: هَذِهِ سِدْرَةُ الْمُنْتَهَى، وَإِذَا أَرْبَعَةُ أَنْهَارٍ: نَهْرَانِ بَاطِنَانِ، وَنَهْرَانِ ظَاهِرَانِ، فَقُلْتُ: مَا هَذَانِ يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: أَمَّا الْبَاطِنَانِ فَنَهَرَانِ فِي الْجَنَّةِ، وَأَمَّا الظَّاهِرَانِ فَالنِّيلُ وَالْفُرَاتُ.

إثبات حكاية البيت المعمور:

«ثُمَّ رُفِعَ لي الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ، ثُمَّ أُتِيتُ بِإِنَاءٍ مِنْ خَمْرٍ، وَإِنَاءٍ مِنْ لَبَنٍ وَإِنَاءٍ مِنْ عَسَلٍ، فَأَخَذْتُ اللَّبَنَ، فَقَالَ: **هِيَ الْفِطْرَةُ أَنْتَ عَلَيْهَا وَأُمَّتُكَ.**

إثبات حكاية تشريع الصلوات الخمس:

« ثُمَّ فُرِضَتْ عَلَيَّ الصَّلَوَاتُ خَمْسِينَ صَلاَةً كُلَّ يَوْم، فَرَجَعْتُ، فَمَرَرْتُ عَلَى مُوسَى، فَقَالَ: بِمَا أُمِرْتَ؟ قَالَ: أُمِرْتُ بِخَمْسِينَ صَلاَةً كُلَّ يَوْم، قَالَ: إِنَّ أُمَّتَكَ لاَ تَسْتَطِيعُ خَمْسِينَ صَلاَةً كُلَّ يَوْم، وَإِنِّي وَاللَّهِ قَدْ جَرَّبْتُ النَّاسَ قَبْلَكَ، وَعَالَجْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَشَدَّ الْمُعَالَجَةِ، فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ؛ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ لأُمَّتِكَ، فَرَجَعْتُ، فَوَضَعَ عَنِّي عَشْرًا، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فَقَالَ مِثْلَهُ، فَرَجَعْتُ، فَوَضَعَ عَنِّي عَشْرًا، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فَقَالَ مِثْلَهُ، فَرَجَعْتُ فَوَضَعَ عَنِّي عَشْرًا، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فَقَالَ مِثْلَهُ، فَرَجَعْتُ، فَأُمِرْتُ بِعَشْرِ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْم، فَرَجَعْتُ فَقَالَ مِثْلَهُ، فَرَجَعْتُ، فَأُمِرْتُ بِخَمْسِ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْم، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى، فَقَالَ: بِمَا أُمِرْتَ؟ قُلْتُ: أُمِرْتُ بِخَمْسِ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْم، قَالَ: **إِنَّ أُمَّتَكَ لاَ تَسْتَطِيعُ خَمْسَ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْم، وَإِنِّي قَدْ جَرَّبْتُ النَّاسَ قَبْلَكَ، وَعَالَجْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَشَدَّ الْمُعَالَجَةِ، فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ لأُمَّتِكَ، قَالَ: سَأَلْتُ رَبِّي حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ، وَلَكِنْ أَرْضَى وَأُسَلِّمُ.قَالَ: فَلَمَّا جَاوَزْتُ نَادَى مُنَادٍ: أَمْضَيْتُ فَرِيضَتِي وَخَفَّفْتُ عَنْ عِبَادِي**»[1].

إثبات كون الإسراء والمعراج بالجسد والروح:

يقول الإمام الطبري: «وقد قرر جمهور العلماء أن الإسراء كان يقظة بروحه وجسده مرة واحدة، وأن الإسراء والمعراج كانا في ليلة واحدة»[2].

ومما يؤكد أنه كان بالروح والجسد معاً ما ذكر الدكتور راغب السرجاني من أن تكذيب قريش له يدل على ذلك، لأنه لو كان مناماً ما تكلفوا تكذيبه، وأن التصريح في قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾الإسراء: ١، يؤكد وقوعه، ولو كانت رؤيا لبينها الله تعالى كما في رؤيا إبراهيم عليه السلام بأن يذبح ولده إسماعيل عليه السلام، وأن الله تعالى أثبت رؤيا القلب بقوله: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ﴾النجم: ١١،

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب فضائل الصحابة، باب المعراج (٣٦٧٤).

(٢) تفسير جامع البيان لأبي جعفر الطبري، ط دار الفكر، ط١، ١٩٩٥م، ١٥/ ١٣-١٤.

ورؤيا العين بقوله: ﴿ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰ ﴾ النجم: ١٧-١٨، وأن كلمة «بعبده» تعني اجتماع الروح والجسد، وأن قدرة الله تعالى التي كانت تسير بسليمان عليه السلام من خلال تسخير الرياح له، لن تعجز عن حمل النبي ﷺ إلى حيث يريد تحقيق أمر الله تعالى، وأما رواية: «بينا أنا عند البيت مضطجعاً بين النائم واليقظان، أو بينا أنا نائم، فهذه كلها محمولة على ابتداء الحال عند الانطلاق في الرحلة»[1].

t.me/ktabrwaya مكتبة

إثبات شيء من حكمة الإسراء والمعراج:

يقول الدكتور أكرم العمري: «يمكن القول بأن حادثة الاسراء كانت تطميناً ومواساة لرسول الله ﷺ، وفتنة للكافرين الذين زاد عنادهم وكفرهم، ولبعض ضعفاء الإيمان ممن زلزل الحادث إيمانهم فكفروا ولم يعودوا إلى حظيرة الإيمان حتى قُتلوا»[2].

إثبات ما جاء في عدم رؤية النبي ﷺ ربه:

روى مسلم قال: سُئل رسول الله ﷺ إن كان قد رأى ربه فقال: «نورٌ أنَّى أراه؟!»[3].

إثبات رؤية النبي ﷺ جبريل على حقيقته:

قال سليمان الشيباني: سألت زِراً عن قوله تعالى: ﴿ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴾ النجم: ٩، قال: عبد الله «إن محمداً ﷺ رأى جبريل، له ستمائة جناح»[4].

إثبات رؤية النبي ﷺ سدرة المنتهى، وبعض ما أُعطي في تلك الرحلة:

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «لما أسري برسول الله ﷺ انتهى به إلى سدرة المنتهى، وهي في السماء السادسة، إليها ينتهي ما يُعرج به من الأرض،

---

(١) موقع قصة الإسلام على الشبكة العنكبوتية للدكتور راغب السرجاني، بتصرف.

(٢) السيرة النبوية الصحيحة للدكتور أكرم العمري: ص ٢٢٠.

(٣) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب في قول النبي ﷺ: نور أنّا أراه، ح ١٧٥.

(٤) أخرجه البخاري في التفسير، تفسير سورة النجم، باب قوله تعالى: فأوحى إلى عبده ما أوحى، ح٤٨٥٦.

فيقبض منها، وإليها ينتهي ما يهبط به من فوقها، فيقبض منها، قال: ﴿إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ﴾ النجم: ١٦، **قال: فراش من ذهب، قال: فأعطي رسول الله ﷺ ثلاثاً: أعطي الصلوات الخمس، وأعطي خواتم سورة البقرة، وغُفر لمن لم يشرك بالله من أمته شيئاً المقحمات**»[(١)].

إثبات رؤية النبي ﷺ الجنة والكوثر:

عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لما عُرج بي إلى السماء، بينما أنا أسير في الجنة، إذ بنهر حافتاه قباب الدر المجوف، قلت: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الكوثر الذي أعده ربك، فإذا طينه مسك أذفر»[(٢)].

إثبات صلاة النبي ﷺ بالنبيين إماماً في بيت المقدس:

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «وقد رأيتني في جماعة من الأنبياء، فإذا موسى قائم يصلي، فإذا رجل ضَرْب جَعْد كأنه من رجال شنوءة، وإذا عيسى بن مريم عليه السلام قائم يصلي أقرب الناس به شبهاً عروة بن مسعود الثقفي، وإذا إبراهيم قائم يصلي أشبه الناس به صاحبكم - يعني: نفسه - **فحانت الصلاة فأممتهم**»[(٣)].

إثبات موقف أبي بكر الصديق رضي الله عنه ومواقف المشركين في تلك الحادثة:

قال رسول الله ﷺ: «لقد رأيتني في الحجر، وقريش تسألني عن مسراي، فسألتني عن أشياء من بيت المقدس لم أثبتها، **فكربت كربة ما كربت مثلها قط**، قال: فرفعه الله لي أنظر إليه ما يسألوني عن شيء إلا نبأتهم به»[(٤)].

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب في ذكر سدرة المنتهى، ح١٧٣، والمقحمات هي الذنوب العظام (الكبائر).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب في الحوض: ح٦٥٨١.

(٣) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب ذكر المسيح، ح١٧٢.

(٤) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب ذكر المسيح عليه السلام، ح ٢٥٦.

أما أبو بكر رضي الله عنه فلما سأله المشركون عن خبر الإسراء قال: «لئن قال ذلك لقد صدق، قالوا: أوَ تصدقه أنه ذهب الليلة إلى بيت المقدس، وجاء قبل أن يُصبح؟ فقال نعم، **إني لأصدقه بما هو أبعد من ذلك، أصدقه في خبر السماء في غدوة أو روحة، فلذلك سُمي أبو بكر بالصِّدِّيق**»[1].

الأنوار والفوائد

أنوار وفوائد في العلاقات والحياة الاجتماعية:

١- أكدت رحلة الإسراء والمعراج تلك العلاقة الدافئة المميزة التي تجمع سلسلة النبوات في بوتقة التوحيد العظيم، وما كان هذا الاستقبال الحافل للنبي ﷺ من قِبل إخوانه الأنبياء في السموات العلى، إلا دليل ظاهر على تلك العلاقة الكريمة، وما فيها من احترام كبير لشخص النبي الخاتم ﷺ.

٢- كما أكدت الرحلة بمعية أمين الوحي جبريل عليه السلام عمق العلاقة بينه وبين نبينا محمد ﷺ، **ولك أن تراجع الفرق بين أول لقاء بينهما، وبين هذا اللقاء الكبير، لتعلم كيف أن الأيام والليالي تزيل الحواجز وتكسر الجمود بين الخلائق وتطور العلاقات، مع بقاء حالة من المهابة والاحترام المطلوب عندئذ**، بل إن العلاقة بين النبي ﷺ وبين جبريل عليه السلام قد تطورت أكثر وأكثر لإدراك النبي ﷺ حجم حاجته للوحي المبارك، بوصفه حبل الوصال بينه وبين رب العزة سبحانه وتعالى، **وهل كانت السيرة لتكون مستنيرة لولا علاقة صاحبها المتقدمة بالوحي وخالقه، لأجل ذلك** يروي ابن عباس ما يثبت تلك العلاقة بين النبي ﷺ والوحي فيقول[2]: قال رسول الله ﷺ لجبريل: «ألا تزورنا أكثر مما تزورنا؟ قال: فنزلت: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ مريم: ٦٤.

٣- في استحضار النبي ﷺ صورة عروة بن مسعود الثقفي زعيم ثقيف، عندما رأى

(١) أخرجه الحاكم في مستدركه، ٦٢/٣، وقد صححه الألباني في السلسلة الصحيحة، ١/ ٥٥٢، وذكره الدكتور أكرم العمري في السيرة النبوية الصحيحة ص٢٢٠.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب وما نتنزل إلا بأمر ربك، ح٣٢١٨.

النبي عيسى عليه السلام ما فيه من حُسن علاقة النبي ﷺ بالناس، وقُربه الشديد منهم، وقد أكرم الله تعالى عروة بالإسلام ثم الشهادة في سبيل الله لاحقاً[1]، فكيف كان أثر هذا الحديث في نفسه؟.

٤- على الرغم مما يربط المسلم من علاقة حميمة بينه وبين النبي ﷺ، إلا أن هذه الرحلة ما كان ينبغي أن تعمق حالة العنصرية أو التحيُّز لشخص النبي ﷺ دون إخوانه الأنبياء، لأجل ذلك كان من الهدايا التي تحصَّل عليها النبي ﷺ في تلك الليلة، خواتيم سورة البقرة، وفيها قوله تعالى: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾ البقرة: ٢٨٥.

٥- كان ولا يزال وسيبقى الأقصى عنواناً من عناوين وحدة الأمة واجتماعها وتماسكها لا سيما وقد ابتلي بقطعان يهود.

أنوار وفوائد في إدارة المواقف والسياسة الشرعية:

١- يحكي الترتيب الذي جرت به رحلة الإسراء والمعراج بين انتقال النبي ﷺ عبر البراق من مكة إلى بيت المقدس، ثم عروجه من بيت المقدس إلى السموات العلى، مروراً بالنبيين الكرام، ما للترتيب والتسلسل والتدرج من أثر في تحصيل الفوائد الجمة، فالله تعالى قادر على أن يصعد بنبيه الكريم إلى السموات العلى مباشرة ودون أي وسيط، **ولكنه أراد أن يشرِّف بيت المقدس بتلك الزيارة، وأن يلفت انتباه أمة الحبيب ﷺ إلى قداسة هذا المكان حتى لا يضيعوه، فضلاً عن**

(١) قال ابن إسحاق: لما انصرف رسول الله صلى الله علية وسلم من الطائف اتبع أثره عروة بن مسعود بن معتب حتى أدركه قبل أن يصل إلى المدينة فأسلم، وسأل رسول الله أن يرجع إلى قومه بالإسلام فقال له رسول الله: « إن فعلت فإنهم قاتلوك «.فقال له عروة: يا رسول الله أنا أحب إليهم من أبصارهم وكان فيهم محببا مطاعا فخرج يدعو قومه إلى الإسلام فاظهر دينه رجاء ألا يخالفوه لمنزلته فيهم ورجع عروة إلى قومه ليدعوهم إلى الإسلام، ولكنهم غضبوا منه وسبوه، وأسمعوه ما يكره، وفي فجر اليوم التالي صعد عروة فوق سطح غرفة له وأذن للصلاة، فخرجت إليه ثقيف، ورموه بالنبل من كل اتجاه، فأصابه سهم فوقع على الأرض، فحمله أهله إلى داره، وهناك قيل لعروة: ما ترى في دَمِكَ؟ قال: كرامة أكرمني الله بها، وشهادة ساقها الله إليَّ، فليس في إلا ما في الشهداء الذين قتلوا مع رسول الله قبل أن يرتحل عنكم، فادفنوني معهم، فدفنوه معهم.فلما علم بما حدث لعروة قال: (مَثَلُ عروة في قومه مَثَلُ صاحب ياسين دعا قومه إلى الله فقتلوه) ذكره الواقدي في المغازي، ج٣/ ٩٦٠.

كونه أولى القبلتين وثالث المسجدين الكريمين، كما أن في الاستقبال الحافل الذي وجده في طريقه وبهذا الترتيب، بين أبي البشرية آدم، وحتى أبي الأنبياء إبراهيم عليهم السلام، ما يثبت ويؤكد الترحيب والاعتراف والتشريف بخاتم النبيين من أبي البشرية إلى أبي الأنبياء، وحتى أنبياء بني إسرائيل عليهم السلام، لاسيما موسى وعيسى عليهما السلام.

٢- تحكي حكاية مراجعة موسى عليه السلام للنبي ﷺ في موضوع الصلاة، ما أفرزته التجربة العظيمة لموسى عليه السلام في قومه، وقد أتقن فنون الإدارة كلها في التعامل معهم، لاسيما إدارة المواقف الصعبة والأزمات وغيرها، ولقد وضع خلاصة خبرته بين يدي النبي ﷺ عندما بيَّن له أن الناس قد لا يطيقون، ولاشك أن رب العزة يعلم ذلك، لكنه سبحانه وتعالى أراد أن يجري بين هذين النبيين الكريمين ما يسمى في لغة عصرنا: إدارة توريث الخبرات بين الأجيال، وهذا ما يدعونا إلى أن نطالع تجربة موسى عليه السلام بصفته نبيُّ المهمات الصعبة، وذلك بشكل مستمر حتى نتعلم قبل أن نتألم، قال تعالى: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ الأحقاف: ٣٥، وقال تعالى: ﴿فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ الأنعام: ٩٠.

٣- **أما حكاية شقِّ الصدر وتكرر حصولها قبيل رحلة الإسراء والمعراج بعد حصولها للمرة الأولى في طفولة النبي ﷺ، فهو دليل على أهمية الإعداد والتحضير بين يدي خوض غمار التجارب الكبيرة والجديدة، لاسيما إذا كانت هذا التجارب الجديدة غير معهودة ومختلفة وغريبة، وعلى قدر حجم وضخامة التجربة ينبغي أن يكون الإعداد والتهيئة لها.**

٤- في السؤال المتكرر من كل نبي من أنبياء الله عليهم السلام للنبي ﷺ حول كونه بُعث أم لا، ما يؤكد حُسن إدارة وتدبير الله تعالى لكونه، وأن ذلك كان يتم بالكتمان، فعلى الرغم من مضيِّ أكثر من عشرة أعوام على بعثة النبي ﷺ، وعلى الرغم من وجود الأنبياء المقربين في السموات العلى، إلا أن أحداً منهم لم يكن ليعلم بلا تعليم من الله تعالى عن توقيت بعثة خاتم النبيين، وهي البعثة التي كانت مُنتظرَة مرقوبة بالنسبة لهم جميعاً، **فكيف لمشعوذ أو ساحر أن يدعي علماً**

بالغيب، أو اطلاعاً على ما سيجري للناس في قابل الأيام؟!.

٥- صحيح أن مرتبة الإمامة للصلاة مسألة تتعلق بالجانب التعبدي، إلا أنها فيما يتعلق بإمامة النبي ﷺ لإخوانه الأنبياء في هذه الرحلة الكريمة، وفي بيت المقدس تحديداً تشي بما هو أبعد من الجانب التعبدي، لاسيما ما حبا الله تعالى به النبي ﷺ من حُسن الإدارة للمواقف المختلفة، وكأنها إمامة قيادة وزعامة ورئاسة، وهذا ما يُحمِّل أمة النبي ﷺ مسؤولية زعامة البشرية وقيادتها وإدارتها بالخير والبر والرحمة والمعروف.

أنوار وفوائد في الجانب الاقتصادي والمعاشي:

في الاقتصار على من تم مقابلتهم من الأنبياء في السموات السبع، على الرغم من أن ثمة أنبياء آخرون كنبي الله لوط وإسحاق ونوح وغيرهم عليهم السلام جميعاً، ممن لم تتم مقابلتهم، ما يؤكد قيمة الاقتصاد في الجهد ما دام هنالك تحقق لغاية المقابلة، وهي الترحيب بنبي الله ﷺ، وتأكيد ارتباطه بسلسلة الأنبياء الكرام، وتعزيز همته ويقينه ومثابرته في المراحل المقبلة، كل ذلك مع قدرة الله تعالى على جمعهم كلهم ومصافحتهم للنبي الخاتم في السموات العلى، سيما وقد جمعهم له عندما حانت الصلاة ببيت المقدس، ثم صلى بهم إماماً.

أنوار وفوائد في الجانب التربوي القيمي وتهذيب السلوك:

١- في اختيار النبي ﷺ كأس اللبن، ما أثبت كونه على الفطرة، والفطرة هي الأصل الذي خلقنا الله تعالى عليه، قبل أن تأتي علينا الشياطين فتجتالنا وتحولنا عنها، وكلما كان الحرص منا للبقاء على الفطرة التي فطر الله الناس عليها، تعززت قيمنا الإيجابية وتمكنت أخلاقنا النقية.

٢- لقد كثرت الرؤية العينية البصرية لأمور عظيمة في عين النبي ﷺ بتلك الرحلة (كرؤية جبريل عليه السلام على حقيقته، ورؤية الأنبياء الكرام، ورؤية الجنة والنار...) وذلك كله كي يزداد يقينه بربه، وحتى يتمكن لديه الرسوخ في المنهج،

لاسيما وقد بلغ منتصف رحلة بعثته تقريباً، **وهذا ما يؤكد أهمية وجود المعززات والمثبتات القيمية في عالم التربية الايجابية بين الحين والآخر، وعدم الاعتماد على جرعة قيمية أولى في المسارات الحياتية الطويلة.**

٣- في توقيت هذه الرحلة الشريفة بعد رحلة الطائف، وعام الحزن، ما يحكي تعزيز الاعتماد على القوة الربانية دون سواها على طريق الدعوة، وعدم الاتكال على الأسباب المادية، حتى تلك الأسباب التي جاءت كهدية من الله تعالى للدعاة على الطريق، ولاشك بأن نصرة الله وعونه وتأييده، أبلغ وأقرب وأثبت للدعاة من أي تأييد سواه.

٤- لا يزال رب العزة يربي نبيه وحبيبه ﷺ بالمواقف الصعبة، فهو في الوقت الذي أسعد قلبه بهذه الزيارة وأبهج روحه، إلا أنه أدخل عليه شيئاً من الحزن المؤقت، لما نزل إلى الأرض وسأله المشركون عن الرحلة، فلم يملك الإجابة على تفاصيلٍ طلبوها منه، هذا الحرج الذي لقيه، وإن كان مؤقتاً محصوراً زمنياً كان له دوره البارز في صقل شخصية النبي ﷺ، وتأكيد اعتماده على ربه، وإلا فمن رأى ما رآه ﷺ ثم لم يُبتلى بالغرور والعُجب، فهو جدير بثقة الله تعالى وكرمه واصطفائه، **فما بالنا لا نكاد يفتح الله لنا بعض أمور نراها في أبواب العلم والمعرفة، ثم نتيه تفاخراً على خلق الله تعالى، وكأننا أوتينا علم الأولين والآخرين؟!!.**

لقد أسرى الله تعالى بالنبي ﷺ وهو عبد، قال تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا﴾ الإسراء: ١، ثم لما عرج به إلى السماء لم يزل يحمل الصفة نفسها، قال تعالى: ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ﴾ النجم: ١٠، ولم تغير هذه الرحلة الخارقة من تواضع النبي ﷺ قيد أنملة.

٥- إن من أبرز ما يميز المؤمن عن الكافر أو المنافق؛ تصديقه القاطع بخبر السماء وما صح من آثار الغيب، وهذه القيمة هي التي جعلت أبا بكر رضي الله عنه يتقدم على غيره، في حين كانت الحياة المادية هي الغالبة على الناس.

٦- أكَّد موسى عليه السلام قيمة التنافس والمسابقة بالخيرات، عندما أظهر حزنه على خذلان قومه له على الرغم من تعدد استراتيجيات دعوته لهم، وعلى الرغم من

صبره واستيعابه لهم، **فهو لم يحزن على كثرة عدد الذين يدخلون الجنة من أمة محمد ﷺ، بقدر حُزنه على قلة من يدخلها من قومه.**

٧- يعدُّ القرآن الكريم المعجزة الكبرى للنبي ﷺ، وكفى به من معجزة، ولكن ما الحكمة من حدوث المعجزات الحسية للنبي ﷺ كالإسراء والمعراج وغيرهما؟

يقول الشيخ محمد الغزالي في الإجابة عن سؤالنا هذا: «**لقد تكفَّل القرآن الكريم بإقناع أولي النهى من أول يوم، وجاءت الخوارق في طريق الرسول ﷺ ضرباً من التكريم لشخصه، والإيناس له، غير معكرة ولا معطلة للمنهج العقلي العادي الذي اخترعه القرآن**»(١).

٨- يقول الدكتور مصطفى السباعي: «**في فرض الصلاة ليلة الإسراء والمعراج إشارة إلى الحكمة التي من أجلها شُرعت الصلاة، فكأن الله يقول لعباده المؤمنين: إذا كان معراج رسولكم بجسمه وروحه إلى السماء معجزة، فليكن لكم في كل يوم خمس مرات معراج تعرج فيه أرواحكم وقلوبكم إليَّ، ليكن لكم عروج روحي تحققون به الترفع عن أهوائكم وشهواتكم، وتشهدون به من عظمتي وقدرتي ووحدانيتي ما يدفعكم إلى السيادة على الأرض، لا عن طريق الاستعباد والقهر والغلبة، بل عن طريق الخير والسُّمو، عن طريق الطُّهر والتسامي، عن طريق الصلاة**»(٢).

يقول الشاعر وليد الأعظمي(٣):

جبريل يهتف بالملائك مُعْلِمَا ... أن النبي محمداً بلغ السما
فاهتزت الآفاق تعلن بِشْرها ... بقدوم فخر الكائنات مكرما
وتلألأت أنوارها وازَّينتْ ... حُبُك السماء بما يليق بمن سما
حتى رقيتَ ذُرا السموات العلى ... وسموتَ حتى نلتَ تلك الأنعُما

٩- جاءت رحلة الاسراء والمعراج في منتصف عمر البعثة النبوية شكراً للحبيب ﷺ من ربه الشكور على ما فات وتهيئة له على ما هو آت من المهمات.

---

(١) عقيدة المسلم، الشيخ محمد الغزالي، ط دار القلم دمشق/ ط١٠، ص١٩٣.

(٢) السيرة النبوية دروس وعبر، الدكتور مصطفى السباعي، ص٥٨.

(٣) ديوان وليد الأعظمي، الشاعر وليد الأعظمي، طبعة دار القلم، ط٣، ٢٠٠٤م، ص٥٠.

بدأ النبي ﷺ يطوف على القبائل، خصوصاً تلك التي كانت تأتي في موسم الحج إلى مكة، رغبةً منه في هدايتهم، وسعياً في حمل الدين إلى أُفُق واسع وجديد، فكان يقابلهم بالليل، ويذهب إليهم أحياناً في منازلهم، ويصطحب أحياناً بعض أعوانه، ويجري مع الوفود المفاوضات، كل ذلك بغية الوصول إلى قلوبهم وعقولهم لعلهم يهتدون.

لم يسلموا ولم يُسهِّلوا دروب الهداية لغيرهم!!

- وحتى هذه (فكرة العرض على القبائل) لم تَسْلَم للنبي ﷺ، فقد كان يجد من يلاحقه عليها من كفار قريش، يقول ربيعة بن عبَّاد الدؤلي: «رأيت رسول الله ﷺ بذي المجاز يتبع الناس في منازلهم يدعوهم إلى الله عز وجل، ووراءه رجل أحول تَقُدُّ وجنتاه، وهو يقول: أيها الناس لا يغرنكم، هذا دينكم ودين آبائكم، قلت: من هو؟ قالوا: أبو لهب»[1].
- ومثل ذلك كان موقف أبي جهل الذي كان يتتبع خطوات النبي ﷺ ويقول للناس: «لا يغوينكم هذا عن دينكم، فإنما يريد لتتركوا آلهتكم، وتتركوا اللات والعزى»[2].
- ماذا كان النبي ﷺ يقول للقبائل؟

كان مما قاله النبي ﷺ في موسم الحج: «**هل من رجل يحملني إلى قومه، فإن قريشاً قد منعوني أن أبلِّغ كلام ربي عز وجل**؟ فأتاه رجل من همدان، فقال: من أنت فقال الرجل: من همدان، قال: فهل عند قومك منَعَة؟ قال: نعم، ثم إن الرجل خشي

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده ٣/ ٤٩٣، بإسنادين حسنيين يقويان بعضهما بعضاً إلى الصحيح لغيره، كما حكم بذلك الدكتور أكرم ضياء العمري في السيرة النبوية الصحيحة ٢٢١.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده: ٤/ ٦٣، وقال الساعاتي في الفتح الرباني: ٢٠/ ٢٦٥ سنده جيد، وهو في صحيح السيرة للشيخ العلي ص١٤٣.

أن يخفره قومه، فأتى رسول الله ﷺ فقال: آتيهم فأخبرهم، ثم آتيك من عامٍ قابل، قال نعم، فانطلق وجاء وفد من الأنصار في رجب»[1].

الجهد المبذول مع التحذير والرفض ثم بداية الخير:

قال جابر بن عبد الله رضي الله عنه: «مكث رسول الله ﷺ بمكة عشر سنين يتبع الناس في منازلهم بعكاظ ومجنَّة وفي المواسم بمنى يقول: من يؤويني؟ من ينصرني حتى أبلغ رسالة ربي وله الجنة؟ حتى إن الرجل ليخرج من اليمن أو من مضر - كذا قال - فيأتيه قومه فيقولون: **احذر غلام قريش لا يفتنك**، ويمشي بين رجالهم وهم يشيرون إليه بالأصابع، حتى بعثَنا الله إليه من يثرب، فآويناه وصدقناه، فيخرج الرجل منا فيؤمن به ويقرئه القرآن، فينقلب إلى أهله فيُسلمون بإسلامه، حتى لم يبق دار من دُور الأنصار إلا وفيها رهط من المسلمين **يُظهرون الإسلام**»[2].

ولعل في العبارة الأخيرة من هذا الحديث ما يفيد بأن الدعوة في المدينة لم تمر بمرحلة السرية بالطريقة نفسها التي كانت في مكة، وهذا من تأييد الله لنبيه ﷺ.

تهيئة وتمهيد رباني:

تقول عائشة رضي الله عنها: «كان يوم بُعاث يوماً قدَّمه الله لرسوله ﷺ، فقدم رسول الله ﷺ وقد افترق ملؤهم، وقتلت سرواتهم (أشرافهم وساداتهم) وجُرحوا، فقدمه الله لرسوله ﷺ في دخولهم الإسلام»[3].

كان اليهود قد أفسدوا يثرب، وغلبوا أهلها على أمرهم، وفرقوا جمعهم، وكانوا يقولون لأهل المدينة قُبيل بعثة النبي ﷺ: «إن نبياً مبعوث الآن، قد أظل زمانه، نتبعه فنقتلكم معه قتل عاد وإرم»[4] **فكان لهذه الكلمات أثرها الإيجابي على الأوس**

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده ٣/ ٣٩٠ بسند صحيح.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده ٣/٣٢٢ بإسناد حسن.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب مناقب، الأنصار باب مناقب الأنصار ح٣٧٧٧.

(٤) أخرجه ابن هشام في السيرة ١/ ٤٢٨والبيهقي في الدلائل ٢/ ٤٣٣ بإسناد قال فيه الشيخ ابراهيم العلي هو حسن، ص١٤٦.

والخزرج، فقد وجدوا في بعثة النبي ﷺ فرصة للالتفاف حوله، والاجتماع عليه في مواجهة هؤلاء اليهود الملاعين.

المهتدون الأوائل من أبناء القبائل:

- كان من أوائل من اتصل بهم النبي ﷺ من أهل المدينة «رجل اسمه سويد بن الصامت، وقد قُتل في يوم بُعاث[1] وقال رجال من قومه: إنا لنراه قد قُتل وهو مسلم»[2].
- وإياس بن معاذ، الذي كان قومه يسمعونه يُهلل ويكبر ويحمد الله ويسبحه حتى مات، فما كنا نشكُّ أنه مات مسلماً»[3].
- وقد كانت البداية مع وفد من الخزرج في موسم الحج عند قُبة منى، قال لهم رسول الله ﷺ: من أنتم؟ قالوا: نفرٌ من الخزرج، قال: أمن موالي يهود؟ قالوا: نعم، قال: أفلا تجلسون أكلمكم؟ قالوا: بلى، فجلسوا معه فدعاهم إلى الله عز وجل، وعرض عليهم الإسلام، وتلا عليهم القرآن»[4].
- وممن عرض النبي ﷺ عليهم الإسلام وفد من ربيعة، وقد كان بمعية صاحبه أبي بكر رضي الله عنه، وقد أعجب النبي ﷺ في ذاك اللقاء قدرة أبي بكر رضي الله عنه على معرفة أنساب العرب، يقول راوي الموقف: «فلقد رأيتُ رسول الله ﷺ وقد سُرَّ بما كان من أبي بكر ومعرفته بأنسابهم»[5].

الرافضون لفكرة الهداية من القبائل:

- يقول الشيخ محمد الغزالي: «ومن القبائل التي أتاها الرسول ﷺ ودعاها فأبت

---

(١) وهو اليوم الذي جرت فيه وقعة بين الأوس والخزرج، وقد انتصر فيها الأوس بعد قتل الكثير من الطرفين، وفيهم من أكابرهم وذلك قبل الهجرة بخمس سنين.

(٢) سيرة بن هشام ٢/ ٣٤ بإسناد حسن.

(٣) سيرة ابن هشام ٢/ ٣٦ بإسناد حسن.

(٤) سيرة ابن هشام ٢/ ٣٧ بإسناد حسن.

(٥) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة ٤٢٢/٢، وقد ذكره الشيخ ابراهيم العلي في صحيح السيرة النبوية وألمح إلى تحسينه من مجموع ما ذكر من أقوال العلماء فيه، وانظر ص١٤٢.

الاستجابة له: فزارة، وغسان، ومُرة، وحنيفة، وسُليم، وعبس، وبنو النضر، وكِندة، وكلب، وعذرة، والحضارمة، وبنو عامر بن صعصعة، ومحارب بن حفصة... وغيرها، ومع ذلك فإن الرسول عليه الصلاة والسلام - في هذا الجو القابض - لم يخامر اليأس قلبه، واستمر مثابراً في جهاد الدعوة حتى تأذَّنَ الحقُ أخيراً بالفرج»[1].

- ومن أسوأ الردود على دعوة النبي ﷺ للقبائل ردُّ بني عامر بن صعصعة الذين قالوا: «**أرأيت إن نحن بايعناك على أمرك، ثم أظهرك الله على من خالفك، أيكون لنا الأمر من بعدك؟ قال: الأمر إلى الله، يضعه حيث يشاء، فقالوا له: أفنهدف نحورنا للعرب دونك، فإذا أظهرك الله كان الأمر لغيرنا؟ لا حاجة لنا بأمرك**»[2].

البيعتان الكريمتان

أولاً: بيعة العقبة الأولى

يقول عبادة بن الصامت رضي الله عنه: «كنتُ فيمن حضر العقبة الأولى، وكنا اثني عشر رجلاً (عشرة من الخزرج واثنان من الأوس) فبايعنا رسول الله ﷺ على بيعة النساء، وذلك قبل أن يفترض علينا الحرب، على أن لا نشرك بالله شيئاً، ولا نسرق، ولا نزني، ولا نقتل أولادنا، ولا نأتي ببهتان نفتريه من بين أيدينا وأرجلنا، ولا نعصيه في معروف، فإن وفيتم فلكم الجنة، وإن غشيتم من ذلك فأمركم إلى الله عز وجل، إن شاء غفر، وإن شاء عذَّب»[3].

مهمة السفير الأول في الإسلام:

وقد أرسل النبي ﷺ مع المبايعين مصعب بن عمير رضي الله عنه، وأمره أن يُقرئهم القرآن، ويعلمهم الاسلام، فأدى ما عليه، وكان يُسمَى فيهم ب(المقرئ)، وانتشر الإسلام هناك على يديه، ثم رجع إلى مكة قبل بيعة العقبة الثانية»[4].

---

(١) فقه السيرة للشيخ محمد الغزالي/ ص١٤٨.

(٢) سيرة ابن هشام: ١/ ٤٢٥، وتاريخ الطبري: ٢/ ٣٥٠.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب وفود الأنصار، ح ٣٨٩٣.

(٤) سيرة ابن هشام ١/ ٤٣٨.

وممن أسلم على يدي مصعب بن عمير رضي الله عنه الصحابيان الجليلان: سعد بن معاذ، وأسيد بن حضير رضي الله عنهما، وقد أسلم ببركة إسلامهما دار بني عبد الأشهل وكثير من دور الأنصار[1].

بيعة العقبة الثانية:

السبب المباشر للبيعة:

قال جابر بن عبد الله الأنصاري «...ثم ائتمروا جميعاً فقلنا: **حتى متى نترك رسول الله ﷺ يُطرَد في جبال مكة ويخاف**، فرحل إليه منا سبعون رجلاً، حتى قدموا عليه في الموسم، فواعدناه شِعب العقبة، فاجتمعنا عليه من رجل ورجلين.

شروط البيعة وصيغتها:

يتابع جابر رضي الله عنه حديثه فيقول: حتى توافينا فقلنا: يا رسول الله نبايعك، قال: تبايعوني على السمع والطاعة في النشاط والكسل، والنفقة في العسر واليسر، وعلى الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، **وأن تقولوا في الله لا تخافون في الله لومة لائم، وعلى أن تنصروني فتمنعوني إذا قدمتُ عليكم، مما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأبناءكم**، ولكم الجنة، قال: فقمنا إليه فبايعناه.

موقف كبير لأسعد بن زرارة رضي الله عنه:

يتابع جابر رضي الله عنه حديثه فيقول: وأخذ بيده أسعد بن زرارة وهو من أصغرهم، فقال: رويداً يا أهل يثرب، فإنَّا لم نضرب أكباد الإبل إلا ونحن نعلم أنه رسول الله ﷺ، وإن إخراجه اليوم مفارقة العرب كافة، وقتل خياركم، وأن تعضَّكم السيوف، **فإما أنتم قوم تصبرون على ذلك وأجركم على الله، وإما أنتم قوم تخافون من أنفسكم جبينة، فبينوا ذلك، فهو عذر لكم عند الله**، قالوا: أمط عنا يا أسعد، فوالله لا ندع هذه البيعة أبداً، ولا نسلبها أبداً، قال: فقمنا إليه فبايعناه، فأخذ علينا وشرط، ويعطينا على ذلك الجنة»[2].

---

(١) وفي قصة إسلامهما حكاية طريفة ذكرها الطبري في التاريخ ٣٥٧/٢ بسند قال فيه الشيخ ابراهيم العلي: هو حسن لكنه مرسل، ثم قال بتحسينه بمجموع طرقه، وانظر صحيح السيرة النبوية للعلي ص١٥٠.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده: ٣/ ٣٢٢، وقال الألباني في السلسلة الصحيحة: هو صحيح (٦٣).

وفي رواية كعب بن مالك إضافات مفيدة تفصل في شأن البيعة حيث يقول:

حكاية ترتيب اللقاء للبيعة:

«خرجنا في حُجاج قومنا من المشركين، وقد صلينا وفقهنا...ثم خرجنا إلى الحج، وواعدنا رسول الله ﷺ العقبة من أوسط أيام التشريق...وكنا نكتم مَن معنا من المشركين أمرنا، فنمنا تلك الليلة مع قومنا في رحالنا، حتى إذا مضى ثلث الليل خرجنا من رحالنا لميعاد رسول الله ﷺ، نتسلل تسلل القَطا مستخفين، حتى اجتمعنا في الشِّعب عند العقبة، ونحن ثلاثة وسبعون رجلاً ومعنا امرأتان من نسائنا، نُسيبة بنت كعب، وأسماء بنت عمرو، فاجتمعنا في الشِّعب ننتظر رسول الله ﷺ، حتى جاءنا ومعه العباس بن عبد المطلب، وهو يومئذ على دين قومه إلا أنه أحب أن يحضر أمر ابن أخيه ويتوثق له.

موقف العباس ودوره في البيعة:

يتابع كعب بن مالك رضي الله عنه فيقول: فلما جلس كان أول متكلم العباس بن عبد المطلب: فبين أن الرسول في منعة من قومه بني هاشم، ولكنه يريد الهجرة إلى المدينة؛ ولذلك فإن العباس يريد التأكد من حماية الأنصار له وإلا فليدعوه، فطلب الأنصار أن يتكلم رسول الله، فيأخذ لنفسه ولربه ما يحب من الشروط.

صيغة البيعة والشروط وما بعدها من ردود:

قال: أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم، فأخذ البراء بن معرور بيده ثم قال: نعم، والذي بعثك بالحق، لنمنعك مما نمنع منه أزرنا، فبايِعنا يا رسول الله، فنحن والله أهل الحرب، وأهل الحلقة، ورثناها كابرًا عن كابر.

استفسارٌ مهم من أبي الهيثم بن التيهان:

يتابع كعب بن مالك رضي الله عنه فيقول: فقاطعه أبو الهيثم بن التيهان متسائلاً: **يا رسول الله، إن بيننا وبين القوم[1] حبالاً، وإنا قاطعوها فهل عسيتم إن نحن فعلنا ذلك، ثم أظهرك الله أن ترجع إلى قومك وتدَعنا؟ فتبسم رسول الله ﷺ ثم قال: بل الدم الدم، والهدم الهدم، أنا منكم وأنتم مني، أحارب من حاربتم وأسالم من سالمتم.**

---

١) يعني اليهود.

ترتيبات ما بعد البيعة، وضبط الارتدادات الانفعالية اللاحقة لها:

ثم قال: أخرجوا إليَّ منكم اثني عشر نقيبًا ليكونوا على قومهم بما فيهم.

فأخرجوا منهم اثني عشر نقيبًا، تسعة من الخزرج، وثلاثة من الأوس.

وقد طلب الرسول ﷺ منهم الانصراف إلى رحالهم، وقد سمعوا الشيطان يصرخ منذرًا قريشًا، فقال العباس بن عبادة بن نضلة: والله الذي بعثك بالحق، إن شئت لنميلنَّ على أهل منى غدًا بأسيافنا.

فقال رسول الله ﷺ: **لم نؤمر بذلك**، ولكن ارجعوا إلى رحالكم، فرجعوا إلى رحالهم، وفي الصباح جاءهم جمع من كبار قريش، يسألونهم عما بلغهم من بيعتهم للنبي ﷺ ودعوتهم له للهجرة، فحلف المشركون من الخزرج والأوس بأنهم لم يفعلوا، والمسلمون ينظرون إلى بعضهم»[1].

ممن سُمِّي من أصحاب العقبة في الصحيحين[2]:

١- عبادة بن الصامت: ذكره الشيخان في العقبتين.

٢- كعب بن مالك: ذكره البخاري في العقبة الثانية، وذكر قوله: «ولقد شهدت مع النبي ﷺ ليلة العقبة حين تواثقنا على الإسلام، **وما أحب أن لي بها مشهد بدر، وإن كانت بدر أذكر في الناس منها**»[3].

٣- جابر بن عبدالله وأبوه وخالاه:

فقد روى البخاري عنه قوله: «شهد بي خالاي العقبة»[4] قال أبو عبدالله البخاري قال ابن عيينة: أحدهما: البراء بن معرور[5]

٤- وغيرهم، إضافة إلى أهل البيعة الأولى؛ ومنهم عبادة بن الصامت، وأسعد بن زرارة وغيرهما.

---

(١) سيرة ابن هشام بإسناد حسن ١/ ٤٣٩، وصححه ابن حبان كما في فتح الباري ٧/ ٢٢١.

(٢) هذا المبحث مقتبس من كتاب السيرة النبوية في الصحيحين وعند ابن اسحاق للدكتور سلمان بن حمد العودة، ص٣٤٠.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب وفود الأنصار، ٤/ ٢٥٠.

(٤) السابق.

(٥) السابق.

أنوار وفوائد في العلاقات والحياة الاجتماعية:

١- يشكل المجتمع القبلي والعشائري في كثير من الأحيان تحديات صعبة في وجه الداعية، وهذا ما كان في مكة، وقد تعدى أذى أبي لهب وهو عم النبي ﷺ حدود منعه إياه للدعوة في إطار المكيين إلى منعه من دعوة القبائل والوفود، **لكن هذا التحدي تحول إلى فرصة في حدود قبائل المدنيين، وقد شهد الإقبال على الإسلام في المدينة حالة من التنافس بين قبيلتي الأوس والخزرج، وما موقف دار بني عبد الأشهل من حالة الدخول الجماعي في الإسلام عن ذلك ببعيد.**

٢- كان من الوظائف الموكلة لمصعب بن عمير رضي الله عنه أن يؤم الناس في المدينة، وذلك لوجود أزمة لا تزال عالقة في النفوس بين الأوسيين والخزرجيين، ما أدى إلى رفع الحرج عن الفريقين مبدئياً بإمامته لهم.

٣- لم يُخفِ الأنصار ما كان بينهم وبين اليهود من علاقات وعهود، لأجل ذلك صارحوا النبي ﷺ بهذا الشأن، وبينوا له أنهم سيضحون بتركهم لهذه العلاقات، في مقابل أن يظل النبي ﷺ معهم، وأن لا يتخلى عنهم، وقد كان لهم الحق في هذا الأمر.

٤- في قول النبي ﷺ: بل الدم الدم، والهدم الهدم، ما يؤكد أن هنالك علاقات ذات عناوين جديدة أخذت تحل في المجتمع المدني بدلاً من علاقات المصالح المتبادلة السابقة، **إنها منظومة أخلاقية جديدة عنوانها: نصرة الأخ في الإسلام لإخوانه، وعدم تخليه عنهم.**

٥- يقول الدكتور البوطي: «لقد اقتضت حكمة الله عز وجل أن يكون أنصار النبي ﷺ الأُوَل من غير بيئته وقومه، حتى لا يظن ظانٌّ بأن دعوة الرسول ﷺ كانت في حقيقتها دعوة قومية، حاكتها رغبات قومه، وظروف بيئته»[1].

---

(١) فقه السيرة للدكتور محمد البوطي/ ص١١٨.

أنوار وفوائد في إدارة المواقف والسياسة الشرعية:

١- في سؤال النبي ﷺ عن المنَعَة والحماية، وقدرة قبيلة فلان أو فلان على حمايته، ما يؤكد أهمية وجود ظهرٍ حامٍ للدعوة في كل مراحلها، وهذا لا يتعارض مع اعتماد النبي ﷺ على حفظ الله له ولدعوته، وإنما هي خطوة من خطوات الأخذ بأسباب الأمن والسلامة العامة، كإجراء احترازي له ولأصحابه ودعوته.

٢- في السؤال عن أنساب الناس، وسعادة النبي ﷺ لما علم من قدرة أبي بكر رضي الله عنه على معرفة أنساب العرب، **ما يؤكد أن هذه من الأمور المساعِدة في الوصول إلى مفاتيح القوم، ومن ثمَّ سهولة الدخول إليهم وإقناعهم، خصوصاً إذا وُجد في أصول وأنساب بعض القبائل شرفٌ وحسناتٌ وأمورٌ مميزة.**

٣- في انتظار النبي ﷺ لموسم الحج وتربصه لمواقف اجتماع الناس ما يؤكد وجوب استثمار الزمان والمكان لصالح الدعوة.

٤- ملكت عائشة رضي الله عنها من معالم الإدارة الناجحة، وحُسن السياسة الشرعية وهي تربط بين يوم بُعاث[1] وبعثة النبي ﷺ ثم هجرته إلى المدينة، فهي تعلم تمام العلم ما لعُتاة الكفار وكبراء القوم من دَور في صدٍّ ومنع قومهم عن الدين الجديد، **لأجل ذلك نظرت إلى يوم بُعاث (على الرغم مما أريق فيه من دماء) لكونه فرصة لما نتج عنه من هلاك زعماء الكفر في المدينة، تمهيداً لوصول النبي ﷺ إليها، وهي متعطشة له، ليحُل أزمتها ويجمع شتات كلمتها، ومن ثمَّ تكون منطلقاً لدولة الإسلام الفتيَّة.**

٥- في موقف بني عامر بن صعصعة، وربطهم لمبدأ الهداية بفكرة الإمارة والخلافة في الحكم بعد النبي ﷺ، ما يدل على أن هذه المسألة مما يجول في خواطر البعض، حتى لو كانت الدعوة في مهدها، فهم قد تنبأوا بظهور الدعوة، وأرادوا حجز مكان رفيع في المناصب والمواقع القادمة، **وفي الردِّ النبوي الحازم الجازم**

---

(١) يقول الدكتور سلمان بن حمد العودة: أما زمن يوم بُعاث، فقد اختلفت الروايات في تحديده، فقيل: كان قبل الهجرة بخمس سنين، وقيل: بأربع، وقيل: بأكثر، قال الحافظ ابن حجر: والأول أصح، وذكر ابن سعد ما يدل على وقوعه بعد المبعث بعشر سنين، وانظر السيرة النبوية في الصحيحين وعند ابن اسحاق للدكتور العودة، ص٣١٩.

بأن الأمر لله تعالى، ما ينفي وعده ﷺ لهم بأي شيء، لاسيما وقد لمس في نفوسهم تشوفاً للإمارة، وما هكذا تورد الأديان.

٦- اقتضت الحكمة وحُسن إدارة الموقف أن تختلف صيغة البيعة الأولى عن البيعة الثانية، بإضافة لون من ألوان القوة وطلب التضحية والفداء، إلى صيغة البيعة الثانية، **باعتبار أن الدين الجديد ومعالم التوحيد قد تمكنت ولو نسبياً في نفوس المبايعين في المرحلة الثانية من مراحل التواصل مع المدنيين.**

٧- من أرقى معالم السياسة الشرعية وحُسن إدارة الموقف في هذه المرحلة؛ ما كان من إرسال النبي ﷺ لمصعب بن عمير رضي الله عنه[1] سفيراً عنه مع المبايعين الأوائل، ليقوم بمهمة نشر الدين، وتعليم المهتدين الجدد أصول دينهم ومقتضيات التوحيد.

٨- في تركيز مصعب بن عمير رضي الله عنه على دعوة كبراء الأوس والخزرج ما فيه من التسريع في نشر الدين، **باعتبار ما لكبير القوم من أثر إيجابي في قومه، إن تمكنت الهداية من نفسه.**

٩- السرية المطلقة للمجتمعين في حضرة النبي ﷺ ساعة بيعة العقبة الثانية هي مما اقتضته إدارة الموقف، وذلك حتى لا يُفسد كفار مكة على المبايعين من أهل المدينة للنبي ﷺ بيعتهم، ومما جاء في الاحتياطات الأمنية، أن العباس رضي الله عنه قال للمبايعين: «**اخفوا جرسكم - يعني صوتكم- فإن عليكم عيوناً**»[2].

١٠- اقتضت إدارة الموقف والسياسة الشرعية أن يستعين النبي ﷺ عند البيعة الثانية بعمِّه العباس بن عبد المطلب، ولم يكن مسلماً آنذاك، ليكون ذلك أدعى لتفهُّم المدنيين، وأكثر استدعاءً لحماستهم في نصرة النبي ﷺ.

١١- كان من حُسن إدارة الموقف وإقفال المشهد، **أن لا ينفضَّ جمعُ المبايعين إلا بتعيين النقباء الاثني عشر من الأنصار، وذلك كبادرة أولى من بوادر التنظيم الإداري**

---

(١) لا بد من إجراء تحليل لشخصية كل صحابي كلفه النبي ﷺ بمهمة خاصة بهذا الحجم لندرك قدرة النبي ﷺ على وضع الرجل المناسب في المكان المناسب.

(٢) السيرة الحلبية (إنسان العيون في سيرة النبي المأمون) لعلي بن ابراهيم الحلبي، ط دار الكتب العلمية، ط٣، ٢٠١٠م، ج١٧٦/٢.

المتقدم لمسلمي المدينة، وقد كان الخيار تعيين النقباء الاثني عشر، دون أن يكون الخيار تعيين أمير واحد على الجميع مراعاةً لما كان من تنافس بين اليثربيين سابقاً، يقول الدكتور موفق نوري: «**إن في اختيار النقباء الاثني عشر دلالات عديدة؛ فهي إشعار للمسلمين في يثرب بأهميتهم، وأنهم باتوا أهلاً لتحمُّل مسؤولية الدعوة في مدينتهم، وهذا يحفز فيهم إظهار كامل الاستعداد للعمل والتضحية من أجل الدعوة، أما طريقة اختيارهم فكشفت في وقت مبكر أهمية الشورى في اختيار قيادات هذه الأمة، إذ تُرك للوفد حرية أن يختار النقباء من بينهم**»[1].

١٢- كان لرفض النبي ﷺ ومنعه أي احتكاك بين مسلمي المدينة المبايعين الجدد، وبين كفار مكة، أثره البالغ في المحافظة على **السلم المجتمعي**، ولأن النبي ﷺ يعلم ويدرك تماماً أنه ليس من المروءة أن يستقوي بأصحابه الجدد على قومه المشركين، وإن كانوا له مزعجين.

١٣- في تعداد أسماء عدد كبير من القبائل التي عرض عليها النبي ﷺ الإسلام ولم تُسلم، ما يؤكد حُسن إدارة النبي ﷺ لهذه التحديات، فقد صبر وصابر واستمر في المحاولة، ولم ييأس حتى فتح الله له الأفق الكبير.

١٤- يقول الدكتور عماد الدين خليل: « **خطوات مُحكَمَةٌ، واستخدام حصيف للإمكانات، وفقهٌ عميق لخطوات الحركة، يرافق هذا كله هدي السماء الذي لم يفارق خُطى الرسول ﷺ لحظة، والذي ساق إليه - بما أوجده من ظروف صعبة في يثرب - هذه الوفود التي جاءت تحمل إليه ما كان يرجوه ويعمل على تحقيقه جاهدا**»[2].

١٥- إن من تمام تدبير الله تعالى لدعوة الاسلام أن جعل نشأتها في مكة، فمكة على الرغم من كراهيتها لدعوة الإسلام، إلا أنها لم تتجرأ على قتل صاحب الدعوة، فلو أن نشأتها كانت في المدينة لربما قام اليهود بقتله وهو في مهده، **وحتى يكتمل مشهد التدبير الإلهي، جعل الله تعالى في مكة ما به تهوي القلوب إليها، فكان أن جاءها وفود المدينة، وقد أغلقت أبوابها عن الاستجابة لداعي الله فيها، ليبدأ**

---

(١) فقه السيرة النبوية، قراءة سياسية دعوية حركية، الدكتور موفق نوري، دار ابن كثير دمشق، ط١، ٢٠٠٦م، ص١٥٠.

(٢) دراسة في السيرة للدكتور عماد الدين خليل، ص١١٠.

النبي ﷺ مشوار دولة الاسلام في ديارهم (المدينة).

١٦- يبين الدكتور راغب السرجاني أن «من حسن التدبير وإدارة الموقف السياسي ومراعاة المصلحة العامة؛ اختفاء (الجهاد) تماماً في بنود بيعة العقبة الأولى، وذلك لاستكمال متطلبات التربية المتدرجة لدى المسلمين الجدد، ولأن ظروف مكة والمدينة لم تكن تسمح بالجهاد، ولأنه لا يزال هنالك فرص لإسلام أهل يثرب، ولأنه لا يزال هنالك وقت لهجرة النبي ﷺ إليها»[1].

١٧- يمكن أن يكون في صيغة طلب النصرة من القبائل ما يوحي بأنه كان يطلب الحماية عند قوم يملكون حمايته وإيواءه حتى لو لم يسلموا، كدرجة ثانية من درجات التفاعل مع الناس في حال لم يؤمنوا، **وذلك أضعف صور النصرة، وفي ذلك ما فيه من إظهار شدة الموقف آنذاك فأكرمه الله تعالى بقوم آمنوا به، ونصروا دعوته، واقتدوه بالغالي والنفيس**، يقول الإمام الزهري رحمه الله: «كان رسول الله ﷺ في تلك السنين يعرض نفسه على قبائل العرب في كل موسم، ويكلم كل شريف قوم، لا يسألهم مع ذلك إلا أن يؤووه ويمنعوه، ويقول: «لا أُكره أحداً منكم على شيء من رضي منكم بالذي أدعوه إليه فذلك، ومن كره لم أُكرهه، **وإنما أريد أن تحوزوني فيما يُراد بي من القتل، حتى أُبلِّغ رسالة ربي، وحتى يقضي الله لي وللمن صحبني بما شاء**، فلم يقبله أحد منهم، وما يأتي أحداً من تلك القبائل إلا قالوا: قومُ الرجل أعلم به، أترون رجلاً يُصلحنا، وقد أفسد قومه ولفظوه؟!! **وكان ذلك مما ادخره الله للأنصار وأكرمهم به**»[2].

مما لم إدارة الموقف بحكمة ما تم بعد أن صالح الشيطان ليكشف اجتماع المبايعين النبي ﷺ، وقول النبي ﷺ: **ارفضوا إلى رحالكم**، ذلك أن الشيطان أراد أن تتحول الفرصة إلى تحدي، من خلال كشف المجتمعين عند النبي ﷺ ليقبض عليهم كلهم، ولينبذهم من كان منهم من غير المسلمين من أهل يثرب، ولكن الله سلَّم، مبايعون إلى رحالهم بسرعة وخفة متناهية، وكأن شيئاً لم يكن.

---

[1] الإسلام على الشبكة العنكبوتية للدكتور راغب السرجاني، بتصرف.

[2] للهيثمي ((٦٤٨٣))، وقال فيه: رواه أحمد ورجاله ثقات، ورواه رجال السنن الأربعة، وقال شعيب حسن صحيح.

أنوار وفوائد في الجانب الاقتصادي والمعاشي:

١- كان أسعد بن زرارة محتاطاً لقومه، مقتصداً متوازناً في انفعالاته عند سماعه لشروط البيعة، فقد أراد أن يلفت انتباه المبايعين بيعة العقبة الثانية من قومه، إلى خطورة ما هم مقبلون عليه، وذلك ليس على سبيل التخويف والمنع والترهيب لهم، وإنما على سبيل التحفيز الواعي؛ لأجل ذلك كانت ردود الفعل متوافقة متناغمة مع ما كان يحب أسعد رضي الله عنه سماعه من قومه.

٢- حرص النبي ﷺ طيلة وجوده في مكة المكرمة على توفير الدماء من خلال رفع شعار **السلم المجتمعي**، وقبوله بمبدأ الاحتساب واحتمال الأذى، وذلك في الفترة قبل البيعة، وعند عقد البيعة، وحتى يوم فتحه لمكة المكرمة حرسها الله تعالى.

أنوار وفوائد في الجانب التربوي القيمي وتزكية الأنفس:

١- نفهم من حكاية المهتدين الأوائل في المدينة قُبيل وصول الإسلام إليها **أن حرص الفرد الواحد على الاهتداء، وبحثه عن الحقيقة، قد يُنجيه وحده كحدٍّ أدنى، حتى وإن لم يتمكن من حمل قومه على النجاة في قارب الاهتداء.**

٢- بلغت التربية الإيمانية على القيم العقائدية العالية مبلغها عند مسلمي المدينة الأوائل لما فكروا بنصرة النبي ﷺ، واستضافته إلى ديارهم في المدينة، وعدم تركه في مكة يلاقي هو وأصحابه الأهوال، وترسخت معالم هذه القيم العالية وهم يبسطون أيديهم مبايعين رسول الله ﷺ على الطاعة في المنشط والمكره، وعلى بذل الغالي والنفيس ابتغاء مرضات الله تعالى، ودفاعاً عن رسوله ﷺ.

٣- البيعة بحدِّ ذاتها عقدٌ أدبي أخلاقي مبنيٌّ على الوفاء بحقوقها وواجباتها بين أطرافها، وهي تُلزم الأطراف إلزاماً تاماً، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ الفتح: ١٠.

الهجرة تكليف

كانت الهجرة الى المدينة بوحي من الله تعالى، قال ﷺ: «رأيتُ في المنام أني أهاجر من مكة إلى أرض بها نخل، فذهب وَهْلي إلى أنها اليمامة أو هَجَر، فإذا هي المدينة يثرب»(١).

وفي رواية: «إني أُريت دار هجرتكم، ذات نخلٍ بين لابتين»(٢).

أوائل المهاجرين الكرام:

- «كان أبو سلمة رضي الله عنه أول مهاجر من مكة إلى المدينة، وذلك قبل بيعة العقبة بسنة»(٣).وتقول أم سلمة: «إن أبا سلمة أول بيت هاجر إلى رسول الله ﷺ»(٤).
- وكان مصعب بن عمير وابن أم مكتوم رضي الله عنهما من أوائل المهاجرين، وكانا يُقرئان الناس القرآن.
- وقد تتابع المهاجرون؛ فقدم المدينة بلال بن رباح، وسعد بن أبي وقاص، وعمار بن ياسر، و«عمر بن الخطاب في عشرين من أصحابه»(٥).

الهجرة معاناة وألم:

من صور معاناة المهاجرين، ما لاقاه أبو سلمة وزوجته وابنهما يوم هجرتهما، إذ تقول أم سلمة رضي الله عنها: «لمَّا أجمع أبو سلمة الخروج إلى المدينة رحَّل لي بعيره

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب الرؤيا، باب في تأويل الرؤيا، ح ٢٢٧٢، ووهلي يعني اعتقادي وظني.

(٢) أخرجه البخاري، مناقب الأنصار، باب هجرة النبي ﷺ، ح ٣٠٩٥.

(٣) سيرة ابن هشام، ١/ ٤٦٩.

(٤) أخرجه مسلم، كتاب الجنائز، باب ما يقال عند المصيبة، ح ٩١٨.

(٥) أخرجه البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب مقدم النبي ﷺ وأصحابه المدينة، فتح الباري: ٧/ ٢٦٠.

ثم حملني عليه، وحمل معي ابني سلمة بن أبي سلمة في حجري، ثم خرج بي يقود بي بعيره، فلمَّا رأته رجال بني المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم قاموا إليه، فقالوا: هذه نفسك غلبتنا عليها، أرأيتَ صاحبتك هذه؟ علامَ نتركك تسير بها في البلاد؟ قالت: فنزعوا خطام البعير من يده، فأخذوني منه.

قالت: وغضب عند ذلك بنو عبد الأسد، رهط أبي سلمة، فقالوا: لا والله لا نترك ابننا عندها إذ نزعتموها من صاحبنا.

قالت: فتجاذبوا ابني سلمة بينهم حتى خلعوا يده، وانطلق به بنو عبد الأسد، وحبسني بنو المغيرة عندهم، وانطلق زوجي أبو سلمة إلى المدينة.

قالت: ففُرِّق بيني وبين زوجي وبين ابني.

قالت: فكنت أخرج كل غداة فأجلس بالأبطح[1]، فما أزال أبكي، حتى أمسى سنة أو قريبًا منها، حتى مرَّ بي رجل من بني عمي -أحد بني المغيرة- فرأى ما بي فرحمني، فقال لبني المغيرة: ألا تُخْرِجون هذه المسكينة، فرَّقتم بينها وبين زوجها وبين ولدها.

قالت: فقالوا لي: الحقي بزوجك إن شئت.

قالت: وردَّ بنو عبد الأسد إليَّ عند ذلك ابني.

قالت: فارتحلتُ بعيري، ثم أخذتُ ابني فوضعته في حجري، ثم خرجتُ أريد زوجي بالمدينة.

قالت: وما معي أحد من خلق الله.

قالت: فقلتُ: أتبلَّغ بمن لقيتُ حتى أقدُمَ على زوجي، حتى إذا كنتُ بالتنعيم لقيتُ عثمان بن طلحة بن أبي طلحة أخا بني عبد الدار، فقال لي: إلى أين يا بنت أبي أمية؟ قالت: فقلتُ: أريد زوجي بالمدينة. قال: أَوَمَا معكِ أحد؟ قالت: فقلتُ: لا والله إلاَّ الله وبُنَيَّ هذا.

قال: والله ما لك مِن مَترك، فأخذ بخطام البعير فانطلق معي يهوي بي، فوالله ما صحبتُ رجلاً من العرب قطُّ، أرى أنه كان أكرم منه، كان إذا بلغ المنزل أناخ بي، ثم استأْخَر عنِّي، حتى إذا نزلتُ استأخر ببعيري، فحطَّ عنه، ثم قيَّده في الشجرة، ثم تنحَّى

---

(١) الأبطح: إحدى ضواحي مكة. انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان ٧٤/١.

وقال: اركبي، فإذا ركبتُ واستويتُ على بعيري؛ أتى فأخذ بخطامه فقاده حتى ينزل بي، فلم يزل يصنع ذلك بي حتى أقدمني المدينة، فلمَّا نظر إلى قرية بني عمرو بن عوف بقُبَاء، قال: زوجك في هذه القرية -وكان أبو سلمة بها نازلاً- فادخليها على بركة الله، ثم انصرف راجعًا إلى مكة.

فكانت تقول: والله ما أعلم أهل بيت في الإسلام أصابهم ما أصاب آل أبي سلمة، وما رأيت صاحبًا قطُّ كان أكرم من عثمان بن طلحة»[1].

حكاية هجرة عمر رضي الله عنه:

يقول الدكتور أكرم ضياء العمري: «وأما قصة هجرة عمر وأنها كانت علنية، وفيها التحدي لقريش فلم تصح»[2]، وهنالك رواية تثبت تفصيلاً مختلفاً في هجرته، وتؤكد كونها كانت سراً كباقي الصحابة، يقول عمر رضي الله: اتَّعدْتُ لما أردنا الهجرة إلى المدينة أنا وعياش بن أبي ربيعة وهشام بن العاص (بن وائل) السهمي التناضب من أضاءة بني غفار فوق سرف، وقلنا: أينا لم يصبح عندها فقد حُبس فليمض صاحباه.

قال: فأصبحت أنا وعياش بن أبي ربيعة عند التناضب، وفطن لهشام قومه فحبسوه عن الهجرة وفُتن فافتتن، ثم إن أبا جهل، والحارث بن هشام - وأسلم بعد ذلك - خرجا حتى قدما المدينة، ورسول الله ﷺ بمكة، فقالا لعياش بن أبي ربيعة، وكان ابن عمهما وأخاهما لأمهما: إن أمك قد نذرت ألا يمس رأسها مشط حتى تراك، ولا تستظل من شمس حتى تراك، فرقَّ لها.

فقلت له: يا عياش إنه والله إن يريدك القوم إلا ليفتنوك عن دينك فاحذرهم، فوالله لو قد آذى أمك القمل لامتشطت، ولو قد اشتدَّ عليها حرُّ مكة لاستظلت.

فقال: أبرُّ قسَمَ أمي، ولي هنالك مالٌ فآخذه.

فقلت: والله إنك لتعلم أني لمن أكثر قريشاً مالاً، فلك نصفُ مالي ولا تذهب معهما.

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام: ٤٦٨/١، يقول الدكتور أكرم العمري: إسناد ابن هشام صالح، ولكنها رواية تاريخية ليس فيها تشريعات فلا بأس بالانتفاع بها.

(٢) السيرة النبوية الصحيحة للدكتور أكرم ضياء العمري وانظر ص٢٣٧.

فأبى عليَّ إلا أن يخرج معهما.

فلما أبى إلا ذلك قلت: أما إذا قد فعلتَ ما فعلتَ فخذ ناقتي هذه، فإنها ناقة نجيبة ذلول فالزم ظهرها، فإن رابك من القوم ريب فانج عليها، فخرج عليها معهما، حتى إذا كانوا ببعض الطريق قال له أبو جهل: والله يا أخي لقد استغلظتُ بعيري هذا، أفلا تعقبني على ناقتك هذه؟ قال: بلى.

قال: فأناخ وأناخ ليتحول عليها، فلما استووا بالأرض عَدَوا عليه فأوثقاه رباطاً وفتناه فافتتن، ودخلا به مكة نهاراً موثقاً، ثم قالا: **يا أهل مكة، هكذا فافعلوا بسفهائكم، كما فعلنا بسفيهنا هذا.**

قال عمر: فكنا نقول: ما الله تعالى بقابل ممن افتتن صرفاً ولا عدلاً ولا توبة، قوم عرفوا الله، ثم رجعوا إلى الكفر لبلاء أصابهم!!.

قال: وكانوا يقولون ذلك لأنفسهم.

فلما قدم النبي ﷺ المدينة، أنزل الله تعالى فيهم، وفي قولنا وقولهم لأنفسهم: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَٱتَّبِعُوٓا۟ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ الزمر: ٥٣ - ٥٥.

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: فكتبتها بيدي في صحيفة، وبعثت بها إلى هشام بن العاص.

قال: فقال هشام: فلما أتتني جعلت أقرؤها بذي طوى، أصعِّدُ بها فيه وأصوِّب، ولا أفهمها حتى قلت: اللهم فهمنيها، قال: فألقى الله تعالى في قلبي أنها إنما أنزلت فينا وفيما كنا نقول في أنفسنا.

قال: فرجعتُ إلى بعيري، فجلستُ عليه، فلحقتُ برسول الله ﷺ»[1].

---

(١) سيرة ابن هشام: ١/ ٤٧٤ بإسناد حسن لذاته.

الهجرة النبوية المباركة

متى كانت الهجرة النبوية؟

قال الزهري: «مكث رسول الله ﷺ بعد الحج بقية ذي الحجة والمحرم وصفر، ثم إن مشركي قريش اجتمعوا - يعني على قتله - وقال الحاكم: تواترت الأخبار أن خروجه كان يوم الاثنين، ودخوله المدينة كان يوم الاثنين»[1].

أما تفاصيل هجرة الرسول ﷺ، فترويها أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها إذ تقول في هذا الحديث الطويل الذي يبين دقائق الهجرة ومعالمها:

مقدمة تبين ما جرى لأبي بكر رضي الله عنه من ضيق قبيل الهجرة:

«لم أعقل أبويَّ قطُّ إلا وهما يدينان الدين، ولم يمر علينا يوم إلا يأتينا فيه رسول الله ﷺ طرفي النهار بكرة وعشية، فلما ابتلي المسلمون خرج أبو بكر مهاجراً نحو أرض الحبشة حتى إذا بلغ برك الغماد لقيه ابن الدغنة وهو سيد القارة فقال أين تريد يا أبا بكر؟ فقال أبو بكر: أخرجني قومي فأريد أن أسيح في الأرض وأعبد ربي، **قال ابن الدغنة: فإن مثلك يا أبا بكر لا يخرج ولا يُخرج، إنك تُكسب المعدوم، وتصل الرحم، وتحمل الكل، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق فأنا لك جار، ارجع واعبد ربك ببلدك، فرجع وارتحل معه ابن الدغنة**، فطاف ابن الدغنة عشية في أشراف قريش فقال لهم: إن أبا بكر لا يخرج مثله ولا يخرج، أتخرجون رجلا يكسب المعدوم ويصل الرحم ويحمل الكل ويقري الضيف ويعين على نوائب الحق؟!

فلم تكذب قريش بجوار ابن الدغنة وقالوا لابن الدغنة مرْ أبا بكر فليعبد ربه في داره فليصلِّ فيها وليقرأ ما شاء ولا يؤذينا بذلك، ولا يستعلن به، فإنا نخشى أن يفتن نساءنا وأبناءنا، فقال ذلك ابن الدغنة لأبي بكر فلبث أبو بكر بذلك يعبد ربه في داره ولا يستعلن بصلاته ولا يقرأ في غير داره، ثم بدا لأبي بكر فابتنى مسجداً بفناء داره وكان يصلي فيه ويقرأ القرآن، فينقذف عليه نساء المشركين وأبناؤهم وهم يعجبون منه وينظرون إليه، وكان أبو بكر رجلاً بكاءً لا يملك عينيه إذا قرأ القرآن، وأفزع ذلك

---

(١) السيرة النبوية الصحيحة: أكرم العمري: ص٢٣٧.

أشراف قريش من المشركين، فأرسلوا إلى ابن الدغنة فقدم عليهم، فقالوا: إنا كنا أجرنا أبا بكر بجوارك على أن يعبد ربه في داره فقد جاوز ذلك فابتنى مسجداً بفناء داره فأعلن بالصلاة والقراءة فيه وإنّا قد خشينا أن يفتن نساءنا وأبناءنا فانهه، فإن أحب أن يقتصر على أن يعبد ربه في داره فعل، وإن أبى إلا أن يعلن بذلك فسله أن يرد إليك ذمتك، فإنا قد كرهنا أن نخفرك ولسنا مقرين لأبي بكر الاستعلان.

قالت عائشة: فأتى ابن الدغنة إلى أبي بكر فقال: قد علمت الذي عاقدت لك عليه فإما أن تقتصر على ذلك وإما أن ترجع إليّ ذمتي فإني لا أحب أن تسمع العرب أني أخفرت في رجل عقدت له، فقال أبو بكر: فإني أردُّ إليك جوارك وأرضى بجوار الله عز وجل.

تكليف النبي ﷺ للصحابة بالهجرة:

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كان رسول الله ﷺ بمكة فأمر بالهجرة وأنزل عليه: ﴿ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا ﴾ الإسراء: ٨٠ [1].

تقول عائشة رضي الله عنها في الرواية ذاتها: «والنبي ﷺ يومئذ بمكة، فقال النبي ﷺ للمسلمين إني أريت دار هجرتكم ذات نخل بين لابتين، وهما الحرتان، فهاجر من هاجر قبل المدينة، ورجع عامة من كان هاجر بأرض الحبشة إلى المدينة، وتجهز أبو بكر قبل المدينة، فقال له رسول الله ﷺ على رِسلك، فإني أرجو أن يؤذَن لي، فقال أبو بكر: وهل ترجو ذلك بأبي أنت؟ قال: نعم.

التحضير لهجرة النبي ﷺ:

تتابع عائشة رضي الله عنها روايتها لحكاية الهجرة فتقول: « فحبس أبو بكر نفسه على رسول الله ﷺ ليصحبه، وعلف راحلتين كانتا عنده ورق السمر، وهو الخبط،

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه في تفسير سورة بني إسرائيل ح٣١٣٩، وقال: حسن صحيح، وهو في صحيح السيرة للشيخ العلي ص١٦٧.

أربعة أشهر:

قال ابن شهاب: قال عروة: قالت عائشة: فبينما نحن يوماً جلوس في بيت أبي بكر في نحر الظهيرة قال قائل لأبي بكر هذا رسول الله ﷺ متقنعاً في ساعة لم يكن يأتينا فيها، فقال أبو بكر: فداء له أبي وأمي، والله ما جاء به في هذه الساعة إلا أمر.

قالت: فجاء رسول الله ﷺ فاستأذن، فأذن له، فدخل، فقال النبي ﷺ لأبي بكر: أخرِجْ مَن عندك، فقال أبو بكر: إنما هم أهلك بأبي أنت يا رسول الله، قال: فإني قد أُذن لي في الخروج.

بداية المشوار المبارك:

« فقال أبو بكر: الصحابة[1] بأبي أنت يا رسول الله؟ قال رسول الله ﷺ: نعم، قال أبو بكر: فخذ بأبي أنت يا رسول الله إحدى راحلتيَّ هاتين، قال رسول الله ﷺ: بالثمن؟ قالت عائشة: فجهزناهما أحثَّ الجهاز، وصنعنا لهما سفرة في جراب، فقطعت أسماء بنت أبي بكر قطعة من نطاقها فربطت به على فم الجراب، فبذلك سُميت ذات النطاقين.

في الغار المبارك:

تتابع عائشة رضي الله عنها روايتها لحكاية الهجرة فتقول: « ثم لحق رسول الله ﷺ وأبو بكر بغار في جبل ثور، فكمَنَّا فيه ثلاث ليال، يبيت عندهما عبد الله بن أبي بكر، وهو غلام شاب ثقِفٌ لقِنٌ، فيدلج من عندهما بسَحَر، فيصبح مع قريش بمكة كبائت، فلا يسمع أمراً يكتادان به إلا وعاه حتى يأتيهما بخبر ذلك حين يختلط الظلام.

يقول أنس رضي الله عنه: عن أبي بكر رضي الله عنه قال: قلت للنبي ﷺ وأنا في الغار: لو أن أحدهم نظر تحت قدميه لأبصرنا، فقال: ما ظنك يا أبا بكر باثنين الله ثالثهما؟[2].

---

(١) هكذا هي في الرواية بلفظ الصحابة وليس بلفظ الصحبة، وكلتاهما تظهران حماسة أبي بكر رضي الله عنه في مصاحبة النبي ﷺ في الهجرة.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب المهاجرين، ح٣٦٥٣.

إجراءات أمنية:

تتابع عائشة رضي الله عنها فتقول: « **ويرعى عليهما عامر بن فهيرة مولى أبي بكر منحة من غنم، فيريحها عليهما حين تذهب ساعة من العشاء، فيبيتان في رسل وهو لبن منحتهما ورضيفهما**[1]**، حتى ينعق بها عامر بن فهيرة بغلس، يفعل ذلك في كل ليلة من تلك الليالي الثلاث.**

دليل السفر:

«واستأجر رسول الله ﷺ وأبو بكر رجلاً من بني الديل وهو من بني عبد بن عدي هادياً خرِّيتاً (والخريت الماهر بالهداية)، قد غمس حلفاً في آل العاص بن وائل السهمي، وهو على دين كفار قريش، فأمَّناه فدفعا إليه راحلتيهما، وواعداه غار ثور بعد ثلاث ليال براحلتيهما صُبح ثلاث، وانطلق معهما عامر بن فهيرة والدليل، فأخذ بهم طريق السواحل.

حكاية سراقة بن مالك[2]:

تتابع عائشة رضي الله عنها روايتها لحكاية الهجرة فتقول: « قال ابن شهاب: وأخبرني عبد الرحمن بن مالك المدلجي وهو ابن أخي سراقة بن مالك بن جعشم أن أباه أخبره أنه سمع سراقة بن جعشم يقول: جاءنا رسل كفار قريش يجعلون في رسول الله ﷺ وأبي بكر دية كل واحد منهما من قتله أو أسره، فبينما أنا جالس في مجلس من مجالس قومي بني مدلج أقبل رجل منهم حتى قام علينا ونحن جلوس فقال: يا سراقة إني قد رأيت آنفاً أسودة بالساحل، أراها محمداً وأصحابه، قال سراقة فعرفت أنهم هم، فقلت له: إنهم ليسوا بهم، ولكنك رأيت فلاناً وفلاناً انطلقوا بأعيننا، ثم لبثت في

---

(١) منحة: كل شاة، ورضيفهما: رغيف، أي اللبن المرضوف أي التي وضعت فيه الحجارة المحماة بالشمس أو النار لينعقد وتزول رخاوته، قاله ابن حجر في الفتح.

(٢) قال البعض بضعف إسناد الرواية التي وعد فيها سراقة بسواري كسرى وقد أوردها الكثير من كُتاب السيرة في كتبهم لوجود روايات تاريخية تفيد بأن عمر رضي الله تعالى منح سواري كسرى في زمانه لسراقة بن مالك رضي الله عنه.

المجلس ساعة، ثم قمت فدخلت فأمرت جاريتي أن تخرج بفرسي وهي من وراء أكمة فتحبسها علي، وأخذتُ رمحي فخرجت به من ظهر البيت، فحططت بزجه الأرض، وخفضت عاليه حتى أتيت فرسي، فركبتها فرفعتها تقرب بي حتى دنوت منهم، فعثرتْ بي فرسي فخررت عنها، فقمتُ فأهويت يدي إلى كنانتي، فاستخرجتُ منها الأزلام فاستقسمت بها أضرهم أم لا، فخرج الذي أكره، فركبت فرسي وعصيت الأزلام تقرب بي، **حتى إذا سمعت قراءة رسول الله ﷺ وهو لا يلتفت، وأبو بكر يكثر الالتفات،** ساخت يدا فرسي في الأرض حتى بلغتا الركبتين، فخررتُ عنها، ثم زجرتها فنهضت، فلم تكد تخرج يديها، فلما استوت قائمة إذا لأثر يديها عثان ساطع في السماء مثل الدخان، فاستقسمت بالأزلام، فخرج الذي أكره، فناديتهم بالأمان، فوقفوا، فركبت فرسي، حتى جئتهم، ووقع في نفسي حين لقيتُ ما لقيتُ من الحبس عنهم **أن سيظهر أمر رسول الله ﷺ**، فقلت له: إن قومك قد جعلوا فيك الدية، وأخبرتهم أخبار ما يريد الناس بهم، وعرضتُ عليهم الزاد والمتاع، فلم يرزآني، ولم يسألاني إلا أن قال: أخف عنا، فسألته أن يكتب لي كتاب أمن، فأمر عامر بن فهيرة فكتب في رقعة من أديم، ثم مضى رسول الله ﷺ.

حكاية كسوة الزبير:

«قال ابن شهاب فأخبرني عروة بن الزبير أن رسول الله ﷺ لقي الزبير في ركب من المسلمين كانوا تجاراً قافلين من الشأم، فكسا الزبير رسول الله ﷺ وأبا بكر ثياب بياض»[1].

الاستقبال الحافل[2]:

تتابع عائشة رضي الله عنها روايتها لحكاية الهجرة فتقول: «وسمع المسلمون

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب المناقب، باب هجرة النبي ﷺ، ح ٣٦٤١.

(٢) ينفي الدكتور سلمان بن حمد العودة ما تردد من شعر قيل إن الأنصار استقبلوا به النبي ﷺ بقولهم: طلع البد علينا من ثنيات الوداع وجب الشكر علينا ما دعا لله داع، ويؤكد أن في إسناد روايتها إشكال وضعف، كما أن ثنية الوداع من جهة الشام وليست من جهة مكة، السيرة النبوية في الصحيحين وعند ابن اسحاق، للدكتور سلمان العودة، ط دار نور الاسلام،.ط١، ص٤٠٤.

بالمدينة مخرج رسول الله ﷺ من مكة، فكانوا يغدون كل غداة إلى الحرة فينتظرونه حتى يردهم حرُّ الظهيرة، فانقلبوا يوماً بعد ما أطالوا انتظارهم، فلما أووا إلى بيوتهم أوفى رجل من يهود على أطم من آطامهم لأمر ينظر إليه، فبصر برسول الله ﷺ وأصحابه مبيضين يزول بهم السراب، فلم يملك اليهودي أن قال بأعلى صوته:

يا معاشر العرب، هذا جدكم الذي تنتظرون، فثار المسلمون إلى السلاح، فتلقوا رسول الله ﷺ بظهر الحرة، فعدل بهم ذات اليمين، حتى نزل بهم في بني عمرو بن عوف، وذلك يوم الاثنين من شهر ربيع الأول، فقام أبو بكر للناس وجلس رسول الله ﷺ صامتاً، فطفق من جاء من الأنصار ممن لم ير رسول الله ﷺ يُحيي أبا بكر، حتى أصابت الشمس رسول الله ﷺ، فأقبل أبو بكر حتى ظلل عليه بردائه، فعرف الناس رسول الله ﷺ عند ذلك.

يقول البراء بن عازب رضي الله عنه: «ما رأيت أهل المدينة فرحوا بشيء فرحهم به، حتى رأيت الولائد والصبيان يقولون: **هذا رسول الله قد جاء**»[1].

مكان الإقامة والأعمال الأولى:

تتابع عائشة رضي الله عنها روايتها لحكاية الهجرة فتقول: «فلبث رسول الله ﷺ في بني عمرو بن عوف بضع عشرة ليلة، وأسس المسجد الذي أسس على التقوى، وصلى فيه رسول الله ﷺ، ثم ركب راحلته، فسار يمشي معه الناس حتى بركت عند مسجد الرسول ﷺ بالمدينة، وهو يصلي فيه يومئذ رجال من المسلمين، وكان مربداً للتمر لسهيل وسهل، غلامين يتيمين في حجر أسعد بن زرارة، فقال رسول الله ﷺ حين بركت به راحلته: هذا إن شاء الله المنزل، **ثم دعا رسول الله ﷺ الغلامين فساومهما بالمربد ليتخذه مسجداً، فقالا: لا بل نهبه لك يا رسول الله، فأبى رسول الله**»[2].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب مناقب الأنصار، باب مقدم النبي ﷺ وأصحابه ح ٣٩٢٤.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب هجرة النبي ﷺ، ح٣٦٩٤.

تفاصيل أخرى في الهجرة النبوية

العنكبوت والحمامتان، ونوم علي رضي الله عنه مكان النبي ﷺ:

- يقول الدكتور أكرم ضياء العمري: «بيّن ابن عباس رضي الله عنه حصار المشركين لبيت النبي ﷺ ابتغاء قتله...ولما علم المشركون ذلك في الصباح اقتصوا أثره إلى الغار، فرأوا على بابه نسيج العنكبوت، فتركوه، لكن هذه الرواية لا تصح للاحتجاج بها، ومثل ذلك حديث الحمامتين على باب الغار، فكل ذلك ضعيف»[1]
- أما رواية نوم علي رضي الله عنه مكان النبي ﷺ فهي ثابتة وصحيحة[2].
- أثبت الشيخ ابراهيم العلي رواية تربُّص مشركي مكة بباب النبي ﷺ وخلاصه منهم بتلاوة آيات من سورة (يس)، ثم بإلقائه حفنة تراب في وجوههم، وأعرض عن هذه الرواية الدكتور أكرم ضياء العمري في السيرة النبوية الصحيحة[3].

حكاية والد أبي بكر الصديق والنفقة بعده:

عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ، قَالَتْ: لَمَّا خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَخَرَجَ مَعَهُ أَبُو بَكْرٍ، احْتَمَلَ أَبُو بَكْرٍ مَالَهُ كُلَّهُ مَعَهُ خَمْسَةَ آلَافِ دِرْهَمٍ، أَوْ سِتَّةَ آلَافِ دِرْهَمٍ قَالَتْ: وَانْطَلَقَ بِهَا مَعَهُ قَالَتْ: فَدَخَلَ عَلَيْنَا جَدِّي أَبُو قُحَافَةَ وَقَدْ ذَهَبَ بَصَرُهُ، فَقَالَ: وَاللَّهِ إِنِّي لَأَرَاهُ قَدْ فَجَعَكُمْ بِمَالِهِ مَعَ نَفْسِهِ، قَالَتْ: قُلْتُ كَلَّا يَا أَبَتِ، إِنَّهُ قَدْ تَرَكَ لَنَا خَيْرًا كَثِيرًا قَالَتْ: فَأَخَذْتُ أَحْجَارًا، فَتَرَكْتُهَا فَوَضَعْتُهَا فِي كُوَّةِ الْبَيْتِ، كَانَ أَبِي يَضَعُ فِيهَا مَالَهُ، ثُمَّ وَضَعْتُ عَلَيْهَا ثَوْبًا، ثُمَّ أَخَذْتُ بِيَدِهِ، فَقُلْتُ: يَا أَبَتِ، ضَعْ يَدَكَ عَلَى هَذَا الْمَالِ قَالَتْ: فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ، فَقَالَ: **لَا بَأْسَ، إِنْ كَانَ قَدْ تَرَكَ لَكُمْ هَذَا، فَقَدْ أَحْسَنَ، وَفِي هَذَا لَكُمْ بَلَاغٌ قَالَتْ:**

---

(١) السيرة النبوية الصحيحة للدكتور أكرم العمري: ٢٣٨، وقد اتفق الشيخ ابراهيم العلي في صحيح السيرة مع الدكتور العمري في مسألة ضعف حديث الحمامتين لكنه قال بتحسين حديث نسج العنكبوت خيوطه على باب الغار، وانظر لمزيد من البيان صحيح السيرة النبوية للشيخ العلي ص١٧١.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده: ٥/ ٢٦، وهو بإسناد حسن.

(٣) أنظر صحيح السيرة النبوية للشيخ ابراهيم العلي ص١٦٩، وقوله بأن الحديث حسن.

لَا وَاللَّهِ مَا تَرَكَ لَنَا شَيْئًا، وَلَكِنِّي قَدْ أَرَدْتُ أَنْ أُسْكِنَ الشَّيْخَ بِذَلِكَ»[1].

تورية الصدِّيق لحماية خير صديق:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: أقبل نبي الله ﷺ إلى المدينة وهو مردف أبا بكر وأبو بكر شيخ يُعرف، ونبي الله ﷺ شاب لا يعرف، قال فيلقى الرجل أبا بكر فيقول: يا أبا بكر من هذا الرجل الذي بين يديك؟ **فيقول هذا الرجل يهديني السبيل**، قال فيحسب الحاسب أنه إنما يعني الطريق، وإنما يعني سبيل الخير، فالتفت أبو بكر فإذا هو بفارس قد لحقهم فقال: يا رسول الله هذا فارس قد لحق بنا، فالتفت نبي الله ﷺ فقال: اللهم اصرعه، فصرعه الفرس ثم قامت تحمحم فقال: يا نبي الله مرني بما شئت، قال: فقف مكانك لا تتركن أحداً يلحق بنا، قال: **فكان أول النهار جاهداً على نبي الله ﷺ، وكان آخر النهار مَسلحة له»**[2].

حكاية إسلام أبي معبد:

تعددت روايات قصة أم معبد وينفي الدكتور أكرم العمري بعد تتبعه لأسانيد الروايات كلها ينفي ثبوتها كلها إلا رواية واحدة وهي رواية الصحابي قيس بن النعمان السكوني ونصها: «لما انطلق رسول الله ﷺ وأبو بكر يستخفيان نزلا بأبي معبد، فقال: والله ما لنا شاة وإن شاءنا لحوامل فما بقي لنا لبن.

فقال رسول الله ﷺ: - أحسبه - فما تلك الشاة؟ فأتى بها فدعا رسول الله ﷺ بالبركة عليها، ثم حلب عسًّا فسقاه، ثم شربوا فقال: أنت الذي يزعم قريش أنك صابئ؟ قال: إنهم ليقولون، قال: **أشهد أن ما جئت به حق، ثم قال: أتبعك؟، قال: لا حتى تسمع أنَّا قد ظهرنا، فاتبعه بعد»**[3].

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده: ٢٨٢/٢٠ وذكره الشيخ ابراهيم العلي في صحيح السيرة.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب هجرة النبي ﷺ ح٣٩١١.

(٣) أخرجه البزار في كشف الأستار: ٢/ ٣٠١ بإسناد حسن، وانظر تخريجات الدكتور أكرم العمري عليها في السيرة النبوية الصحيحة/ ص٢٤٨.

أنوار وفوائد في العلاقات والحياة الاجتماعية:

١- كلما كانت العائلة متفاهمة فيما بينها على الالتزام بأوامر الله تعالى هانت لديها التضحيات في سبيله وابتغاء رضوانه، وعائلة أبي بكر رضي الله عنه نموذجاً.

٢- في الفعل الذي قام به أقارب أبي سلمة وأم سلمة ما يؤكد أن ثمة تحديات عائلية تقف في وجوه الدعاة، وتعطل إتمام مهمتهم، وفي النخوة التي أبداها عثمان بن طلحة ما يؤكد أن هناك فُرَص من بقايا النخوة والحمية تلوح في الآفاق.

٣- في اختيار النبي ﷺ بعض آل بيته للمهمات الصعبة كمثل ما قام به عليٌّ رضي الله عنه عند نومه مكان النبي ﷺ، ما يؤكد أهمية النَّسب والعشيرة في النصرة للأفكار الجادة، **كما أن في ذلك إبراز لجانب القدوة في البذل والتضحية، باعتبار أن القادة الكبار يقدمون أنفسهم وأهليهم، قبل تقديم الآخرين، وهذا جانب اجتماعي وتربوي على حدٍّ سواء.**

أنوار وفوائد في إدارة المواقف والسياسة الشرعية:

١- التوطئة والتمهيد الذي أسسه النبي ﷺ في المدينة من خلال ما قام به مصعب بن عمير وابن أم مكتوم رضي الله عنهما كان أمراً ضرورياً في باب الإدارة والتخطيط الاستراتيجي، ولعل تلك الخطوة من نتائج ما تعلمه النبي ﷺ من رحلة الطائف، تلك التي ذهب إليها هو بنفسه ولم يرسل أحداً ليمهد له الطريق قبله، مع الفارق في مقدمات ونتائج كلتا الرحلتين.

٢- في حكاية هجرة عمر رضي الله عنه ما يؤكد أهمية الأخذ بالأسباب، وأخذ الحيطة والحذر، وعدم الاعتماد على القوة الذاتية أو الثقل العشائري، لاسيما في القضايا التي قد تستفزُّ الخصوم.

٣- في استمرار عملية الهجرة النبوية أسبوعاً كاملاً، على الرغم من قدرة الله تعالى على حمل النبي ﷺ على البراق ليلتحق بالمدينة في لحظات سريعة، **ما يؤكد**

لنا أهمية الإدارة والتخطيط بين يدي إنفاذ أمر الله تعالى، فكان من حُسن إدارة الموقف ما كان وفق اللمسات الآتية:

أ- محاولة النبي ﷺ كتم سرِّ الهجرة حتى عن آل بيت أبي بكر رض ي الله عنه.

ب- توزيع الأدوار على المساعدين بين جالبٍ للأخبار، وماسح للآثار، ودليل للمسار.

ج- تأكيد دور الغلمان والنساء، والاهتمام بتفاصيل ودقائق سلامة الأداء، مع الحرص على استثمار جميع الطاقات المتاحة للوصول إلى الهدف النبيل والغاية المنشودة.

د- في الكُمون وهو الاختباء، ثم المسير، ما يؤكد أهمية الجمع بين خيارات المسار كلها، مراعاةً لمقتضى الحال.

ه- في أخذ مسار الجنوب بادئ الأمر، ومحاولة تمويه قريش من خلال سلوك الطريق المتعرج والأطول، ما يؤكد أهمية إدارة الاختفاء عن أعين المتربصين.

٤- كان للثقل السياسي والاجتماعي والاقتصادي الذي يمثله أبو بكر رضي الله عنه دوره البالغ في الحركة التي قام بها ابن الدغنة لصدِّ أبي بكر ومنعه من الهجرة إلى الحبشة.

٥- لا يمنعك فقه السياسة الشرعية عند الضرورة من الاستعانة بمشرك، والدخول في حمايته، ولكن على أن لا تخضع لشروطه القاسية المُهينة وإملاءاته الرخيصة، **وإلا فجوار الله أحسن.**

٦- كان في اختيار النبي ﷺ دليلاً مشركاً لرحلة الهجرة ما فيه من حساسية، لكنه استوثق من أمانته، **وهذا ما يؤكد مرونة فقه السياسة الشرعية عند الضرورة في مسألة الاستعانة بالمشركين.**

٧- في كون أول من رأى النبي ﷺ عند قدومه للمدينة رجلٌ يهودي، وتعرُّفه عليه ما يؤكد ترقب هؤلاء الملاعين لقدوم النبي ﷺ (خوفاً) منه، في وقت كان الصحابة الكرام يترقبونه (طمعاً) في صحبته، **ومجرد رؤية اليهودي للنبي ﷺ ومعرفته ثم إعلام المسلمين بقدومه، دليل على أن صفته لديهم، وأنهم يعرفونه مثل معرفتهم**

لأبنائهم، لكنهم جاحدون متكبرون.

٨- أحسنَ النبي ﷺ في إدارة موقف اختيار مكان نزوله، وبناء مسجده، بإيكال الأمر إلى الناقة، وهو يرى عموم أهل المدينة يطلبون جواره ويحبون ضيافته، حيث أراد أن لا يُفضل أحداً على أحد، وأما الناقة فكانت مأمورة.

٩- أحسنَ أبو بكر رضي الله عنه في إدارة الموقف لما سأله الرجل عن دَور النبي ﷺ معه فقال: يهديني السبيل، كنوعٍ تورية حققت السلامة العامة، ولم تُحسَب عليه كذبة في هذا الموقف الصعب.

أنوار وفوائد في الجانب الاقتصادي والمعاشي:

١- الضغط المادي والاقتصادي من جهة، مع الضغط الاجتماعي من جهة أخرى؛ هما اللذان أجبرا عياش بن أبي ربيعة على الاستجابة والانصياع لرأي أبي جهل بالعودة إلى مكة، على الرغم من تحذير عمر رضي الله عنه له من ذلك، وإعطائه البديل، فكان ما كان من افتتان.

٢- في الاستقلال الاقتصادي ما يقوي موقف الداعية، ولقد برزت هذه القيمة في موقف النبي ﷺ عندما عرض عليه أبو بكر رضي الله عنه دابته، فأصرَّ على أن تكون بالثمن، كما أصرَّ على دفع الثمن عن مربد الغلامين اليتيمين، وهذا ما يزيد من تقدير الآخرين لشخص الداعية ونُبله.

٣- في حسن إدارة أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما لموقف سؤال جدها عن المال الذي تركه أبوها، ما يدل على رجاحة عقلها، وفي سؤال الجد عن المال ما يؤكد خطورة موقف الداعية إن ترك أهله عالة يتكففون الناس، وما للمال من دَور في سداد ثغرات الدعوة والستر على الدعاة.

٤- إنما ترتبط البركة بالنيات الصافية والحركة الدؤوبة، وهذا ما أكده مشهد النبي ﷺ في دار أبي معبد.

أنوار وفوائد في الجانب التربوي القيمي وتهذيب السلوك:

١- في استجابة النبي ﷺ لأمر ربه بالهجرة، على ما في الهجرة من شدة وصعوبة، ما يؤكد تمكُّن قيمة الاستجابة في نفس النبي ﷺ، مثلما تأكدت هذه القيمة في نفوس الصحابة، فتركوا كل شيء ابتغاء مرضات الله.

٢- في استبعاد النبي ﷺ لأن تكون المدينة هي دار الهجرة ما يبين أن رب العزة أمره نافذ، مهما بدا في الأمر من شدة وصعوبة، **فالمدينة لم تكن الخيار المفضل (مادياً) للنبي ﷺ، وكأن الله تعالى يريد أن يُثبت له أن لا شيء يعجزه سبحانه، فإرادته غالبة.**

٣- **لا تزال هنالك بقية من أخلاق كريمة ونخوة وشهامة، حتى عند بعض المشركين،** تجعلنا في كل مرة نستدعي قول الله تعالى: ﴿لَيْسُوا سَوَآءً﴾آل عمران: ١١٣، وبالتالي نعاملهم على قدر ما لديهم من خير كامن، أو على قدر ما يظهر منهم من سوء، دون زيادة.

٤- في السعي الحثيث لأبي جهل كي يستخلص أخاه لأمه من بين المهاجرين، والجهد المضني الذي بذله مسافراً إلى المدينة، ما يؤكد أن أهل الباطل يتعبون لإثبات باطلهم، فأولى بنا أن لا نتقاعس عن حمل حقنا وحماية ديننا...لقد هاجر أبو جهل كما هاجر الصحابة الكرام، ولكن ثمة فرق بل فروقات بين هجرة وهجرة.

٥- مهما تكن شدة الفتنة والنكوص عن درب الحق، إلا أن قيمة التوبة باقية، وبابها مفتوح على مصراعيه، وهذا ما يؤكد سعة رحمة الله وقبوله للتائبين.

٦- **تتعزز قيمة اليقين والثقة بالله تعالى لدى المسلم في كل حين، لكنها تتعزز بشكل أكبر في المواقف الصعبة، لاسيما وقد ألهمه الله تعالى الأخذ بأسباب النجاة، إلا أنه أحياناً يوشك أن يقع في أفخاخ الظالمين وهي كثيرة، فتأتي الحماية من الله تعالى وحده، وقد تعطلت أسباب الحماية البشرية،** وهذا ما حدث عند باب بيت النبي ﷺ، وهم يتربصون به، ثم خروجه من بين أيديهم سالماً، وفي موقف الغار ووصول المشركين إليه ثم انصرافهم عنه دون أن يروه، ثم عند إدراك سراقة بن مالك للنبي ﷺ وعدم تمكنه من بلوغه.

٧- بلغت التربية الإيمانية لأبي بكر رضي الله عنه درجة عالية، وهو يبدي استعداده للهجرة إلى الحبشة أولاً، ثم ليمارس الهجرة إلى المدينة، على الرغم مما سيكلفه هذا القرار من خسائر وتبعات.

٨- قيمة التواضع والتجرد التي ظهرت في هيئة النبي ﷺ عند دخوله المدينة، هي التي جعلت بعض أهلها يظنون أبا بكر رضي الله عنه هو النبي الكريم فيعطونه اهتمامهم أكثر.

٩- **تترك المواقف الكريمة أثراً بالغاً في نفوس من يُحسن التقاطها، فتصنع في حياتهم تحوُّلاً كاملاً**، وهذا ما حصل عند دخول أبي معبد في الإسلام نتيجة موقف عابر مرَّ به في حضرة النبي ﷺ، وهذا ما يسمى بلغة العصر: **التربية بالمواقف**.

١٠- تبقى حالة الإغلاق العام تسيطر على النفس البشرية بفعل سيطرة الشيطان على هذه النفس، واستحواذه عليها، حتى يلجأ هذا الإنسان لجوءاً صادقاً إلى ربه، فيكون الفتح، وما أجمل دعاء هشام بن العاص عند قراءته آيات قبول التوبة، وقد أُغلق عليه فهمها فقال: «**اللهم فهمنيها**».

وبهذه العبارة نختم الجزء الأول من سيرة حبيبنا وشفيعنا المختار ﷺ:

اللهم فهِّمْنِيْهَا

- أنوار القرآن المكي وصلتها بالعهد المكي (سورة الأنعام نموذجاً).
- منهج النبي ﷺ في حماية الدعوة في مكة.
- أبرز سمات العهد المكي.
- استراتيجيات علميات التفاوض في العهد المكي.

أولاً: أنوار القرآن المكي وصلَتها بالعهد المكي (سورة الأنعام نموذجاً)

لا يخفى على أحد ما لتوجيه القرآن الكريم من دَور بالغ في ترشيد وتنوير مسيرة السيرة النبوية العطرة، فمن القرآن كان المنطلق، وإليه المنتهى، ولقد حرصتُ من خلال هذا الكتاب على تتبع ما صح من أسباب النزول، ليقع لي الربط الوثيق بين القرآن الكريم والسيرة النبوية، ولكن بقي هنالك الكثير الكثير من السور والآيات مكية النزول، والتي تمنيت لو أنني وجدتُ لها كلها أسباب نزول تحكي زمان ومكان وسبب نزولها، لنعيش السيرة في ظلال القرآن الكريم، لأن ما لا يُدرك كله لا يترك جُله، فقد حرصت من خلال هذا الملحق على عمل استعراض سريع لسورة مكية النزول هي سورة الأنعام، مع شيء من الربط بينها وبين السيرة النبوية، لعل في هذه المحاولة ما يفتح شهية الباحثين لمزيد من العمق في هذا الباب.

سورة الأنعام والعهد المكي[1]:

- عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: إذا سرّك أن تعلم جهل العرب، فاقرأ ما فوق الثلاثين ومئة من سورة الأنعام: ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ إلى قوله: ﴿وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ الأنعام: ١٤٠[2].

١- تحكي سورة الأنعام حكاية إعراض كفار قريش عن ربهم، على الرغم من كونه خالق الكون، وخالقهم، والعليم بأحوالهم في سرهم وجهرهم (١ - ٥).

٢- تبين السورة بعض ما امتنَّ الله تعالى به عليهم من نِعَم، وترد على بعض شبهاتهم، وتتوعدهم بمصير الأمم السابقة لهم، **وتلقن السورة نبي الله ﷺ حجته في مواجهة المشركين، لأجل ذلك كثر فيها الفعل: (قل) (٦ - ٢٠).**

٣- تنقل السورة المشركين إلى عالم الآخرة، وما فيها من أهوال وتبين مصيرهم وأحوالهم فيها (٢١ - ٣٢).

٤- تواسي السورة قلب النبي ﷺ، وتعزز اليقين بالله في نفسه، وتمكن إيمانه بربه القدير على كل شيء لاسيما في العهد المكي الذي كان التثبيت للقلوب هو أكبر احتياج للمؤمنين فيه (٣٣ - ٣٥).

٥- تبين السورة علة كفار قريش، وما يتملكهم من جهل وكِبر، وتحكي تشخيصاً لعُنجهيتهم، على الرغم من ضعفهم واحتياجهم لربهم في كل الظروف (٣٦ - ٤٧).

٦- تحكي السورة وظيفة الأنبياء كلهم، وأنها التبشير والإنذار، وترد على الذين كرهوا دعوة الأنبياء ازدراءً منهم لأتباعها الطيبين (٤٨ - ٥٤).

---

(١) قال القرطبي: سورة الأنعام وهي مكية في قول الأكثرين؛ وقال ابن عباس وقتادة: هي مكية كلها إلا آيتين منها نزلتا بالمدينة، قوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ الأنعام: ٩١، نزلت في مالك بن الصيف وكعب بن الأشرف اليهوديين، والأخرى قوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ﴾ الأنعام: ١٤١، نزلت في ثابت بن قيس بن شماس الأنصاري، وقال العلماء: هذه السورة أصل في محاجة المشركين وغيرهم من المبتدعين ومن كذب بالبعث والنشور وهذا يقتضي إنزالها جملة واحدة لأنها في معنى واحد من الحجة وإن تصرف ذلك بوجوه كثيرة وعليها بنى المتكلمون أصول الدين لأن فيها آيات بينات ترد على القدرية دون السور التي تذكر والمذكورات، ذكره في الجامع لأحكام القرآن، ط دار التراث العربي، ط١، ط١٩٩٥، ص٣٨٢.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب المناقب ٤/ ١٦٠.

٧- تبين السورة شيئاً من الحوار الذي كان يجري بين النبي ﷺ وقومه في مكة، وشيئاً من الحجج والبراهين التي يقصد منها النبي ﷺ بيان قدرة الله وعظمته وعلمه المحيط بكل شيء (٥٥- ٦٢).

٨- تكرر السورة تأكيدها أنه لولا حماية الله تعالى لهم، لهلكوا، وأنه سبحانه وتعالى قادر على أخذهم بغتة (٦٣ - ٦٧).

٩- توصي السورة نبي الله ﷺ بالإعراض عن كفار مكة وهم في ذروة فجورهم، وذلك بشكل مؤقت ثم العودة إلى دعوتهم في كل فرصة سانحة (٦٨ - ٧٠).

١٠-تحاكي السورة عقول كفار مكة، وتبين لهم حقيقة ما يعبدون، وأنه لا يضرُّ ولا ينفع، ثم تدعوهم للإسلام والخضوع لله تعالى، خالق الكون والقادر على كل شيء (٧١ - ٧٣).

١١- تروي السورة قصة سيدنا ابراهيم عليه السلام، وكم كان لرواية قصص الأنبياء من تثبيت لقلب النبي ﷺ في مكة، وما فيها من إقامة للحجة على الكافرين كذلك، وفي قصة إبراهيم عليه السلام محاكاة للظواهر الكونية للاستدلال من خلالها على عظمة الله الواحد سبحانه، كما تبين آيات القصة براءة إبراهيم عليه السلام وذريته من الكفر، وتدعو نبي الإسلام ﷺ للاقتداء بمن سبقه من أنبياء الله الكرام. (٧٤ - ٩٠).

١٢- تردُّ السورة على شيء من الشبهات التي أثارها كفار مكة حول كتاب الله تعالى، وتثبت صدق وصحة مصدرية القرآن العظيم، وأنه من عند الله تعالى (٩٠ - ٩٣).

١٣- تعود السورة لتذكر كفار مكة بعودتهم الحتمية إلى الله تعالى، ووقوفهم فرادى بين يديه للحساب العظيم (٩٤).

١٤- تبين السورة لكفار مكة شيئاً من قدرة الله تعالى، وعظمته في كونه الفسيح (٩٥ - ٩٩).

١٥- تردُّ السورة على شرك كفار مكة، وعبادتهم للجن وغيره، واتخاذهم لله الولد، وتلفت انتباههم إلى خطورة ذلك، وأهمية عبادة الله القدير اللطيف الخبير وحده (١٠٠- ١٠٣).

١٦- تبين السورة شرف الهدي الرباني (القرآن)، وتؤكد أن قيمته من مصدريته (الربانية)، وتحث النبي ﷺ على الثبات والإعراض عن الجاهلين، والحرص على عدم استفزازهم اتقاءً لشرهم وبطشهم (١٠٤ - ١٠٨).

١٧- ترد السورة على كفار مكة زعمهم بأن هنالك أموراً لو أنها حصلت لآمنوا، وهم بذلك يريدون التعجيز ليس أكثر، ثم تبين للنبي ﷺ أن سلسلة العداوات مرتبطة بسلسلة النبوات لا تنفك عنها، وأنه ما من نبي إلا عودي (١٠٩ - ١١٣).

١٨- ترد السورة النبي ﷺ إلى القرآن العظيم، ليظل المرجعية العليا له في سيرته ومسيرته، دون أي التفات لسواه من أعمال الضالين (١١٤ - ١١٧).

١٩- ترشد الآيات الجماعة المسلمة في ذاك العهد، إلى الحرص على عدم الأكل إلا مما ذُبح موافقاً لأحكام التذكية بعد التسمية الشرعية، وهذا وإن كان في ظاهره بسيطاً، إلا أنه مما يرتبط بالعقيدة الصافية التي سعى العهد المكي لترسيخها، كما أكدت الآيات ترك الآثام الظاهرة والباطنة (١١٨ - ١٢١).

٢٠- تجري الآية مقابلة بين عالم المهتدين الأحياء بهدايتهم، وعالم الضالين المنحرفين الذين أهلكوا أنفسهم بضلالهم (١٢٢).

٢١- تحذر الآيات نبي الإسلام ﷺ من زعامات الكفر، الذين برزوا لكل نبي في كل مكان، وتبين كيف أن مكرهم مردود عليهم، ثم تحكي شيئاً من اعتراضاتهم على الرسل، والرد عليها مع اثبات حكمة الله وخبرته في اختيار الأنبياء (١٢٣ - ١٢٤).

٢٢- تقارن الآيات بين حال المهتدين المنشرحة صدورهم، وغير المهتدين المنقبضة صدورهم، ثم تثبت شرف الالتزام على الصراط القويم، وما أعده الله في الجنة للمهتدين (١٢٥- ١٢٧).

٢٣- تبين الآيات كيف أن دعوة الإسلام قد شملت عالمي الجن والإنس على حدٍّ سواء، ثم تبين انحراف بعض الجن والإنس عند استعانتهم ببعضهم على الكفر، ومصيرهم الأليم يوم الدين لأجل ذاك، كما تؤكد أنه لا عذاب بلا إنذار (١٢٨ - ١٣٢).

٢٤- تبين الآيات حاجة الخلق للخالق، وهوان الخلق على الخالق، كما تهدد كل ظالم

بالمصير المشؤوم، وتثبت بأن وعد الله ووعيده لا يتخلف (١٣٣ - ١٣٥).

٢٥- تبين الآيات بعض ما كان عليه أهل الجاهلية من عادات شركية قبيحة فيما يتعلق بتوزيع أنعامهم وحصاد أرضهم، وفيما يتعلق بقتلهم لأولادهم ظلماً، كل ذلك بتزيين من شياطينهم، ثم تبين ضلال وخسارة ما هم فيه من أحوال (١٣٦ - ١٤٠).

٢٦- ترجع الآيات إلى حديث النعمة الربانية السابغة على البشر، لتذكير الناس بشكر النعمة، من خلال أداء حقوقها، وعدم الإشراك بالمنعم سبحانه (١٤١ - ١٤٢).

٢٧- تحكي الآيات أصناف الأنعام التي أكرم الله تعالى بها عباده وأباحها لهم، ثم ترد على سخافة عقول أهل الجاهلية، الذين كانوا يحلون ويحرمون هذا الأنعام وفق أهوائهم، ليس أكثر، فلا حرام إلا ما حرمه الله، وإلا فمباح طيب حلال (١٤٣ - ١٤٧).

٢٨- تبين الآيات تفصيلاً للجدل الذي أقامه كفار مكة حول الحلال والحرام، وتردُّ عليهم، وتبين أنهم إنما ينطلقون من أهوائهم، ثم تحكي شيئاً من المحرمات التي حرمها الله تعالى بالتفصيل، لعلهم يهتدون أو يرعوون (١٤٨ - ١٥١).

٢٩- في مقابل ما ذكرته الآيات السابقة من حصر لأبرز النواهي الربانية، تأتي هذه الآيات بحصر لأبرز الأوامر الربانية، في صورة تحكي التخفيف على العباد، كما تؤكد حالة الفصل الكامل بين طريق الخير، وطرق الباطل (١٥٢ - ١٥٣).

٣٠- تبين الآيات كيف أن دعوة النبي ﷺ إنما هي امتداد لدعوة موسى عليه السلام، وأن فكرة التوحيد التي حملتها الكتب السماوية السابقة لا تزال هي التي تتقدم في كل موضع من مواضع القرآن الخاتم، وأنه لا عذر لمن يتخلف عن دعوة التوحيد (١٥٤ - ١٥٧).

٣١- تحكي الآية تهديداً ووعيداً لكل متخلف عن ركب الهداية بالعذاب المفاجئ والهلاك المبين (١٥٨).

٣٢- تكشف الآيات عن مآلات الذين اختلفوا وتفرقوا، وتبين أن عاقبة الخير للمتقين، وعاقبة السوء للسيئين (١٥٩ - ١٦٠).

٣٣- تدعو الآيات نبينا محمداً ﷺ لأن يكون معتزاً ومبتهجاً بما هداه الله تعالى إليه

مكتبة t.me/ktabrwaya

من خير، كما ترشده إلى أن يجعل حياته ومماته لله تعالى وحده (١٦١ - ١٦٢).

٣٤- تنفي الآية الشرك عن قلب النبي ﷺ، ذلك القلب الذي شاهد وحدانية الله تعالى وتفرده في الخلق والإيجاد، ثم تبين مصائر العباد وأن مناط التكليف بين يدي الله تعالى والحساب فردي بحت (١٦٤).

٣٥- تختم السورة بالتشديد على أن أحداً لن يخلد في الأرض، فأمة تذهب وأخرى تجيء، كما تبين الحكمة من تفاوت طبقات الخلق، وسنة الابتلاء الرباني فكلٌّ مبتلى بقدر ما أوتي، كما تُثبت عذاب الله تعالى للفاجرين، ونعيمه للمهتدين (١٦٥).

هذا تفصيل سريع بمضامين هذه السورة المكية، وبيان للمعاني التي ترددت في تلك الأجواء المشحونة، ونحن نعلم بأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، حتى لا تنقطع استفادة أهل كل زمان ومكان من القرآن، ولكن لابد أن نعلم بأنه لن تستقيم دراستنا للسيرة النبوية ولن تثمر إلا بتأكيد استنارتها بآيات كتاب رب البرية.

ثانياً: منهج النبي ﷺ في حماية الدعوة في مكة

ألهم الله تعالى نبيه ﷺ بأنوار وبصائر للخلوص من فترة التأسيس للدعوة الإسلامية في مكة حرسها الله بأقل الخسائر وأعظم الانجازات، وذلك عبر كثير من الوسائل والاستراتيجيات، ولعل منها ما أحصاه الأستاذ الطيب برغوث حيث قال[1]:

ونحاول استخلاص المعالم الرئيسية الكبرى لهذا المنهج، الذي كان وراء نجاحه عليه الصلاة والسلام في حماية الدعوة وهذه المعالم هي:

- **المبدئية:** وهي التزام النبي ﷺ في سلوكه ومواقفه وعلاقاته بمقررات الدعوة وثوابتها، وجعلها فصلاً بينه وبين الناس في الأخذ والعطاء، والموافقة والمخالفة، والولاء والبراء، والاقدام والاحجام.
- **الواقعية:** وهي التعامل الموضوعي مع الواقع الإنساني في أبعاده الفطرية الثابتة، وما يطرأ عليها من أوضاع وملابسات، لتكييفه تدريجياً مع سنن الله في الآفاق والأنفس والكتاب، وترقيته إلى المستوى الإستخلافي الممكن.
- **الفعالية:** وهي القدرة على الإفادة القصوى من الظروف والإمكانات المتاحة، لإثارة الاهتمام بالدعوة، ومواجهة المشكلات التي يثيرها الواقع في وجهها بكفاءة.
- **الاستمرارية:** وهي الاندفاع المنهجي المتواصل نحو الهدف، بغير كلل ولا ملل، مهما طال أمد التحديات واشتدت وطأتها، وشمل سلبياتها جميعا.
- **الإحسان:** وهي التسامي علاقته بغيره من الناس بالروحية الأخلاقية العالية، التي تهيمن عليها مشاعر الرأفة والشفقة والحب والرحمة والصفح والتجاوز، من أجل التشالهم من وحول الضلال، والستنقاذ حياتهم من تبعية خطيرة، في آجلهم وعاجلهم.
- **الاستطاعة:** وهي طلب المعونة من الله سبحانه وتعالى على تيسير إتمام العمل، بعد استفراغ القوة في الاستقلال به، والعجز عن ذلك، أو الخوف من عدم النجاح فيه.

---

(١) منهج النبي ﷺ في حماية الدعوة والمحافظة على منجزاتها خلال الفترة المكية، للأستاذ الطيب برغوث، المعهد العالمي للفكر، ط١، ١٩٩٩م، ص٤٦٢ - ٤٨٢.

ثالثا: أبرز سمات العهد المكي

امتاز العهد المكي بمجموعة من السمات تميزه، قبل النقلة النوعية التي أحدثتها الهجرة، ومن ثم الانتقال للعهد المديني، فبينما كان الحديث عن فقه الدعوة في مكة، أصبح الحديث عن فقه الدولة في المدينة، ولكن لاشك أن ثمة مؤسِّسات كبرى انطلقت منها الدولة في المدينة، عبر جهد طويل بذله مسلمو مكة الأوائل، فمثلاً؛ عند النظر في تشريع الجهاد في العهد المدني لابد من مراعاة ما كان للعهد المكي من أثر في تأسيس الروح المتوثبة المشتاقة لمبارزة أعداء الله ورسوله والمؤمنين[1].

ولعل من أجمع من كتب في هذه السمات فضيلة الدكتور منير الغضبان، والذي حصر سمات المجتمع المكي في القائمة الآتية، وذلك بعد أن بيَّن أن هنالك ما يسمى بسرِّية الدعوة والتنظيم، في السنوات الثلاث الأولى، ثم سرية التنظيم وعلنية الدعوة في السنوات العشر الباقية من عُمر الدعوة المكية، **والسمات التي جمعها الدكتور الغضبان هي**[2]:

- دعوة الأقربين.
- الإعراض عن المشركين.
- معالم الدعوة الجديدة: الإيمان بالله واليوم الآخر والرسالة.
- الدعوة عامة.
- سرية التنظيم.
- القرآن مصدر التلقي.
- اللقاء المنظم والمستمر.
- الصلاة خفية في الشعاب.
- التركيز على الجانب الروحي.
- الدفاع عن النفس عند الضرورة.

---

(١) لمزيد من العمق والإثراء يمكن مراجعة كتابي: «معالم استنهاض الروح الجهادية من وحي السور المكية» ففيه تفصيل نافع.

(٢) المنهج الحركي للسيرة النبوية/ الدكتور منير الغضبان/ دار الوفاء في المنصورة/ ط ١٠/ ١٩٩٨م، ص٩٤-٩٥.

- تحمل الأذى والاضطهاد في سبيل الله.
- السماح للضعفاء في إظهار تغيير دينهم.
- محاولة إنقاذ المستضعفين بكل الوسائل المكننة.
- حماية الدعوة عن طريق الهجرة.
- البحث عن مكان آمن للدعوة وقاعدة جديدة للانطلاق.
- الإفادة من قوانين المجتمع المشرك: الحماية والجوار.
- المحاولات السلبية من العدو في المواجهة.
- المحاولات الايجابية في الحرب: عمليات الاغتيال والقتل للقيادة.
- جهرية المسلمين وإعلان التحدي للمجتمع الجاهلي.
- دور الشخصيات القيادية في إعلان التحدي.
- ملاحقة العدو لتجمعات المسلمين وإحباط المسلمين لهذه الملاحقة.
- عبقرية الوفد الإسلامي في حوار الملوك.
- لا مساومة في العقيدة.
- إثارة الحرب في صف حلفاء المسلمين وفشل هذه المكيدة بالحزم والسرية.
- المفاوضات المباشرة وطرح الحلول السلمية.
- تحييد بعض الشخصيات نتيجة المفاوضات.
- الحصار الاقتصادي والمقاطعة العامة لتحطيم الدعوة وحلفائها.
- التفجرات الجاهلية تحطم الحصار والمقاطعة.
- دور المرأة في هذه المرحلة (الايجابي، والسلبي).
- المقاومة السلمية.
- الإفادة من العناصر المشتركة بين الاسلام والعقائد الأخرى.
- عدم التنازل عن أساسيات العقيدة لإرضاء العدو.
- التجمع القبلي لحماية القيادة.

رابعا: استراتيجيات عمليات التفاوض في العهد المكي

يذكر الأستاذ عبد الرحمن أبو المجد أن النبي ﷺ قد استخدم أهم وأحدث استراتيجيات مباريات التفاوض في العهد المكي وهي:

- الصبر.
- المفاجأة.
- الأمر الواقع.
- الانسحاب الهادئ.
- الانسحاب الظاهري.
- الكر والفر والتحول.
- التدرج.
- التصنيف الفئوي.

ثم يقول عن استراتيجية الصبر: «وتحلى به رسول الله ﷺ، وظل متحلياً به حتى بعد هذه المرحلة (المكية) واستمر يتحلى بالصبر بأمثل صورة وُجدت في الدبلوماسية العالمية، فلم أقف على من تحلى مثله بالصبر من كبار دبلوماسيي العالم، لأن الفجوة شاسعة، في الوقت الذي فشلت فيه قريش بأن تتحلى به، لحمية الجاهلية، وجنون العظمة الزائف»[1].

(١) الدبلوماسية النبوية (في مكة)، الاستاذ عبد الرحمن أبو المجد، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت، ط١، ٢٠٠٩م، ص٢٥.

العهد المدني

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الأمين، وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فلقد يسَّر الله تعالى وأعان، على إتمام مسيرة البحث في **السيرة النبوية الشريفة المستنيرة** في جزئها الثاني، المتعلق بالعهد المدني، بعد أن تمم لنا الخير سبحانه وتعالى سالفاً، بدراسة الجزء الأول المتعلق بالمقدمات والعهد المكي.

ولقد وجدتُ فرقاً بين العهدين من حيث كثرة الروايات وغزارتها في هذا العهد، قياساً على روايات العهد المكي، وذلك إنما يعود لأسباب منها؛ **كثرة عدد الصحابة في العهد المدني، وكثرة الحوادث وتتابعها**، فلا يكاد يخلو عام من الأعوام العشرة التي قضاها النبي ﷺ في المدينة إلا وفيه من الروايات التي تحكي بدل الحدث الواحد أحداثاً عدة كبرى، وهذا ما زاد من عبء الباحث في جمع هذه الروايات، وتمييز صحيحها من سقيمها، فضلاً عن دَوره في تحليلها واستنباط الدروس والعبر، والفوائد والأنوار، من كل حدث فيها.

ومما تجدر الإشارة إليه في العهد المدني ما تميز به هذا العهد من الغزوات والسرايا، وما احتوى عليه من حراك المواجهة والتشابك والنِّدِّية المباشرة للباطل، عدا عما كان فيه من توسُّع وانتشار للدين في الآفاق، **وللغزوات والسرايا ما لها من تمثيل مشهد حياة متكاملة**، يأخذ منها كل صاحب تخصص في مجاله ما به يثري ذلك المجال، وإن من التعسف أن نعتقد بأن الغزوة أو المعركة ميدان قتلٍ وأسرٍ فحسب، وإنما فيها من الفوائد السياسية والتربوية والاجتماعية والاقتصادية ما فيها، فضلاً عما حكتْهُ في المجال الأمني والعسكري من بيان، **ذلك أن الجهاد حياةٌ، مثلما أن الحياة جهاد.**

ولقد كان الجهاد وسيلة من وسائل البناء، وليس غاية لإراقة الدماء، يقول الشيخ محمد الغزالي في خاتمة كتابه الرائع: فقه السيرة: «**والإسلام إنما امتشق الحُسام**

لينجو من غوائل الرعاع والقُطَّاع، ولو تُرك من غير ترويع ما أثقل عاتقه برمح، ولاكتفى من السنان باللسان» ثم يتابع قوله مؤكداً ما كنا أسلفنا الحديث عنه في الجزء الأول بوجوب الجمع بين كتاب الله تعالى والسنة النبوية الشريفة إذا أردنا أن نحقق لأنفسنا فهم مدرسة السيرة النبوية فهو يقول: «... قد تظن أنك درست حياة محمد ﷺ إذا تابعت تاريخه من المولد إلى الوفاة، وهذا خطأ بالغ، إنك لن تفقه السيرة حقاً إلا إذا درست القرآن الكريم والسنة المطهرة، وبقدر ما تنال من ذلك تكون صلتك بنبي الإسلام ﷺ»[1].

ومما يجدر ذكره في هذه المقدمة ونحن على بوابة العهد المدني وما فيه من غزوات وسرايا، أن نقف على شيء من ميثاق تلك الغزوات، ليعلم القاصي والداني حقيقة الجهاد في سبيل الله، ونوع الرجال الذين حملوا السلاح في ذاك الزمان الفخيم، فقد روى سليمان بن بريدة عن أبيه قال: «كان رسول الله ﷺ إذا أمَّر أميراً على جيش أو سرية أوصاه في خاصته بتقوى الله ومَن معه من المسلمين خيراً، ثم قال: **اغزوا باسم الله، في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، اغزوا، ولا تغلوا، ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا وليداً،** وإذا لقيت عدوك من المشركين، فادْعُهم إلى ثلاث خصال أو خلال؛ فأيَّتُهُنَّ ما أجابوك فاقبل منهم، وكُفَّ عنهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، فإن أجابوك فاقبل منهم، وكُفَّ عنهم، ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين، وأخبرهم أنهم إن فعلوا ذلك فلهم ما للمهاجرين، وعليهم ما على المهاجرين، فإن أبَوا أن يتحولوا منها، فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين، يجري عليهم حكم الله الذي يجري على المؤمنين، ولا يكون لهم في الغنيمة والفيء شيء، إلا أن يجاهدوا مع المسلمين، فإن هم أبَوا فسلهم الجزية، فإن هم أجابوك فاقبل منهم، وكُفَّ عنهم، فإن هم أبَوا فاستعن بالله وقاتلهم.

وإذا حاصرتَ أهل حصن فأرادوك أن تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه، فلا تجعل لهم ذمة الله ولا ذمة نبيه، ولكن اجعل لهم ذمتك وذمة أصحابك، فإنكم أن تخفروا ذممكم وذمم أصحابكم أهون من أن تخفروا ذمة الله وذمة رسوله، **وإذا حاصرتَ أهل**

---

(١) فقه السيرة، الشيخ محمد الغزالي، ص٤٧٢.

حصن فأرادوك أن تنزلهم على حكم الله فلا تنزلهم على حكم الله، ولكن أنزلهم على حكمك، فإنك لا تدري أتصيب حكم الله فيهم أم لا»[1].

وحتى لا يعتقد معتقدٌ أن العهد المدني كان مجزرة ومقتلة لإزهاق الأرواح ولتحقيق انتقام النبي ﷺ من كل مَن ظلمه في العهد المكي، فقد أحببتُ أن أضع في هذا المدخل إحصائية سريعة يظهر من خلالها حجم الخسائر في الأرواح من معسكرَي الحق والباطل في تلك الحقبة، وهذه الإحصائية تقول:

ت	اسم الغزوة أو السرية	عدد شهداء المسلمين	عدد قتلى الطرف الآخر
١	سرية عبد الله بن جحش	٠	١
٢	غزوة بدر	١٤	٧٠
٣	غزوة السويق	٢	٠
٤	سرية مقتل كعب بن الأشرف	٠	١
٥	غزوة أحد	٧٠	٢٢
٦	غزوة حمراء الأسد	٠	١
٧	بعث الرجيع	١٠	٠
٨	بعث بئر معونة	٧٠	٠
٩	غزوة الخندق	٦	٣

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب تأمير الإمام الأمراء على البعوث ووصيته إياهم بآداب الغزو وغيرها، ح ١٧٣١.

(٢) يرى بعض الباحثين أن العدد الأكبر من هؤلاء القتلى راح نتيجة تزاحم فرار جيش هوازن وثقيف، وإلا فإن عدد قتلى الغزوة أثناء التحام الصفوف لا يتجاوز الثمانين قتيلاً.

(٣) وهذا الرقم مختلَف فيه بحسب اختلاف العلماء والمؤرخين حول بعض السرايا التي ساقها البعض بلا إسناد، وبحسب ما يمكن إضافته ممن سقط من قتلى يهود في بني قينقاع وبني النضير وقد أجلاهم النبي ﷺ، فضلاً عما يمكن احتسابه من قتلى بني قريظة الذين نزلوا على حكم سعدٍ ﷺ فأمر بقتل رجالهم وسبي نسائهم وذراريهم، لكن أكبر الأرقام التي مرت بي أثناء بحثي في السيرة لمجموع عدد القتلى والشهداء طيلة البعثة النبوية هو: ١٠١٨ قتيل وشهيد، وهو رقم ساقه الشيخ أبو الحسن الندوي رحمه الله في كتابه السيرة النبوية ص ٣٧٧، دون تفصيل.

ت	اسم الغزوة أو السرية	عدد شهداء المسلمين	عدد قتلى الطرف الآخر
١٠	سرية عبد الله بن عتيك	٠	١
١١	غزوة ذي قرد	٢	١
١٢	غزة بني المصطلق	١	٠
١٣	غزوة خيبر	٢٠	٢
١٤	غزوة وادي القرى	١	٠
١٥	غزوة مؤتة	١١	١
١٦	غزوة فتح مكة	٣	١٧
١٧	غزوة حنين	٤	٣٧٤ [١]
١٨	غزوة الطائف	١٢	٠
١٩	غزوة تبوك	٠	٠
*	المجموع في المعسكرين	٢٢٦	٤٩٤
*	**المجموع الكلي من الطرفين**	٧٢٠ [٢]	

فهل يدرك المنصفون أننا حَمَلَةُ رسالة سلام لا حرب، وأننا جئنا لنحمي البشرية، ونحقن الدماء، ونحفظ الأرواح، ليس فقط من القتل والتشريد في الدنيا، بل من عذاب الله والجحيم في الآخرة.

كما تجدر الإشـــارة إلى أن العهد المدني وإن غلب عليه هذا اللون، إلا أنه أيضاً كان عهد تشريع وبناء للســـلوك بامتياز، كل ذلك يشهد له التنزيل القرآني الكثيف في هـــذا العهد فيما يتعلق بالأحكام الشرعية والوصايا التزكوية التربوية، تأسيســـاً على ما سبق في العهد المكي من ترسيخ لقواعد العقيدة المتينة في النفوس.

إن مـــا جاء في العهد المدني لا يعدو أن يكون تطبيقـــاً عملياً لفكرة رجل العقيدة التي أراد العهد المكي ترســـيخها في بـــادئ الدعوة، فصرنا نرى رجـــالاً يموتون فداءً

لدينهم وعقيدتهم، ويضحون بالغالي والنفيس ابتغاء مرضاة ربهم.

ومن أكبر التحديات التي واجهتني، بل أحزنتني هي ما وجدته في بعض الأحاديث النبوية الصحيحة من مواقف، دون تحديد لمكانها وزمانها على وجه القطع، فلا نملك والحال كذلك أن نجد لهذا الموقف الثابت موضعاً مناسباً عبر تسلسل أحداث السيرة، وأضرب لذلك مثـالاً من قصة الصحابي الجليل جليبيـب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، والذي جاء في نهاية قصته أنه لقي الله تعالى شـهيداً **في إحدى الغزوات**، وقد بحثت عن اسـمه في شهداء جميع غزوات النبي ﷺ وسراياه، فلم أجد أحداً ذكره، فلم تطاوعني نفسي إلحاق قصته فيـما أوردتُه من روايات حول غزوات النبي ﷺ كلها، وما طابت نفسي ترك تلك القصة العظيمة، لأجل ذلك سمحتُ لهذه النفس أن تذكر القصة بتمامها في هذا المدخل، فقد روى أبو برزة الأسلمي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ «أن جليبيباً كان امرءاً يدخل على النساء، يمر بهن ويلاعبهن، فقلت لامرأتي: لا يدخلن عليكم جليبيب، فإنه إن دخل عليكم لأفعلنَّ ولأفعلنَّ.

قـال: وكانت الأنصار إذا كان لأحدهم أيِّـمٌ لم يزوجها حتى يعلم هل للنبي ﷺ فيها حاجة، أم لا، فقال رسول الله ﷺ لرجل من الأنصار: زوجني ابنتك، **فقال: نعم، وكرامة يا رسول الله، ونِعْمَ عيني**، فقال: إني لست أريدها لنفسي، قال: فلمن يا رسول الله؟ قال: لجليبيب، قال فقال: يا رسول الله أشاور أمها.

فأتى أمها، فقال: رسـول الله ﷺ يخطب ابنتك، فقالت: نعم ونعمةُ عيني، فقال: إنه ليس يخطبها لنفسه، إنما يخطبها لجليبيب، فقالت: أجليبيب ابنه؟! أجليبيب ابنه؟! أجليبيب ابنه؟! لا، لعمرُ الله لا تزوجه، فلما أراد أن يقوم ليأتي رسـول الله ﷺ ليخبره بما قالت أمها، قالت الجارية: من خطبني إليكم؟ فأخبرتها أمها، فقالت: **أتردون على رسـول الله ﷺ أمره، ادفعـوني، فإنه لم يضيعني**، فانطلق أبوها إلى رسـول الله ﷺ، فأخبره، قال: شأنك بها فزوِّجها جليبيباً.

قال: **فخرج رسول الله ﷺ في (غزوة له)**، قال: فلما أفاء الله عليه قال لأصحابه: هل تفقدون من أحد؟ قالوا: نفقد فلاناً، ونفقد فلاناً، قال: انظروا هل تفقدون من أحد، قالوا: لا، قال: **لكني أفقد جليبيباً**، قال: فاطلبوه في القتلى، قال: فطلبوه، فوجدوه إلى جنب سبعة قد قتلهم ثم قتلوه، فقالوا: يا رسول الله، ها هو ذا إلى جنب سبعة قد قتلهم

ثـم قتلوه، فأتاه النبي ﷺ، فقام عليه، فقال: **قتل سبعة وقتلوه، هذا مني وأنا منه، هذا مني وأنا منه، مرتين أو ثلاثاً، ثم وضعه رسول الله ﷺ على ساعديه، وحفر له، ما له سرير إلا ساعدا رسول الله ﷺ، ثم وضعه في قبره، ولم يذكر أنه غسَّله.**

قال ثابت: فما كان في الأنصار أيِّمٌ أنفق منها، وحدَّث إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة ثابتاً قال: هل تعلم ما دعا لها رسول الله ﷺ؟ قال: **اللهم صُبَّ عليها الخير صبّاً، ولا تجعل عيشها كدّاً كدّاً**، قال: فما كان في الأنصار أيِّمٌ أنفق منها، **قال أبو** عبد **الرحمن: ما حدَّث به في الدنيا أحد إلا حماد بن سلمة، ما أحسنه من حديث**»[1].

وكثيراً ما كان الرواة يقولون: كنا مع النبي ﷺ في غزاة، هكذا دون تحديد فيحرمنا ترك التحديد منهم معرفتنا في أي غزاة يمكننا إضافة هذا المشهد أو ذاك، ومثل ذلك ما روى أيضاً عمران بن حصين رضي الله عنه أنه قال: «**كنت مع نبي الله ﷺ في (مسيرٍ) له**، فأدلجنا[2] ليلتنا حتى إذا كان في وجه الصبح عرَّسنا[3]، فغلبتنا أعيننا حتى بزغت الشمس، قال: فكان أول من استيقظ منا؛ أبو بكر، وكنا لا نوقِظ نبي الله ﷺ من منامه إذا نام، حتى يستيقظ، ثم استيقظ عمر، فقام عند نبي الله ﷺ، فجعل يُكبِّر ويرفع صوته بالتكبير، حتى استيقظ رسول الله ﷺ.

فلما رفع رأسه ورأى الشمس قد بزغت، قال: ارتحلوا، فسار بنا حتى إذا ابيضَّت الشمس نزل، فصلى بنا الغداة، فاعتزل رجل من القوم لم يُصَلِّ معنا، فلما انصرف قال له رسول الله ﷺ: **يا فلان، ما منعك أن تصلي** معنا؟ قال: يا نبي الله أصابتني جنابة، فأمره رسول الله ﷺ فتيمم بالصعيد، فصلى، ثم عجَّلني في ركب بين يديه نطلب الماء، وقد عطشنا عطشاً شديداً، فبينما نحن نسير إذا نحن بامرأة سادلة رجليها بين مزادتين[4]، فقلنا لها أين الماء؟ قالت: أيهاه، أيهاه، لا ماء لكم، قلنا: فكم **بين** أهلك **وبين** الماء؟ قالت: مسيرة يوم وليلة، قلنا: انطلقي إلى رسول الله ﷺ، **قالت: وما رسول الله؟** فلم نملكها من أمرها شيئاً حتى انطلقنا بها، فاستقبلنا بها رسول الله ﷺ،

---

(١) أخرجه أحمد، ح ١٨٩٤٨، وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم، وقد صححه عدد كبير من أهل العلم مطولاً ومختصراً.

(٢) سرنا من أول الليل.

(٣) نزلنا آخر الليل للنوم.

(٤) قربتين متوسطتي الحجم.

فسألها: فأخبرته مثل الذي أخبرتنا، وأخبرته أنها مُوْتِمة، لها صبيان أيتام.

فأمر براويتها، فأنيخت، فمج في العزلاوين العلياوين[1] ثم بعث براويتها، فشربنا ونحن أربعون رجلاً عطاش، حتى روينا، وملأنا كل قربة معنا، وإداوة، وغسلنا صاحبنا، غير أنَّا لم نسق بعيراً، وهي تكاد تنضرج من الماء، يعني المزادتين، ثم قال: هاتوا ما كان عندكم، فجمعنا لها من كسر وتمر، وصرَّ لها صرة، فقال لها: اذهبي فأطعمي هذا عيالك، واعلمي أنا لم نرزأ من مائك[2]، فلما أتت أهلها قالت: **لقد لقيت أسحر البشر، أو إنه لنبي كما زعم، كان من أمره ذيت، وذيت، فهدى الله ذاك الصرم[3] بتلك المرأة، فأسلمت، وأسلموا**»[4]، ولأن هذه الحكاية اللطيفة لم يظهر فيها تحديد زمان ومكان حصولها مِن قِبَل راويها الكريم لم أستطع نسبتها إلى إي باب من أبواب السيرة المستنيرة، فهي على ما فيها من فوائد جليلة إلا أننا لا يمكن أن نضيفها إلى تلك الأبواب، ومثل ذلك في ديوان السنة النبوية كثير.

كما أنه مما أحزنني كثيراً جرأة كثير من الباحثين في السيرة النبوية على إضافة روايات لا أصل لها أو ليست مسندة، تم نقلها كما هي عن ابن اسحاق أو ابن هشام أو غيرهما من علماء السيرة الأجلاء، وقد تساهل بعضهم في ذلك بحجة أنها مرويات تاريخية، والتاريخ لا يحتاج إلى إسناد!، ولاشك أن في كلامهم شيء من المجازفة، لأننا صرنا نبني على هذا التاريخ (الذي لا يحتاج إلى إسناد!) فقه السياسة الشرعية، وفقه الأولويات، وفقه الموازنات، وغير ذلك مما نحتكم إليه في معاملاتنا بشكل عام، ومن هنا ومع تقديري لرأي من ذهب إلى (شيء) من التساهل في ذلك، إلا أن تتبع الروايات الصحيحة يُغني ولا داعي لحشوٍ زائد يكون بمنزلة الدواء الفاسد؛ يعالج موضعياً، لكنه يفتك في المدى البعيد.

- **قرابة الخمسمائة رواية تتبعتها من مواردها الصحيحة**، لتحكي لنا على ألسنة أصحاب رسول الله ﷺ كل همسة وخطوة وشعور لمسوه وتتبعوه من خلال

---

(١) أي وضع ريقه الشريف على موضع الماء في القربتين اللتين معها.

(٢) لم ننقص منه شيئاً.

(٣) قرية فيها مجموعة أبيات.

(٤) أخرجه مسلم، كتاب المساجد، باب قضاء الصلاة الفائتة، ح ١٥٦١.

صحبتهم لحبيبهم وحبيب قلوبنا صاحب السيرة المستنيرة عليه أفضل الصلاة والسلام، ومما لفت انتباهي من خلال تتبعي لتلك الروايات أن أكثر خمسة من صحابة رسول الله ﷺ ممن كان لهم شرف حمل مرويات السيرة هم:

- أنس بن مالك[1] رضي الله عنه، وله قُرابة ال ٦٠ رواية.
- عبد الله بن عباس[2] رضي الله عنه، وله قُرابة ال ٤٣ رواية.
- عائشة[3] رضي الله عنها، ولها قُرابة ال ٤٢ رواية.
- عبد الله بن عمر[4] رضي الله عنهما، وله قُرابة ال ٣٨ رواية.
- جابر بن عبد الله رضي الله عنهما[5]، وله قُرابة ال ٣٧ رواية.

---

(١) **أنس بن مالك** بن النضر بن ضمضم بن زيد بن حرام بن جندب بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار، الإمام، المفتي، المقرئ، المحدث، راوية الإسلام، أبو حمزة الأنصاري الخزرجي النجاري المدني، خادم رسول الله ﷺ وقرابته من النساء، وتلميذه، وتبعه، وآخر أصحابه موتا، مات سنة ثلاث وتسعين، فيكون عمره على هذا مائة وثلاث سنين، مسنده ألفان ومائتان وستة وثمانون، اتفق له البخاري ومسلم على مائة وثمانين حديثا، وانفرد البخاري بثمانين حديثا، ومسلم بتسعين، وانظر سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، مؤسسة الرسالة، ط ٢٠٠١م، ج٣، ص٥٠.

(٢) **عبد الله بن عباس** البحر، حبر الأمة، وفقيه العصر، وإمام التفسير أبو العباس عبد الله، ابن عم رسول الله ﷺ العباس بن عبد المطلب شيبة بن هاشم، مولده بشعب بني هاشم قبل عام الهجرة بثلاث سنين، صحب النبي ﷺ نحواً من ثلاثين شهراً، توفي بالمدينة سنة اثنتين وسبعين ومائة، وانظر: السابق، ج٧/ ٤٢٦.

(٣) **عائشة أم المؤمنين**، بنت الإمام الصديق الأكبر، خليفة رسول الله ﷺ أبي بكر؛ القرشية التيمية، المكية، النبوية، أم المؤمنين، زوجة النبي ﷺ، أفقه نساء الأمة على الإطلاق، وأمها هي أم رومان بنت عامر بن عويمر، هاجر بعائشة أبواها، وتزوجها نبي الله قبل مهاجره بعد وفاة الصديقة خديجة بنت خويلد، وذلك قبل الهجرة ببضعة عشر شهراً، وقيل: بعامين، ودخل بها في شوال سنة اثنتين، منصرَفه - عليه الصلاة والسلام - من غزوة بدر، وهي ابنة تسع، توفيت سنة سبع وخمسين، وعمرها ثلاث وستون عاماً، وانظر: السابق، ج ٢/ ١٨٦.

(٤) **عبد الله** بن عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى، الإمام القدوة شيخ الإسلام أبو عبد الرحمن القرشي العدوي المكي، ثم المدني، أسلم وهو صغير، ثم هاجر مع أبيه، واستصغر يوم أحد، فأول غزواته الخندق، وهو ممن بايع تحت الشجرة، وأمه وأم أم المؤمنين حفصة هي زينب بنت مظعون أخت عثمان بن مظعون الجمحي، مات سنة أربع وسبعين، والظاهر أنه توفي في آخر سنة ثلاث، توفي بمكة، ودفن بذي طوى، وقيل: بفخ مقبرة المهاجرين سنة أربع، وانظر: السابق، ج ٣/ ٢٣١.

(٥) **جابر بن عبد الله** بن عمرو بن حرام بن ثعلبة، الإمام الكبير، المجتهد الحافظ، صاحب رسول الله ﷺ أبو عبد الله، وأبو عبد الرحمن، الأنصاري الخزرجي السلمي المدني الفقيه، من أهل بيعة الرضوان، وكان آخر من شهد ليلة العقبة الثانية موتاً، مات سنة ثمان وسبعين، وقيل: إنه عاش أربعاً وتسعين سنة، وأضرَّ بأخرة، مسنده بلغ ألفا وخمسمائة وأربعين حديثا، اتفق له الشيخان على ثمانية وخمسين حديثاً، وانفرد له البخاري بستة وعشرين حديثا، ومسلم بمائة وستة وعشرين حديثا، وانظر: السابق، ج ٣/ ١٩١.

وتوزعت باقي الروايات على العديد من الصحابة الكرام بين متوسِّطٍ، ومُقلٍّ للرواية، فجزاهم الله خيراً عن الإسلام والمسلمين.

وأما التحليل لما تم جمعه من روايات؛ فلقد سلكتُ فيه مسلك الفرز الموضوعي لهذه الفوائد، بحسب ما سلف العمل به في العهد المكي ولكن بزيادة فوائد وأمور تتعلق بالجانب الأمني والعسكري لما في العهد المدني من حراك أمني عسكري عظيم. يقول الأستاذ عمر عبيد حسنة: «فالسيرة النبوية بكل أبعادها وما وقع فيها تشكل سِفراً مفتوحاً لكل قارئ ومفكر وباحث وسياسي واجتماعي واقتصادي في كل زمان ومكان، حتى يرث الله الأرض ومَن عليها، وهي ليست حكراً على إنسان أو طبقة أو جماعة أو زمان أو جغرافية بعينها، كما أنها - ومن سماتها الخلود واستمرارية العطاء - لا تُختزل بفهمٍ أو رؤية أو تفسير أو تحليل أو موقف أو اجتهاد مهما بلغ، فلكلٍ قراءته ونظرته واجتهاده ومشكلاته، ولكل عصر متغيراته، ولكل بيئة حاجاتها، ولكل مجتمع عمره الحضاري والثقافي وأسئلته»[1].

- ولاشك أن خلطاً كنتُ ألمسه أحياناً في نسبة بعض الفوائد المشتقة من بعض الروايات إلى مجال من هذه المجالات، ويمكن أن يتم نسبتها إلى مجال آخر إذا نظرنا إلى تلك الفوائد من زاوية نظر أخرى، وباب الاجتهاد في ذلك واسع وكبير.

فإلى الدراسة التفصيلية بما فيها من روايات جليلة وتحليلات أصيلة، والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

---

(١) وثيقة المدينة، المضمون والدلالة، الاستاذ أحمد قائد الشعيبي، تقديم الأستاذ عمر عبيد حسنة، كتاب الأمة، وزارة الأوقاف القطرية، العدد ١١٠، ط٢٠٠٥م، ص٢٥.

(المسجد، المؤاخاة، الوثيقة)
من أعمال النبي ﷺ في المدينة أول قدومه إليها

شرع النبي ﷺ بالبناء والعطاء منذ وصوله إلى يثرب، والتي صار يُطلق عليها: المدينة المنورة، ببركة نزول النبي ﷺ، وأصحابه الكرام فيها، روى أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أمرتُ بقرية تأكل القرى، يقولون: يثرب، وهي المدينة، تنفي الناس كما ينفي الكير خبث الحديد**»[2]

وهو على الرغم من حزنه الشديد على فراقه لمكة المكرمة لشدة حُبه لها، إلا أنه يستقبل مرحلة جديدة تحتاج إلى إيجابية عالية، يتعالى فيها الإنسان على جراحه، **ليصنع من ليمون الهجرة الحامض، وما فيه من أذىً وضعف وتحديات؛ شراباً حلواً يشرب منه، ويسقي الكائنات.**

توقيت نزول النبي ﷺ المدينة:

روى عاصم بن عدي رضي الله عنه قال: «قدم رسول الله ﷺ يوم الاثنين، لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الأول، **فأقام بالمدينة عشر سنين**»[3].

---

(١) لم يرد مصطلح الدولة على لسان رسول الله ﷺ لاسيما وهو في بداية مرحلة تأسيسها، وإنما كان يطلِق عليها دار الهجرة أو المدينة المنورة، وإن ساغ لنا أن نطلق عليها صفة الدولة فإنه لا يصح أن نقول بأنها الدولة النبوية أو الدولة الاسلامية، وهي لا تزال في مرحلة النشوء بقدر ما يمكن أن نطلق عليها اسم الدولة المدينية (وليس المدنية) أو دولة المدينة، ذلك أن إطلاق صفة الدولة الاسلامية يقتضي منه أن يكون (الدستور) كله إسلامياً، ومعلوم أن تشريعات الدولة في البداية لم تكتمل بعد، وأن يكون (الشعب) في معظمه مسلماً، ومعلوم أن أهل المدينة إذ ذاك كانوا أخلاطاً من المسلمين وغيرهم، و(الإقليم) إسلامياً، ومعلوم أن المدينة لم تكن في البداية ملكاً للمسلمين، **ومن هنا صار من التعسف إطلاق هذه الصفة (الدولة الإسلامية) على المدينة بمجرد دخول النبي ﷺ إليها، وإنما صار لهذا الوصف مكانته ورسوخه وتجذره وظهوره في مراحل متأخرة، وأظنها بعد السنة الخامسة من الهجرة النبوية، والله تعالى أعلم.**

(٢) أخرجه البخاري، كتاب فضائل المدينة، باب فضل المدينة وأنها تنفي الخبث، ح ١٧٧٢، والمقصود بقوله: أمرتُ، يعني أمرت بالهجرة إليها.

(٣) ذكره الشيخ ابراهيم العلي في صحيح السيرة، ص١٩١، وقال: رواه الطبراني، ورجاله ثقات.

لقد كان الحب هو العنوان الأول من عناوين دار الهجرة، حيث دعا النبي ﷺ على عتبات المدينة فقال: «**اللهم حبِّب إلينا المدينة**، كحبنا مكة أو أشد، اللهم بارك لنا في صاعنا وفي مُدِّنا، وصححها لنا، وانقل حُمَّاها إلى الجحفة...»[1]، وروى أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «اللهم اجعل بالمدينة ضعفي ما جعلت بمكة من البركة»[2].

أما أعماله في دار الهجرة بالتشـــارك مع صحابته القدماء (المهاجرون) وصحابته الجدد (الأنصار) فكانت أعمالاً كثيرة، تحمل في طياتها معالم البناء، ســـواء أكان هذا البناء مادياً أو معنوياً، ولعل من أعظم ما قام به النبي ﷺ في المرحلة الأولى:

- بناء المسجد النبوي: (لتمكين صلة المؤمنين بالله تعالى).
- المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار: (لتمكين صلة المؤمنين ببعضهم).
- تعميم الوثيقة الضابطة للعلاقة بين أهل المدينة كلهم: (لضبط الصلات بين عموم أفراد المجتمع الجديد).

أولاً: بناء المسجد النبوي:

- كانت أول جمعة صلاهـــا النبي ﷺ بقباء، ثم نزل على أبي أيوب رضي الله عنه، وأمر ببناء مسجده[3].
- **قال تعالى:** ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ التوبة: ١٠٨ [4].

- **وقفة مع تفسير هذه الآية:** قال ابن كثير رحمه الله: «في الآية دليل على استحباب

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب فضائل المدينة، باب كراهية النبي ﷺ أن تعرى المدينة، ح ١٧٩٠.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب فضائل المدينة، باب المدينة تنفي الخبث، ح ١٧٨٦.

(٣) ذكره الشيخ ابراهيم العلي في صحيح السيرة، ص١٩٠، وقال: رواه الطبراني ورجاله ثقات، وهو تابع لحديث سابق.

(٤) ذكر الإمام الطبري الخلاف الحاصل في فهم الصحابة والتابعين للمقصود بمسجد التقوى هذا، ثم رجَّح الرأي القائل بأنه مسجد رسول الله ﷺ، وليس مسجد قباء، وذكر من بين الأقوال التي اعتمد عليها في الترجيح قول ابن عمر رضي الله عنهما، فعن عثمان بن عبيد الله قال: أرسلني محمد بن أبي هريرة إلى ابن عمر، أسأله عن المسجد الذي أسس على التقوى، أيّ مسجد هو؟ مسجد المدينة، أو مسجد قباء؟ قال: **لا، مسجد المدينة**، وانظر: تفسير جامع البيان، الامام الطبري، دار الفكر، ط١، ١٩٩٥م، ٩/ ١٤٠.

الصلاة في المساجد القديمة المؤسسة من أول بنائها على عبادة الله وحده لا شريك له، وعلى استحباب الصلاة مع جماعة الصالحين، والعباد العاملين المحافظين على إسباغ الوضوء، والتنزه عن ملابسة القاذورات»[1].

- وكان عليه الصلاة والسلام «يُصلي حيث أدركته الصلاة، **ويُصلي في مرابض الغنم**[2]»[3].

اختيار المكان والبدء بالبناء: روى عروة بن الزبير رضي الله عنه قال: «... ثم ركب رسول الله ﷺ راحلته فسار يمشي معه الناس، حتى بركت عند مسجد الرسول ﷺ **بالمدينة، وهو يصلي فيه يومئذ رجال من المسلمين**، وكان مِربداً للتمر لسهيل وسهل - غلامين يتيمين في حِجر أسعد بن زرارة - فقال رسول الله ﷺ حين بركت به راحلته: **هذا إن شاء الله المنزل**، ثم دعا رسول الله ﷺ الغلامين، فساومهما بالمربد ليتخذه مسجداً، فقالا: **لا، بل نَهَبُهُ لك يا رسول الله**، ثم بناه مسجداً، وطفق رسول الله ﷺ ينقل معهم اللَّبِن في بنيانه، ويقول وهو ينقل اللَّبِن:

هذا الحِمال لا حِمال خيبر هذا أبرُّ ربنا وأطهر

ويقول:

اللهم إن الأجر أجر الآخرة فارحم الأنصار والمهاجرة

فتمثل بشعر رجل من المسلمين لم يُسَمَّ لي، قال ابن شهاب ولم يبلغنا في الأحاديث أن رسول الله ﷺ تمثل ببيت شعر تامٍّ غير هذه الأبيات»[4].

وروى أنس رضي الله عنه: فكان فيه (البستان الذي بُني فيه المسجد) ما أقول لكم: كانت فيه قبور المشركين، وكانت فيه خِرَب، وكان فيه نخيل، فأمر النبي ﷺ بقبور المشركين وبالخِرب فسوِّيت، وبالنخل فقُطِّعت، قال: فصَفُّوا النخل قبلة المسجد

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٢/ ٢٠٤.

(٢) مأوى الغنم ليلاً.

(٣) أخرجه البخاري في مناقب الأنصار، باب مقدم النبي ﷺ وأصحابه المدينة، ح٣٩٣٢.

(٤) أخرجه البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب هجرة النبي ﷺ، ح٣٩٠٦.

قال: وجعلوا عَضادتيه[1] حجارة، وجعلوا ينقلون الصخر وهم يرتجزون...»[2].

وقد بنى النبي ﷺ المسجد في بداية الأمر بالجريد، ثم بناه باللبن بعد الهجرة بأربع سنين[3].

- **وممن ذُكر فيمن كان يساعد في بناء المسجد:**

١. يروي سفينة مولى رسول الله ﷺ قال: «لما بنى رسول الله ﷺ المسجد جاء **أبو بكر** رضي الله عنه بحجر فوضعه، ثم جاء **عمر** بحجر فوضعه، ثم جاء **عثمان** بحجر فوضعه، فقال رسول الله ﷺ: **هؤلاء ولاة الأمر بعدي**»[4].

٢. ويروي **أبو سعيد الخدري** رضي الله عنه قال: «كنا نحمل لبنة لبنة، **وعمار** لبنتين لبنتين، فرآه النبي ﷺ، فينفض التراب عنه ويقول: ويح عمار، تقتله الفئة الباغية، يدعوهم إلى الجنة، ويدعونه إلى النار، قال: يقول عمار: **أعوذ بالله من الفتن**»[5].

- **تشريع الأذان**[6]: روى ابْنَ عُمَرَ رضي الله عنه كَانَ يَقُولُ: كَانَ الْمُسْلِمُونَ حِينَ قَدِمُوا الْمَدِينَةَ يَجْتَمِعُونَ، فَيَتَحَيَّنُونَ الصَّلَاةَ لَيْسَ يُنَادَى لَهَا، فَتَكَلَّمُوا يَوْمًا فِي ذَلِكَ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: اتَّخِذُوا نَاقُوسًا مِثْلَ نَاقُوسِ النَّصَارَى، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: بَلْ بُوقًا مِثْلَ قَرْنِ الْيَهُودِ، فَقَالَ عُمَرُ: أَوَلَا تَبْعَثُونَ رَجُلًا يُنَادِي بِالصَّلَاةِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا بِلَالُ قُمْ فَنَادِ بِالصَّلَاةِ»[7].

وفي رواية عن عَبْدُ اللَّهِ بْنُ زَيْدٍ رضي الله عنه قَالَ: لَمَّا أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالنَّاقُوسِ يُعْمَلُ لِيُضْرَبَ بِهِ لِلنَّاسِ لِجَمْعِ الصَّلَاةِ طَافَ بِي وَأَنَا نَائِمٌ رَجُلٌ يَحْمِلُ نَاقُوسًا فِي يَدِهِ،

---

(١) ما يعتمد عليهما الباب عند إغلاقه.

(٢) أخرجه البخاري في مناقب الأنصار، باب مقدم النبي ﷺ وأصحابه المدينة، ح٣٩٣٢.

(٣) فتح الباري لابن حجر العسقلاني، دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٨٩م، ٧/ ٤٦، نقلاً عن الزبير بن بكار.

(٤) ذكره الشيخ إبراهيم العلي في صحيح السيرة، برقم ١٩٠، وقال: أخرجه الحاكم في المستدرك ١٣/٣، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي وقال: صحيح.

(٥) أخرجه البخاري، كتاب الصلاة، باب التعاون في بناء المسجد، ح٤٤٧.

(٦) ينكر الشيخ أبو زهرة أن يكون تشريع الأذان قد جاء برؤيا من صحابي جليل، ويقول بأن هذا التشريع العظيم لا يمكن أن يكون إلا من وحي السماء، قلت: وماذا يعني أن تكون رؤيا طالما أن رسول الله ﷺ قد أقرها فصارت سُنة وتشريعاً؟.

(٧) أخرجه البخاري، كتاب الأذان، باب بدء الأذان، ح ٥٧٢.

فَقُلْتُ: يَا عَبْدَ اللَّهِ أَتَبِيعُ النَّاقُوسَ؟ قَالَ: وَمَا تَصْنَعُ بِهِ؟ فَقُلْتُ: نَدْعُو بِهِ إِلَى الصَّلَاةِ، قَالَ: أَفَلَا أَدُلُّكَ عَلَى مَا هُوَ خَيْرٌ مِنْ ذَلِكَ؟ فَقُلْتُ لَهُ: بَلَى، قَالَ فَقَالَ: تَقُولُ اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ، أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ، أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ، أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، حَيَّ عَلَى الصَّلَاةِ، حَيَّ عَلَى الصَّلَاةِ، حَيَّ عَلَى الْفَلَاحِ، حَيَّ عَلَى الْفَلَاحِ، اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ، لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ، قَالَ: ثُمَّ اسْتَأْخَرَ عَنِّي غَيْرَ بَعِيدٍ، ثُمَّ قَالَ وَتَقُولُ: إِذَا أَقَمْتَ الصَّلَاةَ، اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ، أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ، أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، حَيَّ عَلَى الصَّلَاةِ، حَيَّ عَلَى الْفَلَاحِ، قَدْ قَامَتْ الصلاةُ، قَدْ قَامَتْ الصَّلَاةُ، اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ، لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ، فَلَمَّا أَصْبَحْتُ أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَأَخْبَرْتُهُ بِمَا رَأَيْتُ، **فَقَالَ: إِنَّهَا لَرُؤْيَا حَقٌّ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ، فَقُمْ مَعَ بِلَالٍ فَأَلْقِ عَلَيْهِ مَا رَأَيْتَ، فَلْيُؤَذِّنْ بِهِ، فَإِنَّهُ أَنْدَى صَوْتًا مِنْكَ**، فَقُمْتُ مَعَ بِلَالٍ فَجَعَلْتُ أُلْقِيهِ عَلَيْهِ، وَيُؤَذِّنُ بِهِ، قَالَ: فَسَمِعَ ذَلِكَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، وَهُوَ فِي بَيْتِهِ، فَخَرَجَ يَجُرُّ رِدَاءَهُ وَيَقُولُ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَقَدْ رَأَيْتُ مِثْلَ مَا رَأَى، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: فَلِلَّهِ الْحَمْدُ»[1].

ثانياً: المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار[2].

- روى أنس رضي الله عنه **ما يثبت مكان عقد المؤاخاة**، قال: «حالف رسول الله ﷺ بين قريش والأنصار في داري»[3].
- وروى أبو هريرة رضي الله عنه **ما يبين العرض المقدم من الأنصار**، قال: «قالت الأنصار:

---

(١) أخرجه أبو داود، كتاب الصلاة، باب كيف الأذان، ح ٤٩٩، وإسناده حسن.

(٢) يحكي الدكتور أكرم ضياء العمري ما يفيد بأن استراتيجية المؤاخاة كانت متبعة في مكة، بحسب ما روى عن البلاذري في ذلك، لكنه ينفي ذلك بما ذكره ابن القيم مؤكداً على أن المؤاخاة المكية حتى وإن تحققت فهي لا تفيد التوارث، بقدر ما تفيد مجرد المؤازرة والنصيحة، وانظر: السيرة النبوية الصحيحة للدكتور أكرم ضياء العمري، ص٢٧٥، كما يحكي الدكتور العمري كذلك الخلاف الذي دار حول توقيت المؤاخاة، وهل كانت قبل بناء المسجد، أو أثناء ذلك، أو بعده، دون أن يخلص إلى نتيجة في ذلك، ويحكي كذلك أن عدد من شملتهم المؤاخاة تسعين رجلاً، وهم خمسة وأربعين من المهاجرين، وخمسة وأربعين من الأنصار، بمعنى أن المؤاخاة شملت جميع المهاجرين.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الكفالة، باب قوله تعالى: «والذين عقدت أيمانكم فآتوهم نصيبهم»، ح ٢٢٩٤.

اقسم بيننا وبينهم (المهاجرين) النخيل، قال: لا، قال: يكفوننا المؤونة ويشركوننا في الثمر، قالوا: سمعنا وأطعنا»[1].

- ويروي أنس رضي الله عنه **موقف المهاجرين من كرم إخوانهم الأنصار**، قال: «قالت المهاجرون: يا رسول الله ما رأينا مثل قومٍ قدمنا عليهم أحسن بذلاً من كثير، ولا أحسن مواساة في قليل، قد كفونا المؤنة، وأشركونا في المهنأ[2]، **فقد خشينا أن يذهبوا بالأجر كله**، قال: فقال رسول الله ﷺ: **كلا ما أثنيتم عليهم به، ودعوتم الله عز وجل لهم**»[3].
- **ومن نماذج هذه المؤاخاة[4]:**

١. روى أنس رضي الله عنه قال: «آخى النبي ﷺ بين أبي عبيدة وبين أبي طلحة»[5].

٢. وروى أنس رضي الله عنه قال: «قدم علينا عبد الرحمن بن عوف وآخى رسول الله ﷺ بينه وبين سعد بن الربيع، وكان كثير المال، فقال سعد: قد علمت الأنصار أني من أكثرها مالاً، **سأقسم مالي بيني وبينك شطرين، ولي امرأتان، فانظر أعجبهما إليك فأطلقها، حتى إذا حلت تزوجتَها**، فقال عبد الرحمن: بارك الله لك في أهلك ومالك، **دُلني على السوق**، فربح شيئاً من أقط وسمن، فلم يلبث إلا يسيراً حتى جاء رسول الله ﷺ، وعليه وضَرٌ من صفرة[6]، فقال له رسول الله ﷺ: مهيم[7]، قال: تزوجتُ امرأة من الأنصار، فقال: ما سُقْتَ

---

(١) أخرجه البخاري، مناقب الأنصار، باب إخاء النبي ﷺ بين المهاجرين والأنصار، ح٣٧٨٢.

(٢) الفرح والسرور، أو الإسعاد بما يملكون من طاقة.

(٣) ذكره كل من الدكتور العمري والشيخ العلي في السيرة النبوية الصحيحة وصحيح السيرة النبوية، وقالا بأنه: أخرجه أحمد في المسند ٢٠٤/٣، والترمذي في صفة القيامة ح٢٤٨٧، واكتفيا بحكم الترمذي عليه بأنه: حسن صحيح غريب.

(٤) نفى الشيخ الألباني رحمه الله صحة ما جاء من روايات تثبت أخوة عليٍّ رضي الله عنه مع النبي ﷺ، وقال بأنه تتبعها فوجدها كلها لا تخلو من كذاب، **وهذا لا يقلل من قيمة الحب والصلة الوثيقة التي جمعتهما**، ومن أشهر هذه الروايات ما أخرجه الترمذي ٣٢٨/٤.

(٥) أخرجه مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب مؤاخاة النبي ﷺ بين أصحابه ح٢٥٢٨.

(٦) شيء من الطيب.

(٧) كلمة تقال للاستفهام.

إليها؟ قال: وزن نواة من ذهب، أو نواة من ذهب. فقال: **أولِمْ ولو بشاة**»[1].

٣. روى عون بن أبي جحيفة عن أبيه قال: «**آخى النبي ﷺ بين سلمان وأبي الدرداء**، فزار سلمان أبا الدرداء، فرأى أم الدرداء متبذلة، فقال لها: ما شأنك؟ قالت: أخوك أبو الدرداء ليس له حاجة في الدنيا، فجاء أبو الدرداء فصنع له طعاماً، فقال: كل، قال: فإني صائم، قال: ما أنا بآكل حتى تأكل، قال: فأكل، فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء يقوم، قال: نم فنام، ثم ذهب يقوم، فقال: نم فلما كان من آخر الليل قال سلمان: قم الآن، فصليَا، فقال له سلمان: **إن لربك عليك حقاً، ولنفسك عليك حقاً، ولأهلك عليك حقاً، فأعط كل ذي حق حقه**، فأتى النبي ﷺ، فذكر ذلك له، فقال النبي ﷺ: **صدق سلمان**»[2].

- **مسألة التوارث[3] في المؤاخاة:**

- **تعد المواساة والشراكة الاجتماعية** أكبر معالم هذه المؤاخاة التي كانت بين المهاجرين وإخوانهم الأنصار، يضاف لها **نواحيَ اقتصادية كالشراكة في المال، والتوارث**، فعن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ﴾ [النساء: ٣٣]، قال: ورثة، قال: ﴿وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٣٣]، كان المهاجرون لما قدموا على النبي ﷺ المدينة ورث المهاجر الأنصاري، دون ذوي رحمه، للأخوة التي آخى النبي ﷺ بينهم، فلما نزلت (ولكل جعلنا موالي) نُسخت، ثم قال: (والذين عقدت أيمانكم) **إلا النصر والرفادة والنصيحة** - وقد ذهب الميراث - ويوصي له»[4].

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب إخاء النبي ﷺ بين المهاجرين والأنصار، ح٣٧٨١.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الصوم، باب من أقسم على أخيه ليفطر، ح ١٨٦٧.

(٣) أنكر الشيخ محمد الصادق عرجون مسألة التوارث هذه من أصلها وقال: «كيف يتصور أن المؤاخاة التي عقدها رسول الله ﷺ بين أصحابه ليصحح بها تركيب مجتمعه المسلم وجعل أساسها الحب في الله ولله؛ يدخل فيها عنصر التوريث الجبري الالزامي، الذي إن رضيته النفوس الأبية فإنما ترضاه لو ارتكز على نص شرعي من الله ورسوله»، وانظر: محمد رسول الله ﷺ، للشيخ محمد الصادق عرجون، ج٣/ ص ١٢٢، ولم أجد في رأيه وجاهة لما يصادم بذلك رواية صحيحة قد نجد لها تأويلاً يؤكد ثبوتها المعنوي، فضلاً عن ثبوتها اللفظي.

(٤) أخرجه البخاري، كتاب الكفالة، باب قوله تعالى: (والذين عقدت أيمانكم) ح٢٢٩٢.

- وروى الزبير بن العوام رضي الله عنه قال: «أنزل الله عز وجل فينا خاصة معشر قريش والأنصار: ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ۗ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ ﴿٦﴾ ﴾ الأحزاب: ٦ **وذلك أنّا معشر قريش لما قدمنا المدينة ولا أموال لنا، فوجدنا الأنصار نعم الإخوان، فواخيناهم وأورثناهم**، فواخى أبو بكر خارجة بن زيد، وآخى عمر فلاناً، وآخى عثمان بن عفان رجلاً من بني زريق، سعد الزرقي، ويقول بعض الناس غيره، قال الزبير: وآخيت أنا كعب بن مالك، فجئته فابتعلته[1]، فوجدت السلاح قد ثقله فيما يرى، **فو الله يا بُني، لو مات يومئذ عن الدنيا ما ورثه غيري**، حتى أنزل الله هذه الآية فينا معشر قريش والأنصار خاصة، فرجعنا إلى مواريثنا»[2].

- **ما بقي من حقوق الأخوة بعد نسخ التوارث:** ولا يعني نسخ التوارث أو رفعه التوقف عن باقي حقوق المؤاخاة، بل استمر ذلك ولابد أن يستمر[3]، لأن الله تعالى يقول: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ الحجرات: ١٠ كما روى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يسلمه**، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرَّج عن مسلم كربة فرَّج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة، ومن ستر مسلماً؛ ستره الله يوم القيامة»[4].

- **حكاية الصُّفة:** وحتى تتأكد العناية النبوية بالمهاجرين الذين تركوا أرضهم وديارهم فقد جُعل لهم في آخر المسجد النبوي مكاناً اسمه الصُّفَّة، وكان يُطلق عليه: (صُفة المهاجرين)، ثم صار يأتيه كل محب للزهد، وكل زائر للمدينة، وكل فقير من المسلمين، **وكان أهل الصُّفة قد انقطعوا للعبادة والعلم والجهاد**، وكانت

---

(١) عشت معه.

(٢) أخرجه ابن كثير في تفسيره ٣/ ٤٦٨، وقد ذكره الشيخ ابراهيم العلي في صحيح السيرة برقم: ٢٠٧، وقال: هو حسن.

(٣) جاء في السيرة النبوية لابن كثير ٢/ ٣٢٦ **أن النبي ﷺ آخى بين جعفر بن أبي طالب ومعاذ بن جبل رضي الله عنهما في السنة السابعة للهجرة**، وهذا ما يؤكد **استمرار فكرة المؤاخاة** على الرغم من توقف العمل بالتوارث، وانظر السيرة الصحيحة للدكتور أكرم العمري ص ٢٨٣.

(٤) أخرجه البخاري، كتاب المظالم، باب لا يظلم المسلم المسلم، ح ٢٣١٠.

نفقتهم على أغنياء المسلمين، وممن نزلها من الصحابة الكرام: أبو هريرة، وأبو ذر الغفاري، وكعب بن مالك الأنصاري، وحذيفة بن اليمان، وحنظلة الغسيل، وبلال بن رباح، وغيرهم من الصحابة رضوان الله عليهم[1].

ثالثاً: وثيقة أو دستور المدينة:

- **حكاية ثبوتها:** اختلف المحدِّثون في ثبوت هذه الوثيقة وفي تاريخها، والراجح الذي توصَّل إليه الدكتور أكرم ضياء العمري، وهو محقق بارع في السيرة، وتابعه على ذلك الشيخ إبراهيم العلي رحمه الله، **أن هذه الوثيقة وثيقتان؛ جمع المؤرخون بينهما؛ فوثيقة تتناول موادعة الرسول ﷺ لليهود**[2] وهي أقل ثبوتاً من الوثيقة الثانية التي **توضح التزامات المسلمين من مهاجرين وأنصار وحقوقهم وواجباتهم فيما بينهم**[3]، وسبب الخلاف في ثبوت هاتين الوثيقتين **أن ابن اسحاق رحمه الله أتى بهما كاملتين، ولكن من دون إسناد**، وأما غيره كالزهري والواقدي وغيرهما، فقد أتيا بأجزاء متفرقة من هاتين الوثيقتين، وقام البخاري ومسلم وغيرهما من علماء الحديث برواية هذه الأجزاء المتقطعة، ثم قام العلماء بعد ذلك بالجمع لها بما يقارب الموافقة لما رواه ابن اسحاق رحمه الله بغير إسناد[4].
- **نص الوثيقة أو الدستور الكامل[5]:**

---

(١) أفاض الدكتور أكرم العمري وأجاد في حديثه عن أهل الصُّفة، وانظر في السيرة النبوية الصحيحة ص٢٩٣ - ٣٠٩.

(٢) يرجح الدكتور صالح العلي في كتابه تنظيمات الرسول الإدارية في المدينة ص٦، أنها كُتبت قبل موقعة بدر، ويتابعه على ذلك الدكتور أكرم العمري في السيرة الصحيحة ص٣١٥.

(٣) أما هذه فقد بين الدكتور أكرم العمري في الكتاب نفسه من الصفحة نفسها أنها كتبت بعد بدر.

(٤) وهذا ملخص ما قاله الدكتور العمري والشيخ العلي في السيرة النبوية الصحيحة وفي صحيح السيرة النبوية.

(٥) الراجح في عدد بنود الصحيفة الكاملة بشقيها أنها إحدى وخمسون بنداً، وما الخلاف الحاصل في بعض النسخ إلا بسبب الدمج الحاصل في بعض بنودها عند بعض النسخ دون الأخرى، ومن هنا نجد أن الدكتور العمري عدها ٤٧ بنداً، بينما هي عند الشيخ ابراهيم العلي ٥٢ (بتكرار حصل عندهما في واحد من البنود وإلا فهي ٥١ بنداً فقط) وبالنظر في كتابيهما وجدت أنه لا خلاف في البنود، وإنما في العدِّ مع الدمج الحاصل عند الدكتور العمري، ودون دمج عند الشيخ العلي، وقد استفدتُ من فكرة عنونة بنود الوثيقة من مقال بعنوان: **وثيقة المدينة مفخرة الحضارة الإسلامية للأستاذ محمد مسعد ياقوت في موقع صيد الفوائد عبر الشبكة العنكبوتية.**

١. هذا كتاب من محمد النبي (رسول الله) بين المؤمنين والمسلمين من قريش (وأهل) يثرب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم.

أولاً: الأمة الإسلامية فوق القبلية:

قال الدستور في ذلك:

٢. «إنهم - المسلمون - أمة واحدة من دون الناس».

ثانيًا: التكافل الاجتماعي بين فصائل الشعب:

وفي هذه القيمة كُتبت البنود الآتية:

٣. «المهاجرون من قريش على ربعتهم يتعاقلون بينهم، وهم يفدون عانيهم[١] بالمعروف والقسط بين المؤمنين».

٤. «وبنو عوف على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين».

٥-١١. وبنو سَاعِدَةَ وبنو جشم وبنو النبيت وبنو الأوس وبنو الحارث بن الخزرج وبنو عمرو بن عوف وبنو النجار، على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف، والقسط بين المؤمنين.

ثالثاً: حماية أهل الذمة والأقليات غير الإسلامية:

وجاء في هذا الأصل:

١٢. «وإنه من تبعنا من يهود فإن له النصر والأسوة، غير مظلومين ولا متناصَر عليهم».

رابعاً: الأمن الاجتماعي وضمان الديات:

وجاء في هذا الأصل:

١٣. «وإنه من اعتبط[٢] مؤمناً قتلاً عن بيِّنة فإنه قَوَدٌ[٣] به إلا أن يرضى وليُّ المقتول (بالعقل)، وإن المؤمنين عليه كافة، ولا يحل لهم إلا قيام عليه».

---

(١) الربعة هي الحال التي جاء الإسلام وهم عليها، العاني: الأسير والمخذول الذي تركه قومه ولم يواسوه.

(٢) قتل مؤمناً من غير شيء يوجب قتله.

(٣) القود: القصاص.

خامساً: المرجعية في الحكم إلى الشريعة الإسلامية:

وجاء في هذا الأصل:

١٤. وإنكم مهما اختلفتم فيه من شيء فإن مردَّه إلى الله عز وجل وإلى محمد.

١٥. «وإنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فساده فإن مردَّه إلى الله، وإلى محمد رسول الله، وإن الله على أتقى ما في هذه الصحيفة وأبره».

سادساً: ضابط الأحلاف:

وجاء في هذا الأصل:

١٦. «وأن لا يحالف مؤمن مولى مؤمن دونه».

سابعاً: الدعم المالي للدفاع عن الدولة مسؤولية الجميع:

وجاء في هذا الأصل:

١٧. «وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين».

ثامناً: الاستقلال المالي لكل طائفة:

وجاء في هذا الأصل:

١٨. «وإن على اليهود نفقتهم، وعلى المسلمين نفقتهم».

١٩. «على كل أناس حصتهم من جانبهم الذي قِبَلهم».

تاسعاً: وجوب الدفاع المشترك ضد أي عدوان:

وجاء في هذا الأصل:

٢٠. «وإن بينهم النصر على من دهم يثرب»[١].

«وإن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة»[٢].

عاشراً: النصح والبر بين المسلمين وأهل الكتاب:

وجاء في هذا الأصل:

---

(١) لم يثبت أن النبي ﷺ قد استعان بيهود في غزواته كلها، بل كان يرفض مبدأ الاستعانة بهم، وهو في الوقت ذاته لم يكن ليقبل منهم الوقوف في الحياد عندما يدهم المدينة عدو من خارجها، فكيف وقد وقفوا في صفوف الأعداء المداهمين لها يوم الخندق وغيرها، لأجل ذلك أجلاهم عليه الصلاة والسلام، وفعل فيهم ما فعل.

(٢) جاءت في الأصل تتمة لبند آخر وليست منفصلة لوحدها.

«وإن بينهم النصح والنصيحة والبر دون الإثم»[1].

حادي عشر: حرية كل فصيل في عقد الأحلاف التي لا تضر الدولة:

٢١. «وإنه لا يأثم امرؤ بحليفه».

ثاني عشر: وجوب نصرة المظلوم:

وجاء في هذا الأصل:

«وإن النصر للمظلوم»[2]

ثالث عشر: حق الأمن لكل مواطن:

وجاء في ذلك:

٢٢. «وإنه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم أو آثم، وإنه من خرج آمنٌ، ومن قعد آمنٌ بالمدينة، إلا من ظلم وأثم، وإن الله جار لمن برَّ واتقى، ومحمد رسول الله».

رابع عشر: حقوق وضوابط الجوار:

وجاء في هذا الأصل:

٢٣. «وإن الجار كالنفس غير مضار ولا آثم».

٢٤. «وإنه لا تجار حرمة إلا بإذن أهلها».

٢٥. «وإنه لا تجار قريش ولا من نصرها».

٢٦. «وإنه لا يجير مشرك مالاً لقريش ولا نفساً ولا يحول دونه على مؤمن».

خامس عشر: ضوابط الصلح:

وجاء في هذا الأصل:

٢٧. «وإذا دعوا إلى صلح يصالحونه ويلبسونه فإنهم يصالحونه ويلبسونه، وإنهم إذا دعوا إلى مثل ذلك فإن لهم على المؤمنين إلا من حارب في الدين».

سادس عشر: ضوابط حرية التدين:

وجاء في هذا الأصل:

---

(١) أيضاً جاءت مثل سابقتها تماماً.

(٢) جاء في الأصل تتمة لبند آخر، وليس منفرداً تماماً

٢٨. «وإن يهود بني عـوف أمة مع المؤمنين، لليهود دينهم وللمسـلمين دينهم، مواليهم وأنفسهم إلا من ظلم نفسه وأثم، لا يوتغ[١] إلا نفسه وأهل بيته».

٢٩-٣٤. «وإن ليهود بني النجار وبني الحارث وبني سـاعدة وبني جشـم وبني الأوس وبنـي ثعلبة ما ليهود بني عوف، إلا من ظلـم وأثم، فإنه لا يوتغ إلا نفسه وأهل بيته».

٣٥. وإن لبني الشطبية مثل ما ليهود بني عوف وأن البر دون الإثم.

٣٦. وأن بطانة يهود كأنفسهم.

٣٧. وأن جفنة بطن من ثعلبة كأنفسهم.

٣٨. وأن موالي ثعلبة كأنفسهم.

٣٩. وإن يهود الأوس[٢] مواليهم وأنفسهم على مثل ما لأهل هذه الصحيفة مع البر المحض من أهل هذه الصحيفة، وإن البر دون الإثم لا يكسـب كاسـب إلا على نفسه، وإن الله على أصدق ما جاء في هذه الصحيفة وأبره.

٤٠. «وإنه لا يخرج منهم أحد إلا بإذن محمد ﷺ».

٤١. «وإنه لا ينحجز على ثار جرح، وإنه من فتك فبنفسـه وأهل بيته إلا من ظلم، وإن الله على أبرِّ هذا».

سابع عشر: حرمة المدينة:

وجاء في هذا الأصل:

٤٢. «وإن يثرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة».

ثامن عشر: حقوق وواجبات في دائرة المجتمع المسلم:

وجاء في هذا الأصل:

---

(١) يهلك.

(٢) يحكي الدكتور أكرم ضياء العمري أن بعض عرب المدينة من الأوس والخزرج كان قد تهوَّد لأسباب مختلفة ذكر منها في سبب نزول قوله تعالى: «لا إكراه في الدين»، أنه «كانت المرأة من نساء الأنصار تكون مقلاة (لا يعيش لها ولد) فتجعل على نفسها إن عاش لها ولد أن تهوده، فلما أجليت بنو النضير كان فيهم أبناء الأنصار، فقالوا: لا ندع أبناءنا، فأنزل الله الآية، أخرجه أبو داود ٣/ ١٣٢، وهو في أسباب النزول للواحدي برقم ٧٧، وإسناده صحيح، وانظر في السيرة النبوية الصحيحة ص ٣٣٠.

٤٣. «وإن المؤمنين المتقين على أحسن هدي وأقومه».

٤٤. «وإن المؤمنين يبيء[١] بعضهم على بعض بما نال دماءهم في سبيل الله».

٤٥. «وإن كل غازية غزت معنا يعقب بعضها بعضاً».

٤٦. «وإن سلم المؤمنين واحدة، لا يسالم مؤمن دون مؤمن في قتال في سبيل الله إلا على سواء وعدل بينهم».

٤٧. «ولا يقتل مؤمن مؤمناً في كافر، ولا ينصر كافراً على مؤمن».

٤٨. «وإن المؤمنين لا يتركون مفرحاً[٢] بينهم أن يعطوه بالمعروف من فداء أو عقل».

٤٩. «وإنه لا يحل لمؤمن أقر بما في هذه الصحيفة، وآمن بالله واليوم الآخر أن ينصر محدثاً أو يؤويه، وأن من نصره فإن عليه لعنة الله وغضبه يوم القيامة، ولا يؤخذ منه صرف ولا عدل».

٥٠. «وإن المؤمنين المتقين (أيديهم) على (كل) من بغى منهم أو ابتغى دسيعة[٣] ظلم أو إثماً أو عدواناً أو فساداً بين المؤمنين، وإن أيديهم عليه جميعاً، ولو كان ولد أحدهم».

٥١. «وإن ذمة الله واحدة، يجير عليهم أدناهم، وإن المؤمنين بعضهم موالي بعض دون الناس».

بعض مواقف النبي ﷺ عند دخوله المدينة:

- **تعليم النبي ﷺ لعمرو بن عبسة:** عرفنا في العهد المكي كيف أن عمرو بن عبسة رضي الله عنه جاء النبي ﷺ يريد الإسلام فأمره النبي ﷺ بالرجوع إلى أهله حتى يُظهر الله الإسلام، فقد روى أبو أمامة رضي الله عنه عن عمرو بن عبسة السلمي رضي الله عنه قال: «**كنت وأنا في الجاهلية أظن أن الناس على ضلالة**، وأنهم ليسوا على شيء وهم يعبدون الأوثان، فسمعت برجلٍ بمكة يخبر أخباراً، فقعدت على راحلتي فقدمت عليه،

(١) يمنع ويكف.

(٢) كثير الدَّين والعيال.

(٣) الدسيعة ما يخرج من حلق البعير إذا رغا، ودسيعة لظلم، ما ينال منهم من ظلم.

فإذا رسول الله ﷺ **مستخفياً، جُرءاءُ عليه قومه، فتلطفتُ حتى دخلت عليه بمكة،** فقلت له: ما أنت؟ قال: أنا نبي، فقلت: وما نبي؟ قال: أرسلني الله، فقلت: وبأي شيء أرسلك؟ قال: أرسلني بصلة الأرحام، وكسر الأوثان، وأن يوحَّد الله، لا يشرك به شيء، قلت له: **فمن معك على هذا؟ قال: حرٌّ وعبد،** قال: ومعه يومئذ أبو بكر وبلال ممن آمن به.

فقلت: **إني متبعك،** قال: إنك لا تستطيع ذلك يومك هذا، ألا ترى حالي وحال الناس، ولكن ارجع إلى أهلك، فإذا سمعتَ بي قد ظهرتُ فأتني.

قال: فذهبت إلى أهلي، **وقدم رسول الله ﷺ المدينة، وكنت في أهلي فجعلت أتخبرَّ الأخبار، وأسأل الناس حين قدم المدينة،** حتى قدم عليَّ نفر من أهل يثرب من أهل المدينة، فقلت: ما فعل هذا الرجل الذي قدم المدينة؟ فقالوا: الناس إليه سِراع، وقد أراد قومه قتله، فلم يستطيعوا ذلك.

فقدمتُ المدينة، فدخلتُ عليه، فقلت: **يا رسول الله أتعرفني؟**

قال: نعم، أنت الذي لقيتني بمكة.

قال فقلت: بلى، فقلت: يا نبي الله، أخبرني عما علَّمك الله وأجهله، أخبرني عن الصلاة، قال: صلِّ صلاة الصبح، ثم أقصِر عن الصلاة حتى تطلع الشمس حتى ترتفع، فإنها تطلع حين تطلع بين قرني شيطان، وحينئذ يسجد لها الكفار، ثم صلِّ فإن الصلاة مشهودة محضورة حتى يستقل الظل بالرمح، ثم أقصِر عن الصلاة، فإن حينئذ تسجر جهنم، فإذا أقبل الفيء فصلِّ فإن الصلاة مشهودة محضورة، حتى تصلي العصر، ثم أقصِر عن الصلاة حتى تغرب الشمس، فإنها تغرب بين قرني شيطان، وحينئذ يسجد لها الكفار.

قال فقلت: يا نبي الله، فالوضوء حدثني عنه، قال: ما منكم رجل يقرب وضوءه فيتمضمض ويستنشق فينتثر إلا خرَّت خطايا وجهه وفيه وخياشيمه، ثم إذا غسل وجهه كما أمره الله، إلا خرت خطايا وجهه من أطراف لحيته مع الماء، ثم يغسل يديه إلى المرفقين، إلا خرت خطايا يديه من أنامله مع الماء، ثم يمسح رأسه إلا خرت خطايا رأسه من أطراف شعره مع الماء، ثم يغسل قدميه إلى الكعبين إلا

خرت خطايا رجليه من أنامله مع الماء، **فإن هو قام فصلى فحمد الله وأثنى عليه ومجَّده بالذي هو له أهل، وفرَّغ قلبه لله، إلا انصرف من خطيئته كهيئته يوم ولدته أمه**، فحدَّث عمرو بن عبسة بهذا الحديث أبا أمامة صاحب رسول الله ﷺ، فقال له أبو أمامة: يا عمرو بن عبسة، **انظر ما تقول، في مقام واحد يعطى هذا الرجل؟!.** فقال عمرو: يا أبا أمامة لقد كبرتْ سِني، ورقَّ عظمي، واقترب أجلي، وما بي حاجة أن أكذب على الله ولا على رسول الله، لو لم أسمعه من رسول الله ﷺ إلا مرة أو مرتين أو ثلاثاً حتى عدَّ سبع مرات، ما حدثتُ به أبداً، **ولكني سمعته أكثر من ذلك**»[1].

- **صيام عاشوراء:** روى ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ «قدم المدينة، فوجد اليهود صياماً يوم عاشوراء، فقال لهم رسول الله ﷺ: ما هذا اليوم الذي تصومونه؟ فقالوا: هذا يوم عظيم، أنجى الله فيه موسى وقومه، وغرق فرعون وقومه، **فصامه موسى شكراً**، فنحن نصومه، فقال رسول الله ﷺ: **فنحن أحق وأولى بموسى منكم، فصامه رسول الله ﷺ، وأمر بصيامه**»[2].
- **إسلام عبد الله بن سلام:** روى أنس رضي الله عنه قال: «بلغ عبد الله بن سلام مقدم رسول الله ﷺ المدينة، فأتاه فقال: إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي، قال: ما أول أشراط الساعة؟ وما أول طعام يأكله أهل الجنة؟ ومن أي شيء ينزع الولد إلى أبيه، ومن أي شيء ينزع إلى أخواله؟.

فقال رسول الله ﷺ: **خبَّرني بهن آنفاً جبريل، قال فقال عبد الله: ذاك عدو اليهود من الملائكة**، فقال رسول الله ﷺ: أما أول أشراط الساعة فنار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب، وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد حوت، وأما

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب إسلام عمرو بن عبسة، ح ١٩٢٧.

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الصيام، باب فضل صيام عاشوراء، ح ٢٦٥٣، للوهلة الأولى يبدو أن ذلك كان في مستهلِّ قدوم النبي ﷺ للمدينة، ولكن تأتي رواية ابن عباس رضي الله عنهما وفيها: «أنهم قالوا يا رسول الله إنه يوم تعظمه اليهود والنصارى؟ فقال رسول الله ﷺ: فإذا كان العام المقبل إن شاء الله، صمنا اليوم التاسع، قال: **فلم يأت العام المقبل حتى توفي رسول الله ﷺ**»، أخرجه مسلم، كتاب الصيام، باب أي يوم يصام في عاشوراء، ح ٢٦٦١، وكأن هذا الحديث يوحي بأن تشريع صيام عاشوراء كانت بدايته في العام العاشر من البعثة، لكنني أتيت بها هنا لترجيحي أن مكانها هنا أفضل من تأخيرها، والله تعالى أعلم بالصواب.

الشبه في الولد فإن الرجل إذا غشي المرأة فسبقها ماؤه كان الشبه له، وإذا سبق ماؤها كان الشبه لها، قال: أشهد أنك رسول الله.

ثم قال يا رسول الله: إن اليهود قوم بهتٌ، إن علموا بإسلامي قبل أن تسألهم بهتوني عندك، فجاءت اليهود، ودخل عبد الله البيت، فقال رسول الله ﷺ: أي رجل فيكم عبد الله بن سلام؟ **قالوا: أعلمنا وابن أعلمنا، وأخيرنا وابن أخيرنا**، فقال رسول الله ﷺ: أفرأيتم إن أسلم عبد الله، قالوا: أعاذه الله من ذلك، فخرج عبد الله إليهم، فقال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله، **فقالوا: شرُّنا، وابن شرنا، ووقعوا فيه**»[1].

- **المحاسبة الجادة والقصاص العادل**[2]: روى أنس رضي الله عنه «أن رجلاً من اليهود قتل جارية من الأنصار على حُليٍّ لها، ثم ألقاها في القليب، ورضخ رأسها بالحجارة، فأُخذ فأُتي به رسول الله ﷺ، فأمر به أن يرجم حتى يموت، فرُجم حتى مات»[3].

وروى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: أن رسول الله ﷺ أُتي بيهودي ويهودية قد زنيا، فانطلق رسول الله ﷺ حتى جاء يهود، فقال: **ما تجدون في التوراة على من زنى؟** قالوا: نسوِّد وجوههما، ونحملهما، ونخالف بين وجوههما، ويطاف بهما.

قال: فأتوا بالتوراة **إن كنتم صادقين**، فجاءوا بها، فقرأوها، **حتى إذا مروا بآية الرجم وضع الفتى الذي يقرأ يده على آية الرجم، وقرأ ما بين يديها، وما وراءها**، فقال له عبد الله بن سلام: وهو مع رسول الله ﷺ، **مُرْهُ فليرفع يده، فرفعها، فإذا تحتها آية الرجم، فأمر بهما رسول الله ﷺ فرجما**»[4].

وروى أبو هريرة رضي الله عنه قال: «استبَّ رجلان؛ رجل من اليهود، ورجل من المسلمين، فقال المسلم: والذي اصطفى محمداً ﷺ على العالمين، وقال اليهودي: والذي

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب خلق آدم، ٣١٥١.

(٢) بتقديري أن هذه المحاكمات العادلة كلها كانت في الفترة الاولى من فترات قدوم النبي ﷺ للمدينة، بمجرد أن نشر الوثيقة بينه وبين يهود، وقبل أن يبدأ بإجلاء من أجلى منهم بسبب خيانتهم للعهود، لأجل ذلك أتيت بها هنا مجتهداً ودون قطع بتوقيتها، لما فيها من فوائد جمة.

(٣) أخرجه مسلم، كتاب القسامة والمحاربين، ح٤٣٣٩.

(٤) أخرجه مسلم، كتاب الحدود، باب رجم اليهود أهل الذمة في الزنى، ح ٤٤١٢.

اصطفى موسى عليه السلام على العالمين، قال: فرفع المسلم يده عند ذلك فلطم وجه اليهودي، فذهب اليهودي إلى رسول الله ﷺ فأخبره، بما كان من أمره، وأمر المسلم.

فقال رسول الله ﷺ: **لا تخيروني على موسى، فإن الناس يُصعقون فأكون أول من يفيق، فإذا موسى باطشٌ بجانب العرش، فلا أدري أكان فيمن صُعق فأفاق قبلي، أم كان ممن استثنى الله»**[1].

- **في خدمة الحبيب:** روى أنس رضي الله عنه قال: «لما قدم رسول الله ﷺ المدينة، أخذ أبو طلحة بيدي، فانطلق بي إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله، **إن أنساً غلامٌ كيِّس فليخدمك**، قال: فخدمته في السفر والحضر، **والله ما قال لي لشيء صنعتُه لم صنعتَ هذا هكذا؟ ولا لشيء لم أصنعه لمَ لمْ تصنع هذا هكذا»**[2].

الأنوار والفوائد

- أنوار وفوائد في المجال التزكوي القيمي النفسي (التربوي):

- ترَكَ التحول الذي جرى على اسم البلدة التي نزل فيها النبي ﷺ أثره الإيجابي البالغ على نفوس أتباعه وأصحابه، بل على نفوس أهلها وساكنيها كذلك، فبعد أن كان يُطلق عليها اسم يثرب صار اسمها، المدينة المنورة.
- الإيجابية التي تحلى بها النبي ﷺ وأصحابه الكرام، هي التي جعلتهم يستثمرون وجودهم في المدينة استثماراً عظيماً، على الرغم من تجرعهم ألم الهجرة من مكة المكرمة.
- في المسجد يتأكد البناء التربوي النفسي الروحي الذي تتجاوب فيه الروح مع خالقها في صورة تصقل النفس وتهذبها، قال تعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ٣٦﴾ [النور: ٣٦] لأجل ذلك كان

(١) أخرجه مسلم، كتاب الفضائل، باب من فضائل موسى عليه السلام، ح ٦١٠٣.

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الفضائل، باب كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقاً، ح٥٩٦٨، وسيأتي معنا رواية خدمة أنس رضي الله عنه للنبي ﷺ في غزوة خيبر.

بناء المسجد أولوية، على الرغم من أن الصلاة تصحُّ في أي مكان، قال ﷺ: «وجُعلت ليَ الأرض مسجداً وطهوراً»[1].

- **في المشاركة الميدانية المباشرة من القائد لأصحابه في بناء المسجد ما فيها من تعزيز جانب القدوة الحسنة**، وزيادة حماستهم وتحفيزهم على التعاون في أداء كل عمل شريف.
- بعثت كلمات النبي ﷺ التي كان يرددها أثناء بناء المسجد برسائل مباشرة إلى كل أنصاري ومهاجر، جعلتهم يتعلقون بثواب الآخرة، وهم يؤدون هذا العمل الشاق، فهانت لديهم تضحيات الهجرة قبله بالنسبة للمهاجرين، وبذل حُسن الضيافة بعده بالنسبة للأنصار.
- بلغت قيمة النبل في نفوس المهاجرين أعلى مستوىً لها وهم يسألون عن أجر إخوانهم الأنصار، لكَون أن الأنصار من وجهة نظر المهاجرين قد ذهبوا بالأجر كله، لأجل ما قدموه لإخوانهم من عطايا، ونسي هؤلاء المهاجرون الجهود المضنية التي بذلوها قبل وأثناء هجرتهم، وعلى الرغم من ذلك فقد لفت النبي ﷺ انتباههم إلى قيمة الشكر وحسن الثناء على إخوانهم الأنصار، ليستوي الجميع في الأجر الكبير.
- **سلامة الفطرة وحدها كانت كفيلة لتدل عمرو بن عبسة على طريق الحق**، وقد عافت نفسه طريقة أهل الجاهلية قبل الإسلام، وذلك في بداية عُمر الدعوة، وكذلك عند تحول قائدها إلى المدينة المنورة.
- في سؤال النبي ﷺ لليهود عن يوم عاشوراء، ما فيه من أهمية قيمة الانتباه واليقظة والسؤال عن كل لافتٍ نافع، وفي حرص النبي ﷺ على صيامه والأمر بصيامه، دلالة على حرص النبي ﷺ على تتبع آثار إخوانه الأنبياء، وتمثُّل قول الله تعالى بشأنهم: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَالَمِينَ﴾ الأنعام: ٩٠. **كما أن في حرصه على مخالفتهم بصيام اليوم التاسع دليل على أهمية تميز المسلم في كل شيء.**

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الصلاة، باب استقبال القبلة، ح ٤٢٧.

- كانت فكرة تشريع الأذان من خلال رؤيا لصحابي كريم أقرها النبي ﷺ **أكبر دليل على أن الذي يعيش لفكرة وينقطع لها وتشغل نهاره وليله؛ يجد من الله تعالى إلهاماً أو رؤيا خير تُفرج عنه، أو تقدم له بعض الحلول**، وهذا نوع مجاهدة للنفس والله تعالى يقول: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٦٩﴾ العنكبوت: ٦٩ وإن لم تكن رؤيا سوى الأنبياء مصدر من مصادر التشريع، إلا أنها إن قوبلت بإقرار النبي ﷺ لها، فقد أخذت صفة التشريع عندئذ، ولا حرج في ذلك.
- لا تطيب النفوس السوية أن تكون تابعة مقلِّدة تستنسخ ما عند الآخرين من أفكار وأعمال لأجل ذلك كانت فكرة الأذان.
- لقد أفاض الأنصار في الأدب والذوق وحسن الكرم والضيافة، حتى جاء أبو طلحة بغلامه أنس بن مالك، وعرض ما عنده من صفات حسنة، لتشجيع النبي ﷺ على قبوله خادماً أميناً له، ولو أننا تتبعنا العهد المدني كله لوجدنا أن روايات أنس رضي الله عنه لمشاهد السيرة المستنيرة تكاد تكون هي الأعظم[1] من بين روايات سائر صحابة النبي ﷺ، ما يدلك على أن أنس رضي الله عنه لم يكن خادماً عادياً يحمل أو يعمل ما يطلبه منه سيده فحسب، وإنما كان خادماً للسُّنة المطهرة وحاملاً للحديث الشريف، فبورك ذاك (الغلام الكيِّس)، وبورك من أخذ بيده إلى النبي ﷺ ليخدمه.
- كان عبد الله بن سلام رضي الله عنه شديد الإدراك لصفات يهود باعتبار أنه كان واحداً منهم، تلك الصفات التي يجمعها الكذب والبهتان والجحود والكِبر، كل ذلك في تركيبةٍ وخلطة شاذة، كشف عنها تناقضهم في المجلس الواحد، من بعد ما تبين لهم الحق.
- أقرَّ النبي ﷺ صاحب رؤيا الأذان، وأمره بأن يعطي الكلمات لبلال ابن رباح رضي الله عنه وهو صاحب الصوت النديِّ، **وهذا من باب استثمار طاقات الأفراد ومواهبهم.**
- قول الشيخ أبو الحسن الندوي: «وكان من الإصلاحات والتطويرات المباركة، وإن كانت لفظية واسمية؛ تغيير اسم المدينة، فقد كان اسم المدينة المنورة القديم

---

(١) تم بيان ذلك في المقدمة.

(يثرب)»[1]، وزعم بعض الإخباريين أن اسم يثرب مأخوذ من الثرب بمعنى الفساد أو التثريب أي المؤاخذة بالذنب، وذكروا أن النبي ﷺ نهى عن تسمية يثرب وسماها طيبة وطابة كراهة للتثريب»[2].

- أنوار وفوائد في المجال التأثيري الاجتماعي التواصلي (الدعوي):

- المسجد أكبر عنوان من عناوين التواصل الفردي والجماعي، وهو أكبر ميدان لنقل وتوريث الخبرات الدعوية، بما يحقق نفعاً في المجتمع، بل في العالم كله، عندما ينعكس أثر الجامع على البيت والشارع.
- **يعد الأذان أكبر وأعظم وسيلة من وسائل الدعوة والاتصال، وعرض الفكرة مختصرةً (بكمالها وجمالها) على الجماهير، بل هو المنبر الإعلامي الأعظم والأول في تاريخ الدعوة الإسلامية.**
- في وليمة العرس التي أوصى بها النبي ﷺ لعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه ما يحقق عمقاً في الجانب الاجتماعي التواصلي، الذي من خلاله تتأكد التشاركية في مشاعر البهجة والفرح بين المسلمين.
- صحيح أن عمرو بن عبسة رضي الله عنه هو الذي جاء طالباً للحق، إلا أنه لا يخفى ما كان لأسلوب النبي ﷺ في عرض أصول دعوته بشكل مختصر، من أثر بالغ في سرعة استجابة هذا الرجل الباحث عن الحق.
- لم ينس النبي ﷺ وجه عمرو بن عبسة بعد أكثر من ثلاثة عشر عاماً غاب فيها عنه، على الرغم من أنه لم يجرِ بينهما قبل ذلك سوى موقف عابر قصير وسريع، **ولكنها الدعوة، وحسن التواصل بالناس تلك التي تجعل الذاكرة حية يقظة لا تذبل.**
- استغرب أبو أمامة رضي الله عنه من التفصيل الذي أتى به عمرو بن عبسة رضي الله عنه في شأن الوضوء والصلاة، وحُقَّ له أن يستغرب، لأنه يعلم أن التطويل ليس من منهج النبي ﷺ في الدعوة والتعليم، وهكذا ينبغي أن يكون الدعاة، وفي الرد الحاسم والجازم

---

(١) السيرة النبوية، الشيخ أبو الحسن الندوي، دار القلم، ط٥، ٢٠١٠م، ص١٩٧.

(٢) معجم البلدان، ياقوت الحموي، ج٥، ص٤٣٠.

من عمرو بن عبسة على أبي أمامة ما يؤكد أن هذا المجلس بينه وبين النبي ﷺ كان فلتة خاصة، وأنه لأهميته تكرر مراراً.

- من مشهد الحكم الفصل بين المسلم واليهودي اللذَين استبَّا، يتبين لنا ما لقيمة العدل في حياة النبي ﷺ من أهمية، وقد تحقق من قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا۟ ۘ ﴾ المائدة: ٢ وفي رجوع اليهودي إلى النبي ﷺ ما يدل على شيء من التزام اليهود بادئ الأمر بما في بنود الوثيقة التي تبين أن النبي ﷺ هو المرجعية في فصل النزاعات، كما برز في القصة قيمة احترام النبي ﷺ وتقديره لدَور نبي الله موسى عليه السلام، حتى أنه فضَّله على نفسه هنا.
- لقد بلغ مفعول تأثير النبي ﷺ مبلغاً عظيماً في نفوس جميع الشرائح مِن حوله حتى الصغار والخدم، وقد شهدت معاملته الكريمة لأنس رضي الله عنه بذلك.
- تحكي قصة إسلام عبد الله بن سلام رضي الله عنه أن من أعظم وسائل الدعوة والتأثير في الأخرين القدرة على الإجابة عن سؤالاتهم، **وهذا ما يتطلب من الداعية دوام البحث والمطالعة ليكون ممتلئاً مكتنزاً بالعلم، لينضح للناس بما فيه من بركات وفوائد.**
- **ساهمت فكرة المؤاخاة في تقوية المجتمع المسلم، بما حواه من محبة ومودة وتكافل وتناصح وإيثار، فصار عصياً على اختراقات الأعداء، ومشبعاً بروح الصمود والصبر عند التحديات.**
- ليس من الحكمة الإكثار من الجدل، وصرف موضوع النقاش عن غايته وهدفه الأساس، هذا ما تعلمناه من ترك النبي ﷺ الدفاع عن جبريل عليه السلام، لما قال له عبد الله بن سلام: ذلك عدو اليهود من الملائكة، ومتابعته الإجابة على سؤالات عبد الله بن سلام، طمعاً في إسلامه، وقد أسلم، ويكفي جبريل عليه السلام أن الله تعالى دافع عنه، قال تعالى: ﴿ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَـٰفِرِينَ ٩٨ ﴾ البقرة: ٩٨

- أنوار وفوائد في المجال المعاشي الاقتصادي:

- في الدعاء بالبركة للمدينة ما فيه من فتح آفاق المعيشة الكريمة للمهاجرين، الذين تركوا معاشهم في مكة، وللأنصار الذين فتحوا بيوتهم لإخوانهم في المدينة.
- صحيح أن أصحاب المربد (مكان بناء المسجد) أرادوا هبَته للنبي ﷺ، لكن النبي ﷺ أبى ذلك وشدد على مساومتهم على سعره لشرائه بالثمن، حتى لا يأتي آتٍ من أحفاد هؤلاء الكرام ويمتنَّ على المسلمين بذاك.
- كان النبي ﷺ يجري على مسجده إضافات بين الفترة والأخرى تتناسب مع الزيادة المطَّردة للمسلمين حوله، وهذا ما يدلك على حسن إدارة وتنظيم الجهد والمال دون هدر لطاقة في غير مكانها، أو توسُّع لا حاجة له، ولقد كان الإنفاق في ذاك الزمان على بناء الإنسان أكثر من الإنفاق على بناء البنيان.
- بلغ السمو في فكرة المؤاخاة إلى أبعد آفاقه يوم صار التوارث يشكل ركيزة أساسية بين المتآخين في الله، ولكن ولأنها الحقوق التي لا يصح أن تبقى مفتوحة وبلا ضابط، صار من اللازم التوقف عن ذلك، وبقي ما سواها من حقوق الأخوة المادية والمعنوية، فقد ينفق الأخ على إخوانه في الله ما يزيد على نصيبه المقرر في الميراث، لو بقي له فيه نصيب.
- كان النبي ﷺ مقتصداً في تقريره لمسألة العطاء السخي الذي كان يُعرض من الأنصار لإخوانهم المهاجرين، فلم يقبل مشاركتهم لهم في أصل النخيل، وإن كان قد قبل منهم مشاركتهم في ثماره.
- صحيح أن العرض الذي قدمه سعد بن الربيع لأخيه عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهما عرض سخي ومفتوح، إلا أن عبد الرحمن رضي الله عنه أراد أن يكون مستقلاً تمام الاستقلال في رزقه ومعيشته، وقد كان حريصاً كل الحرص على استثمار طاقته في المجال الاقتصادي وفي التجارة والسوق، فكان أن بارك الله تعالى له في بيعه وشرائه، وتحصَّل له ما يشبه عرض أخيه ابن الربيع في أيام معدودة، **ومن هنا تتأكد قيمة الاستغناء عن الناس لمن يملك القدرة على ذلك، وإلا فهو استغلال قبيح ينزع البركة ولا يحقق الفائدة.**

- الصُّفة ذلك المكان الذي اجتمع فيه كل فقير وعابر سبيل ومحتاج ومنقطع للعلم والعبادة والجهاد، يشبه دُور رعاية الأيتام والفقراء في زماننا، وهو باب يسهِّل على المحسنين وباذلي الصدقات عملهم في توزيع نفقاتهم، ولكن لا يُتصور أن أهل الصُّفة في ذاك الزمان كانوا في عزلة تامة عن المجتمع، لأن عزلتهم تزيد من المشكلة وتجعلهم يشكلون عبئاً ثقيلاً على الناس، ولعل نظرة عابرة على أسمائهم تكشف لنا كم كان لكل واحد منهم من أثر في الحياة والمجتمع، ولاشك أنه مع توسع الدولة المسلمة وحضور الأرزاق من مختلف الموارد، لم يعد لتلك الصُّفة حاجة، إلا لمن استجدت به الفاقة أو دعته الحاجة لأن يكون من أهلها.
- **تحكي قصة ما جرى بين سلمان الفارسي وأخيه أبي الدرداء رضي الله عنهما أهمية الاقتصاد في الطاعة، وذلك حتى لا يطغى جانب على جانب من متطلبات حياة الإنسان.**
- يقول الدكتور أحمد رجب الأسمر: «كان سوق بني قينقاع السوق الوحيد في المدينة، ولكن الرسول الكريم إذ اطلع على مجريات العمل في هذا السوق، وما ينوء به من انحرافات من غش واحتكار وغبن ومن تعامل بالربا واستغلال المستهلكين؛ **رأى أن ينشئ سوقاً خاصة بالمسلمين فأنشئت قريباً من المسجد النبوي**، حيث يمكنه ﷺ أن يضبط الحركة الاقتصادية ككل متكامل، على أساس من القيم والمبادئ والمفاهيم الإسلامية»[1].

- أنوار وفوائد في مجال إدارة المواقف والسياسة الشرعية:

- في عالم الإدارة هنالك ما يسمى بالخطة الخمسية التي تحكي وضع تصورات لأهداف نسعى لتحقيقها في الأعوام الخمسة القادمة، وبالنظر في أعمال النبي ﷺ مدة مُكثه في المدينة، **نستشعر أنه كأنه مَلَك خطة عشرية يقصد من خلالها تحقيق هدف بناء دولة الإسلام في عشر سنوات**، لينتقل من دار دعوته التي حورب فيها إلى دار دولته التي مكَّن الله له فيها، والله المدبر والمتولي لهذا العمل الكبير في

(١) القدوة في السيرة النبوية، الدكتور أحمد رجب الأسمر، ط دار الفرقان، ٢٠٠٤م، ص ٢٦١.

تلك المدة الوجيزة.

- الحرص على إدارة شـؤون شعيرة الصلاة جعل النبي ﷺ يؤديها حيثما ينادَى بها، ولو في مرابض الغنم، ريثما يتم له بناء مسجده الكريم.
- في إحالة موضوع اختيار مكان بناء المسـجد على الناقة، وهي كائن حيٌّ لا يعقل ما فيه من حسـن التخلص من حرج اختيار مكان دون آخر لهذا الأمر العظيم، في أجواء تنافسـية كبيرة تشـهدها المدينة قبل وأثناء وبعد نزول النبي ﷺ إليها، هذا فضلاً عن كـون الناقة مأمورة، أي تأتمر بأمر وحي كريم، جعلها في تلك اللحظة تختار أفضل مكان في تلك البقاع.
- الناظر البصير لما تم في مراحل بناء المسجد النبوي يكشف عن طاقة ومهارة غير مسـبوقة ولا معهودة للنبي ﷺ، وهي أقرب ما تكون لما يسمى في زماننا بهندسة العمارة.
- أحسن النبي ﷺ إدارة موقف تشريع الأذان فقد جعل النداء للصلاة قضية رأي عام يشـغل بال عموم المسـلمين، ثم قَبِل الرؤيا، ووافق عليها لما رأى فيها من خير، ثـم أحال موضوع الصدع بالأذان لبلال باعتبار معرفة النبي ﷺ لقدرات أصحابه، فبلال في هذا العمل أفضل من صاحب الرؤيا (زيد) رضي الله عنهما.
- إن صحت رواية «هؤلاء ولاة الأمر من بعدي» فإنها تحسم وبشكل مبكر في شأن الخلافة بعد رسول الله ﷺ، والحسم المبكر بهذه الصورة مع أول أيام بناء الدولة يلفت انتباهنا إلى قيمة توريث الطاقات والخبرات والمواقع، وأهمية ذلك بشكل مبكر، طالما أننا كلنا سنموت، ولك أن تتخيل كيف أن النبي ﷺ قد عيَّن الخلفاء الثلاثة في صورة متقدمة من صور العمل الإداري الاستراتيجي، إذ المهم هو الموقع والعمل واسـتمرار الكيان والمكان، أكثر من شـخوصنا نحن كقادة ومسؤولين، وهذا أيضاً يذكرنا بتعيينه للقادة الثلاثة يوم مؤتة، مع فارق في الحالتين.
- لم يكـن أعظم ولا أكرم من فكرة المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار في باب إدارة تبـادل المنافع، ولا أقصد بكلمة (تبادل) هنا ما يعتقده بعضهم من أن المنفعة من خـلال المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار كانت تسـير باتجاه واحد من الأنصار

للمهاجريـــن، وإنما أيضاً باتجـــاه عكسي من المهاجرين للأنصـــار، فقد لخَّص المهاجر لأخيه الأنصاري حكاية العهد المكي كله من لحظة انتســـابه لهذا الدين إلى لحظة هجرته مع المســـلمين، فكانت فائدة الأنصـــاري معنوية معرفية فكرية روحية، في وقت كانت فائدة المهاجر مادية في الغالب الأعم كما هو معلوم.

- تحـــكي وثيقـــة المدينة ببنودهـــا كلها صورة متقدمـــة من صـــور إدارة العلاقات بـــين مختلف القطاعات التي تســـكن مجتمعاً واحداً، وقد ظهـــر لنا من الترتيب الموضوعـــي[1] لبنود هذه الوثيقة كيف أنها راعت احتياجات هذا المجتمع كلها، ففي بعض بنودها تنظيـــمٌ محكم للجوانب الاقتصادية والاجتماعية والسياســـية والأمنية والعسكرية، هذا فضلاً عن الجوانب الفكرية والعقدية، ولم تكتف الوثيقة بضبط علاقة المؤمنين ببعضهم، فقد ضبطت حقوق المؤاخاة بين المؤمنين كثيراً من أبواب ومعـــالم تلك العلاقة، وإنما تجاوزت تلك الوثيقة في حُســـنها حدود دائرة المؤمنين لتضبط العلاقة أيضاً بينهم وبين مختلف أطياف ســـاكني المجتمع المدني، عـــلى اختلاف دياناتهم وتعدد معتقداتهم، ثـــم تألقت أبعد من ذلك في ضبط العلاقة بين هذا الكيان المجتمعي الواحد، وأي كيان غريب خارجي آخر.
- في تركيز عمرو بن عبسة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على تعلم الطهارة والصلاة وحرصه على ذلك دليل عـــلى قدرة هذا الرجل في إدارة ذاته وترتيب أولوياته، فالطهارة والصلاة أولاً، وفي حُسن إجابة النبي ﷺ وتفصيله لتلك الإجابة ما يؤكد أهمية العناية بالتفاصيل في القضايا الأساســـية، كما لا ننسى ما أضافه النبي ﷺ عند الحديث عن الطهارة من حوافز مشجعة عليها، ففي كل عضو يُغسَل تنقية للذنوب ورفعة للدرجات.
- استخدم النبي ﷺ استراتيجية التحقق، إضافة إلى استراتيجية مراعاة عادات الناس وديانتهم في الحكم (بينهم)، وهو يحكـــم في قضية اليهوديين اللذَين زنيا، ولولا سياسة التحقق ما توصل إلى كشـــف طبيعة من طبائع يهود في كتمان الحق وهم يعلمون.

---

(١) يكفي الترتيب الموضوعي لبنود تلك الوثيقة مبدئياً لتشكيل رؤية متكاملة حول الفوائد والأنوار المستنبطة من تلك الوثيقة كلٌّ في بابه ومجاله، ولولا خشية التطويل والاسهاب لأفردنا لكل بند من بنودها ما يناسبه من تحليل وبيان.

- فيما جرى بين سلمان الفارسي وأخيه أبي الدرداء رضي الله عنهما، ما يؤكد أهمية فقه الموازنات وفقه الأولويات وهما من أعظم أنواع الفقه المتعلق بالسياسة الشرعية، ذلك أن الموازنة بين متطلبات الروح والجسد واجبة، وإحسان ترتيب الأولويات بحيث نؤدي لكل ذي حق حقه كذلك واجب، كما أن الانقطاع للعبادة وترك ما حولنا ومن حولنا من متطلبات حياتنا ليس من الدين في شيء، بل هي ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ۖ فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٢٧﴾﴾ الحديد: ٢٧ والحديث عن النصارى هنا، ولقد ضبط سلمان رضي الله عنه ميزان صاحبه أبي الدرداء في مشهد آخر يوم كان يرابط في الشام، وصاحبه أبو الدرداء يجاور الحرمين عابداً، فأرسل أبو الدرداء إلى صاحبه سلمان يقول له: هلمَّ إلى الأرض المقدسة، فرد عليه سلمان المرابط: «إن الأرض لا تقدس أحداً إنما يقدس الإنسان عمله»[1].
- في فكرة المؤاخاة ما فيها من حسن إدارة المشاعر والعصبيات، فبدلاً من أن تكون عصبية للذات أو للقبيلة، صارت عصبية لله تعالى وللإسلام العظيم.
- يقول الدكتور صالح رضا: «لم تنص الصحيفة على حقوق المرأة ولم تذكرها بالجنس، وذلك لأن الوثيقة دستورية لا تفرق بين الرجل والمرأة في الأحكام، ولا في النظم ولا في القوانين»[2].

- أنوار وفوائد في المجال الأمني العسكري:

- في حكاية النبي صلى الله عليه وسلم لما سيجري لعمار رضي الله عنه من مقتلة، ثم استعاذة عمار من الفتن، ما فيه من التحذير المبكر له لأمر سيجري عليه وعلى الأمة بعد أكثر من أربعين عاماً من عملية بناء المسجد، **والتحذير واجب على الرغم مما يعقبه في النفس من هواجس ومخاوف**، ويبدو أن انهماك الصحابة الكرام في البناء لاسيما عمار رضي الله عنه الذي كان يحمل لبنتين لبنتين جعلهم لا يدققون في تفاصيل أكثر عن طبيعة هذه

---

(١) القصة بتمامها في موطأ مالك، كتاب الوصية، باب جامع القضاء وكراهيته، ح ١٥٠٠.

(٢) إنها النبوة، الدكتور صالح رضا، مطبعة الشرق الأوسط، ط٢، ٢٠١٠م، ص٢٦٧.

الفئة الباغية، حتى كانت الفتنة وبدأ الصحابة رضي الله عنهم يستذكرون كلمات النبي ﷺ ويبنون عليها مواقفهم المصيرية.

- في حكاية عمرو بن عبسة رضي الله عنه من اللمسات الأمنية والحرص على السلامة العامة ما فيها، فها هو ذا يتلطف عند قدومه للنبي ﷺ خشية أن يُشعِر أحد المشركين بقدومه، وكأنه يأتسي في ذلك بفتية الكهف وهم يتلطفون في حراكهم لئلا يلفتوا انتباه قومهم إليهم، كما أن في طلب النبي ﷺ منه أن يرجع إلى قومه إشارة إلى رغبة النبي ﷺ في حفظ إيمان هذا الرجل من جهة، **كما أن فيه شيء من حرص النبي ﷺ على أن يكون لدعوته الناشئة خلايا مؤمنة في أمكنة بعيدة وآمنة.**
- يبدو أن شدة استخفاء المؤمنين الأوائل هو الذي جعل النبي ﷺ يجيب باختصار فيما يتعلق بسؤال سأله إياه عمرو بن عبسة حول أتباعه، فلم يزد على أن قال: حرٌّ (يقصد أبو بكر دون بيان)، وعبد (يقصد بلال دون بيان)، ولا يمنع من ذلك وجود غيرهما، لكنها الإجابة المقتضبة في الظروف المشحونة، ليعطي أمته درساً عملياً في أمن المعلومات.
- في تشدد النبي ﷺ عند إجراء المحاكمات وإقامة الحدود على المسلمين واليهود بعد نشره الوثيقة التي تفصِّل حقوق الناس وواجباتهم، ما يؤكد أهمية ذلك في نشر الأمن وردع كل من تسوِّل له نفسه التطاول على حياة الناس وأمنهم.

بدأت حركة الغزوات والسرايا تنشـــط منذ النصف الثاني من العام الأول للهجرة، واستمرت حتى قبيل وفاة النبي ﷺ، وقد شملت المواجهات جماعة الوثنيين في مكة وما حولها، واليهود ومن معهم من المنافقين في المدينة، ثم امتدت لتشـــمل النصارى والمتنصرة خارج المدينة المنورة، **وكان لكل غزوة وسرية سببها، وظروفها**، ولولا شدة الصبر والمصابرة التي اســـتمر عليها النبي ﷺ طيلة الفترة المكية على الرغم مما لقي من أذى المشركين، لقال قائل بأن شـــخصية النبي ﷺ الانفعالية هي التي دفعته لذلك كلـــه، **والصحيح أن وقوف النبي ﷺ عند أمر ربه هو الـــذي كان يحكمه**، فلقد قال له ربه في مكة: اصبر، فصبر ثم قـــال له: اعف عنهم، فعفا، وأما في المدينة فقد قال له: قاتلهـــم، ففعل، وإلا فما كان أهون عليه أن يظل قاعداً حِلْسَ بيته دون أن يتكلف عناء غزوة ولا سرية، **إذاً إنما كان الباعث الأكبر لحراكه النشـــط في الجهاد هو امتثاله لأمر ربه الحكيم العليم بعلة أعداء الإســـلام ودوائها**، وما ســـوى ذلك من أســـباب فحكَمٌ وفوائد مستفادة من ذلك الحراك، وليس أكثر.

التشريع الأول للقتال في سبيل الله[1]:

- روى ابن عباس رضي الله عنهما قال: «لما خرج رســـول الله ﷺ من مكة قال أبو بكر: **أخرَجوا نبيهم، إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون، لَيهلكُنَّ**، فأنزل الله عز وجل: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ٣٩﴾ الحج: ٣٩ **وهي أول آية نزلت في القتال**[2].

(١) ذكر الدكتور علي الصلابي العديد من أهداف تشريع الجهاد، ومنها: **حماية حرية العقيدة، حماية الشعائر والعبادات، دفع الفساد عن الأرض، الابتلاء والتربية والاصلاح، ارهاب الكفار وتوهين كيدهم، كشف المنافقين، إقامة حكم الله ونظامه في الأرض، دفع عدوان الكافرين**، وانظر: السيرة النبوية دروس وعبر، دار الكتاب الثقافي، ص٥٣٤، قلت: وقد حققت حركة السرايا والغزوات هذه الأهداف كلها، بفضل الله أولاً، ثم بصبر وثبات المسلمين الأوائل.

(٢) أخرجه ابن حبان، ح ٤٧١٠، وصححه أحمد شاكر، وهو في صحيح النسائي برقم: ٣٠٨٥.

- **وقفة مع تفسير هذه الآية:** يقول سيد قطب رحمه الله: «وقبل أن يأذن لهم بالانطلاق إلى المعركة آذنهم أنه هو سيتولى الدفاع عنهم فهم في حمايته: «إن الله يدافع عن الذين آمنوا».. وأنه يكره أعداءهم لكفرهم وخيانتهم فهم مخذولون حتما: «إن الله لا يحب كل خوان كفور».. وأنه حكم لهم بأحقية دفاعهم وسلامة موقفهم من الناحية الأدبية فهم مظلومون غير معتدين ولا متبطرين: «أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا».. وأن لهم أن يطمئنوا إلى حماية الله لهم ونصره إياهم: «وإن الله على نصرهم لقدير».. وأن لهم ما يبرر خوضهم للمعركة فهم منتدبون لمهمة إنسانية كبيرة، لا يعود خيرها عليهم وحدهم، إنما يعود على الجبهة المؤمنة كلها; وفيها ضمان لحرية العقيدة وحرية العبادة، وذلك فوق أنهم مظلومون أُخرجوا من ديارهم بغير حق: «الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا: ربنا الله».. وهي أصدق كلمة أن تقال، وأحق كلمة بأن تقال، ومن أجل هذه الكلمة وحدها كان إخراجهم، فهو البغي المطلق الذي لا يستند إلى شبهة من ناحية المعتدين، وهو التجرد من كل هدف شخصي من ناحية المعتدى عليهم، إنما هي العقيدة وحدها من أجلها يخرجون، لا الصراع على عرض من أعراض هذه الأرض، التي تشتجر فيها الأطماع; وتتعارض فيها المصالح; وتختلف فيها الاتجاهات وتتضارب فيها المنافع!»[1]

- وروى ابن عباس رضي الله عنهما قال: «أن عبد الرحمن بن عوف وأصحاباً له أتوا النبي ﷺ بمكة، فقالوا يا رسول الله، **إنَّا كنا في عزٍّ ونحن مشركون، فلما آمنا صرنا أذلة، فقال: إني أمرت بالعفو، فلا تقاتلوا، فلما حوَّلنا الله إلى المدينة أمرنا بالقتال، فكفوا**، فأنزل الله عز وجل: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧٧﴾﴾ النساء: ٧٧[2].

---

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب، ج٤/ ٢٤٢٥.

(٢) أخرجه النسائي، كتاب الجهاد، باب وجوب الجهاد، ح ٣٠٨٦، وقد ذكره الشيخ ابراهيم العلي في صحيح أسباب النزول برقم: ١٢١، وقال: إسناده صحيح.

بعض الحوادث والسرايا والغزوات قبل بدر الكبرى[1]:

بعد الإذن الصريح بالقتال حدثت بعض المناوشات على شكل غزوات عابرة شارك فيها النبي ﷺ، أو على شكل سرايا أرسلها النبي ﷺ ولم يشارك بها، وهذه الغزوات والسرايا هي:

أما الغزوات: غزوة الأبواء (غزوة ودان)، وغزوة بواط[2]، وغزوة العشيرة، فقد قال ابن إسحاق: «أول ما غزا رسول الله ﷺ الأبواء، ثم بواط، ثم العشيرة»[3].

وأما السرايا فهي[4]: **سرية حمزة** رضي الله عنه إلى سيف البحر من جهينة، فلقوا أبا جهل، فحجز بينهما مخشيُّ بن عمرو، وكان حليفاً للفريقين، **وسرية عبيدة بن الحارث** رضي الله عنه، حتى بلغ ثنية المرة، ولم يكن بينهما قتال، وفيها رمى سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أول سهم في الإسلام، وفيها لجأ إلى المسلمين المقداد بن عمرو، وعتبة بن غزوان مسلمَين، وكانا قد حُبسا من قِبَل المشركين، **وسرية عبد الله بن جحش** رضي الله عنه التي كانت لأبي عبيدة رضي الله عنه غير أنه بكى لفراق النبي ﷺ فأجلسه، وكلّف بها عبد الله بن جحش، «وكتب له كتاباً، وأمره أن لا يقرأه حتى يبلغ مكان كذا وكذا، وقال له: لا تُكرِهنَّ أحداً على المسير معك، فلما قرأ الكتاب استرجع وقال: سمعاً وطاعة لله ورسوله، فخبَّرهم الخبر، وقرأ

---

(١) يعجب الباحث من شدة جرأة الكثير ممن كتب في السيرة وهم يملئون كتبهم بأسماء غزوات وسرايا لا يوجد لها مستند حديثي ولا تاريخي، ولقد حرصت على ذكر الثابت منها فقط، والله المستعان.

(٢) روى جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: «... سرنا مع رسول الله ﷺ في غزوة بطن بواط، وهو يطلب المجدي بن عمرو الجهني، وكان الناضح يعقبه منا الخمسة والستة والسبعة، فدارت عَقَبة رجل من الأنصار على ناضح له فأناخه، فركبه ثم بعثه، فتلدَّن عليه بعض التلدُّن (صعب اقتياده)، فقال له: شأ (قم أو تحرك) لعنك الله، فقال رسول الله ﷺ: من هذا اللاعن بعيره؟ قال: أنا يا رسول الله قال: انزل عنه، فلا تصحبنا بملعون، **لا تدعوا على أنفسكم، ولا تدعوا على أولادكم، ولا تدعوا على أموالكم، لا توافقوا من الله ساعة يسأل فيها عطاء فيستجيب لكم**» أخرجه مسلم، كتاب الزهد، باب حديث جابر الطويل، ح ٧٤٣٧.

(٣) أخرجه البخاري معلقاً عن ابن إسحاق، كتاب المغازي، باب غزوة العشيرة أو العسيرة، ح٣٩٤٩، الأبواء وودان مكانان قريبان من بعضهما لأجل ذلك حصل اللبس في التسمية، وهما قريبان من المدينة وبينهما وبين الجحفة ثلاثة وعشرون ميلاً تقريباً، وكانت في نهاية السنة الأولى من الهجرة، وقد سبقتها سرية حمزة وسرية عبيدة رضي الله عنهما، أما غزوة بواط فكانت بعد الأبواء بشهر، وأما غزوة العشيرة فهي التي قال زيد بن الأرقم بأنها أول غزوة غزاها مع النبي ﷺ، كما روى البخاري في الحديث السابق نفسه.

(٤) ذكر هذه السرايا كل من ابن هشام وابن سعد والطبري وابن كثير وابن سيد الناس كما حكى ذلك الشيخ ابراهيم العلي في صحيح السيرة، ص٢١٢، واختلفوا في أيتها سبقت الأخرى، ولا مُرجِّح.

عليهم الكتاب، فرجع رجلان، ومضى بقيتهم، فلقوا ابن الحضرمي فقتلوه، ولم يدروا أن ذلك اليوم من رجب أو جمادى، **فقال المشركون: قتلتم في الشهر الحرام؟!**، فأنزل الله عز وجل: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۗ وَلَا يَزَالُونَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَـٰعُوا۟ ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٢١٧﴾ ﴾ البقرة: ٢١٧ فقال بعضهم: إن لم يكونوا أصابوا وزراً، فليس لهم أجر، فأنزل الله عز وجل: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَجَـٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُو۟لَـٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢١٨﴾ ﴾ البقرة: ٢١٨»[1].

حادثة تحويل القبلة وموقف يهود:

حصل تحويل القبلة في **شهر رجب من السنة الثانية للهجرة** أي بعد مرور ستة عشر شهراً على الهجرة النبوية، فقد روى البراء بن عازب رضي الله عنه «أن النبي ﷺ كان أول ما قدم المدينة نزل على أجداده، أو قال أخواله من الأنصار، وأنه صلى قِبَل بيت المقدس ستة عشر شهراً أو سبعة عشر شهراً، **وكان يعجبه أن تكون قبلته قِبَل البيت**، وأنه صلى أول صلاة صلاها صلاة العصر، وصلى معه قوم،

فخرج رجل ممن صلى معه، فمرَّ على أهل مسجد وهم راكعون، فقال: أشهد بالله لقد صليتُ مع رسول الله ﷺ قِبَل مكة، **فداروا كما هم قِبَل البيت**.

وكانت اليهود قد أعجبهم إذ كان يصلي قِبَل بيت المقدس، وأهل الكتاب، فلما ولى وجهه قِبَل البيت أنكروا ذلك.

قال زهير حدثنا أبو إسحاق عن البراء في حديثه هذا: **أنه مات على القبلة قبل أن تحوَّل رجال، وقُتلوا، فلم ندرِ ما نقول فيهم، فأنزل الله تعالى: «وما كان الله ليضيع إيمانكم»**[2].

---

(١) أخرجه البيهقي ٩/ ١١، والطبري في التفسير ٢/ ٣٤٩، وقال البيهقي: سنده صحيح إن كان الحضرمي هو ابن لاحق، وذكره الشيخ العلي في صحيح السيرة برقم ٢٢٢.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب الصلاة من الإيمان، ح ٤١.

ومما نـزل في تحويل القبلة قوله تعـالى: ﴿ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾ وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَ ۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ۚ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٥﴾ ﴾ البقرة: ١٤٢ - ١٤٥

- **وقفة مع تفسير هذه الآيات:** يقول الطاهر بن عاشور: «قد خفي موقع هذه الآية (سيقول السفهاء..) من الآي التي بعدها لأن الظاهر منها أنها إخبار عن أمر يقع في المستقبل وأن القبلة المذكورة فيها هي القبلة التي كانت في أول الهجرة بالمدينة، وهي استقبال بيت المقدس وأن التولي عنها هو نسخها باستقبال الكعبة فكان الشأن أن يترقب طعن الطاعنين في هذا التحويل بعد وقوع النسخ أي بعد الآيات الناسخة لاستقبال بيت المقدس لما هو معلوم من دأبهم من الترصد للطعن في تصرفات المسلمين، فإن السورة نزلت متتابعة، والأصل موافقة التلاوة للنزول في السورة الواحدة إلا ما ثبت أنه نزل متأخراً ويتلى متقدما»[1].
- **عرض الدعوة وموقف كبير المنافقين:** روى أسامة بن زيد رضي الله عنه أن النبي ﷺ «ركب حماراً عليه إكاف، تحته قطيفة فدكية[2]، وأردف وراءه أسامة، **وهو يعود سعد بن عبادة في بني الحارث بن الخزرج، وذاك قبل وقعة بدر،** حتى مرَّ بمجلس فيه أخلاط من المسلمين، والمشركين عبدَة الأوثان، واليهود، فيهم: عبد الله بن أُبي،

---

(١) تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، ٢/ ٥، وقد رجَّح بأن السفهاء هم المشركون وليس اليهود خلافاً لباقي المفسرين.

(٢) إكاف: هو للحمار بمنزلة السرج للفرس، القطيفة: دثار (لحاف) مخمل جمعها قطائف وقط، فدكية: منسوبة إلى فدك، بلدة معروفة بالقرب من المدينة.

وفي المجلس عبد الله بن رواحة، فلما غشيت المجلس عجاجة الدابة (دابة النبي ﷺ) خمَّر عبد الله بن أُبي أنفه بردائه، ثم قال: لا تغبروا علينا، فسلَّم عليهم النبي ﷺ، **ثم وقف فنزل فدعاهم إلى الله، وقرأ عليهم القرآن**، فقال عبد الله بن أُبي: أيها المرء، لا أَحسن من هذا، إن كان ما تقول حقاً فلا تؤذنا في مجالسنا، وارجع إلى رحلك، فمن جاءك منا فاقصص عليه.

فقال عبد الله بن رواحة: **اغشَنَا في مجالسنا، فإنا نحب ذلك**، قال: **فاستبَّ المسلمون والمشركون واليهود، حتى هموا أن يتواثبوا**، فلم يزل النبي ﷺ يخفضهم. ثم ركب دابته حتى دخل على سعد بن عبادة، فقال: أي سعد، ألم تسمع إلى ما قال أبو حباب؟ يريد عبد الله بن أُبي، قال: كذا وكذا، قال: **اعفُ عنه يا رسول الله واصفح، فو الله لقد أعطاك الله الذي أعطاك، ولقد اصطلح أهل هذه البحيرة أن يتوِّجوه، فيعصبوه بالعصابة**، فلما ردَّ الله ذلك بالحق الذي أعطاكه، شَرَق بذلك، فذلك فعل به ما رأيت، فعفا عنه النبي ﷺ»[1].

- **زواج النبي ﷺ بعائشة رضي الله عنها:** روت عائشة رضي الله عنها قالت: «تزوجني (الخطبة) النبي ﷺ وأنا بنت ست سنين، فقدمنا المدينة، فنزلنا في بني الحارث بن خزرج، فوعكت فتمرَّق شعري، فوفى جميمة[2]، فأتتني أمي أم رومان وإني لفي أرجوحة، ومعي صواحب لي، فصرخت بي، فأتيتها لا أدري ما تريد بي، فأخذت بيدي حتى أوقفتني على باب الدار، وإني لأنهج حتى سكن بعض نفَسي، ثم أخذت شيئاً من ماء فمسحت به وجهي ورأسي، ثم أدخلتني الدار، فإذا نسوة من الأنصار في البيت، فقلن على الخير والبركة، وعلى خير طائر، فأسلمتني إليهن فأصلحن من شأني، فلم يرعني إلا رسول الله ﷺ ضُحىً، فأسلمتني إليه، وأنا يومئذ بنت تسع سنين»[3].
- **تحريش مشركي مكة، منافقي المدينة ويهودها على النبي ﷺ ودعوته:** روى عبد

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب الجهاد، باب في دعاء النبي ﷺ وصبره على المنافقين، ح ٤٦٣٥.

(٢) فَتَمَرَّقَ: أي تمزق وانتف وَسقط، والجُمَيْمَةُ: تَصْغِير جمة وجمة الإِنْسَان مُجْتَمع شعر ناصيته والناصية قصاص الشّعْر والوفرة والجمة إِلَى الأُذُنَيْنِ فَقَط فَإِن زَادَت فَوق ذَلِك لم يقل وفرة.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب تزويج النبي ﷺ عائشة، ح ٣٦٨١.

الرحمن بن كعب بن مالك، عن رجل من أصحاب النبي ﷺ أن كفار قريش كتبوا الى ابن أُبي ومن كان يعبد معه الأوثان من الأوس والخزرج، ورسول الله ﷺ يومئذ بالمدينة **قبل وقعة بدر**: إنكم آويتم صاحبنا، وإنَّا نقسم بالله لتقاتلنه أو لتخرجنه، أو لنسيرنَّ إليكم بأجمعنا حتى نقتل مقاتلتكم ونستبيح نساءكم، فلما بلغ ذلك عبد الله بن أُبي ومن كان معه من عبدة الأوثان اجتمعوا لقتال رسول الله ﷺ، فلما بلغ ذلك النبي ﷺ لقيهم فقال: «**لقد بلغ وعيد قريش منكم المبالغ، ما كانت تكيدهم بأكثر مما تريدون أن تكيدوا به أنفسكم، تريدون أن تقاتلوا أبناءكم وإخوانكم**» فلما سمعوا ذلك من النبي ﷺ تفرقوا، فبلغ ذلك كفار قريش.

فكتبت كفار قريش **بعد وقعة بدر إلى اليهود**[1]: إنكم أهل الحلقة (الحلقة: السلاح وقيل أراد بها الدرع) والحصون، وإنكم لتقاتلن صاحبنا أو لنفعلنَّ كذا وكذا، ولا يحول بيننا وبين خدم نسائكم شيء، وهي الخلاخيل، فلما بلغ كتابهم النبي ﷺ أجمعت بنو النضير بالغدر، فأرسلوا إلى النبي ﷺ: أخرج إلينا في ثلاثين رجلاً من أصحابك، وليخرج منا ثلاثون حبراً، حتى نلتقي بمكان المنصف فيسمعوا منك، فان صدقوك وآمنوا بك آمنا بك، فقصَّ خبرهم، فلما كان الغد غدا عليهم رسول الله ﷺ بالكتائب فحصرهم فقال لهم: «إنكم والله لا تأمنون عندي إلا بعهد تعاهدوني عليه» فأبوا أن يعطوه عهداً فقاتلهم يومهم ذلك، ثم غدا الغد على بني قريظة بالكتائب، وترك بني النضير ودعاهم إلى أن يعاهدوه فعاهدوه، فانصرف عنهم وغدا على بني النضير بالكتائب، فقاتلهم حتى نزلوا على الجلاء، فجلت بنو النضير واحتملوا ما أقلت الإبل من أمتعتهم وأبواب بيوتهم وخشبها، فكان نخل بني النضير لرسول الله ﷺ خاصة، أعطاه الله إياها وخصه بها فقال تعالى: ﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الحشر: ٦] يقول: بغير قتال فأعطى النبي ﷺ أكثرها للمهاجرين وقسمها بينهم، وقسم منها لرجلين من الأنصار كانا ذوي حاجة

---

(١) سيأتي تفصيل ذلك عند الحديث عن غزوة بني النضير، ولكني أتيت بها هنا لما فيها من تتمة سياق التحريش من كفار مكة على الدعوة النبوية الناهضة في المدينة.

لم يقسم لأحد من الأنصار غيرهما، وبقي منها صدقة رسول الله ﷺ التي في أيدي بني فاطمة رضي الله عنها»[1].

ومن التشريعات التي شرعها الله تعالى في السنة الثانية من الهجرة[2]:

- **صيام رمضان:** قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ ﴾ البقرة: ١٨٣
- **صدقة الفطر:** روى ابن عباس رضي الله عنهما قال: «فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر من رمضان صاعاً من تمر، أو صاعاً من شعير، على الحر والعبد، والذكر والأنثى، والصغير والكبير من المسلمين، وأمر أن تؤدى قبل خروج الناس إلى الصلاة»[3].
- **صلاة العيد[4]:** قال تعالى: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ﴿٢﴾ ﴾ الكوثر: ٢
- **الزكاة المفروضة:** روى قيس بن سعد رضي الله عنه قال: «أمرنا رسول الله بصدقة الفطر قبل أن تنزل الزكاة، ثم نزلت الزكاة، فلم يأمرنا ولم ينهنا، ونحن نفعله»[5].

أما غزوة بدر الكبرى ففيها التفاصيل الآتية:

أولا: تفاصيل ما قبل الغزوة (في جانب المسلمين):

- **ما جاء في فضلها:** روى ابن عباس رضي الله عنه قال: ﴿ لَّا يَسۡتَوِي ٱلۡقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ غَيۡرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ وَٱلۡمُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ عَلَى ٱلۡقَٰعِدِينَ دَرَجَةٗۚ وَكُلّٗا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلۡقَٰعِدِينَ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴿٩٥﴾ ﴾ النساء: ٩٥ عن بدر، والخارجون إلى بدر»[6].

---

(١) أخرجه أبو داود، كتاب الخراج، باب في خبر النضير، ح ٣٠٠٤، وقال الألباني صحيح الإسناد.

(٢) هذا ما اشتهر واستفاض عند علماء السيرة لكنني لم أجد أحاديث مسندة تؤكد نسبة هذه التشريعات لهذا العام تحديداً.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الزكاة، باب صدقة الفطر، ح ١٥٠٣.

(٤) يقال بأن الأضحية كذلك شُرعت في هذا العام، والله تعالى أعلم.

(٥) أخرجه النسائي، كتاب الزكاة، باب فرض صدقة الفطر، ح ٢٥٠٦، وقال الألباني: صحيح.

(٦) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب٥، ح٣٩٥٤.

- **وقفة مع تفسر هذه الآية:** يقول الشيخ محمد رشيد رضا: «مضت سنة القرآن في مزج آيات الأحكام العملية بما يرغب في الأعمال الصالحة وينشط عليها، ويحفز الهمم إليها، وينفر من القعود عنها، والتكاسل والتواكل فيها، وعلى هذه السنة جاءت هاتان الآيتان بين آيات أحكام القتال، فهما متصلتان بها أتم الاتصال، قال تعالى: لا يستوي القاعدون من المؤمنين، أي عن الجهاد في سبيل الله لتأييد حرية الدين، وصد غارات المشركين، وتطهير الأرض من الفساد، وإقامة دعائم الحق والإصلاح «غير أولي الضرر»، العاجزين عن هذا الجهاد كالأعمى والمقعد والزمن والمريض «والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم»، أي: لا يكون القاعدون عن الجهاد بأموالهم بخلاً بها وحرصاً عليها، وبأنفسهم إيثارا للراحة والنعيم على التعب وركوب الصعاب في القتال، مساوين للمجاهدين الذين يبذلون أموالهم في الاستعداد للجهاد بالسلاح والخيل والمؤنة، ويبذلون أنفسهم بتعريضها للقتل في سبيل الحق; لأجل منع القتل في سبيل الطاغوت; لأن المجاهدين هم الذين يحمون أمتهم وبلادهم، والقاعدين الذين لا يأخذون حذرهم، ولا يعدون للدفاع عدتهم، يكونون عرضة لفتك غيرهم بهم «ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض»، بغلبة أهل الطاغوت عليها، وظلمهم لأهلها، وإهلاكهم للحرث والنسل فيها»[1].
- **ما نزل فيها من آي الذكر الحكيم:** روى سعيد بن جبير قال: قلت لابن عباس رضي الله عنهما: «سورة التوبة؟ قال: آلتوبة، قال: **بل هي الفاضحة، ما زالت تنزل: ومنهم، ومنهم، حتى ظنوا أن لا يبقى منا أحد إلا ذكر فيها**، قال: قلت: **سورة الأنفال؟ قال: تلك سورة بدر**، قال: قلت: فالحشر؟ قال: نزلت في بني النضير»[2].
- **تاريخ الغزوة:** روى ابن مسعود رضي الله عنه قال: «التمسوها (يعني ليلة القدر) في سبع

---

(١) تفسير المنار، الشيخ محمد رشيد رضا، الهيئة المصرية للكتاب، ط ٢، ١٩٩٨م، ج ٥/ ٢٨٦.

(٢) أخرجه مسلم، كتاب التفسير، باب في سورة براءة والأنفال والحشر، ح ٧٤٧٤، **قلت: هذه السور الثلاث تحتاج منا إلى عناية فائقة لاسيما ونحن نعيش أحداث السيرة ونواكبها خطوة بخطوة، لأجل ذلك سأقوم بعرض تحليلي سريع لواحدة منها (التوبة)، في نهاية هذا الكتاب، ليتحقق لنا ولو جزءاً يسيراً من مبدأ وفكرة السيرة المستنيرة بنور الوحي الكريم بعون الله تعالى.**

عشرة، وتلا هذه الآية ﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤١﴾ ﴾ الأنفال: ٤١ يوم بدر، قال: أو تسع عشرة، أو إحدى وعشرين»[1].

- **وقفة مع تفسير هذه الآية:** قال أبو جعفر الطبري: «أيقنوا أيها المؤمنون، أنما غنمتم من شيء فمقسوم القسم الذي بينته، وصدقوا به إن كنتم أقررتم بوحدانية الله وبما أنزل الله على عبده محمد ﷺ يوم فرق بين الحق والباطل ببدر، فأبان فلج المؤمنين وظهورهم على عدوهم، وذلك «يوم التقى الجمعان»، جمع المؤمنين وجمع المشركين، والله على إهلاك أهل الكفر وإذلالهم بأيدي المؤمنين، وعلى غير ذلك مما يشاء «قدير»، لا يمتنع عليه شيء أراده»[2].
- **إرسال العيون للتجسس، وإعلان النفير للمستعد له:** روى أنس رضي الله عنه قال: «بعث رسول الله ﷺ بسيسة[3] عيناً، ينظر ما صنعت عير أبي سفيان، فجاء وما في البيت أحد غيري وغير رسول الله ﷺ قال: لا أدري ما استثنى بعض نسائه، قال: فحدثه الحديث، قال فخرج رسول الله ﷺ فتكلم فقال: إن لنا طَلِبَة، فمن كان ظهره حاضراً فليركب معنا، **فجعل رجال يستأذنونه في ظهرانهم في علو المدينة، فقال: لا، إلا من كان ظهره حاضراً**، فانطلق رسول الله ﷺ وأصحابه، حتى سبقوا المشركين إلى بدر...»[4].
- **دعوة الرسول ﷺ الناس للخروج:** روى ابن عباس رضي الله عنهما قال: «لما سمع رسول الله ﷺ بأبي سفيان مقبلاً من الشام: ندب المسلمين إليهم وقال: **هذه عير قريش، فيها أموالهم، فاخرجوا إليها، لعل الله ينفلكموها**، فانتدب الناس، فخفَّ بعضهم،

---

(١) أخرجه أبو داود، كتاب الصلاة، باب من روى أنها ليلة سبع عشرة، ح١٣٨٤، والطبراني في الكبير، ح٩٠٧٤، وذكره الشيخ العلي في صحيح السيرة برقم ٢٢٧، ونقل توجيه ابن حجر للتفاوت في تحديد وقتها قائلاً: كان الخروج في الثاني عشر، والوقفة في السابع عشر، والتاسع عشر كان يوم الانتهاء من الغزوة.

(٢) تفسير جامع البيان، الإمام الطبري، ١٣: ٥٦١.

(٣) هذا ما رجحه النووي في اسم هذا الصحابي، وهناك من قال بأنه بسبس، ثم قال: يجوز أن يكون أحد هذين اللفظين اسماً، والآخر لقباً، وانظر المنهاج شرح صحيح مسلم للنووي، ج١٣/ ٤٧.

(٤) أخرجه مسلم، كتاب الإمارة، باب ثبوت الجنة للشهيد، ح١٩٠١.

وثقل بعضهم، وذلك أنهم لم يظنوا أن رسول الله ﷺ يلقى حرباً»[1].

- **قلة الركوب، وحرص القائد:** روى ابن مسعود رضي الله عنه قال: «كنا يوم بدر كل ثلاثة على بعير، كان أبو لبابة وعلي بن أبي طالب زميليْ رسول الله ﷺ، وقال: «كانت عقبة رسول الله ﷺ، قال: فقالا: نحن نمشي عنك، فقال: **ما أنتما بأقوى مني، ولا أنا بأغنى عن الأجر منكما**»[2].
- **المقداد فارس، والقائد حارس:** وروى عليٌّ رضي الله عنه قال: «ما كان فينا فارس يوم بدر **غير المقداد**، ولقد رأيتنا وما فينا إلا نائم، إلا رسول الله ﷺ تحت شجرة **يصلي ويبكي حتى أصبح**»[3].
- **عدد المسلمين:** روى البراء بن عازب رضي الله عنه قال: «كنا أصحاب محمد ﷺ نتحدث؛ أن عدة أصحاب بدر على عدة أصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر؛ ولم يجاوز معه إلا مؤمن، **بضعة عشر وثلاثمائة**»[4].
- **عدم السماح لمن لم يبلغ الحلم بالخروج:** روى البراء بن عازب رضي الله عنه قال: «استُصغرت أنا وابن عمر يوم بدر...»[5].
- **رفض القائد الاستعانة بالمشركين:** روت عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ ردَّ رجلاً مشركاً، جاء وعرض المشاركة في القتال مع النبي ﷺ قائلاً له: «**فارجع فلن أستعين بمشرك**»، ثلاث مرات، حتى أعلن الرجل إسلامه، فقال له رسول الله ﷺ: «**فانطلق**»[6].
- **وفاء النبي ﷺ بالعهد:** روى حذيفة رضي الله عنه قال: «ما منعني أن أشهد بدراً إلا أني

---

(١) أخرجه ابن هشام ٢/ ٦٠٦، من طريق ابن اسحاق، وقال الشيخ العلي في صحيح السيرة: إسناده صحيح ح٢٣١.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده، ١/ ٤١١، وحسَّنه الشيخ أحمد شاكر، وكذا حسنه الشيخ الألباني في تخريجه لأحاديث فقه السيرة للشيخ محمد الغزالي، ص٢٢٧.

(٣) أخرجه أحمد ح ١٠٢٣، وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح.

(٤) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب عدة أصحاب بدر، ح٣٩٥٨.

(٥) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب عدة أصحاب بدر، ح٣٩٥٦، وهنالك حديث أخرجه البزار وأثبته الشيخ ابراهيم العلي في صحيح السيرة يبين أن النبي ﷺ **استصغر عمير بن أبي وقاص فردَّه ثم أجازه**، وفيها استشهد رضي الله عنه، ح٢٣٨.

(٦) أصل الحديث أخرجه مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب كراهة الاستعانة في الغزو بالكافر، ح١٨١٧.

خرجت أنا وأبي حسيل[1]، قال: فأخَذَنا كفار قريش قالوا: إنكم تريدون محمداً؟ فقلنا: ما نريده، ما نريد إلا المدينة، فأخذوا منا عهد الله وميثاقه لننصرفنَّ إلى المدينة، ولا نقاتل معه، فأتينا رسول الله ﷺ فأخبرناه الخبر فقال: **انصرفا، نَفِي لهم بعهدهم، ونستعين الله عليهم**»[2].

- **القائد يشاور أصحابه**: يروي ابن إسحاق أن النبي ﷺ لما خرج لبدر سمع من القوم مشورتهم، لكنه أحب أن يسمع من زعماء الأنصار، ذلك أن نصوص البيعة حكت دفاعهم عن النبي ﷺ داخل المدينة، وليس خارجها، فقال سعد بن معاذ رضي الله عنه: «**والله لكأنك تريدنا يا رسول الله؟** قال: أجل، قال: فقد آمنا بك وصدقناك، وشهدنا أن ما جئتَ به هو الحق، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا، على السمع والطاعة، فامض يا رسول الله لما أردت، **فنحن معك، فو الذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك**، ما تخلف منا رجل واحد، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غداً، **إنا لصُبرٌ في الحرب، صُدُقٌ عند اللقاء، لعل الله يريك منا ما تقرُّ به عينك، فسِرْ بنا على بركة الله**، فسُرَّ رسول الله ﷺ بقول سعد، ونشَّطه ذلك، ثم قال: سيروا، وأبشروا، فإن الله تعالى قد وعدني إحدى الطائفتين، والله لكأني أنظر إلى مصارع القوم»[3].

وفي رواية أنس رضي الله عنه قال: «أن رسول الله ﷺ شاور حين بلغه إقبال أبي سفيان قال: فتكلم أبو بكر، فأعرض عنه، ثم تكلم عمر، فأعرض عنه، فقام سعد بن عبادة فقال: **إيانا تريد يا رسول الله؟** والذي نفسي بيده لو أمرتنا أن نخيضها البحر

---

(١) كنية والد حذيفة وهو اليمان.

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب الوفاء بالعهد، ح١٧٨٧.

(٣) أخرجه ابن هشام في السيرة ١/ ٦١٤، بإسناد قال فيه الشيخ العلي هو صحيح عنده، برقم: ٢٤٧، وقد روى البخاري في المغازي باب قوله تعالى: (إذ تستغيثون ربكم)، ح٣٩٥٢، أن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «**شهدت من المقداد بن الأسود** رضي الله عنه **مشهداً لأن أكون أنا صاحبه أحب إليَّ مما عدل به**، أتى النبي ﷺ وهو يدعو على المشركين فقال: لا نقول كما قال قوم موسى (فاذهب أنت وربك فقاتلا) ولكنا نقاتل عن يمينك، وعن شمالك، وبين يديك، وخلفك، فرأيتُ النبي ﷺ أشرق وجهه وسُرَّ، **كما يحكي الدكتور أكرم العمري في سياق آخر حول استشارة ثالثة حصلت قبيل الغزوة وقد تقدم بها الحباب بن المنذر فيما يتعلق بمكان نزول جيش المسلمين عند** آبار بدر، لكنه يقول بضعف تلك الرواية، وانظر ص٤٠٦ عنده، كما قال الشيخ الألباني بضعفها كذلك، وانظر تخريجه لأحاديث فقه السيرة للشيخ الغزالي ص٢٣٢.

لأخضناها، ولو أمرتنا أن نضرب أكبادها إلى برك الغماد لفعلنا، قال: فندب رسول الله الناس فانطلقوا...»[1].

- **مناجاة ودعاء:** روى عمر رضي الله عنه قال: «لما كان يوم بدر نظر النبي ﷺ إلى المشركين وهم ألف، وأصحابه ثلاثمائة وتسعة عشر رجلاً، فاستقبل نبي الله ﷺ القبلة، ثم مدَّ يديه، فجعل يهتف بربه: **اللهم أنجزْ لي ما وعدتني، اللهم آت ما وعدتني، اللهم إن تُهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تُعبد في الأرض**، فما زال يهتف بربه، ماداًّ يديه، مستقبل القبلة، حتى سقط رداؤه عن منكبيه، فأتاه أبو بكر، فأخذ رداءه، فألقاه على منكبيه، ثم التزمه من ورائه، وقال: يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك، فإنه سينجز لك ما وعدك، فأنزل الله عز وجل: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ٩﴾ الأنفال: ٩ **فأمدَّه الله بالملائكة**»[2].
- **وقفة مع تفسير هذه الآية:** يقول الآلوسي: «والاستغاثة كما قال غير واحد: طلب الغوث وهو التخليص من الشدة والنقمة والعون، وهو متعدٍّ بنفسه ولم يقع في القرآن الكريم إلا كذلك، وقد يتعدى بالحرف كقوله:

حتى استغاث بماء لا رشاد له من الأباطح في حافاته البرك

والظاهر أن المستغيث هم المؤمنون، قيل: إنهم لما علموا أن لا محيص من القتال أخذوا يقولون: أي رب انصرنا على عدوك أغثنا يا غياث المستغيثين، وقال الزهري: إنه رسول الله ﷺ والمسلمون معه، وظاهر بعض الأخبار يدل على أنه الرسول عليه الصلاة والسلام»[3].

وفي رواية عَلِيٍّ رضي الله عنه قَالَ: «... وكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَتَخَبَّرُ عَنْ بَدْر، فَلَمَّا بَلَغَنَا أَنَّ الْمُشْرِكِينَ قَدْ أَقْبَلُوا، سَارَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى بَدْر، وَبَدْرٌ بِئْرٌ،... ثُمَّ إِنَّهُ أَصَابَنَا مِنَ اللَّيْلِ طَشٌّ مِنْ مَطَر، فَانْطَلَقْنَا تَحْتَ الشَّجَرِ وَالْحَجَفِ نَسْتَظِلُّ تَحْتَهَا مِنَ الْمَطَر، وَبَاتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدْعُو رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَيَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنَّكَ إِنْ تُهْلِكْ هَذِهِ الْفِئَةَ

---

(١) السابق.

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الجهاد، باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر، ح١٧٦٣، وفي رواية أن النبي ﷺ بعد دعائه وإلحاحه على الله تعالى خرج وهو يردد: (سيُهزم الجمع ويولون الدبر)، أخرجه البخاري: ح ٢٩١٥.

(٣) تفسير روح المعاني، الإمام الآلوسي، ج٥/ ٣٤٢.

لَا تُعْبَـدْ»، قَالَ: فَلَمَّا طَلَعَ الْفَجْرُ نَادَى: «الصَّلَاةَ عِبَادَ اللَّهِ»، فَجَاءَ النَّاسُ مِنْ تَحْتِ الشَّجَرِ وَالْحَجَفِ، فَصَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَحَرَّضَ عَلَى الْقِتَالِ»[1].

وروى عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: «خرج رسـول الله ﷺ يوم بدر... فلما انتهى إليها قال: **اللهم إنهم جياع فأشـبعهم، اللهم إنهم حفاة فاحملهم، اللهم إنهم عراة فاكسُهم**»[2].

- **نزول جبريل عليه السلام للمشاركة في الغزوة:** روى ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال يوم بدر: «هذا جبريل آخذٌ رأس فرسه، **عليه أداة الحرب**»[3].
- **تردد بعض المسـلمين قبيل الغـزوة:** لما خرج الصحابة رضي الله عنهم في طلب العير وأفلتت منهم القافلة، أرادوا الرجوع، فهم لم يكونوا مستعدين لقتال عدوهم، نزل فيهم قول الله تعالى: ﴿كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ۝٥ يُجَٰدِلُونَكَ فِى ٱلْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ ۝٦ وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٧ لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ۝٨﴾ الأنفال: ٥ - ٨
- **وقفة مع تفسـير الآية:** قال الإمام الـرازي: «اعلم أنه كان خوفهم لأمور أحدها قلة العـدد، وثانيها أنهم كانـوا رجالة، روي أنه ما كان فيهم إلا فارسـان، وثالثها قلة السلاح»[4].

ثانيا: تفاصيل ما قبل الغزوة (في جانب المشركين):

١. **تخوف بعض أئمة الكفر من الخروج:** روى سـعد بن معاذ رضي الله عنه قال: «... فلما كان يوم بدر اسـتنفر أبو جهل الناس قال: أدركوا عيركم، فكره أمية بن خلف أن يخرج (لأن صديقه سـعد بن معاذ أخبره بأن المسلمين سـيقتلونه تأويلاً لرؤيا

---

(١) أخرجه أحمد ح ٩٠٤، بإسناد قال فيه الدكتور العمري في السيرة النبوية الصحيحة هو صحيح، وانظر ص٤٠٦.
(٢) أخرجه أبو داود ١/ ٤٣١، بإسناد قال فيه الشيخ الألباني بأنه حسن، وانظر تخريجه لأحاديث فقه السيرة ص٢٤١.
(٣) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب شهود الملائكة بدراً، ح٣٩٩٥.
(٤) تفسير مفاتح الغيب، الإمام الرازي، ٧/ ٣٤١.

رؤيت في حقه سابقاً) فأتاه أبو جهل فقال: **يا أبا صفوان إنك متى ما يراك الناس قد تخلفت وأنت سيد أهل الوادي تخلفوا معك**، فلم يزل به أبو جهل حتى قال: أما إذا غلبتني فو الله لأشترين أجود بعير بمكة.

ثم قال أمية: يا أم صفوان جهزيني، فقالت له: يا أبا صفوان، وقد نسيت ما قال لك أخوك اليثربي؟ قال: لا، ما أريد أن أجوز معهم إلا قريباً، فلما خرج أمية أخذ لا يترك منزلاً إلا عقل بعيره، **فلم يزل بذلك حتى قتله الله عز وجل ببدر**»[1].

٢. **عدد المشركين في الغزوة:** أخذ المسلمون أسيرين من قريش وهم في طريقهم إلى بدر، فسألوا أحدهما عن جيش قريش، فلم يُجب سوى بالقول: هم كثير عددهم، شديد بأسهم، فصار المسلمون يضربونه ليُقر لهم بعدد جيش المشركين، حتى انتهى النبي ﷺ من صلاته وسأله: «كم ينحرون من الجُزُر؟ قال: عشر لكل يوم، فقال رسول الله ﷺ: **القوم ألفٌ**، كل جزور لمائة ونيفها»[2].

٣. **تحديد مصارع زعماء قريش:** روى عمر رضي الله عنه قال: «إن رسول الله ﷺ كان يرينا مصارع أهل بدر بالأمس يقول: هذا مصرع فلان غداً إن شاء الله، قال: فقال عمر: **فو الذي بعثه بالحق ما أخطأوا الحدود التي حدَّ رسول الله ﷺ**»[3].

٤. **شدة الخلاف وبوادر الانشقاق:** وقف عتبة بن ربيعة وهو على جَمَله الأحمر ينهى المشركين عن القتال قُبيل بدر، فسمعه أبو جهل وعاتبه عتاباً شديداً، واتهمه بالجبن، فثارت ثائرة عتبة وقال لأبي جهل: «ستعلم اليوم أينا الجبان» وهو الذي قال فيه الرسول ﷺ: «**إن يكن عند أحد من القوم خير، فهو عند صاحب الجمل الأحمر، إن يطيعوه يرشدوا**، لأنه كان فيما قال: «يا قوم أطيعوني في هؤلاء القوم، فإنكم إن فعلتم لن يزال ذلك في قلوبكم، ينظر كل رجل إلى قاتل أخيه، وقاتل أبيه، **فاجعلوا حقها برأسي، وارجعوا**»[4].

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب ذكر النبي ﷺ من يقتل ببدر، ح ٣٩٥٠.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده ١/ ١١٧، وأبو داود، كتاب الجهاد، باب في المبارزة، ح٢٦٦٥، وقال الشيخ ابراهيم العلي: إسناده صحيح، ورواه بطوله برقم: ٢٤٥.

(٣) أخرجه مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار، ح٢٨٧٣.

(٤) أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد برقم ٧٩/٦، وقال: رجاله ثقات.

٥. **استفتاح أبي جهل ودعاؤه على نفسه:** روى عبد الله بن ثعلبة قال: «كان المستفتح يوم بدر أبا جهل قال: **اللهم أقطعُنا للرحم، وآتانا بما لا يُعرف، فأحْنه الغداة**»[(١)]، قال تعالى: ﴿ إِن تَسْتَفْتِحُوا۟ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ ۖ وَإِن تَنتَهُوا۟ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَعُودُوا۟ نَعُدْ ۚ وَلَن تُغْنِىَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْـًٔا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ١٩ ﴾ الأنفال: ١٩

t.me/ktabrwaya مكتبة

أحداث المعركة:

١. **تسوية الصفوف:** روي أنَّ رسول الله ﷺ عدَّل صفوف أصحابه يوم بدر، وفي يده قدح يعدل به القوم، فمر بسواد بن غزيَّة حليف بني عدي ابن النجار قال: وهو مستنتل (بارز) من الصف، فطعن رسول الله ﷺ بالقدح في بطنه، وقال: استو يا سواد، فقال: يا رسول الله، **أوجعتني، وقد بعثك الله بالعدل، فأقدني (يطلب القصاص)**، قال: فقال له رسول الله ﷺ: استقد.

قال: يا رسول الله، **إنَّك طعنتني، وليس عليَّ قميص**، قال: فكشف رسول الله ﷺ عن بطنه، وقال: استقد، قال: فاعتنقه، وقبَّل بطنه، وقال: ما حملك على هذا يا سواد؟ قال: يا رسول الله، حضرني ما ترى، ولم آمن القتل، فأردت أن يكون آخر العهد بك أن يمس جلدي جلدك، **فدعا رسول الله ﷺ له بخير**»[(٣)].

٢. **المبارزة والحسم الأول:** روى علي رضي الله عنه قال: «تقدم عتبة بن ربيعة وتبعه ابنه وأخوه، فنادى من يبارز؟ **فانتدب له شباب من الأنصار**، فقال من أنتم؟ فأخبروه، فقال: **لا حاجة لنا فيكم، إنما أردنا بني عمنا.**

فقال رسول الله ﷺ: قم يا حمزة، قم يا علي، قم يا عبيدة بن الحارث، فأقبل حمزة إلى عتبة، وأقبلتُ إلى شيبة، واختلف بين عبيدة والوليد ضربتان، فأثخن

---

(١) دعاء إلى الله بأن يقتل من كان هذا وصفه، وما درى أنه دعا على نفسه.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده ٥/ ٤٣١، والنسائي، كتاب التفسير، ح٢٢١، وذكره الشيخ العلي في صحيح السيرة برقم ٢٢٥.

(٣) أخرجه أبو نعيم في معرفة الصحابة برقم: ٣/ ١٤٠٤، وذكره الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة برقم: ٦/ ٨٠٨، وقال: إسناده حسن، وقيل: لقد كان ذلك بعد المبارزة الأولى.

كل واحد منهما صاحبه، ثم ملنا على الوليد فقتلناه واحتملنا عبيدة»[1].

وروى علي رضي الله عنه قال: «أنا أول من يجثو بين يدي الرحمن للخصومة يوم القيامة، وقال قيس بن عبَّاد وفيهم أنزلت: ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴿١٩﴾﴾ الحج: ١٩ قال: هم الذين تبارزوا يوم بدر، حمزة وعلي وعبيدة - أو أبو عبيدة بن الحارث -، وشيبة بن ربيعة وعتبة بن ربيعة والوليد بن عتبة»[2].

٣. **النضح بالنبل:** روى أبو أسيد الساعدي رضي الله عنه قال: «قال لنا رسول الله ﷺ يوم بدر: إذا أكثبوكم فارموهم، **واستبقوا نبلكم**»[3].

٤. **ولكن الله رمى:** روى حكيم بن حزام[4] رضي الله عنه قال: «لما كان يوم بدر أمر رسول الله ﷺ فأخذ كفّاً من الحصى، فاستقبلنا به، **فرمى بها وقال: شاهت الوجوه، فانهزمنا، فأنزل الله عز وجل:** ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ۚ وَلِيُبْلِىَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾﴾ الأنفال: ١٧[5].

- **وقفة مع تفسير الآية:** قال الشيخ السعدي: «يقول تعالى - لما انهزم المشركون يوم بدر، وقتلهم المسلمون { فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ } بحولكم وقوتكم { وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ } حيث أعانكم على ذلك بما تقدم ذكره.. { وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ } وذلك أن النبي ﷺ وقت القتال دخل العريش وجعل يدعو اللّه، ويناشده في نصرته، ثم خرج منه، فأخذ حفنة من تراب، فرماها في وجوه

(١) أخرجه أبو داود، كتاب الجهاد، باب المبارزة، ح٢٦٦٥، وإسناده صحيح كما قال ابن حجر في فتح الباري ٧/ ٢٩٨، وقال: وهذا أصح الروايات مشيراً إلى خلاف وقع بين الروايات حول هذه المبارزة، كما حكم الشيخ الألباني بصحة إسناد هذه القصة عند تخريجه أحاديث كتاب فقه السيرة للغزالي، ص٢٣٣.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب قتل أبي جهل، ح٣٩٦٥.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب من شهد بدراً، ح٣٩٨٤، وعند أبي داود زيادة «ولا تسلُّوا السيوف حتى يغشوكم» قال فيها الشيخ ابراهيم العلي: إسنادها حسن، وقال ابن حجر في الفتح: والمعنى اذا اقتربوا منكم فارموهم بالحجارة، وحافظوا على سهامكم حتى يقتربوا منكم بشكل أكبر، لتكون إصابتكم لهم عندئذ بالسهام أكثر دقة (بتصرف شديد).

(٤) كان حكيم رضي الله عنه يومذاك في صفوف المشركين، ولم يكن قد أسلم بعد.

(٥) أخرجه الطبراني في الكبير برقم: ٣١٢٧، وقال الشيخ ابراهيم العلي: وسنده حسن.

المشركين، فأوصلها اللّه إلى وجوههم، فما بقي منهم واحد إلا وقد أصاب وجهه، وفمه وعينيه منها، فحينئذ انكسر حدهم، وفتر زندهم، وبان فيهم الفشل والضعف، فانهزموا.

يقول تعالى لنبيه: لست بقوتك - حين رميت التراب - أوصلته إلى أعينهم، وإنما أوصلناه إليهم بقوتنا واقتدارنا. { وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَناً } أي: إن اللّه تعالى قادر على انتصار المؤمنين من الكافرين، من دون مباشرة قتال، ولكن اللّه أراد أن يمتحن المؤمنين، ويوصلهم بالجهاد إلى أعلى الدرجات، وأرفع المقامات، ويعطيهم أجراً حسناً وثواباً جزيلاً»[1].

٥. **شجاعة النبي ﷺ:** روى علي رضي الله عنه قال: «لقد رأيتنا يوم بدر ونحن نلوذ برسول الله ﷺ وهو أقربنا من العدو، **وكان من أشد الناس يومئذ بأساً**»[2]

مواقف بطولة وثبات:

- **عمير بن الحمام رضي الله عنه وشوقه للجنة:** روى أنس رضي الله عنه أن عمير ابن الحمام لما سمع النبي ﷺ يقول: «قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض، قال: يا رسول الله، جنة عرضها السموات والأرض؟ قال: نعم، قال: بخ بخ[3]، فقال رسول الله ﷺ: ما يحملك على قولك: بخ بخ؟، قال: **لا والله يا رسول الله، إلا رجاء أن أكون من أهلها**، قال: فإنك من أهلها، فأخرج تمرات من قرنه[4]، فجعل يأكل منهن ثم قال: لئن أنا حييت حتى آكل تمراتي هذه **إنها لحياة طويلة**، قال: فرمى بما كان معه من التمر، ثم قاتلهم حتى قُتل»[5].
- **حارثة وأمه الفقيهة العارفة:** روى أنس رضي الله عنه قال: «أصيب حارثة يوم بدر وهو غلام، فجاءت أمه إلى النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله، قد عرفتَ منزلة حارثة مني، فإن

---

(١) تفسير تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، الشيخ عبد الرحمن بن ناصر بن السعدي، ص٤٤٠.

(٢) أخرجه أحمد ١/ ٨٦، وصححه أحمد شاكر، وذكره الشيخ ابراهيم العلي في صحيح السيرة برقم ٢٧٧.

(٣) كلمة تطلق لتفخيم الإعجاب بالأمر.

(٤) جعبته.

(٥) أخرجه مسلم، كتاب الإمارة، باب ثبوت الجنة للشهيد، ح١٩٠١.

يكن في الجنة أصبر وأحتسب، وإن تكن الأخرى ترَ ما أصنع؟ فقال: ويحكِ - أوهبلتِ - أو جنة واحدة هي؟ **إنها جنان كثيرة، وإنه في جنة الفردوس**»[1].

- **شجاعة الزبير** رضي الله عنه: روى عروة رضي الله عنه قال: «**كَانَ فِي الزُّبَيْرِ ثَلَاثُ ضَرَبَاتٍ بِالسَّيْفِ إِحْدَاهُنَّ فِي عَاتِقِهِ**، قَالَ: إِنْ كُنْتُ لَأُدْخِلُ أَصَابِعِي فِيهَا، قَالَ: **ضُرِبَ ثِنْتَيْنِ يَوْمَ بَدْرٍ، وَوَاحِدَةً يَوْمَ الْيَرْمُوكِ**، قَالَ: عُرْوَةُ وَقَالَ لِي عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ حِينَ قُتِلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ: يَا عُرْوَةُ، هَلْ تَعْرِفُ سَيْفَ الزُّبَيْرِ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: فَمَا فِيهِ؟ **قُلْتُ: فِيهِ فَلَّةٌ فُلَّهَا يَوْمَ بَدْرٍ**، قَالَ: صَدَقْتَ، **بِهِنَّ فُلُولٌ مِنْ قِرَاعِ الْكَتَائِبِ**، ثُمَّ رَدَّهُ عَلَى عُرْوَةَ، قَالَ هِشَامٌ: فَأَقَمْنَاهُ بَيْنَنَا ثَلَاثَةَ آلَافٍ، وَأَخَذَهُ بَعْضُنَا وَلَوَدِدْتُ أَنِّي كُنْتُ أَخَذْتُهُ»[2].
- **صفة قتال سعد بن أبي وقاص:** روى عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «كان سعد يقاتل مع رسول الله ﷺ يوم بدر **قتال الفارس والراجل**»[3].
- **مشاركة الملائكة**[4]: روى ابن عباس رضي الله عنهما قال: «بينما رجل من المسلمين يومئذ يشتدُّ في إثر رجل من المشركين أمامه، إذ سمع ضربة بالسوط فوقه، وصوت الفارس يقول: أقدِم حيزوم، فنظر إلى المشرك أمامه فخرَّ مستلقياً، فنظر إليه فإذا هو قد خطم أنفه، وشق وجهه كضربة السوط، فاخضرَّ ذلك، فجاء الأنصاري فحدَّث بذلك رسول الله ﷺ، فقال: **صدقت، ذلك مددٌ من السماء الثالثة**»[5].

وقد أسر رجل من الأنصار العباس بن عبد المطلب[6] **فقال العباس:** يا رسول الله

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب فضل من شهد بدراً، ح٣٩٨٢.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب قتل أبي جهل، ح٣٩٧٣.

(٣) ذكره الشيخ إبراهيم العلي في صحيح السيرة برقم ٢٨٥، وقال رواه البزار في كشف الأستار ١٧٦٨- ١٧٦٩، بإسنادين أحدهما متصل والآخر مرسل، ورجالهما ثقات.

(٤) قال الحافظ في الفتح: قال الشيخ تقي الدين السبكي: سُئلت عن الحكمة في قتال الملائكة مع النبي ﷺ مع أن جبريل قادر على أن يدفع الكفار بريشة من جناحه؟ فقلت: وقع ذلك لإرادة أن يكون الفعل للنبي ﷺ وأصحابه، وتكون الملائكة مدداً على عادة الجيوش، **رعاية لصورة الأسباب وسنتها التي أجراها الله تعالى في عباده، والله تعالى هو فاعل الجميع**، والله أعلم» فتح الباري لابن حجر العسقلاني: ٧/ ٣١٣.

(٥) أخرجه مسلم، كتاب الجهاد، باب الإمداد بالملائكة، ح١٧٦٣.

(٦) وكان العباس رضي الله عنه قد خرج في صفوف المشركين مُكرهاً، لأنه قيل بأنه كان يخفي إسلامه فلم يهاجر مع النبي ﷺ إلى المدينة، **ولعل من حكم وقوع العباس في الأسر على يد مَلك كريم ما في ذلك من الحماية له، والله تعالى أعلم.**

إن هذا واللـــه ما أسرني، لقد أسرني رجل أجلح، من أحســـن الناس وجهاً، على فرس أبلق، ما أراه في القوم، فقال الأنصاري، أنا أسرته يا رسول الله فقال: **اسكت، فقد أيدك الله تعالى بملَك كريم**»[1].

وقد خفق النبي ﷺ خفقة في العري ثم انتبه فقال: «أبشر يا أبا بكر، أتاك نصر الله، هذا جبريل معتجر بعمامة، آخذ بعنان فرسه، يقوده على ثنايا النقع، **أتاك نصر الله وعدته**»[2].

- **مما نزل في الغزوة من آيات: قال تعالى:** ﴿ بَلَىٰٓ إِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأۡتُوكُم مِّن فَوۡرِهِمۡ هَٰذَا يُمۡدِدۡكُمۡ رَبُّكُم بِخَمۡسَةِ ءَالَٰفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ١٢٥ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشۡرَىٰ لَكُمۡ وَلِتَطۡمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦۚ وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ١٢٦ لِيَقۡطَعَ طَرَفٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡ يَكۡبِتَهُمۡ فَيَنقَلِبُواْ خَآئِبِينَ ١٢٧ ﴾ آل عمران: ١٢٥ - ١٢٧

وقـــال تعـــالى: ﴿ إِذۡ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمۡ فَثَبِّتُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ سَأُلۡقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعۡبَ فَٱضۡرِبُواْ فَوۡقَ ٱلۡأَعۡنَاقِ وَٱضۡرِبُواْ مِنۡهُمۡ كُلَّ بَنَانٖ ١٢ ﴾ الأنفال: ١٢

- **البطشـــة الكبرى:** روى ابن عباس رضي الله عنهما **قال: نزلت:** ﴿ يَوۡمَ نَبۡطِشُ ٱلۡبَطۡشَةَ ٱلۡكُبۡرَىٰٓۚ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ١٦ ﴾ الدخان: ١٦ **يوم بدر**[3].

- **وقفة مع تفســـير هذه الآية: قال الشيخ الشعراوي:** «اذكروا هذا اليوم ولا تغفلوا عنه، والبطش: الأخْذ بقوة والضربة القوية التي تســـتوعب كلَّ جوارح الجسم ولا تبالي على أيِّ عضو وقعتْ، نقول: فلان بطش بفلان يعني: ضربه بقســـوة وعنف دون أنْ يراعي على أيِّ عضو وقع الضرب، وبعد هذا الوصف سماها (الكبرى) تأكيداً على قسوتها وشدَّتها على الكافرين.. والانتقام في قوله: (إنا منتقمون) يدل على التكافؤ، فالبطشة ليستْ اعتداءً منا، بل جزاءَ ما قدَّمتم من تكذيب وإيذاء لرسول الله.

---

(١) أخرجه أحمد برقم ٢/ ١٩٤، وقال أحمد شاكر: إسناده صحيح، وذكره الدكتور أكرم العمري في السيرة النبوية الصحيحة ص٤١٢.

(٢) أخرجه ابن كثير في البداية والنهاية ٣/ ٢٨٤، وحكم عليه الشيخ الألباني في تعليقه على فقه السيرة للغزالي ص٢٤٣، بأنه حسن.

(٣) أخرج أحمد ح ٣٦١٣، وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح.

فالبطشة إذن جزاءٌ من جنس العمل، ولولا هذه البطشة لم تتحقق عدالة السماء بين المؤمنين والكافرين، ولكانتْ مساواة بين المؤمنين الذين تحمَّلوا الإيذاء والعَنت والاضطهاد، وبين الكافرين الظالمين المعتدين.. كان لا بدَّ أنْ تحدثَ هذه البطشةُ بالكافرين ليرى المؤمنون ثمرةَ إيمانهم، وكيف أن الله نجَّاهم بالإيمان فيفرحون، ويرى الكافرون ثمرةَ كفرهم وعنادهم فيتحسَّرون ويندمون ويتألمون»[1].

مصارع كبراء القوم:

١. **مصرع أبي جهل:** روى عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال: «بينا أنا واقف في الصف يوم بدر، نظرتُ عن يميني وشمالي، فإذا أنا بين غلامين من الأنصار حديثةٌ أسنانهما، **تمنيتُ لو كنت بين أضلُعٍ منهما**، فغمزني أحدهما فقال: يا عم، هل تعرف أبا جهل؟ قال: قلت: نعم، وما حاجتك إليه يا ابن أخي، قال: **أُخبرتُ أنه يسبُّ رسول الله ﷺ، والذي نفسي بيده لئن رأيته لا يفارق سوادي سواده حتى يموت الأعجل منا**، قال: فتعجبتُ لذلك، فغمزني الآخر فقال مثلها، قال: فلم أنشب أن نظرت إلى أبي جهل يزول في الناس، فقلت: ألا تريان، هذا صاحبكما الذي تسألان عنه، قال: فابتدراه، فضرباه بسيفيهما حتى قتلاه، ثم انصرفا إلى رسول الله ﷺ فأخبراه، فقال: أيكما قتله؟

فقال كل واحد منهما: أنا قتلت، فقال: هل مسحتما سيفيكما؟ قالا: لا، فنظر في السيفين، فقال: **كلاكما قتله**، وقضى بسلبه لمعاذ ابن عمرو بن الجموح، والرجلان معاذ بن عمرو بن الجموح ومعاذ ابن عفراء»[2].

وروى عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه «أتى أبا جهل وبه رمقٌ يوم بدر، فقال أبو

---

(١) تفسير الشعراوي، الشيخ محمد متولي الشعراوي، ٩/ ٤٦٧.

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الجهاد، باب استحقاق القاتل سلب القتيل، ح١٧٥٢، وفي رواية أخرى عند البخاري أن النبي ﷺ قال يوم بدر، من ينظر ما صنع أبو جهل، فانطلق ابن مسعود فوجده قد ضرباه أبناء عفراء حتى برد، فأخذ بلحيته فقال: أنت أبو جهل، قال: **وهل فوق رجل قتله قومه أو قال: قتلتموه**، وروى الطبراني أن عبد الله بن مسعود لما جاء فرِحاً بالخبر إلى النبي ﷺ جاءه النبي ﷺ ووقف عليه وقال: **«هذا فرعون هذه الأمة»**، أخرجه الطبراني، ح ٨٤٦٨ وذكره الشيخ العلي في صحيح السيرة برقم ٢٧١.

جهل: هل أعمد من رجل قتلتموه»[1].

وفي رواية قال أبو جهل: «**فلو غير أكَّار قتلني**»[2].

٢. **مصرع أمية بن خلف:** روى عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال: «كاتبتُ أمية بن خلف كتاباً بأن يحفظني في صاغيتي[3] بمكة، وأحفظه في صاغيته بالمدينة، فلما ذكرت: الرحمن، قال: لا أعرف الرحمن، كاتبني باسمك الذي كان في الجاهلية، **فكاتبته عبد عمرو**، فلما كان في يوم بدر خرجت إلى جبل لأحرزه حين نام الناس، فأبصره بلال، فخرج حتى وقف على مجلس من الأنصار فقال: أمية ابن خلف، **لا نجوتُ إن نجا أمية**، فخرج معه فريق من الأنصار في آثارنا، فلما خشيتُ أن يلحقونا خلَّفتُ لهم ابنه لأشغلهم، فقتلوه، ثم أبوا حتى يتبعونا، وكان رجلاً ثقيلاً، فلما أدركونا قلت له: أبرك فبرك، فألقيت عليه نفسي لأمنعه، فتخللوه بالسيوف من تحتي حتى قتلوه، وأصاب أحدهم رجلي بسيفه، **وكان عبد الرحمن بن عوف يرينا ذلك الأثر في ظهر قدمه**»[4].

٣. **مصرع أبي ذات كرش:** روى الزبير بن العوام رضي الله عنه قال: «لقيت يوم بدر عبيدة بن سعيد بن العاص وهو مدجج لا يُرى منه إلا عيناه، وهو يكنى أبو ذات الكرش، فقال أنا أبو ذات الكرش، فحملت عليه بالعنزة فطعنته في عينه فمات، قال هشام فأُخبرت أن الزبير قال: لقد وضعت رجلي عليه ثم تمطأت، فكان الجهد أن نزعتها، وقد انثنى طرفاها، قال عروة: **فسأله إياها رسول الله ﷺ فأعطاه**، فلما قُبض رسول الله ﷺ أخذها، ثم طلبها أبو بكر، فأعطاه، فلما قُبض أبو بكر سألها إياه عمر فأعطاه إياها، فلما قُبض عمر أخذها، ثم طلبها عثمان منه فأعطاه إياها، فلما قُتل عثمان وقعت عند آل علي، فطلبها عبد الله بن الزبير، **فكانت عنده**

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب قتل أبي جهل، ح٣٩٦١.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب شهود الملائكة بدرا، ح٢٠٤٠، والأكَّار هو الفلاح.

(٣) قال ابن حجر في فتح الباري: قال الأصمعي: صاغية الرجل كل من يميل إليه، ويطلق على الأهل والمال، **وقال ابن المنذر: توكيل المسلم حربياً مستأمناً، وتوكيل الحربي المستأمن مسلماً، لا خلاف في جوازه.**

(٤) أخرجه البخاري، كتاب الوكالة، باب **إذا وكل المسلم حربياً في دار الحرب أو في دار الإسلام جاز**، ح٢٣٠١.

حتى قُتل»[1].

- **توبيخ النبي ﷺ للقتلى**: روى أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ ترك قتلى بدر ثلاثاً، ثم أتاهم، فقام عليهم فناداهم، فقال: يا أبا جهل بن هشام، يا أمية بن خلف، يا عتبة بن ربيعة، يا شيبة بن ربيعة، **أليس قد وجدتم ما وعد ربكم حقاً؟ فإني قد وجدت ما وعدني ربي حقاً**، فسمع عمر قول النبي ﷺ، فقال يا رسول الله: كيف يسمعوا وأنى يجيبوا[2]، وقد جيفوا؟ قال: **والذي نفسي بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم، ولكنهم لا يقدرون أن يجيبوا**، ثم أمر بهم فسُحبوا، فأُلقوا في قليب بدر»[3].

ولما رأى النبي ﷺ مصارع قريش قال: «**شاهت الوجوه**»[4].

تفاصيل ما بعد المعركة:

- **عدد الشهداء والقتلى**: روى البراء بن عازب رضي الله عنهما قال: «جعل النبي ﷺ على الرماة يوم أُحد عبد الله بن جبير، فأصابوا منا سبعين، **وكان النبي ﷺ وأصحابه أصابوا من المشركين يوم بدر أربعين ومائة؛ سبعين أسيراً، وسبعين قتيلاً**، قال أبو سفيان: **يومٌ بيوم بدر، والحرب سجال**»[5].

وقفات حول الغنائم:

- **وجهات نظر صحيحة**: روى عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: «خرجنا مع النبي ﷺ، فشهدتُ معه بدراً، فالتقى الناس، فهزم الله تبارك وتعالى العدو، فانطلقت طائفة في آثارهم يَهزمون ويَقتلون، فأكبَّت طائفة على العسكر يحوونه، ويجمعونه، **وأحدقت طائفة برسول الله ﷺ، لا يصيب العدو منه غرة**، حتى إذا كان الليل،

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب شهود الملائكة بدراً، ح٣٩٩٨.

(٢) كثيرة هي المواقف التي كان عمر رضي الله عنه يبدي استغرابه أو حتى اعتراضه عليها ويسأل حتى يستبين الحكمة، ولقد أشرتُ إلى ذلك في الفوائد والأنوار في مواضعها، وكم نحتاج إلى دراسة منفردة بهذا الشأن، نفيد منها في منهج الدعوة والتلقي الواعي.

(٣) أخرجه مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها، باب عرض مقعد الميت من الجنة والنار، ح٢٨٧٤.

(٤) أخرجه الطبراني بسند قال فيه الشيخ الألباني بأنه حسن، وانظر فقه السيرة للغزالي ص٢٣٥.

(٥) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب فضل من شهد بدراً، ح٣٩٨٦.

وفاء الناس بعضهم إلى بعض.

قال الذين جمعوا الغنائم: نحن حويناها وجمعناها، فليس لأحد فيها نصيب.

وقال الذين خرجوا في طلب العدو: لستم بأحق بها منا، نحن نفينا عنها العدو وهزمناهم.

وقال الذين أحدقوا برسول الله ﷺ: **لستم بأحق بها منا نحن أحدقنا برسول الله ﷺ، وخفنا أن يصيب العدو منه غرة، واشتغلنا به.**

فنزلت ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١﴾﴾ الأنفال: ١ [1]، فقسمها رسول الله ﷺ **على فَواق بين المسلمين**»[2].

- **سعد** رضي الله عنه **والغنيمة:** روى مصعب بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه قال: «لَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ جِئْتُ بِسَيْفٍ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، **لَقَدْ شَفَى اللَّهُ الْيَوْمَ صَدْرِي مِنَ الْمُشْرِكِينَ، هَبْ لِي هَذَا السَّيْفَ**، فَقَالَ: يَا سَعْدُ، **إِنَّ هَذَا السَّيْفَ لَيْسَ لِي وَلَا لَكَ**»، فَوَضَعْتُهُ وَرَجَعْتُ، وَقُلْتُ: عَسَى أَنْ يُعْطَيَ هَذَا السَّيْفَ رَجُلاً لَمْ يَبْلِ بَلائِي، فَجَاءَنِي رَسُولُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: قُمْ يَدْعُوكَ النَّبِيُّ ﷺ فَأَتَيْتُهُ، فَقَالَ لِي: يَا سَعْدُ، «**إِنَّكَ سَأَلْتَنِي السَّيْفَ وَلَيْسَ لِي، وَاللَّهُ تَعَالَى قَدْ جَعَلَهُ لِي، فَهُوَ لَكَ**»، وَنَزَلَتْ: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١﴾﴾ الأنفال: ١ [3].

- **وقفة مع تفسير هذه الآية:** يقول الشيخ طنطاوي: «فاتقوا الله - أيها المؤمنون - في كل أقوالكم وأفعالكم، وأصلحوا ما بينكم من الأحوال التي تكون أحوال ألفة ومحبة ومودة، وأطيعوا الله ورسوله في حكمه الذى قضاه في الأنفال وفى غيرها، من كل أمر ونهى، وقضاء وحكم.. وقد كرر - سبحانه - الاسم الجليل في هذه

---

(١) لا ندري هل نزلت سورة الأنفال كلها في هذا الموقف، أو أنه نزل مطلعها هذا فقط، علماً بأن توزيع الغنائم جاء تفصيله متأخراً في السورة نفسها، بعد استيفاء دروس التربية الربانية لأصحاب خير البرية ﷺ.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده، ٥/ ٣٢٤، وقال الدكتور العمري في السيرة النبوية الصحيحة بأن إسناده صحيح، وذكره الشيخ ابراهيم العلي في صحيح السيرة برقم: ٢٩٦.

(٣) أخرجه مسلم، كتاب: الجهاد والسير، باب: الأنفال، ح ١٧٤٨.

الآية ثلاث مرات، لتربية المهابة في القلوب، وتعليل الحكم حتى تقبله النفوس بإذعان وتسليم.

وذكر - سبحانه - رسوله ﷺ معه مرتين في هذه الآية، لتعظيم شأنه، وإظهار شرفه، والإيذان بأن طاعته ﷺ طاعة لله تعالى، ومخالفته مخالفة لأمر الله تعالى، ووسَّط سبحانه الأمر بإصلاح ذات البين بين الأمر بالتقوى والأمر بالطاعة، لإظهار كمال العناية بالإصلاح، وليندرج الأمر به بعينه تحت الأمر بالطاعة»[1].

- **عثمان رضي الله عنه والغنيمة:** روى أسامة بن زيد رضي الله عنه قال: «... فأتانا الخبر (خبر انتصار المسلمين في بدر) حين سوينا التراب على رقية بنت رسول الله ﷺ، وكان زوجها عثمان بن عفان **قد احتبس عندها يمرِّضها بأمره ﷺ**، وضرب رسول الله ﷺ له بسهمه وأجره في بدر»[2].
- **استشارة من القائد حول الأسرى:** روى ابن عباس رضي الله عنهما عن عمر رضي الله عنه قال: «... فلما أسروا الأسارى قال رسول الله ﷺ لأبي بكر وعمر ما ترون في هؤلاء الأسارى؟

فقال أبو بكر: يا نبي الله هم بنو العم والعشيرة، **أرى أن تأخذ منهم فدية فتكون لنا قوة على الكفار، فعسى الله أن يهديهم للإسلام**، فقال رسول الله ﷺ: ما ترى يا ابن الخطاب؟.

قلت: **لا والله يا رسول الله ما أرى الذي رأى أبو بكر، ولكني أرى أن تمكِّنا، فنضرب أعناقهم، فتُمكن علياً من عقيل فيضرب عنقه، وتمكني من فلان نسيباً لعمر فأضرب عنقه، فإن هؤلاء أئمة الكفر وصناديدها.**

فهويَ رسول الله ﷺ ما قال أبو بكر، ولم يهوَ ما قلتُ، فلما كان من الغد جئت فإذا رسول الله ﷺ وأبو بكر قاعدَين يبكيان، قلت يا رسول الله أخبرني من أي شيء تبكي أنت وصاحبك؟: **فإن وجدتُ بكاء بكيت، وإن لم أجد بكاء تباكيتُ لبكائكما**، فقال رسول الله ﷺ: أبكي للذي عرض عليَّ أصحابك من أخذهم الفداء، لقد عرض

---

(١) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، الشيخ محمد سيد طنطاوي، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧ هـ ١٩٧٨م، ص٨٦٠.

(٢) أخرجه البيهقي ٩/ ١٧٤، بإسناد قال فيه الشيخ الألباني بأنه صحيح، وانظر فقه السيرة للغزالي ص٢٤٠.

عليَّ عذابهم أدنى من هذه الشجرة، - شجرة قريبة من نبي الله ﷺ - وأنزل الله عز وجل: ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾ ﴾ الأنفال: ٦٧ إلى قوله: ﴿ فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٩﴾ ﴾ الأنفال: ٦٩ [1].

- **حمل البشارة بالنصر إلى المدينة:** روى أسامة رضي الله عنه أن النبي ﷺ خلف عثمان بن عفان وأسامة بن زيد على بنت رسول الله ﷺ، فجاء زيد بن حارثة على العضباء - ناقة رسول الله ﷺ - بالبشارة، قال أسامة: فسمعتُ الهيعة، فخرجتُ فإذا زيد قد جاء بالبشارة، **فو الله ما صدَّقتُ حتى رأينا الأسارى...**»[2].
- **شدة الدهشة التي أصابت بعض الناس عند تأكُّد هزيمة قريش:** روى يَحْيَى بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَعِيدِ بْنِ زُرَارَةَ، قَالَ: «قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ، وَقَدِمَ الأَسْرَى، وَسَوْدَةُ بِنْتُ زَمْعَةَ عِنْدَ آلِ عَفْرَاءَ فِي مَنَاحَتِهِمْ عَلَى عَوْفٍ وَمُعَوَّذٍ، وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يُضْرَبَ بِالْحِجَابِ، قَالَتْ سَوْدَةُ: فَأُتِينَا، فَقِيلَ لَنَا: هَؤُلاَءِ الأَسْرَى قَدْ أُتِيَ بِهِمْ، فَخَرَجْتُ إِلَى بَيْتِي وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ فيه، وَإِذَا أَبُو يَزِيدَ (سهيل بن عمرو) مَجْمُوعَةٌ يَدَاهُ إِلَى عُنُقِه فِي نَاحِيَةِ الْبَيْتِ، فَوَ اللَّهِ مَا مَلَكْتُ حِينَ رَأَيْتُهُ مُجْمُوعَةٌ يَدَاهُ إِلَى عُنُقِه أَنْ قُلْتُ: **أَبَا يَزِيدَ، أُعْطِيتُمْ بِأَيْدِيكُمْ، أَلا متُّمْ كِرَامًا**، فَوَ اللَّهِ مَا رَاعَنِي إِلا قَوْلُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْبَيْتِ: «**أَيَا سَوْدَةُ، أَعَلَى اللَّهِ وَعَلَى رَسُولِه (يعني: تؤلبين)**؟ «قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ إِنْ مَلَكْتُ حِينَ رَأَيْتُ أَبَا يَزِيدَ مُجْمُوعَةٌ يَدَاهُ إِلَى عُنُقِه أَنْ قُلْتُ مَا قُلْتُ»[3].
- **قتل عقبة بن أبي معيط:** روى ابن عباس رضي الله عنهما قال: «.. وقتل (النبي ﷺ) عقبة بن أبي معيط قبل الفداء، قام إليه علي بن أبي طالب فقتله صبراً، قال: (عقبة مستعطفاً): من للصبية يا رسول الله؟!: **قال: النار**»[4].

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب الإمداد بالملائكة، ح١٧٦٣.

(٢) أخرجه البيهقي ٩/ ١٧٤، بسند قال فيه الشيخ ابراهيم العلي: صحيح.

(٣) أخرجه ابن هشام في السيرة برقم ٢/ ٣٣٥، وقال الدكتور أكرم ضياء العمري في السيرة النبوية الصحيحة، إسناده صحيح.

(٤) أخرجه الطبراني في الكبير ١٢١٥٢، ورجاله رجال الصحيح، وله شاهد عند أبي داود ح٢٦٨٦، وسند أبي داود حسن، وذكره الدكتور العمري في السيرة الصحيحة، والشيخ ابراهيم العلي في صحيح السيرة برقم: ٣٠٥.

- **أحوال الفداء:** روى ابن عباس رضي الله عنهما قال: «فادى رسول الله ﷺ أسارى بدر، وكان فداء كل رجل منهم أربعة آلاف»[1].

وروى أنس رضي الله عنه قال: «إن رجالاً من الأنصار استأذنوا رسول الله ﷺ فقالوا: ائذن لنا فلنترك لابن أختنا عباس (العباس عم النبي ﷺ وقد تم أسره بعد أن خرج مكرهاً في صفوف جيش مشركي قريش) فداءه، قال: **والله لا تذرون منه درهماً**»[2].

وروى جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: «لما كان يوم بدر أُتي بالعباس ولم يكن عليه ثوب، فنظر النبي ﷺ له قميصاً فوجدوا قميص عبد الله بن أبي يقدر عليه، فكساه النبي ﷺ إياه، فلذلك نزع النبي ﷺ قميصه الذي ألبسه (عند موته)، قال ابن عيينة: **كانت له (لرأس النفاق ابن أُبي) عند النبي ﷺ يد فأحب أن يكافئه**»[3].

- **تعليم أولاد الأنصار:** و«كان ناس من الأسارى يوم بدر لم يكن لهم فداء، فجعل رسول الله ﷺ فداءهم أن يعلِّموا أولاد الأنصار الكتابة»[4].
- **منزلة شهود بدر:** روى رفاعة بن رافع رضي الله عنه قال: «جاء جبريل إلى النبي ﷺ فقال: ما تعدُّون أهل بدر فيكم؟ قال: مِن أفضل المسلمين، - وكلمة نحوها - قال:

---

(١) السابق، وممن ذكرهم الشيخ ابراهيم العلي في صحيح السيرة بأسانيد متفاوتة من حيث الثبوت ممن تم أخذ الفداء منهم: أبو وداعة بن صبرة السهمي، وكانت زينب بنت النبي ﷺ قد بعثت بفداء زوجها أبو العاص بن الربيع مالاً وفيه قلادة لخديجة رضي الله عنها فلما رآها النبي ﷺ رقَّ لها وقال: «**إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها وتردوا عليها الذي لها فافعلوا، فقالوا: نعم يا رسول الله، فأطلقوه، وردوا عليها الذي لها**» أخرجه أحمد ٦/ ٣٧٦، وسنده صحيح، وقد ذكره الشيخ العلي في صحيح السيرة برقم: ٣١١، كما ذكر أيضاً حكاية عمير بن وهب وقد تآمر مع صفوان بن أمية على قتل النبي ﷺ انتقاماً لابنه الأسير عند المسلمين وانتقاماً لهزيمتهم في بدر، فجاء عمير وقعد بين يدي النبي ﷺ فكشفه الله له، فأسلم عمير فقال النبي ﷺ: (**فقِّهوا أخاكم في دينه، وعلموه القرآن، وأطلِقوا أسيره، ففعلوا**) فحلف أن ينصر دين الله تعالى كما كان جاهداً في إطفائه، ح٣٠٨ عنده بإسناد حسن.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب ١٢، ح٤٠١٨، وقد قال العباس رضي الله عنه بعد ذلك: فيَّ نزلت: «ما كان لنبي أن يكون له أسرى...»، فأخبرتُ النبي ﷺ بإسلامي وسألته بالعشرين الأوقية التي أُخذت معي، **فأعطاني بها عشرين عبداً، كلهم قد تاجر بمال في يده، مع ما أرجو من مغفرة الله تعالى**» أخرجه الطبري في التفسير بسند صحيح ١٤/ ٧٣، وكان علي رضي الله عنه في ذات السياق يقول يوم بدر: «ان استطعتم أن تأسروا من بني عبد المطلب فإنهم خرجوا كرها» في إشارة إلى الأسر دون القتل، ذكره الشيخ العلي في صحيح السيرة برقم ٢٩١.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب الكسوة للأسرى، ح ٣٠٠٨.

(٤) أخرجه أحمد ٤/٤٧، وقال الشيخ أحمد شاكر: إسناده صحيح.

وكذلك مَن شهد بدراً مِن الملائكة»[1].

وروى جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لن يدخل النار رجل شهد بدراً أو الحديبية»[2].

ولما فعل حاطب رضي الله عنه قُبيل فتح مكة ما فعل، قال النبي ﷺ: «لعل الله اطلع على أهل بدر فقال: **اعملوا ما شئتم، فقد وجبت لكم الجنة، أو فقد غفرتُ لكم،** فدمعتْ عينا عمر، وقال: **الله ورسوله أعلم**»[3].

- **ومن شهداء بدر وعددهم أربعة عشر رجلا**[4]: عبيدة بن الحارث، وعمير بن أبي وقاص، وصفوان بن بيضاء، وسعد بن خيثمة، وعمير ابن الحمام، وحارثة بن سراقة، رضي الله عنهم.
- **من بركات بدر اللاحقة**: روى أبو موسى رضي الله عنه قال: قال ﷺ: «وإذا الخير ما جاء الله به من الخير بعد، **وثواب الصدق الذي آتانا بعد يوم بدر**»[5].
- **تكريم أيتام الشهداء**: روى ابن أم الحكم أو ضباعة ابنتي الزبير، عن إحداهما، أنها قالت: «أصاب رسول الله سبياً، فذهبتُ أنا وأختي فاطمة بنت النبي ﷺ إلى النبي ﷺ، فشكونا إليه ما نحن فيه، وسألناه أن يأمر لنا بشيء من السبي، فقال رسول الله ﷺ: **سبقكن يتامى بدر**»[6].
- **توجيهات القائد في المواقف الصعبة**: روت الربيِّع بنت معوذ قال: «دخل عليَّ النبي ﷺ غداة بُنيَ عليَّ، فجلس على فراشي كمجلسك مني، وجويريات يضربن بالدف، **يندبن من قُتل من آبائهن يوم بدر**، حتى قالت جارية: وفينا نبيٌّ الله يعلم

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب شهود الملائكة بدراً، ح٣٩٩٢.

(٢) أخرجه مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب أهل الشجرة، ح٢٤٩٦.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب فضل من شهد بدراً، ح٣٩٨٣.

(٤) ذكرهم الدكتور سيد العفاني في كتابه: أنوار الفجر في فضائل أهل بدر، ط دار العفاني، ط١، ٢٠٠٦م، ج١، ص١٤٠.

(٥) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب ١٠، ح٣٩٨٧.

(٦) أخرجه أبو داود، كتاب الأدب، أبواب النوم، ح٤٤٠٦، وقد ذكره الشيخ الألباني في الصحيحة برقم: ٢٩٨٧، وقال: هو صحيح.

ما في غد، فقال النبي ﷺ: لا تقولي هكذا، **وقولي ما كنت تقولين**»[1].

- **من فقه الموازنات:** روى ابن عباس رضي الله عنهما، في تفسير هذه الآية، قال: نزلت في العباس بن عبد المطلب حين أُسر يوم بدر قال: **لئن كنتم سبقتمونا بالإسلام والهجرة والجهاد، لقد كنا نعمر المسجد الحرام**، ونسقي [الحاج] ونفكُّ العاني، قال الله - عز وجل -: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾﴾ التوبة: ١٩ يعني أن ذلك كان في الشرك، ولا أقبل ما كان في الشرك»[2].
- **تسمية من سُمِّي من أهل بدر:** ذكر الامام البخاري أسماء عدد ممن شهدوا بدراً وهم: **النبي محمد بن عبد الله الهاشمي** ﷺ، إياس بن البكير، بلال بن رباح مولى أبي بكر القرشي، حمزة بن عبد المطلب الهاشمي، حاطب بن أبي بلتعة حليف لقريش، أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة القرشي، حارثة بن الربيع الأنصاري قُتل يوم بدر، وهو حارثة بن سراقة، كان في النظَّارة، خبيب بن عدي الأنصاري، خنيس بن حذافة السهمي، رفاعة بن رافع الأنصاري، رفاعة بن عبد المنذر، أبو لبابة الأنصاري، الزبير بن العوام القرشي، زيد بن سهل، أبو طلحة الأنصاري، أبو زيد الأنصاري، سعد بن مالك الزهري، سعد بن خولة القرشي، سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل القرشي، سهل بن حنيف الأنصاري، ظهير بن رافع الأنصاري، وأخوه عبد الله بن عثمان، أبو بكر الصديق القرشي، عبد الله بن مسعود الهذلي، عتبة بن مسعود الهذلي، عبد الرحمن بن عوف الزهري، عبيدة بن الحارث القرشي، عبادة بن الصامت الأنصاري، عمر بن الخطاب العدوي، عثمان بن عفان القرشي، خلَّفه

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب شهود الملائكة بدراً، ح٤٠٠١.

(٢) أخرجه ابن جرير في التفسير، ١٠/ ٩٥، وذكره الشيخ ابراهيم العلي في صحيح أسباب النزول برقم: ١٩٧، وقال: الحديث حسن، وفي رواية النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال: «كنت عند منبر رسول الله ﷺ فقال رجل ما أبالي أن لا أعمل عملاً بعد الإسلام إلا أن أسقي الحاج، وقال آخر: ما أبالي أن لا أعمل عملاً بعد الإسلام إلا أن أعمر المسجد الحرام، وقال آخر: الجهاد في سبيل الله أفضل مما قلتم، فزجرهم عمر وقال: لا ترفعوا أصواتكم عند منبر رسول الله ﷺ وهو يوم الجمعة، ولكن إذا صليت الجمعة دخلت فاستفتيته فيما اختلفتم فيه، فأنزل الله عز وجل: «أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر» الآية إلى آخرها، أخرجه مسلم، كتاب الإمارة، باب فضل الشهادة في سبيل الله، ح ٣٤٩١.

النبي ﷺ على ابنته، وضرب له بسهمه، علي ابن أبي طالب الهاشمي، عمرو بن عوف حليف بني عامر بن لؤي، عقبة بن عمرو الأنصاري، عامر بن ربيعة العنزي، عاصم بن ثابت الأنصاري، عويم بن ساعدة الأنصاري، عتبان بن مالك الأنصاري، قدامة بن مظعون، قتادة بن النعمان الأنصاري، معاذ بن عمرو بن الجموح، معوذ بن عفراء، وأخوه مالك بن ربيعة، أبو أسيد الأنصاري، مرارة بن الربيع الأنصاري، معن بن عدي الأنصاري، مسطح بن أثاثة ابن عباد بن المطلب بن عبد مناف، مقداد بن عمرو الكندي، حليف بني زهرة، هلال بن أمية الأنصاري»[٣].

أبرز الأنوار والفوائد

- أنوار وفوائد في المجال التزكوي القيمي النفسي (التربوي):

- يحق للأوائل أن يفتخروا، وأن تُسجل أسماءهم على قوائم الشرف، وما كان ذكر سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه كأول رامٍ بسهم في سبيل الله، إلا تكريماً له على هذه السُّنة التي له أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة.
- التربية والتهذيب بالموقف أو على إثر الموقف كانت هي السمة الغالبة في المنهج التربوي النبوي، ولقد كانت وقفة النبي ﷺ عند ذلك الرجل الذي لعن دابته صريحة وواضحة بأن اللعنة لا تجوز حتى على الدواب والهوام، كما أعقبها النبي ﷺ بتعليل واضح لهذا الحكم، وهو حتى لا يصادف ذلك ساعة استجابة فنؤذي أنفسنا ومَن حولنا.
- لم يكن اعتذار أبي عبيدة رضي الله عنه عن السرية التي كُلف بقيادتها جُبناً ولا خوفاً، بل حباً وشوقاً للنبي ﷺ، لأجل ذلك وجد من النبي ﷺ صدراً حانياً وقلباً واسعاً، ولم يلقَ منه تعنيفاً ولا ممن حوله طعناً أو اتهاماً، فقبل اعتذاره وأعطى إمارة السرية لعبد الله بن جحش رضي الله عنه.
- كان تحويل القبلة بأمر من الله تعالى اختباراً كبيراً في مرحلة مبكرة من عمر الدعوة

(٣) ذكرهم البخاري في كتاب المغازي، في ترجمة باب تسمية من سمي من أهل بدر، ج٧/ ٤١٤.

المدنية، وإن جاء في مرحلة متوسطة بشكل عام من عمر الدعوة الإسلامية، وقد كان من أعظم الاختبارات في تلك الفترة بالنسبة للمسلمين الذين أراد الله تعالى أن يربيهم على عقيدة التسليم والرضا واليقين التام بكل أمر يصدر عنه، ذلك أنه سبحانه وتعالى الحكيم العليم، وأنه يخلق ما يشاء ويختار، وأن أمره وتشريعه الأول يوم كانت القبلة نحو بيت المقدس لم يكن خطأً ثم جاء التعديل، بل كان صواباً مؤقتاً محدوداً، ثم تبعه صواب مفتوح بلا تحديد، ولقد نجح الأصحاب في الاختبار، سيما وقد تحول بعضهم أثناء الصلاة إلى القِبلة الجديدة، ولم ينتظر حتى ينتهي منها.

- في التفصيل الذي ذكرته عائشة رضي الله عنها عن حادثة زواجها بالنبي ﷺ ما يدلك على شدة عناية النساء بدقائق تفاصيل الحوادث والمشاهدات، وفي ذلك أيضاً بيان للعُرف الذي كان سائداً آنذاك بجواز وقبول تزويج الصغيرة، وهي لاشك تحمل من الصفات النفسية والفسيلوجية الجسدية ما يجعلها مؤهلة لذلك، ولقد أثار المغرضون شبهاتهم حول زواج النبي ﷺ بالصغيرة، ولو أنهم أنصفوا لعلموا أن النبي ﷺ وقد دخل بها في وقت أدخلته الحالة السياسية في المدينة آنذاك في موجة عاصفة من السرايا والغزوات، ومِن ثَمَّ لم يكن ليتفرغ لها، فهو ليس بطالب شهوة، وقد كان يمضي نهاره مجاهداً، وليله عابداً، كما أنه يعطي حقاً لسائر نسائه اللاتي كان لزواجه بكل واحدة منهن بعد ذلك حكمة، ولعل من أعظم حِكَم زواجه بعائشة رضي الله عنها تمتين العلاقة بصديقه أبو بكر رضي الله عنه من جهة، ولما لمس من نباهة وذكاء وفطنة لدى الصغيرة عائشة (آنذاك) وكأنه توسم بها الخير، لتصير حاملة ديوان السّنة، ومُعلمة الصحابة رضوان الله عليها (لاحقاً)، ومما ينبغي إدراكه هنا أن زواج عائشة رضي الله عنها كان بعد رؤيا للنبي ﷺ، ورؤيا الأنبياء حق، فقد روت عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال لها: «أريتك في المنام مرتين؛ أرى أنك في سرقة من حرير، ويقول: هذه امرأتك، فاكشف عنها فإذا هي أنت، فأقول: **إن يك هذا من عند الله يُمضه**»[1].

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب تزويج النبي ﷺ عائشة، ح ٣٦٨٢.

- ما أصعبه من شـــعور على النفس السوية أن يتنزل قرآن كريم من رب رحيم يصف كل متخاذلٍ عـــن درب الجهاد بصفات مثل: المخلفين، القاعدين، وغيرها، لكن يبدو أن هذه الصفات لم تعد تحرك ساكناً لدى من تحقق بأوصافها من المنافقين.
- تجلى مبدأ التربية بالقدوة، وغرس القيم بالتعايش، بشـــكل كبير في موقف النبي ﷺ يـــوم رفض عرض أبو لبابة وعليّ رضي اللـــه عنهما بالمشي عنه، وكانا زميلي الرسول ﷺ في أثناء المســـير إلى بدر، فهما ليسا بأقوى منه، ولا هو بأغنى منهما عن الأجر، إنها قيمـــة التنافس في الأجر التي ترجمتها خطوات النبي ﷺ وجهده وتعبه وليس مجرد كلماته الوعظية عن بُعد.
- ثبت أن الفارس الوحيد في طرف المســـلمين يوم بدر هو المقداد بن عمرو، وهو الصحابي الذي جاء هاربـــاً من المشركين قُبيل غزوة بدر بأشـــهُر قليلة، ولك أن تنظر كيف حوَّل الاســـلام طاقة هذا الرجل الســـلبية لتصب بعد إسلامه والتحاقه بالمؤمنين إلى طاقة إيجابية متقدمة، وهذا شأن الإيمان الصادق في النفوس.
- بلغت الســـكينة مبلغها في نفوس الصحابة ليلة غزوة بدر حتى أنهم ناموا جميعاً، وبلغ الشـــعور بالمســـؤولية مبلغه في نفس النبي ﷺ حتى أنـــه ظل منتبهاً يصلي ويبكي ويناشد ربه.
- كانت الغبطة والحســـد الإيجابي بين أصحاب النبي ﷺ على مواقف الشرف التي يســـبق بعضهم بعضاً إليها، لأجل ذلك أبدى عبد الله بن مســـعود إعجابه الشديد بموقف المقداد بن الأســـود قُبيل بدر، وتمنى لو أنه يكون هو صاحبه، رضي الله عنهما.
- الدعاء دليل اعتراف العبد بعجزه ويقينه التام بقوة ربه سبحانه، لاسيما في مواقف الشـــدة وعند اختلال موازين القوى، وإلا ماذا ينفع جيشٌ قليل عدد أفراده، ضئيل ما يملكون من عدة وعتاد؛ أمام جيش كبير ومدجج؟!

وهنا يبرز دور الضعيف في الاستعانة بمصدر القوى كلها وبإلحاح شديد، حتى إن النبـــي ﷺ قال كلاماً يشي في ظاهره أنه لا يتخيل أن يكون على وجه الأرض أحد عابد لله تعالى إن قضى الله تعالى بهلاك جنده في تلك الغزوة، وليس هذا المعنى

مقصوداً من كلام النبي ﷺ بقدر ما قصد التشديد على خطورة الموقف والمبالغة في استعطاف ربه الرحيم، ولثقته التامة بمنهجه الرباني الذي هداه الله تعالى إليه، وكأنه يؤكد أنه ليس في زمانه وهو خاتم الأنبياء والمرسلين أحد يَعبد الله سواه هو ومن معه من عصابة المؤمنين، فهم بالتالي يستحقون نصرك إن شئت يا الله، فلم يكن الموضوع موضوع دعاء عابر، بل هي الاستغاثة واستمطار النصر من القادر عليه سبحانه (إذ تستغيثون).

- لا تزال في النفس البشرية مهما سمت وارتقت عوالق من حب الدنيا أو الخوف والفزع من المواجهة وما يعتريها من هواجس الموت، ولقد كانت المفاجأة كبيرة في أن يتحول المشهد من طلب وملاحقة العير إلى تعبئة للنفير، فلا غرابة في شيء من التردد أو الفزع أو المجادلة وطلب التوقف عن الاستمرار عند هذا الموقف الخطير، حتى ولو كان وعد الله حاضراً بالنصر بين يدي تلك الفئة المؤمنة مع نبيها الكريم.
- هلك أمية بن خلف لأجل تبعيته العمياء لأبي جهل، وماذا كان ليحصل لو عزم هذا الرجل أمره وأصغى لخطاب العقل وترك أبا جهل يخوض معركته الخاسرة وحده؟!
- تحتاج شخصية أبي جهل إلى دراسة منفردة لاكتشاف ما حوته هذه الشخصية المتكررة في التاريخ من تعقيدات، لعلنا نقدم تلك الدراسة إلى كل من تنزع نفسه إلى التشبُّه به لاسيما ونحن نعلم مصيره المشؤوم، أو أن نفيد منها نحن في صراعنا مع أمثال أبي جهل عبر الزمن، ولعل من أغرب ما برز من هذا الإنسان قبيل غزوة بدر ما قام به من استفتاح دعا فيه على نفسه بالهلاك، فهل كان أبو جهل يظن نفسه على صواب، أم أن حاله كحال الذين ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [النمل: ١٤]. لاشك أنه جاحد عليم، وإلا لما كان مصيره العذاب الأليم، ولقد كان يقول بأن محمداً رسول الله ﷺ قاطع للرحم، وأنه أتى قومه بما لا يُعرف، **والصحيح أن أبا جهل يعلم بأن نبينا الكريم فرَّق قومه على الحق في وقت كان أبو جهل يجمعهم على الباطل**، كما أن نبينا

الكريـــم لم يأت بما لا يُعرف، وإن كان قد خالف الأعراف الخبيثة في قومه، وكان أبو جهل يريدها على ما هي عليه من كفر وعهر.

- ليس أعظم من ثبات القائد في المواقف الصعبة في باب القدوة الحســنة والتربية الميدانية ولقد شهد علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ للنبي ﷺ بذلك في غزوة بدر، وكان ذلك ملهِماً له شخصياً ولغيره من الأصحاب في مواقف ومواجهات لاحقة.
- بتتبعي لمواقف البطولة التـــي برزت في غزوة بدر لدى صحابة النبي ﷺ وجدت أنها كلها على تعدد أشكالها وصورها تنبثق من عقيدة راسخة ويقين خالص بوعد اللـــه تعالى، وإدراك تـــام لحقيقة ووزن الحياة الدنيا في مقابـــل ما أعد الله تعالى للمجاهدين والشـــهداء عنده في عليين، ولولا هذا اليقين الراسخ والتصديق الذي لا يخالطه شـــك، ما تحرك متحرك من بيتـــه للمواجهة، ولا تصدى متصدٍّ بصدره العاري للموت دفاعاً عن الإسلام ورسول الإسلام العظيم.
- التبشـــير والتفاؤل وبث الأمل من أكبر القيم النفســـية التي كان النبي ﷺ يحرص على بثها رفعاً للمعنويات قبل وأثناء المعمعة.
- شاءت إرادة الله تعالى في أن تمرغ أنف الطاغية أبي جهل يوم أن أرسل الله تعالى له غلامين من الأنصار في بدر ليقتلاه، وهو كبير قومه وصاحب الكلمة المشؤومة فيهم، وزاد في إذلاله وقد جعل الضربة القاضية له على يد الصحابي الجليل رقيق الهيئة عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فهل أسوأ حالاً من رجل أذله الله، وهل أكرم حالاً من فتية رضعوا لبان حب نبيهم ﷺ وانقضُّوا كالصقور ليس لهم هدف سوى إراحة الدنيا من شرور فرعون هذه الأمة.
- مـــن أبرز المواقف الدالة على الوفاء في غزوة بدر موقف مقتل أمية بن خلف بعد محاولات عبد الرحمن بن عوف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الأكيد والشـــديدة لحمايته من سيف بلال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وســـيوف الأنصار معه، ولقد كان الوفاء بالعهد لدى عبد الرحمن بن عوف مقدماً على مقاتلة هذا الرجل الكافر، والذي يبدو أنه لم يكن مشاركاً بشكل مباشر في تلك الغزوة، أو أنه كان يترنح مع المأسورين فيها، ودليل ذلك تردده قبلها على خلفية رؤيا أخبره بها صديقه اليثربي سعد بن معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وعلى الرغم من ذلك لم

تفلح أسباب حمايته التي اتخذها حليفه عبد الرحمن بن عوف من إنقاذه، بل مات مقتولاً في تلك الغزوة، وأصيب أثناء ذلك صاحبه الوفي.

- في حكاية السيف الذي رغب به سعد بن أبي وقاص من سلب غزوة بدر، ومنع النبي ﷺ له من أن يأخذه، على الرغم من شدة بلاء سعد في تلك الغزوة، ما فيها من التأديب الميداني على قيمة التعفف فيما لا يملك المرء، فلما ملك النبي ﷺ السيف بعد توزيع الغنائم أهداه لسعد، في مشهد تمم فيه النبي ﷺ تربيته لسعد على تلك القيمة الكريمة.
- رفع الله تعالى منزلة أهل بدر درجات عالية وذلك لأنه اطلع على قلوبهم فوجدها بيضاء صافية، ولما لبدر من رمزية كبيرة بوصفها الغزوة الأولى في الإسلام، لأجل ذلك كان مَن شهد بدراً من الناس كمن شهدها من الملائكة من الخيرة الخيرة، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء من عباده السابقين في الخيرات.
- لم يكن لبعض كلمات التشجيع التي كان يطلقها النبي ﷺ دورها السلبي في نفوس الصحابة بل كان لها دور إيجابي يعزز حسن الانتماء عند هؤلاء لله ولرسوله وللمؤمنين، وإلا فإنه ليس ثمة أخطر من أن يقال لشخص أو لفئة: اعملوا ما شئتم فإني قد غفرت لكم، ولولا الصدق الذي آتاهم الله ما نجحوا ولا أفلحوا في الدارين.
- مما قيل أن حسان بن ثابت رضي الله عنه قاله في بدر للتأثير على معنويات كفار قريش:

فما نخشى بحول الله قوماً ... وإن كثروا وأجمعت الزحوف
إذا ما ألَّبوا جمعاً علينا ... كفانا حدهم رب رؤوف
سمونا يوم بدر بالعوالي ... سراعاً ما تضعفنا الحتوف
فلم تر عصبة في الناس أنكى ... لمن عادوا إذا لقحت كشوف
ولكنا توكلنا وقلنا ... مآثرنا ومعقلنا السيوف
لقيناهم بها لما سمونا ... ونحن عصابة وهم ألوف[1]

- ومما قيل في التفريق بين الحالة النفسية لكلا الجيشين، يقول الأستاذ جمال

(١) السيرة النبوية، ابن هشام، ٣/ ٢٦.

حماد: «شـتان بين فريق لا يهمه أن يعيش وهو إذا استشهد فخير له من أن يبقى، ووراءه في المدينة من ينصر الله ودينه ونبيه أشـد من نصرتهم له، فهو إذا يحارب فإنه سيُقبل على مضان الموت ويتحراها، وفريق آخر يحرص في جنون على حياته ويهيم باللذات الدنيوية التي يتعشـقها، ورؤساؤه أحرص منه على انتهاء المعركة على أكثر ما يكون من العجلة والسرعة كي يرجعوا إلى سلطانهم وملاهيهم»[1].

- أنوار وفوائد في المجال التأثيري الاجتماعي التواصلي (الدعوي):

- يمارس الفاسـدون الفاسـقون الفاجرون الكافرون بين الحين والآخر شـيئاً من المزاودات على القيم العليا، إن رأوا شريفاً نبيلاً يتجاوزها بطريق السهو أو الخطأ، كـما حصل من اعتراض المشركـين على الصحابة الكرام الذيـن قتلوا منهم في الأشهر الحرم، وهل يحق لمن ارتكب الموبقات كلها أن يعترض على الأطهار؟! فتتنزل آيات الله تعالى تدافع عـن الذين آمنوا، وتتابع ردها حتى على الذين ظنوا بأنه لا أجر لمجتهد وإن أخطأ في اجتهاده.
- في تشريع الله تعالى ورسوله ﷺ للصيام في مرحلة مبكرة من عمر الدعوة المدنية وما تـلاه من تشريع صدقة الفطـر والزكاة وصلاة العيد، ما فيـه من تأكيد لقيمة إحسـاس وشعور المسـلم بإخوانه المسـلمين، وهذا ما يزيد من روابط الأخوة فيما بينهم، فالمسـلم يجوع في رمضان ليشـعر بجوع إخوانـه طوال العام، وهو يتفاعل معهم بصدقة الفطر ليسد شيئاً من حاجتهم، حتى لو كان هو محتاجاً لها، فصدقة الفطر على كل مسلم، وتأتي صلاة العيد، ويأتي العيد ليعلن مبدأ التواصل والتحابب فيصافح المسـلم إخوانـه ويصفح عنهم، ويظل المجتمع متماسـكاً بلا خروقات ولا تشـوهات، وهكذا نلاحظ انسجام تطور التشريع الإسلامي مع مبدأ الرعاية لنفس الفرد المسـلم من جهة، ومع مبدأ التكامل والتكافل المطلوب للمجتمع المسلم كله من جهة أخرى.
- كان النبي ﷺ يتفقد أصحابه فيواسـيهم عند مصابهم ويفرح لفرحهم، وما زيارته

(١) غزوة بدر الكبرى من الناحية العسكرية والسياسية، ط١، ط الجمهورية العربية المتحدة، ص٧٤.

لسعد بن عبادة رضي الله عنه عند مرضه إلا نوع من الصلة والتواصل، وباب من أبواب حقوق الأخ على أخيه.

- كان النبي ﷺ يستثمر كل تجمع في الشارع أو في السوق لعرض دعوته الرقيقة، وقراءة شيء من كتاب الله تعالى على المجتمعين في ذاك المكان، حتى وإن واجه صدوداً من رأس النفاق آنذاك.
- مهما حاول المنافقون إخفاء قبح سرائرهم إلا أن الله تعالى يفضحهم بلحن قولهم، وإلا فكيف لعبد الله بن أبي وهو المنافق المحسوب على فئة المسلمين أن يتفوه بكلام سخيف يبدي فيه تضجراً من دعوة النبي ﷺ، ويدعوه لأن يحصرها في مجلسه، وأن لا يتحرك بها بين الناس؟!!
- لقد كانت لغة التحدي واضحة في كلمات عبد الله بن رواحة رضي الله عنه ذاك الصحابي الكبير، وهو يسمع كلمات المنافق عبد الله بن أبي، وهكذا ينبغي أن يكون المؤمن منافحاً عن الحق، مدافعاً عن الاسلام إن دعت الحاجة لذلك ودون مواربة.
- أثمرت تربية عمر رضي الله عنه في ابنه عبد الله رضي الله عنه وقد عرض نفسه يوم بدر على النبي ﷺ ليكون من المقاتلين، إلا أن سِنَّهُ الصغيرة لم تكن لتسمح له بخوض المعامع فرجع.
- لم تكن شدة المواقف يوماً لتبيح للنبي ﷺ نكث العهد وخيانة الوعد، وهذا ما أكده موقفه ﷺ من العهد الذي قطعه حذيفة بن اليمان ووالده رضي الله عنهما للمشركين قبيل غزوة بدر، بأن طلب منهما الوفاء بعهدهما للمشركين، وتركَ القتال معه، طالما أنهما وعدا بذلك.
- تجلت قيمة الاستعانة بالله تعالى قبيل غزوة بدر يوم أن رفض النبي ﷺ الاستعانة بالمشرك، في إشارة منه إلى أن العون إنما يكون من الله تعالى، وفي تعليقه بعد أن طلب من حذيفة ووالده الوفاء للمشركين بأن الله تعالى كافيه، وعونه له يغنيه (ونستعين الله عليهم).
- بلغت عنجهية الكفر مستويات قبيحة بين يدي المبارزة أول المعركة يوم رفض عتبة بن ربيعة وقد ركب رأسه إلا أن يخرج له الأكفاء من قومه، ليموت على أيديهم

وليس على أيدي الأنصار، ويبدو أنه كانت هذه مسألة معروفة عند العرب سابقاً من شدة خشيتهم من التعيير حتى بعد موتهم، ولذلك نجد أبا جهل يقول لحظة موته وقد رأى عبد الله ابن مسعود يعلوه يوم بدر: لو غير أكَّار (فلاح) يقتلني!.

- بعض الروايات في السيرة يرويها بعض من كان على الكفر ثم أسلم، فيكون لها تأثير بالغ لاسيما وهي تحكي رؤية وحالة وموقف المشركين من داخل صفوفهم، ومن ذلك رواية الصحابي الجليل حكيم بن حزام لمشهدٍ من مشاهد غزوة بدر بعدما أسلم، وقد شارك فيها مع جيش المشركين قبل إسلامه.
- تحكي أم حارثة كما يحكي عروة بن الزبير حكاية ما جرى لأقرب الناس لهم في غزوة بدر، فأم حارثة تتمنى لابنها الشهيد القبول، وعروة يصف بطولة والده، وبصمات الغزوة على جسده ورمحه، وهل أجمل وأكرم من اعتزاز القريب بقريبه في ميادين البطولة والفداء.
- مشاركة في أسر بعض المشركين، ومشاركة في قتل بعضهم الآخر، ثم ترك الميدان لرجال الإسلام في الغزوة ليؤدوا أدواراً طليعية متألقة، هكذا كانت مشاركة الملائكة في الغزوة، وإلا لكان الحسم الرباني المبكر حليف جيش الإسلام، لكنها ليست معركة الملائكة بقدر ما هي معركة جند الإسلام من البشر، مع جند الباطل كذلك من البشر.
- تركَ التواصل بين النبي ﷺ وبين قتلى بدر عند توبيخه لهم أثره البالغ في نفوس الصحابة، كيف لا، وهم يرون حالة الذل والهوان التي وصل إليها مَن كانوا أعزة قومهم.
- في إعطاء النبي ﷺ لعثمان بن عفان رضي الله عنه من غنائم بدر على الرغم من غيابه عنها لأجل اشتغاله بمعالجة زوجته رقية ابنة النبي ﷺ دليل على أهمية المواساة لنفوس من نكلفهم بأعباء خاصة أثناء النفير للغزوات، لاسيما وأن النبي ﷺ قد علم بوفاة ابنته عند انتهاء تلك الغزوة، فلم يرد أن يضيف إلى عثمان عبء حرمانه من الغنيمة والتي ترمز إلى مشاركته في تلك الغزوة، إلى عبء فقدانه لزوجته الحبيبة.
- حاول عقبة بن أبي معيط استعطاف النبي ﷺ وهو مَن هو في قبحه وشدة بأسه

على الإسلام والمسلمين، فكانت إجابة النبي ﷺ له قاسية تليق بوجهه الكالح، وكان ثاني اثنين أهدر دمهما بعد بدر، ولم يقبل منهما بالفداء.

- رفع النبي ﷺ عن نفسه حرج قبول فداء أبي العاص بن الربيع زوج ابنته زينب رضي الله عنها بأن قام باستشارة المسلمين بشأن فكاك أسره، وردِّ فدائه الذي كان عبارة عن قلادة لرقية من أمها خديجة رضي الله عنهما.
- يجد بعضهم ما يبيح لنفسه الكفر أو العهر أو الفسوق والمجون والعصيان عند إكرام الله لهم بما يفرحهم ويسعدهم، كما يجد آخرون ذلك ذريعة لهم عند حزنهم وإصابتهم في أحبابهم، ومن هنا لابد أن يقف الدعاة مبشرين ومنذرين لئلا يهلك الناس ويضلوا عندئذ، ومن هنا لم يترك رسولنا ﷺ التوجيه والتوعية في موطن العزاء والحزن على شهداء بدر عندما رأى ما لم يعجبه آنذاك.
- فتِّشْ عن حجم العلاقة والمحبة بين الصحابة رضي الله عنهم وبين النبي ﷺ فسيسعدك ما ترى من نماذج رائعة في طبيعتها وتوقيتها، وها هو ذا سواد بن غزية الذي لم يُسمع له في السيرة سوى موقف واحد يلخص حجم تلك العلاقة الحميمية بينه وبينهم، فهو يخترع وسيلة مميزة وغريبة في ظرفٍ حرج ليبرهن على عشقه لقائده، بإحكام التواصل القريب معه، فرضي الله عن سواد، ولا يزال واجبنا قائماً في حسن صلة بعضنا ببعض لنفوِّت الفرصة على أي اختراق يستنزف صفنا.
- كما أن لبعض المعاصي والذنوب والأخطاء شؤماً يلاحق صاحبه حيثما حلَّ وارتحل فإن لبعض المواقف الكبير بركة تلزم صاحبها ولو بعد حين، لأجل ذلك كان ولا يزال تكريم أهل بدر حاضراً في كل موقف لاحق لها، ومن هنا قال ﷺ: سبقكم به يتامى بدر، والتكريم هنا لم يكن لأهل بدر وإنما لأبناء شهدائهم، فما أعظم البر والوفاء، وهنيئاً لأبناء الشهداء.

- أنوار وفوائد في المجال المعاشي الاقتصادي:

- تحمل كلمة «ظُلموا» في قوله تعالى ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾ الحج: ٣٩ في طياتها معاني أكبر مما يصوره البعض من أن

ظُلم قريش للنبي ﷺ وأصحابه كان ظلماً مادياً يتعلق بمكتسبات خسرها الصحابة واستولى عليها مشركو مكة فحسب، فالحقيقة أن الظلم النفسي والأذى المعنوي الذي لحق بهم أكبر، وما قطعُ تجارة قريش إلا ضرب على الوتر الحساس الذي يؤذيهم، ألا وهو الوتر المادي، فضلاً عما تشكله طلعات النبي ﷺ وسراياه من كسر لكبرياء قريش وغطرسة سادتها.

- استخدم النبي ﷺ بين يدي مهاجمة قافلة قريش القادمة من الشام أسلوب التحفيز المادي: (لعل الله أن ينفلكموها)، ولولا أن للمسلمين حق في هذه التجارة والمال ما قرر النبي ﷺ طلبها، ولا يتنافى هذا الأسلوب مع صدق النية وخلوصها لله تعالى.
- صحيح أن عدد أصحاب النبي ﷺ يوم بدر كانوا بعدد أصحاب طالوت لا يزيدون على بضعة عشر وثلاثمائة رجل، إلا أن تخليد القرآن الكريم لبطولات هؤلاء وأولئك إنما يدل على أن العبرة ليست بأعداد الرجال بقدر ما هي في الثبات عند مواقف النزال، وليس أي نِزال، فلقد أخذت هذه المواجهات قيمتها من أسبقيتها، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.
- في رد النبي ﷺ الصغار من أصحابه كأمثال عبد الله بن عمر رضي الله عنه عن المشاركة في القتال دليل على أنه عليه الصلاة والسلام كان مُقتصداً في استثمار الموارد البشرية على الرغم من حاجته لكل مشاركة، ولكنه كان يدَّخرهم لصولات وجولات أخرى وفي مختلف المجالات.
- كان في بعض أداء وسلوك النبي ﷺ قبيل بدر ما يشي باهتمامه في الجانب المعاشي الاقتصادي، لأن من أكبر معطلات مسيرة الجهاد والدعوة والخير حصول ضيق أو مجاعة أو قلة ذات يد، لأجل ذلك كان من دعائه: اللهم إنهم جياع فأطعمهم، وإنهم عراة فاكسهم.
- يدخر الله تعالى للناس جزاء أعمالهم، ثم يوفيهم إياها في لحظة حسم في الدنيا قبل الآخرة، ولقد كانت بدر مكافأة للمؤمنين على صبرهم طوال المرحلة المكية كلها، مثلما كانت عقوبة وانتقاماً من عتاولة الكفر الذين لم يتوقفوا عن محاربة المؤمنين

سابقاً، وصدق الله: ﴿ يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ الدخان: ١٦

- على الرغم مما يحققه أخذ الفداء من الأسرى من مصالح اقتصادية ومعاشية ونفسية واجتماعية بالغة، إلا أن الله تعالى عاتب نبيه الكريم ﷺ في قبول الفداء من أسرى بدر لما أراده الله تعالى من تأكيد إيجاع قريش حتى لا تسول لها نفسها بالكرِّ على المدينة ثانية، ثم أقره على ذلك فكانت فوائد الفداء جليلة ومردوده مفيداً.
- يقول الدكتور عماد الدين خليل: «كان تشريع خُمس الغنائم في أعقاب بدر ذا خطورة عظيمة نظراً لأنه أول تشريع قرآني مالي رسمي غير الزكاة توطد به بيت المال في الإسلام وتيسر تحقيق ما دعا إليه القرآن من مساعدة الطبقات المحتاجة والإنفاق في سبيل مصالح المسلمين العامة، بأسلوب رسمي غير قائم على التبرع»[1].

- أنوار وفوائد في مجال إدارة المواقف والسياسة الشرعية:

- كان الاتصال المبكر بين زعماء قريش ومنافقي المدينة المنورة متوقعاً، ولقد كانت لغة التهديد فيه واضحة من كفار مكة إلى منافقي المدينة، ولقد أحسن النبي ﷺ في إدارته لهذا الموقف الصعب وهو يرى زعيم المنافقين ومَن معه من عبدة الأوثان يُبدون استجابة لتهديد كفار مكة في التحريش على النبي ﷺ، حيث ردهم إلى العقل مبيناً لهم أن قتالهم له يعني قتلهم لأولدهم بأيديهم، فخمدت الفتنة وردَّ الله كيد المشركين والمنافقين في نحورهم، لكن سعي كفار مكة لم يتوقف، فكان ما كان من اتصال بيهود، وما جرى عندئذ من سرعة مبادرة النبي ﷺ إليهم وتهديدهم، وما تلى ذلك من حصار وإجلاء لهم، وهكذا هو الكفر لا يتوقف، بل يتصل ويتواصل، ويرغي ويزبد، ويرغب ويرهِّب في باب حصار حركة النهضة الإسلامية، بل ويطاردها حتى لو خرجت عن حيز نطاقه الجغرافي، ولا ينفع مع ذلك إلا مزيد من الحذر والانتباه مع سرعة بديهة، وشجاعة نفس.

---

(١) دراسة في السيرة، الدكتور عماد الدين خليل، ص١٥٤.

- أحسنَ المقداد بن الأسود وعتبة بن غزوان رضي الله عنهما في استثمار واحدة من هجمات النبي ﷺ على قوافل قريش، وكانا قد خرجا فيها جبراً مع المشركين، لينحازا إلى صفوف المسلمين عندئذ، فربَّ ضارة يستثمرها اليقظ المنتبه فيحولها إلى نافعة، وهكذا هي إدارة الحياة.
- كانت إدارة أزمة تحويل القبلة ربانية خالصة، باعتبار أن الأمر بتحويلها لم يكن من النبي ﷺ، لأن النبي ﷺ كان يقف عند حدود رغبته في أن تتحول القبلة عن بيت المقدس، وهو يُقلب وجهه في السماء، دون أن يجرؤ على إبداء أي اعتراض على ترتيب الله تعالى، لأجل ذلك نزل قوله تعالى: ﴿ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾ ﴾ البقرة: ١٤٢. وأما جوابه على من شكك في قبول صلاة مَن مات على القبلة الأولى فكان في قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ ﴾ البقرة: ١٤٣
- لا يأبه رب العزة لمعترض على حُكمه وحكمته وقضائه، فأمره نافذ في خلقه، ولا رادَّ لأمره ونهيه.
- لقد أحسن سعد بن عبادة رضي الله عنه في إدارة الأزمة مع عبد الله بن أُبي عندما عرض للنبي ﷺ صورة عن خلفية حالة عبد الله بن أُبي النفسية، ليظهر من النبي ﷺ فيما بعد شيئاً من المراعاة لهذه النفسية المعقدة.
- كأن في التقاء موعد غزوة بدر مع تلك الليالي الكريمة التي يتربص فيها المسلمون ليلة القدر ما فيها من استدعاء بركة تلك الليالي وذاك الشهر الكريم، ليصب ذلك كله في خدمة استدعاء وطلب واستمطار النصر من رب العالمين، فلله الحمد على ترتيبه، وله الشكر على تدبيره.
- على الرغم من شدة حاجة النبي ﷺ لأي جهد وطاقة يوم بدر إلا أنه رفض الاستعانة بمشرك عرض نفسه عليه، فهل كان سبب ذلك طمع النبي ﷺ بإسلام هذا الرجل،

ولأجل ذلك أسلم، أم كان خوفاً منه أن يصنع شرخاً وخرقاً في صفوف المسلمين، أم كان خوفاً عليه من أن يموت في المعركة على غير التوحيد، كل ذلك محتمَل، ولكن النبي ﷺ أراد أن يقرر قاعدة من قواعد السياسة الشرعية تقول بأنه لا استعانة بغير أهل الإيمان في الظروف الصعبة، إلا للضرورة الملحة، ودونما شروط توثر في مسار الدعوة الإسلامية، وإلا فإن الله غني عن العالمين.

- لا يمكن أن تمضي الجيوش بعزيمة وثبات بقيادة زعيم مستبِد، لا يرى الناس من حوله ولا يشعر بشعورهم، لأجل ذلك كان من أصول الإدارة الناجحة طرح الأمر للمشورة على النخب والمؤثرين وأصحاب الأوزان الثقيلة بين أهلهم وعشيرتهم، وللمشورة قبيل غزوة بدر خصوصيتها لاسيما والقائد العام يعلم أن العهد بينه وبين الأنصار لم يكن على قتال خارج المدينة، فاحتاج النبي ﷺ لرأي صريح يسمح له بتعديل بنود العهد، ويجعل باب النصرة له مفتوحاً وليس مقيداً، فكان له ما طلب.
- الجمع بين الجانب المعنوي والجانب المادي أمر غاية في الأهمية عند إدارة الأزمات والمواقف الصعبة، فلقد انتهى النبي ﷺ من دعائه، ثم جمع المسلمين فصلى بهم، وحرضهم على القتال، هذا التحريض على قتال المعتدين كان واجباً من الواجبات التي كلف الله بها النبي ﷺ لما قال له: ﴿فَقَٰتِلْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا ﴿٨٤﴾﴾ النساء: ٨٤ كما قال له أيضاً: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ ۚ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾﴾ الأنفال: ٦٥ **والتحريض باب وعنوان من عناوين التحضير للمعركة، لما فيه من تعبئة ورفع للجاهزية وتفعيل لحماسة المجاهدين.**
- يقف المتابع لأحداث غزوة بدر وقفة تعجُّب عند وصوله إلى مشهد جبريل عليه السلام وقد شارك في تلك الغزوة، حيث رآه النبي ﷺ وعليه أداة الحرب، ولا يعنينا كثيراً الخوض في حجم هذه المشاركة ونوعها بين كونها مادية أو معنوية، بقدر ما يهمنا الالتفات إلى العناية الربانية بتلك العصابة المسلمة، حتى أن ملائكة السماء

وعلى رأسهم أمين الوحي جبريل عليه السلام نزلوا للدفاع والتصدي، في مشهد يدلك على أن نتيجة تلك الغزوة محسومة قبل أن تبدأ، ولكن قضت حكمة الله وتدبيره أن يقف البشر في مقابلة البشر عند المواجهة، وأن يكون الإثخان في كلا الطرفين ﴿ إِذْ أَنتُم بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُم بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَىٰ وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ ۚ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ ۙ وَلَٰكِن لِّيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ ۗ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ ﴾ الأنفال: ٤٢

هكذا يدبر الله شؤون كونه، وإلا فإنه يملك الحسم المبكر لجميع الأمور، وهو على كل شيء قدير.

- لم يكتف النبي ﷺ بالمشاركة الوجدانية عن بُعد في غزوة بدر، بل نزل ميدان المعركة بنفسه، وأخذ حفنة من تراب، ثم رمى بها في وجوه القوم وهو يقول: شاهت الوجوه، فكان لهذه الحركة أثرها الإيجابي الملهِمْ لأصحابه الكرام، أكثر من أثرها السلبي المؤلِمْ لأعدائه اللئام.
- أحسن النبي ﷺ في إدارته لموقف بلوغه خبر مقتل أبي جهل، فقد تحقق من قاتليه برؤية الدم على سيفيهما، ثم أكرمهما بحافز مادي وهو عبارة عن سلب أبي جهل، وقيل إنه طلب رؤيته مقتولاً فلما رآه قال: هذا فرعون هذه الأمة، ثم أمر بجثته فأُلقيت في بئر بدر، وبعد ذلك خاطبه في جملة قتلى قريش ليُمعن في توبيخهم، وإن كانوا في عداد القتلى.
- في المكاتبة التي جرت بين عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه وأمية بن خلف بعد الهجرة ليحفظ كل منهما الآخر في أهله وماله (الصاغية) دليل على جواز توكيل غير المسلم إن كان مستأمناً، في حفظ ومتابعة أمور خاصة، كما ذكر ابن حجر في فتح الباري، وهذا من باب السياسة الشرعية عند الحاجة لذلك وضمان الأمانة والوفاء فيه.
- مثلما أن للهزائم أزماتها فإن للانتصارات كذلك أزمات تحتاج إلى حسن إدارة للموقف حتى تكتمل فرحة الانتصارات، ولقد كان الخلاف حول توزيع الغنائم بين الصحابة الكرام وهم بشر يخوضون تجربة غير مسبوقة لم يتنزل في تبعاتها

تشريعات تفصيلية بعد؛ خلافاً متوقعاً وله ما يسوغه، فكلٌّ له رأيه واجتهاده، وقبل الفصل في التنازع ينبغي الاسـتهاب في التوجيه، فنزلت سورة الأنفال وهي تحكي السـؤال عن غنائم بدر وتوجيه الله تعالى لأهل بدر بالتقوى وإصلاح ذات البين، قبل أن يقرر لهم في الآية الأربعين من السورة الإجابة الوافية في موضوع غنائمهم، عند قوله تعـالى: ﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤١﴾ ﴾ الأنفال: ٤١

- تبرز بين الحين والآخر شـخصية عمر رضي الله عنه لتحكي لنا عـن حصافة رأيه وقدرته البالغة على إدارة المواقف وتقدير الخطوات في الظروف الصعبة، وقد تجلى ذلك عند إبدائه لرأيه من قضية أسرى بدر، وكيف أن القرآن قد وافقه على الرغم من شدة موقفه، في مقابل ما تحلى بـه النبي ﷺ وصاحبه أبو بكر من الحكمة والتؤدة في إدارة هذا الملف الشائك، والحديث عن شخصية عمر رضي الله عنه وتميزها لا يُنقص من قيمة النبي ﷺ فهو أسـتاذه ومرشـده وملهمه، ولكن يبدو أن لله تعالى حكمة في إجراء ما هو أولى على لسـان عمر في مواقف محدودة، في وقت يأخذ فيه النبي ﷺ بخلاف الأولى، ويُعاتَب على ذلـك من الله تعالى، وإن لم يكن الأمر مُطَّرداً ولا غالبـاً، فقد كان رأي عمر رضي الله عنه يـوم الحديبية بخلاف الأولى وندم على ذلك أشد الندم.
- وقع خبر هزيمة قريش كالصاعقة على الجميع، وأصابت الدهشـة بعض من بقي في المدينة من المسـلمين، ولم يصدقوا الخبر، حتى رأوا أسـارى قريش يجرون أذيال الخيبة وهم مقيدون بالسلاسـل، وفي حكاية كلمات قالتها سودة بنت زمعة رضي الله عنها وما كاد يصيبها من حبوط عملها عندئذ؛ دليل على أنه من الواجب أن يضبط المرء نفسه عند دهشته بأمر صادم، أو غريب ومفاجئ.
- اسـتطاعت إدارة الموقف في العهـد النبوي أن تحول التحـدي في جانب الأسرى الذين لا يملكون فداءً، إلى فرصة اسـتفاد منها أبناء المسلمين، ورجعت بالخير على المجتمع كله، يوم قُبل من كل أسـير لا يملك فكاك نفسـه أن يُعلِّـم عدداً من أبناء

الأنصار القراءة والكتابة، وفي ذلك ما فيه من بيان قيمة الكتابة والقراءة عند أمة (اقرأ).

- كان لتنزُّل الوحي الكاشف بين الفترة والأخرى لمؤامرات يحيكها الخبثاء في الظلام دَور كبير في كشف تلك المؤامرات، وإدارة تلك المواقف والأزمات، لاسيما فيما يتعلق بمحاولات اغتيال النبي ﷺ، ليعود التدبير السيء والمكر القبيح على أصحابه، أو أن تتحول المحنة إلى منحة، وما حكاية تآمر صفوان بن أمية مع عمير بن وهب بقصد اغتيال النبي ﷺ، وما تم بعد ذلك من إسلام عمير بن وهب بعد أن كشف الوحي للنبي ﷺ تلك المكيدة إلا أكبر دليل على ذلك.
- يعلق الشيخ سعيد حوى على منهج الشورى الذي سلكه النبي ﷺ في تلك الغزوة فيقول: «إن عبقرية القيادة لا تظهر بشيء ظهورها بمعرفة الرجال، ووضع كلٍّ في محله، واستخراج طاقات العقول بالشورى، واستخلاص الرأي الصحيح، وفي كلٍّ من هذين كان الرسول ﷺ الأسوة العليا للبشر»[1]، على الرغم من عدم احتياجه لمشورة أحد باعتبار ما أيَّده الله تعالى به من الوحي المسدِّد.
- يقول الأستاذ محمد عبد الهادي ظاهر: «نلحظ أن ثلاثة أرباع جيش بدر من الأنصار علماً أنه في مفهوم القطرية الضيقة إنها قضية المهاجرين الذين أُخرجوا من ديارهم في الدرجة الأولى، ولكنها عند المهاجرين والأنصار قضية عقيدة، يتساوى فيها الفريقان في المسؤولية، **وأعجب لقوم يتخلون عن الأقصى بحجة أنه أرض فلسطينية، ويزعمون أنهم مسلمون**»[2].
- يحكي الدكتور محمد أبو شهبة حِكَم مشروعية الجهاد فيقول:

١. تأمين دعوة الإسلام الدين العام الخالد الذي ارتضاه الله للبشرية جمعاء.
٢. الانتصاف للمظلوم من الظالم.
٣. نشر للسلام والأمان في الأرض، وتأمين كل ذي دين على دينه، قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا﴾ سورة الحج: ٤٠.

---

(١) الرسول ﷺ، سعيد حوى، ط دار عمار بيروت وعمان، ط ١٩٨٨م، ص١٧٩.

(٢) طريق الدعوة في ظلال السيرة، محمد عبد الهادي ظاهر، دار عمار، ط٢٠٠٧م، ط١، ص١٣٥.

٤. أن الإسلام بما خصه الله به من عموم الدعوة للناس أجمعين وبما جاء به من عقائد وتشريعات وآداب أكسبته الصلاحية لكل زمان ومكان، وهو الحقيق بأن يسود في الأرض»[١].

- يقول الدكتور محمد سعيد البوطي: «إنه على الرغم من مشروعية هذا القصد (قصد طلب قافلة المشركين) فإن الله تعالى أراد لعباده المؤمنين قصداً أرفع من ذلك وأليق بوظيفتهم التي خُلقوا من أجلها، ألا وهي الدعوة إلى دين الله، والجهاد في سبيل ذلك، والتضحية بالروح والمال في سبيل إعلاء كلمة الله، ومِن هنا كان النصر العظيم حليف أبي سفيان في النجاة بتجارته، بمقدار ما كانت الهزيمة العظيمة حليف قريش في ميدان الجهاد بينهم وبين المسلمين، وإن هذه التربية الإلهية لنفوس المسلمين لتتجلى بأبرز صورها في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٧﴾ الأنفال: ٧ [٢].
- ويقول في موضع آخر يتناول فيه مسألة أسرى بدر: «دلتنا هذه الواقعة على أن النبي ﷺ كان له أن يجتهد، والذين ذهبوا إلى هذا ـ وهم جمهور علماء الأصول ـ استدلوا على ذلك بمسألة أسرى بدر، وإذا صح أن يجتهد، صح منه بناء على ذلك أن يخطئ في الاجتهاد، ويصيب، غير أن الخطأ لا يستمر، بل لابد أن تنزل آية من القرآن تصحح له اجتهاده، فإذا لم تنزل آية فهو دليل على أن اجتهاده ﷺ قد وقع على ما هو الحق في علم الله تعالى»[٣].
- يقول الدكتور صالح رضا: «ومن العبر المستفادة من غزوة بدر، بروز ما يسمى بالإعجاز الإخباري، ويتجسد ذلك عندما أخبر النبي ﷺ عن مصارع رجال الكفر وأماكنهم بالتحديد، فكان كما قال ﷺ»[٤].

---

(١) السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة، الدكتور محمد محمد أبو شهبة، دار القلم، ط١١، ٢٠١١م، ج٢/ ٧٨.

(٢) فقه السيرة النبوية، الدكتور محمد سعيد البوطي، دار الفكر المعاصر، ط١١، ١٩٩١م، ص١٥٩.

(٣) السابق، ص١٦٤، قلت: وبدلاً من أن نطلق صفة الخطأ على النبي المعصوم، يمكننا القول بما ذهب إليه البعض، بأنه أخذٌ بخلاف الأولى، والله تعالى أعلم.

(٤) إنها النبوة، الدكتور صالح رضا، ص ٣٢١.

- حاول ابن عباس رضي الله عنهما أن يدافع عن وجوده في مكة، وعدم وتأخره عن الهجرة إلى المدينة بكونه كان قريباً من الحرم يُحسن خدمته، ولكن محاولته هذه اصطدمت بصخرة الوحي العظيم الذي ضبط له ولنا فقه أولويات حياتنا، فما كان ولن يكون مطلقاً تنظيف ورعاية شؤون الحرمين على ما في ذلك من فضل، خيرٌ من الإيمان الصادق والجهاد الرادع لأعداء الله تعالى، والهجرة في سبيله، عند الاحتياج لذلك، **باعتبار أنه لولا ذلك (الجهاد) ما بقي حرم ولا استمر الحج إلى يومنا هذا، فالجهاد أولاً لو كانوا يعلمون.**

- أنوار وفوائد في المجال الأمني العسكري:

- كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه موفَّقاً في استشعاره المبكر لما سيحلُّ بقريش من رفع غطاء الأمان عنهم بمجرد إجبارهم للنبي ﷺ على الخروج من مكة، وكأنه يقرر قاعدة راسخة في الأمن المرتبط بالإيمان، والمكشوف غطاؤه عن قوم يمارسون الكفر والاستبداد والطغيان.
- في طلب عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه وبعض الصحابة معه من النبي ﷺ أن يجاهدوا وهم في مكة لرفع ما أصيبوا به من ذل ومهانة هناك، وإعراض بعضهم عن الجهاد بعد أن كتبه الله عليهم في المدينة، دليل على أن الجهاد لا يُطلب قصداً، وإنما يُستعَد له فإن أذن الله به وحانت أسبابه ودواعيه كان المسلم جاهزاً مستعدا لذلك، وصدق رسول الله ﷺ إذ يقول: «لا تمنوا لقاء العدو، وسلوا الله العافية، وإذا لقيتموهم فاصبروا، واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف»[1].
- شكَّلت منظومة الغزوات والسرايا المتكررة قبل غزوة بدر الكبرى حالة أشبه ما تكون بالمناورات العسكرية الجادة، والتأهيل العملي الميداني للصحابة الكرام على المواجهات الكبرى القادمة.
- شكلت هذه الغزوات والسرايا تهديداً حقيقياً لقريش ومَن وراءها، وجعلت بعض عقلائهم يندم على ما كان منهم من مصادرةٍ لحق النبي ﷺ وأصحابه في ممارسة

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب لا تمنوا لقاء العدو، ح ٢٨٦١.

عبادتهم ودعوتهم بحرية تامة في مكة، ودونما تضييق حمله هو وأصحابه على الهجرة، ومن ثم مطالبته بما له ولأصحابه من حق في مكة، عبر عمليات قطع الطريق على تجارتها وتهديد أمن سوقها.

- ظهرت القدرة الفائقة للقائد العسكري (سيدنا محمد ﷺ) على توفير البديل في القيادات الميدانية، عندما اعتذر أبو عبيدة رضي الله عنه عن قيادة السرية لسبب عاطفي خاص وجد فيه القائد العام شيئاً من الوجاهة، ليجعل على الفور بدلاً منه عبد الله بن جحش رضي الله عنه.
- برز الجانب الأمني بشكل واضح في سرية عبد الله بن جحش رضي الله عنه يوم كلفه النبي ﷺ بعدم فتح الكتاب أثناء المسير إلا بعد مسافة قدَّرها له بالزمن، كما هي عادة العرب في التقدير، وهو نوع اختبار نجح فيه قائد السرية، وإلا فإن الفضول يجعلنا أحياناً نتجاوز ونترك مبدأ الطاعة لنقع في المحظور.
- في التخيير الذي أعطاه النبي ﷺ لأفراد سرية عبد الله بن جحش بعد معرفتهم الوجهة التي يسيرون إليها ما يدل على حسن إدارة الموقف من النبي ﷺ وإلا فكيف يوجههم إلى مكان غامض لا يعرفونه دون أن يستشيرهم، **فقد جمع النبي ﷺ بين فكرة إخفاء وُجهة السرية ليباغت الهدف المقصود، حتى أن رجال السرية أنفسهم لا يعرفون وجهتها، وبين تخييرهم بعد اطلاعهم على وجهتها، كي لا يقع في شبهة الاستبداد، ولا استبداد في الغزوات والمعارك والجهاد.**
- ساهمت آيات القرآن العظيم في كشف بل وفضح ما كان المنافقون يحرصون على إخفائه، فهذه سورة التوبة يُطلِق عليها ترجمان القرآن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما بأنها الفاضحة، وهذا كله مما ساعد في حسم التأويل فيما كان يدور من كلام حول بعض الشخصيات التي كانت تعمل بشكل مريب في عهد رسول الله ﷺ، ولكن لا يمكن القطع بالكشف عن كل منافق بناءً على ما عنده من صفات حكى القرآن أنها من صفات المنافقين.
- **في إطلاق اسم (الفرقان) على غزوة بدر الكبرى كما سماها القرآن الكريم بذلك ما يوحي بأنها كانت تمثل حدّاً فاصلاً بين أمور منها:**

١. الإيمان والكفر.
٢. مرحلة الاستضعاف ومرحلة الاستخلاف.
٣. مرحلة الموادعة ومرحلة المواجهة.
٤. مرحلة الانتماء العشائري ومرحلة الانتماء العقائدي.
٥. مرحلة التردد والإحجام ومرحلة التمدد والإقدام.

والفرقان اسم فخيم ترك أثره النفسي الايجابي على المؤمنين بما أضفى على نفوسهم من تحول كبير أعدهم الله تعالى له، نحو عالم القدوة والقدرة والاستطاعة وبالتالي التمكين، مثلما ترك أثره السلبي على الكافرين الذين أضفى على نفوسهم روح الفزع والخوف من أيام عصيبة قادمة عليهم بسبب تعنتهم وغبائهم في إدارة الصراع.

- لم يكن الجانب الأمني في العهد النبوي قاصراً على فتح العيون لحماية الحصون وإنما كانت عيون النبي ﷺ تمتد وتمتد لتقوم بعمل استخباراتي متقدم في حصون العدو وعلى امتداد طرقه، لأجل ذلك كان الدور الطليعي لبسيسة رضي الله عنه عين النبي ﷺ على المشركين قُبيل بدر هو الذي جعل النبي ﷺ يستنفر مَن حوله مِن الأصحاب الكرام للمعركة.
- كان بإمكان النبي ﷺ أن يتريث قليلاً ليلتحق معه أكبر عدد من الأصحاب يوم بدر، لكن يبدو أن حرصه على السبق إلى ميدان المعركة، - وهذه مصلحة عسكرية مهمة - جعلته يفوِّت مصلحة زيادة عدد المشاركين فيها، ولقد كان تقدير النبي ﷺ صائباً في تقديم هذه المصلحة، لأن السبق إلى الميدان يجعلك تختار المكان الأفضل (عند بئر بدر)، فتفوت على خصمك هذه الفرصة، وتجعل لنفسك وجيشك مزية إضافية هامة.
- الرصد الطويل لقافلة أبي سفيان أثمر عن معرفة موعد قدومها من الشام، ولا استنفار بلا رصد يحمل معلومات دقيقة.
- يحتاج القائد العسكري إلى حافز ولو على شكل عبارات دعم وإسناد من جنوده تعطيه مزيداً من الدافع للمضيِّ قُدُماً في المعركة، لأجل ذلك نشط النبي ﷺ بعد

سماعه كلمات سعد بن معاذ رضي الله عنه، وأطلق عبارة تشي باقتراب النصر وحسم المعركة لمصلحة جيش المسلمين (سيروا، وأبشروا، فإن الله تعالى قد وعدني إحدى الطائفتين، والله لكأني أنظر إلى مصارع القوم).

- في معسكر الشر والباطل فريقان يتنازعان القرار بين يدي كل مواجهة، ذلك أن المواجهات مهما بلغ أي فريق في قوته واستعداده غير مضمونة على وجه القطع لصالح أي جهة دون الأخرى، وباعتبار ما يترتب على أي مواجهة من خسائر بشرية ومادية، وهذان الفريقان هما: فريق يؤثر التروي والتريث ولا يقبل الاستفزاز، ويرجئ المواجهة المباشرة، وهؤلاء في الغالب يؤثرون السلامة ويقدمون الحروب النفسية والفكرية على الحروب الدموية، وقد وجدنا من يمثل دَور هؤلاء في معسكر قريش، فمنهم أمية بن خلف لسبب خاص على رؤية أخبره بها حليفه اليثربي، وعتبة بن ربيعة صاحب الجمل الأحمر الذي قال لقومه: اجعلوا حقها برأسي وارجعوا (ولو أطاعوه لرشدوا) وغيرهما، كما وجدنا من يمثل دور المتحمس الأرعن المراهق الانفعالي المستبد الذي يستعجل الحسم العسكري وتأخذه العزة بالإثم، وقد مثَّل هذا الدور «فرعون هذه الأمة» أبو جهل أسوأ تمثيل، فهو مَن أعلن النفير، ومنع التخذيل، وعبَّأ الناس، وأوقف محاولات التسرب من جيش الباطل، حتى أهلكه الله تعالى.
- يحرص كل فريق على استئسار أفرادٍ من الفريق الآخر ليتحصل على معلومات تنفعه أثناء المسار، وليكون في يديه أدوات ضغط على الطرف الآخر، وهذا ما تحصَّل عليه المسلمون قبيل غزوة بدر.
- لا يجوز اعتماد طريقة واحدة مباشرة في انتزاع المعلومة من أسرى العدو، لأنهم عند الإكراه قد يُدلون بمعلومات مضللة، ويمكن استخدام أسئلة غير مباشرة للوصول إلى معلومات استراتيجية ومهمة، كما حصل عند سؤال الأسيرين عن طبيعة أكل جيش الكفر وعدد ما يذبحون من إبل.
- من الاستراتيجيات العسكرية التي استخدمها النبي ﷺ ولا نملك نحن استخدامها بالصورة نفسها في زماننا هذا؛ استراتيجية الكشف عن مصارع القوم قبل بدء

المعركـــة، فهو يعلم بتعليـــم الوحي له ذلك، وقد حكى عمـــر رضي الله عنه أن القتلى لم يجاوزوا مصارعهم التي حددها لهم النبي ﷺ، فلم يكن الأمر مجرد رفع لمعنويات الصحابة قبيل الغزوة فحســـب كما يمكن أن نســـلك نحن هذا المسلك في زماننا فنقف بداية معاركنا ونقول على ســـبيل اليقين التام على الله تعالى بأن هنا مصرع فلان وفلان وهكذا؟

ولاشك أن النبي ﷺ يعطينا دروســـاً في التوكل على الله تعالى والأخذ بالأسباب واليقين التام على الله، وإلا لما كان لإلحاحه في الدعاء قبل الغزوة مسوِّغ لو كان يملك على القطع معرفة مصائر ومصارع المشركين.

- خلاف كبير دبَّ في صفوف المشركين في كل محطة من محطات حراكهم المشؤوم نحو المســـلمين، كان هو الســـبب الأكبر في هزيمتهم، فضلاً عما احتوى جيش الإســـلام من ألفة ومودة وطاعة والتزام، **وما انتصر جيش فيه شركاء متشاكســـون حتى لو كانوا مؤمنين**، فكيف وقد جمع جيش المشركين في بدر نزاعاً على كفر؟!.
- لاشـــك أن الضربة الأولى في المواجهات العسكرية لها أثرها البالغ في معنويات الجيوش، ولقد تأثرت معنويات قريـــش لما رأوا من هلاك ثلاثة عُتُلٍّ منهم، ولقد كان خيـــار النبي ﷺ مراعياً لشيء من حق القرابة يوم أن قدم الأنصار في مواجهة عُتـــلاء قريش عند المبارزة الأولى، وهو يعلم أن ســـيف حمـــزة وعلي رضي الله عنهما لا يُقاوَم، فشاءت إرادة الله تعالى أن تكون هذه السيوف باختيارٍ وطلبٍ من عتلاء الكفر أنفســـهم لأنهم أبوا مواجهة غير أكفائهم، فتقدم الأكفاء، وكان ما كان مـــن تطاير لرؤوس عتلاء الكفر، ومن تلك اللحظـــة بدأ الرعب يدب في صفوف المشركين.
- في توجيهات القائد العام لرماة النبل والســـهام ما يدلك على تجربة وخبرة وتوفيق فهو يكلف أصحابه برمي الحجارة على الأعداء أو رمي القليل من السهام والنبل، ما داموا على مســـافة بعيدة منهم، حتى إذا اقتربوا أكثر وصاروا على مسافة تكون فيهـــا دقة الإصابة بالأســـهم والنبال أكبر؛ بدأ الأصحاب برشـــق عدوهم بها، مع الحـــرص وعدم الإسراف في ذلك قدر الإمكان، وهـــذا يحتاج إلى معرفة وتقدير

بالغ لأبعاد دقة الرماية قدر المستطاع.

- يخيل لنا للوهلة الأولى أن أصحاب النبي ﷺ كانوا يتنافسون على الموت في سبيل الله، وأنهم كانوا يقصدون الموت قصداً ويجعلونه غاية وهدفاً، والحقيقة أنه لو كان الأمر كذلك لكان أعداد الشهداء في كل غزوة أكثر بكثير مما وقع، ولكانت نتيجة الغزوات كلها هزيمة جيش الإسلام لا انتصاره، ولا يعني مديحنا لمن مات منهم شهيداً في المعركة بأنه شجاع أن نصف مَن بقي على قيد الحياة منهم بعد معارك النصر أو الهزيمة التي خاضوها بأنهم جبناء، ولاشك أن اقتحام الأهوال والشجاعة التي ظهرت من رجال كأمثال سعد بن أبي وقاص وأبي دجانة وغيرهما رضي الله عنهما لتؤكد ما كان من حرص الصحابة على الإثخان في الأعداء مع المحافظة على النفس قدر المستطاع، فإن جاء الموت بعد ذلك فمرحباً بلقاء الله الرحيم.
- أدوات الحرب التي أبلى أصحابها فيها بلاءً حسناً لها قيمة معنوية محترمة، وشاهد ذلك رمح الزبير بن العوام رضي الله عنه الذي قتل فيه أبو ذات الكرش في بدر، وقد أصابه إصابة بالغة بين عينيه، وما جرى على هذا الرمح من تنقل بين بيوتات كبار الصحابة الكرام، وليس التكريم هنا للأداة بقدر ما هو تكريم لصاحبها، وشجاعة ودقة واحتراف حاملها رضي الله عنه.
- برز الجانب الأمني بشكل كبير أثناء إدارة النبي ﷺ لملف فداء العباس ابن عبد المطلب رضي الله عنه، والذي قيل بأنه خرج في جيش المشركين يوم بدر مُكرها، وكان قد أسلم قبل ذلك، وهو يخفي إسلامه، فشاء قدر الله تعالى أن يقع في الأسر، ولعل في الأسر حماية له من أن تتناوشه سيوف المسلمين، فأصرَّ النبي ﷺ على أخذ الفداء منه لكي لا يقع في نفس أحد شكٌّ في إسلامه، وكأني بالنبي ﷺ أراده أن يرجع إلى مكة ليكون بين أهلها بمنزلة عينٍ للمسلمين على قريش، ومما يدلك على سبق معرفة النبي ﷺ بإسلام العباس خفية أنه في الوقت الذي تشدد في مسألة فدائه إلا أنه كساه ثوباً كان لعبد الله بن أبي بن أبي سلول، وإن تسبب ذلك في حرج لاحق للنبي ﷺ يوم أراد أن يرد جميل ذلك الرجل المنافق، فكساه حلته بعد موته.

- أكرمنا الله تعالى بمعرفة أسماء بعض مَن شهد بدراً فرحمة الله عليهم أجمعين، مَن عرفنا ومَن غاب عنا، والله المستعان وعليه التكلان.

يقول محمود شيت خطاب: «جعل النبي ﷺ الصفوف الأولى من أصحاب الرماح، لصد هجمات الفرسان، والصفوف الخلفية من أصحاب النبال، لتسديدها من المهاجمين على الأعداء، وكان من فوائد هذا الأسلوب: إرهاب الأعداء، وجعل قوة احتياطية في يد القائد، واستفاد منها في حماية الأجنحة من خطر المشاة والفرسان»[1].

- يقول ابن خلدون: «قتال الزحف أوثق وأشد من قتال الكرِّ والفرِّ، وذلك لأن قتال الزحف تُرتب فيه الصفوف، وتُسوى كما تسوى القداح أو صفوف الصلاة، ويمشون بصفوفهم إلى العدو قُدماً، فلذلك تكون أثبت عند المصارع، وأصدق في القتال، لأنه كالحائط الممتد، والقصر المشيد، لا يُطمع في إزالته»[2].
- يقول الدكتور عماد الدين خليل: «حقق الرسول ﷺ بسراياه الأولى عددا من المنجزات يمكن حصرها بما يلي:

١. الاستطلاع.
٢. القتال الذاتي أو من خلال التحالف مع الآخرين.
٣. الكتمان والمباغتة.
٤. الحصار الاقتصادي لقريش[3].
٥. ومما أضافه الدكتور صالح رضا على هذه الأهداف:[4]
   ١. تدريب الجند.
   ٢. تحقيق الهيبة.
   ٣. التعرف الجغرافي على المناطق المحيطة بالمدينة.
   ٤. التعرف الاجتماعي على القبائل المحيطة بالمدينة.

---

(١) الرسول القائد، محمود شيت خطاب، ط٢، مكتبة النهضة، ص١١١.
(٢) المقدمة، عبد الرحمن بن خلدون، ط المكتبة التجارية الكبرى، ص٢٧١.
(٣) دراسة في السيرة، الدكتور عماد الدين خليل، دار النفائس، ط٤، ٢٠١٤م، ص١٤٤.
(٤) إنها النبوة، الدكتور صالح رضا، ص٣٠٧.

قبل الحديث عن غـــزوة بني قينقاع، ومقتل كعب بن الأشراف، **لابد من الوقوف على جملة من الأحداث التي حصلت بين غزوتي بدر وأُحُد كذلك، ومن هذه الأحداث ما يأتي:**

١. **زواج النبي ﷺ بحفصة بنـــت عمر** رضي الله عنه: إذ عرض عمر رضي الله عنه ابنته حفصة رضي الله عنها بعـــد أن توفي عنها زوجها على عثمان بن عفـــان وأبي بكر رضي الله عنهما، فلم يجيباه إلى ما طلب، حتى جاء النبي ﷺ فخطبها، وعندئذ راجع أبو بكر عمر رضي الله عنهما قائلاً: «**لعلك وجدتَ عليَّ حين عرضتَ عليَّ حفصة فلم أرجع إليك شـــيئاً**، قال عمر: نعـــم: قال: فإنه لم يمنعني أن أرجع إليك فيما عرضتَ عليَّ إلا أني **كنت علمت أن رســـول الله ﷺ قد ذكرها**، فلم أكن لأفشي سرَّ رسول الله ﷺ، **ولو تركها رسول الله ﷺ قبلتها**»[١].

٢. **زواج علي وفاطمة رضي الله عنهما**[٢]: روى علي رضي الله عنه قال: «خطبتُ فاطمة إلى رســـول الله، فقالت لي مولاة لي: هل علمتَ أن فاطمة قد خُطبت إلى رســـول الله؟ قلـــت: لا، قالت: فقد خُطبت، فما يمنعك أن تأتي رســـول الله فيزوجك

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب النكاح، باب عرض الإنسان ابنته أو اخته على أهل الخير، ح٥١٢٢.

(٢) ذكر ذلك الشيخ ابراهيم العلي في صحيح السيرة ص٢٦٧، ومن طريف ما جاء في حكاية علي رضي الله عنه والوليمة على فاطمة رضي الله عنها، ما روى مسلم عن علي رضي الله عنه قال: «أصبت شارفاً مع رسول الله ﷺ في مغنم يوم بدر، وأعطاني رسول الله ﷺ شارفاً أخرى، فأنختهما يوماً عند باب رجل من الأنصار، **وأنا أريد أن أحمل عليهما إذخراً لأبيعه ومعي صائغ من بني قينقاع فأستعين به على وليمة فاطمة**، وحمزة بن عبد المطلب يشرب في ذلك البيت (قبل تحريم الخمر) معه قينة تغنيه فقالت: ألا يا حمز للشرف النواء.

فثار إليهما حمزة بالسيف، فجب أسنمتهما، وبقر خواصرهما، ثم أخذ من أكبادهما، قلت لابن شهاب: ومن السنام؟ قال: قد جب أسنمتهما، فذهب بها، قال ابن شهاب قال علي: فنظرتُ إلى منظر أفظعني، فأتيت نبي الله ﷺ وعنده زيد بن حارثة فأخبرته الخبر، فخرج ومعه زيد، وانطلقت معه، فدخل على حمزة، فتغيَّظ عليه، **فرفع حمزة بصره فقال: هل أنتم إلا عبيد لآبائي؟ فرجع رسول الله ﷺ يقهقر، حتى خرج عنهم**» أخرجه مسلم، كتاب الأشربة، باب تحريم الخمر، ح ٥٠٩٩.

فقلت: وعندي شيء أتزوج به، فقالت: **إنك إن جئتَ رسول الله زوَّجك**، فوالله ما زالت ترجيني حتى دخلت على رسول الله، وكان لرسول الله جلالة وهيبة، **فلما قعدتُ بين يديه أُفحمت، فوالله ما استطعت أن أتكلم**، فقال رسول الله ما جاء بك ألك حاجة؟ فسكتُّ، فقال ما جاء بك؟ ألك حاجة؟ فسكتُّ، فقال: **لعلك جئت تخطب فاطمة؟** فقلت: نعم، فقال: وهل عندك من شيء تستحلها به؟ فقلت: لا والله يا رسول الله، فقال: ما فعلتْ درع سلحتكها؟ فوالذي نفس عليٍّ بيده إنها لحطمية ما ثمنها أربعة دراهم، فقلت: عندي، فقال: قد زوجتكما، فابعث إليها بها، فاستحلها بها، **فإن كانت لصداق فاطمة بنت رسول الله**»[1].

٣. **حصول عدد من الغزوات السريعة[2]:**

- **غزوة قرقرة الكدر**، جمع بنو سليم وغطفان في قرقرة الكدر (وهي ماء لبني سليم) لمواجهة النبي ﷺ فعلم بخبرهم، ودهمهم فهربوا، وقد غنم خمسمائة بعير.
- **غزوة السويق[3]**، هاجم أبو سفيان ومعه عدد من بني النضير أطراف المدينة وقتل رجلين وأحرق نخلاً ثم هرب إلى مكة، فلحقهم المسلمون ولم يدركوهم، إلا أنهم رجعوا بالسويق الذي تركه المشركون ليتخففوا عند هربهم من المسلمين.
- **غزوة ذي أمر**، تجمعت غطفان في منطقة اسمها (ذي أمر) لمواجهة النبي ﷺ فغزاهم النبي الكريم ففروا من أمامه، وأقام طيلة شهر كامل في ديارهم ثم عاد إلى المدينة.
- **غزوة بحران**، وهي على الطريق التجارية بين مكة والشام، ولم يقع فيها قتال.
- **سرية القردة**، أرسل النبي ﷺ زيد بن حارثة لقطع تجارة قريش من جهة العراق عند مياه في نجد تدعى القردة، ففر رجال القافلة وتركوها غنيمة للمسلمين، وكانت تحمل وزن ثلاثين ألف درهم من الفضة.

---

(١) أخرجه أبو نعيم في دلائل النبوة ٣/ ١٦٠، وإسناده حسن.

(٢) ذكر هذه الغزوات كلها الدكتور أكرم العمري في السيرة النبوية الصحيحة، ص٤٢١-٤٢٢، ونسبها إلى ابن اسحاق، وقد أعرض عن ذكرها الشيخ ابراهيم العلي في صحيح السيرة النبوية.

(٣) السويق: طعامٌ يُتَّخَذ من مدقوق الحنطةِ والشعير، وقد سُمِّي بذلك لانسياقه في الحلق.

- **غزوة بني قينقاع[1]:**

لم يحترم عمـــوم يهود المدينة مـــا كان بينهم وبين النبي ﷺ مـــن وثيقة منصفة، ضبطت علاقتهـــم فيما بينهـــم، ﴿ وَقَدْ مَكَرُوا۟ مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ ﴿٤٦﴾ ﴾ إبراهيـم: ٤٦ فلما كشـف الله سرهم، انقلب سحرهم عليهم، فكانت بداية إجلائهم وإحلال العقوبة بهم من بني قينقاع، ثـــم إن مَن وراءهـــم لم يأخذوا العظة والدرس، ولا يـــزال النبي ﷺ يعاقبهم على خياناتهم، حتى لم يبق منهم أحد في المدينة ولا حولها.

- **مصائـــر عموم يهود المدينـــة:** روى ابن عمر رضي الله عنهـــما قال: «... وأجلى (النبي ﷺ) يهود المدينة كلهم: بني قينقاع؛ وهم رهط عبد الله بن ســـلام، ويهود بني حارثة، وكل يهود المدينة»[2].

- **تحذير النبي ﷺ لهم، وتكبرهم عليه:** روى ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كَانَ مِنْ أَمْرِ بَنِي قَيْنُقَاعٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ جَمَعَهُمْ بِسُوقِ بَنِي قَيْنُقَاعٍ، ثُمَّ قَالَ: «يَا مَعْشَرَ الْيَهُودِ احْذَرُوا مِنَ اللَّهِ مِثْلَ مَا نَزَلَ بِقُرَيْشٍ مِنَ النِّقْمَةِ، وَأَسْـــلِمُوا، فَإِنَّكُمْ قَدْ عَرَفْتُمْ أَنِّي نَبِيٌّ مُرْسَلٌ، **تَجِدُونَ ذَلِكَ فِي كِتَابِكُمْ، وَعَهْدَ اللَّهِ إِلَيْكُمْ.**

فَقَالُـــوا: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّـــكَ تَرَى أَنَّا كَقَوْمِكَ، لا يَغُرَّنَّكَ أَنَّكَ لَقِيـــتَ قَوْمًا لا عِلْمَ لَهُمْ بِالْحَرْبِ، فَأَصَبْتَ فِيهِمْ فُرْصَةً، إِنَّا وَاللَّهِ لَئِنْ حَارَبْنَاكَ لَتَعْلَمَنْ أَنَّا نَحْنُ النَّاسُ.

ثـــم قال ابن عباس: فما نزل هؤلاء الآيات إلا فيهم: ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٢﴾ قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا ۖ فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ ۚ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿١٣﴾ ﴾ آل عمران: ١٢ - ١٣ [3].

---

(١) قال الشيخ الألباني في الخبر المشهور عن سبب غزوة بني قينقاع، وما ورد من قصة المرأة التي أرادها التاجر اليهودي عن نفسها ثم كشف ثوبها، وتقاتل مسلم ويهودي لأجلها، بأن حديث هذه القصة: إسناده مرسل معلّق (ضعيف)، ولم يرد ما يثبت ويؤكد أو يمنع وينفي حصول تلك الغزوة في هذا التوقيت بالذات، غير أنه مما اشتهر واستفاض عند علماء السِّيَر جعلها بين غزوتي بدر وأحد.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب حديث بني النضير، ح٤٠٢٨.

(٣) أخرجه أبو داود، كتاب الخراج، باب كيف كان إخراج اليهود من المدينة، ح٣٠٠١، قال الشيخ إبراهيم العلي في صحيح السيرة: وحسَّن إسناده ابن حجر في فتح الباري: ٧/ ٣٣٢.

- **وقفة مع تفسير هذه الآية:** قال أبو حيان: «والظاهر أن «الذين كفروا»، يعم الفريقين المشركين واليهود، وكلٌّ قد غُلب بالسيف، والجزية، والذلة، وظهور الدلائل والحجج، وإلى معناها الغاية، وإن جهنم منتهى حشرهم»[1].
- **الولاء والبراء:** روى عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: «لما حاربت بنو قينقاع رسول الله ﷺ، تشبث بأمرهم عبد الله ابن أُبي ابن سلول، وقام دونهم قال: ومشى عبادة بن الصامت إلى رسول الله ﷺ، وكان أحد بني عوف، لهم من حلفه مثل الذي لهم من عبد الله بن أُبي، فخلعهم إلى رسول الله ﷺ، وتبرأ إلى الله عز وجل، وإلى رسوله ﷺ من حلفهم، وقال: يا رسول الله، أتولى الله ورسوله ﷺ والمؤمنين، وأبرأ من حلف هؤلاء الكفار وولايتهم.
- قال: ففيه وفي عبد الله بن أُبي نزلت هذه القصة من المائدة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾﴾ المائدة: ٥١، أي لعبد الله بن أبي وقوله: إني أخشى الدوائر ﴿فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ ﴿٥٢﴾﴾ المائدة: ٥٢ ثم القصة إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾﴾ المائدة: ٥٥ وذكر لتولي عبادة بن الصامت الله ورسوله والذين آمنوا، وتبرئه من بني قينقاع وحلفهم وولايتهم: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾﴾ المائدة: ٥٦ [2].
- **مقتل كعب بن الأشرف:**

بالقدر الذي كان فيه النبي ﷺ حريصاً على السلم المجتمعي، ويملك من القدرة على استيعاب الآخر والصبر والاحتمال، إلا أنه كان أيضاً ينتفض في مواقف محددة نصرة لدين الله تعالى ولأعراض المسلمين، فها هو يحرك أحد رجاله لينفِّذ عملية اغتيال خطيرة لأحد كبراء يهود، ممن بالغوا وزادوا في التطاول، فقد

---

(١) تفسير البحر المحيط، أبو حيان التوحيدي، ١/ ٣٩٠.

(٢) أخرجه ابن هشام في السيرة، ٢/ ٤٩، وذكره الشيخ ابراهيم العلي في صحيح أسباب النزول برقم: ١٥٨، وقال: اسناده صحيح.

روى جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **مَنْ لكعب بن الأشرف، فإنه قد آذى الله ورسوله**[1]؟

فقام محمد بن مسلمة فقال يا رسول الله: **أتحب أن أقتله؟**

قال: **نعم.**

قال: **فأذن لي أن أقول شيئاً.**

قال: قل.

فأتاه محمد بن مسلمة، فقال (له): إن هذا الرجل (يعني: محمد ﷺ) قد سألنا صدقة، وإنه قد عنَّانا، وإني قد أتيتك أستسلفك.

قال: **وأيضاً والله لتملُّنَّه.**

قال: إنَّا قد اتبعناه، فلا نحب أن ندعه حتى ننظر إلى أي شيء يصير شأنه، وقد أردنا أن تسلفنا وسقاً أو وسقين.

فقال: **نعم، ارهنوني.**

قالوا: أي شيء تريد؟.

قال: ارهنوني نساءكم.

قالوا: كيف نرهنك نساءنا وأنت أجمل العرب؟!.

قال: فارهنوني أبناءكم.

قالوا: كيف نرهنك أبناءنا فيُسبُّ أحدهم، فيقال: رُهن بوسق أو وسقين، هذا عار علينا، **ولكنا نرهنك اللأمة. (قال سفيان: يعني السلاح).**

فواعده أن يأتيه، فجاءه ليلاً، ومعه أبو نائلة وهو أخو كعب من الرضاعة، فدعاهم إلى الحصن، فنزل إليهم.

فقالت له امرأته: أين تخرج هذه الساعة؟.

فقال: إنما هو محمد بن مسلمة وأخي أبو نائلة.

قالت: أسمعُ صوتاً كأنه يقطر منه الدم.

قال: إنما هو أخي محمد بن مسلمة، ورضيعي أبو نائلة، **إن الكريم لو دُعي إلى طعنة بليل لأجاب.**

قال: ويُدخل محمد بن مسلمة معه رجلين، (قيل لسفيان سماهم عمرو؟ قال:

---

(١) تحكي بعض الروايات أنه كان أكثر إيذائه للمسلمين بالهجاء شعراً.

سمى بعضهم، قال عمرو: جاء معه برجلين، وقال غير عمرو أبو عبس بن جبر، والحارث بن أوس، وعباد بن بشر، قال عمرو: جاء معه برجلين).

فقال: إذا ما جاء فإني قائل بشَعْره، فأشمه، فإذا رأيتموني استمكنتُ من رأسه فدونكم، فاضربوه، وقال مرة: ثم أُشِمكم، فنزل إليهم متوشحاً، وهو ينفح منه ريح الطيب.

فقال: ما رأيت كاليوم ريحاً، أي أطيب، وقال غير عمرو، قال: عندي أعطر نساء العرب وأكمل العرب.

قال عمرو فقال: **أتأذن لي أن أشم رأسك؟**.

قال: نعم.

فشمَّه ثم أشَمَّ أصحابه.

ثم قال: أتأذن لي؟

قال: نعم، فلما استمكن منه قال: دونكم، فقتلوه، **ثم أتوا النبي ﷺ فأخبروه**»[1].

وفي رواية كعب بن مالك رضي الله عنه «وكان أحد الثلاثة الذين تيب عليهم، وكان كعب بن الأشرف يهجو النبي ﷺ ويحرِّض عليه كفار قريش، وكان النبي ﷺ حين قدم المدينة وأهلها أخلاط؛ منهم المسلمون، والمشركون يعبدون الأوثان، واليهود، وكانوا يؤذون النبي ﷺ وأصحابه، فأمر الله عز وجل نبيَّه بالصبر والعفو، ففيهم أنزل الله: ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِيٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾﴾ آل عمران: ١٨٦ فلما أبى كعب بن الأشرف أن ينزع عن أذى النبي ﷺ أمر النبي ﷺ سعد بن معاذ أن يبعث رهطاً يقتلونه، فبعث محمد بن مسلمة، وذكر قصة قتله، فلما قتلوه فزعت اليهود والمشركون، فغدوا على النبي ﷺ فقالوا: طُرق صاحبنا، فقُتل، فذكر لهم النبي ﷺ الذي كان يقول، ودعاهم النبي ﷺ إلى أن يكتب بينهم كتاباً ينتهون إلى ما فيه، فكتب النبي ﷺ بينه وبينهم، وبين المسلمين عامة صحيفة»[2].

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب قتل كعب بن الأشرف، ح٤٠٣٧.

(٢) أخرجه أبو داود، كتاب الخراج والإمارة، باب كيف كان إخراج اليهود من المدينة، ح ٣٠٠٠، وقد ذكره الشيخ ابراهيم العلي في صحيح أسباب النزول برقم ٩٣، وقال: سنده صحيح.

- **تشـيع المجاهدين في العمليـات الخاصة والدعاء لهـم:** روى ابن عباس رضي الله عنهما قال: «أن النبي ﷺ مشى معهم (مع سرية محمد بن مسـلمة) إلى بقيع الغرقد، ثم وجههم فقال: **(انطلقوا على اسم الله، اللهم أعنهم)**»[1].
- **علاقة كعب بن الأشرف بمشركي مكة:** روى ابن عباس رضي الله عنهما قال: «قدم كعب بن الأشرف مكة، فقالت له قريش: أنت سـيدهم، ألا ترى إلى هذا المصتبر المنبتر[2] من قومه؟ يزعم أنه خيراً منا، ونحن أهل الحجيج، وأهل السدانة، وأهل السـقاية، فقال: أنتم خير منه، فنزلت ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ۝٣﴾ الكوثر: ٣، ونـزل: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَٰؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا ۝٥١﴾ النساء: ٥١ [3].
- **وقفة مع تفسـير هذه الآية:** قال الإمام أبو السعود: «والجبتُ الأصنامُ وكلُّ ما عُبد من دون الله تعالى فقيل: أصلُه الجِبسُ وهو الذي لا خير عنده فأُبدل السـينُ تاءً، وقيل: الجبتُ الساحرُ بلغة الحبشة، والطاغوتُ الشيطانُ، قيل: هو في الأصل كل ما يُطغي الإنسان»[4].
- **يقول حسان بن ثابت رضي الله عنه تعليقاً على هذه الحادثة:**

لله در عصـابـة لاقيتَهـم ... يا ابن الحقيق وأنت يا ابن الأشرفِ
يَسْرون بالبيْضِ الخفاف إليكمُ ... مرحـاً كأسـد في عرينٍ مغـرفِ
حتى أتوكم في محل بلادكـم ... فسقوكُـمُ حتفـاً ببيضٍ ذفَّفِ
مستبصرين لنصر دين محمـد ... مستضعِفين لكـل أمرٍ مجحـفِ[5]

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ٢١/ ٤٩، وحسَّن إسناد ابن حجر في الفتح ٧/ ٣٣٨، وذكره الشيخ العلي في صحيح السيرة برقم: ٣٢٧.

(٢) المتمرد على قومه والشاذ عنهم.

(٣) أخرجه ابن حبان برقم ٦٥٧٢، وذكره الشيخ ابراهيم العلي في صحيح أسباب النزول برقم: ١٠٩، وقال: اسناده صحيح.

(٤) تفسير إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، للإمام أبي السعود محمد بن العمادي، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، الناشر: مكتبة الرياض الحديثة، ١٩٩٩م، ٦/ ١٢٦.

(٥) صور من جهاد الصحابة، عمليات جهادية خاصة، الدكتور صلاح الخالدي، ص٨٣.

- أنوار وفوائد في المجال التزكوي القيمي النفسي (التربوي):

- مهما بلغ أصحاب النبي ﷺ من الرقي التربوي والعلمي والسلوكي إلا أنهم يبقون بشراً، لأجل ذلك حمل عمر رضي الله عنه على أبي بكر وعثمان لما أعرضا عن عرضه لهما بالزواج من ابنته، فهو عرض ثقيل، لكن النفوس الكريمة لا تلبث إلا وتستجيب وتتفهم الأمور وترضى، رضي الله عنهم كلهم.

- أنوار وفوائد في المجال التأثيري الاجتماعي التواصلي (الدعوي):

- كان النبي ﷺ يحرص على تمكين العلاقة بينه وبين أصحابه، ولاشك أن للنَّسب والمصاهرة دورها البالغ في ذلك، ولأجل ذلك تقدم لخطبة حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنهما، وكن قبلها قد صاهر صاحبه أبا بكر رضي الله عنه من خلال زواجه بعائشة رضي الله عنها، وأما عثمان وعلي رضي الله عنهما فقد أعطى بناته رقية وفاطمة لهما، وما أجمل علاقة الأخوَّة في الله إن تطورت لتصير علاقة نَسَب، بحيث يدخل بعضهم على بعض دخولاً شرعياً مريحاً وبلا حرج.
- **جميل أن يبحث الإنسان عن زوج صالح لابنته**، لاسيما إن تأيمت هذه الابنة ومات عنها زوجها، لأجل ذلك لم يجد عمر رضي الله عنه وهو من هو في كبريائه وعزة نفسه أي حرج وهو يعرض ابنته على أبي بكر وعثمان رضي الله عنهما، حتى وإن كان ردهما بالنسبة له صادماً.
- كان من الواجب على أبي بكر رضي الله عنه أن يتكاشف مع أخيه عمر رضي الله عنه وأن يبرر له سبب عدم رده عليه بشأن العرض المقدم منه، وهذه المكاشفة تبين الأعذار وتجلو ما في الصدور من أوغار، ولكن المانع له كان كبيراً ومشروعاً.
- أظهرت حكاية ما جرى لحمزة مع علي رضي الله عنهما قبل تحريم الخمر ما لهذه الكبيرة من الكبائر من أثر سلبي في تقطيع أواصر الناس والطعن فيهم والتعالي عليهم، لأجل ذلك قضت حكمة الله تعالى في تحريمها مهما ظن الظانون أن

فيها من منافع للناس، كما تبين لنا من خلال ذلك المشهد كم لاقى النبي ﷺ من الأذى حتى من أقرب الناس قبيل اكتمال التشريع.

- كان النبي ﷺ حريصاً أشد الحرص على دعوة يهود وهدايتهم، فهو بالنسبة لبني قينقاع قد دعاهم دعوة عامة في الخطاب الجماعي المبين في الرواية، كما خاطبهم خطاباً فردياً لم يستجب له منهم سوى عبد الله بن سلام رضي الله عنه وهو كبيرهم وسيد من ساداتهم، وحاول أن يكون له دور بارز في هدايتهم إلا أنهم أبَوا واستكبروا ورفضوا فكرة الدعوة، ومثل ذلك ما جرى ليهود خيبر فقد أرسل النبي ﷺ إليهم علياً رضي الله عنه داعياً قبل أن يرسله مقاتلاً، وقال له: «على رسلك يا علي لئن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم» كما سيأتي في حديث فتح خيبر، فأبوا إلا الرد القبيح، فحاصرهم وقاتلهم ثم أجلاهم.
- في مشهد رغبة علي رضي الله عنه بالزواج من فاطمة رضي الله عنها، وما حصل له من تيسير ورفع للحرج بين يدي النبي ﷺ، **ما يؤكد وجوب التيسير ورفع الحرج عن الناس، لاسيما إن كانوا يقصدون مقاصد شريفة**، كما تدل القصة على زهد النبي ﷺ وابنته فاطمة رضي الله عنها، وعدم تطلعهما إلى متاع الدنيا الفانية.
- **تعد عقيدة الولاء والبراء هي الحد الفاصل بين المؤمنين والمنافقين**، فالمؤمنون ولاؤهم وانتماؤهم وحبهم ونصرتهم لله تعالى ورسوله والمؤمنين لا شائبة فيها، لاسيما في المواقف الصعبة والأزمات، وأما المنافقون فقلوبهم ضعيفة تتزلزل في المواقف الصعبة، ويبحثون عن مصادر القوة المادية لينحازوا إليها، ولا يزال الله تعالى يكشف بواطنهم مثلما كشف حال عبد الله بن أُبي في كل مرة، وصدق الله تعالى: ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٩﴾﴾ آل عمران: ١٧٩
- أثبتت حادثة مقتل كعب بن الأشرف **حجم العلاقة والصلة التي تربط المشركين بالمنافقين مع اليهود، لاسيما وقد فزعوا كلهم لخبر مقتله**، وهرعوا إلى النبي ﷺ يستعلمون خبره.

- أنوار وفوائد في المجال المعاشي الاقتصادي:

- لم تتوقف هجمات النبي ﷺ وسراياه التي وجهها ضد قريش وتجارتها فكانت غنائم سرية القردة الكثيرة من بركات تلك الهجمات، وليس الهدف هدفاً اقتصادياً بحتاً بقدر ما هي مجموعة أهداف أرادها النبي ﷺ من تلك الهجمات، ولعل الهدف الأسمى هو تأديب قريش ومَن حولها، ومنعهم من مجرد التفكير في غزو المدينة أو تهديدها.

- أنوار وفوائد في مجال إدارة المواقف والسياسة الشرعية:

- لا مانع في باب إدارة المواقف الصعبة **ومن منطلق فقه السياسة الشرعية من الكذب والخداع والنطق بالمحظور عند أداء العمليات الخاصة**، لما لهذه العمليات من خصوصية ولما يعتريها من خطورة كبرى، وهذا ما ظهر من عملية اغتيال كعب بن الأشرف.
- يستدعي المسلم فقه الموازنات للخروج من بعض المواقف بأقل قدر من الخسائر، فهذا أبو بكر رضي الله عنه وقد عرض عمر رضي الله عنه عليه ابنته حفصة يقرر عدم الرد على عمر، وهو يعلم أن ذلك مما يوغر صدر عمر عليه، لكن ذلك أهون عنده من أن يفشي سرَّ رسول الله ﷺ الذي كان قد ذكر نيته بالتقدم لخطبة حفصة من أبيها عمر رضي الله عنهم أجمعين.
- استثمر النبي ﷺ حادثة مقتل كعب بن الأشرف واجتماع اليهود والمنافقين بكتابة صحيفة بينهم لمنع أي تطاول من أي طرف على الآخر، وهو بذلك يكون قد طوى صفحة كبير من كبراء يهود، واستقبل الحياة بعقد وعهد جديد مع قوم يعلم تماماً أنهم لن يثبتوا عليه، ولكنه يجاريهم، ولا يجعل لأحد منهم عليه ممسكا.

- أنوار وفوائد في المجال الأمني العسكري:

- يحكي استمرار الهجمات الارتدادية من قريش وما جاورها من قبائل في مواجهة المدينة النبوية ما لغزوة بدر من أثر كبير على قاعدة الشرك الكبرى في الجزيرة

العربية، فهم لولا خوفهم من تمدد المارد الإسلامي القادم ما تجرأوا على مجرد التحضير لغزو المدينة.

- يظهر التصدي المبكر من جيش النبي ﷺ لكل من تسوّل له نفسه الاقتراب من المدينة **ما للجانب الأمني في العهد النبوي من أثر كبير في تأكيد عامل الردع لهؤلاء المجرمين، وإلا فإن الغفلة مَهلكة، وكلما توسع انتشار الدعوة وعلا صيتها صار الواجب الأمني هو الواجب الأكبر**، وإلا فما أسهل أن يباغتنا العدو في عقر دارنا، ويهدم حلماً طالما سعينا وبذلنا الغالي والنفيس في بنائه.
- الرعب جندي من جنود الله تعالى، يسلطه الله على الفاجرين، نصرة للمؤمنين، وبأقل الكلف.
- صحيح أن روح الانتقام لدى أبي سفيان ومَن حالفه من يهود بني النضير دفعتهم لمحاولة اقتحام المدينة يوم السويق، لكن الرعب الذي حلَّ بهم عندها جعلهم ينسحبون تاركي وراءهم أكلهم وما به يقتاتون.
- لابد من إعلاء قيمة الدفاع عن هيبة الدولة المسلمة، وصيانة حدودها الجغرافية.
- تحسست غطفان وهي من أعظم قبائل الطائف خطورة تقدم النبي ﷺ يوم بدر، فحاولت التقدم نحوه وقتاله إلا أنها لم تثبت، **وقد أجرى النبي ﷺ عليهم استراتيجية المكث في ديارهم إرغاماً لأنوفهم**، ومبالغةً في التصدي والتحدي لهم، وذلك طوال شهر كامل بعدما هربوا منها، وما تجرأوا على العودة إليها، وهذا دليل على أن النبي ﷺ كان يحب إذا عمل عملاً أن يُثبته ويؤكده، ليقطع أمل أعداءه في محاولة الكرِّ عليه من هذه الجهة على الأقل.
- حاول يهود بني قينقاع الاستعراض وفتل عضلاتهم وتحدي النبي ﷺ، والتأكيد على أنهم أهل الحرب ورجالها، خلافاً لقريش التي كانت ضعيفة من وجهة نظرهم، كل ذلك سعياً منهم في صرف خاطر النبي ﷺ عن مهاجمتهم وتأديبهم بعد رفضهم لدعوة الإسلام واستمراراهم في التحريض على المسلمين، لكنهم لم يصمدوا لذلك، ولم تنفعهم (جعجعاتهم) القبيحة، ولا ألسنتهم الطويلة.
- **العمليات الخاصة والتي تستهدف اغتيال أو معاقبة أو أسر فردٍ بعينه، لها فقهها**

ومبادئها وأساليبها الخاصة، فهي ليست مفتوحة على مصراعيها، وهي تحتاج رجالاً من نوع خاص لتنفيذها، ولعل تحليلاً سريعاً لعملية قتل كعب بن الأشرف يُظهر لنا الكثير من الفوائد الأمنية العسكرية وغيرها، ومن تلك الفوائد:

١. لما للعمليات النوعية الخاصة من خطورة، ولما تحمل من أثر نفسي طيب على المجتمع المسلم إن كتب الله تعالى لها النجاح، كان النبي ﷺ يحرص على توديع رجالها والدعاء لهم، وسؤال الله تعالى الحماية والمعونة لهم.

٢. ينبغي أن يحصل الأفراد على إذن خاص من القائد عند قيامهم بتنفيذ العمليات الخاصة، فليس كل من يؤذي النبي ﷺ وجَّه له النبي ﷺ من يقتله، ولقد حذر النبي ﷺ حذيفة بن اليمان رضي الله عنه يوم الخندق من أن يمسَّ أحد المشركين، وقد سنحت له فرصة محققة لقتل أبي سفيان لكنه لم يقتله. غير أنه إذا دفعت الحمية أحدهم للانتصار لدين الله تعالى من إنسان زاد وأكثر من الطعن في الخالق والشريعة والنبي ﷺ، وقام بقتل هذا الطاعن المسيء فإن في الإسلام ما يعفيه من المسؤولية ويهدر دم الطاعن المسيء، ولكن بعد، إقرار الإمام المسلم بذلك الفعل، من باب الإنابة بالفعل بعد وقوعه، فقد روي «أن أعمى كانت له أم ولد تشتم النبي ﷺ وتقع فيه، فينهاها فلا تنتهي ويزجرها فلا تنزجر، قال: فلما كانت ذات ليلة جعلت تقع في النبي ﷺ وتشتمه، فأخذ المغول - سيف قصير - فوضعه في بطنها، واتكأ عليها، فقتلها، فوقع بين رجليها طفل، فلطخت ما هناك بالدم، فلما أصبح ذكر ذلك لرسول الله ﷺ، فجمع الناس فقال: أنشد الله رجلاً فعل ما فعل لي عليه حقٌ إلا قام، فقام الأعمى يتخطى رقاب الناس وهو يتزلزل، حتى قعد بين يدي النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله! أنا صاحبها، كانت تشتمك وتقع فيك، فأنهاها فلا تنتهي، وأزجرها فلا تنزجر، ولي منها ابنان مثل اللؤلؤتين، وكانت بي رفيقة، فلما كانت البارحة جعلت تشتمك وتقع فيك، فأخذت المغول، فوضعته في بطنها، واتكأت عليها حتى قتلتها، فقال

النبي ﷺ: ألا اشهدوا أن دمها هدر»[1].

٣. **لابد من وجود مسوِّغ حقيقي وشرعي ومقنع قبل التكليف بتلك العمليات (فإنه قد آذى الله ورسوله).**

٤. الألمحية والذكاء والشجاعة وصفاء النفس والغيرة على دين الله تعالى هي من أبرز صفات سرية المهمات الصعبة، حتى لو كانت تتكون من شخص واحد.

٥. الخدعة والتورية وشيء من الكذب والنفاق والطعن في الدين؛ كل ذلك مما يباح مؤقتاً في تلك العمليات الصعبة.

٦. مراعاة طبيعة الهدف واحتياجاته وأطماعه وطريقة تفكيره وما يحب وما يكره، مع الحذر عند خطابه ومحاولة استمالة نفسه، كل ذلك من أصول العمليات الخاصة المتقنة.

٧. القدرة على المناورة والاستعداد التام للإجابة على أسئلة الهدف وإقناعه وسرعة البديهة في ذلك واجب، ولاشك أن محمد بن مسلمة رضي الله عنه قد أتى كعب بن الأشرف من باب المال وهو باب يرغب به كعب، والرهن بالنسبة لمحمد بن مسلمة كان أمراً متوقعاً، ويبدو أنه أيضاً كان يتوقع من كعب بن الأشرف أنه سيطلب منه رهن النساء أو الأولاد، وأعتقدُ أن محمد بن مسلمة لم يكن يستطيع الدخول بالسلاح واقتحام حصن كعب بن الأشرف به إلا من خلال هذه الحيلة، **فسلاح الرهن تحول في لحظة إلى سلاح الطعن، والخلاص من هذا المجرم الأثيم.**

٨. في الكلمة التي قالتها زوجة كعب بن الأشرف (أسمع صوتاً كأنما يقطر منه الدم) ما يدلك على الحس الأمني المرتفع لدى هذه المرأة، ومن المعلوم أن الشعب اليهودي عموماً شعب حذر منتبه يقظ، وكأنه مدرَّب بالفطرة، وهكذا حال كل فئة تستبيح حقوق الآخرين تجدها تتحسس كل شيء، وتحذر من كل أمر.

---

(١) أخرجه أبو داود، وقال عنه الألباني: صحيح، في كتابه «صحيح سنن أبي داود» الحديث رقم (٤٣٦١).

٩. أقنع كعب بن الأشرف زوجته الحذرة المنتبهة بكلمات تشي بأنه صاحب واجب كبير وأنه رجل كريم ذو خلق، وفي الحقيقة هذا نوع تمثيل معهود عن هؤلاء الخبثاء، وإلا لو كان صادقاً لأعطى المال دَيناً لصاحبه ابن مسلمة دون رهن صعب وشديد.

١٠. علم محمد بن مسلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن المهمة أصعب وأثقل من أن يؤديها رجل واحد، فوجد مبرراً لإدخال السلاح والرجال، وبالتالي سهلت مهمته آنذاك.

١١. ضرب محمد بن مسلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ومن معه ضربتهم القاضية، ونفذوا المهمة الخاصة في لحظة نشوة وغرور عاشها كعب بن الأشرف، فبعد أن نجحت الخطة في إدخال السلاح والرجال كان لابد من خطة أخرى في تقريب رأس هذا العلج واغتياله، فما وجد محمد ابن مسلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أطيب من الطيب الذي يجعله كعب على رأسه ليستدرجه من خلاله، ولولا دقة معرفة محمد بن مسلمة بأن كعب رجل يحب الطيب، ما تمكن من إحكام هذه العملية الخاصة وتنفيذها بنجاح تام وبكل هدوء.

١٢. **كان النبي ﷺ يحدد الهدف ويبعث له (حكيماً خبيراً) دون أن يرسم له الخطة التفصيلية**، ذلك أن في هذا الأمر مرونة ينبغي إتاحتها لهذا الحكيم، كي يؤدي ما عليه، وليتحمل نتائج عمله كله.

- **تحكي زيارة كعب بن الأشرف إلى مكة حجم التنسيق الأمني والعسكري بين اليهود ومشركي مكة قبل أن تتم تصفية هذا الفاجر واغتياله**، وإلا فما سبب ذهابه إلى مكة وهو ليس له في الحرم مأرب ولا غاية، كما يحكي الحوار الذي جرى بينه وبين أهلها حجم التحريض المتبادل بعد الاستشارة الخبيثة التي طلبها أهل مكة منه.

- يقول الدكتور عبد الله ابراهيم الكيلاني: «وهذه الأخبار الواردة عن رسول الله ﷺ (خبر مقتل أبو رافع ومقتل كعب بن الأشرف) يساء الاستدلال بها على جواز ممارسة الدولة للاغتيال السياسي مع خصومها داخل الدولة، بل يتمادى بعضهم بجواز ممارسة الأحزاب الاسلامية للاغتيال السياسي، مخالفين بذلك

قوانين الدولــة الحاكمة، والحقيقة أنه لا وجه لهذا الاســتدلال، ذلك أن تكييف الحادثتين المذكورتين لا يندرج تحت الاغتيال الســياسي، وإنما هو من الأعمال الحربية، ومعلوم بالبداهة أن العمل الحربي لا يســتلزم خضوع الأعداء لمحاكمة قبل استئصال شرهم وردِّ عدوانهم»[1].

(١) السياسة الشرعية، الاستاذ الدكتور عبد الله ابراهيم الكيلاني، ١٥٥.

غزوة أُحُدْ

بقيت ولا تزال في نفوس أعداء الإسلام حسرة كبرى مما حلَّ بهم يوم غزوة بدر الكبرى، وأظن أن سلسلة الغزوات والمعارك التي حصلت بعدها كانت ارتدادات انفعالية متباينة الحجم والتوقيت، متفاوتة الأزمنة على ذلك المصاب لرمز الوثنية في مكة المكرمة، وما غزوة أحد إلا واحدة من خطوات الثأر والانتقام لأصنام نُكِّستْ أعلامها آنذاك.

أولا: ما قبل الغزوة:

- **توقيتها:** اتفق كُتاب السيرة على أنها وقعت في شوال **من السنة الثالثة للهجرة**، واختلفوا في اليوم الذي وقعت فيه، **وأشهر الأقوال أنها وقعت يوم السبت، للنصف من شوال**[1].
- **رؤيا النبي ﷺ:** روى أبو موسى الأشعري رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «رأيت في رؤياي أني هززت سيفاً فانقطع صدره، فإذا هو ما أصيب من المسلمين يوم أُحد، ثم هززته أخرى فعاد أحسن مما كان، **فإذا هو ما جاء به الله من الفتح واجتماع المؤمنين**، ورأيت فيها بَقَراً والله كثير، فإذا هم المؤمنون يوم أُحد»[2].
- **مشاورة النبي ﷺ لأصحابه:** لما شاور النبي ﷺ أصحابه حول مكان المواجهة مع قريش ذهب بعضهم إلى المواجهة خارج المدينة (ومعظمهم من الشباب المتحمس)، وذهب آخرون إلى المواجهة داخلها (ومعظمهم من الشيوخ)، وقد أخذ النبي ﷺ برأي الشباب وهم الأغلبية، فانطلق النبي ﷺ ولبس لأمته (الدرع وأدوات الحرب) فأظهر بعضهم عدم ارتياحهم لهذا الرأي، إلا أنهم ندموا، وتلاوموا، وقالوا لحمزة رضي الله عنه: اذهب وأخبر النبي ﷺ **بأن أمرنا لأمرك تبع**، فقال

(١) انظر السيرة النبوية الصحيحة، للدكتور أكرم ضياء العمري ص٤٢٥.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب من قُتل من المسلمين يوم أحد، ح ٤٠٨١.

ﷺ: «إنه ليس لنبي إذا لبس لأمته أن يضعها حتى يُناجز»[1].

- **أخذ النبي ﷺ بالاحتياطات اللازمة:** روى السائب بن يزيد رضي الله عنه قال: «إن النبي ﷺ يوم أُحد **أخذ درعين كأنه ظاهرَ بينهما**»[2].
- **تولي المنافقين من الزحف واختلاف صف المسلمين حولهم:** روى زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: «لما خرج رسول الله ﷺ إلى غزوة أُحُد رجع ناس ممن خرج معه، وكان أصحاب النبي ﷺ فرقتين؛ فرقة تقول: نقاتلهم، وفرقة تقول: لا نقاتلهم، فنزلت: ﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا ﴿٨٨﴾﴾ النساء: ٨٨، وقال: **إنها طيبة تنفي الذنوب، كما تنفي النار خبث الفضة**»[3].

ويروي جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: «نزلت هذه الآية فينا ﴿إِذْ هَمَّت طَّائِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ آل عمران: ١٢٢، بني سلمة وبني حارثة، **وما أحب أنها لم تنزل، والله يقول: (والله وليهما)**»[4].

تنافس الفتيان على المشاركة: روى ابن عمر رضي الله عنهما قال: «إن رسول الله ﷺ **عرضني يوم أُحد** وأنا ابن أربع عشرة سنة فلم يُجزني، **وعرضني يوم الخندق** وأنا ابن خمسة عشرة سنة فأجازني»[5].

- **وضع الرماة وتحذيرهم من النزول:** روى البراء بن عازب رضي الله عنه قال: «لقينا المشركين يومئذ، وأجلس النبي ﷺ جيشاً من الرماة، وأمَّر عليهم عبد الله (بن جبير) وقال: **لا تبرحوا، إن رأيتمونا ظهرنا عليهم فلا تبرحوا، وإن رأيتموهم ظهروا علينا فلا تُعينونا...**»[6]، وفي رواية أبي داود: «إن رأيتمونا تخطفنا الطير فلا تبرحوا حتى

---

(١) أخرجه الطبري في التفسير ٧/ ٣٧٢، بإسناد حسن، وقال الشيخ الألباني في تخريجه لكتاب فقه السيرة للغزالي: هو صحيح.

(٢) أخرجه أبو داود، كتاب الجهاد، باب لبس الدرع، ح٢٥٩٠، قال الشيخ ابراهيم العلي: ورجال أبي داود فيه كلهم ثقات.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة أحد، ح ٤٠٥٠.

(٤) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب إذ همت طائفتان منكم، ح٤٠٥١.

(٥) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة الخندق، ح٤٠٩٧.

(٦) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة أحد، ح٤٠٤٣.

أرســل إليكم، وإن رأيتمونا ظهرنا على العدو وأوطأناهم، **فلا تبرحوا حتى أُرسل إليكم**»[1].

- **حقُّ الســيف والتحفيز النبوي:** روى أنس رضي الله عنه قال: «إن رسول الله ﷺ أخذ سيفاً يوم أُحُد فقال: من يأخذ مني هذا الســيف بحقه؟ فبسطوا أيديهم كل إنسان فيهم يقــول: أنا أنا، **فقال: من يأخذه بحقه؟ فأحجم القوم**، فقال ســماك أبو دجانة: أنا آخذه بحقه، قال: **فأخذه، ففلق به هام المشركين**»[2].

ثانيا: أثناء الغزوة:

- **مُلخَّص ما جرى من نصر ثــم هزيمة:** روى الزبير بن العوام رضي الله عنه قال: «والله لقد رأيتني أنظر إلى خدم هند بنت عتبة وصواحبها، مشمِّرات هوارب، ما دون أخذهن قليل ولا كثير.

إذ مالت الرماة إلى العســكر حين كشــفنا القوم عنه، وخلوا ظهورنا للخيل، فأُتينا من خلفنا.

وصرخ صــارخ: ألا إن محمداً قُتــل[3]، فانكفأنا، وانكفأ علينا القوم، بعد أن أصبنا أصحاب اللواء، حتى ما يدنوا منه أحدٌ من القوم»[4].

- **حكاية استشهاد حمزة يرويها قاتله رضي الله عنهما:** روى جعفر بن عمرو بن أمية الضمري قال: خرجت مع عبيــد الله بن عدي بن الخيار، فلما قدمنا حمص قال لي عبيد الله بن عدي: **هل لك في وحشي، نسأله عن قتل حمزة؟**

قلت: نعم، وكان وحشي يســكن حمص، فســألنا عنه، فقيل لنا: هو ذاك في ظل

---

(١) أخرجه أبو داود، كتاب الجهاد، باب الكمناء، ح٢٦٦٢، وذكره الشيخ ابراهيم العلي في صحيح السيرة برقم: ٣٤١.

(٢) أخرجه مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أبي دجانة، ح٢٤٧٠.

(٣) يقول ابن الجوزي بأن بعض الصحابة ترخصوا الفرار لسماعهم خبر مقتل الرسول ﷺ، زاد المسير، ابن الجوزي، ١/ ٤٨٣، وقد أخرج الحاكم **أن أول من عرف بأن النبي ﷺ حي لم يُقتل هو كعب بن مالك، فنادى في المسلمين ببشرهم، فأمره النبي ﷺ بالسكوت لئلا يفطن له المشركون**، المستدرك ٣/ ٢٠١، وذكره الدكتور أكرم العمري في السيرة النبوية الصحيحة ص٤٣٥.

(٤) أخرجه ابن هشام بإسناد صحيح ٢/ ٧٧، وذكره الشيخ العلي في صحيح السيرة برقم: ٣٤٤.

قصره كأنه حميت[1].

قال: فجئنا، حتى وقفنا عليه بيسير، فسلمنا، فردَّ السلام.

قال: وعبيد الله معتجر بعمامته، ما يرى وحشي إلا عينيه ورجليه.

فقال عبيد الله: يا وحشي، أتعرفني؟

قال: فنظر إليه، ثم قال: لا والله، إلا أني أعلم أن عدي بن الخيار تزوج امرأة يقال لها أم قتَّال بنت أبي العيص، فولدت له غلاماً بمكة، فكنت أسترضع له، فحملت ذلك الغلام مع أمه، فناولتها إياه، **فلكأني نظرت إلى قدميك.**

قال: فكشف عبيد الله عن وجهه ثم قال: ألا تخبرنا بقتل حمزة؟

قال: نعم، إن حمزة قتل طُعيمة بن عدي بن الخيار ببدر، فقال لي مولاي جبير بن مطعم[2]: **إن قتلت حمزة بعمي فأنت حر.**

قال: فلما أن خرج الناس عام عينين، وعينين جبل بحيال (قريب) أحد، بينه وبينه واد، خرجت مع الناس إلى القتال، فلما أن اصطفوا للقتال خرج سبَّاع فقال: هل من مبارز؟

قال: فخرج إليه حمزة بن عبد المطلب فقال يا سباع يا ابن أم أنمار مقطعة البظور، **أتحادُّ الله ورسوله ﷺ؟**

قال: ثم شد عليه فكان كأمس الذاهب.

قال: وكمنتُ لحمزة تحت صخرة، فلما دنا مني رميته بحربتي، فأضعها في ثُنَّته[3] حتى خرجت من بين وركيه.

قال: فكان ذاك العهد به، فلما رجع الناس رجعت معهم، فأقمت بمكة، حتى فشا فيها الإسلام، ثم خرجت إلى الطائف، فأرسلوا إلى رسول الله ﷺ رسولاً فقيل لي: إنه لا يهيج الرسل، قال: فخرجت معهم حتى قدمت على رسول الله ﷺ، فلما

---

(١) سمين محمرة عيناه.

(٢) جاء في سير أعلام النبلاء في وصف هذا الرجل وقد أكرمه الله تعالى بالإسلام: «من الطلقاء الذين حسن إسلامهم، وقد قدم المدينة في فداء الأسارى من قومه، وكان موصوفاً بالحلم، ونبل الرأي كأبيه» السيَر، للإمام الذهبي، ج ٣/ ٩٥.

(٣) الثنة: أسفل البطن.

رآني قال: آنت وحشي؟

قلت: نعم، قال: أنت قتلت حمزة؟ قلت: قد كان من الأمر ما بلغك.

قال: **فهل تستطيع أن تُغيِّب وجهك عني.**

قال: فخرجت، فلما قُبض رسول الله ﷺ، فخرج مسيلمة الكذاب قلت: لأخرجن إلى مسيلمة، **لعلي أقتله فأكافئ به حمزة.**

قال: فخرجت مع الناس، فكان من أمره ما كان، قال: فإذا رجل قائم في ثلمة جدار كأنه جمل أورق، ثائر الرأس، قال: فرميته بحربتي، فأضعها بين ثدييه، حتى خرجت من بين كتفيه.

قال: ووثب إليه رجل من الأنصار فضربه بالسيف على هامته، قال: قال عبد الله بن الفضل: فأخبرني سليمان بن يسار أنه سمع عبد الله بن عمر رضي الله عنهما يقول: فقالت جارية على ظهر بيت: **وا أمير المؤمنين، قتله العبد الأسود»**[1].

- **شجاعة أنس بن النضر:** روى أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «عَمِّيَ الَّذي سُمِّيتُ به لَمْ يَشْهَدْ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ بَدْرًا، قَالَ: «فَشَقَّ عَلَيْه، قَالَ: أَوَّلُ مَشْهَد شَهدَهُ رَسُولُ الله ﷺ غُيِّبْتُ عَنْهُ!!، **وَإِنْ أَرَانِيَ اللهُ مَشْهَدًا فِيمَا بَعْدُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ لَيَرَانِي اللهُ مَا أَصْنَعُ.**

قَالَ: **فَهَابَ أَنْ يَقُولَ غَيْرَهَا**، قَالَ: فَشَهدَ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ يَوْمَ أُحُد، قَالَ: فَاسْتَقْبَلَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذ، فَقَالَ لَهُ أَنَسٌ: يَا أَبَا عَمْرو، أَيْنَ؟ فَقَالَ: وَاهًا لِرِيحِ الْجَنَّة أَجِدُهُ دُونَ أُحُد، قَالَ: فَقَاتَلَهُمْ حَتَّى قُتِلَ، قَالَ: «فَوُجِدَ فِي جَسَده بِضْعٌ وَثَمَانُونَ مِنْ بَيْنِ ضَرْبَة وَطَعْنَة وَرَمْيَة، قَالَ: «فَقَالَتْ أُخْتُهُ - عَمَّتِيَ الرُّبَيِّعُ بِنْتُ النَّضْر - فَمَا عَرَفْتُ أَخِي إِلَّا بِبَنَانِه، وَنَزَلَتْ هَذِه الْآيَةُ: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٣]»، قَالَ: «فَكَانُوا يُرَوْنَ أَنَّهَا نَزَلَتْ فِيهِ وَفِي أَصْحَابِه»[2]

- **وقفة مع تفسير هذه الآية:** يقول الطاهر بن عاشور: «والإخبار عنهم برجال زيادة

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب قتل حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه، ح٤٠٧٢.

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الإمارة، باب ثبوت الجنة للشهيد، ح١٩٠٣.

في الثناء لأن الرَّجل مشتق من الرِّجل وهي قوة اعتماد الإنسان كما اشتق الأيد من اليد، فإن كانت هذه الآية نزلت مع بقية آي السورة بعد غزوة الخندق فهي تذكير بما حصل من المؤمنين من قبل، وإن كانت نزلت يوم أحد فموضعها في هذه السورة إنما هو بتوقيف من النبي ﷺ فهو تنبيه على المعنى الذي ذكرناه على تقدير: أنها نزلت مع سورة الأحزاب، وأيّاً ما كان وقت نزول الآية فإن المراد منها: رجال من المؤمنين ثبتوا في وجه العدو يوم أحد وهم: عثمان بن عفان، وأنس بن النضر، وطلحة بن عبيد الله، وحمزة، وسعيد بن زيد، ومصعب بن عمير، فأما أنس بن النضر وحمزة ومصعب بن عمير فقد استشهدوا يوم أحد، وأما طلحة فقد قُطعت يده يومئذ وهو يدافع عن رسول الله ﷺ وأما بقيتهم فقد قاتلوا ونجوا»[1].

وفي لفظ البخاري زيادة جاء فيها: «فلقي يوم أحد فهُزم الناس، فقال: **اللهم إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء - يعني المسلمين - وأبرأ إليك مما جاء به المشركون** - فتقدم بسيفه....»[2].

- **الجنة طموح كل مجاهد:** روى جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: «قال رجل يوم أُحد: **يا رسول الله إن قُتلت فأين أنا؟** قال: في الجنة، فألقى تمرات في يده وقاتل حتى قُتل»[3].
- **جُرْحُ النبي ﷺ يوم أحد:** روى أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «اشتدَّ غضب الله على قوم فعلوا بنبيهم - يشير إلى رباعيته - اشتدَّ غضب الله على رجل يقتله رسول الله ﷺ»[4].

وقد سُئل سهل بن سعد رضي الله عنه عن جُرح رسول الله ﷺ يوم أحد، فقال: «جُرح وجه رسول الله ﷺ، وكسرت رباعيته، وهُشِّمت البيضة على رأسه، فكانت فاطمة بنت رسول الله ﷺ تغسل الدم، وكان علي ابن أبي طالب يسكب عليها بالمجن[5]،

---

(١) تفسير التحرير والتنوير، الإمام محمد الطاهر بن عاشور، ٢٢/ ٣٠٨.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة أحد، ح٤٠٤٨.

مكتبة t.me/ktabrwaya

(٣) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة أُحد، ح٤٠٤٦.

(٤) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب ما أصاب النبي ﷺ من الجراح يوم أُحد، ح٤٠٧٣.

(٥) المجن: الترس.

فلما رأت فاطمة أن الماء لا يزيد الدم إلا كثرة، **أخذت قطعة حصير فأحرقته حتى صار رماداً ثم ألصقته بالجرح، فاستمسك الدم»**[1].

وروى عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: كأني أنظر إلى رسول الله ﷺ يحكي نبياً من الأنبياء ضربه قومه، وهو يمسح الدم عن وجهه ويقول: **«رب اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون»**[2].

- **مقتل والد حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما:** روت عائشة رضي الله عنها قالت: **«هُزم المشركون يوم أحد هزيمة تُعرف فيهم**، فصرخ إبليس: أي **عباد الله** أُخراكم، فرجعت أولاهم، فاجتلدت هي وأخراهم، فنظر حذيفة بن اليمان فإذا هو بأبيه، فقال: أبي، أبي، قالت: فو الله ما انحجزوا حتى قتلوه، فقال حذيفة: غفر الله لكم، قال عروة: **فو الله ما زالت في حذيفة منها بقية خير حتى لقي الله»**[3].
- **دفاع سعد رضي الله عنه عن النبي ﷺ:** «روى علي رضي الله عنه قال: «ما سمعت النبي ﷺ جمع أبويه لأحد، إلا لسعد بن أبي وقاص، فإني سمعته يقول يوم أُحد: «يا سعد، **ارم فداك أبي وأمي»**[4].

وروى عامر بن سعد عن أبيه أن النبي ﷺ «جمع له أبويه يوم أُحد قال: كان رجل من المشركين **قد أحرق المسلمين**، فقال له (لسعد) النبي ﷺ: ارم فداك أبي وأمي، قال: فنزعت له بسهم ليس فيه نصل، فأصبت جنبه فسقط، فانكشفت عورته، **فضحك رسول الله ﷺ، حتى نظرتُ نواجذه»**[5].

- **بطولة طلحة رضي الله عنه في المعركة:** روى قيس رضي الله عنه قال: «رأيت يد طلحة التي وقى

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب غزوة أُحد، ح١٧٩٠.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب بينما امرأة ترضع ابنها، ح ٣٤٧٧.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا، ح ٤٠٦٥، وفي رواية الطبري بسنده الحسن في تاريخه ٢/ ٥٣٠ «**فتصدق حذيفة بديته على المسلمين، فزاده ذلك عند رسول الله ﷺ خيرا**».

(٤) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب «إذ همت طائفتان منكم»، ح٢٩٠٥، وفي رواية عند البخاري أيضاً يقول فيها سعد مفتخراً: «نثل لي رسول الله ﷺ يوم أحد فقال: ارم فداك أبي أمي، وفي رواية أخرى يقول فيها: جمع لي رسول الله ﷺ أبويه...».

(٥) أخرجه مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضل سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، ح٦١٨٧.

بها النبي ﷺ يوم أُحد **شلاء**»[1].

- **أبو طلحة الأنصاري الفدائي**: روى أنس رضي الله عنه قال: «لما كان يوم أُحد انهزم الناس عن النبي ﷺ، وأبو طلحة بين يدي النبي ﷺ مجوب به عليه بحجفة له، وكان أبو طلحة رجلاً رامياً شديد القد، يكسر يومئذ قوسين أو ثلاثاً، وكان الرجل يمرُّ معه الجعبة من النبل، فيقول رسول الله ﷺ: **انشرها لأبي طلحة**، فأشرف النبي ﷺ ينظر إلى القوم فيقول أبو طلحة: **يا نبي الله، بأبي أنت وأمي، لا تُشرف، يصيبك سهم من سهام القوم، نحري دون نحرك**»[2].
- **مصعب رضي الله عنه في الشهداء**: روى خباب رضي الله عنه قال: «هاجرنا مع رسول الله ﷺ، ونحن نبتغي وجه الله، فوقع أجرنا على الله، **فمنا من مضى لسبيله لم يأكل من أجره شيئاً، منهم: مصعب بن عمير، قُتل يوم أُحد**، ولم يترك إلا نمرة، كنا إذا غطينا رأسه بدت رجلاه، وإذا غطينا رجليه بدا رأسه، فقال رسول الله ﷺ: «**غطوا رأسه، واجعلوا على رجليه من الإذخر**»، ومنا من أينعت له ثمرته فهو يهدبها»[3].
- **عبد الله بن جحش وصدقه مع ربه**: قال عبد الله بن جحش رضي الله عنه: «**إني أقسم** أن نلقى العدو، فإذا لقينا العدو أن يقتلوني، ثم يبقروا بطني، ثم يمثلوا بي، فإذا لقيتك سألتني: فيم هذا؟ **فأقول: فيك، فلقي العدو، ففُعل ذلك به**»[4].
- **من أظلته الملائكة**: روى جابر رضي الله عنه قال: «لما قُتل أبي يوم أُحد، جعلت أكشف

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب طلحة، ح٣٧٢٤، وممن أبلى بلاء حسناً في تلك الغزوة رجل **أسلم قبيل الغزوة ثم قاتل حتى قُتل شهيداً ولم يصل لله تعالى ركعة**، وسعد بن الربيع الذي قال للصحابة: **لا عذر لكم إن خلص إلى رسول الله وفيكم شفر (عين) يطرف**، وغير هؤلاء ممن ذكرهم الشيخ العلي في صحيح السيرة وبيَّن أن أحاديثهم بين الصحيح والحسن.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب فضائل الأنصار، باب مناقب أبي طلحة، ح٣٨١١.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الجنائز، باب إذا لم يجد كفناً، ح١٢٨٦، وفي رواية لعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه أنه أُتي بطعام وكان صائماً فقال: قُتل مصعب بن عمير وهو خير مني، كُفِّن في بردة، إن غُطي رأسه بدت رجلاه، وإن غُطي رجلاه بدا رأسه، وأراه قال: وقتل حمزة وهو خير مني، ثم بُسط لنا من الدنيا أو قال: **أعطينا من الدنيا ما أعطينا - وقد خشينا أن تكون حسناتنا عُجلت لنا**، ثم جعل يبكي حتى ترك الطعام» البخاري، كتاب الجنائز، باب الكفن من جميع المال، ح١٢٧٤.

(٤) أخرجه الحاكم في المستدرك، ٣/ ١٩٩ من مراسيل سعيد بن المسيب، وحكم عليه بأنه صحيح، وقد ذكره الدكتور أكرم العمري في السيرة الصحيحة ص٤٣٧، محتجاً به باعتبار أن مراسيل سعيد بن المسيب قوية.

عن وجهه وأبكي، وجعل أصحاب رسول الله ﷺ ينهوني وهو لا ينهاني، وجعلت عمتي تبكيه، فقال النبي ﷺ: **تبكيه، أو لا تبكيه، ما زالت الملائكة تظلله بأجنحتها حتى رفعتموه**»[1].

- **من غسَّلته الملائكة:** يروي عبد الله بن المبارك أن حنظلة بن أبي عامر استشهد وهو جُنب، وكان عروساً ليلة أُحد، فسمع النداء بالخروج فعجَّل بالخروج ولم يغتسل، فقال الرسول ﷺ: «**إن صاحبكم لتغسله الملائكة**»[2].
- **المجاهد الأعرج:** قال عمرو بن الجموح رضي الله عنه للنبي ﷺ: أرأيت إن قتلت اليوم أطأ بعرجتي هذه الجنة؟، قال: نعم، قال: **فوا الذي بعثك بالحق لأطأن بها الجنة اليوم إن شاء الله، ثم قاتل حتى قُتل**»[3].
- **شهيد يتحدى:** روى معاذ بن رفاعة الأنصاري عن رجل من بني سلمة يقال له سليم، أتى رسول الله ﷺ فقال: «يا رسول الله إن معاذ بن جبل يأتينا بعدما ننام، ونكون في أعمالنا بالنهار، فينادي بالصلاة فنخرج إليه، فيطوِّل علينا، فقال رسول الله ﷺ: **يا معاذ بن جبل لا تكن فتاناً، إما أن تصلي معي، وإما أن تخفف على قومك.**

ثم قال: يا سليم، ماذا معك من القرآن؟ قال: إني أسأل الله الجنة، وأعوذ به من النار، والله ما أحسن دندنتك ولا دندنة معاذ، فقال رسول الله ﷺ: **وهل تصير دندنتي ودندنة معاذ إلا أن نسأل الله الجنة ونعوذ به من النار.**

ثم قال سليم: سترون غداً إذا التقى القوم إن شاء الله.

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الجنائز، باب الدخول على الميت بعد الموت، ح١٢٤٤، ويروي جابر رضي الله عنه أيضاً عن والده أنه قال له: **أرجو ان أكون في أول من يصاب غداً، فأوصيك ببناتي خيراً، فأصيب، فدفنته مع آخر، فلم تدعني نفسي حتى استخرجته ودفنته وحده بعد ستة أشهر، فإذا الأرض لم تأكل منه شيئاً إلا بعض شحمة أذنه**»، البخاري، كتاب الجنائز، باب هل يخرج الميت من القبر، ح١٣٥١، وهو الذي **قال فيه النبي ﷺ بأن الله كلمه كفاحاً** (عبد الله بن حرام، والد جابر)، كما روى الترمذي، ح٣٠١٣، وذكر ذلك الشيخ ابراهيم العلي في صحيح السيرة برقم:٣٨٢.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك ٣/ ٢٠٤، وقال الألباني: هو حسن، وانظر السلسلة الصحيحة ح٣٢٦.

(٣) أخرجه ابن المبارك في كتاب الجهاد، ٦٩، وذكره الدكتور أكرم العمري في السيرة النبوية الصحيحة ص٤٣٧، وقال بأن له طريقان يقويان بعضهما، كما ذكره الشيخ الألباني في تخريجه لأحاديث فقه السيرة للغزالي ص٢٦٧ وقال بأن إسناده صحيح.

قـال: **والناس يتجهزون إلى أحد**، فخرج وكان في الشـهداء رحمة الله، ورضوانه عليه»[1].

- **كتيبة الفدائيين حول القائد العام:** روى أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أُفرد يوم أُحد في سبعة من الأنصار ورجلين من قريش، فلما رهقوه قال: **من يردهم عنا، ولـه الجنة**، أو هو رفيقي في الجنة؟، فتقدم رجل من الأنصار فقاتل حتى قُتل، ثم رهقـوه أيضاً فقال: من يردهم عنا وله الجنة، أو هو رفيقي في الجنة؟، فتقدم رجل من الأنصار فقاتل حتى قُتل، فلم يزل كذلك حتى قُتل السـبعة، فقال رسـول الله ﷺ لصاحبيه: **ما أنصفنا أصحابنا**»[2].
- **حسـبوه من أهل الجنة وهو من أهل النار:** روى سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه «أن رسول الله ﷺ التقى هو والمشركون فاقتتلوا، فلما مال رسول الله ﷺ إلى عسكره، ومال الآخرون إلى عسكرهم، وفي أصحاب رسول الله ﷺ رجلٌ لا يدع لهم شاذَّة ولا فاذَّة إلا اتبعها، يضربها بسـيفه، فقال: ما أجـزأ منا اليوم أحد كما أجزأ فلان، فقال رسول الله ﷺ: **أما إنه من أهل النار.**

فقال رجـل من القوم: أنا صاحبه، قال: فخرج معـه، كلما وقف وقف معه، وإذا أسرع أسرع معه، قال: فجُرح الرجل جرحاً شـديداً، **فاسـتعجل الموت، فوضع نصل سـيفه بالأرض، وذُبابه بين ثدييه، ثم تحامل على سـيفه، فقتل نفسه**، فخرج الرجل إلى رسول الله ﷺ فقال: **أشهد أنك رسول الله.**

قال: وما ذاك؟ قال: الرجل الذي ذكرتَ آنفاً أنه من أهل النار، فأعظم الناس ذلك، فقلت: أنا لكم به، فخرجت في طلبه، ثم جُرح جرحاً شـديداً فاستعجل الموت، فوضع نصل سيفه في الأرض، وذبابه بين ثدييه، ثم تحامل عليه، فقتل نفسه.

فقال رسول الله ﷺ عند ذلك: **إن الرجل ليعمل عمل أهل الجنة فيما يبدو للناس، وهـو من أهل النار، وإن الرجل ليعمل عمل أهل النار، فيما يبدو للناس، وهو من أهل الجنة**»[3].

---

(١) أخرجه أحمد ح ٢٠٦٩٩، وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط: صحيح لغيره.

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب غزوة أحد، ح١٧٨٩.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة خيبر، ح٤٢٠٢.

- **حسبوه من أهل النار وهو من أهل الجنة:** روى أبو هريرة رضي الله عنه أنه كان يقول: حدِّثوني عن رجل دخل الجنة لم يصل قط، فإذا لم يعرفه الناس سألوه من هو؟ فيقول: «أصيرم بني عبد الأشهل... فقلت لمحمود بن لبيد: كيف كان شأن الأصيرم؟ قال: كان يأبى الإسلام على قومه، فلما كان يوم أُحد وخرج رسول الله ﷺ إلى أُحد بدا له الإسلام، فأسلم، فأخذ سيفه فغدا حتى أتى القوم، فدخل في عرض الناس فقاتل حتى أثبتته الجراحة.

قال: فبينما رجال بني عبد الأشهل يلتمسون قتلاهم في المعركة إذا هم به، فقالوا: والله إن هذا للأصيرم، وما جاء، لقد تركناه وإنه لمنكرٌ هذا الحديث، فسألوه ما جاء به؟ قالوا: ما جاء بك يا عمرو؟ **أحرباً على قومك، أو رغبة في الإسلام؟**

قال: بل رغبة في الإسلام، آمنت بالله ورسوله، وأسلمت، ثم أخذت سيفي، فغدوت مع رسول الله ﷺ، فقاتلت حتى أصابني ما أصابني.

قال: ثم لم يلبث أن مات في أيديهم، فذكروه لرسول الله ﷺ، فقال: **إنه لمن أهل الجنة**»[1].

- **الملائكة تدافع عن النبي ﷺ:** روى سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: «رأيتُ رجلين عن يمين رسول الله ﷺ يوم أُحد، عليهما ثياب بيض، يقاتلان عنه كأشد القتال، **ما رأيتهما قبلُ ولا بعد**»[2].
- **النعاس دليل السكينة في الغزوة:** روى أبو طلحة الأنصاري رضي الله عنه قال: «غشينا ونحن في مصافنا يوم أُحد (يعني النعاس)، حدَّث أنه فيمن غشيه النعاس يومئذ قال: فجعل سيفي يسقط من يدي وآخذه، ويسقط من يدي فآخذه، **والطائفة الأخرى المنافقون ليس لهم همٌّ إلا أنفسهم، أجبن قوم وأرعبه، وأخذله للحق**»[3].
- **شقائق الرجال عند النِّزال:** روى ثعلبة بن أبي مالك أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قسَّم مروطاً[4] بين نساء من نساء أهل المدينة، فبقي منها مرط جيد، فقال له بعض مَن عنده: يا أمير المؤمنين أعط هذا بنت رسول الله ﷺ التي عندك، يريدون أم كلثوم

---

(١) أخرجه أحمد ح ٢٣٦٣٤، وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط: حديث حسن.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب اللباس، باب الثياب البيض، ح٥٨٢٦.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب «ثم أنزل عليكم من بعد الغمِّ نعاساً»، ح٤٠٦٨، واللفظ للترمذي ح٣٠٠٨.

(٤) مروطاً: جمع مرط، وهو كساء من صوف أو حرير.

بنت علي، فقال عمر: أمُّ سُليط أحقُّ به، وأم سليط من نساء الأنصار، ممن بايع رسول الله ﷺ، قال عمر: **فإنها كانت تزفر**[1] **لنا القِرَبَ يوم أُحد**»[2].

وروى ابن مسعود رضي الله عنه أن النساء **كنَّ يوم أُحد خلف المسلمين، يُجهزن على جرحى المشركين**، فلو حلفت يومئذ رجوت أن أبر إنه ليس أحد منا يريد الدنيا، حتى أنزل الله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾﴾ آل عمران: ١٥٢

فلما خالف أصحاب النبي ﷺ، وعصوا ما أمروا به، أفرد رسول الله ﷺ في تسعة، سبعة من الأنصار، ورجلين من قريش، وهو عاشرهم»[3].

- **وقفة مع تفسير هذه الآية:** قال الامام الطبري: «أي: لَمَّا استولىَ عليكم الضَّعفُ والخَوَرُ، وجَبُنتم عن القتال، ووقَع الخلافُ بين رُماتكم؛ هل يَلزَمون ثُغُورَهم- كما عهد إليهم النَّبيُّ ﷺ- أم يتحرَّكون لجمْعِ الغنائم، وعصَى بعضُكم في النِّهاية أمْرَ رسولِ الله ﷺ، من بعدِ أنْ أَظهَر الله تعالى لكم ما تُحبُّونه من انهزام الكفَّار، وتوليتهم الأدبار، فلمَّا وقع ذلك كلُّه، حلَّت بكم الهزيمةُ... (وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ) أي: إنَّ الله عزَّ وجلَّ قد تَجاوَز عن عقوبة استئصالكم جميعًا أيُّها الرُّماة، لمعصيتكم الرَّسولَ ﷺ واستبدَل بها عقوبةً أخفَّ وطأة عليكم، وهي إلحاقُ الهزيمة بكم، وقَتْل بعضكم»[4].
- **من دعاء القائد في الغزوة:** روى جابر رضي الله عنه قال: «إن رسول الله ﷺ كان يقول يوم أُحد: **(اللهم إنك إن تشأ لا تُعبد في الأرض)**»[5].
- **التفصيل فيما جرى في الجولة الثانية والحاسمة من الغزوة:** روى البراء بن عازب رضي

---

(١) تزفر: أي تحمل أو تخيط.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب ذكر أم سليط، ح ٤٠٧١.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده برقم: ٤٢٦٩، وقال الشيخ ابراهيم العلي في صحيح أسباب النزول: إسناده حسن.

(٤) تفسير جامع البيان، الإمام الطبري، ٦/ ١٣٦.

(٥) أخرجه مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب استحباب الدعاء بالنصر عند لقاء العدو، ح١٧٤٣.

اللـــه عنهما قال: «جعل النبي ﷺ على الرجَّالة يوم أُحد، وكانوا خمســين رجلاً عبد الله بن جبير، فقال: إن رأيتمونا تخطفنا الطير فلا تبرحوا مكانكم هذا، **حتى أُرســل إليكم**، وإن رأيتمونا هزمنا القوم وأوطأناهم فلا تبرحوا حتى أُرسل إليكم، فهزموهم، قال: فأنا والله رأيتُ النساء يشتددن، قد بدت خلاخلهن وأسوقهن رافعات ثيابهن.

- فقــال أصحاب عبد الله بن جبير: الغنيمة أي قــوم الغنيمة، ظهر أصحابكم، فما تنتظرون؟ فقال عبد الله بن جبير: أنســيتم ما قال لكم رسول الله ﷺ؟ قالوا: والله لنأتين الناس، فلنصيبن من الغنيمة، فلما أتوهم صُرفت وجوههم[1]، فأقبلوا منهزمين، **فذاك إذ يدعوهم الرســول في أخراهــم**، فلم يبق مع النبي ﷺ غير اثني عشر رجلاً، فأصابوا منا ســبعين، وكان النبي ﷺ وأصحابه أصابوا من المشركين يوم بدر أربعين ومائة، سبعين أسيراً وسبعين قتيلاً.

فقال أبو ســفيان: أفي القوم محمد ثلاث مرات، **فنهاهم النبي ﷺ أن يجيبوه**، ثم قال: أفي القوم ابن أبي قحافة ثلاث مرات، ثم قال: أفي القوم ابن الخطاب ثلاث مرات، ثم رجع إلى أصحابه فقال: أما هؤلاء فقد قُتلوا، فما ملك عمر نفسه، فقال: **كذبتَ والله يا عدو الله، إن الذين عددتَ لأحياء كلهم، وقد بقي لك ما يسوؤك.**

قال: يومٌ بيوم بدر، والحرب سجال، إنكم ستجدون في القوم مُثلة لم آمر بها، ولم تسؤني، ثم أخذ يرتجز: أعْلُ هبل، أعْلُ هبل.

قال النبي ﷺ: ألا تجيبوا له؟ قالوا يا رسول الله: ما نقول؟ قال: **قولوا: الله أعلى وأجلُّ.**

قــال: إن لنا العزى ولا عــزى لكم، فقال النبي ﷺ: ألا تجيبــوا له؟ قال: قالوا يا رسول الله: ما نقول؟ قال: قولوا: **الله مولانا ولا مولى لكم**»[2].

ثالثاً: ما بعد الغزوة:

- **رد القتلى إلى مضاجعهم:** روى جابر رضي الله عنه قال: «إن قتلى أُحد حُملوا من مكانهم،

---

(١) حيث قيل بأن خالد بن الوليد قد وجد فرصة نزول الرماة عن الجبل سانحة له ليأتي جيش المسلمين من آخره، ويبدأ هو ومن معه بحصد من استطاعوا من المسلمين، فتحولت بذلك هزيمة المشركين إلى نصر في الجولة الثانية من جولات الغزوة.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة أحد، ح٤٠٤٣.

فنادى منادي رسول الله ﷺ: أن رُدوا القتلى إلى مضاجعهم»[1].

- **الصلاة على شهداء أحد:** روى عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: «صلى رسول الله ﷺ على قتلى أُحد بعد ثماني سنين، **كالمودع للأحياء والأموات**، ثم طلع المنبر فقال: إني بين أيديكم فرط، وأنا عليكم شهيد، وإن موعدكم الحوض، وإني لأنظر إليه من مقامي هذا، **وإني لست أخشى عليكم أن تشركوا، ولكني أخشى عليكم الدنيا أن تنافسوها**، قال: فكانت آخر نظرة نظرتها إلى رسول الله ﷺ»[2].
- **الجمع بين الشهداء في القبر الواحد:** روى جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ «كان يجمع بين الرجلين من قتلى أُحد في ثوب واحد، ثم يقول: **أيهم أكثر أخذاً للقرآن؟** فإذا أشير له إلى أحدهما قدَّمه في اللحد، وقال: أنا شهيد على هؤلاء، وأمر بدفنهم بدمائهم، ولم يصلِّ عليهم، ولم يغسلهم»[3].
- **كرامة الشهداء:** روى مسروق قال: سألنا عبد الله عن هذه الآية: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ آل عمران: ١٦٩ **قال: أما** إنَّا قد سألنا عن ذلك، فقال: «أرواحهم في جوف طير خضر، لها قناديل معلقة بالعرش، تسرح من الجنة حيث شاءت، ثم تأوي إلى تلك القناديل، فاطلع إليهم ربهم اطلاعة، فقال: **هل تشتهون شيئاً؟** قالوا: أي شيء نشتهي ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا»، ففعل ذلك بهم ثلاث مرات، فلما رأوا أنهم لن يتركوا من أن يسألوا، قالوا: **يا رب نريد أن ترد أرواحنا في أجسادنا حتى نُقتل في سبيلك مرة أخرى، فلما رأى أن ليس لهم حاجة تُركوا**»[4].

---

(١) أخرجه أحمد في المسند، ٣٠٨/٣، والترمذي، كتاب الجهاد، باب دفن الشهداء، ح١٧١٧، وذكره الشيخ ابراهيم العلي في صحيح السيرة برقم: ٣٩٦، وقال بأن سنده صحيح.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الجنائز، باب الصلاة على الشهيد، ح١٣٤٤.

(٣) السابق ح١٣٤٣.

(٤) أخرجه مسلم، كتاب الإمارة، باب بيان أن أرواح الشهداء في الجنة، ح١٨٨٧، وفي رواية عن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ: «لما أصيب إخوانكم بأحد، جعل الله عز وجل أرواحهم في أجواف طير خضر ترد أنهار الجنة، تأكل من ثمارها، وتأوي إلى قناديل من ذهب في ظل العرش، فلما وجدوا طيب مشربهم ومأكلهم، وحسن منقلبهم، **قالوا: يا ليت إخواننا يعلمون بما صنع الله لنا، لئلا يزهدوا في الجهاد، ولا ينكلوا عن الحرب**، فقال الله عز وجل: «أنا أبلغهم عنكم»، فأنزل الله عز وجل هؤلاء الآيات على رسوله «ولا تحسبن الذين قتلوا» سورة آل عمران آية ١٦٩، أخرجه أحمد ح ٢٣٨٨، وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط: حديث حسن.

ولما انصرف النبي ﷺ عن الشهداء قال: «أنا شهيد على هؤلاء إنه ما من جريح يُجرح في سبيل الله إلا والله يبعثه يوم القيامة يدمى جرحه، اللون لون دم، والريح ريح مسك»[1].

وفي رواية جابر رضي الله عنه انه قال: إن النبي ﷺ قال عن قتلى أُحد: «لا تغسلوهم، فإن كل جرح أو كل دم يفوح مسكاً يوم القيامة، ولم يصل عليهم»[2].

- **عدد الشهداء وأثرهم في النفوس حتى فتح مكة:** روى أبي بن كعب رضي الله عنه قال: «لما كان يوم أُحد قُتل من الأنصار أربعة وستون رجلاً، ومن المهاجرين ستة، فقال أصحاب رسول الله ﷺ: **لئن كان لنا يوم مثل هذا من المشركين، لنُرْبِيَنَ عليهم**، فلما كان يوم الفتح، قال رجل لا يُعرف: لا قريش بعد اليوم، فنادى منادي رسول الله ﷺ: أمنَ الأسود والأبيض إلا فلاناً وفلاناً، ناساً سماهم، فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾﴾ النحل: ١٢٦ فقال رسول الله ﷺ: «**انصبر ولا نعاقب**»[3].
- **الوصية بأبناء الشهداء:** روى جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: «جاءت امرأة سعد بن الربيع بابنتيها من سعد إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله هاتان ابنتا سعد بن الربيع، قُتل أبوهما معك يوم أُحد شهيداً، وإن عمهما أخذ مالهما، فلم يدع لهما مالاً، ولا تنكحان إلا ولهما مال، قال: **يقضي الله في ذلك**، فنزلت آية الميراث، فبعث رسول الله ﷺ إلى عمهما فقال: **أعط ابنتي سعد الثلثين، وأعط أمهما الثمن، وما بقي فهو لك**»[4].
- **أسر أبو عزة الشاعر:** «وكان رسول الله ﷺ أسره ببدر ثم منَّ عليه، فقال (وقد أسره مرة ثانية في أُحد): يا رسول الله أقلني، فقال رسول الله ﷺ: «والله لا تمسح

---

(١) أخرجه أحمد ٥/ ٤٣١، وقال الشيخ الألباني عند تخريجه لأحاديث فقه السيرة للشيخ الغزالي ص ٢٧٤، بأنه حديث صحيح.

(٢) أخرجه أحمد ح ١٤١٨٩، وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط: حديث صحيح.

(٣) أخرجه أحمد ح ٢١٢٢٩، وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط: إسناده حسن.

(٤) أخرجه الترمذي، كتاب الفرائض، باب ما جاء في ميراث البنات، ح ٢٠٩٢، وذكره الشيخ ابراهيم العلي في صحيح أسباب النزول برقم: ٩٩، وقال: هو حديث حسن.

عارضيك بمكة بعدها وتقول خدعتُ محمداً مرتين، اضرب عنقه يا زبير، فضرب عنقه»، «**لا يُلدغ المؤمن من جحر مرتين**»[1].

- **دعـــاء القائد بعد الجولة الثانية من الغـــزوة:** روى رفاعة الزرقي قال: «لما كان يوم أُحد وانكفأ المشركون، قال رســـول الله ﷺ: استووا حتى أثني على ربي، فصاروا خلفه صفوفاً، فقال: اللهم لك الحمد كله، اللهم لا قابض لما بسطت، ولا باسط لما قبضت، ولا هادي لما أضللت، ولا مضل لمن هديت، ولا معطي لما منعت، ولا مانـــع لما أعطيت، ولا مقرب لما باعدت، ولا مباعد لما قربت، اللهم ابســـط علينا من بركاتك ورحمتك وفضلك ورزقك، اللهم إني أسألك النعيم المقيم الذي لا يحول ولا يزول، **اللهم إني أسألك النعيم يوم العَيلة، والأمن يوم الخوف، اللهم إني عائذ بك من شر ما أعطيتنا، وشر ما منعت، اللهم حبب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا، وكرِّه إلينا الكفر والفســـوق والعصيان، واجعلنا من الراشـــدين**، اللهم توفنا مســـلمين، وأحينا مســـلمين، وألحقنا بالصالحين، غير خزايا ولا مفتونين، اللهم قاتل الكفرة الذين يكذبون رســـلك، ويصدون عن سبيلك، واجعل عليهم رجزك وعذابك، **اللهم قاتل الكفرة الذين أوتوا الكتاب، إله الحق**»[2].
- **علاقتنا بجبل أُحد ومن لقي الله عنده:** روى أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ «طلع له أُحد فقال: **هذا جبل يحبنا ونحبه**، اللهم إن إبراهيم حرَّم مكة، وإني حرَّمت ما بين لابتيها»[3].

وكان النبي ﷺ يتمنى لو أنه استشهد مع الشهداء في أُحد، فقد كانوا إذا ذكروا شهداء أُحد يقول: «أما والله **لوددت أني غودرت مع أصحابي نحص الجبل**، أي سفحه»[4].

---

(١) أخرجه ابن هشام في السيرة ٣ / ١١٠، وقال الشيخ الألباني: ضعيف، غير أن الزيادة في قوله ﷺ: لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين زيادة صحيحة أخرجها البخاري، كتاب الأدب، باب لا يلدغ المؤمن، ح ٥٧٢٨، وهي عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أحمد ح ١٥٤٩٢، وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط: رجاله ثقات، وقال الشيخ الألباني: صحيح، وانظر فقه السيرة ص٢٦٩.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب أُحد جبل يحبنا ونحبه، ح ٤٠٨٤.

(٤) أخرجه أحمد، وانظر الفتح الرباني ٢١/ ٥٨، وذكره الدكتور أكرم العمري في السيرة الصحيحة ص ٤٤٣ وقال: إسناده حسن، قال ابن سلام في غريب الحديث: غودرت، يعني ليتني تُركت معهم شهيداً مثلهم.

- **تهون المصائب بعد الحبيب:** روى سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: «مرّ رسول الله ﷺ بامرأة من بني دينار، وقد أصيب زوجها وأخوها وأبوها مع رسول الله ﷺ بأُحد، **فلما نُعوا لها قالت: فما فعل رسول الله ﷺ؟ قالوا: خيراً يا أم فلان، هو بحمد الله كما تحبين.**

قالت: أرونيه حتى أنظر إليه، فأشير لها إليه حتى إذا رأته قالت: **كل مصيبة بعدك جلل، تريد صغيرة»**[1].

- **ملاحقة جيش المشركين بعد الغزوة (وطلائع حمراء الأسد):** روت عائشة رضي الله عنها في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ ١٧٢﴾ [آل عمران: ١٧٢] **قالت لعروة: يا ابن أختي، كان أبواك منهم؛ الزبير وأبو بكر، لما أصاب رسول الله ﷺ ما أصاب يوم أُحد وانصرف عنه المشركون، خاف أن يرجعوا، قال: من يذهب في إثرهم؟ فانتدب منهم سبعون رجلاً، قال: كان فيهم أبو بكر والزبير»**[2].

- **وقفة في تفسير هذه الآية:** يقول سيد قطب: «إنهم أولئك الذين دعاهم الرسول ﷺ إلى الخروج معه كرة أخرى غداة المعركة المريرة.. وهم مثخنون بالجراح.. وهم ناجون بشق الأنفس من الموت أمس في المعركة وهم لم ينسوا بعد هول الدعكة، ومرارة الهزيمة، وشدة الكرب.. وقد فقدوا من أعزائهم من فقدوا، فقلَّ عددهم، فوق ما هم مثخنون بالجراح! ولكن رسول الله ﷺ دعاهم. ودعاهم وحدهم. ولم يأذن لأحد تخلف عن الغزوة أن يخرج معهم - ليقويهم ويكثر عددهم كما كان يمكن أن يقال! - فاستجابوا.. استجابوا لدعوة الرسول ﷺ وهي دعوة الله - كما يقرر السياق وكما هي في حقيقتها وفي مفهومهم كذلك - فاستجابوا بهذا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح، ونزل بهم الضر، وأثخنتهم الجراح.

لقد دعاهم رسول الله ﷺ ودعاهم وحدهم، وكانت هذه الدعوة وما تلاها من استجابة تحمل إيحاءات شتى، وتومئ إلى حقائق كبرى، نشير إلى شيء منها:

---

(١) أخرجه ابن هشام في السيرة ٢/ ٩٩، والبيهقي في الدلائل ٣/ ٣٠٢، وذكره الشيخ ابراهيم العلي في صحيح السيرة برقم: ٤١١.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب «الذين استجابوا لله والرسول»، ح٤٠٧٧.

فلعل رسول الله ﷺ شاء ألا يكون آخر ما تنضم عليه جوانح المسلمين ومشاعرهم، هو شعور الهزيمة، وآلام البرح والقرح؛ فاستنهضهم لمتابعة قريش، وتعقبها، كي يقر في أخلادهم أنها تجربة وابتلاء، وليست نهاية المطاف، وأنهم بعد ذلك أقوياء، وأن خصومهم المنتصرين ضعفاء، إنما هي واحدة وتمضي، ولهم الكرة عليهم، متى نفضوا عنهم الضعف والفشل، واستجابوا لدعوة الله والرسول.

ولعل رسول الله ﷺ شاء في الجانب الآخر ألا تمضي قريش، وفي جوانحها ومشاعرها أخيلة النصر ومذاقاته، فمضى خلف قريش بالبقية ممن حضروا المعركة أمس؛ يشعر قريشاً أنها لم تنل من المسلمين منالاً، وأنه بقي لها منهم من يتعقبها ويكر عليها.

وقد تحققت هذه وتلك كما ذكرت روايات السيرة.

ولعل رسول الله ﷺ شاء أن يشعر المسلمين، وأن يشعر الدنيا كلها من ورائهم، بقيام هذه الحقيقة الجديدة التي وجدت في هذه الأرض.. حقيقة أن هناك عقيدة هي كل شيء في نفوس أصحابها.

ليس لهم من أرب في الدنيا غيرها، وليس لهم من غاية في حياتهم سواها، عقيدة يعيشون لها وحدها، فلا يبقى لهم في أنفسهم شيء بعدها، ولا يستبقون هم لأنفسهم بقية في أنفسهم لا يبذلونها لها، ولا يقدمونها فداها»[1].

- **حكاية حمراء الأسد والجولة الأخيرة في الغزوة:** روى عِكْرِمَةُ، قَالَ: لَمَّا انْصَرَفَ أَبُو سُفْيَانَ وَالْمُشْرِكُونَ عَنْ أَحَدٍ، وَبَلَغُوا الرَّوْحَاءَ، **قَالُوا: لَا مُحَمَّدًا قَتَلْتُمْ، وَلَا الْكواعبَ أَرْدَفْتُمْ، بِئْسَ مَا صَنَعْتُمْ**، فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَنَدَبَ النَّاسَ فَانْتَدَبُوا، حَتَّى بَلَغُوا حَمْرَاءَ الأَسَدِ أَوْ بِئْرَ أَبِي عُيَيْنَةَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾﴾ [آل عمران: ١٧٢] وذلك أن أبا سفيان قال للنبي ﷺ: موعدك موسم بدر حيث قتلتم أصحابنا، **فأما الجبان فرجع، وأما الشجاع فأخذ أهبة القتال والتجارة**، فأتوه فلم يجدوا به أحداً، وتسوقوا، فأنزل الله عز وجل: ﴿فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ

(١) تفسير في ظلال القرآن، سيد قطب، ١/ ٥١٩.

يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُواْ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ آل عمران: ١٧٤ [١].

- **من عجائب التشريع الحكيم:** روى جابر رضي الله عنه قال: «**اصطبح الخمر يوم أُحد ناس ثم قُتلوا شهداء**»[٢].
- **سداد دين شهيد من شهداء أُحد:** روى جابر بن عبد الله رضي الله عنهما «أن أباه استشهد يوم أُحد وترك عليه دَيناً، وترك ست بنات، فلما حضر جزاز النخل قال: أتيت رسول الله ﷺ، فقلت: **قد علمتَ أن والدي قد استشهد يوم أُحد، وترك دَيناً كثيراً، وإني أحب أن يراك الغرماء**، فقال: اذهب فبيدر كل تمر على ناحية. ففعلت، ثم دعوته، فلما نظروا إليه كأنهم أُغروا بي تلك الساعة، فلما رأى ما يصنعون أطاف حول أعظمها بيدراً ثلاث مرات، ثم جلس عليه، ثم قال: ادع لي أصحابك، **فما زال يكيل لهم حتى أدى الله عن والدي أمانته، وأنا أرضى أن يؤدي الله أمانة والدي، ولا أرجع إلى أخواتي بتمرة، فسلَّم الله البيادر كلها وحتى إني أنظر إلى البيدر الذي كان عليه النبي ﷺ كأنها لم تنقص تمرة واحدة**»[٣].
- **هل كانت أُحد نصراً أم هزيمة:** روى ابن عباس رضي الله عنهما قال: **ما نصر الله تبارك وتعالى في موطن كما نصر يوم أحد** قال: فأنكرنا ذلك، فقال ابن عباس: بيني وبين من أنكر ذلك كتاب الله تبارك وتعالى، إن الله عز وجل يقول في يوم أُحد: «ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم بإذنه»، والحس القتل.... ثم ساق تفاصيل الغزوة»[٤].

---

(١) أخرجه النسائي، كتاب التفسير، ح١٠٣، والطبراني في الكبير ١١٦٣٢، وقال السيوطي في لباب النقول: ص٦١، بأن سنده صحيح، وذكره الشيخ ابراهيم العلي في صحيح السيرة برقم: ٤١٣.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة أُحد، ح٤٠٤٤.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب «إذ همت طائفتان»، ح٤٠٥٣.

(٤) أخرجه أحمد ح ٢٦٠٩، وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط: إسناده حسن.

- أنوار وفوائد في المجال التزكوي القيمي النفسي (التربوي):

- **لم يشأ النبي ﷺ أن يؤثر سلباً على معنويات أصحابه**، فقد رأى رؤيا فيها شيء من الجراح والقتل، لكنه أرجأ تأويلها إلى ما بعد أُحد، والدليل على ذلك أنه قال فيها: «رأيت في رؤياي أني هززت سيفاً فانقطع صدره، فإذا هو ما **أصيب** من المسلمين يوم أحد...».
- قد يبتلى المرء في الغزوات والمعارك بإصابة أحب الناس إلى قلبه ولا ضير طالما أن الأمر في ذات الله تعالى وابتغاء مرضاته.
- المسلمون تحت أمر الله تعالى؛ فإما أن يكونوا في ميدان جهاد ومدافعة، وإما أن يكونوا في ميدان رباط وبناء وإعداد (وما بدلوا تبديلا).
- يبتلينا رب العزة بين الفترة والأخرى بمواقف وأزمات ثقيلة موجعة للنفوس، ويكون الغاية العظمى منها تمايز الصفوف، **فلا حزن إن خرج من الصفوف منافقون**، قال تعالى: ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٩﴾﴾ آل عمران: ١٧٩ كذلك كانت غزوة أُحد، ولقد بقي المنافقون بين الصفوف؛ يصلون كما نصلي ويصومون ويتصدقون ويذكرون الله تعالى ويؤدون سائر الشعائر (بتثاقل وهمم منخفضة طبعاً) لكنهم عندما دعا داعي الجهاد خرجوا حتى إذا تأكد لهم أمر المعركة والقتال تولوا ورجعوا ونكصوا، وصدق الشاعر[1] في حالتهم هذه:

جزى الله الشدائد كل خير ... وإن كانت تغصصني بريقي
وما مدحي لها شكراً ولكن ... عرفتُ بها عدوي من صديقي

- لقد ارتقت نفس جابر رضي الله عنه فلم يلتفت كثيراً إلى العتاب الإلهي للطائفتين المختلفتين بشأن المنافقين المرتدين عن الجيش على خطورة هذا العتاب، بقدر

(١) نسبت هذه الأبيات للإمام الشافعي ولم أجد ما يثبت أو ينفي ذلك.

ما انتبه إلى قوله تعالى: «والله وليهما» **ففرحت نفسه وسعدت روحه لهذا التكريم والحماية من الله تعالى لتلك الطائفتين، وهو يعدُّ نفسه منهما، وكيف لا يعطى هؤلاء الولاية وقد اختلفوا لما فيه الخير والنصرة والمصلحة للإسلام وأهله.**

- ليس أعظم في باب التربية والتزكية والتهذيب من أن نربي أولادنا على محبة النبي ﷺ وافتداء دينه ودعوته، حتى نجد منهم حماسة في طلب الانخراط في صفوف المدافعين عنه والذابِّين عن حماه، هكذا كانت تربية عمر رضي الله عنه لأولاده فكانوا.
- استخدم النبي ﷺ **أسلوب المسابقة والتحفيز** عندما عرض سيفه مرغباً لهم بحمله، فتسابقوا عليه، كيف لا وهو سيف قدمه لهم النبي ﷺ، ولكنه لما كرر جملته «من يأخذ السيف بحقه» خوَّفهم فكان الإحجام منهم لعلمهم ماذا يعني حق السيف من وجوب إظهار أقصى طاقة في الشجاعة والاستبسال، فأخذه أبو دجانة رضي الله عنه وقاتل فيه ببسالة.
- شهد وحشي رضي الله عنه شهادة حق تثبت شجاعة حمزة رضي الله عنه قبيل قتله له، وهو يحكي حكاية قتل حمزة لذاك الرجل الذي تحدى الله ورسوله بضربة خاطفة عدمت منه الأنفاس.
- شكلت شخصية أنس بن **النضر** رضي الله عنه مدرسة متكاملة في سلوك الغيرة على الدين والحرص على مشاهد البطولة والشجاعة والثبات، فهو قد غاب عن بدر لعذر، لكنه لم يعذر نفسه، وضرب عهداً بينه وبين ربه على حسن البلاء في مواقف قادمة، وعلى الرغم من أن المعارك والغزوات لا تُقضى كما الصلوات **إلا أنه سنَّ لنا سنة قضاء المعركة الفائتة**، والناظر في بسالته يوم أحد يكتشف كيف أنه قضى ما فاته من بدر، كيف لا، وقد شارك في أُحد من بدايتها، ولما فرَّ الفارون بعد سماعهم نبأ مقتل النبي ﷺ استأنف الدفاع والقتال من جديد، فكأنها حُسبت له معركة جديدة، وبقي يقاتل معتذراً إلى الله تعالى عن فرار إخوانه، متبرئاً من فعل المشركين، حتى لقي ربه شهيداً مقبلاً غير مدبر، فرضي الله عنه وأرضاه.
- في سؤال ذاك الصحابي عن مصيره إن هو قُتل، دليل على حرص الصحابة على خواتيم أعمالهم ومصائرهم بعد موتهم، فهم ليسوا بالمغامرين، ولا بالأغرار، ولا

بالذين يعتبطون الحياة والممات، فلما اطمأن على أن المصير الجنة لمن مات في سبيل الله مقبلاً غير مدبر؛ تقدم دون وجَلٍ فقاتل حتى قُتل.

- برزت أخلاق حذيفة رضي الله عنه وهو يعفو ويصفح عمن قتل والده من المسلمين بطريق الخطأ يـوم أُحد، بل وهو يتصدق بدية والده على فقراء المسـلمين كذلك، وهو لأجل ذلـك لا تزال فيه بقية خير حتـى مات، **مما يدل عـلى أن الحياة مواقف، فموقـف يرفعـك ويُعليك، وموقف يخفضـك ويُدنيك**، وكلنا لنـا الخيار، والله يحمينا ويحميك.
- عبد الله بن جحـش رضي الله عنه ذاك الصحابي الفريد الذي كلفه النبي ﷺ بقيادة سرية عوضـاً عن أبي عبيدة رضي الله عنه قبيل غزوة بدر يظهر من جديد في غزوة أُحد ويقسـم على الله تعالى قسـماً يظهر فيه صدقه، وقد علم وأيقن ما أعد الله تعالى لكل من يصاب في سبيله، فهو لا يخاف الموت ولا التمثيل بجثته إن أصيب لأنه يعد ذلك في سبيل الله، وهذا لا يعني - وقد طلب ذلك - رغبته في إلقاء نفسه إلى التهلكة، بقدر ما كان يؤكد عزمه وصدقه عـلى الالتحام في الصفوف دون وجل، حتى لو كلفه ذلك أن يصير إرباً إرباً، فكان له ما طلب.
- كان بإمكان حنظلة رضي الله عنه أن يجد لنفسـه عذراً مقبولاً عن المشاركة في غزوة أُحد لكنه لم يجد أن من النبل والشرف والنخوة والحمية للدين أن يترك رسول الله ﷺ يخرج لمواجهة كفار مكة دون أن ينصره، فترك عروسـه واسـتعجل لينسى غُسله كذلك، وقاتل حتى لقي الله شـهيداً، ولاشـك أنه وقد ذاق شيئاً من حلاوة حور الدنيا يطمح إلى حلاوة حور الآخرة، فسعى لها سعيها وهو مؤمن حتى لقيها بإذن ربه.
- أكرم الله تعالى بعض الشهداء بتحريم جثثهم على الأرض فلا تأكلها دودها، ومن هؤلاء عبـد الله بن حرام رضي الله عنه، ولا ندري ما السر الـذي بين هؤلاء وربهم حتى تمتنع هوام الأرض عنهم، وما الفرق بين شـهيد وشهيد، علماً بأن من كرامة بعض الشهداء كذلك أن تتفرق لحوم أجسادهم من شدة ما وقع عليها من أذى فيجمعها الله تعالى في حواصل طيور خُضر عنده في جنات النعيم، ولكن يبدو أن الصدق

مع الله هو سيد الموقف في تلك الحالات، ويبدو أن هنالك صدق دون صدق، والله تعالى أعلم بالنوايا والنفوس.

- يظن بعضنا أحياناً أن شخصية الصحابي تحكي رجلاً ممتلئاً بالعلم والثقافة والمعرفة مشحوناً بالزاد الإيماني الكبير، ولكننا نقف عند بعض الشواهد التي تؤكد لنا أن الأمر أبسط مما نتصور بكثير، **فصحابة النبي ﷺ بشرٌ من البشر**، وفي حكاية سليم ذاك الرجل من بني سلمة الذي أزعجه التطويل في صلاة معاذ بن جبل (أعلم الأمة بالحلال والحرام) رضي الله عنه فشكاه إلى رسول الله ﷺ، وعوتب به معاذ رضي الله عنه، ذاك الرجل الذي لا يحسن أن يتلو من القرآن شيئاً غير أنه يُسبح ويحمد الله تعالى وهو يظن أنه بذلك يلتقي مع معاذ رضي الله عنه في غاية العبودية المحضة لله تعالى، فلما رأى الأصحاب حاله وعرفوا وزنه كأنما اعترضوا عليه ورمقوه بنظرات غريبة، وإلا كيف لرجل لا يفقه شيئاً أن يعترض على أعلم الأمة بالحلال والحرام؟!، وهنا يأتي التحدي، ليعلن الرجل استعداده الدخول في جيش أُحد قائلاً: سترون غداً إذا التقى القوم إن شاء الله، **وكأنه يريد أن يلقن الجميع درساً في الميزان الذي ينبغي أن نحكم به على الرجال، فتكون المعركة، ويشارك فيها سليم، ويبلي بلاءً حسناً، ثم يكون في الشهداء، فرضي الله عنه وأرضاه.**

- يستنبط الناس في الغالب أحكامهم على الناس بناء على ما يظهر من سلوكاتهم وتصرفاتهم، ولا يدري أحد ما الذي يجري في القلوب، فيكون الحكم، ويترتب على الحكم بالظاهر أحكاماً نجريها على هؤلاء الناس، فمثلاً عندما نرى رجلاً يقاتل في صفنا ثم يُقتل فإننا نجري عليه أحكام الشهيد فلا نغسله ولا نكفنه ولا نصلي عليه، ولا ندري هل هو عند الله تعالى مقبول وشهيد أم مرفوض وطريد، ولقد حكم أصحاب النبي ﷺ وهم مَن هم في الفطنة والكياسة على رجل ممن شارك في الغزوة باستبسال تام بأنه من أهل الجنة، **إذ به لسوء سلوكه مع نفسه، ولعدم ثقته بأمر ربه، ولاستعجاله يقتل نفسه**، فتتحقق فيه نبوءة النبي ﷺ بأنه من أهل النار.

- على النقيض من قصة الرجل الذي حسبوه من أهل الجنة إذ به من أهل النار، تأتي

قصة الأصيرم في الغزوة ذاتها لتثبت لنا عدم التسرع في الحكم على الناس، ولقد أسعف الصحابة الكرام أنفسهم من أن يقعوا في الظن السيء لما أدركوا الأصيرم قبل وفاته وسألوه متحققين منه عن سبب دخوله في الميدان للقتال، هل كان لأجل الله تعالى أم حمية لقومه؟ فأظهر لهم ما كان يخفيه عنهم من إسلامه، فكان من أهل الجنة، بإذن الله تعالى.

- ليس أعظم من السكينة في الميادين الصعبة وعند الالتحام لتثبيت النفس، فإذا ثبتت النفس والروح، ثبتت الأرجل واقترب الفرج، ولقد أكرم الله تعالى صحابة النبي ﷺ بنعاس سكنت من خلاله أنفسهم، وما الذي أتى بالنعاس في ساعة تطير فيه البصائر والأبصار، إنه النعاس الذي يوحي بأنك غير مكترث بخصمك مطلقاً، في وقت يريدك هو أن تكون مضطرباً قلقاً، **ولكن على أي شيء يخاف المجاهدون، وهم بكرم الله تعالى ونصره ورزقه وفرجه مطمئنون؟!**
- أحسن أبو طلحة رضي الله عنه في توصيفه لبعض المنافقين يوم أُحد فقال: «والطائفة الأخرى، المنافقون ليس لهم همٌّ إلا أنفسهم، أجبن قوم وأرعبه، وأخذله للحق»، وذلك في معرض حديثه عن السكينة التي حلت بالمؤمنين فأصابهم النعاس عندها ولم يخافوا.

إنه النفاق الذي يقتل صاحبه خوفاً وفزعاً فيموت المنافق في اليوم مرات عدة، وتزهق روحه عند المعارك في كل لحظة مرة بل مرات، وفي الوقت الذي يحرص فيه المؤمنون على دينهم وأهلهم وعقيدهم ونبيهم ومقدساتهم، يحرص هؤلاء على أنفسهم فقط ﴿وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِن شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾﴾ آل عمران: ١٥٤، **لأجل ذلك أقبل هؤلاء** وأتموا الغزوة بصحبة نبيهم الكريم، وأدبر أولئك فلم يحتملوا ما في المعامع من شدة وبلاء.

- في معاني الردود التي وجهها الأصحاب لأبي سفيان في ختام الجولة الثانية من الغزوة بتعليم وتلقين من النبي ﷺ ما يشي بالقيم الراقية والعالية التي كان رسول ﷺ يحرص على تثبيتها في نفوس أصحابه في المواقف الصعبة، فالله مولانا ولا مولى لهم، والله أعلى وأجل، في وقت أراد أبو سفيان أن ينتشي بما حقق في هذه الجولة من ظفر، لكنه بهذا الرد المفحم الكبير خاب وتراجع ونكص واندحر.
- لم يكن سبب جمع النبي ﷺ لأكثر من شهيد في قبر واحد لأجل ضيق في الأرض، بقدر ما هو رغبة من النبي ﷺ في أن تحصل البركات والرحمات لهم جميعا بأمر من الله تعالى وإذنه، وإلا فإنه لا تزر وازرة وزر أخرى، ولو تم دفن فرعون بجانب موسى عليه السلام ما نفع ذلك فرعون شيئاً، إنما هي مسألة معنوية، وكذلك لما طلب النبي ﷺ تقديم أكثرهم قرآناً في اللحد ليُعلم ما لأهل القرآن من منزلة، فهم مقدَّمون في حياتهم وعند مماتهم، **وهذا التكريم لهم يدفعهم لأن يكونوا على قدر المسؤولية والتكليف كذلك.**
- ظلت آلام مصاب المسلمين في غزوة أُحد عالقة في نفوس الصحابة كلهم، وكانوا قد توعدوا قريشاً بردِّ الصاع صاعين، فلما حان موعد الانتقام والثأر يوم فتح مكة، تذكر الأصحاب ما فعله المشركون بإخوانهم، فثارت ثائرتهم ولم تهدأ تلك النفوس الثائرة إلا بعد أن نزل قول الله تعالى: «**وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به، ولئن صبرتم لهو خير للصابرين**» فقال النبي ﷺ: نصبر ولا نعاقب، لتظهر قيمة السماحة والعفو والصفح عند المقدرة، وهل أجمل وأعظم من الصفح، **ولعله أثقل على نفوس البادئين بالظلم من إيقاع العقوبة بهم، لاسيما إن كانوا من العرب الأصلاء الذين تعزُّ عليهم أنفسهم الكبيرة.**
- في عالم النساء تتعاظم العاطفة، وتجيش النفوس، فإذا فقدت المرأة أباها أو أخاها أو ابنها لم تسكن نفسها، فكيف إذا فقدتهم كلهم في غزوة واحدة، ولكن لنا أن نتساءل عن نوع وطريقة وشكل تلك التربية التي حازتها نسوة عشْنَ في زمن النبي ﷺ، بحيث أصبح حبه مقدمٌ على كل حب، وسلامته مقدمة على كل سلامة، وأصبح افتداؤه لديهن واجب محبوب، فأين ذهبت عاطفة تلك المرأة

عندما تأكدت من سلامة النبي ﷺ بعد ورود خبر مقتل أعز الناس لديها، لتصرح بأن المصائب مع سلامة النبي ﷺ كلها تهون، **إنها العقيدة أولاً وقبل كل شيء، فالابن يعوَّض، والزوج يعوَّض، ولكن رسول الإسلام إن قُتل فما له مِن عوض.**

- كان للتدرج في التشريع أثره التراكمي في تربية نفوس الصحابة الكرام، ولقد تأخر تشريع تحريم الخمر لما لهذه المادة من تجذر في حياة الناس في ذلك الزمان، ومن هنا لم يكن مستغرباً أن يموت من مات من شهداء أُحد وتشريع تحريم الخمر بعدُ لم يكن مقرراً، فلا حرج عليهم طالما أنه ليس في الأمر تشريع.
- يقول الدكتور أحمد العليمي: «يجب تقويم الأخطاء والمصارحة في معالجتها وعدم السكوت أو التغاضي عنها، لأن عمل ذلك يؤدي إلى تراكمها وبقائها وعدم معرفة المتعاطين معها، لذا جاء القرآن بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا۟ ۖ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾﴾ آل عمران: ١٥٥ وقوله تعالى: ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾﴾ آل عمران: ١٥٢ لينبه على الممارسة الخاطئة ويواجهها مباشرة ليتم علاجها بعد كشفها»[1].
- يقول الاستاذ محمد عبد الهادي ظاهر: «إن الرجال الذين يكتبون التاريخ بدمائهم ويوجهون زمامه بعزائمهم هم الذين يحفظ الله بهم الإسلام في الأرض، وأسرع الناس إلى الشغب والانفلات والتمرد من أُقصوا عن الرئاسة وهم إليها طامحون، **وكان عبد الله بن أُبي مثلا لهذه الفئة التي تضحي بمستقبل الأمة في سبيل أطماعها الخاصة**»[2].
- يقول الشيخ محمد الغزالي: «**ولئن أفادت وقعة بدر في خذل الكافرين، إن وقعة أُحد أفادت مثلها في فضح المنافقين، ورب ضارة نافعة، وربما صحت الأجساد بالعلل**»[3].
- يقول الدكتور منير الغضبان معلقاً على مشهد إشاعة خبر مقتل النبي ﷺ في غزوة

(١) دروس في السيرة النبوية وعبرها، الدكتور أحمد العليمي، مطبوعات جامعة الإمارات، ص١٨٣.
(٢) طريق الدعوة في ظلال السيرة، محمد عبد الهادي ظاهر، ص١٥٤.
(٣) فقه السيرة، الشيخ محمد الغزالي، ط دار القلم، ط١، ٢٠٠٦م، ص٢٧١.

أُحد: «**إننا بحاجة ونحن نربي هذه الجماعة المسلمة أن نوازن بين هذين الأمرين دون طغيان:**

الأمر الأول: ربط الجنود بقائدهم ربطاً وثيقاً، ربط حياة وموت واندفاعاً إلى الاستشهاد وراءه، وتلبية لأمره وذوداً عنه.

الأمر الثاني: أن يكون عمق العقيدة وحبها أكبر من حب القائد في القلب، فلو سقط القائد فلا بد من الموت على ما مات عليه، والسير على نهجه»[1].

- يقول الدكتور عماد الدين خليل: جاءت هزيمة أُحد تعليماً قيماً للمسلمين عبر دروب صراعهم المرير في مواجهة الأعداء، وكأن إرادة الله شاءت أن يكبو المسلمون هذه الكبوة بعد سلسلة الانتصارات التي حققوها قبل بدر وبعدها، لأن الانتصار الدائم يعرض الجماعة لنوع من اليقين الأعمى والاتكالية السالبة، ويحشر في صفوفهم الكثير الكثير من ضعاف الإيمان وطالبي المغانم، **فلا بد من هزة عنيفة تنخِّل المنتمين إلى الدعوة، وتُسقط عنهم أولئك الذين لا يقدرون على الصمود ومجابهة الخطر وجهاً لوجه، وممارسة الموت بإيمان»**[2].
- يقول الدكتور صالح رضا: «لاحظ أن القرآن الكريم لم ينزل ورسول الله ﷺ في المعركة ولا حتى بعدها بقليل، وإنما نزلت الآيات التي تعاتب المسلمين وتبين حجم خطئهم بعد أن رجعوا إلى المدينة واستقروا قليلاً، **وهي إشارة الى أهم أدبيات العمل الجماعي، أن لا يقوم الناقد بالنقد أثناء العمل، لأن مفاسد هذا النقد أضعاف منافعه»**[3].
- لا يزال في النفس بقية من شح حتى لو عاش صاحبها في زمن الحبيب ﷺ، وسمع منه ما أعده الله تعالى لمن وقي شح نفسه، وإلا ما الذي دعا عمّ بنات سعد بن الربيع لأن يأخذ حقهما في مال أبيهما حتى أنزل الله تعالى في شأنه قرآناً يُتلى في مسألة الميراث، كما أنه يستفاد من هذه القصة كيف أن النبي ﷺ كان يحيل على الله تعالى في الإجابة على بعض المسائل الشائكة، وبالفعل نزل الحل من عنده سبحانه.

---

(١) المنهج الحركي للسيرة النبوية، الدكتور منير الغضبان، ط دار الوفاء، ط ١٠، ١٩٩٨م، ص٢٣٤.

(٢) دراسة في السيرة، الدكتور عماد الدين خليل، ص١٦٦.

(٣) إنها النبوة، الدكتور صالح رضا، ص ٣٥٦.

- أنوار وفوائد في المجال التأثيري الاجتماعي التواصلي (الدعوي):

- ما جرى بين عبيد الله بن عدي ووحشي الحبشي رضي الله عنهما يدل على **قدرة فائقة لدى وحشي في التعرف على الشخصيات من خلال لغة أجسادهم**، وبعض آثارهم.
- وجد وحشي الحبشي بعد أن نال حريته من سيده جبير بن المطعم أن الطائف وهي لا تزال دار كفر أكثر مناسبة له من مكة ليقيم فيها، فأقام هناك بعد أن فشا الإسلام في مكة، لكنه لما بدأ يرى تحركاً نحو الإسلام من أهل الطائف لم يجد سوى هذا السبيل، سبيل الهداية للنجاة فعزم على مقابلة النبي ﷺ ومبايعته على الإسلام، وقد خرج معهم لما تبين له أن النبي ﷺ لا يقتل الوفود والرسل.
- يبقى الجانب البشري في حياة الرسول ﷺ يلمع بين الفترة والأخرى فها هو ذا يرفض رؤية وجه وحشي على الرغم من إسلامه، لأجل قبح ما فعله وحشي في أسد الله حمزة رضي الله عنه، وبدلاً من أن تكون هذه العقوبة النفسية لوحشي سبباً من أسباب ردته وتركه للإسلام كانت حافزاً متقدماً ليأتي بما يكفِّر به عن تلك الفعلة، ومن جنس تلك الفعلة، فهو يعلم أنه قتل رجلاً من خيرة الناس، وجاء دوره ليكفر عن ذلك بقتله لرجل من شرار الناس، فتجهَّز لقتل مسيلمة الكذاب، وكمنَ له كما كمنَ لحمزة رضي الله عنه حتى قتله، **وهكذا استثمر وحشي طاقته في القدرة على التركيز والرمي استثماراً إيجابياً، أراح به الناس من شرور مسيلمة الكذاب.**
- حاز النبي ﷺ النبل من جوانبه كلها، **ففي الوقت الذي كانوا يحرصون فيه على قتله كان هو يحرص على هدايتهم وحياتهم**، فقد أدموه وقتلوا من أصحابه، ولا يزال لسانه يدعو لهم: اللهم اهدِ قومي فإنهم لا يعلمون، فمات منهم من أصرَّ على الكفر، وكان لهذا الدعاء أثر فيمن بقي منهم على قيد الحياة حتى أدركه الإسلام، ولو متأخراً، ففاز بدعوة رسول الله ﷺ.
- حفظ عمر رضي الله عنه لأم سُليط رضي الله عنها وقد شاركت في غزوة أُحد حقها ولم ينسها، وقدمها على ابنة رسول الله ﷺ عندما جاءه عطاء من حرير، فقال في أم سليط: فإنها كانت تزفر لنا القِرَبَ يوم أُحد، **وما أجمل الوفاء لأهل التضحية**

والفداء، في غمرة نكران الجميل المتصاعد بين الأحياء.

- كان النبي ﷺ متواصلاً مع الأحياء بتوجيههم ودعوتهم، ومع الأموات بالدعاء وحسن الثناء عليهم، لأجل ذلك لم يفُتْهُ الصلاة عليهم والدعاء لهم صلاة مودع قبيل وفاته، وهذا من حسن الوفاء لهم، ولكَم حزن النبي ﷺ عليهم لاسيما وفيهم حمزة ومصعب وغيرهما من خيرة أصحابه رضوان الله عليهم جميعاً.
- من أعظم معالم وأسباب واستراتيجيات التحفيز لبلوغ مرتبة الشهداء ذلك الحديث الذي كشف فيه رب العزة عن حواره لهم ودعوته لهم بأن يتمنوا منه ما يشتهون، ومن أعظم الأدلة على سعادتهم بالرتبة التي وصلوا إليها ما كان من جوابهم لربهم بأن يعيدهم إلى الدنيا مرة ثانية ليموتوا بالطريقة نفسها التي بلغتهم تلك المراتب العليا عن ربهم، فهل أحدٌ يتمنى أن يصاب ويتجرع مرارة الألم مرة أخرى إلا من ذاق لذائذ العطاء الرباني بعده؟.

ومثل ذلك ما أخبرنا به النبي ﷺ من أن جراح هؤلاء الكرام تشهد لهم بين يدي ربهم بالخير، **وهذا يعني أنه كلما زادت جراحك في سبيل ربك أكثر؛ كثر الشهود لك عنده بالخير**، فهنيئاً لمن أبلى في سبيل الله بلاءً حسناً.

- لقد وجد الشهداء ما به يتواصلون مع إخوانهم من بعدهم، وتحكي الرواية في سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ آل عمران: ١٦٩ **كيف أنهم كانوا يخشون على مَن بعدهم أن يتنكبوا سبيل الجهاد**، وهم يعلمون أن ما هم فيه من نعيم يشكل الحافز الأكبر للمجاهدين، ولكن كيف السبيل لتعريف مَن بعدهم بما صاروا إليه من نعيم، وهم قد رأوا في آخر ما رأوا إخوانهم مضرجين بالدماء وعليهم آثار التمثيل والأذى والإعياء، فكان التواصل بين الأموات والأحياء من خلال آيات رب الأرض والسماء، ووصلت الرسالة، ليتابع الأحياء المسير على طريق ذات الشوكة.
- كان النبي ﷺ في كل مناسبة يؤكد انتسابه واتصاله ووفاءه لشهداء أُحد ولعل من أجمع الكلمات التي قالها في حقهم تلك الكلمات التي دللت على أمنية لديه بأنه لو كان معهم أو بينهم أو مثلهم «أما والله لوددت أني غودرت مع أصحابي نحص الجبل، أي سفحه».

- أنوار وفوائد في المجال المعاشي الاقتصادي:

- كان النبي ﷺ أشد الناس حرصاً على استثمار طاقات الجيل الثاني والثالث من أصحابه، لأجل ذلك ما كان يجيز صغيراً لمعركة، وإن كان هذا الصغير متحمساً لها، حتى إذا صار في سنه من أهلها أجازه وحفزه وأكرمه، ومن هنا لم يُجز ابن عمر رضي الله عنهما في أُحد وأجازه في الخندق.
- تحكي حكاية توبة وحشي الحبشي رضي الله عنه وهو قاتل حمزة رضي الله عنه وتوبة جبير بن المطعم رضي الله عنه وهو الذي أشار على وحشي بقتل حمزة، وجوب الاقتصاد في النظرة إلى الخلق، **فلا نكره الآخرين كرهاً يعمينا، ولا نحبهم حباً يهلكنا ويردينا**، والعبرة بالخواتيم، والاقتصاد حتى في المحبة والكراهية واجب، وصدق رسول الله ﷺ وهو يقرر قاعدة الاقتصاد في المحبة والكراهية، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «أَحْبِب حبيبك هونًا ما، عسى أن يكون بغيضك يومًا ما، وأبغض بغيضك هونًا ما، عسى أن يكون حبيبك يومًا ما»[1].
- كان ثمن قتل وحشي لحمزة رضي الله عنه كبيراً فهي الحرية التي يسعى لها كل عبد، لأجل ذلك عطَّل وحشي حواسه كلها وهو لا يعنيه من أمر تلك المعركة ما ستؤول إليه نتيجتها سواءٌ أنتصر الحق أم الباطل، بقدر ما يعنيه منها خلاصه من العبودية لسيده، ونيله لحريته، فكان منه ما كان، **ولا تزال فكرة استعمال المرتزقة بأموال حيتان السياسة والاقتصاد لذات الغاية القبيحة قائمة إلى يومنا هذا، ولا حول ولا قوة إلا بالله.**
- **كان النبي ﷺ حريصاً حتى على دماء الكافرين مقتصداً فيها لأن رسالته رسالة رحمة للعالمين**، وهو قد بعثه الله تعالى ليرحمهم لا ليقتلهم فيُعجل بهم إلى جهنم، لأجل ذلك لم يثبت أنه قتل أحداً منهم بيديه إلا رجلاً واحداً، ولم يكن يتقدم للمواجهة إلا في حال لم ينفع غيرها من الحلول السلمية الهادئة.
- كانت حياة مصعب بن عمير رضي الله عنه ذاك الفتى المعطار المدلل لدى أمه قبل الإسلام وما جرى عليه بعد الإسلام من خسارة لتلك المعيشة الرغيدة واستبدال

---

(١) أخرجه الترمذي في جامعه برقم: ١٩٩٧، وحكم عليه الشيخ الألباني في صحيح الترمذي بأنه صحيح الإسناد.

ذلك بالأذى ثم الهجرتين؛ هجرة الحبشة الأولى ثم هجرة المدينة، وكيف خُتم له بالموت في غزوة أُحد؛ تشكل نموذجاً رائعاً فيمن يزهد فيما عنده رجاء ما عند الله تعالى، **ولعله من الذكاء أن يحسب المرء الأمر حسبة صحيحة، فما قيمة العطاء الزائل مهما عظم أمام عطاء عظيم من عظيم لا يفنى ولا يزول**، وهل يضير مصعب رضي الله عنه شيئاً أن لا يجد الأصحاب ما يغطوه به عند موته، طالما أن النبي ﷺ يشهد له عند الله تعالى بالخير.

- كان بإمكان الأعرج أن يأخذ بالرخصة فيحفظ على نفسه رجله السليمة وجسده المعافى، وهو معذور من الله تعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ ﴿٦١﴾﴾ النور: ٦١ ولكن الشوق إلى الجنة جعله يحسب الأمور بطريقة عكسية تماماً، فهو يطلب من الله تعالى ببركة جهاده أن تتسبب رجله التي يعرج بها بحمله إلى الجنة بأسرع مما لو كانت سليمة غير مقطوعة ولا مكسورة، **إنها معادلات إيمانية لا يفهمها رجال الاقتصاد ومن يحسبون حسبة مادية بحتة في زماننا، إنه التقدم والفداء ذاك الذي يمنح لصاحبه ميزة إضافية ترفعه عند ربه درجات، وإن كان عذره معه لو لم يقم بهذا الجهد أو ذاك.**
- صرح النبي ﷺ تصريحاً خطيراً بعدما قضى صلاته التي ودَّع فيها شهداء أُحد عندما قال بأنه لا يخشى على أصحابه الشرك، لأنه تأكد من رسوخ الإيمان في نفوسهم، لكنه كان يخشى عليهم من تسرب الدنيا ومتاعها وملذاتها ومعاشها وشهواتها إلى النفوس فتفسد تلك القلوب الطاهرة النقية، **ولاشك أن تخوُّف النبي ﷺ كان في مكانه، فليس لأطماع الدنيا وشهواتها حدود، لاسيما وعهد الفتوحات صار على الأبواب، والله المستعان.**
- يبدو أن تشريع توقف قبول الشفاعة للشهيد إن كان عليه دَين لم يكن معمولاً به قبل غزوة أُحد، ولأجل ذلك لما حانت غزوة أُحد دخلها عبد الله بن حرام رضي الله عنه والد جابر رضي الله عنه وعليه دَين كثير، أو أنه كان يعلم بالحُكم وترك وراءه كفيلاً وهو ابنه ليسد عنه الدَّين، والدليل على ذلك وورود روايات تقول بأن عبد الله بن حرام قال لولده: استعن بمولاي من بعدي على سداد دَيني، فكان أن استعان جابر

بالنبي ﷺ على سداد دَينه، فجعل الله تعالى البركة تجري على يد نبيه ﷺ حتى سد عن صاحبه الشهيد الدَّين.

- أنوار وفوائد في مجال إدارة المواقف والسياسة الشرعية:

- عام كامل تقريباً هو الفاصل بين غزوة بدر الكبرى التي انتصر فيها المسلمون على كفار مكة، وبين غزوة أُحد التي ما غفلت أعين الكفار ولا نامت وهي تجهز لها، وهذا ما يدلك على طبيعة الصراع بين الحق والباطل، **فلا يجوز لمؤمن يدرك حقيقة الصراع أن يسترخي أو أن يغفل وينام**، قال تعالى: ﴿وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ تَغۡفُلُونَ عَنۡ أَسۡلِحَتِكُمۡ وَأَمۡتِعَتِكُمۡ فَيَمِيلُونَ عَلَيۡكُم مَّيۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ إِن كَانَ بِكُمۡ أَذٗى مِّن مَّطَرٍ أَوۡ كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓاْ أَسۡلِحَتَكُمۡۖ وَخُذُواْ حِذۡرَكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ١٠٢﴾ النساء: ١٠٢ وهذا ما يوجب علينا إحسان إدارة الصراع من خلال اليقظة الدائمة وعدم الاشتغال أو اشغال النفس بما لا يفيد، وفي الوقت الذي ننهمك فيه بالبناء بعد فرحنا بالنصر على الأعداء لابد أن نبقي العيون مفتوحة والقلب متيقظ، وإلا فلا حزن على الغافلين، **وقد قيل بأن أبا سفيان جعل أموال القافلة (خمسين ألف درهم) التي نجت وقفاً في دار الندوة ليستخدمها في الإعداد لجيش الانتقام من المسلمين على ما جرى لقومه في بدر.**
- على الرغم مما أصاب المسلمين من جراح في الجولة الثانية من الغزوة إلا أن النبي ﷺ عدَّ نتيجة الغزوة انتصاراً وفتحاً بمجموع ما تحصَّل للمسلمين من عودة اجتماعهم عند حمراء الأسد أخيراً، وتوقف المشركين عن ملاحقتهم، بل وخوفهم من النتائج غير المتوقعة لتلك الملاحقة إن هم قاموا بها، ولأجل ذلك قال النبي ﷺ في خاتمة رؤياه عن الغزوة: «... ثم هززته أخرى فعاد أحسن مما كان، فإذا هو ما جاء به الله من الفتح واجتماع المؤمنين...».
- أخذ الصحابة الكرام من النبي ﷺ درساً مهما في العزيمة والهمة وعدم التردد أو التراجع وقد لبس دروع المعركة وعزم عليها، **لأن في تردد القائد اضطراب يوقع رعيته وجنده في مشكلة**، فلو أن النبي ﷺ غيَّر رأيه وخلع درعه وجلس ينتظر

الأعداء لربما أزعج ذلك من كان رأيهم الخروج لملاقاة العدو خارج المدينة.

- لم يكن انسحاب المنافقين قبيل غزوة أُحد من صفوف المسلمين ليؤثر على معنويات المؤمنين فحسب بل صنع أزمة وشرخاً واختلافاً في الصف بين قائل يقول بأنه لابد من معاقبة هؤلاء قبل الذهاب لملاقاة قريش، وهذا يذكرنا بموقف أم عطية التي طلبت من النبي ﷺ يوم حنين أن يعاقب كل من انخذلوا عنه عندما حمي الوطيس، ومنهم من يقول: بأن معركتنا ليست مع هؤلاء وأنه لابد للجيش من أن يتم مهمته في مواجهة قريش، وفيهم نزلت الآيات، **فأحسن النبي ﷺ في إدارته للموقف والأزمة، وقد ترك هؤلاء المنافقين وشأنهم واستمر ساعياً في طريقه لإتمام مهمته، وذلك لأنه لا يريد أن يشتت جبهته من جهة، وحتى لا يقال بأن محمداً يقتل أصحابه من جهة أخرى**، ولكن تبقى مشكلة المنافقين قائمة سيما وأن معظم المسلمين خرجوا للجبهة والقتال، فهل أبقى النبي ﷺ على المدينة من يحرسها من شرور هؤلاء، ومن شرورهم كذلك يوم خرج إلى تبوك، أظن أنه لا شك في ذلك وإن لم يظهر لنا على وجه التفصيل ترتيب تفصيلي في ذلك، أكثر من أنه ﷺ كان لا يخرج من المدينة إلا ويترك فيها أميراً عليها.
- في حادثة مقتل والد حذيفة بن اليمان يوم أحد ما يدلك على أن الشيطان كان يُسمح له بتمثل صورة رجل في مواقف معينة، وقد ظهر بمظهر رجل صالح نادى الناس بلغة يحبونها وهي لغة الناصح لهم (يا عباد الله)، فكان لهذا النداء الموحي بالحرص عليهم أثره فيهم، إذ أصغوا لنصيحته وبدأوا ينظرون ورائهم لتختلط صفوف المسلمين، فيقتل أولهم آخرهم والعكس، وزاد من اختلاط الحابل بالنابل ما جرى من نزول الرماة عن الجبل، وإتيان خالد بن الوليد الجيش من آخره، **ولعل أبرز درس في ذلك هو درس الحذر من أي صوت دخيل يأتيك في ظرف حرج بصورة ناصح، وإذ به يريد لك الهلكة، وأنت تظن بأنه يريد لك النجاة، والتمحيص واجب.**
- على الرغم مما كان في يوم أُحد من شدة إلا أن في الموقف الذي روي عن سعد رضي الله عنه عندما أسقط الفارس الكافر عن فرسه وبدت سوءته فضحك رسول الله

ﷺ ما يؤكد ضرورة توجيه رسائل تبعث الهدوء والسكينة بعيداً عن التشنج في المواقف الصعبة، فكان لضحك النبي ﷺ في ذلك الموقف ما فيه من تأكيد الرضا عن سعد وتطمين مَن حوله على الروح المعنوية لقائدها عليه الصلاة والسلام، **فإذا سكنت نفس القائد سكن مَن حوله.**

- ليس أدل على شدة الموقف يوم أُحد من قول النبي ﷺ سبع مرات: من يردَّهم عنا وله الجنة، ومع كل مرة يتصدى أحد الأصحاب فيلقى حتفه شهيداً بعون الله تعالى، **وهنا يظهر لنا مدى الحاجة لحراسة القائد، وكيف أن روحه تعدل سبعة أرواح أو يزيد، وإلا لم يقبل النبي ﷺ لسبعة أرواح أن تُزهق دونه،** حتى أنه شعر بالأمر والحرج في الموقف فقال ﷺ: ما أنصفنا أصحابنا.
- لابد في إدارة المواقف من إحسان تغليق المشهد بحسن تقعيد ما انبثق عنه من فوائد، لأجل ذلك أحسن النبي ﷺ في إغلاق مشهد الرجل الذي حسبوه من أهل الجنة، فكان من أهل النار لما قال: وإن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس...».
- أثبتت حكاية عمر رضي الله عنه مع أم سليط رضي الله عنها وإكرامها لأجل مشاركتها في غزوة أُحد ما للنساء من دَور فاعل إذا أحسن القائد العام توزيعهنَّ بإعطائهنَّ أدواراً تليق بهنَّ في المعركة؛ فنقل الماء وسقاية الجرحى والتطبيب والعلاج مما تحسن النساء، والمعركة معركة شاملة لا يرحم فيها العدو رجلاً ولا امرأة، **ومن ثمَّ كان ولا يزال حُسن توزيع بعض المهام عليهن من الواجبات المتقدمة للقيادة العسكرية في المعارك،** وصدق الله تعالى ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٢١].
- يُعد الدعاء عند التحام الصفوف من الاستراتيجيات الأساسية في تثبيت الرجال، لما يعبر عن حجم استناد المجاهدين إلى قوة ربهم القوي النصير وتخليهم عن قواهم الضعيفة، لأجل ذلك نرى أن النبي ﷺ وإن غيَّر خطته بين غزوتي بدر وأُحد إلا أنه حافظ على الدعاء ذاته وبإلحاح شديد: (اللهم إنك إن تشأ لا تُعبد في الأرض).

- لم يشأ النبي ﷺ أن يجدد أحزان أصحابه إذا ما أخذوا الشهداء ودفنوهم داخل المدينة، وأراد أن يبقيهم في الأرض التي قُتلوا فيها لتشهد عليهم عند ربهم، فأمر بأن يُدفنوا حيث ماتوا دون أن يأخذ أحدٌ قريبه أو صاحبه إلى المدينة.
- كثيراً ما ننحى باللائمة على غيرنا عند البلاء والهزيمة، وقد ننحى باللوم على جمادات ليس لها أي علاقة بما حصل لنا من خسارة وبلاء، وحتى لا يكون جبل أُحد مصدر شؤم بالنسبة للمسلمين، كان النبي ﷺ كلما مرَّ به يقول: أُحدٌ جبل يحبنا ونحبه، ولقد سبق وأن بيَّنا كيف كان بين النبي ﷺ وبين بعض الجمادات كالشجر والحجر علاقة رحمة فلا يُستبعد من هذه الكلمة التي يقولها النبي ﷺ عند جبل أُحد أن تكون كلمة مواساة للجبل، هذا فضلاً عن وجود جثامين لشهداء أُحد في ذاك المكان، **وكأن النبي ﷺ يريد أن يبدي وفاءً وحباً لمكان وهو يقصد ساكنيه.**

- أنوار وفوائد في المجال الأمني العسكري:

- تعدُّ المشاورة من القائد العام لمن تحته من القادة أو الجنود مسألة مهمة في باب تحفيزهم والرفع من عزيمتهم هذا من جهة، ومن جهة أخرى لعله يجد عندهم رأياً مختلفاً عما يراه ويكون فيه السداد والخير، لأجل ذلك شاور النبي ﷺ أصحابه قبيل أُحد، وكانت المشاورة في هذه المرة حول مكان الغزوة، ومعلوم أنه ما من مشورة تُعقد إلا ويختلف فيها الناس بين من يرى الذهاب باتجاه، ومن يرى رأياً آخر، وتبقى مسألة الترجيح للإمام والقائد، فإما أن يأخذ برأي الأغلبية، وهذا ما عليه جمهور العلماء باعتبار أن الأمر إذا طُرح للشورى صارت نتيجة المشاورة بالأغلبية مُلزِمة، أو أن تكون مشورة لأخذ الآراء والذهاب في الوجهة المناسبة، ولقد أخذ النبي ﷺ برأي الأغلبية، وكانوا من الشباب المتحمس، على الرغم من أن كلا الرأيين له ما يسنده ويؤيده.
- لسائل أن يسأل لماذا لم يأتِ الوحي لحل النزاع، وإعطاء الرأي المناسب بين الخروج لملاقاة العدو أم انتظاره داخل أسوار المدينة، والجواب على ذلك معلوم

وهـو أن الله تعـالى أراد أن يكون التخطيط العسـكري في هـذه المعركة وغيرها تخطيطاً بشريـاً صرفاً، وإلا لطلب الناس بعد رسـول الله ﷺ بين يدي معاركهم كلها ملائكة مقربين يرسمون خطط المعركة ويشاركون فيها.

- الأخذ بالأسـباب واجب، ومن الأسباب أسباب الحماية والأمن والسلامة العامة، ولقد عمل النبي ﷺ بأسـباب السلامة العامة على الرغم من أنه يعلم بأنه معصوم من الناس، محروس بحفظ الله له، وذلك حتى لا يقول قائل بأن الأخذ بأسـباب السـلامة العامة يتنافى مع الإيمان بالقدر، وما لبسـه للدرعين قبيل الغزوة إلا من هذا القبيل.
- شكَّل وجود المنافقين في الصف المسلم إرباكاً وثغرة خطيرة، كما شكَّل خروجهم مـن بين الصفوف في الوقـت الحرج إرباكاً كبيراً كذلـك، وفي المحصلة وعلى الرغـم مما حصل من هبوط معنويات بعض الأصحـاب نتيجة خروج المنافقين وتخذيلهم للصفوف إلا أن ذلك أفضل من بقائهم في الصفوف طيلة الغزوة، قال تعـالى: ﴿ لَوْ خَرَجُوا۟ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا۟ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ التوبة: ٤٧، **فكلا الأمرين فيه مفسدة، لكن مفسدة بقائهم أعظم من مفسدة خروجهم (قاعدة أخف الضررين)**.
- شـكل تحذير النبـي ﷺ للرماة من النزول عن الجبل صـمام أمان نظري لجيش أُحد، ويبدو أن سبق النبي ﷺ إلى ميدان أُحد باعتبار قُربه من المدينة المنورة أتاح لـه أن يختار المكان الأفضل فيما يتعلق بالجيـش وحماية ظهره في هذا المكان المكشوف، **وهـذا شـكلٌ من أشـكال التخطيط العسكري الاسـتراتيجي**، فأنت إذا لم تجـد حماية طبيعيـة من البيئة، وجب عليك أن تصنـع جسراً من الحماية البشرية، وتبقى التعليمات والتشـدد فيها هي آخر ما يمكن القيام به من أسـباب لتلـك الحماية، ولكن ماذا لو حصلت المخالفة، وصادف ذلك كيداً ومكراً وعيناً مفتوحة من الأعداء؟ لاشك بأن ذلك وحده كفيل بقلب نتيجة مسار الغزوة، فقتل الرماة أنفسهم ولم يَسـلم حتى قائدهم ابن جبير رضي الله عنه، وقد لزم التلة ولم يغادرها تقديـراً لأمر النبي ﷺ، والرمـاة بذلك وقعوا في مخالفتـين اثنتين؛ مخالفة لأمر

رسول الله ﷺ، ومخالفة لأمر أميرهم، والعجيب أنهم على الرغم مما تسببوا به من ألم وأذى لكل مسلم إلا أن القرآن لم يُفصِّل في حقهم، ولم يبين لنا مصيرهم، واكتفى عند الرد على من سأل قائلاً: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ١٦٥﴾ [آل عمران: ١٦٥] ولعل ذلك إهمالاً لشأنهم، أو لعل الله تعالى عفى وصفح عنهم، وقد كانوا سبباً في إعطاء درس كبير لكل مسلم بعدهم.

- لم تأخذ الجولة الأولى وقتاً كثيراً، وكانت خاطفة وسريعة حتى أنه لا يوجد فيها تفصيلات تذكر، أو أن التفصيلات تُنسى وتذهب من أذهان أصحابها عند الأزمات؟!، ويبدو أن حسن تنظيم النبي ﷺ لجيشه، والروح المعنوية العالية المكتسبة من غزوة بدر، هي التي جعلتهم يشدون على جيش المشركين بشكل خاطف، حتى وصف الزبير رضي الله عنه مشهد هربهم (هرب المشركين) وفزع نسائهم في تلك الغزوة، ولكن الفرحة لم تكتمل.
- **اجتمعت كثير من الظروف والملابسات وأدت في مجموعها إلى هزيمة جيش المسلمين في الجولة الثانية من الغزوة، ومن هذه الظروف:**

١. كثير من الخلافات والنزاعات التي حصلت لجيش المسلمين قبل الغزوة وأثناءها ومن ذلك:
   - خلاف حول مكان الغزوة.
   - خلاف حول التعامل مع المنافقين المنسحبين.
   - خلاف على جبل الرماة بين من نزل ومن ثبت.
   - خلاف عند شيوع خبر مقتل النبي ﷺ بين منسحبٍ وثابت.
٢. مخالفة أمر القائد والنزول عن جبل الرماة.
٣. الميل إلى الدنيا والشوق إلى الغنيمة والتنافس فيها.
٤. فرار بعض الأصحاب من الزحف لدى شيوع خبر مقتل رسول الله ﷺ.

- **استخدم وحشي الحبشي في قتل حمزة رضي الله عنه خطة الكمون مع التركيز التام على الهدف**، فهو لم يشغل باله بأي شيء مطلقاً، فكان له ما كان، على الرغم من شدة

حذر حمزة رضي الله عنه، وكثرة حركته، وتمرسه الكبير في المعارك والقتال، ولعل استئجار الكافرين لبعض المرتزقة اليوم ليقوموا بعمليات خاصة تستهدف النيل من بعض القيادات الطيبة واغتيالها يشبه ما قام به وحشي الحبشي رضي الله عنه في ذاك الموقف.

- يبدو أن وحشي الحبشي جاء في وفد الطائف لمقابلة النبي ﷺ لعلمه بأن الوفود كلها رُسُلٌ عن أقوامها، وهذا أدعى لسلامة نفسه من أن يأتي منفرداً، لأنه يعلم بأن الرسل لا تُقتل، وهذا ما يدلك على أنه لا يزال بعد قرابة الثماني سنين يعلم سوء فعلته، ولكن لو نظر وحشي إلى من أسلم قبله ممن أجرم وأساء، وما لقي من إحسان النبي ﷺ لتقدم وما خشي من رسول الله ﷺ، فقد أسلم جبير بن المطعم في مسلمة الفتح وكان إسلام وحشي بعده.
- من أكثر ما يلفت الانتباه إلى شخصية أنس بن النضر رضي الله عنه ما كان يحمله من صدق وإخلاص ومثابرة لأجل نصرة الدين حتى النهاية، فكان أن ثبت يوم فرَّ الفارون، وليس أعظم من الثبات في مقابل من يفر من الزحف عندما تبلغ القلوب الحناجر، **بل وعندما يفتي الواحد منا لنفسه بالفرار لأسباب يجد أنها تبيحه.**
- من أبرز ما يثبت أن مشاركة النبي ﷺ بصفته القائد العام لجيش المسلمين لم تكن شكلية ولا معنوية؛ ما أصابه من جراح شديدة سال منها الدم، ولم يستمسك إلا بشقِّ الأنفس، وهذا لا يتنافى مع وعد الله تعالى له بعصمته وحمايته من الناس، فوعد الله تعالى هنا مرتبط بحمايته من القتل، أو قيل بحماية عقله وقلبه من أذى يؤثر على نبوته وما جاءه من وحي السماء، أما الأذى فقد لحق بالنبي ﷺ منه في مكة وفي كل مرحلة من مراحل الدعوة الشيء الكثير، ليكون القدوة الحسنة لأمته في الصبر واحتمال الأذى والرضا عن الله تعالى في كل حين.
- كان لاستخدام النبي ﷺ أسلوب التعزيز والتحفيز الفردي لأشخاص بأعينهم برز دورهم في غزوة أُحد أثره الكبير عليهم وعلى أولادهم مِن بعدهم فهذا عامر بن سعد بن أبي وقاص يحكي حكاية جمع النبي ﷺ لأبيه أبويه عندما قال له: ارم فداك أبي وأمي، **وما أعظم التحفيز المعنوي لمن يبذلون جهداً ماديا كبيراً، وهكذا هي النفس تحب المدح والثناء سيما إن كان لذلك سبب وجيه ظاهر.**

- في وصف عامر بن سعد رضي الله عنهما للرجل الذي قتله أبوه بأنه كان قد أحرق المسلمين ما يدلك على شدة مهارة هذا الفارس وقوة بأسه، وعلى الرغم من ذلك لم يفلت من سهمٍ بلا نصلٍ زرعه سعد ابن أبي وقاص رضي الله عنه في جنبه.
- عندما تنفذ أدوات القتال التقليدية كلها لا يجد الفارس المجاهد المنافح عن رسول الله ﷺ بُداً في أن يستخدم جسده ليكون درعاً حامياً لرسول الله ﷺ، ولقد وعى طلحة رضي الله عنه أنه لا قيمة ليده إن أصيب رسول الله ﷺ في تلك الغزوة، فقدمها وقاية له حتى أصيبت بالشلل. مكتبة t.me/ktabrwaya
- لما تشتد المعركة وينسجم الأفراد مع قائدهم ويستشعرون خطورة إصابته إن أصيب، فإنه لا يجد أحدهم حرجاً في إرسال التوجيهات لذاك القائد لاسيما فيما يتعلق بسلامته العامة، وقد أحسن أبو طلحة رضي الله عنه في توجيه النبي ﷺ يوم قال له: لا تُشرف، يعني لا تبرز أو لا تظهر كي لا يصيبك القوم بسهامهم، وأكد رغبته الشديدة في حماية قائده حتى الرمق الأخير عندما قال له: نحري دون نحرك، فهل أعظم من هذه النماذج في الفداء، وهل تعلمت معاهد التدريب العسكري واستراتيجيات السلامة والأمن من مدرسة أولئك الرجال الذين رباهم النبي ﷺ ليكونوا دروعاً يحمون القائد والمشروع.
- لم تظهر مشاركة الملائكة في أُحد كما ظهرت في بدر وذلك لما قيل من أن سبب ذلك أن الملائكة ترتفع في أجواء النزاع والخصومة أو في أجواء المخالفة لأمر الله تعالى ورسوله، فقيل إن مشاركتها في أُحد كانت في حدود حماية وحراسة رسول الله ﷺ من جهة، وبعد الغزوة أتت لتظلل على بعض الشهداء كما فعلت مع عبد الله بن حرام والد جابر رضي الله عنهما أو لتغسل آخرين كما فعلت مع حنظلة الغسيل رضي الله عنه.
- في التتبع الحثيث الذي قام به ذاك الصحابي الجليل لذاك الرجل الذي قال فيه النبي ﷺ على الرغم من بسالته في الغزوة إنه من أهل النار ما يدلك على قيمة التتبع الحثيث وأهمية الرقابة على بعد في التوصل إلى الحقائق الغائبة عنا، وهذا مسلك أمني مهم، **إذ العمل الأمني لا يقتصر على حماية حصوننا، وإنما أيضاً يزيد**

على ذلك في التتبع الحثيث لحماية عقولنا وقلوبنا، ومن خلاله نتمكن من إحسان الحكم على الناس وإنزالهم منازلهم قدر المستطاع، وكما كان لشدة التتبع من أثر في معرفة مصير هذا الرجل كان للسؤال المباشر للأصيرم أثره البالغ في التعرف على نيته قبيل موته في الغزوة ذاتها، فحكم القوم عليه حكماً إيجابياً بعدما ظنوا أنه كما عهدوه على غير الإسلام وأن قتاله معهم كان حمية لقومه وليس لدين الله تعالى.

- تعددت صور الحراسة للنبي ﷺ في تلك الغزوة حتى كان من صورها إحاطة اثنين من ملائكة الله تعالى به، وعلى الرغم من ذلك نجحت ضربات المشركين في إصابته، فهل فشلت ملائكة الله تعالى في حمايته، الجواب كلا، ولكنها سُنة الله تعالى في كل من نزل ميدان قتال من البشر بأن يصاب، وحماية الله تعالى لنبيه ﷺ في الموقف العصيب فلم يُقتل، لقد نجحت الملائكة في حمايته ولو شاء الله تعالى ما أصابه المشركون مجرد إصابة، لكن يبدو أن الملائكة كانت مكلفة بعصمته من القتل، ولشدة الموقف فقد أشيع أنه ﷺ قد قُتل، ولأجل ذلك نكص عنه من نكص، ولكن الله عصمه وأيده وحماه.
- كان أبو سفيان قائداً عسكرياً فذاً فقد لحق بالنبي ﷺ ومَن معه من الرجال عند الشق الذي اختبئ فيه النبي ﷺ، وكان حوله اثنا عشر رجلاً فقط فأراد أن يتأكد من تحقق النصر له ولأصحابه القرشيين فسأل عن النبي ﷺ، **لكن التفوق الأمني للنبي ﷺ حرم أبا سفيان من الحصول على هذه المعلومة الذهبية** لأنه لو علم أن النبي ﷺ موجود بينهم لأمرَ مَن معه بقتال الصحابة الاثني عشر حول النبي ﷺ حتى يصل إليه، وإن قيل له بأنه قد قُتل فقد تم له ما أراد من قضاء مبرم على الإسلام ورسول الإسلام الكريم، فأمر النبي ﷺ أصحابه بعدم الرد، وبقي أبو سفيان يسأل ويستخبر عن قادة جيش الإسلام فلم يجد جواباً، غير أن عمر رضي الله عنه لم يتمالك نفسه فأجاب بقوة ردعت أبو سفيان ردعاً قوياً، ولا ندري هل ارتكب عمر رضي الله عنه مخالفة لأمر النبي ﷺ أم أنه أحسن في الرد؟ **ولكن لعل ترك النبي ﷺ لتعنيف عمر يدل ولو نسبياً على الرضا من النبي ﷺ عليه لاسيما أنه لم يحصل على إثر هذا الرد أية مضاعفات سلبية.**

- في الوقت الذي ظهرت فيه عنجهية أبي جهل وهو يقول يوم بيومٌ بدر، نجده شديد الحذر محتاطاً لنفسه وهو يقول بأنه لم يحزن على ما حصل من تمثيلٍ في جثث المسلمين، لكنه في الوقت ذاته لم يأمر به، وكأنه يريد أن يخلي مسؤوليته كقائد عام لجيش المشركين عن التمثيل الذي حصل لحمزة تحديداً وغيره من الصحابة الكرام، **ومن هذا الموقف وغيره نعلم طبيعة النفس التي حازها أبو سفيان، فهو إنسان ذكي حذر يحب أن يحفظ خطوط الرجوع في كل موقف من مواقف حياته.**
- كان لكل كلمة من كلمات الدعاء الذي استفاض به النبي ﷺ بعد الجولة الثانية من الغزوة أثره العميق **في تعزيز الأمن بالإيمان في نفوس أصحابه**، لاسيما وقد خرجوا من خضمٍّ صعب ومخاض شاق، «اللهم إني أسألك النعيم يوم العَيلة، والأمن يوم الخوف، اللهم إني عائذ بك من شر ما أعطيتنا، وشر ما منعت، اللهم حبب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا، وكرِّه إلينا الكفر والفسوق والعصيان» بل كان سلاحاً ضارباً على كل يد آثمة امتدت للإسلام والمسلمين «اللهم قاتل الكفرة الذين يكذبون رسلك، ويصدون عن سبيلك، واجعل عليهم رجزك وعذابك».
- مثلما كان من متممات النجاح العسكري في المعارك والغزوات ملاحقة فلول الجيوش المنهزمة والمكوث في ديارها أطول فترة من الزمان لإثبات النصر على هذا العدو أو ذاك، كان الانسحاب والرجوع بمجرد حسم المعركة لصالح أي طرف دون إثخان ولا متابعة للطرف الخاسر دليل ضعف وخوف وإرباك وتردد عند هذا الطرف الفائز، فإذا ما تم تحشيد بقايا الجيش المنهزم في هذه الجولة الحاسمة من المعركة ومكوثهم في مكان معلوم، يُعلنون تحديهم وبشكل متصل ودون انقطاع زمني، يعلنون تحديهم لخصومهم فإن ذلك يدل على دأب على الجهاد حتى الرمق الأخير، وقد كتب الله تعالى لبعض من بقي من جيش أُحد أن يتم مسيره إلى حمراء الأسد على الرغم مما هم فيه من جراح، لتأكيد التحدي واستئناف القتال من جديد، فكان أن دبَّ الرعب في نفوس المشركين، وخافوا من مدد قادم لهم من المدينة، وتوهموا أن ثمة أفخاخ وكمائن لهم على الطريق، فرجعوا ولم يتقدموا خطوة واحدة للأمام، ومن ثمَّ حُسمت الجولة الثالثة والأخير لصالح جيش المسلمين، ومن هنا

عدَّ بعض الدارسين غزوة أحد نصراً للمسلمين، بسبب مجموع جولاتها، أو باعتبار الجولة الأخير والحاسمة المفصلية (جولة حمراء الأسد) فيها، **ولقد برز من أقوال المشركين ما يؤكد خيبتهم في محصلة الأمر، ومن ذلك قول بعضهم لبعض: «لا مُحَمَّدًا قَتَلْتُمْ، وَلا الْكواعبَ أَرْدَفْتُمْ، بئس مَا صَنَعْتُم».**

- كانت إشاعة مقتل النبي ﷺ من أكبر التحديات التي هزت الصف المسلم، لكنها بفضل الله تعالى ثم بثبات النبي ﷺ وبعض أصحابه تحولت إلى فرصة، **وذلك لأنها صنعت حالة من الاسترخاء عند المشركين جعلت همتهم تتوقف عن المتابعة في إثخان الصف المسلم لكونهم قد حققوا الإنجاز الأكبر وهو قتل قائد المسلمين.**
- يقول الشيخ صفي الدين المباركفوري: «إن ما حصل لقريش يوم غزوة أحد لم يكن أكثر من أنهم وجدوا فرصة نجحوا فيها بإلحاق الخسائر الفادحة بالمسلمين، مع الإخفاق فيما كانوا يهدفون إليه من إبادة الجيش الاسلامي بعد عمل التطويق - وكثيرا ما يلقى الفاتحون بمثل هذه الخسائر التي نالها المسلمون - أما أن ذلك كان نصراً وفتحاً فكلا وحاشا»[1].
- كانت النساء في الخطوط الخلفية تكمل دور الرجال، ليس في التطبيب والعلاج والسقاية فحسب، بل لقد أبرزت لنا رواية ابن مسعود رضي الله عنه أنهنَّ كنَّ يُجهزْنَ على جرحى المشركين، وهذا العمل مما يتناسب وضعفهن، ويحقق الإثخان في العدو.
- إن صحت رواية أسر أبي عزة وقتله في غزوة أُحد فهي تبين أهمية أخذ الحيطة والحذر والانتباه من حيل ومكر الأعداء، وأن لا تأخذنا العواطف في التعامل مع خبثائهم، وأن الحذر يلزمنا أكثر حتى لا نُلدغ في الجحر مرتين.
- الحرب سجال وفيها كرٌّ وفرٌّ، والحسم لمن يصبر ويثبت ليس في الجولة الأولى فحسب وإنما في الجولة الأخيرة.
- سنن الله تعالى في النصر والهزيمة لا تحابي أحداً، ووعد الله تعالى بالنصر والتمكين للصابرين المصابرين المرابطين على الحق المنضبطين بأمره سبحانه وأمر رسوله ﷺ لا يتخلف.

---

(١) الرحيق المختوم، صفي الرحمن المباركفوري، دار النفائس، ط ١، ٢٠٠٦م، ص٢٥٥.

لاشـــك أن هنالك أحداثاً كثيرة في المستوى السياسي والاجتماعي والاقتصادي والدعوي حصلت بين غزوتي أُحد والأحزاب، ولكن رواة الســـيرة كان الحرص منهم على تســـجيل الأنشطة الســـاخنة، وترك ما ســـواها من أمور اعتيادية، وهكذا هو شأن الإعـــلام في زماننا، فهو لا يُعنى بنقل كل شيء بقدر مـــا يتناول الأخبار العاجلة ذات الصلة بالجبهات الســـاخنة، وهذا ما حرمنا ولا يزال يحرمنا مـــن الانتفاع بالبصمات المختلفة التي من المهم أن يدرســـها الأجيال عمن قبلهم من الأجيال، ومما ما سجله رواة السيرة من أحداث بين الغزوتين:

- **اغتيال خالد بن سفيان الذهلي[1]:**

روى عَبْد اللَّه بْن أُنَيْس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «دَعَاني رَسُـــولُ اللَّـــه ﷺ، فَقَالَ: «إِنَّهُ بَلَغَني أَنَّ خالد بن سُـــفْيَانَ بْنِ نُبَيْحٍ الْهُذَلِيَّ يجمَعَ لِيَ النَّاسَ لِيَغْزُوَنِي، وَهُوَ بنَخْلَةَ، أَوْ بعُرَنَةَ، فأْته»، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُـــولَ اللَّه، **انْعَتْهُ لِي حَتَّى أَعْرِفَهُ، فَقَـــالَ: «آيَةُ مَا بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ، أَنَّكَ إِذَا رَأَيْتَهُ وَجَدْتَ لَهُ قَشْعَرِيرَةً»**.

قَالَ: فَخَرَجْتُ مُتَوَشِّحًا بسَـــيْفِي حَتَّى وَقَعْتُ عَلَيْهِ فِي ظُعُنٍ يَرْتَادُ لَهُنَّ مَنْزِلا، حِينَ كَانَ وَقْتُ الْعَصْرِ، فَلَمَّا رَأَيْتُهُ وَجَدْتُ مَا وَصَفَ لِي رَسُـــولُ اللَّه ﷺ مِنَ الْقَشْعَرِيرَةِ، فَأَخَذْتُ نَحْوَهُ وَخَشِيتُ أَنْ يَكُونَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ مُحَاوَلَةٌ تَشْغَلُنِي عَنِ الصَّلاة، **فَصَلَّيْتُ وَأَنَا أَمْشِي نَحْوَهُ أُومِئُ بِرَأْسِي**[2]، فَلَمَّا انْتَهَيْتُ إِلَيْه، قَالَ: مِمَّن الرَّجُلُ؟ قُلْتُ: رَجُلٌ مِنَ الْعَرَبِ سَـــمِعَ بِكَ وَبِجَمْعِكَ لِهَذَا الرَّجُلِ، فَجَاءَ لِذَلِكَ، قَالَ: أَجَلْ، إِنِّي أَنَا فِي ذَلِكَ، قَالَ: فَمَشَيْتُ مَعَهُ شَيْئًا حَتَّى إِذَا أَمْكَنَنِي حَمَلْتُ عَلَيْهِ السَّيْفَ حَتَّى قَتَلْتُهُ، ثُمَّ

(١) جاء في بعض كتب السيرة أنه سبق ذلك تكليف النبي ﷺ لأبي سلمة بن عبد الأسد المخزومي على رأس سرية من مائة وخمسين رجلاً، لملاقاة بني أسد بن خزيمة بقيادة طليحة الأسدي، وقد نجحت السرية في تشتيت الأعداء، وبث الرعب فيهم.

(٢) سمى الفقهاء هذه الصلاة بصلاة الطالب، وعكسها صلاة المطلوب، قال الشافعي رحمه الله: إن خاف الطالب فوات المطلوب أومأ، وإلا فلا.

خَرَجْتُ **وَتَرَكْتُ ظَعَائِنَهُ مُنْكَبَّاتٌ عَلَيْهِ، فَلَمَّا قَدِمْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَرَآنِي، قَالَ: «قَدْ أَفْلَحَ الْوَجْهُ»**، قَالَ: قُلْتُ: قَتَلْتُهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «صَدَقْتَ».

قَالَ: ثُمَّ قَامَ مَعِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَأَدْخَلَنِي بَيْتَهُ فَأَعْطَانِي عَصًا، فَقَالَ: «أَمْسِكْ هَذِهِ الْعَصَا عِنْدَكَ يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أُنَيْسٍ»، قَالَ: فَخَرَجْتُ بِهَا عَلَى النَّاسِ، فَقَالُوا: مَا هَذِهِ الْعَصَا؟ قُلْتُ: أَعْطَانِيهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَأَمَرَنِي أَنْ أُمْسِكَهَا، قَالُوا: أَفَلَا تَرْجِعُ فَتَسْأَلُهُ: لِمَ ذَلِكَ؟ قَالَ: فَرَجَعْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لِمَ أَعْطَيْتَنِي هَذِهِ الْعَصَا؟ قَالَ: «**آيَةٌ بَيْنِي وَبَيْنَكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، إِنَّ أَقَلَّ النَّاسِ الْمُخْتَصِرُونَ**[1] **أَوِ الْمُتَخَصِّرُونَ يَوْمَئِذٍ»، فَقَرَنَهَا عَبْدُ اللَّهِ بِسَيْفِهِ، فَلَمْ تَزَلْ مَعَهُ حَتَّى إِذَا مَاتَ أَمَرَ بِهَا فَضُمَّتْ مَعَهُ فِي كَفَنِهِ ثُمَّ دُفِنَا جَمِيعًا رَحِمَهُ اللَّهُ»**[2].

- **ما جرى لأصحاب الرجيع** رضي الله عنهم:

روى أبو هريرة رضي الله عنه قال: «بعث رسول الله ﷺ عشرة رهط سرية عيناً، وأمَّر عليهم عاصم بن ثابت الأنصاري جد عاصم بن عمر بن الخطاب، فانطلقوا حتى إذا كانوا بالهدأة، وهو بين عسفان ومكة، ذكروا لحيٍّ من هذيل يقال لهم: بنو لحيان، فنفروا لهم قريباً من مائتي رجل كلهم رام، **فاقتصوا آثارهم حتى وجدوا مأكلهم تمراً تزودوه من المدينة، فقالوا هذا تمر يثرب**، فاقتصوا آثارهم، فلما رآهم عاصم وأصحابه لجئوا إلى فدفد، وأحاط بهم القوم، فقالوا لهم: انزلوا وأعطونا بأيديكم ولكم العهد والميثاق ولا نقتل منكم أحداً.

قال عاصم بن ثابت أمير السرية: **أما أنا فو الله لا أنزل اليوم في ذمة كافر، اللهم أخبر عنا نبيك، فرموهم بالنبل، فقتلوا عاصماً في سبعة**، فنزل إليهم ثلاثة رهط بالعهد والميثاق؛ منهم خبيب الأنصاري، وابن دثنة ورجل آخر، فلما استمكنوا منهم أطلقوا أوتار قسيهم فأوثقوهم، فقال الرجل الثالث: هذا أول الغدر، **والله لا**

---

(١) المتخصرون هم المتكئون على المخاصر، جمع مخصرة وهي ما يمسكه الإنسان بيده من عصا وغيرها، والمراد هنا: الذين يأتون يوم القيامة ومعهم أعمال صالحة يتكئون عليها، ذكر ذلك الشيخ ابراهيم العلي في هامش صحيح السيرة ص٣١٩.

(٢) أخرجه أبو داود، كتاب الصلاة، باب صلاة الطلب، ح١٢٤٩، وأحمد في المسند برقم ٣/ ٤٩٦، وقال ابن كثير في التفسير ١/ ٢٩٥ إسناده جيد، وذكره الشيخ ابراهيم العلي في صحيح السيرة برقم ٤١٤.

أصحبكم، إن لي في هؤلاء لأسوة يريد القتلى، فجرروه وعالجوه على أن يصحبهم فأبى، فقتلوه.

فانطلقوا بخبيب وابن دثنة حتى باعوهما بمكة بعد وقعة بدر، فابتاع خبيباً بنو الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف، وكان خبيب هو قتل الحارث بن عامر يوم بدر، فلبث خبيب عندهم أسيراً، فأخبرني عبيد الله بن عياض أن بنت الحارث أخبرته أنهم حين اجتمعوا استعار منها موسى يستحدُّ بها، فأعارته، فأخذ ابناً لي وأنا غافلة حين أتاه، قالت: فوجدته مُجلِسه على فخذه، والموسى بيده، ففزعتُ فزعة عرفها خبيب في وجهي، فقال: تخشين أن أقتله؟ ما كنت لأفعل ذلك.

والله ما رأيت أسيراً قط خيراً من خبيب، والله لقد وجدته يوماً يأكل من قطف عنب في يده، وإنه لموثَق في الحديد، وما بمكة من ثمر، وكانت تقول: **إنه لرزق من الله رزقه خبيباً.**

فلما خرجوا من الحرم ليقتلوه في الحل، قال لهم خبيب: ذروني أركع ركعتين، فتركوه فركع ركعتين، ثم قال: لولا أن تظنوا أن ما بي جزع لطولتها، اللهم أحصهم عدداً.

فلستُ أبالي حين أقتل مسلماً على أي جنبٍ كان في الله مصرعي
وذلك في ذات الإله وإن يشأ يبارك على أوصال شلو ممزَّعِ[1]

فقتله ابن الحارث، فكان خبيب هو سَنَّ الركعتين لكل امرئ مسلم قُتل صبراً فاستجاب الله لعاصم بن ثابت يوم أصيب، فأخبر النبي ﷺ أصحابه خبرهم، وما أصيبوا، وبعث ناس من كفار قريش إلى عاصم حين حدثوا أنه قُتل ليؤتوا بشيء منه يُعرف، وكان قد قتل رجلاً من عظمائهم يوم بدر، فبعث على عاصم مثل الظلة من الدبر، فحمته من رسولهم، فلم يقدروا على أن يقطعوا من لحمه شيئا»[2].

- **ما جرى لأصحاب بئر معونة:**

روى أنس بن مالك رضي الله عنه «أن رِعلاً وذكوان وعصية وبني لحيان استمدوا رسول

---

(١) وفي رواية زيادة في أبيات الشعر جاء فيها:
ولست بمُبْدٍ للعدو تخشعاً ولا جزَعاً إني إلى الله مرجعي

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب هل يستأسر الرجل، ح ٢٨٨٠.

الله ﷺ على عدوٍّ فأمدهم بسبعين من الأنصار، **كنا نسميهم القراء في زمانهم، كانوا يحتطبون بالنهار ويُصلون بالليل**، حتى كانوا ببئر معونة قتلوهم، وغدروا بهم فبلغ النبي ﷺ، فقنت شهراً[1] يدعو في الصبح على أحياء من أحياء العرب، على رعل وذكوان وعصية وبني لحيان، قال أنس: فقرأنا فيهم قرآنا، ثم إن ذلك رُفع: «**بلغوا عنا قومنا، أنا لقينا ربنا، فرضي عنا وأرضانا**»[2].

وفي توجيه آخر لحكاية أصحاب بئر معونة وسبب إرسال النبي ﷺ لهم إلى قبائل العرب يروي أنس رضي الله عنه أيضاً فيقول: «جاء ناس إلى النبي ﷺ فقالوا: أن ابعث معنا رجالاً يعلمونا القرآن والسُّنة، فبعث إليهم سبعين رجلاً من الأنصار يقال لهم القراء، فيهم خالي حرام[3]، يقرءون القرآن ويتدارسون بالليل، يتعلمون، وكانوا بالنهار يجيئون بالماء فيضعونه في المسجد، ويحتطبون فيبيعونه ويشترون به الطعام لأهل الصفة وللفقراء، فبعثهم النبي ﷺ إليهم، فعرضوا لهم فقتلوهم قبل أن يبلغوا المكان،... قال: وأتى رجل حراماً خال أنس من خلفه فطعنه برمح حتى أنفذه، فقال حرام: **فزت ورب الكعبة...**»[4].

وممن ذُكروا في قتلى بئر معونة؛ **عامر بن فهيرة** الذي قال فيه عمرو ابن أمية: «لقد رأيته بعد ما قُتل رُفع إلى السماء حتى إني لأنظر إلى السماء بينه وبين الأرض ثم

---

(١) حددت رواية البخاري موضع القنوت حيث قال أنس رضي الله عنه: «قنت النبي ﷺ بعد الركوع شهراً يدعو على رعل وذكوان ويقول: عصية عصت الله ورسوله» أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب الذين استجالوا لله والرسول، ح٤٠٩٤.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة الرجيع، ح٤٠٩٠، ويعترض الشيخ محمد الصادق عرجون في كتابه: محمد رسول الله ﷺ منهج ورسالة، ط دار القلم، ط٣، ٢٠٠٩م، على أن يكون نزل شيء من القرآن في تلك الحادثة ثم نُسخ، وانظر مبحثه هذا من ص ٦٥ إلى ص٨٤.

(٣) هو حرام بن ملحان رضي الله عنه أخو أم سليم التي روى أنس رضي الله عنه قال: إن النبي ﷺ لم يكن يدخل بيتاً بالمدينة غير بيت أم سليم، الا على أزواجه فقيل له: فقال: إني أرحمها، **قُتل أخوها معي**» أخرجه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب فضل من جهَّز غازياً، ح٢٨٤٤، وفي الشرح قال ابن حجر: معي أي في عسكري أو على أمري وفي طاعتي.

(٤) أخرجه مسلم، كتاب الإمارة، باب ثبوت الجنة للشهيد، ح٦٧٧، وقد ذكر ابن هشام أن جبار بن سلمى هو الذي قتل حرام بن ملحان، ولم يفهم معنى قول حرام: فزت ورب الكعبة، **فلما سأل عن معناها لاحقاً، وقالوا له هي الشهادة، كان ذلك سبباً في إسلامه.**

وضع، ومنهم عروة بن أسماء بن الصلت ومنذر بن عمرو»[1] رضي الله عنهم كلهم.

غزوة بني النضير[2]:

- **سببها:** قيل في سبب الغزوة أن بني النضير غدروا بالنبي ﷺ وحاولوا قتله[3].
- **ما نزل فيها:** سُئل ابن عباس رضي الله عنه عن **سورة الحشر** فقال: «نزلت في بني النضير»[4].
- **تحريق النخيل:** روى عبد الله رضي الله عنه عن النبي ﷺ «أنه حرَّق نخل بني النضير وقطَّع، وهي البويرة، ولها يقول حسان:

وهان على سراة بني لؤي حريق بالبويرة مستطير[5]

إجلاء اليهود: روى ابن عمر رضي الله عنهما قال: حاربت النضير وقريظة، فأجلى بني النضير[6] وأقر قريظة، ومنَّ عليهم حتى حاربت قريظة، فقتل رجالهم، وقسم نساءهم وأولادهم وأموالهم بين المسلمين، إلا بعضهم لحقوا بالنبي ﷺ، فآمنهم وأسلموا، وأجلى يهود المدينة؛ كلهم بني قينقاع وهم رهط عبد الله بن سلام،

---

(١) أخرجه البخاري كتاب المغازي، باب غزوة الرجيع، ح٤٠٩٣.

(٢) **يطول الحديث حول الخلاف في توقيتها فالإمام محمد بن شهاب الزهري يرى أنها بين بدر وأحد وباقي رواة المغازي والسير يرون أنها بعد الرجيع وبئر معونة، وهو الأصح والله أعلم، وانظر زاد المعاد، لابن القيم، ٣/ ٢٤٩.**

(٣) ذكر ذلك الشيخ ابراهيم العلي في صحيح السيرة برقم ٤٢٢، وقد ذكر الدكتور أكرم العمري في السيرة الصحيحة ص٣٤٨-٣٤٩، رواية عبد الرزاق في المصنف وابن اسحاق في السيرة وكلتهما يثبتان محاولة الغدر بالنبي ﷺ، وتحكي رواية عبد الرزاق أن اليهود استدرجوا النبي ﷺ بحجة أنهم يريدون أن يسمعوا منه دعوته ليسلموا، ولكنهم كانوا يبطنون الخيانة ففضحهم الله، **وأما رواية ابن اسحاق وهي المشهورة وإن كانت رواية عبد الرزاق أصح منها** فتحكي أن بني النضير تآمروا على قتل النبي ﷺ عندما ذهب إليهم يطلب مشاركتهم في دية رجلين قتلهما أحد أصحابه بطريق الخطأ.

(٤) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة بني النضير، ح٤٠٢٩.

(٥) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة بني النضير، ح٤٠٣١.

(٦) لما أذن النبي ﷺ بجلاء بني النضير سمح لهم بما حملت إبلهم من أموال ما عدا السلاح، وفي ذلك رواية من حديث عائشة رضي الله عنها رواها الحاكم في المستدرك ٢/ ٤٨٣، وقال فيها الشيخ الألباني أنها صحيحة، وانظر تخريجه لأحاديث فقه السيرة ص ٢٨٤.

ويهود بني حارثة، وكل يهود المدينة»[1].

- **تمسك الأنصار بأولادهم من اليهود:** روى ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كانت المرأة تكون مقلاتاً فتجعل على نفسها إن عاش لها ولد أن تهوده فلما أجليت بنو النضير كان فيهم من أبناء الأنصار فقالوا: لا ندع أبناءنا، فأنزل الله عز وجل: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾﴾ البقرة: ٢٥٦ قال أبو داود: المقلات التي لا يعيش لها ولد»، وفي رواية قال ﷺ: «قد خيَّر الله أصحابكم، فإن اختاروكم فهم منكم وإن اختاروهم فهم منهم، قال: **فأجلوهم معهم**».

غزوة بدر الثانية، وغزوة دومة الجندل[2]:

- جاء ذكرها في نهاية الحديث عن غزوة أُحد عند الحديث عن حمراء الأسد، وكيف أن أبا سفيان قال: «موعدكم موسم بدر حيث قتلتم أصحابنا، فأما الجبان (أبو سفيان ومن معه) فرجع، وأما الشجاع (النبي ﷺ ومن معه) فأخذ أهبة القتال والتجارة فأتوه (مكان بدر في الموعد المضروب بينهم وبين أبي سفيان) فلم يجدوا به أحداً وتسوقوا...»[3].
- **ومما جاء من الأحداث في هذه الفترة[4]:**
  - زواج النبي ﷺ بأم المؤمنين زينب بنت خزيمة رضي الله عنها.

---

(١) السابق، ح ٣٨٠٤.

(٢) أخرجه أبو داود، كتاب الجهاد، باب الأسير يكره على الإسلام، ح ٢٦٨٢، وقد ذكره الشيخ ابراهيم العلي في صحيح أسباب النزول وقال بأن إسناده هو والزيادة بعده صحيح، وانظر صحيح أسباب النزول، الشيخ ابراهيم العلي، دار القلم، ط١، ٢٠٠٣م، ص٥٠.

(٣) حكى الشيخ محمد الغزالي في فقه السيرة حكاية غزوة دومة الجندل فقال: جاءت أخبار إلى المدينة أن القبائل حول دومة وهي منطقة قريبة من الشام، تقطع الطريق وتنهب ما يمر بها، وأنها تحشد الحشود لمهاجمة المدينة، **فخرج النبي ﷺ في ألف من المسلمين يكمن بهم نهاراً ويسير ليلاً حتى يفاجئ أعداءه وهم غارون، والمسافة بين المدينة ودومة الجندل خمس عشرة ليلة، قطعها المسلمون بمعونة دليل ماهر، فلما بلغوا مضارب خصومهم اجتاحوها مباغتين**، ففرت الجموع المتأهبة للسطو وأصاب المسلمون سوائمهم ورعاءهم، وكانت لبني تميم، وانظر فقه السيرة للشيخ الغزالي، ص٢٨٧، ولكن يعوزها الإسناد.

(٤) سبق تخريجه في حادثة حمراء الأسد.

- زواج النبي ﷺ بأم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها، فقد روت رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من عبد تصيبه مصيبة فيقول: **إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم أجرني في مصيبتي وأخلف لي خيراً منها**؛ إلا أجره الله في مصيبته، وأخلف له خيراً منها، قالت: فلما توفي أبو سلمة قلت كما أمرني رسول الله ﷺ، **فأخلف الله لي خيراً منه رسول الله ﷺ**»(١).
- ولادة الحسن بن علي رضي الله عنهما.
- **تعلُّم زيد بن ثابت لغة يهود:** روى زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: «أمرني رسولُ الله ﷺ أنْ أتعلَّمَ له كتابَ يهود، **قال إني والله ما آمن يهودَ على كتابي**، قال: فما مر بي نصفُ شهر حتى تعلمتُه له، قال: فلما تعلمتُه كان إذا كتَبَ إلى يهودَ كتَبْتُ إليهم، وإذا كتَبوا إليه قرأْتُ له كتابَهم»(٢).
- **تحريم الخمر:** روت عائشة رضي الله عنها قالت: «أول ما نزل منه سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام، ولو نزل أول شيء: لا تشربوا الخمر، لقالوا: لا ندع الخمر أبداً، ولو نزل: لا تزنوا لقالوا: لا ندع الزنا أبداً لقد نزل بمكة على محمد ﷺ، وإني لجارية ألعب ﴿بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾﴾ القمر: ٤٦ وما نزلت سورة البقرة والنساء إلا وأنا عنده»(٣).

وفي رواية عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِب رضي الله عنه، قَالَ: «صَنَعَ لَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ ابْنُ عَوْفٍ طَعَامًا فَدَعَانَا وَسَقَانَا مِنَ الْخَمْرِ، فَأَخَذَت الْخَمْرُ مِنَّا، وَحَضَرَت الصَّلَاةُ فَقَدَّمُونِي فَقَرَأْتُ: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١﴾ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾﴾ الكافرون: ١ - ٢ وَنَحْنُ نَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ، قَالَ: فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا۟ مَا تَقُولُونَ ﴿٤٣﴾﴾ النساء: ٤٣»(٤).

- **وقفة في تفسير هذه الآية:** قال الشيخ محمد رشيد رضا: «والحكمة في تحريم

---

(١) ذكر بعض رواة السير حصول هذه الأحداث كلها في السنة الرابعة من الهجرة ولكن دون أسانيد ثابتة.
(٢) أخرجه مسلم، كتاب الجنائز، باب ما يقال عند المصيبة، ح ٩١٨.
(٣) أخرجه أبو داود، كتاب العلم، باب رواية أحاديث أهل الكتاب، ح ٣٦٤٥، وقال الشيخ الألباني: حسن صحيح.
(٤) أخرجه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب تأليف القرآن، ح ٤٧٠٧.

الخمـــر بالتدريج: أن الناس كانـــوا مفتونين بها حتى إنهـــا لو حرمت في أول الإســـلام لكان تحريمهـــا صارفاً لكثير من المدمنين لها عن الإســـلام، بل عن النظر الصحيح المؤدي إلى الاهتداء به، لأنهم حينئذ ينظرون إليه بعين السخط فيرونـــه بغير صورته الجميلة، فكان من لطف اللـــه وبالغ حكمته أن ذكرها في سورة البقرة بما يدل على تحريمها دلالة ظنية فيها مجال للاجتهاد، ليتركها من لم تتمكن فتنتها من نفســـه، وذكرها في ســـورة النساء بما يقتضي تحريمها في الأوقـــات القريبة من وقت الصلاة، إذ نهى عن قرب الصلاة في حال الســـكر، فلم يبق للمصرِّ على شربها إلا الاغتباق بعد صلاة العشـــاء وضرره قليل، وكذا الصبـــوح من بعد صلاة الفجر لمن لا عمل له ولا يخشى أن يمتد ســـكره إلى وقت الظهر، وقليل ما هم،... ثم تركهم الله تعالى على هذه الحال زمناً قوي فيه الدين، ورسخ اليقين، وكثرت الوقائع التي ظهر لهم بها إثم الخمر وضررها»[1].

أبرز الفوائد والأنوار

- أنوار وفوائد في المجال التزكوي القيمي النفسي (التربوي):

- **الوفـــاء بالعهد قيمة يعرفها العربي الصادق**، والخيانة بعد أخذ العهد نقيصة، لأجل ذلك جمع المشركون الذين قتلوا خبيب الأنصاري، وأخويه الذين نزلوا عن الجبل يوم الرجيع، بين الشرك بالله تعالى والخيانة للعهد، فعليهم من الله ما يستحقون.
- في حكاية ما جرى لخبيب بن عدي رضي الله عنه في مكان أسره ما **يدل على نبل أصحاب النبـــي** ﷺ، وعدم معاملتهم بمن غدر بهم بالمثل، لا ســـيما فيما يتعلق بالأطفال الصغار، فهؤلاء لا شـــأن لهم، كما تدل حكايته على كـــرم الله تعالى له وأنه كان يرزقه لتقواه من حيث لا يحتســـب، فتركت معاملته الطيبة وســـلوكه الحسن أثراً كريماً في نفس تلك المرأة التي كان أسيراً في بيتها، وقد التزم خبيب بن عدي رضي الله عنه

(١) أخرجه الترمذي، كتاب الجمعة، باب ما جاء في الإمام ينهض للركعتين في الجمعة ناسياً، ح ٣٠٢٦، وقد ذكره الشيخ ابراهيم العلي في صحيح أسباب النزول برقم: ١٠٦، وقال: إسناده صحيح.

أمر رسول الله ﷺ: «أد الأمانة إلى من ائتمنك، ولا تخن من خانك»[1].

- **أبرز كفار مكة انفصاماً غريباً في سلوكهم، فهم يزعمون أنهم يُعظمون الحرم، ولا يرتكبون فيه القتل، وفي الوقت ذاته يبيحون قتل الناس والاعتداء على الأرواح المؤمنة**، لأجل ذلك قاموا بإخراج خبيب بن عدي من الحرم ليذبحوه في الحل، فهل بعد هذا الانفصام في السلوك والعقيدة من انفصام؟!.
- السكينة التامة التي أظهرها خبيب بن عدي رضي الله عنه لحظة إعدامه على أيدي المشركين مما أثار إعجاب بعضهم والدهشة عند آخرين، فهو يستقبل الموت بركعتين خفيفتين يودع فيهما الحياة، ولولا أنهم ظنوا أنه خائف من الموت لأطال فيهما، **فأي تربية عاشها هؤلاء الأصحاب، لتكون خاتمة حياتهم رضىً عن الله تعالى، وسجوداً له، فلا سخط ولا اعتراض على قضاء الله وقدره.**
- حملت أبيات الشعر التي قالها خبيب بن عدي رضي الله عنه قُبيل موته الكثير من معاني الثبات وعدم الاكتراث بالدنيا ما دام يمشي في طريق خالقه لينال منه الرضوان، كما بينت رغبته في أن يبارك الله تعالى تضحيته وبذله، وأن يكون في دمائه وأشلائه نموذجاً حياً في الصدق مع الله تعالى تتعلم منها الأجيال، وقد كان.
- لا يزال الثأر والرغبة بالانتقام هو الدافع الأكبر لدى كفار مكة ليتتبعوا حتى جثث الصحابة في كل مكان، لأجل ذلك أرسلوا من يبحث عن جثة عاصم بن ثابت رضي الله عنه قائد السرية، لينالوا منها وهو ميت، فكان أن حمى الله تعالى جثمانه ومنعهم من الوصول إليه، فقد حمى دين الله تعالى أول النهار، فحمى جثمانه آخر النهار، واستجاب الله دعاءه، فوصلت حكاية ما جرى معهم للنبي ﷺ الذي دعا لهم ثم دعا على من غدر ومكر بهم.
- **اليقين التام بأن ما عند الله خير وأبقى وأن الخلف بالخير ممن بيده مفاتيح الخير قريب قريب**، كل ذلك مما يريح النفس عند وقوع المصيبة ويحضرها لاستقبال كرم الله القريب، هذا باختصار ما تركته قصة زواج أم المؤمنين أم سلمة بالنبي ﷺ في نفوسنا من بصمات.

---

(١) تفسير المنار، الشيخ محمد رشيد رضا، ٧/ ٢١٩.

- أنوار وفوائد في المجال التأثيري الاجتماعي التواصلي (الدعوي):

- في حكايــة أصحاب الرجيع وأصحاب بئر معونة مــا يدل على رغبة المجاهدين الجامحــة في أن يجدوا قناة تواصل بينهم وبــين النبي ﷺ ليخبروه ما جرى لهم، ولصدقِ نوايا هؤلاء الكرام كانت رسائلهم تصل «بلغوا عنا قومنا أنا لقينا ربنا فرضي عنا وأرضانا»، ليس لقومهم فحســب، ولا للنبي ﷺ فحســب، بل لنا وللأجيال مِن بعدنا حتى تظل حكاية هؤلاء الرجال الصابرين المصابرين أســوة حســنة في الآخرين.
- تحكي الرواية الثانية (رواية أنس بن مالك) ســبباً آخر من أسباب إرسال النبي ﷺ للســبعين من أصحابه مع رعل وذكوان وعُصية وبني لحيان، وهو هدف تواصلي دعوي علمي تثقيفــي ليُعلِّموا أهل تلك القبائل القرآن وكانــوا القراء، ولعل هذه الروايــة أقرب للصواب من تلك، ولا يوجد مانع مــن الجمع بين الروايتين، فهم سرية مقاتلة كمدد داعم لتلك القبائل على أعدائهم، وهم سرية تعليم وتربية لهذه القبائل بحسب ما طلبوا وفي كلٍّ خير.
- كان النبل بارزاً في حياة أولئك القراء، **فهم فرسان في النهار في التعلم والاحتطاب وطلب الــرزق وإطعام أهل الصفــة، ورهبان في الليل، وعلى مثــل هؤلاء فلتبكِ البواكي.**
- حكى أنس رضي الله عنه حكاية خاله حرام بن ملحان، وقد كان من شهداء يوم بئر معونة، وقد حكى موقفه لحظة قتله وكيف أنه عبرَّ عن فوزه حين قال: فزتُ ورب الكعبة، مما يدلل على اليقين العالي عنده بأن قتله ليس خســارة ولا تهلكة، وإنما هو فوز بالجنة والرضوان طالما أنه كان في سبيل الله، **ومن المعهود عن أنس رضي الله عنه افتخاره برجال من أقاربه كانت لهم مواقف البطولة والفداء، وما حكايته لخبر عمه أنس بن النضر وما جرى له يوم أُحد عنا ببعيد.**
- لقــد ادخر الله تعــالى لراعي الغنم الصادق والأمين يــوم الهجرة (عامر بن فهيرة رضي الله عنه) الشــهادة لينالها يوم بئر معونة، فقد كان من القراء السبعين الذين قُتلوا يومذاك، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

- كلما قرأنا في المشاهد التي تبين عمق علاقة الأنصار (الأوس والخزرج) بحلفائهم اليهود قبل الاسلام، ازداد إعجابنا بهؤلاء الكرام الذين بمجرد أن أسلموا نفضوا مِن حولهم كل غبار يتعلق بهؤلاء الملاعين.
- اليهود لا تصلح معهم المفاوضات، ولا يؤتمنون على عهود ومواثيق، والمجرَّب لا يجرب.
- في كل خطوة وموقف ومشهد يظهر لنا وبوضوح تام علاقة المحبة المتبادلة بين النبي ﷺ وأصحابه الكرام.
- لم يمنع وجود الغزوات والسرايا من المضي قدماً في بناء المجتمع بناءً اجتماعياً عن طريق حركة التزاوج المبارك في كل وقت وحين.

- أنوار وفوائد في المجال المعاشي الاقتصادي:

- يشترك الضغط والحصار الاقتصادي مع قطع أسباب الإمداد وحرق مصادر الرزق للأعداء مع الجوانب الأمنية والعسكرية في صناعة الضغط على الأعداء ليستسلموا، فإذا استسلموا حقنوا دماءهم، وتحصَّل لنا منهم الفيء دون قتال، وهكذا كانت خطة النبي ﷺ عندما حاصر بني النضير، حيث بدأ يحرق نخيلهم ويقطع أشجارهم، فدبَّ الرعب في نفوسهم واستسلموا.
- يقول الأستاذ محمد قلعجي: «إن قسمة أموال بني النضير أوجد طوراً كبيراً في السياسة المالية للدولة، فقد كانت الغنائم الحربية قبل هذه الغزوة تقسم بين المحاربين، بعد أن تأخذ الدولة الإسلامية خمسها لتصرف في مصارف معينة حددها القرآن الكريم، وبعد غزوة بني النضير صار هنالك غنائم يوقعها الله تعالى بأيدي المجاهدين دون قتال (الفيء) وهذا النوع يختص به رئيس الدولة الاسلامية بالتصرف فيه حسب ما يرى المصلحة في ذلك، يعالج به الأوضاع الاقتصادية في البلاد، فينقذ الفقراء من فقرهم، أو يشتري سلاحاً، أو يبني به مدينة، أو يصلح به طرقاً»[1].

---

(١) أخرجه الدارمي ح ٢٥٩٧، وقال الشيخ الألباني: صحيح لغيره.

- أنوار وفوائد في مجال إدارة المواقف والسياسة الشرعية:

- كان من حرص عبد الله بن أنيس رضي الله عنه على صلاة العصر وهو في طريقه لأداء المهمة الخاصة التي كلفه بها النبي ﷺ أن أداها ماشياً، ويبدو أن النبي ﷺ علم بفعلته هذه فأجازه لخطورة وصعوبة الموقف، وحتى لا تلفت الصلاة انتباه خالد بن سفيان الذهلي أو أحداً من حاشيته فيُبطل بذلك خطته، وهذا مما يدل على وعي ذلك الصحابي الجليل لأهمية الصلاة، وحسن إدارته لذلك الموقف الخاص، فقد دخل وقت الصلاة ولربما خشي أن يموت في تشابك مع ذاك الرجل ويلقي الله وعليه صلاة العصر.

- **قد يختلف الناس في رؤيتهم لإدارة المواقف الساخنة، وهذا ما كان يوم الرجيع،** فمن أصحاب الرجيع من أصرَّ على عدم القبول بالعرض المقدم من المشركين، فلم ينزل عن الجبل وظل يقاتل حتى قُتل، ومنهم من نزل عن الجبل فلما رأى بوادر خيانة المشركين حاول مقاومتهم وأراد أن يأتسي بالشهداء معتبراً أن المقاومة وإن تأخرت فهي خير من القبول بالأسر عند قوم خانوا الله ورسوله والمؤمنين، وظل يقاوم وحيداً وهو مُقيَّد بحبالهم حتى قتلوه، وبقي اثنان قبلا بالأسر فكان ما كان من بيعهما لأهل مكة ثم قتلهما انتقاماً لقتلاهم في بدر، وفي المحصلة لم يبق من الصحابة العشرة أحد، **وعلى الرغم من تعدد الاجتهادات إلا أنه أمام الكفر المتغطرس قد لا ينجو ضعيف.**

- في القنوت شهراً كاملاً والدعاء على القبائل التي غدرت بأصحاب النبي ﷺ يوم بئر معونة، ما يدل على أن للدعاء أثره في إدارة الموقف، فهو يحمل الرحمات للشهداء، ويحرق قلوب وبيوت الأعداء، كما أنه يجعل قضية الشهداء حية في نفوس الأحياء، ويثير لديهم رغبة في الانتقام ممن قتل إخوانهم، **وهو أقل وأعظم ما يمكن أن يقدمه المسلم اليوم في الرد على من استباحوا ديننا ودماء إخواننا وأعراض أخواتنا في كل مكان.**

- كان ولا يزال الغدر من شيم اليهود، وإذا كان أجدادهم لم يتورعوا عن محاولات اغتيالهم للنبي ﷺ فهل يتصور من الأحفاد اليوم أن يراعوا ويرقبوا في مؤمن عهداً

أو جواراً أو قرابة؟، وقد حكى سبب إجلاء النبي ﷺ لبني النضير خيانتهم ومحاولة قتلهم واغتيالهم للنبي ﷺ مع عدم وفائهم بشروط الوثيقة بينهم وبين النبي ﷺ، فكانت أزمة وكان تحدياً، لكنه تحول بفضل الله تعالى إلى منحة وفرصة سانحة لإجلائهم، وإلا فلا يمكن للنبي ﷺ أن يجليهم وهو يعلم مكرهم وخبثهم إلا بسببٍ يقترفونه بأيديهم.

- يقول الدكتور راغب السرجاني: «إن اليهود مع كل جرائمهم وآثامهم يحاولون دائما تشتيت انتباه الناس عن أصول الأمور وحقائق الأشياء ويحاولون دائماً الدخول في قضايا جانبية للفت النظر عن القضايا الأساسية، وإلا فما حرق بضع نخلات إلى جوار محاولة قتل نبي وزعيم؟ وما هو حجم الفساد الذي سيحدث في المدينة إذا قطعت عدة نخلات، بالقياس إلى الفساد الذي سيحدث إذا قتل زعيم المدينة ورئيسها»[1].
- في تكليف النبي ﷺ لزيد بن ثابت أن يتعلم لغة يهود ما يدل على حرص النبي ﷺ على استثمار طاقة زيد وقدرته على الاستيعاب والتحليل وما يحتاجه تعلم اللغات من ذكاء لغوي، كما أن في ذلك دلالة على حرص النبي ﷺ على أن يبقي خطوط التفاهم (الحذر) مفتوحة مع الجميع، فهو قد علل سبب طلبه ذاك بقوله إنه لا يأمن مكر يهود ولا غدرهم، **وبما أنهم جزء من مجتمع المدينة صار الواجب معرفة لغتهم**، لا سيما من أمير المدينة وزعيمها والمرجعية العليا فيها بحسب ما أقرته الوثيقة.
- **حكت عائشة رضي الله عنها فلسفة التشريع الإسلامي في مسألة التدرج في تحريم الخمر**، وبينت أن التدرج لحكمة ترويض النفوس وتعويدها على الاستجابة لكلام ربها، وترك شهواتها ورغباتها وما اعتادته وأدمنت عليه من تعاطي الخمر، حتى إن كبار الصحابة لم يستطيعوا تركه قبل القطع في النهي عنه واجتنابه.

---

(١) قراءة سياسية للسيرة النبوية، محمد قلعجي، دار النفائس، ط١، ١٩٩٦م، ص١٦٩.

- أنوار وفوائد في المجال الأمني العسكري:

- تعد عملية اغتيال خالد بن سفيان الذهلي **العملية الخاصة الثانية الكبرى بعد عملية اغتيال كعب بن الأشرف، وهي من الضربات الاستباقية المفاجئة للخصوم،** وقد استخدم فيها النبي ﷺ وعبد الله ابن أنيس رضي الله عنه **استراتيجيات أمنية وعسكرية عدة منها:**

١. تحديد الهدف بدقة، وبيان سبب استهدافه (أنه يجمع الناس ليهاجم المدينة).
٢. تحديد مكان الهدف بعناية (بنخلة أو بعرنة).
٣. تسمية الفدائي الذي سينفذ العملية دون تخيير لغيره (عبد الله بن أُنيس).
٤. طلب مباشر من الفدائي للنبي ﷺ بأن يُعطيه أبرز علامات ومواصفات الهدف بدقة.
٥. إعطاؤه علامات يتصف بها الهدف دون سواه (إذا رأيته أصابتك قشعريرة)، وهذا يدل على أن هذا الرجل قاطع طريق أو أن له هيبة ورهبة في نفوس الرجال.
٦. كان من حرص عبد الله بن أنيس رضي الله عنه أن صلى صلاة العصر ماشياً وهذا ما يدلك على تعاظم الجانب الأمني عنده، جنباً إلى جنب الجانب الإيماني، فهما صنوان لا ينفصلان.
٧. لفت انتباهي في عملية مقتل كعب بن الأشرف وعملية مقتل خالد بن سفيان الذهلي أن النبي ﷺ كان يرسل الحكيم الفهيم الخبير المجرِّب من أصحابه، ويعطيه احداثيات الهدف، دون تدخل منه في الخطة العسكرية والأمنية الإجرائية، وإنما يكتفي في الدعاء للفدائي ومَن معه، وهذا إن دلَّ فإنما يدل على ثقة القائد بمن حوله من الرجال، ولأن لكل عملية خاصة ظروفها وملابساتها، والله الملهِم.
٨. حرص عبد الله بن أنيس رضي الله عنه على التأكد من نية خالد الذهلي قبل تنفيذه للعملية، فلعل الرجل يكون قد تاب أو عدل عن نيته، لأجل ذلك لما سأله

مـــن أين أنت؟ قال: رجل مـــن العرب علم أنك تجمـــع لقتال محمد فجاء يساعدك.

٩. كانت الخدعة بعد إعطاء الهدف الأمان؛ هي الأســـلوب المشترك بين خطة محمد بن مســـلمة عند قتله لعكب بن الأشرف وخطة عبد الله بن أنيس عند قتله لخالد الذهلي، والحرب خدعة، وقد جُوزي هؤلاء بما كانوا يمكرون.

١٠. **كان التحفيـــز المعنوي** بالدعاء حاضراً لعبـــد الله بن أنيس رضي الله عنه عندما دعا له النبي ﷺ بفـــلاح الوجه، كما كان **التحفيز المادي** أيضـــاً مقدماً عندما أعطاه العصا المضيئة والتي أخذها معه إلى قبره، وجعلها علامة يعرفه بها يوم القيامة، وبـــيَّن له أن المتكئين عـــلى أعمال صالحة ونيات طيبة هـــم من خيرة الناس يـــوم القيامة، وهو بالتالي يؤكد أن ما قام بـــه هذا الصحابي الجليل من تنفيذه لتلك العملية الخاصة يعد من جملة العمل الصالح، وصدق الله: ﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا۟ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا۟ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَـٰلِحٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾ التوبة: ١٢٠.

- يعد ما جـــرى لأصحاب الرجيع وهم عـــشرة من صحابة النبـــي ﷺ ضربة أمنية عســـكرية موجعة للمســـلمين، كيف لا، وقد كانت مهمة هؤلاء مهمة أمنية بحتة، فقد أرســـلهم النبي ﷺ بإمرة عاصم بن ثابت رضي الله عنهم ليكونوا عيناً له، وقد اقتـــص المشركون أثرهم وتتبعوا خطواتهم من خلال بقايا تمر كانوا يأكلونه، وهذا من الأخطاء الأمنية الاســـتراتيجية بأن يترك المجاهد وراءه ما يدل عليه، فيســـهِّل مهمة من يتعقبـــه ويراقبه، ومن ثمَّ يأتيه على حين غرة، وبكثافة عددية تمنعه حتى من المقاومة والرد المناسب.
- استدرك الصحابة العشرة أصحاب الرجيع أنفسهم عندما صعدوا إلى تلة تمكِّنهم من حماية أنفسهم ورؤية خصومهم بشكل واضح ومكشوف.
- بـــدأت خطة المهاجمين للصحابة يوم الرجيع بالمكر والكيد بالصحابة الكرام، إذ

طلبوا منهم النزول مقابل تأمينهم، فاختلف الأصحاب بين موافق على هذا العرض ورافض لفكرته ذلك أنه ليس لكافر عهد ولا ذمة، والصحيح هو ما قرره الصحابي القائـد للسرية عاصم بن ثابت من أنه لا ذمة ولا عهد لكافر، وإن كان الذين نزلوا عن الجبل قد اعتمدوا على ما عند العرب سـابقاً مـن عادات توجب الوفاء لمن قطـع عهداً، وهذا مما لا بأس به، وقد أوفى عدد من مشركي ذاك الزمان بعهودهم على الرغم من شركهم وكفرهم، ولكن الحذر أوجب.

- قتل المشركون سبعة من أصحاب الرجيع ممن لزموا الجبل وقرروا المواجهة حتى الرمق الأخير ومنهم أمير السرية عاصم بن ثابت، الذي دعا ربه أن يبلغ نبيه ﷺ بما جرى ليرضى عنه الله ورسوله ﷺ.
- بدأت بوادر الخيانة لباقي أصحاب الرجيع وهم الثلاثة الذين نزلوا عن الجبل بناء على عهد وميثاق المشركين المهاجمين لهم، حيث أوثقوهم وشدوا وثاقهم.
- **لو كان النبي ﷺ يعلم الغيب ما كان ليرسل أصحاب الرجيع للموت، ولقد كانت مهمتهـم أمنية هدفهـا حماية الناس من الموت، ولكن إرادة الله سـبقت**، وكانت الدروس والفوائد من ذلك كبيرة، ولولا ما أصابنا في يوم الرجيع وغيرها ما تعلمنا، وليتنا نستطيع أن نتعلم دون أن نتألم.
- إذا كان هدف سرية الرجيع أمنياً فإن هدف سرية بئر معونة عسـكرياً، فقد أرسلهم النبي ﷺ وهم سبعون من خيرة أصحابه كمدد عسكري لدعم رعل وذكوان وبني لحيان وعصية ضد أعدائهم بطلب منهم.
- لم يكن رسول الله ﷺ يتصور من هذه القبائل العربية خيانة وغدراً بأصحابه، لكن الشيطان عبث بتلك القبائل فغدرت وقتلت أصحاب النبي ﷺ عند بئر معونة كلهم.
- **من الاستراتيجيات العسكرية المهمة أن تعرف نقطة ضعف عدوك**، ولقد عرف النبي ﷺ نقطة ضعف اليهود فكان يأتيهم منها، وهذه النقطة أخبر عنها القرآن عندما قال تعـالى: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ٩٦﴾ [البقرة: ٩٦] فكان يهددهم بالموت وقطع أسـباب الحياة عنهم فيستسـلمون، وهذا ما حصل

يوم بني النضير.

مما يزيد الطمأنينة في أن غزوة أُحد في الجملة كانت نصراً ولم تكن هزيمة ما حصل للمسلمين في غزوة بدر الثانية، والتي تواعد عليها المشركون مع المسلمين في نهاية غزوة أُحد وقد حددوا بعد عامٍ الملتقى في مكان بدر، فجاء الشجاع، وهو النبي ﷺ، وأثبت التزامه وقبِلَ التحدي، ومعه ألف من الرجال، وغاب ونكص الجبان، وهو أبو سفيان وشراذم قريش، فكان ذلك نصر الثبات على الأعداء.

يحكي ما جرى يوم دومة الجندل القدرة الفائقة من الناحية الأمنية أولاً للنبي ﷺ وأصحابه وهو يبعث عيونه في كل اتجاه، وإلا كيف عرف أن القبائل حول دومة الجندل تقطع الطريق وتجهز نفسها لغزو المدينة لولا تلك العيون الساهرة على حماية المجتمع المدني، فجاءت التقارير بذلك، وعلى إثرها تحرك الجيش لتأديب المتطاولين على حدود الله ورسوله ﷺ.

لابد من الاستعانة على قطع الطريق بشكل آمن بالخبير الأمني الذي يوصلك إلى حيث تشاء دون أن يدري خصمك أنك تسير إليه، ولقد مشى الجيش إلى دومة الجندل مسافة خمسة عشر يوماً دون أن يشعر بهم عدوهم، حتى وصلوا ديارهم وباغتوهم بالهجوم دون أن يصدر عن هؤلاء مجرد رد يحكي يقظتهم أو انتباههم، وهكذا هي المعارك أمنية بامتياز، **فإذا كان النجاح الأمني كان النجاح العسكري وإلا فلا، وبالنجاح الأمني وحسن التخفي ما به نوفر الدماء، ونحقق أكبر قدر ممكن من الإنجاز، بأقل قدر ممكن من التكاليف.**

مكتبة t.me/ktabrwaya

أدرك أعداء الإسلام أنهم يقارعون قوة مختلفة عما عهدوه ذي قبل من القوى التي تجمعها وتفرقها مصالحها، وقرروا الالتقاء في وعاء واحد يكرُّون فيه على المسلمين كرة واحدة، وفي الوقت الذي سعى فيه اليهود لتأليب كل حاقد على المسلمين في المدينة كان رب العزة سبحانه وتعالى لهم بالمرصاد فقد ﴿مَكَرُوا۟ مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ ﴿٤٦﴾﴾ إبراهيم: ٤٦ لأجل ذلك لعبت الريح وهي جندي من جنود الله تعالى دورها البارز في تفكيك جمعهم، عدى عما أكرم الله تعالى به أصحاب رسول الله ﷺ من أسباب مادية ومعنوية جعلت من تلك الفرصة تحدياً كبيراً لهم، دفع الأحزاب كلهم بعده ثمناً باهضاً.

غزوة الأحزاب (الخندق):

- **توقيت الغزوة:** جمهور علماء السيرة على أنها حدثت **في السنة الخامسة للهجرة**[1].
- **سبب الغزوة:** اجتهد **زعماء بني النضير** ومنهم سلام بن أبي الحقيق وغيره بعد أن أجلاهم النبي ﷺ من المدينة، في تأليب قريش وغطفان على غزو المدينة، ومحاربة النبي ﷺ، وقد وعد يهود بني النضير غطفان أن يعطوهم نصف ثمار خيبر **لإغرائهم بالمشاركة مع حلف الأحزاب**[2].
- **ما نزل فيها من آي الذكر الحكيم:** روت عائشة رضي الله عنها قالت في قوله تعالى: ﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾﴾ الأحزاب: ١٠ **قالت» كان ذلك يوم الخندق»**[3].

---

(١) أخلاق الحروب في السنة النبوية، الدكتور راغب السرجاني، مؤسسة اقرأ، ط١، ٢٠١٠م، ص١٤٤.

(٢) انظر تفصيل الخلاف في المسألة عند الدكتور أكرم العمري في السيرة النبوية الصحيحة ص٤٦٨، ويرجح الشيخ محمد الصادق عرجون أنها حصلت في السنة الرابعة للهجرة، وانظر ذلك في كتابه: محمد رسول الله ﷺ، ص ١٤١.

(٣) السيرة النبوية لابن هشام ٣/ ٢١٤، بإسناد صحيح، وهو مرسل، وقد ذكره الدكتور العمري في السيرة الصحيحة ص٤٧٠.

- **وقفة مع تفسير هذه الآية:** قال سيد قطب: «إنها صورة الهول الذي روَّع المدينة، والكرب الذي شملها، والذي لم ينج منه أحد من أهلها، وقد أطبق عليها المشركون من قريش وغطفان واليهود من بني قريظة من كل جانب.. من أعلاها ومن أسفلها، فلم يختلف الشعور بالكرب والهول في قلب عن قلب; وإنما الذي اختلف هو استجابة تلك القلوب، وظنها بالله، وسلوكها في الشدة، وتصوراتها للقيم والأسباب والنتائج، ومن ثم كان الابتلاء كاملاً والامتحان دقيقاً، والتمييز بين المؤمنين والمنافقين حاسماً لا تردد فيه»[1].
- **مشاركة القائد في حفر الخندق:** روى أنس رضي الله عنه قال: «جعل المهاجرون والأنصار **يحفرون الخندق** حول المدينة[2]، وينقلون التراب على متونهم وهم يقولون:

نحن الذين بايعوا محمدا على الإسلام ما بقينا أبدا

قال: يقول النبي ﷺ وهو يجيبهم:

اللهم إنه لا خير إلا خير الآخره فبارك في الأنصار والمهاجره

قال: يؤتون بملء كفي من الشعير فيصنع لهم بإهالة سنخة توضع بين يدي القوم، والقوم جياع، وهي بشعة في الحلق ولها ريح منتن»[3].

وفي رواية لأنس رضي الله عنه أيضاً يقول: «خرج رسول الله ﷺ إلى الخندق، فإذا المهاجرون والأنصار يحفرون في غداة باردة، فلم يكن لهم عبيد يعملون ذلك لهم، فلما رأى ما بهم من النصَب والجوع قال:

اللهم إن العيش عيش الآخره فاغفر للأنصار والمهاجره

فقالوا مجيبين له:

نحن الذين بايعوا محمدا على الجهاد ما بقينا أبدا

وفي رواية البراء بن عازب رضي الله عنه يقول: «لما كان يوم الأحزاب وخندق رسول الله

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب التفسير، باب في تفسير آيات متفرقة، ح ٧٤٥٢.

(٢) ذكر ابن حجر رحمه الله في فتح الباري، واستناداً لما هو مشهور عند أهل المغازي والسير، أن الذي أشار على النبي ﷺ بحفر الخندق هو **سلمان الفارسي** رضي الله عنه حين قال: **إنّا كنا بأرض فارس إذا حوصرنا خندقنا علينا**، وانظر الفتح ٧/ ٣٩٢.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة الخندق، ح ٤١٠٠.

ﷺ، رأيتــه ينقل من تراب الخندق حتــى وارى عني الغبار جلدة بطنه، وكان كثير الشعر، فسمعته يرتجز بكلمات ابن رواحة، وهو ينقل من التراب يقول:

اللهم لولا أنت ما اهتدينا ... ولا تصدقنا ولا صلينا

فأنزلن سكينة علينـــا ... وثبت الأقدام إن لاقينا

إن الألى قد بغــوا علينــا ... وإن أرادوا فتنــة أبينــا

قال ثم يمد صوته بآخرها»[1].

- **بركة النبي ﷺ:** روى جَابِرَ بْنَ عَبْد الله رضي الله عنه قال: «لَمَّا حُفِرَ الْخَنْدَقُ رَأَيْتُ برَسُــول اللــه ﷺ خَمَصاً[2]، فَانْكَفَأْتُ إِلَىَ امْرَأَتِي، فَقُلْتُ لَهَا: هَلْ عِنْدَكِ شَيْءٌ؟ فَإِنِّي رَأَيْتُ برَسُــول اللهِ ﷺ خَمَصاً شَديداً، فَأَخْرَجَتْ لِي جِرَابًا فِيهِ صَاعٌ مِنْ شَعِيرٍ، وَلَنَا بُهَيْمَةٌ دَاجِنٌ[3]، قَــالَ: فَذَبَحْتُهَا وَطَحَنَتْ، فَفَرَغَتْ إِلَىَ فَرَاغِــي، فَقَطَّعْتُهَا فِي بُرْمَتِهَا، ثُمَّ وَلَّيْتُ إِلَىَ رَسُــول الله ﷺ، **فَقَالَتْ: لَا تَفْضَحْنِي بِرَسُــول الله ﷺ وَمَنْ مَعَهُ**، قَالَ: فَجِئْتُهُ فَسَارَرْتُهُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُــولَ الله، إِنَّا قَدْ ذَبَحْنَا بُهَيْمَةً لَنَا، وَطَحَنَتْ صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ كَانَ عِنْدَنَا، فَتَعَالَ أَنْتَ فِي نَفَرٍ مَعَكَ.

فَصَاحَ رَسُــولُ الله ﷺ وَقَالَ: **يَا أَهْلَ الْخَنْدَقِ، إِنَّ جَابِرًا قَدْ صَنَعَ لَكُمْ سُوراً[4] فَحَيَّ هَلًا بِكُمْ**، وَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: لَا تُنْزِلُنَّ بُرْمَتَكُمْ، وَلَا تَخْبِزُنَّ عَجِينَتَكُمْ حَتَّى أَجِيءَ، فَجِئْتُ وَجَاءَ رَسُــولُ الله ﷺ يَقْدُمُ النَّاسَ حَتَّى جِئْتُ امْرَأَتِي، **فَقَالَتْ: بِكَ وَبِكَ[5]، فَقُلْــتُ: قَدْ فَعَلْتُ الَّذِي قُلْتِ لِي**، فَأَخْرَجْتُ لَهُ عَجِينَتَنَا فَبَصَقَ فِيهَا وَبَارَكَ، ثُمَّ عَمَدَ إِلَىَ بُرْمَتِنَــا فَبَصَقَ فِيهَا وَبَــارَكَ، ثُمَّ قَالَ: ادْعِي خَابِزَةً فَلْتَخْبِــزْ مَعَكِ، وَاقْدَحِي مِنْ بُرْمَتِكُمْ وَلَا تُنْزِلُوهَا وَهُمْ أَلْفٌ.

فَأُقْسِــمُ بِاللهِ لَأَكَلُوا حَتَّى تَرَكُوهُ وَانْحَرَفُوا، وَإِنَّ بُرْمَتَنَا لَتَغِطُّ كَمَا هِيَ، وَإِنَّ عَجِينَتَنَا -

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة الخندق، ح ٤١٠٦.

(٢) خلاء بطن وجوع.

(٣) سخلة صغيرة مما يؤلف في البيوت.

(٤) الطعام الذي يدعى إليه (وليمة).

(٥) كلمة توبيخ ودعاء لأنه أحرجها.

أَوْ كَمَا قَالَ الضَّحَّاكُ: - لَتُخْبَزُ كَمَا هُوَ»[1].

- **التبشير في الموقف العسير:** روى البراء بن عازب رضي الله عنه أنه لما واجهت الصحابة صخرة عجزوا عن كسرها، ضربها الرسول ﷺ ثلاث ضربات ففتتها، وقال إثر الضربة الأولى: **الله أكبر، أعطيتُ مفاتيح الشام، والله إني لأبصر قصورها الحمر الساعة، ثم ضربها الثانية فقال: الله أكبر، أعطيتُ مفاتيح فارس، والله إني لأبصر قصر المدائن أبيض، ثم ضرب الثالثة وقال: الله أكبر، أعطيتُ مفاتيح اليمن، والله إني لأبصر أبواب صنعاء من مكاني هذه الساعة»**[2].

من مشاهد الغزوة:

- **الزبير رضي الله عنه في الميدان:** روى عَبْد اللَّه بْن الزُّبَيْر رضي الله عنه قَالَ: «لَمَّا كَانَ يَوْمُ الْخَنْدَق، كُنْتُ أَنَا وَعُمَرُ بْنُ أَبِي سَلَمَةَ **فِي الْأُطُمِ الَّذِي فِيهِ نِسَاءُ رَسُولِ اللَّهِ** ﷺ، أُطُمِ حَسَّانَ، **فَكَانَ يَرْفَعُنِي وَأَرْفَعُهُ، فَإِذَا رَفَعَنِي عَرَفْتُ أَبِي حِينَ يَمُرُّ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ**، وَكَانَ يُقَاتِلُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ الْخَنْدَق، فَقَالَ: مَنْ يَأْتِي بَنِي قُرَيْظَةَ فَيُقَاتِلَهُمْ؟ فَقُلْتُ لَهُ حِينَ رَجَعَ: يَا أَبَتِ، تَاللَّهِ إِنْ كُنْتُ لأَعْرِفُكَ حِينَ تَمُرُّ ذَاهِبًا إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ، فَقَالَ: يَا بُنَيَّ أَمَا وَاللَّهِ إِنْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَيَجْمَعُ لِي أَبَوَيْهِ جَمِيعًا يتفداني بِهِمَا يَقُولُ: **فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي**»[3].

وفي رواية لجابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «من يأتيني بخبر القوم يوم الأحزاب؟ قال الزبير: أنا، ثم قال: من يأتيني بخبر القوم؟ قال الزبير: أنا فقال النبي ﷺ: **إن لكل نبي حوارياً وحواريَّ الزبير**»[4].

- **حذيفة بن اليمان رضي الله عنه وخبر القوم:** روى حذيفة رضي الله عنه قال: «لقد رأيتنا مع رسول

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب الأشربة، باب جواز استتباعه غيره إلى دار من يثق برضاه، ح٢٠٣٩.

(٢) أخرجه أحمد ٤/ ٣٠٣، وحسَّن ابن حجر إسناده، كما حسَّن ذلك الشيخ الألباني عند تخريجه لأحاديث فقه السيرة للشيخ الغزالي ص٣٠٠، وذكره الدكتور العمري في السيرة الصحيحة ص٤٧٤.

(٣) أخرجه أحمد في المسند برقم ١٣٧٦، وذكره الشيخ ابراهيم العلي في صحيح السيرة برقم ٤٥٣، وقال هو في البخاري ومسلم ولم أجده فيهما.

(٤) أخرجه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب فضل الطليعة، ح ٢٦٩١.

الله ﷺ ليلة الأحزاب، وأخذتنا ريح شديدة وقرٌّ، فقال رسول الله ﷺ: **ألا رجل يأتينا بخبر القوم، جعله الله معي يوم القيامة، فسكتنا فلم يجبه منا أحد**، ثم كرر قوله مرتين، فلم يجبه أحد، فقال: قم يا حذيفة، فأتنا بخبر القوم، فلم أجد بُدّاً إذ دعاني باسمي أن أقوم، قال: اذهب فأتني بخبر القوم، **ولا تذعرهم عليَّ**، فلما وليت من عنده جعلت كأنما أمشي في حمام[٥] حتى أتيتهم، فرأيت أبا سفيان يصلي ظهره بالنار، فوضعت سهماً في كبد القوس، فأردت أن أرميه، **فذكرت قول رسول الله ﷺ: لا تذعرهم عليَّ، ولو رميته لأصبته**[٦]، فرجعت وأنا أمشي في مثل الحمام، فلما أتيته فأخبرته بخبر القوم، وفرغت قررت[٧] فألبسني رسول الله ﷺ من فضل عباءة كانت عليه يصلي فيها، فلم أزل نائماً حتى أصبحت، **فلما أصبحت قال: قم يا نومان**»[٨].

- **شدة الموقف والاشتغال عن الصلاة:** روى علي رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال يوم الخندق: «حبسونا عن صلاة الوسطى حتى غابت الشمس، **ملأ الله قبورهم وبيوتهم أو أجوافهم - شك يحيى - نارا**»[٩].

وفي رواية جابر رضي الله عنه قال: «أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه جاء يوم الخندق بعد ما غربت الشمس، **جعل يسبُّ كفار قريش، وقال: يا رسول الله ما كدتُ أن أصلي حتى كادت الشمس أن تغرب، قال النبي ﷺ: والله ما صليتُها**، فنزلنا مع النبي ﷺ بطحان، فتوضأ للصلاة، وتوضأنا لها، فصلى العصر بعدما غربت الشمس، ثم صلى بعدها المغرب»[١٠].

---

(٥) أي زال شعوره بالبرد، وسكنت نفسه.

(٦) وهذا من رحمة الله تعالى بأبي سفيان الذي أسلم لاحقاً.

(٧) عاد إليه البرد.

(٨) أخرجه مسلم، ح١٤١٤، يحكي الشيخ محمد الغزالي في فقه السيرة رواية قال عنها الشيخ الألباني بأنها صحيحة وإن كانت مركّبة من أربع روايات وقد جاء فيها: «**أن أبا سفيان قال: يا معشر قريش إنكم والله ما أصبحتم بدار مقام، قد هلك الكراع والخف، وأخلفتنا بنو قريظة، وبلغنا عنهم الذي نكره ولقينا من شدة الريح ما ترون، ما تطمئن لنا قدر، ولا تقوم لنا نار، ولا يستمسك لنا بناء، فارتحلوا فإني مرتحل، ثم قام إلى جمله، وهو معقول، فجلس عليه ثم ضربه فوثب به على ثلاث، فوا الله ما أطلق عقاله إلا وهو قائم**».

(٩) أخرجه البخاري، كتاب التفسير، باب «حافظوا على الصلاة والصلاة الوسطى»، ح ٤٢٥٩.

(١٠) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة الخندق، ح٤١١٢.

- **محاولات نبوية لتفكيك الحلف المشؤوم:** روى أَبو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «جَاءَ الْحَارِثُ الْغَطَفَانِيُّ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، شَاطَرْنَا تَمْرَ الْمَدِينَةِ، قَالَ: **حَتَّى أَسْتَأْمِرَ (يستشيرهم) السُّعُودَ**، فَبَعَثَ إِلَى سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ، وسَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ، وَسَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ، وَسَعْدِ بْنِ خَيْثَمَةَ، وَسَعْدِ بْنِ مَسْعُودٍ، رَحِمَهُمُ اللهُ، فَقَالَ: إِنِّي قَدْ عَلِمْتُ أَنَّ الْعَرَبَ قَدْ رَمَتْكُمْ عَنْ قَوْسٍ وَاحِدَةٍ، وَإِنَّ الْحَارِثَ يَسْأَلُكُمْ أَنْ تُشَاطِرُوهُ تَمْرَ الْمَدِينَةِ، فَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَدْفَعُوا إِلَيْهِ عَامَكُمْ هَذَا، حَتَّى تَنْظُرُوا فِي أَمْرِكُمْ بَعْدُ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، أَوَحْيٌ مِنَ السَّمَاءِ، فَالتَّسْلِيمُ لأَمْرِ اللهِ، أَوْ عَنْ رَأْيِكَ، أَوْ هَوَاكَ، فَرَأْيُنَا تَبَعٌ لِهَوَاكَ ورَأْيِكَ، فَإِنْ كُنْتَ إِنَّمَا تُرِيدُ الإِبْقَاءَ عَلَيْنَا، **فَوَاللهِ لَقَدْ رَأَيْتُنَا وَإِيَّاهُمْ عَلَى سَوَاءٍ مَا يَنَالُونَ مِنَّا تَمْرَةً إِلَّا بِشِرًى، أَوْ قِرًى**، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: هُوَ ذَا تَسْمَعُونَ مَا يَقُولُونَ، قَالُوا: غَدَرْتَ يَا مُحَمَّدُ، فَقَالَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ رَحِمَهُ اللهُ

يَا حَارِ مَنْ يَغْدُرْ بِذِمَّةِ جَارِهِ ... أَبَدًا فَإِنَّ مُحَمَّدًا لَا يَغْدُرُ

وَأَمَانَةُ الْمَرْءِ حَيْثُ لَقِيتَهَا ... كَسْرُ الزُّجَاجَةِ صَدْعُهَا لَا يُجْبَرُ

إِنْ تَغْدُرُوا فَالْغَدْرُ مِنْ عَادَاتِكُمْ ... وَاللُّؤْمُ يَنْبُتُ فِي أُصُولِ السَّخْبَرِ»[1]

- **دعاء القائد وابتهاله لربه النصير:** روى عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنهما، قال: دعا رسول الله ﷺ يوم الأحزاب على المشركين، فقال: «اللهم منزل الكتاب، سريع الحساب، اللهم اهزم الأحزاب، **اللهم اهزمهم وزلزلهم**»[2].
- وفي رواية أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «إن رسول الله ﷺ كان يقول: **لا إله إلا الله وحده، أعزَّ جنده، ونصر عبده، وغلب الأحزاب وحده، فلا شيء بعده**»[3].

وروى أبو سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ «أنه لما جاءوا يسألون النبي ﷺ، ماذا يقولون؟ وقد اشتدَّ بهم الموقف، قال: نعم، **اللهم استر عوراتنا، وآمن روعاتنا**»[4].

- **شدة خوف النبي ﷺ وحرصه على أصحابه:** روى أبو سعيد الخدري قال: «... كان فتى منا حديث عهد بعرس قال فخرجنا مع رسول الله ﷺ **إلى الخندق**، فكان

---

(١) أخرجه الطبراني، في المعجم الكبير، ٦/ ٢٨، وقيل بأنه حسن، و السخبر شجر إذا طال تدلت رؤوسه وانحنت.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب المغازي باب غزوة الخندق، ح٤١١٥.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة الخندق، ح٤١١٤.

(٤) أخرجه أحمد ٣/ ٣، بإسناد قال فيه الشيخ الألباني بأنه حسن، وانظر فقه السيرة للغزالي، ص٣٠٦.

ذلك الفتى يستأذن رسول الله ﷺ بأنصاف النهار فيرجع إلى أهله، فاستأذنه يوماً، فقال له رسول الله ﷺ: **خذ عليك سلاحك، فإني أخشى عليك قريظة**، فأخذ الرجل سلاحه ثم رجع...»[1].

- **الحسم بالريح من الله تعالى:** روى عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ: «نصرتُ بالصَّبا، وأهلكتْ عاد بالدبور»[2].
- **من نتائج الغزوة:** روى سليمان بن صرد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ حين أجلي عنه الأحزاب: «**الآن نغزوهم ولا يغزونا، نحن نسير إليهم**»[3].

غزوة بني قريظة:

- **جبريل عليه السلام يطلب مواصلة المسير:** روت عائشة رضي الله عنها «أن رسول الله ﷺ لما رجع يوم الخندق، ووضع السلاح، واغتسل، فأتاه جبريل وقد عصب رأسه الغبار، فقال: **وضعتَ السلاح؟ فوا الله ما وضعتُه**، فقال رسول الله ﷺ: فأين؟ قال: ها هنا، وأومأ إلى بني قريظة، قالت: فخرج إليهم رسول الله ﷺ»[4].
- **جبريل عليه السلام يتقدم المسير في موكبه:** عن أنس رضي الله عنه قال: «كأني أنظر إلى الغبار ساطعاً في زقاق بني غنم، **موكب جبريل صلوات الله عليه حين سار رسول الله ﷺ إلى بني قريظة**»[5].
- **حث النبي ﷺ على التوجه إلى بني قريظة:** روى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب السلام، باب قتل الحيات وغيرها، ح ٤١٥٠.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الاستسقاء، باب نصرتُ بالصبا، ح١٠٣٥، وقد ذكر الدكتور أكرم العمري موقف نعيم بن مسعود الغطفاني ودوره الكبير في زراعة الشك بين زعماء الأحزاب، وقول النبي ﷺ له: **خذِل عنا ما استطعت**، وما تسبب عنه من فقدان الثقة بينهم، وقال بأن ذلك لم يثبت برواية صحيحة، وإن تداوله علماء السير كابن اسحاق والواقدي وغيرهما بدون إسناد، وانظر السيرة الصحيحة ص٤٨٣، كما أكد الشيخ الألباني ذلك، إلا أنه قال بأن قول النبي ﷺ: **الحرب خدعة**، ثابت في البخاري ومسلم، وانظر فقه السيرة للغزالي ص ٣٠٩، ويعترض الشيخ محمد الصادق عرجون على ذلك مؤكد صحة رواية ابن سعد في طبقاته للحادثة، وانظر: محمد رسول الله ﷺ منهج ورسالة، ص١٨٧.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة الخندق، ح٤١٠٩.

(٤) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب مرجع النبي ﷺ من الأحزاب، ح٤١١٧.

(٥) أخرجه البخاري، السابق، ح٤١١٨.

قال: قال النبي ﷺ يوم الأحزاب: «لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة، فأدرك بعضهم العصر في الطريق فقال بعضهم: لا نصلي حتى نأتيها، وقال بعضهم: بل نصلي، لم يُرد منا ذلك، **فذكر ذلك للنبي ﷺ فلم يعنف واحداً منهم**»[1].

- **مدة حصار بني قريظة:** اختلفت الروايات في المدة التي استمر فيها حصار النبي ﷺ لبني قريظة، ويُرجح الدكتور أكرم العمري أنها خمس وعشرون ليلة، تبعاً لرواية ابن إسحاق[2].
- **الحرب الإعلامية:** روى البراء بن عازب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ يوم قريظة لحسان بن ثابت: **اهجُ المشركين فإن جبريل معك**»[3].
- **حكم سعد رضي الله عنه في يهود**[4]: روى أبو سعيد الخدري رضي الله عنه قال: «نزل أهل قريظة على حكم سعد بن معاذ، فأرسل النبي ﷺ إلى سعد، فأتى على حمار، فلما دنا من المسجد قال للأنصار: **قوموا إلى سيدكم أو خيركم**، فقال: هؤلاء نزلوا على حكمك، فقال: تُقتَّل مقاتلتهم، وتسبي ذراريهم، قال: **قضيتَ بحكم الله، وربما قال: بحكم الملك**»[5].

وفي رواية عائشة رضي الله عنها تفاصيل نافعة، فقد روت قائلة: «أصيب سعد يوم الخندق، رماه رجل من قريش يقال له: حبان بن العرقة، وهو حبان بن قيس من بني معيص بن عامر بن لؤي، رماه في الأكحل، **فضرب النبي ﷺ خيمة في المسجد ليعوده من قريب**، فلما رجع رسول الله ﷺ من الخندق، وضع السلاح واغتسل،... فأتاهم رسول الله ﷺ فنزلوا على حكمه، فردَّ الحكم إلى سعد، قال: فإني أحكم فيهم أن تقتل المقاتلة، وأن تسبى النساء والذرية، وأن تقسم أموالهم،

---

(١) أخرجه البخاري، السابق، ح٤١١٩.

(٢) السيرة النبوية الصحيحة ص٣٥٧.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب مرجع النبي ﷺ من الأحزاب، ح٤١٢٤.

(٤) قبل أن يحكم سعد رضي الله عنه في يهود كانوا قد استشاروا أبا لبابة بن عبد المنذر وكان حليفاً لهم فأشار إلى أن ذلك يعني ذبحهم، قالها منبهاً لهم، على الرغم من أنه كان من الصحابة الكرام، فندم على تنبيهه لهم، وقيل بأنه ربط نفسه في سارية المسجد حتى قُبلت توبته، وقد جاءت حكايته بالتفصيل في مسند الإمام أحمد بسند حسَّنه الساعاتي، وانظر ترتيب المسند له: ٢١/ ٨١.

(٥) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب مرجع النبي ﷺ من الأحزاب، ح٤١٢١.

قال هشام: فأخبرني أبي عن عائشة أن سعداً قال:
اللهم إنك تعلم أنه ليس أحدٌ أحب إليَّ أن أجاهدهم فيك من قوم كذبوا رسولك ﷺ، وأخرجوه، اللهم فإني أظن أنك قد وضعت الحرب بيننا وبينهم، فإن كان بقي من حرب قريش شيء فأبقني له حتى أجاهدهم فيك، وإن كنت وضعت الحرب فافجرها، واجعل موتتي فيها، فانفجرت من لبته، فلم يرعهم وفي المسجد خيمة من بني غفار إلا الدم يسيل إليهم، فقالوا: يا أهل الخيمة ما هذا الذي يأتينا من قبلكم؟ فإذا سعد يغذو جرحه دماً، فمات منها رضي الله عنه»[1].

شاهد على تنفيذ الحكم: روى عطية القرظي رضي الله عنه قال: «كنت يوم حكم سعد فيهم غلاماً (منهم) فلم يجدوني أنبتُّ، **فها أنا ذا بين أظهركم**»[2].

- **المرأة العجيبة:** روت عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: «لم يقتل من نسائهم إلا امرأة واحدة، قالت: والله إنها لعندي تحدث معي، تضحك ظهراً وبطناً، ورسول الله ﷺ يقتل رجالهم بالسوق، إذ هتف هاتف باسمها أين فلانة؟ قالت: أنا والله، قالت: قلت: ويلك، وما لك؟ قالت: أُقتل، قالت: قلت: ولم؟ قالت: حدثاً أحدثتُه، قالت: فانطُلق بها، فضربت عنقها، وكانت عائشة تقول: **والله ما أنسى عجبي من طيب نفسها، وكثرة ضحكها وقد عرفتْ أنها تُقتل**»[3].
- **ومن الأحداث التي تلت غزوة بني قريظة:**

١. **زواج النبي ﷺ بزينب بنت جحش رضي الله عنها:** وقد قال الله تعالى في قصة زواجه بها: ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِيٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِيٓ

---

(١) أخرجه البخاري، السابق، ح٤١٢٢، ولسعد منزلة عظيمة عند الله تعالى، فقد روى البخاري عن جابر رضي الله عنه قال: «اهتز عرش الرحمن لموت سعد» ح ٣٨٠٣ في مناقب الأنصار، وروى البخاري أيضاً عن أنس رضي الله عنه قال: «أهدي للنبي ﷺ جبة سندس، وكان ينهى عن الحرير، فعجب الناس منها، فقال: والذي نفس محمد بيده لمناديل سعد بن معاذ في الجنة أحسن من هذه»، ح ٣٢٤٨، في كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في وصف الجنة.

(٢) أخرجه أحمد ح ١٩٤٢٢، وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح.

(٣) أخرجه أحمد ح ٢٦٤٠٧، وقال الشيخ الألباني: حديث حسن.

أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾ الأحزاب: ٣٧

- **وقفة في تفسير هذه الآية:** قال سيد قطب: «وسواء كان سبب نزول الآية ما جاء في تلك الروايات، أو كانت بصدد زواج الرسول ﷺ من زينب رضي الله عنها فإن القاعدة التي تقررها الآية أعم وأشمل، وأعمق جداً في نفوس المسلمين وحياتهم وتصورهم الأصيل.

فهذا المقوم من مقومات العقيدة هو الذي استقر في قلوب تلك الجماعة الأولى من المسلمين استقرارا حقيقيا; واستيقنته أنفسهم، وتكيفت به مشاعرهم.. هذا المقوم يتلخص في أنه ليس لهم في أنفسهم شيء; وليس لهم من أمرهم شيء، إنما هم وما ملكت أيديهم لله، يصرفهم كيف يشاء، ويختار لهم ما يريد، وإن هم إلا بعض هذا الوجود الذي يسير وفق الناموس العام، وخالق هذا الوجود ومدبره يحركهم مع حركة الوجود العام; ويقسم لهم دورهم في رواية الوجود الكبيرة; ويقرر حركاتهم على مسرح الوجود العظيم، وليس لهم أن يختاروا الدور الذي يقومون به، لأنهم لا يعرفون الرواية كاملة; وليس لهم أن يختاروا الحركة التي يحبونها لأن ما يحبونه قد لا يستقيم مع الدور الذي خصص لهم! وهم ليسوا أصحاب الرواية ولا المسرح; وإن هم إلا أجراء، لهم أجرهم على العمل، وليس لهم ولا عليهم في النتيجة!

عندئذ أسلموا أنفسهم حقيقة لله، أسلموها بكل ما فيها; فلم يعد لهم منها شيء، وعندئذ استقامت نفوسهم مع فطرة الكون كله; واستقامت حركاتهم مع دورته العامة; وساروا في فلكهم كما تسير تلك الكواكب والنجوم في أفلاكها، لا تحاول أن تخرج عنها، ولا أن تسرع أو تبطئ في دورتها المتناسقة مع حركة الوجود كله»[1].

٢. **نزول تشريع الحجاب.**

يروي أنس رضي الله عنه فيقول: «نزلت آية الحجاب في زينب بنت جحش وأطعم عليها خبزاً ولحماً، وكانت تفخر على نساء النبي ﷺ وكانت تقول: **إن الله**

(١) تفسير في ظلال القرآن، سيد قطب، ٥/ ٢٨٦٧.

أنكحني من السماء»[1].

٣. مقتل أبي رافع اليهودي:

روى البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى أَبِي رَافِعٍ الْيَهُودِيِّ رِجَالاً مِنْ الْأَنْصَارِ، فَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَتِيكٍ، وَكَانَ أَبُو رَافِعٍ يُؤْذِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَيُعِينُ عَلَيْهِ، وَكَانَ فِي حِصْنٍ لَهُ بِأَرْضِ الْحِجَازِ.

فَلَمَّا دَنَوْا مِنْهُ وَقَدْ غَرَبَتِ الشَّمْسُ وَرَاحَ النَّاسُ بِسَرْحِهِمْ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ لِأَصْحَابِهِ: **اجْلِسُوا مَكَانَكُمْ فَإِنِّي مُنْطَلِقٌ وَمُتَلَطِّفٌ لِلْبَوَّابِ لَعَلِّي أَنْ أَدْخُلَ**، فَأَقْبَلَ حَتَّى دَنَا مِنَ الْبَابِ ثُمَّ تَقَنَّعَ بِثَوْبِهِ كَأَنَّهُ يَقْضِي حَاجَةً وَقَدْ دَخَلَ النَّاسُ، فَهَتَفَ بِهِ الْبَوَّابُ: يَا عَبْدَ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ تُرِيدُ أَنْ تَدْخُلَ فَادْخُلْ فَإِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُغْلِقَ الْبَابَ.

فَدَخَلْتُ فَكَمَنْتُ، فَلَمَّا دَخَلَ النَّاسُ أَغْلَقَ الْبَابَ، ثُمَّ عَلَّقَ الْأَغَالِيقَ عَلَى وَتَدٍ، قَالَ: فَقُمْتُ إِلَى الْأَقَالِيدِ فَأَخَذْتُهَا، فَفَتَحْتُ الْبَابَ، وَكَانَ أَبُو رَافِعٍ يُسْمَرُ عِنْدَهُ، وَكَانَ فِي عَلَالِيَّ لَهُ، **فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْهُ أَهْلُ سَمَرِهِ صَعِدْتُ إِلَيْهِ**، فَجَعَلْتُ كُلَّمَا فَتَحْتُ بَاباً أَغْلَقْتُ عَلَيَّ مِنْ دَاخِلٍ.

قُلْتُ: إِنِ الْقَوْمُ نَذِرُوا بِي لَمْ يَخْلُصُوا إِلَيَّ حَتَّى أَقْتُلَهُ، فَانْتَهَيْتُ إِلَيْهِ، فَإِذَا هُوَ فِي بَيْتٍ مُظْلِمٍ وَسْطَ عِيَالِهِ، لَا أَدْرِي أَيْنَ هُوَ مِنَ الْبَيْتِ، **فَقُلْتُ: يَا أَبَا رَافِعٍ، قَالَ: مَنْ هَذَا؟ فَأَهْوَيْتُ نَحْوَ الصَّوْتِ فَأَضْرِبُهُ ضَرْبَةً بِالسَّيْفِ وَأَنَا دَهِشٌ**، فَمَا أَغْنَيْتُ شَيْئاً، وَصَاحَ فَخَرَجْتُ مِنَ الْبَيْتِ فَأَمْكُثُ غَيْرَ بَعِيدٍ ثُمَّ دَخَلْتُ إِلَيْهِ.

فَقُلْتُ: مَا هَذَا الصَّوْتُ يَا أَبَا رَافِعٍ؟ فَقَالَ: لِأُمِّكَ الْوَيْلُ إِنَّ رَجُلاً فِي الْبَيْتِ ضَرَبَنِي قَبْلُ بِالسَّيْفِ، قَالَ: فَأَضْرِبُهُ ضَرْبَةً أَثْخَنَتْهُ وَلَمْ أَقْتُلْهُ، ثُمَّ وَضَعْتُ ظُبَةَ السَّيْفِ فِي بَطْنِهِ حَتَّى أَخَذَ فِي ظَهْرِهِ، فَعَرَفْتُ أَنِّي قَتَلْتُهُ، فَجَعَلْتُ أَفْتَحُ الْأَبْوَابَ بَاباً بَاباً حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى دَرَجَةٍ لَهُ، فَوَضَعْتُ رِجْلِي وَأَنَا أُرَى أَنِّي قَدِ انْتَهَيْتُ إِلَى الْأَرْضِ، فَوَقَعْتُ فِي لَيْلَةٍ مُقْمِرَةٍ، فَانْكَسَرَتْ سَاقِي، فَعَصَبْتُهَا بِعِمَامَةٍ، ثُمَّ انْطَلَقْتُ حَتَّى جَلَسْتُ عَلَى الْبَابِ.

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب التوحيد، باب وكان عرشه على الماء، ح٧٤٢١.

فَقُلْتُ: **لَا أَخْرُجُ اللَّيْلَةَ حَتَّى أَعْلَمَ أَقَتَلْتُهُ، فَلَمَّا صَاحَ الدِّيكُ قَامَ النَّاعِي عَلَى السُّورِ، فَقَالَ: أَنْعَى أَبَا رَافِعٍ تَاجِرَ أَهْلِ الْحِجَازِ، فَانْطَلَقْتُ إِلَى أَصْحَابِي، فَقُلْتُ: النَّجَاءَ فَقَدْ قَتَلَ اللَّهُ أَبَا رَافِعٍ، فَانْتَهَيْتُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَحَدَّثْتُهُ، فَقَالَ: «ابْسُطْ رِجْلَكَ، فَبَسَطْتُ رِجْلِي، فَمَسَحَهَا فَكَأَنَّهَا لَمْ أَشْتَكِهَا قَطُّ»**[1].

٤. **قصة عكل وعرينة:**

روى أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «أن ناساً من عكل وعرينة[2] قدموا المدينة على النبي ﷺ، وتكلموا بالإسلام، فقالوا يا نبي الله إنَّا كنا أهل ضرع ولم نكن أهل ريف، واستوخموا المدينة[3] فأمر لهم رسول الله ﷺ بذود[4] وراع، وأمرهم أن يخرجوا فيه، فيشربوا من ألبانها وأبوالها، فانطلقوا حتى إذا كانوا ناحية الحرة، **كفروا بعد إسلامهم، وقتلوا راعي النبي ﷺ، واستاقوا الذود،** فبلغ النبي ﷺ، فبعث الطلب في آثارهم، **فأُمر بهم؛ فسمروا أعينهم، وقطعوا أيديهم، وتُركوا في ناحية الحرة حتى ماتوا على حالهم**، قال قتادة: بلغنا أن النبي ﷺ **بعد ذلك كان يحث على الصدقة، وينهى عن المثلة**»[5]، وعند أبي داود «فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ٣٣﴾ المائدة: ٣٣ [6].

- **وقفة في تفسير هذه الآية:** قال الإمام الرازي: «في أول الآية سؤال، وهو أن المحاربة مع الله تعالى غير ممكنة فيجب حمله على المحاربة مع أولياء الله،

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب قتل أبي رافع، ح٤٠٣٩، وجاء في السيرة النبوية لابن هشام أن النبي ﷺ أرسل سرية لقتل اليُسير بن رزام اليهودي بقيادة عبد الله بن رواحة، فقُتل اليسير ومن معه من يهود، وقد أصيب في السرية عبد الله بن رواحة وعبد الله بن أنيس.

(٢) حي من قحطان.

(٣) لم يوافقهم جوها، وكرهوها لسقم أصابهم.

(٤) إبل.

(٥) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب قصة عكل وعرينة، ح٤١٩٢.

(٦) ذكر الزيادة الشيخ ابراهيم العلي في صحيح أسباب النزول برقم: ١٥٢، وحكم عليها بالصحة.

والمحاربة مع الرسل ممكنة، فلفظة المحاربة إذا نسبت إلى الله تعالى كان مجازاً؛ لأن المراد منه المحاربة مع أولياء الله، وإذا نسبت إلى الرسول كانت حقيقة، فلفظ يحاربون في قوله: (إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله) يلزم أن يكون محمولاً على المجاز والحقيقة معاً، وذلك ممتنع، فهذا تقرير السؤال.

وجوابه من وجهين:

الأول: أنا نحمل المحاربة على مخالفة الأمر والتكليف، والتقدير: إنما جزاء الذين يخالفون أحكام الله وأحكام رسوله ويسعون في الأرض فساداً كذا وكذا.

والثاني: تقدير الكلام إنما جزاء الذين يحاربون أولياء الله تعالى وأولياء رسوله كذا وكذا. وفي الخبر أن الله تعالى قال: «من أهان لي ولياً فقد بارزني بالمحاربة»[1].

٥. **سرية الخبط**[2]: أرسل النبي ﷺ أبا عبيدة بن الجراح في ثلاثمائة رجل لرصد قافلة الجيش قرب ساحل البحر (رصد عير قريش)، فأصابهم الجوع حتى أكلوا الخبط، فسُمي جيش الخبط، وقد نحروا بعض الإبل، ثم نهاهم أبو عبيدة لحاجتهم إليها إذا لقوا العدو، **فألقى إليهم البحر بحوت عظيمة، فأكلوا منها نصف شهر، وحملوا بعضها للنبي ﷺ فأكل منها»**[3].

وفي رواية جابر رضي الله عنه **قال:** «... فألقى البحر حوتاً ميتاً لم يُر مثله، يقال له العنبر، فأكلنا منه نصف شهر، فأخذ أبو عبيدة عظماً من عظامه فمر الراكب تحته»[4].

---

(١) تفسير مفاتيح الغيب، الإمام الرازي، ٤/ ١٦٩.

(٢) يخلط بعض المؤرخين بين هذه السرية وسرية سيف البحر التي كانت في السنة الأولى للهجرة وكان عليها حمزة رضي الله عنه، لأن هدف السريتان واحد وهو استطلاع أخبار الجيوش، والغزوتان فيهما اقتراب الجيش من البحر.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الذبائح والصيد، باب قوله تعالى: أحل لكم صيد البحر» ح ٥١٧٤، **وأكد الدكتور العمري ما قاله ابن القيم من أن توقيت هذه السرية كان بعد غزوة الخندق وبني قريظة وليس في السنة الثامنة للهجرة**، وانظر السيرة النبوية الصحيحة ص٤٨٥.

(٤) أخرجه البخاري، كتاب الذبائح والصيد، باب قوله تعالى: «أحل لكم صيد البحر»، ح ٥١٧٤.

- أنوار وفوائد في المجال التزكوي القيمي النفسي (التربوي):

- يحكي توصيف القرآن الكريم لحال المسلمين يوم الأحزاب بشريتهم، فالخوف والهلع والرعب الذي ذاقوه يومئذ لم يكن مسبوقاً «وبلغت القلوب الحناجر» وسوء الظن بالله تعالى قد تسلل للبعض سواء أكان هؤلاء البعض من المنافقين أو من غيرهم، **فنحن بشر ونتعامل مع الأمور في الغالب بحسابات مادية، وماذا أكثر من أن يجتمع خصومنا من الداخل والخارج علينا في وقت لا نملك فيه سوى حفر الخندق والدفاع؟**، إنها بشرية الصحابة الكرام والتي تظهر لنا بوضوح بين المشهد والآخر، لتحكي لنا أن نكون مثلهم في الثبات وإن ظهر منا شيء من الضعف بين فترة وأخرى، فلا ضير والله غفور رحيم.

- **لخصت أبيات الشعر الأخرى التي كان يرددها النبي ﷺ حالة الافتقار إلى الله تعالى التي ينبغي أن يستشعرها المسلم في كل وقت لاسيما عند الأزمات**، فقد كان فيها الدعاء إلى الله تعالى بنزول السكينة تلك السكينة التي تأتي بالثبات، ثم حكت سبب تلك الهجمة على الإسلام والمسلمين وهي ابتغاء الأعداء الفتنة، وبينت موقف المسلم في كل وقت من الفتنة وهو الإعراض عنها قدر المستطاع:

اللهم لولا أنت ما اهتدينا ... ولا تصدقنا ولا صلينا
فأنزلن سكينة علينا ... وثبت الأقدام إن لاقينا
إن الألى قد بغوا علينا ... وإن أرادوا فتنة أبينا

- ربَّى أصحاب النبي ﷺ أولادهم على معاني الجهاد والفداء، وكانوا يصحبونهم للغزوات معهم إن لم يكونوا مشاركين فمشاهدين يرقبون عن بُعد ويتابعون الحدث، ولقد كان الزبير بن العوام يقرِّب ابنه عبد الله رضي الله عنهما ليرى ويتابع، وفي حكاية متابعته لمشاهد المعارك كان يركز نظره على عمل والده، وكان يسعد الوالد بمتابعة الولد، كما كان الولد يفخر ويعتز بعمل وهمة ونشاط الوالد، وفي حكاية الزبير لابنه عن أمر لم يسمعه من النبي ﷺ حين جمع له النبي ﷺ

أبواه يتفداه ما يؤكد هذا المعنى، ويبدو أن متابعة الصورة كانت بالنسبة لعبد الله بن الزبير أكثر دقة من تتبع الصوت، فالصوت بعيد لأجل ذلك جمع الزبير لابنه الصوت إلى جانب ما يرى من صورة ليكتمل مشهد الفداء في ذهنه.

- في شتيمة عمر رضي الله عنه للمتحزبين حول المدينة وسبابه لهم تأكيد على شدة غيرته على العبادة والطاعة حين تسبب هؤلاء المتحزبين في تأخير المسلمين لأداء صلاة العصر حتى غربت الشمس.
- اعتنى النبي ﷺ بنفسية سعد بن معاذ رضي الله عنه حيث كان يزوره عندما أصيب، وقد نصب له خيمة في المسجد، كما أنه أعطاه شرف الحكم على بني قريظة، وطلب من الصحابة الوقوف له قائلاً: قوموا لسيدكم، وذلك لما حضر ليحكم في يهود، وهذا كله لما لسعد من منزلة عند الله تعالى، فهو الذي لو نجا من ضمة القبر أحد لنجا هو، وقد رأى النبي ﷺ مناديله الناعمة في الجنة.
- تبين حكاية أبي لبابة رضي الله عنه الجانب البشري من حياة الصحابة فهم بشر مثل البشر، لكن صدق توبتهم عن الخطأ والزلل جعلتهم يتفوقون، كما بينت حكايته صدق عقيدته ورسوخ إيمانه وخوفه من الله العليم.
- **الصدق في النبرة والنية هو الذي أكسب سعد بن معاذ رضي الله عنه أن يكون مستجاب الدعاء** عندما طلب من الله تعالى قائلا: «اللهم إنك تعلم أنه ليس أحد أحب إلي أن أجاهدهم فيك من قوم كذبوا رسولك ﷺ، وأخرجوه، اللهم فإني أظن أنك قد وضعت الحرب بيننا وبينهم، فإن كان بقي من حرب قريش شيء فأبقني له حتى أجاهدهم فيك، وإن كنت وضعت الحرب فافجرها، واجعل موتتي فيها» فكان له ما طلب.
- عجيبة تلك المرأة التي كانت تعرف بأنها ستموت لكنها كانت تضحك للموت في بيت عائشة رضي الله عنها، ولرب موت أسعد للإنسان من حياة يجد فيها كل يوم الموت مرات ومرات، ويبقى سر هذه المرأة غامضاً، غير أنها اعترفت بأنها كانت قد ارتكبت جرماً تستحق عليه الموت، **وفي القصة ما يؤكد حرص الإسلام على النساء حتى إنه لم يقتل من نساء بني قريظة سوى هذه المرأة التي اعترفت**

بارتكابها جريمة تستوجب القتل.

- يحق لزينب رضي الله عنها أن تفخر على سائر النساء طالما أن زواجها جاء في كتاب الله تعالى من السماء: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾﴾ الأحزاب: ٣٧.

* العفة شعار المجتمع المسلم، والحجاب سبب من أسباب العفة، ومنهج الاسلام القائم على الأخذ بالأسباب المتاحة للوصول إلى النتائج الكريمة كان منسجماً متناغماً مع تشريع فرض الحجاب على المسلمات.

- يقول الشيخ محمد الغزالي: «**إن معركة الأحزاب لم تكن معركة خسائر بل معركة أعصاب**»(١).
- يقول الدكتور منير الغضبان: «لقد انتهى أبو سفيان بعد الخندق وهُزم نفسياً وكان مرور الزمن هو الذي أخَّر إيمانه حتى الفتح، ولم يكن من السهل عليه أن ينتقل من القائد العام للمشركين إلى جندي عام في الصف الإسلامي، لولا النهاية الحتمية لأفول قوته، والتي شهدها على أعتاب الخندق»(٢).

- أنوار وفوائد في المجال التأثيري الاجتماعي التواصلي (الدعوي):

- برز جانب القدوة في تعليم وتربية النبي ﷺ لأصحابه وهو يعمل معهم في حفر الخندق، وهذا ما يذكرنا بمشهد مساعدتهم كذلك في بناء المسجد، **ولا تقلُّ عملية حفر الخندق أهمية عن عملية بناء المسجد لأنه لولا حفر الخندق لاستباح الأحزاب المسجد وهدموه**، ولقد أراد النبي ﷺ من تحفيزه لأصحابه أن يكون بينهم، وأن يبثَّ فيهم معاني البِشر والأمل وأن يطرد عنهم الوهن، لاسيما وهم يرون خطورة المشهد، كما أنه ﷺ أراد بتلك المشاركة أن يستنهض طاقات الجميع للعمل ليتم الحفر في زمن قياسي، وقد تم ذلك، لأن الزمن عامل أساسي

---

(١) فقه السيرة، الشيخ محمد الغزالي، ص٣٠٠.

(٢) المنهج السياسي للسيرة النبوية، الدكتور منير الغضبان، دار السلام، ط ١، ٢٠١٣م، ص١٧٩.

في الحروب، فلو أنهم تأخروا في الحفر قليلاً لدخل الأحزاب من الجهة غير المكتملة للخندق، ولما صار للجهة المكتملة الحفر أي قيمة ساعتئذ.

- على الرغم مما تحلى به جابر وزوجته رضي الله عنهما من إحساس وشعور بالقائد الكريم، وما تقدما به من كرم وعطاء لأجل الله تعالى ورسوله، إلا أنهما كانا يخافان مما حصل، فلقد سمح النبي ﷺ لنفسه بأن يدعو الجميع على وليمة جابر الصغيرة لأن نفسه لم تقبل أن يأكل هو ويترك الصحب جياع، **وكله يقين على الله تعالى بأنه سبحانه لن يفضحه في مستضيفه جابر، فكان له ما كان، ونزلت البركة وأكل الجميع.**
- على الرغم من شدة حكم سعد رضي الله عنه في بني قريظة وموافقة النبي ﷺ على ذلك، إلا أنهما جعلا الحكم بالنسبة للقتل يخص الرجال البالغين ممن يقدرون على القتال وحمل السلاح، أما النساء والأطفال فقد أعطاهم فرصة لعل في انخراطهم في المجتمع المسلم أو حوله ما يقرِّب إليهم الحق فيهتدوا، فكان منهم الصحابي الجليل كعب القرظي.
- ليس في حكم الله تعالى حرج، كانت هذه هي الرسالة التي أراد الله تعالى أن يبلغها لنبيه ﷺ من حادثة زواجه بزينب بنت جحش، وقد عوتب النبي ﷺ لإخفائه ما في نفسه، لأنه عليه الصلاة والسلام كان متحرجاً من الحديث في موضوع زينب لما فيه من حرج، فهي قد أصبحت زوجة لمولاه زيد بن حارثة، لكن زيداً تركها فخشي النبي ﷺ أن يتقول الناس بأن النبي ﷺ قد تزوج من طليقة مولاه، على الرغم من أن ذلك جائز شرعاً فنزلت الآيات ترفع الحرج.
- كان النبي ﷺ حريصاً على مدِّ الجسور بينه وبين القبائل والوفود التي تأتيه، وكان يقدِّر حاجتها إلى التعليم مع كراهيتها البقاء في المدينة لعدم استطابتهم لأجوائها، فطلب وفد عكل وعرينة أحداً يرجع معهم فيعلمهم ويهديهم السبيل، فأكرمهم النبي ﷺ وبعث معهم راعياً ومعلماً ومعيناً لهم في المسير لكنهم خانوا العهد فعوقبوا بالمثل.
- في سرية الخبط ما يؤكد قيمة الثبات وعدم الرجوع عن المبدأ، حتى لو تسبب

الأمر بالجوع الشـــديد، ويقين المسلم بربه أنه لن يتركه كفيل بإتمام المسير حتى تتحقق الغاية وترفع للحق راية.

- أنوار وفوائد في المجال المعاشي الاقتصادي:

- كان للعامـــل الاقتصـــادي والاغراء بنصف ثمار خيبر أكبر الأثـــر في موافقة قبيلة كبرى بحجم غطفان على الاشتراك مع الأحزاب التي جاءت لمواجهة المسلمين يوم الخندق، والمال يغري ويغوي، **وعند المال ينسى بعض الناس القيم والعهود والمواثيق، ويســـقطون في وحل الخيانة والعمالـــة للآخرين**، ولا يزال اليهود حتى يومنا هذا يمارسون دَور شراء الذمم وإسقاط كبار القوم ليكونوا خدماً لمصالحهم.
- زاد شح الموارد وقلة الزاد من ألم ومصاب المسلمين يوم الخندق، وفي توصيف أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لنوع الـــزاد الذي كانوا يأكلونه ما يؤكد ذلـــك: «يؤتون بملء كفي من الشـــعير فيصنع لهم بإهالة سنخة توضع بين يدي القوم، والقوم جياع، وهي بشعة في الحلـــق ولها ريح منتن»، كما أن الجوع الذي لحـــق بالنبي ﷺ ومن معه كان له كبـــير الأثر في الخفض من عزائمهم، ولكن الثبـــات واليقين زادُ من لا زادَ له، واللـــه تعالى هو الرزاق ذو القوة المتين، لأجـــل ذلك حلَّت البركة في طعام جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حتى أكل القوم وشـــبعوا وزاد الطعام وفاض، **والبركـــة التي نزلت في الزمن الأول يمكـــن أن تتكرر، وشرط البركة الإيمـــان والحركة، والله تعالى لا يضيع أجر المحسنين، وهو حافظ عباده المؤمنين**.
- تعرض أفراد سرية الخبط لجوع شديد، حتى أن السرية سُميت بما يدل على ذلك، فقد أكلوا الخبط، وهو ورق الأشـــجار المتساقط على الأرض من شدة جوعهم، وما وجدوا ســـوى التمر يمصونه مصَّاً ليُصبِّر الواحد منهم نفســـه، ولكن لما كان عليـــه هؤلاء الأصحاب من الصدق مع الله تعـــالى فقد أكرمهم الله تعالى بحوتٍ جاءهم مســـتلقياً عند الساحل كأنما يقول لهم: كلوني، فأكلوا منه أياماً عديدة، ثم أتموا مهمتهم في الرصد ورجعوا.

- أنوار وفوائد في مجال إدارة المواقف والسياسة الشرعية:

- عند التدقيق في الكلمات التي كان الصحابة ينشدونها وهم يحفرون الخندق نجد أنهم كانوا يجددون البيعة للنبي ﷺ أو يستذكرون شروط البيعة الأولى معه في ذلك الموقف العصيب، **ولعل من معالم إدارة المواقف الصعبة أن يستحضر الناس عهودهم ومواثيقهم، وأن يطلبوا العون من الله تعالى على الوفاء بها.**

وكذا الحال لدى التدقيق في كلمات النبي ﷺ يجد أنها تحكي التزهيد في الدنيا، وبيان قيمتها، والدعاء بالخير لكل ناهض لنصرة الله تعالى ورسوله والمؤمنين، وهنا يبرز العامل النفسي وهو الأهم في الثبات عند الأزمات.

- **التبشير ورفع المعنويات من أبرز معالم واستراتيجيات إدارة الأزمات والمواقف الصعبة**، ولقد نقل النبي ﷺ الصحابة نفسياً من ضيق يوم الأحزاب إلى سعة الفتوحات الكبرى، فهو يحدثهم عن فتح الشام والمدائن واليمن، في لحظة حرجة لا يأمن الواحد منهم على حاجته أن يقوم بأمان فيقضيها، والسؤال هنا: هل يمكن لأي قائد أن يستخدم هذه الاستراتيجية في إدارة المواقف الصعبة، الجواب: لا مانع من ذلك، ولكن دون تحديد لأماكن محددة على وجه القطع، وإنما يطلق القائد بشارات صادقة تنبع من قلب محب وواثق بالله تعالى، فيرفع من معنويات مَن حوله «وأما من قال هلك الناس فهو أهلكُهم»[1]، ويرجو من الله تعالى أن يجيب دعاءه، وهذه مسؤولية أجهزة وقنوات التوجيه والتوعية كلها، لاسيما في المعارك المفصلية بين الحق والباطل.

- لا بأس بتأخير الصلاة عن وقتها إن عجز القوم عن الصلاة في وقتها، أو لم يتمكنوا من أداء صلاة الخوف، وهذا ما حصل يوم الأحزاب إذ تعامل الأصحاب مع الموقف وفق فقه الموازنات، فالصلاة على أهميتها تؤخَّر إن كان واجب الحراسة لثغور الإسلام الساخنة قائم.

- الدعاء كان ولا يزال وسيبقى العامل المشترك بين غزوات النبي ﷺ، فلقد دعا

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب البر والصلة، باب النهي عن قول: هلك الناس، ح ٢٦٢٣، وهي بفتح الكاف أو ضمها ويرجح الإمام النووي الضم على الفتح بقوله: هما قولان مشهوران والرفع أشهر.

في بـــدر وأُحد، وها هو ذا يدعو يوم الأحزاب، ويركِّز بل ويشـــدد في الدعاء على الأعداء: اللهـــم اهزمهم وزلزلهم، فهُزموا وزلزلوا بفضل الله، وكفى الله المؤمنين القتال، **ولكن مما ينبغي الإشارة إليه أن الدعاء لم يكن مجرداً عن الأخذ بالأسباب: العســكرية (حفر الخندق)، والأمنية (من يأتيني بخبر القوم)، والإعلامية النفســية (ستُفتح عليكم الشام)، والاقتصادية (الدعوة على مأدبة جابر).**

- كان بإمكان جبريل عليه الســلام وبأمر من الله تعالى أن ينهي موضوع بني قريظة بنفســه، كما أنهى الله تعالى موضوع الأقوام الســابقة بقوله للقرى: كوني هالكة فتهلك، ولكن ســنة الله تعالى في تدبير الأمور في زمن النبي ﷺ أن تكون بشرية صرفة، لأجل ذلك جاء جبريل عليه السلام وأمر النبي ﷺ أن ينهض لمقارعة بني قريظة والقضاء عليهم، وذلك قبل أن يأخذ قسطاً من الراحة بُعيد غزوة الأحزاب، ولم يكتف جبريل عليه السلام بالإشارة والايعاز للنبي ﷺ للذهاب إلى بني قريظة بل تقدم بسرية من الملائكة يقودها بنفســه، وذهبــوا مع الجموع المؤمنة ليتابعوا موضوع إنهاء وجود بني قريظة في المدينة.
- قبِلَ النبي ﷺ اجتهــاد مَن صلى العصر في الطريق واجتهاد من أخَّر الصلاة حتى وصــل إلى ديار بني قريظــة، وفي ذلك إقرار منه بصحــة الاجتهاد لأمور تحتمل الاجتهاد، حتى لو كان فيها نص صحيح قطعي الثبوت، لكنه محتمل الدلالة، **وقد نتج عن هذه المسألة مدرستان في تناول الأدلة:** مدرسة الظاهر ومدرسة المقاصد، فأمــا من أخذ بالظاهر فقد أخَّر الصلاة حتى وصــل إلى بني قريظة، وأما من أخذ بالمقاصد فقد صلى في الطريق ثم اســتعجل الخُطى بعــد ذلك إلى بني قريظة، ولولا أن وقت الصلاة قد حكم في الطريق لما حصل هذا الخلاف.
- حُكمُ الملك هو أشبه ما يكون بحكم سعد بن معاذ رضي الله عنه، فهو حُكمٌ عادل حاسم وجــازم لا تأخذه في الله لومة لائم، وعلى الرغم مــما جمع الله تعالى في صدر النبي ﷺ وصدور أصحابه من الرحمة واللين إلا أن التشديد في الحكم على يهود بني قريظة كان مســاوياً ومكافئاً لحالة الغــدر والخيانة التي قاموا فيها قُبيل غزوة الأحــزاب، والجزاء من جنس العمل، فضلاً عن أن في ذلك ردع لكل من تســوِّل

له نفسه من يهود أو سواهم أن يعتدوا على المدينة النبوية، أو أن يتسببوا بإخافة أهلها، لاسيما المعاهدين منهم.

- **على الرغم من سماحته ﷺ وحِلمه إلا أن نفسه كانت تعاف الخيانة وتكره أهلها،** فما أن انتهى من عقوبة بني قريظة على خيانتهم على الرغم من إحسانه لهم، إلا وقد تعرض لخيانة وفد عكل وعرينة الذين قتلوا الراعي وسرقوا الإبل وخانوا عهدهم مع الله ورسوله، فأرسل إليهم مَن جاء بهم، وأنزل بهم أشد عقوبة عرفتها السيرة النبوية المستنيرة بنور الوحي، حيث سمل أعينهم، وقطع أرجلهم، وتركهم في الصحراء حتى ماتوا وهم على حالهم.
- أوقف النبي ﷺ العمل بالتمثيل في الناس، لكن الحكم العام بالمعاملة بالمثل لا يزال قائماً، وسيبقى إلى قيام الساعة، وصدق الله في ذلك: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾﴾ النحل: ١٢٦ وقال تعالى ﴿ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ بِٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْحُرُمَٰتُ قِصَاصٌ ۚ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩٤﴾﴾ البقرة: ١٩٤، هذا نوع قصاص مشروع وصدق الله: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ ۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾﴾ المائدة: ٤٥.
- كان النبي ﷺ يفكر خارج الصندوق ويبحث عن حلول جديدة يدير بها الأزمة، وليس في السيرة أشد من أزمة اجتماع الأحزاب على المدينة، فقد رأى النبي ﷺ وإعمالاً منه لفقه السياسة الشرعية أن يعطي غطفان جزءاً من ثمار المدينة لينصرفوا عن حلفهم الذي عقدوه مع الأحزاب، وهذا نوع تفكيك للأحزاب وتشتيت لشملهم، وغطفان قبيلة كبرى ومتفرعة، وقيل بأنهم شاركوا في ستة آلاف مقاتل منهم في تلك المعركة، وكان بنو النضير قد عرضوا على غطفان نصف ثمار خيبر لأجل هذه المشاركة، **ومن ثمَّ فإن هؤلاء ليسوا أصحاب مبدأ وإنما مرتزقة، فكان اجتهاد النبي ﷺ أن يعطيهم ذلك لكنه لم يبرم عقده معهم بشكل نهائي،** وقد

خطا به خطوات متقدمة، إلا بعد أن يستشير زعماء المدينة من المسلمين وهم (السعود أي من تسموا بسعد آنذاك)، فكانت مشورتهم قوية ثابتة راسخة، ردت على الغطفانيين أطماعهم، وتأكد بها النبي ﷺ من صلابتهم وقوتهم في الحق الذي لهم، ومن هنا نستنتج أن الأخذ بأخف الضررين جائز، وأن المشورة ضرورة لاسيما لمن يتعلق بهم الأمر الذي سيُبرم فيه أي اتفاق.

- أنوار وفوائد في المجال الأمني العسكري:

- يحكي سبب حصول غزوة الأحزاب وهي الغزوة الأكثر خطورة في تاريخ السيرة النبوية من جهة اجتماع محاور الشر الثلاثة؛ وهم المشركون واليهود والمنافقون وحصارهم للمدينة بقصد استئصال المسلمين منها، يحكي سبب حصولها ما لليهود من دَور بالغ في التحريض على المؤمنين، ومحاولة القضاء عليهم، وقدرتهم الفائقة على تحريك حتى القبائل الأبعد لتحقيق أهدافهم المشؤومة، **وما يجري اليوم من تحالفات كبرى ضد الإسلام والمسلمين إنما تقوم بدعم وإيحاء وتأليب من اليهود.**
- أحكم الأحزاب خطتهم العسكرية على المدينة، وقد وصف القرآن الكريم ذلك عندما قال الله تعالى: ﴿ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا ۝١٠ ﴾ الأحزاب: ١٠ وكان للمشورة التي طلبها النبي ﷺ من جنده دورها الكبير في إبطال خطة الأحزاب أو تعطيل تقدمهم وتوغلهم على الأقل نحو المدينة، فكان لسلمان الفارسي رضي الله عنه السبق في استثمار خطط فارس في المواجهة من خلال اقتراحه على النبي ﷺ بحفر الخندق.
- شكَّل حفر الخندق في أيام معدودة وبمسافة وعمق كبيرين عنصر مفاجأة أدهش الأحزاب، وجعلهم يتوقفون ولا يتقدمون خطوة واحدة للأمام، ولعنصر المفاجأة في الدفع أو في الهجوم أثره على الخصم، **ومن دون عنصر المفاجأة تصبح أرضنا مكشوفة ويتاح للعدو أن ينفذ خطته بإحكام**، لقد وقع جيش المسلمين في مفاجأة

خالد رضي الله عنه يوم أُحد فتحولت هزيمة المشركين إلى نصر في تلك الجولة، وأما في غزوة الخندق فقد كانت المدينة كلها مكشوفة لهم ولكن الله تعالى سلَّم.

- درس النبي ﷺ جغرافيا المدينة المنورة وبحث عن نقاط الضعف الطبيعية فحرص على سدادها بشرياً.
- في سؤال النبي ﷺ عن خبر القوم مرتين، وتشديده على تتبع أخبار الخصوم ما يدلك على يقظة مستمرة وعين مفتوحة، لأننا بمقدار معرفتنا بما يجري في الطرف الآخر يمكننا أن نبني خطط تقدم أو تراجع أو دفاع مستميت، ولقد كان الزبير رضي الله عنه هو المتطوع الأول في المجيء بخبر الأعداء، لأجل ذلك امتدح النبي ﷺ أمره بعد أن كان قد افتداه بأبويه في الغزوة ذاتها، ويبدو أن الطلب الثاني من النبي ﷺ كان في ظرف أكثر خطورة، وقد وصف حذيفة رضي الله عنه ذلك فقال بأنه أخذتهم ريح شديدة وبرد قارس، فكان أن طلب النبي ﷺ ذلك على سبيل التطوع والتخيير دون إلزام، وبعض المهمات الخاصة ليس من الحكمة فيها الإلزام، إلا إن رأى القائد ذلك، ولشدة الموقف فقد بين النبي ﷺ جائزة من يأتي بخبر القوم في المرة الثانية، وهي مرافقة النبي ﷺ في الجنة، **وكأني بهذا العرض لا يزال يسري حتى يومنا هذا، ولا أجد ما يمنع من سريانه على كل من ينشط فيأتي بخبر الأعداء ويضعه بين يدي المؤمنين ليشكل بالنسبة لهم حافزاً ومناراً للحراك، وفضلُ الله تعالى أوسع من أن يضيق على فترة من الزمان وقطعة من المكان**، ولكن كانت المفاجأة بأن أحداً من الأصحاب آنذاك لم يحرك ساكناً، والعذر معهم، فالموقف شديد شديد، فكان (التلزيم) المباشر ووقعَ الاختيار على أمين سر النبي ﷺ حذيفة بن اليمان رضي الله عنه.
- أوصى النبي ﷺ حذيفة رضي الله عنه في مهمته الأمنية الخاصة أن يكون حذراً منتبهاً، وأن لا يُحدث في القوم ما يثيرهم على النبي ﷺ لأن الظرف شديد ولا يحتمل ذلك، وقد سنحت لحذيفة رضي الله عنه سانحة كان بإمكانه أن يحول من خلالها مسار المعركة بحيث يقوم بقتل أبي سفيان، وكان ذلك متاحاً له، فإما أن يتسبب ذلك في خوف الأحزاب وهربهم، وإما أن تزداد النقمة ويتفاعل القوم فيؤجج ذلك في نفوسهم حمية الانتقام، ومن ثمَّ يكون حذيفة قد وقع في مخالفة أمر النبي ﷺ، ولأجل أن

الاحتمال الثاني ممكن وارد، توقف حذيفة عن ذلك وترك أبا سفيان وشأنه.

- يصف حذيفة رضي الله عنه حاله مع البرد في ذاك الموقف فيقول بأنه زال عنه البرد بمجرد أن لبى أمر النبي ﷺ، ثم يصف كيف أكرمه النبي ﷺ وغطّاه بعباءته لما رجع، وكيف أنه ﷺ داعبه لما استفاق من نومه، وكل ذلك يأتي في باب التعزيز لرجل قام بأداء مهمة أمنية خاصة وبكل اقتدار، فجاء بخبر القوم، ولم يحدث فيهم ما يثيرهم على المسلمين.
- **في المهمات الأمنية الخاصة يبدو أن الالتزام الحرفي أولى من الاجتهادات المفسدة للسياق العام.**
- **حتى في دعاء النبي ﷺ كانت لمساته الأمنية حاضرة فها هو ذا يدعو: اللهم استر عوراتنا، وآمن روعاتنا.**
- كان السلاح المادي المستخدم في غزوة الأحزاب سلاحاً غير تقليدي، ألا وهو سلاح الريح، فقد سلَّط الله تعالى على الأحزاب ريحاً شديدة خلعت خيامهم، وتحول البرد الشديد في طرف المسلمين إلى منحة بدلاً من أن يكون محنة، **وإلا فالفاصل بين الجيشين فاصل الخندق، فكيف تطير خيام الأحزاب وتبقى خيام المؤمنين؟!**، إنها الريح التي أرسلها الله تعالى لتكون جنداً من جنده نصرة لعباده الصابرين المصابرين المرابطين ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ﴿٣١﴾﴾ المدثر: ٣١.
- حكاية نعيم بن مسعود الغطفاني رضي الله عنه لو أنها ثبتت فإنها تشكل نقلة نوعية في التخطيط الأمني والعسكري **باستخدام استراتيجية استثمار طاقات الأفراد لاختراق جُدُر الأعداء، واستراتيجية التفريق بين الأحلاف**، وزرع الشك في جبهتهم، وتحويل نقطة القوة لديهم (اجتماعهم) إلى نقطة ضعف (زرع الشك بينهم).
- النقلة النوعية التي أحدثتها انتصارات المسلمين يوم الأحزاب غير مسبوقة، وقد عبر عنها النبي ﷺ بقوله: اليوم نغزوهم ولا يغزونا، فقد وجد النبي ﷺ مسوغاً عقلياً وشرعياً لأصحابه أولاً، وللقاصي والداني بالتقدم خطوة نحو العدو وتأديبه والتحول من جهاد الدفع إلى جهاد الطلب، ذلك أن العدو قد كشَّر عن أنيابه ولم

يبق له حجة بعد غزوة الأحزاب في باب السلام العام، ومن ذلك نتعلم بأن الضربة التي لا تؤذيك تمنحك فرصة متقدمة، وتشد من عزيمتك وتثريك وتقويك.

- لما أظهر بنو قريظة حقدهم وكانت لهم يد طولى في خيانة النبي ﷺ يوم الأحزاب كره النبي ﷺ ذلك، وكره ذلك جبريل عليه السلام، فكان المحرِّض الأول على قتالهم، وكره ذلك أيضاً الصحابي الكبير سعد بن معاذ الذي كتب الله تعالى له أن تكون كلمة الفصل بشأنهم تجري على لسانه، فيحكم فيهم بحكم الله ورسوله ﷺ.
- **في الربط المبارك بين التكليف بالأمر العسكري وبين عبادة صلاة العصر ما فيه من جهات عدة أهمها:**

١. أن عبادة مواجهة بني قريظة لا تقل أهمية عن عبادة صلاة العصر.
٢. أن الربط بموعد صلاة العصر يعني استعجال النبي ﷺ في إنهاء هذا الأمر قبل أن يعيد يهود قريظة ترتيب أمورهم، ولقد كان النبي ﷺ يعلم أن بعضهم لن يتمكن من إدراك الصلاة إلا في الطريق، **لكنه أراد بذلك أن يستحثَّ الخطى لكسب السبق وتحقيق عنصر المباغتة لهؤلاء الخائنين.**

- على الرغم من محاولة مباغتة بني قريظة إلا أنهم كانوا على أهبة الاستعداد لعلمهم أنهم خانوا العهد، وأن نقمة الله ورسوله والمؤمنين ستحل عليهم، لأجل ذلك طال حصارهم واستمر قرابة خمسة وعشرين ليلة، **واليهود في الغالب قوم حذرون مستعدون محصنون جيداً.**
- أكَّد النبي ﷺ في هذه الغزوة **أهمية الحرب الإعلامية**، لأجل ذلك دعا حسان بن ثابت رضي الله عنه وطلب منه أن يهجو يهود، وفي الهجاء لهم إثارة لحماسة الصحابة، وتحبيط من معنويات الأعداء.
- **في قصة قتل أبي رافع اليهودي الكثير من الفوائد والأنوار الأمنية والعسكرية ومن ذلك:**

١. كان قتل هذا الرجل من اليهود من خلال سرية العمليات الخاصة الثالثة التي كلف النبي ﷺ بقيادتها عبد الله بن عتيك بعد سرية عبد الله بن أنيس التي

قتلت خالد بن سفيان الهذلي، وسرية محمد بن مسلمة التي قتلت كعب بن الأشرف اليهودي.

٢. اشترك أبو رافع اليهودي مع خالد الذهلي وكعب بن الأشرف في جريمة التحريض على النبي ﷺ وإيذاء المؤمنين.

٣. حدد النبي ﷺ للسرية وجهتها وكانت الوجهة إلى الحجاز، ويبدو أنهم يعرفون الرجل جيداً فلم يطلبوا تحديد أوصافه.

٤. تقدم الأمير عبد الله بن عتيك رضي الله عنه في مهمة خاصة على مجموعته الخاصة حين طلب منهم الانتظار لمعرفة أسرار الحصن، وإن كان يوجد من ثغرة للدخول إليه فهي مهمة استخبارية بحتة.

٥. سنحت فرصة لعبد الله بن عتيك أن يتقدم ويدخل الحصن، ولم يكن يقدر على العودة ليخبر أصحابه حتى لا تضيع الفرصة، فدخل هو الحصن وبقي أصحابه خارجه في الانتظار، ولم يحركوا ساكناً حتى رجع إليهم وقد أتم المهمة كاملة وبنجاح عنهم.

٦. قام عبد الله رضي الله عنه بتمثيل دَور من يقضي الحاجة، ولابد أنه تحدث بمنطق اليهود لدرجة أن الحارس لما سأل لم يشتبه عليه أن هذا الرجل غريب.

٧. استطاع عبد الله أن يتجسس على الحارس ليعرف مكان المفاتيح ثم فتح حصن أبي رافع ودخله، وكل ذلك في سرِّية متناهية لم يشعر بها من اليهود أحد، على الرغم من شدة حرصهم وخوفهم وحذرهم، خصوصاً أنها لم تكن العملية الأولى الموجعة لهم.

٨. مارس عبد الله بن عتيك دَور المرابط في حصن أبي رافع حتى انتهت حفلة السمر التي كان يقيمها أبو رافع في الحصن، وانفضَّ عنه الناس مع دخول الليل واشتداد الظلمة في الحصن.

٩. بدأ عبد الله يُحكم خطته بإغلاق كل باب يفتحه خلفه، وذلك حتى يؤدي مهمته في قتل أبي رافع بشكل مباشر دون أن يسمح لأحد أن يغيثه ويساعده.

١٠. حرص عبد الله على اجتناب النساء والصبيان والعيال، فهو مأمور بإنجاز

هــدف واحد وليس له أن يتعدى ذلك الهدف، مما جعل مهمته أكثر تعقيداً، فبــدأ بتنفيذ خطة بتحديد موقع أبي رافــع، وذلك بعد أن نادى عليه أول مره فحدد مكانه من صوتــه، ثم جاءه بطريق المنقذ المنجــد له فأصابه إصابة أخــرى، وهكذا حتى تأكد من القضاء عليه، ولعــل لدى عبد الله بن عتيك كثير من المهارات الفنية كالتمثيل وتغيير الصوت عدا المهارات الأمنية وما تتطلبها هذه وتلك من شجاعة وإقدام.

١١. بدأ عبد الله بتنفيذ خطة الرجوع، وقد أصيب لاســتعجاله ولشدة الظلام في الحصن، وقيل إنــه كان ذا نظر ضعيف أيضــاً، ولم يمنعه ذلك من الإقدام على هذا العمل المعقد الشجاع، ليستمر في فتح الحصن حتى وصل الباب الأخير.

١٢. بقي عبد الله بن عتيك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرابطاً داخل الحصن بالقرب من بابه ليتأكد من صوت الناعي لمقتل أبي رافع، فهل بعد هذه الجرأة والإحكام والتثبت، من جرأة وإحكام وتثبت.

١٣. خرج عبد الله من الحصن إلى سريته وأخبرهم الخبر ففرحوا به، وقد كفاهم الله تعالى مؤنة تحقيق هذا الهدف الصعب على يد أميرهم الشجاع المقدام الذكي الموفق.

١٤. لم يتكبر عبد الله بن عتيك، ولم ينســب الفضل لنفسه وبطولته وشجاعته، وإنما قال للنبي ﷺ: **لقد قتل الله أبا رافع.**

١٥. أثنى النبي ﷺ على عبد الله وعززه تعزيزاً معنوياً ثم دعا له بالشفاء فبرأ.

- كان الهدف من سرية ســيف الخبط هدفاً أمنياً بحتاً فقد كانت السرية تقصد رصد تحركات عير قريش والجيش الذي يحرســها قرب البحر، وقد يستغرب مستغرب من كثرة عدد أفراد هذه السرية مع أنها سرية رصد وليســت سرية قتال، **والجواب عــلى ذلك أن النبي ﷺ كان يخشى أن تتعرض سريــة الرصد هذه إلى قتال وقطع لطريقها فزودها بالمزيد من الرجال، وكأنها جيش كامل يحمل مهمة أمنية كبيرة.**
- كأني برب العزة سبحانه وقد جمع أعداء الأمة يوم الأحزاب كلهم جميعا إنما أراد

أن يهزمهم وأن ينكس أعلامهم كلهم جميعاً.

- يقول الدكتور محمد أبو شـــهبة: «وقبل أن يســـتعظم أحد حُكم سعد عليهم وعدَّ ذلك قسوة، عليه أن يتدبر فيما لو نجح المشركون في عبور الخندق والتقوا جموع المسلمين وجهاً لوجه ونفذ بنو قريظة خطتهم التي هموا بها بمهاجمة المسلمين من ظهورهم والتعدي على نســـائهم وذراريهم مـــاذا يكون الحال؟ وإلى أي مدى ســـتكون الكارثة؟ لاشك أن الكارثة ســـتكون بالنسبة إلى من اقتص منهم من بني قريظة أضعافاً مضاعفة من رجال المسلمين ونسائهم وأولادهم»[1].

مكتبة t.me/ktabrwaya

(١) السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة، الدكتور محمد محمد أبو شهبة، ج٢/ ٤١٠.

وإذ يُطلب من المسلم أن يستعد للتحديات، وأن يستثمر الفرص، فإننا نجد أن أعداء الإسلام كذلك يحرصون على كل فرصة متاحة، يتسللون من خلالها لجلب كل موجع ومؤلم لنا، ولا تزال الثقة بقدرة الله تعالى أولاً، وحُسن ظن المؤمنين ببعضهم ثانياً؛ أكبر عاصم من الفتن، وبها تسد الثغرات، وتتحول المحن إلى منح، والأزمات إلى فُرص، وصدق الله: ﴿لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴿١١﴾﴾ النور: ١١

غزوة بني المصطلق[1]:

- **توقيت حصولها:** في يوم الاثنين، لليلتين خلتا من شهر شعبان من السنة الخامسة للهجرة[2].
- **تفاصيل ما جرى أثناء الغزوة:** روى ابن عون قال: «كتبت إلى نافع فكتب إليَّ: إن

---

(١) بنو المصطلق بطن من قبيلة خزاعة الأزدية اليمانية وكانوا يسكنون قديداً وعسفان على الطريق من المدينة إلى مكة.

(٢) اختلف علماء السيرة حول توقيت حصولها: فابن اسحاق يثبت أنها كانت في شهر شعبان من السنة السادسة للهجرة، وباقي علماء السيرة ومعهم البخاري ومسلم يقولون بأنها كانت في السنة الخامسة للهجرة يعني في عام وقوع غزوة الخندق، بل قبلها، ودليل ذلك عندهم مشاركة سعد بن معاذ رضي الله عنه فيها، وكان قد استشهد على إثر سهم أصابه في الخندق، وانظر مزيداً من التفصيل في السيرة النبوية الصحيحة للعمري، ص٤٥٤-٤٥٥، علما بأن الشيخ صفي الرحمن المباركفوري يقول بأن ذكر اسم سعد بن معاذ في ثنايا حادثة الإفك ما هو الا وهم من الراوي، ويؤكد أن غزوة بني المصطلق وحادثة الإفك كانتا بعد غزوة الخندق وليس قبلها، ويؤكد ذلك بقول ابن حزم: وهذا هو الصحيح الذي لاشك فيه، ويأتي برواية لابن اسحاق وفيها ذكر أسيد بن حضير وليس فيها ذكر لسعد بن معاذ، وانظر حاشية الرحيق المختوم، ص٢٨٦، ولقد ملتُ إلى هذا الرأي، ولا مشاحة في الأمر إن كانتا حصلتا في العام نفسه، طالما أنه لا وجود لارتباط ظاهر ومؤثر بينهما، هذا وممن قدم غزوتي الأحزاب وبني قريظة على بني المصطلق وحادثة الإفك كذلك الشيخ العلامة أبو الحسن الندوي في كتابه السيرة النبوية. ومما يجدر الالتفات إليه أن البخاري ذكر بين حادثة الإفك وغزوة بني المصطلق غزوة اسمها غزوة أنمار، وقال ابن حجر: إن هذه الغزوة مختلَف فيها حتى أن أهل المغازي لم يذكروها، وقيل إنها سرية حصلت أثناء غزوة بني المصطلق، وانظر للمزيد من التفصيل في شأنها، فتح الباري، ج٧/ ٥٤٦.

النبـي ﷺ أغار على بني المصطلق وهم غارون[1]، وأنعامهم تسـقى على الماء، فقتل مقاتلتهم، وسـبى ذراريهم، وأصاب يومئـذ جويرية، حدثني به عبد الله بن عمر، **وكان في ذلك الجيش**»[2].

- **موقـف المنافقين أثناء الغـزوة:** روى جابر رضي الله عنه قال: «غزونـا مع النبي ﷺ وقد ثـاب معه ناس من المهاجريـن حتى كثروا، وكان مـن المهاجرين رجل لعاب، فكسع[3] أنصارياً، فغضب الأنصاري غضباً شديداً حتى تداعوا، **وقال الأنصاري: يا للأنصار، وقال المهاجري: يا للمهاجرين.**

فخـرج النبي ﷺ فقال: **مـا بال دعوى أهل الجاهلية**، ثم قال: ما شـأنهم، فأخبر بكسعة المهاجري الأنصاري، قال فقال النبي ﷺ: **دعوها فإنها خبيثة.**

وقال عبد الله بن أبي ابن سلول: أقد تداعوا علينا، لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، فقال عمر: **ألا نقتل يا رسـول الله هذا الخبيث**، لعبد الله، فقال النبي ﷺ: **لا يتحدث الناس أنه كان يقتل أصحابه**»[4].

وروى زيـد بن أرقم رضي الله عنه، قال: خرجنا مع النبي ﷺ في سـفر أصاب الناس فيه شـدة، فقال عبد الله بن أبي لأصحابه: «لا تنفقوا على مَن عند رسـول الله حتى ينفضوا من حوله، وقال: لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، فأتيت النبي ﷺ، فأخبرته، فأرسـل إلى عبد الله بن أبي، فسـأله، فاجتهد يمينه ما فعل، قالوا: كذب زيد رسـول الله ﷺ، فوقع في نفسي مما قالوا شـدة، حتى أنزل الله عز وجـل تصديقي في: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۘ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ

---

(١) غافلون على حين غرة، وفي لفظ مسلم قال: كتبت إلى نافع أسأله عن الدعاء قبل القتال (الدعوة والتنبيه والانذار) فكتب: إنما كان ذلك في أول الاسلام، وقد أغار رسول الله ﷺ على بني المصطلق وهم غارون، **وهذا يعني أنه أغار عليهم دونما إنذار وسبب ذلك أن دعوة الاسلام كانت قد وصلتهم وكانوا في حرب ضد المسلمين منذ اشتراكهم مع قريش في غزوة أحد وكانوا يجمعون الجموع لتجديد الحرب ضد المسلمين، فبوغتوا ولم يجد جيش الإسلام منهم إلا قليلاً من المقاومة على ماء لهم اسمه المريسيع**، لأجل ذلك يسميها البعض باسم ذلك الماء، وهناك خلاف حول حجم غنائمهم، وانظر السيرة النبوية الصحيحة ص٤٥٦.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب العتق، باب من ملك من العرب رقيقاً فوهب وباع، ح٢٥٤١.

(٣) ضرب دبره.

(٤) أخرجه البخاري، كتاب المناقب، باب ما ينهى من دعوى الجاهلية، ح٣٣٣٠.

لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴿١﴾ المنافقون: ١. **فدعاهم النبي ﷺ** ليستغفر لهم، فلووا رءوسهم، وقوله: خشب مسندة، سورة المنافقون آية ٤، قال: «كانوا رجالاً أجمل شيء»[١].

- **وقفة في تفسير هذه الآية:** قال الإمام ابن عاشور: «لما كان نزول هذه السورة عقب خصومة المهاجري والأنصاري ومقالة عبد الله بن أُبيّ في شأن المهاجرين، تعيّن أن الغرض من هذه الآية التعريض بكذب عبد الله بن أبيّ وبنفاقه فصيغ الكلام بصيغة تعمّ المنافقين لتجنب التصريح بالمقصود على طريقة قول النبي ﷺ «مَا بال أقوام...»، وابتدىء بتكذيب مَنْ أُريد تكذيبه في ادعائه الإيمان بصدق الرسول ﷺ وإن لم يكن ذلك هو المقصود إشعاراً بأن الله أطلع رسول الله ﷺ على دخَائلهم، وهو تمهيد لما بعده من قوله: {والله يشهد إن المنافقين لكاذبون}، لأن رسول الله ﷺ يَعلم أن المنافقين قَالوا: نشهد إنك لرسول الله»[٢].
- **بركة أم المؤمنين جويرية:** كانت جويرية بنت الحارث من سبايا تلك الغزوة، وقد وقعت في سهم ثابت بن قيس رضي الله عنه، فجاءت النبي ﷺ تطلب مكاتبتها من أجل أن تعتق نفسها، فقد كانت ابنة زعيم قومها، وعزَّت عليها نفسها أن تبقى في السبي، فقضى النبي ﷺ كتابها، وتزوجها، فلما علم الناس بذلك أطلقوا ما كان في أيديهم من السبي، وقالوا: **أصهار رسول الله ﷺ، فأُعتق مائة أهل بيت «فما كانت امرأة أعظم على قومها بركة منها»**[٣] فكان عتقها صداقها، وكان قومها من أشد الناس مناصرة لدعوة الاسلام بعد ذلك.
- **تشريع العزل:** روى ابن محيريز أنه قال دخلت المسجد فرأيت أبا سعيد الخدري فجلست إليه فسألته عن العزل، قال أبو سعيد: خرجنا مع رسول الله ﷺ في غزوة بني المصطلق فأصبنا سبياً من سبي العرب، فاشتهينا النساء، واشتدت علينا العزبة، وأحببنا العزل، فأردنا أن نعزل، وقلنا: نعزل ورسول الله ﷺ بين أظهرنا نسأله؟! فسألناه عن ذلك، فقال: ما عليكم أن لا تفعلوا، **ما من نسمة كائنة إلى يوم**

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب التفسير، باب إذا جاءك المنافقون، ح٤٩٠٠.

(٢) تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، ١٨/ ٥٥٤.

(٣) أخرجه أبو داود في السنن ٢/ ٣٤٧، وابن هشام في السيرة ٢/ ٢٩٤، بإسناد قال في الدكتور العمري بأنه صحيح.

القيامة إلا وهي كائنة»[1].

- **صلاة النافلة على الراحلة:** روى جابر رضي الله عنه قال: «أرسلني رسول الله ﷺ وهو منطلق إلى بني المصطلق، فأتيته وهو يصلي على بعيره، فكلمته فقال لي بيده: هكذا، وأومأ زهير (الراوي) بيده، ثم كلمته فقال لي: هكذا، وأومأ زهير أيضاً بيده نحو الأرض، وأنا أسمعه يقرأ، يومئ برأسه، فلما فرغ قال: **ما فعلتَ في الذي أرسلتك له؟ فإنه لم يمنعني أن أكلمك إلا أني كنت أصلي»**[2].

حادثة الإفك:

- **الطاهرة العفيفة تروي حكايتها بالتفصيل:** روت أم المؤمنين الطاهرة النقية الصفية العفيفة الشريفة عائشة زوج النبي ﷺ حين قال لها أهل الإفك ما قالوا فبرأها الله مما قالوا، قالت وهي تحكي ما جرى لها عند العودة من غزوة بني المصطلق (تفصيل ما جرى على لسان صاحبة الشأن رضي الله عنها):
- **في صحبة النبي ﷺ:** «...كان رسول الله ﷺ **إذا أراد أن يخرج سفراً أقرع بين نسائه،** فأيتهنَّ خرج سهمها خرج بها رسول الله ﷺ معه، قالت عائشة: فأقرع بيننا في غزوة غزاها، فخرج فيها سهمي، فخرجت مع رسول الله ﷺ، وذلك بعد ما أنزل الحجاب، فأنا أحمل في هودجي، وأنزل فيه مسيرنا، حتى إذا فرغ رسول الله ﷺ من غزوه وقفل ودنونا من المدينة؛ آذن ليلة بالرحيل.
- **بداية المشكلة وضياع العقد:** «... فقمت حين آذنوا بالرحيل فمشيت حتى جاوزت الجيش، فلما قضيتُ من شأني أقبلت إلى الرحل فلمست صدري فإذا عقدي من جزع ظفار قد انقطع، فرجعتُ فالتمست عقدي، فحبسني ابتغاؤه، وأقبل الرهط الذين كانوا يرحلون لي فحملوا هودجي فرحلوه على بعيري الذي كنت أركب، وهم يحسبون أني فيه، قالت: **وكانت النساء إذ ذاك خفافاً لم يهبلن، ولم يغشهن اللحم،** إنما يأكلن العلقة من الطعام، فلم يستنكر القوم ثقل الهودج حين رحلوه ورفعوه.

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة بني المصطلق، ح ٤١٣٨.

(٢) أخرجه مسلم، كتاب المساجد، باب الاشارة بالسلام في الصلاة، ح ١٢٠٦.

- **ومضى الركب تاركين وراءهم أُمهم:** «... وكنت جارية حديثة السن فبعثوا الجمل وساروا، ووجدت عقدي بعد ما استمر الجيش، فجئت منازلهم وليس بها داع ولا مجيب، فتيممتُ منزلي الذي كنت فيه، وظننت أن القوم سيفقدوني فيرجعون إليَّ.
- **بداية الحل وقمة التعفف:** «... فبينا أنا جالسة في منزلي غلبتني عيني فنمتُ وكان صفوان بن المعطل السلمي ثم الذكواني قد عرس من وراء الجيش فأدلج، فأصبح عند منزلي، فرأى سواد إنسان نائم، فأتاني، فعرفني حين رآني، وقد كان يراني قبل أن يضرب الحجاب عليَّ، فاستيقظت باسترجاعه حين عرفني، **فخمرت وجهي بجلبابي، و والله ما يكلمني كلمة ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه**، حتى أناخ راحلته فوطئ على يدها، فركبتها فانطلق يقود بي الراحلة، حتى أتينا الجيش بعد ما نزلوا موغرين في نحر الظهيرة.
- **بداية الفتنة:** «... **فهلك من هلك في شأني**، وكان الذي تولى كِبره عبد الله بن أبي ابن سلول، فقدمنا المدينة، فاشتكيت حين قدمنا المدينة شهراً، والناس يفيضون في قول أهل الإفك.
- **إحساس العفيفة:** «...ولا أشعر بشيء من ذلك، **وهو يريبني في وجعي أني لا أعرف من رسول الله ﷺ اللطف الذي كنت أرى منه حين أشتكي**، إنما يدخل رسول الله ﷺ فيسلم ثم يقول **كيف تيكم؟، فذاك يريبني ولا أشعر بالشر.**
- **خبر كالصاعقة:** «... حتى خرجت بعد ما نقهتُ وخرجت معي أم مسطح قِبَل المناصع وهو متبرزنا، ولا نخرج إلا ليلاً إلى ليل، وذلك قبل أن نتخذ الكنف قريباً من بيوتنا، وأمرنا أمرُ العرب الأُوَلْ في التنزه، وكنا نتأذى بالكنف أن نتخذها عند بيوتنا، فانطلقت أنا وأم مسطح وهي بنت أبي رهم بن المطلب بن عبد مناف وأمها ابنة صخر بن عامر خالة أبي بكر الصديق، وابنها مسطح بن أثاثة بن عباد بن المطلب، فأقبلت أنا وبنت أبي رهم قِبَل بيتي حين فرغنا من شأننا، فعثرت أم مسطح في مرطها فقالت: تعس مسطح، فقلت لها: **بئس ما قلت، أتسبين رجلاً قد شهد بدراً؟** قالت: أي هنتاه، أو لم تسمعي ما قال؟ قلت: وماذا قال؟ قالت:

فأخبرتني بقول أهل الإفك، فازددت مرضاً إلى مرضي.

- **الطاهرة في بيت والدها الصدِّيق:** «... فلما رجعت إلى بيتي فدخل عليَّ رسول الله ﷺ فسلم ثم قال: كيف تيكم؟ قلت: أتأذن لي أن آتي أبويَّ؟ قالت: وأنا حينئذ أريد أن أتيقن الخبر من قبلهما، فأذن لي رسول الله ﷺ، فجئت أبوي، فقلت لأمي: يا أمتاه، ما يتحدث الناس؟! فقالت: **يا بنية هوني عليك، فو الله لقلما كانت امرأة قط وضيئة عند رجل يحبها، ولها ضرائر إلا كثرن عليها**، قالت: قلت سبحان الله، وقد تحدث الناس بهذا؟!
- قالت: فبكيت تلك الليلة حتى أصبحت لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم، ثم أصبحت أبكي.
- **استشارة القائد لمن حوله:** «... ودعا رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب وأسامة بن زيد حين استلبث الوحي يستشيرهما في فراق أهله، قالت: فأما أسامة بن زيد فأشار على رسول الله ﷺ بالذي يعلم من براءة أهله، وبالذي يعلم في نفسه لهم من الود، فقال يا رسول الله: **هم أهلك ولا نعلم إلا خيراً**، وأما علي بن أبي طالب فقال: **لم يضيق الله عليك، والنساء سواها كثير، وإن تسأل الجارية تصدقك**، قالت: فدعا رسول الله ﷺ بريرة فقال: أي بريرة هل رأيت من شيء يريبك من عائشة؟
قالت له بريرة: والذي بعثك بالحق إن رأيت عليها أمراً قط أغمصه عليها، أكثر من أنها جارية حديثة السن، تنام عن عجين أهلها، فتأتي الداجن فتأكله.
- **البراءة من المنافقين الخائضين بالإفك:** قالت: فقام رسول الله ﷺ على المنبر فاستعذر من عبد الله بن أبي ابن سلول.
- قالت: فقال رسول الله ﷺ وهو على المنبر: **يا معشر المسلمين من يعذرني من رجل قد بلغ أذاه في أهل بيتي، فو الله ما علمتُ على أهلي إلا خيراً**، ولقد ذكروا رجلاً ما علمت عليه إلا خيراً، وما كان يدخل على أهلي إلا معي.
- **نزاع بين الصحابة لأجل منافق فاجر:** «... فقام سعد بن معاذ الأنصاري[1] فقال:

(١) إن ثبت وصح مشاركة سعد بن معاذ رضي الله عنه في هذا الموقف فإن غزوة بني المصطلق وحادثة الإفك يصبح موضعها قبل غزوة الأحزاب وبني قريظة التي مات فيها هذا الصحابي الجليل، وإلا فترتيبنا هذا هو الأصح، والله تعالى أعلم بالصواب.

أنا أعذرك منه يا رسـول الله، إن كان من الأوس ضربنا عنقه، وإن كان من إخواننا الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك، قالت: فقام سـعد بن عبادة وهو سـيد الخزرج، وكان رجلاً صالحاً، **ولكن اجتهلته الحمية**، فقال لسـعد بن معاذ: كذبت لعمر الله، لا تقتله، ولا تقدر على قتله، فقام أسـيد بن حضير وهو ابن عم سـعد بن معاذ فقال لسـعد بن عبادة: كذبت لعمر الله، لنقتلنه، **فإنك منافق تجادل عن المنافقين**، فثار الحيان الأوس والخزرج حتى هموا أن يقتتلوا، ورسـول الله ﷺ قائم على المنبر، **فلم يزل رسول الله ﷺ يُخفضهم حتى سكتوا، وسكت.**

- **بكاء ومرارة وشـدة وألم**: «... قالت وبكيت يومي ذلك لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنـوم، ثم بكيت ليلتي المقبلة لا يرقأ لي دمع ولا أكتحـل بنوم، **وأبواي يظنان أن البكاء فالق كبدي**، فبينما هما جالسـان عندي وأنا أبكي اسـتأذنت عليَّ امرأة من الأنصار فأذنت لها فجلست تبكي.
- **نصيحة نبوية للطاهرة العفيفة**: «... قالت فبينا نحن على ذلك دخل علينا رسـول الله ﷺ فسـلَّم ثم جلس، قالت: ولم يجلس عندي منذ قيل لي ما قيل، وقد لبث شـهراً لا يوحى إليه في شأني بشيء، قالت: فتشهَّد رسول الله ﷺ حين جلس ثم قال: أما بعد يا عائشة فإنه قد بلغني عنك كذا وكذا، **فإن كنت بريئة فسيبرئك الله، وإن كنت ألممت بذنب فاستغفري الله، وتوبي إليه**، فإن العبد إذا اعترف بذنب ثم تاب تاب الله عليه.
- **اسـتعانة العفيفة بوالديها الكريمـين**: «... قالت: فلما قضى رسول الله ﷺ مقالته قلص دمعي، حتى ما أحس منه قطرة، فقلت لأبي: أجب عني رسول الله ﷺ فيما قال، فقال: **والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ**، فقلت لأمي: أجيبي عني رسول الله ﷺ، فقالت: **والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ.**
- **تفويض الأمر لله تعالى وحده**: «... فقلتُ وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ كثيراً من القرآن، إني والله لقد عرفت أنكم قد سمعتم بهذا حتى استقر في نفوسكم وصدقتم به، فإن قلت لكم إني بريئة والله يعلم أني بريئة لا تصدقوني بذلك، ولئن اعترفت لكـم بأمر والله يعلم أني بريئة لتصدقونني، **وإني واللـه ما أجد لي ولكم مثَلاً إلا**

كما قال أبو يوسف: ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ يوسف: ١٨

- **ثقة بما عند الله من خير:** «... قالت: ثم تحولتُ فاضطجعتُ على فراشي قالت: وأنا والله حينئذ أعلم أني بريئة، وأن الله مبرئي ببراءتي، **ولكن والله ما كنت أظن أن ينزل في شأني وحيٌ يتلى، ولَشأني كان أحقر في نفسي من أن يتكلم الله عز وجل فيَّ بأمر يتلى،** ولكني كنت أرجو أن يرى رسول الله ﷺ في النوم رؤيا يبرئني الله بها.
- **نزول البراءة من رب السماء:** «... قالت: فو الله ما رام رسول الله ﷺ مجلسه ولا خرج من أهل البيت أحد، حتى أنزل الله عز وجل على نبيه ﷺ، فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء عند الوحي، حتى إنه ليتحدر منه مثل الجمان من العرق في اليوم الشات، من ثقل القول الذي أنزل عليه، قالت فلما سري عن رسول الله ﷺ وهو يضحك، فكان أول كلمة تكلم بها أن قال: **أبشري يا عائشة، أما الله فقد برأك.**
- **الشكر لله وحده:** «... فقالت لي أمي: قومي إليه، فقلت: **والله لا أقوم إليه، ولا أحمد إلا الله، هو الذي أنزل براءتي،** قالت: فأنزل الله عز وجل: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُو بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُم مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ لَّوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَٰذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ لَّوْلَا جَاءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَٰئِكَ عِندَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَا أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَانَكَ هَٰذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَن تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾ ﴾ النور: ١١ - ٢٠، فأنزل الله عز وجل هؤلاء الآيات براءتي.
- **وقفة في تفسير هذه الآيات:** قال سيد قطب: «... فهم ليسوا فرداً ولا أفراداً؛ إنما هم

«عصبة» متجمعة ذات هدف واحد.. ولم يكن عبد الله بن أبي بن سلول وحده هو الذي أطلق ذلك الإفك، إنما هو الذي تولى معظمه، وهو يمثل عصبة اليهود أو المنافقين، الذين عجزوا عن حرب الإسلام جهرة; فتواروا وراء ستار الإسلام ليكيدوا للإسلام خفية، وكان حديث الإفك إحدى مكائدهم القاتلة، ثم خدع فيها المسلمون فخاض منهم من خاض في حديث الإفك كحمنة بنت جحش; وحسان بن ثابت، ومسطح بن أثاثة، أما أصل التدبير فكان عند تلك العصبة، وعلى رأسها ابن سلول، الحذِر الماكر، الذي لم يظهر بشخصه في المعركة، ولم يقل علانية ما يؤخذ به، فيقاد إلى الحد، إنما كان يهمس به بين ملئه الذين يطمئن إليهم، ولا يشهدون عليه، وكان التدبير من المهارة والخبث بحيث أمكن أن ترجف به المدينة شهراً كاملاً، وأن تتداوله الألسنة في أطهر بيئة وأتقاها!

- وقد بدأ السياق ببيان تلك الحقيقة ليكشف عن ضخامة الحادث، وعمق جذوره، وما وراءه من عصبة تكيد للإسلام والمسلمين هذا الكيد الدقيق العميق اللئيم.

ثم سارع بتطمين المسلمين من عاقبة هذا الكيد: «لا تحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم».. خير، فهو يكشف عن الكائدين للإسلام في شخص رسول الله ﷺ وأهل بيته، وهو يكشف للجماعة المسلمة عن ضرورة تحريم القذف وأخذ القاذفين بالحد الذي فرضه الله; ويبين مدى الأخطار التي تحيق بالجماعة لو أطلقت فيها الألسنة تقذف المحصنات الغافلات المؤمنات؛ فهي عندئذ لا تقف عند حد؛ إنما تمضي صعداً إلى أشرف المقامات، وتتطاول إلى أعلى الهامات، وتعدم الجماعة كل وقاية وكل تحرج وكل حياء.. وهو خير أن يكشف الله للجماعة المسلمة - بهذه المناسبة - عن المنهج القويم في مواجهة مثل هذا الأمر العظيم.

أما الآلام التي عاناها رسول الله ﷺ وأهل بيته، والجماعة المسلمة كلها، فهي ثمن التجربة، وضريبة الابتلاء، الواجبة الأداء!

أما الذين خاضوا في الإفك، فلكل منهم بقدر نصيبه من تلك الخطيئة: لكل امرئ منهم ما اكتسب من الإثم.. ولكل منهم نصيبه من سوء العاقبة عند الله؛ وبئس ما اكتسبوه، فهو إثم يعاقبون عليه في حياتهم الدنيا وحياتهم الأخرى: والذي تولى

كبره منهم له عذاب عظيم يناسب نصيبه من ذلك الجرم العظيم.

والذي تولى كبره، وقاد حملته، واضطلع منه بالنصيب الأوفى، كان هو عبد الله بن أبي بن سلول رأس النفاق، وحامل لواء الكيد، ولقد عرف كيف يختار مقتلاً، لولا أن الله كان من ورائه محيطاً، وكان لدينه حافظاً، ولرسوله عاصماً، وللجماعة المسلمة راعياً.

وإن الإنسان ليدهش - حتى اليوم - كيف أمكن أن تروج فرية ساقطة كهذه في جو الجماعة المسلمة حينذاك، وأن تحدث هذه الآثار الضخمة في جسم الجماعة، وتسبب هذه الآلام القاسية لأطهر النفوس وأكبرها على الإطلاق.

لقد كانت معركة خاضها رسول الله ﷺ وخاضتها الجماعة المسلمة يومذاك، وخاضها الإسلام، معركة ضخمة لعلها أضخم المعارك التي خاضها رسول الله ﷺ وخرج منها منتصراً كاظماً لآلامه الكبار، محتفظاً بوقار نفسه وعظمة قلبه وجميل صبره؛ فلم تؤثر عنه كلمة واحدة تدل على نفاد صبره وضعف احتماله، والآلام التي تناوشه لعلها أعظم الآلام التي مرت به في حياته، والخطر على الإسلام من تلك الفرية من أشد الأخطار التي تعرض لها في تاريخه.

ولو استشار كل مسلم قلبه يومها لأفتاه؛ ولو عاد إلى منطق الفطرة لهداه، والقرآن الكريم يوجه المسلمين إلى هذا المنهج في مواجهة الأمور، بوصفه أول خطوة في الحكم عليها: «لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا، وقالوا: هذا إفك مبين».. نعم كان هذا هو الأولى.. أن يظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيراً، وأن يستبعدوا سقوط أنفسهم في مثل هذه الحمأة، وامرأة نبيهم الطاهرة وأخوهم الصحابي المجاهد هما من أنفسهم، فظن الخير بهما أولى.. فإن ما لا يليق بهم لا يليق بزوج رسول الله ﷺ ولا يليق بصاحبه الذي لم يعلم عنه إلا خيراً»[1].

- **ردود الأفعال وتسديد الرجال:** «... قالت: فقال أبو بكر وكان ينفق على مسطح لقرابته منه وفقره: والله لا أنفق عليه شيئاً أبداً بعد الذي قال لعائشة، فأنزل

(١) تفسير في ظلال القرآن، سيد قطب، ٤/ ٢٥٠١.

الله عـز وجـل: ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ النور: ٢٢ قـال حبان بن موسى: قال عبد الله بـن المبارك: هذه أرجى آية في كتاب الله، فقال أبو بكر: **والله إني لأحب أن يغفر الله لي**، فرجع إلى مسـطح النفقة التي كان ينفق عليه، وقال لا أنزعها منه أبداً.

- **اسـتحضار المواقف:** «... قالت عائشـة: وكان رسـول الله ﷺ سأل زينب بنت جحـش زوج النبي ﷺ عن أمري؛ ما علمتِ أو ما رأيتِ؟ فقالت: **يا رسـول الله أحمي سـمعي وبصري، والله ما علمت إلا خـيراً**، قالت عائشة: وهي التي كانت تسـاميني من أزواج النبي ﷺ، **فعصمها الله بالـورع**، وطفقت أختها حمنة بنت جحش تحارب لها، فهلكت فيمن هلك.
- **تزكية صفوان بن المعطل، وأسـماء من خاض في الإفك:** قالت عائشـة: والله إن الرجل الذي قيل له ما قيل ليقول: سبحان الله، فو الذي نفسي بيده ما كشفت عن كنف أنثى قط، قالت: **ثم قُتل بعد ذلك شـهيداً في سبيل الله (صفوان بن المعطل رضي الله عنه)**... وكان الذين تكلموا به؛ مسطح، وحمنة، وحسان[1]، **وأما المنافق عبد الله بن أبي فهو الذي كان يستوشيه ويجمعه**، وهو الذي تولى كِبرَه وحمنة».[2]
- **موقف عائشـة رضي الله عنها من حسان** رضي الله عنه: روى هشـام عن أبيه قال: ذهبت أسبُّ حسان عند عائشة فقالت: لا تسبه فإنه كان ينافح عن رسول الله ﷺ، وقالت عائشة: اسـتأذن النبي ﷺ في هجاء المشركين قال: كيف بنسَبي؟ قال: **لأسلنك منهم كما تُسَلُّ الشعرة من العجين**»[3].

وكانت عائشة رضي الله عنها تكره أن يُسَبَّ عندها حسان (فقد عفت عنه) وتقول

---

(١) أخرج البزار في مجمع الزوائد للهيثمي، ٩/ ٢٣٠، والبيهقي في السنن ٨/ ٢٥٥، بإسنادين حسنين ما يثبت أن النبي ﷺ قد أقام حدَّ القذف على هؤلاء الصحابة الكرام الثلاثة تطهيراً لهم، **في وقت ترك كبراء الفتنة من المنافقين ليلقوا جزاءهم عند ربهم، فقد كانوا يخوضون في الفتنة بطريق خفي لا يتركون وراءهم أدلة إدانة عليهم**، وانظر السيرة الصحيحة للعمري ص٤٦٣.

(٢) أخرجه مسلم، كتاب التوبة، باب حديث الإفك، ح ٢٧٧٠.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب حديث الإفك، ح ٤١٤٥.

فإنه قال:

فإن أبي ووالده وعرضي لعرض محمد منكم وقاء[1]

أبرز الفوائد من الحادثة (لا تحسبوه شراً لكم بل هو خير):

يقــول الإمام النووي بعد ذكره لحديث الإفك: «واعلم أن في حديث الإفك فوائد كثيرة:

١. إحداها: جواز رواية الحديث الواحد عن جماعة، عن كل واحد قطعة مبهمة منه، وهذا وإن كان فعل الزهري وحده، فقد أجمع المســلمون على قبوله منه والاحتجاج به.

٢. الثانية: صحة القرعة بين النساء، وفي العتق وغيره مما ذكرناه في أول الحديث مع خلاف العلماء.

٣. الثالثة: وجوب الإقراع بين النساء عند إرادة السفر ببعضهن.

٤. الرابعة: أنه لا يجب قضاء مدة الســفر للنســوة المقيمات، وهذا مجمع عليه إذا كان الســفر طويلاً، وحكم القصير حكم الطويل على المذهب الصحيح، وخالف فيه بعض أصحابنا.

٥. الخامسة: جواز سفر الرجل بزوجته.

٦. السادسة: جواز غزوهن.

٧. السابعة: جواز ركوب النساء في الهوادج.

٨. الثامنة: جواز خدمة الرجال لهن في تلك الأسفار.

٩. التاسعة:أن ارتحال العسكر يتوقف على أمر الأمير.

١٠. العاشرة: جواز خروج المرأة لحاجة الإنسان بغير إذن الزوج، وهذا من الأمور المستثناة.

١١. الحادية عشرة: جواز لبس النساء القلائد في السفر كالحضر.

١٢. الثانيــة عشرة: أن من يرْكِب المرأة البعير وغيره لا يكلمها إذا لم يكن محرماً إلا لحاجة ; لأنهم حملوا الهودج ولم يكلموا من يظنونها فيه.

---

(١) وهو جزء من حديث حادثة الإفك الطويل السابق ذكره، عند الإمام مسلم.

١٣. الثالثة عشرة: فضيلة الاقتصار في الأكل للنساء وغيرهن وألا يكثر منه بحيث يهبلـه اللحم، لأن هذا كان حالهن في زمن النبي ﷺ، وما كان في زمانه ﷺ فهو الكامل الفاضل المختار.

١٤. الرابعة عشرة: جواز تأخر بعض الجيش ساعة ونحوها لحاجة تعرض له عن الجيش، إذا لم يكن ضرورة إلى الاجتماع.

١٥. الخامسة عشرة: إعانة الملهوف، وعون المنقطع، وإنقاذ الضائع، وإكرام ذوي الأقدار كما فعل صفوان رضي الله عنه في هذا كله.

١٦. السادسة عشرة: حسن الأدب مع الأجنبيات لا سيما في الخلوة بهن عند الضرورة في برية أو غيرها، كما فعل صفوان من إبراكه الجمل من غير كلام ولا سؤال، وإنه ينبغي أن يمشي قدامها لا بجنبها ولا وراءها.

١٧. السابعة عشرة: استحباب الإيثار بالركوب ونحوه كما فعل صفوان.

١٨. الثامنة عشرة: استحباب الاسترجاع عند المصائب، سواء كانت في الدين أو الدنيا، وسواء كانت في نفسه أو من يعز عليه.

١٩. التاسعة عشرة: تغطية المرأة وجهها عن نظر الأجنبي، سواء كان صالحاً أو غيره.

٢٠. العشرون: جواز الحلف من غير استحلاف.

٢١. الحادية والعشرون: أنه يستحب أن يستر عن الإنسان ما يقال فيه إذا لم يكن في ذكره فائدة، كما كتموا عن عائشة - رضي الله عنها - هذا الأمر شهراً، ولم تسمع بعد ذلك إلا بعارض عرض، وهو قول أم مسطح: تعس مسطح.

٢٢. الثانية والعشرون: استحباب ملاطفة الرجل زوجته، وحسن المعاشرة.

٢٣. الثالثة والعشرون: أنه إذا عرض عارض بأن سمع عنها شيئاً أو نحو ذلك يقلل من اللطف ونحوه لتفطن هي أن ذلك لعارض، فتسأل عن سببه فتزيله.

٢٤. الرابعة والعشرون: استحباب السؤال عن المريض.

٢٥. الخامسة والعشرون: أنه يستحب للمرأة إذا أرادت الخروج لحاجة أن تكون معها رفيقة تستأنس بها، ولا يتعرض لها أحد.

٢٦. السادسة والعشرون: كراهة الإنسان صاحبه وقريبه إذا آذى أهل الفضل أو فعل غير ذلك من القبائح، كما فعلت أم مسطح في دعائها عليه.

٢٧. السابعة والعشرون: فضيلة أهل بدر، والذب عنهم، كما فعلت عائشة في ذبها عن مسطح.

٢٨. الثامنة والعشرون: أن الزوجة لا تذهب إلى بيت أبويها إلا بإذن زوجها.

٢٩. التاسعة والعشرون: جواز التعجب بلفظ التسبيح، وقد تكرر في هذا الحديث وغيره.

٣٠. الثلاثون: استحباب مشاورة الرجل بطانته وأهله وأصدقاءه فيما ينويه من الأمور.

٣١. الحادية والثلاثون: جواز البحث والسؤال عن الأمور المسموعة عمن له به تعلق، أما غيره فهو منهي عنه، وهو تجسس وفضول.

٣٢. الثانية والثلاثون: خطبة الإمام الناس عند نزول أمر مهم.

٣٣. الثالثة والثلاثون: اشتكاء ولي الأمر إلى المسلمين من تعرض له بأذى في نفسه أو أهله أو غيره، واعتذاره فيما يريد أن يؤذيه به.

٣٤. الرابعة والثلاثون: فضائل ظاهرة لصفوان بن المعطل رضي الله عنه بشهادة النبي ﷺ له بما شهد، وبفعله الجميل في إركاب عائشة - رضي الله عنها -، وحسن أدبه في جملة القضية.

٣٥. الخامسة والثلاثون: فضيلة لسعد بن معاذ وأسيد بن حضير رضي الله عنهما.

٣٦. السادسة والثلاثون: المبادرة إلى قطع الفتن والخصومات والمنازعات، وتسكين الغضب.

٣٧. السابعة والثلاثون: قبول التوبة والحث عليها.

٣٨. الثامنة والثلاثون: تفويض الكلام إلى الكبار دون الصغار، لأنهم أعرف.

٣٩. التاسعة والثلاثون: جواز الاستشهاد بآيات القرآن العزيز، ولا خلاف أنه جائز.

٤٠. الأربعون: استحباب المبادرة بتبشير من تجددت له نعمة ظاهرة، أو اندفعت

عنه بلية ظاهرة.

٤١. الحاديـــة والأربعون: براءة عائشـــة - رضي الله عنها - من الإفك، وهي براءة قطعية بنص القرآن العزيز، فلو تشكك فيها إنسان - والعياذ بالله - صار كافراً مرتداً بإجماع المسلمين، قال ابن عباس وغيره: لم تزن امرأة نبي من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وهذا إكرام من الله تعالى لهم.

٤٢. الثانية والأربعون: تجدد شكر الله تعالى عند تجدد النعم.

٤٣. الثالثـــة والأربعون: فضائل لأبي بكـــر رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ النور: ٢٢

٤٤. الرابعة والأربعون: استحباب صلة الأرحام وإن كانوا مسيئين.

٤٥. الخامسة والأربعون: العفو والصفح عن المسيء.

٤٦. السادسة والأربعون: استحباب الصدقة والإنفاق في سبيل الخيرات.

٤٧. الســـابعة والأربعون: أنه يســـتحب لمن حلف على يمين ورأى خيراً منها أن يأتي الذي هو خير، ويكفر عن يمينه.

٤٨. الثامنة والأربعون: فضيلة زينب أم المؤمنين رضي الله عنها.

٤٩. التاسعة والأربعون: التثبيت في الشهادة.

٥٠. الخمســـون: إكرام المحبوب بمراعاة أصحابه، ومـــن خدمه أو أطاعه، كما فعلت عائشة رضي الله عنها بمراعاة حسان وإكرامه إكراماً للنبي ﷺ.

٥١. الحادية والخمســـون: أن الخطبة تُبْتَدأ بحمد الله تعالى، والثناء عليه بما هو أهله.

٥٢. الثانية والخمســـون: أنه يســـتحب في الخطيب أن يقول بعد الحمد والثناء والصـــلاة على النبي ﷺ والشـــهادتين: أما بعد، وقد كـــثرت فيه الأحاديث الصحيحة.

٥٣. الثالثة والخمســـون: غضب المسلمين عند انتهاك حرمة أميرهم، واهتمامهم بدفع ذلك.

٥٤. الرابعة والخمسون: جواز سبِّ المتعصب لمبطل كما سب أسيد ابن حضير سعد بن عبادة لتعصبه للمنافق، وقال: إنك منافق تجادل عن المنافقين، وأراد أنك تفعل فعل المنافقين، ولم يرد النفاق الحقيقي[1].

أبرز الفوائد والأنوار

- أنوار وفوائد في المجال التزكوي القيمي النفسي (التربوي):

- أكدت حادثة الافك ما تحمله نفوس المنافقين من أمراض وعلل، وأنها تنتظر شبهة أزمة أو خللاً غير مقصود لتجري عليه من الخيالات والسيناريوهات والاشاعات المغرضة، بقصد صناعة هزة في الصف المؤمن وإشغال المسلمين بأنفسهم.
- **كشفت محنة الإفك عن أصالة في نفوس الصحابة الكرام**[2]، كما أظهرت كيف أن الشيطان قد يستولي على تفكير بعضهم مهما بلغ من النقاء، فيوقعه في فتنة الخوض فيما لا يجوز.
- **صقلت الحادثة وبشكل مبكر شخصية عائشة رضي الله عنها**، فهي بحسب وصفها لنفسها كانت لا تزال صغيرة، وقد تعلمت كبت انفعالاتها، واحتساب أمرها لربها، وأن تأخذ احتياطاتها بوصفها أم المؤمنين، فهي بحاجة إلى مزيد من الانتباه، ولو أنها تعلم بأن ما جرى كان ليجري لتركت العقد وذهبت.
- بينت الحادثة طبيعة النفس العظيمة التي حازها أبو بكر رضي الله عنه وزوجته الفاضلة، **فالصدِّيق لا يصدق في الرخاء ثم يعترض في الشدة**، إنما هو التصديق المطلق في كل حين.

---

(١) **وانظر المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج للإمام النووي، ج ١٧/ ص ١١٩.**

(٢) أخرج ابن كثير في تفسيره بسنده ٦/ ٢٧، أن أبا أيوب خالد بن زيد قالت له امرأته أم أيوب: يا أبا أيوب، أما تسمع ما يقول الناس في عائشة، رضي الله عنها؟ قال: نعم، وذلك الكذب، أكنتِ فاعلة ذلك يا أم أيوب؟ قالت: لا والله ما كنت لأفعله، قال: فعائشة والله خير منك، قال: فلما نزل القرآن ذكر الله، عز وجل، من قال في الفاحشة ما قال من أهل الإفك: (إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم) وذلك حسان وأصحابه، الذين قالوا ما قالوا، ثم قال: (لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون)، أي: كما قال أبو أيوب وصاحبته.

- أثَّرت الحادثة على علاقة عائشة رضي الله عنها بعليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وإن صفحت عن حسان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
- بينت الحادثة بشرية الصحابة وانفعالاتهم لاسيما عندما اختلفوا بشأن زعيم المنافقين ابن سلول.
- يقول الشيخ محمد الصادق عرجون: «هكذا بدأت غزوة بني المصطلق بما بدأت به من أحداث الفتن الجسام التي دبرها النفاق تحت أستار الظلام،... وهكذا خُتمت بأعراس النبي ﷺ بالسيدة الجليلة جويرية بنت الحارث سيد بني المصطلق»[1].

- أنوار وفوائد في المجال التأثيري التواصلي (الدعوي):

- في الوقت الذي كان فيه العامل الديني السياسي هو المحرك للجنود في معارك النبي ﷺ، كان أيضاً يرغب أن يكون العامل الاجتماعي حاضراً، فهو وإن كانت صورة إغارته على بني المصطلق تحمل معاني الهدم لأفكارهم وأعمالهم وما يجمعون، **إلا أنه أراد أن يبني في الجانب الاجتماعي أواصر العلاقة الحسنة والنَّسب الطيب معهم**، فكان زواجه من جويرية بنت الحارث زعيم بن المصطلق من أكبر الأدلة على ذلك، وهي سياسية متبعة لدى النبي ﷺ مع زعيم قريش أبو سفيان، وقد تزوج ابنته أم حبيبة، ومع زعيم اليهود حيي بن أخطب، وقد تزوج ابنته صفية رضي الله عنهن أجمعين.
- لقد كان لجويرية رضي الله عنها بركتها على قومها الذين وقعوا في السبي والأسر يوم وقعة بني المصطلق، فلما أعتقها النبي ﷺ وتزوجها أعتق الأصحاب من كان عندهم من السبايا والأسارى كرامة لأصهار رسول الله ﷺ، **وهذا ما يؤكد أن الإسلام دين بناء وتواصل وليس دين هدم وانقطاع.**
- كانت إجابة النبي ﷺ لمن جاءه يسأله عن العزل واضحة بأن إرادة الله تعالى في الخلق لا تحبسها إجراءاتنا الوقائية في العزل عن نسائنا، فكم من عازل أنجب، وكم من تارك للعزل عقيم، ولك أن تستمتع بإجابة النبي ﷺ التي تركت من معالم

---

(١) محمد رسول الله ﷺ، منهج ورسالة، محمد الصادق عرجون، ص٢٤٩.

البناء العقدي في النفس الشيء الكثير: «ما عليكم ألا تفعلوا، ما من نسمة كائنة إلى يوم القيامة إلا وهي كائنة».

- مهما بلغ الناس من مستويات التربية المتقدمة ومهما خاضوا من تجارب ومحكات إلا أن بعض المواقف تكشف عن طبيعة عمل الشيطان في نفوسهم، فإما أن يكون ما حصل من دعوات جاهلية قبيل غزوة بني المصطلق صدر عن فتية صغار لا يعلمون ما يقولون، وإما أن يكون قد صدر عن رجال لم يتشربوا معالم العقيدة وكأنهم من المسلمين الجدد، وإما أن يكونوا من خيرة المهاجرين والأنصار والذين هم بشرٌ من البشر ولا شيء يمنع من ذلك، طالما أن الشيطان يجري من البشر مجرى الدماء في العروق.

- أنوار وفوائد في المجال المعاشي الاقتصادي:

- كاد أبو بكر رضي الله عنه أن يحرم مسطح بن أثاثة من عطاء كان يعطيه إياه ليصلح به معيشته على إثر تأثره بما قاله مسطح عن عائشة رضي الله عنها، ولكن جاء التوجيه الرباني بوجوب فصل انفعالاتنا عن عطايانا للناس، وهذا من كمال التشريع الإسلامي العظيم.
- لو كان الجانب المعيشي الاقتصادي هو الجانب الأهم في غزوات الصحابة الكرام ما تخلوا عن سباياهم يوم غزوة بني المصطلق، لكن الدنيا كلها لا تساوي في نظرهم شيئاً، فكان الجانب الاجتماعي في ذلك الموقف هو الغالب عليهم، لأجل ذلك أعتقوا سباياهم إكراما لنسَب النبي ﷺ الجديد.

- أنوار وفوائد في مجال إدارة المواقف والسياسة الشرعية:

- أحسن النبي ﷺ في إدارته للخلاف الذي أثاره المنافقون عندما قال للمهاجرين والأنصار: أبدعوى الجاهلية وأنا بين ظهرانيكم، وكأنه يوبخ كل من شارك في الفتنة وتنادى بعشيرته دون إخوانه المؤمنين، ثم بيَّن لهم عليه الصلاة والسلام أن لهذا العمل رائحة المنتنة وهذا يعني أن الطيبون والأطهار يعافونه بشكل فطري

فضلاً عن كونه محرم وممنوع شرعاً.

- لم تقف تلك الفتنة المنتنة عند حدود البسطاء أو عامة المهاجرين والأنصار، وإنما وصلت إلى زعيم النفاق عبد الله بن أبي بن أبي سلول الذي اتخذها ذريعة للطعن في النبي ﷺ وفي المهاجرين معه، ولولا حكمة النبي ﷺ في إدارة هذه الأزمة والموقف أيضاً لوجد الأصحاب ذريعة في قتل هذا المنافق، وبالتالي سيقول الناس: بأن محمداً يقتل أصحابه، على الرغم من علمهم عن مواقف هذا الرجل المعاند لله ورسوله والمؤمنين، ولكن له أتباع سفهاء مثله، ولن يتوقف الأمر عند حدود قتل منافق واحد، وهكذا فقد كان النبي ﷺ حذِراً أشد الحذر في التعامل مع المنافقين، وذلك لأنه يقرأ ارتدادات الأمور ومآلاتها القائمة والقادمة، ويخشى أن يصبح القتل في المسلمين ظاهراً إلى قيام الساعة بتهمة أن هذا منافق، وهل يملك كل منا أن يأتي بدليل قاطع يثبت فيه نفاق هذا أو ذاك، وحتى لو جئتَ بدليلك على نفاقهم هل من السياسة الشرعية والمصلحة وفقه الموازنات أن تبيح دماءهم، صحيح أنهم يشكلون خطراً خبيثاً على الإسلام والمسلمين، ولكن يكفيهم أن الله تعالى هو الذي تعهد بتصفيتهم وقتلهم وخلاص المجتمع منهم، قال تعالى: ﴿قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾﴾ التوبة: ٣٠ وقال تعالى: ﴿لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾ مَّلْعُونِينَ ۖ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا ﴿٦١﴾ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٦٢﴾﴾ الأحزاب: ٦٠ - ٦٢.

- **يكفي في المنافقين أن الله تعالى يفضح نيَّاتهم ويعري ما يُضمرون**، ولقد انتصر القرآن الكريم لزيد بن الأرقم وصدَّق كلامه في مقابل مراوغة وإنكار عبد الله بن أبيٍّ الذي أنكر كلماته الخبيثة، والتي طعن فيها بالنبي ﷺ، وقال بأنه الأذل، وصدق الله تعالى: ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾﴾ المنافقون: ٨.

- كان النبي ﷺ يرسل أصحابه في مهمات خاصة أو عامة، ولقد رجع جابر رضي الله عنه

من مكانٍ أرسله إليه النبي ﷺ، ويبدو أن النبي الكريم كان يصلي النافلة على راحلته، فلم يدر جابر أن النبي الكريم في صلاة، فأخذ يحدثه والنبي الكريم يومئ ولا يتكلم حتى إذا انتهى من صلاته أعلمه وعلَّمه، ولكن قبل ذلك كله لم ينس الحبيب ﷺ أن يسأل جابراً عن الغرض الذي أرسله فيه، وفي هذا ما فيه من معالم إدارة الموقف التعليمي السريع.

تعدُّ حادثة الإفك من أعظم الحوادث التي تدلل على قدرة النبي ﷺ وبما معه من تأييد الوحي الرباني على إدارة الأزمات، لأجل ذلك لن أتكلم هنا عن الجانب الفقهي وبعض اللطائف المستفادة من تلك الحادثة فقد أفاض في ذلك الإمام النووي وأجاد، **وإنما سأتكلم عن استراتيجيات النبي الكريم في إدارة تلك الأزمة والموقف الصعب، ومنها:**

١. غاب الوحي في تلك الفترة غيبة كاملة، وترك النبي ﷺ ليدير تلك الأزمة بشرياً.

٢. أحسن النبي ﷺ الظن بزوجته الطاهرة العفيفة، إذ لو أنه أساء بها الظن وهو يرى معطيات مادية توحي بأن مشكلة ما قد حصلت؛ لما أبقاها عنده، ولأخرجها من بيته، بل ولأقام عليها وعلى صفوان الحد.

٣. لم يمس عائشة الطاهرة من النبي ﷺ أية إهانة أو توبيخ أو تعنيف، سوى أنه قد تغيَّر عليها، وكان يدخل عليها فلا يزيد على أن يقول: كيف تيكم؟.

٤. أذن النبي ﷺ لعائشة أن تذهب عند والديها، ولم يأمرها هو بذلك، بل جاء الإذن بعد طلبها هي، لأنها عرفت ما يدور وما يقال عنها، حتى أنه ﷺ كان يجد حرجاً من مجرد مفاتحتها بالموضوع، فهو أمر محرج جداً لكليهما.

٥. وقفت أم عائشة رضي الله عنها معها وقفة طيبة، وبررت ما يقال عن ابنتها الطاهرة التي تعرف طهرها من تربيتها لها فضلاً عن صحبتها للنبي ﷺ، بوجود ضرائر لها وأنها كانت متميزة بينهن، وبالتالي فإن أمراً كهذا غير مستغرَب في عالم الضرائر.

٦. بدأ النبي ﷺ يجري مشاورته مع أقرب الناس إليه، وتفاوتت آراؤهم في

المسألة، **والصحيح الذي كان ينبغي لعائشة رضي الله عنها أن تتفهمه حتى تخفف عن نفسها مما وصلت إليه من حالة صعبة وبكاء مستمر لا ينقطع؛ أن ملابسات الحادثة ومجرياتها المحسوسة لم تكن لصالحها شكلاً، بل كانت في عكس صالحها**، وحتى وإن كانت عفيفة (وهي لاشك مطلقاً كذلك) إلا أن تردد بعض المؤمنين، وسكوت النبي ﷺ، كل ذلك له ما يبرره، والشيء الوحيد الذي لا يبرَّرْ هو الجزم والقطع في الطعن بها من قبل المنافقين ومَن خاض فيها مِن المؤمنين، وذلك لأن المواقف المختلطة لا يمكن لنا عندها إلا أن نستدعي ماضيَ الإنسان، فإن كان ذلك الماضي نظيفاً صار من الواجب أن نميل إلى تعديل المشتبه به، لا أن نميل إلى تجريحه، والعكس صحيح؛ فيمن وقعت عليه شبهة وكان ماضيه أسود، صار من اليقظة وحسن الفطنة أن نميل إلى تجريحه دون تعديله، وحتى هذا لا يكون بطريق القطع، وإنما بطريق غلبة الظن.

لأجل ذلك كان جواب أسامة بن زيد حِب رسول الله ﷺ واضحاً باعتماده على تاريخ عائشة النظيف.

أما علي رضي الله عنه فهو وإن لم يطعن فيها، إلا أنه ترك الأمر مفتوحاً، في بدايته وهو يوصي النبي ﷺ بتركها والزواج من غيرها، **وهذه سياسة ترحيل المشكلات لا سياسة حلها**، ثم استدرك طالباً من النبي ﷺ أن يجري تحقيقاً دقيقاً وقريباً من خلال سؤاله للجارية، وعند الجواري والخدم أسرار أسيادهم كما هو معلوم.

٧. استخدام النبي ﷺ أسلوب التحقيق الدقيق، وجمع المعلومات القريب، واستدعاء الخادمة بريرة لسؤالها عما يريبها إن رابها شيء من عائشة رضي الله عنها، فشهدت الجارية بخير، إلا أنها استدركت بما يشي من غفلة عائشة رضي الله عنها، وكأنها تريد أن تعتذر لعائشة إن كان قد صدر عنها شيء فإنما هو من باب الغفلة وليس على سبيل التقصد والوعي التام، كما أن في كلام بريرة ما يؤكد كلام عائشة وهي تروي أنها غفلت عن عقدها فأضاعته،

ثم سهت عينها فنامت، وهي تنتظر من يأتي ليأخذها إلى النبي ﷺ.

٨. **المعالجة الخارجية والرد على الإعلام المغرض بحزم**، صحيح أن النبي ﷺ لا يزال يتبين، إلا أن كثرة الطعن فيه قد آذته، وحتى لو صح ما يقوله المتقولون (لا سمح الله) فإن هذا لا يمكن أن يطعن بشخص النبي ﷺ، وبالتالي كان حرص النبي ﷺ على أن يتصدر المنبر، ويبحث من بين أصحابه عن رجل يوقف رأس النفاق ابن أبي سلول عند حده، مع تأكيد النبي ﷺ في خطابه الإعلامي على تجديد ثقته بأهله، وتجديد ثقته بصاحبه صفوان بن المعطل رضي الله عنهما، وهذا ما يؤكد أهمية الخطاب الإعلامي القوي في رد الشبهات، وإسكات المنافقين، مع وجوب استمرار التحري والتحقيق.

٩. في كثير من الأحيان ينبثق عن الأزمة أزمات، وبدلاً من أن نذهب إلى الحلول نجد مِن حولنا مَن يزيد الطين بلة، ولقد وجد الشيطان مدخله بين الأوس والخزرج عندما أخذ بعضهم يدافع عن رأس النفاق ابن أبي سلول، وكأن تلك النزعة لا تزال في الإنسان حتى يموت، وإلا فما حجة المدافعين عن رأس النفاق سوى ما اعتراهم من حمية جاهلية، لاسيما والأمر جاء من النبي ﷺ بتوقيف هذا الفاجر عند حده، **لأجل ذلك نستغفر الله تعالى للصحابي الجليل والكبير سعد بن عبادة، وقد أخذته الحمية لهذا الرجل المنافق كما قيل.**

١٠. النبي الكريم ﷺ لا يقطع علاقته بأهله، بل يزورها حتى وهي عند أهلها، لأن في سلوك القطيعة ما يؤكد كلام المتكلمين وأقوال المتقولين.

١١. النبي الكريم ﷺ يصارح زوجته الطاهرة، ويعرض عليها الحلول المثلى للخروج من هذا المأزق، وذلك بناء على احتمالين عنده لا ثالث لهما؛ فإما أن تكون قد ارتكبت الفاحشة (لا سمح الله) وهنا ليس لها إلا طريق التوبة والاستغفار، مبيناً لها أن التوبة تجبُّ وتغفر لصاحبها، وفي ذلك ما فيه من أن النبي ﷺ لا يثق بما يقوله الناس عن زوجته وهو يرى أن الأمر لا يعلمه سوى عائشة رضي الله عنها نفسها، لأجل ذلك ردَّ الأمر إليها، وإما أن تكون بريئة،

وعندئذ تحتاج إلى صبر قليل حتى تأتي براءتها من الله تعالى، وكأني برسول الله يرفع الأمر من دائرته البشرية، ويضعه عند الله تعالى من جهة، ليقطع ببراءة زوجته، أو عند زوجته لتتوب من هذا الذنب (الذي لم تقترفه أصلاً).

١٢. مما زاد من ألم عائشة **وقوف والديها موقف الحياد النسبي**، وهو أشبه بموقف رسول الله ﷺ، فهي إذ طلبت منهما الدفاع عنها قالا: «والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ».

١٣. **من أجمل الوقفات في تلك الحادثة وقفة عائشة رضي الله عنها وهي تفوض أمرها لله تعالى، وتستذكر موقف يعقوب عليه السلام، وهو لا يملك إزاء الجرح الغائر في يده بسبب أولاده إلا أن يقول: فصبرٌ جميل والله المستعان على ما تصفون.**

١٤. كما أن عائشة رضي الله عنها لا ينقصها الثقة التامة بأن الله تعالى سيكون معها كيف لا، وهي زوجة حبيبه ﷺ وابنة الصديق، وهي الطاهرة العفيفة، والله تعالى نصيرٌ لكل طاهر وعفيف، لكنها كانت تعلم أنها أقل من أن يتنزل فيها قرآن يتلى، وهذا التواضع من محاسنها، فهي تعرف قدر نفسها عند ربها، ولا يملك إنسان أن يزكي نفسه عند الله تعالى، لأنه سبحانه وتعالى هو أعلم بمن اتقى.

١٥. كان لنزول براءة عائشة أثره الرائع البهيج الجميل عليها وعلى الرسول ﷺ وعلى والديها وعلى المؤمنين في زمانها وعلى كل مؤمن إلى يوم الدين، وبالقدر الذي حزن فيه هؤلاء كلهم لما أصاب أم المؤمنين الطاهرة العفيفة، نجد أن الفرحة قد غمرت الجميع، وأخزى الله المنافقين، وردَّهم إلى نحورهم، وكانت تجربة نتعلم منها كيف نحسن الظن بالمؤمنين والمؤمنات، ونكفُّ ألسنتنا عن الحرائر والطيبات، ولا نفتح مجالاً للنفاق ليدخل فيفسد ما بيننا من علاقات.

١٦. لقد وجدت عائشة في نفسها على كل من ساهم في الخوض في عرضها، لكنها صفحت عمن وجدت أن له سوابق خير كحسان رضي الله عنه، الذي كان يذبُّ

عن عرض النبي ﷺ في كل موقف، ومثل ذلك صفح أبو بكر عن مسطح وأعاد له العطاء، وليس الانتقام من شيَم النبلاء، كما أن العفو باب من أبواب الشكر لله تعالى على ما أكرم المؤمنين به من ستر، وكشف للحقيقة وتكريم للطيبين.

١٧. **في البيت الواحد يختلف الناس في تقييمهم ووزنهم للأمور**، فهذه زينب بنت جحش لما سألها النبي ﷺ أثناء تحقيقه في شأن عائشة رضي الله عنهما قالت: يا رسول الله أحمي سمعي وبصري، والله ما علمتُ إلا خيراً، فلم تنس لها عائشة هذا الموقف النبيل، بينما أقام النبي ﷺ الحد على أختها حمنة بنت جحش، لأنها خاضت مع مَن خاض في عائشة الطاهرة رضي الله عنها.

١٨. في إقامة النبي ﷺ الحد على من خاض من أصحابه في عائشة رضي الله عنها تطهير لهم في الدنيا، وفي تركه إقامة الحد عن المنافقين ما فيه من ادخار عقوبتهم بين يدي الله تعالى، ﴿وَلَعَذَابُ ٱلْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٢٧﴾﴾ طه: ١٢٧.

١٩. لسائل أن يسأل: لماذا لم يحقق النبي ﷺ مع صفوان بن المعطل، وهو المتهم الأول في الحادثة، **والجواب على ذلك من شقين:**

إما أن يكون النبي ﷺ قد أجرى معه تحقيقاً، وإن لم تذكر لنا الروايات عن هذا التحقيق شيء، وهذا ممكن، فروايات السيرة لا تحكي تفصيلاً دقيقاً عن حيثيات كل شيء.

وإما أن ثقة النبي ﷺ بصفوان رضي الله عنه لا تقل عن ثقته بعائشة رضي الله عنها، ولكن لم يكن صفوان بنفس درجة القرب من النبي ﷺ كما كانت عائشة، ولاشك أن المصاب كان ثقيلاً عليه مثلما كان ثقيلاً عليها، لأجل ذلك لما نزلت البراءة شملتهما معاً، ولم تكن براءة خاصة بعائشة رضي الله عنها.

فليس في الآيات أي ذكر لاسم عائشة كما أنه ليس فيها ذكر لاسم صفوان رضي الله عنهما، وإن كان المقصود بالآيات هي وهو أولاً، ثم عموم من يقع

عليهم الإفك على مرِّ السنين.

- يقول الدكتور محمد أبو شـهبة: وأما ابن أُبي رأس النفاق؛ **فقيل إنه لم يُحدّ سياسةً وتأليفاً لقومه وأتباعه**، وإلى هذا ذهب ابن القيم في الهدي، والذي رجحه الحافظ ابن حجر في الفتح أنه أقيم عليه الحد استناداً إلى ما رواه الحاكم في الإكليل»[1].
- **حاول الدكتور صالح رضا أن يستنبط بعض الحكم من تلبُّث الوحي شهراً كاملاً دون أن يحسم الأمر بشأن حادثة الإفك ومن ذلك:**

١. ليُعلم الناس ألا يخوضوا فيما لا يعلمون.
٢. ليعلم الناس أن رسول الله بشر لا يعلم الغيب.
٣. ليدرك الناس أن الوحي ينزل عندما يريد الله تعالى لا عندما يريد النبي الأكرم ﷺ.
٤. أن الوحي ليس شعوراً ينبثق من نفس محمد، وإنما هو من عند الله تعالى»[2].

- أنوار وفوائد في المجال الأمني العسكري:

- **قرر النبي ﷺ أن يطور استراتيجياته القتالية بعد غزوة الأحزاب من الحالة الدفاعية البحتة، إلى الحالة الهجومية**، التي يؤدب من خلالها كل من تسوِّل له نفسه التفكير بالإغارة على المدينة وأهلها، فكان أن أغار على بني المصطلق وغافلهم[3]، ولكن بعد أن تأكد له تورطهم في التحريض عليه وعلى مدينته الآمنة.
- كان الحذر هو العنوان الأبرز من عناوين إدارة النبي ﷺ لأزمة الإفك التي عاشـها المجتمع المسـلم ولمدة شـهر كامل، فالأعداء كثر، وهم يتربصون بالمسلمين من كل جانب، والموضوع بقدر ما هو شـخصي وخـاص يتعلق ببيت النبوة إلا أن بيت النبـوة ليس مغلقاً بل هو مفتوح حتى علينـا نحن في هذا الزمان، لأجل ذلك حرص النبي ﷺ عـلى ضبط انفعالاته وخطواته وكلماته وإجراءاته في ذلك

---

(١) السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة، الدكتور محمد محمد أبو شهبة، ج٢/ ٢٦٤.

(٢) إنها النبوة، الدكتور صالح رضا، ص ٣٨٨.

(٣) ولعل ذلك من مرجحات كون غزوة بني المصطلق جاءت بعد غزوة الأحزاب وليس قبلها، لأن النبي ﷺ قال في نهاية غزوة الأحزاب: اليوم نغزوهم ولا يغزونا، وهذه الإغارة فيها تصديق لمنطق الهجوم المقرر آنذاك.

الموقف العصيب، والسؤال الذي نبقيه مفتوحاً في زماننا هذا: إذا كان الوحي في نهايــة المطاف هو الذي نزل يحكي براءة عائشــة رضي الله عنها في ذاك الزمان، **فمَنْ لحرائر زماننا ممن طعن المنافقون والفاسدون فيهن، ولم يحسن أقرب الناس إليهن في إدارة الموقف، وخاض الجار والقريب والصاحب والحبيب في العرض الطاهر... ليس لهؤلاء إلا الله، وكفى بربك هادياً ونصيراً.**

الهدنة واستراحة المحارب تمنح الإنسان اليقظ المنتبه فرصة لتحضير نفسه لجولات وصولات متقدمة، وهي بالنسبة للكسالى والعابثين مفسدة ومهلكة، وكأي مشهد من المشاهد التي يقف فيها الحق في مقابل الباطل متحدياً جبروته وعنجهيته، فيصاب على إثر ذلك بجراح خطيرة أو متوسطة في شدتها، سواء أخرَجَ من الغزوة منتصراً أم خاسراً؛ كانت غزوة أو صلح الحديبية مرحلة من مراحل الصراع بين الحق والباطل، وقد بادر النبي ﷺ بها لإثبات حسن نيته في التقليل من إراقة الدماء، وتعزيز السلم المجتمعي، ولو على حساب ما جلبه هذا الصلح مبدئياً على الصحابة من شدة وبلاء، ولكن لا ضير، فالمصاب النفسي يكافئ المصاب المادي الذي كان سيصيب المسلمين لو كان التعنت منهم هو سيد الموقف.

لقد أعطى النبي ﷺ كفار مكة ما أرادوا نسبياً، لكنه استثمر المتاح له من الزمن والبنود في وثيقة الصلح، لينشط في الدعوة والعطاء، حتى أذن الله تعالى له بالفتح المبين.

غزوة أو صلح الحديبية:

- **توقيت حصولها:** خرج النبي ﷺ إلى الحديبية **يوم الاثنين، مستهل ذي القعدة، من السنة السادسة للهجرة، قاصداً أداء العمرة**[1].
- **عدد عمرات النبي ﷺ:** روى قتادة قال: سألت أنساً رضى الله تعالى عنه: كم اعتمر النبي ﷺ؟، فقال: اعتمر النبي ﷺ حيث ردوه، ومن القابل عمرة الحديبية، وعمرة في ذي القعدة، وعمرة مع حجته.

وفي رواية: اعتمر أربع عمر في ذي القعدة إلا التي اعتمر مع حجته، عمرته من الحديبية، ومن العام المقبل، ومن الجعرانة، حيث قسم غنائم حنين، وعمرة مع

(١) نقل الدكتور أكرم العمري إجماع علماء السيرة على توقيتها هذا، وانظر السيرة النبوية الصحيحة ص٤٨٦.

حجته».[1]

- **عدد المسلمين مع النبي ﷺ:** روى جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: «قال لنا رسول الله ﷺ يوم الحديبية: **أنتم خير أهل الأرض**، وكنا ألفاً وأربعمائة، ولو كنت أُبصر اليوم لأريتكم مكان الشجرة»[2].

وفي رواية عبد الله بن أبي أوفى قال: «وكانت أسلم ثُمُن المهاجرين، **قال ابن حجر، وأسلم هي قبيلة عبد الله**»[3].

- **دروس في العقيدة على الطريق:** روى زيد بن خالد رضي الله عنه قال: «خرجنا مع رسول الله ﷺ عام الحديبية، فأصابنا مطر ذات ليلة، فصلى لنا رسول الله ﷺ الصبح، ثم أقبل علينا فقال: أتدرون ماذا قال ربكم؟ قلنا: الله ورسوله أعلم، فقال: قال الله: **أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر بي**، فأما من قال مُطرنا برحمة الله وبرزق الله وبفضل الله فهو مؤمن بي، كافر بالكوكب، وأما من قال مُطرنا بنجم كذا، فهو مؤمن بالكوكب كافر بي»[4].

- **البركة على الطريق وإثبات أن الحديبية فتح:** روى البراء رضي الله عنه قال: «تعدون أنتم الفتح؛ فتح مكة، **وقد كان فتح مكة فتحاً، ونحن نعدُّ الفتح بيعة الرضوان**، يوم الحديبية، كنا مع النبي ﷺ أربع عشرة مائة، والحديبية بئر، فنزحناها، فلم نترك فيها قطرة، فبلغ ذلك النبي ﷺ فأتاها، فجلس على شفيرها ثم دعا بإناء من ماء فتوضأ، ثم مضمض ودعا، ثم صبه فيها، فتركناها غير بعيد، **ثم إنها أصدرتنا ما شئنا نحن وركابنا**»[5].

وفي رواية جابر رضي الله عنه قال: «... قال رسول الله ﷺ: ما لكم؟ قالوا: يا رسول الله ليس عندنا ماء نتوضأ به ولا نشرب، إلا ما في ركوتك، قال: فوضع النبي ﷺ

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الحج، باب كم اعتمر النبي ﷺ؟، ح١٧٨٠.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة الحديبية، ح٤١٥٥، والمسألة مختلَف فيها، فقد جاء في رواية عبد الله بن أبي أوفى في البخاري أنهم كانوا ألفاً وثلاثمائة، ولجابر رواية أخرى في البخاري يقول فيها بأنهم ألف وخمسمائة، **ويجمع النووي بين الروايات بقوله، أنهم كانوا أكثر من ألف وأربعمائة.**

(٣) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة الحديبية، ح ٤١٥٥.

(٤) السابق، ح ٣٩١٦.

(٥) السابق، ح ٣٩١٩.

يـــده في الركوة، فجعل المـــاء يفور من بين أصابعه كأمثـــال العيون، قال: فشربنا وتوضأنا»[1].

وفي تأكيـــد أن صلح الحديبية فتحٌ، روى أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١﴾ الفتح: ١ قال: الحديبية»[2].

- **وقفة في تفســـير هذه الآية:** قال الإمام ابن عاشـــور: «والفتح: إزالة غلق الباب أو الخزانة قال تعالى «لا تفتَّح لهم أبواب الســـماء» ويطلق على النصر وعلى دخول الغازي بلاد عـــدوه لأن أرض كل قوم وبلادهم مواقع عنها، فاقتحام الغازي إياها بعد الحرب يشـــبه إزالة الغلق عن البيت أو الخزانة، ولذلك كثر إطلاق الفتح على النصر المقترن بدخول أرض المغلوب أو بلده، ولم يطلق على انتصار كانت نهايته غنيمـــة وأسر دون اقتحام أرض فيقال: فتح خيبر وفتـــح مكة ولا يقال: فتح بدر، وفتح أحد،.. والجمهور على أن المراد في سورة الفتح هو صلح الحديبية، وجعلوا إطلاق اســـم الفتح عليه مجازاً مرســـلاً باعتبار أنه آلَ إلى فتح خيبر وفتح مكة، أو كان سبباً فيهما»[3].

ومما جاء في البركة في الطعام ما روى سَـــلَمَةَ بـــن الأكوع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «خَرَجْنَا مَعَ رَسُـــولِ اللهِ ﷺ فِي غَزْوَةٍ، فَأَصَابَنَا جَهْدٌ حَتَّى هَمَمْنَـــا أَنْ نَنْحَرَ بَعْضَ ظَهْرِنَا، فَأَمَرَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ فَجَمَعْنَا مَزَاوِدَنَا، فَبَسَطْنَا لَهُ نِطَعًا، فَاجْتَمَعَ زَادُ الْقَوْمِ عَلَى النِّطَعِ، قَالَ: فَتَطَاوَلْتُ لأَحْزِرَهُ كَمْ هُوَ؟ فَحَزَرْتُهُ كَرَبْضَةِ الْعَنْزِ، وَنَحْنُ أَرْبَعَ عَشْرَةَ مِائَةً، قَالَ: فَأَكَلْنَا حَتَّى شَبِعْنَا جَمِيعًا، ثُمَّ حَشَوْنَا جُرُبَنَا»[4].

- **تفصيل ما جرى من البداية وحتى اعتراض قريش للمعتمرين:** روى عروة بن الزبير عن المســـور بن مخرمة ومروان بن الحكم - يزيـــد أحدهما على صاحبه - قالا: «خرج النبي ﷺ عام الحديبية في بضع عشرة مائة من أصحابه، فلما أتى ذا الحليفة قلَّد الهدي، وأشعره، وأحرم منها بعمرة، وبعث عيناً له من خزاعة، وسار النبي ﷺ

---

(١) السابق، ح٣٩٢١.

(٢) السابق، ح ٣٩٣٩.

(٣) تفسير التحرير والتنوير، الإمام ابن عاشور، ٢٧/ ١٤٤.

(٤) أخرجه مسلم، كتاب اللقطة، باب خلط الأزواد، ح١٧٢٩.

مكتبة t.me/ktabrwaya

حتى كان بغدير الأشطاط، أتاه عينه قال: إن قريشاً جمعوا لك جموعاً، وقد جمعوا لك الأحابيش، وهم مقاتلوك، وصادوك عن البيت، ومانعوك.

فقال: **أشيروا أيها الناس عليَّ، أترون أن أميل إلى عيالهم وذراري، هؤلاء الذين يريدون أن يصدونا عن البيت**، فإن يأتونا كان الله عز وجل قد قطع عيناً من المشركين، وإلا تركناهم محروبين.

قال أبو بكر: يا رسول الله خرجتَ عامداً لهذا البيت، لا تريد قتل أحد، ولا حرب أحد، **فتوجهْ له، فمن صدَّنا عنه قاتلناه، قال: امضوا على اسم الله**»[1].

وفي رواية عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم قالا: قال النبي ﷺ»... **يا ويح قريش لقد أكلتهم الحرب**، ماذا عليهم لو خلوا بيني وبين سائر العرب، فإن هم أصابوني كان ذلك الذي أرادوا، وإن أظهرني الله عليهم دخلوا في الاسلام وافرين، وإن لم يفعلوا قاتلوا وبهم قوة، فما تظن قريش؟ **فو الله لا أزال أجاهد على الذي بعثني الله به، حتى يظهره الله، أو تنفرد هذه السالفة**»[2].

- **حوادث على الطريق ورغبة في دخول مكة**: روى كعب بن عجرة أن رسول الله ﷺ رآه وقمله يسقط على وجهه، فقال: **أيؤذيك هوامك؟** قال: نعم، فأمره رسول الله ﷺ أن يحلق وهو بالحديبية، ولم يبين لهم أنهم يحلون بها، وهم على طمع أن يدخلوا مكة، فأنزل الله الفدية، فأمره رسول الله ﷺ أن يُطعم فرقاً بين ستة مساكين، أو يُهدي شاة، أو يصوم ثلاثة أيام»[3].
- **تحفيز القائد للجند، وتطهير الصف من الخبث**: سلك النبي ﷺ طريقاً وعرة عبر ثنية المرار، وهي مهبط الحديبية، وقال: «من يصعد الثنية، ثنية المرار، فإنه يُحَط عنه ما حُطَّ عن بني إسرائيل، **فكان أول من صعدها خيل الخزرج، ثم تبادر الناس بعد**، فقال رسول الله ﷺ: كلكم مغفور له إلا صاحب الجمل الأحمر، فقلنا: تعال يستغفر لك رسول الله ﷺ قال: **والله لأن أجد ضالتي أحب إلي من أن يستغفر لي**

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة الحديبية، ح ٣٩٤٤.

(٢) أخرجه أحمد ٤/ ٣٢٣، وقال الألباني في تخريجه لأحاديث فقه السيرة للغزالي ص ٣٢٧، بأنه صحيح.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة الحديبية، ٣٩٢٧.

صاحبكم، وإذا هو رجل ينشد ضالة»[1].

- **حكاية شجرة الرضوان:** روى طارق بن عبد الرحمن قال: «انطلقتُ حاجاً فمررت بقوم يصلون، قلت: ما هذا المسجد؟ قالوا: هذه الشجرة، حيث بايع رسول الله ﷺ بيعة الرضوان، فأتيت سعيد بن المسيب فأخبرته، فقال سعيد: حدثني أبي أنه كان فيمن بايع رسول الله ﷺ تحت الشجرة، قال: فلما خرجنا من العام المقبل نسيناها، فلم نقدر عليها، فقال سعيد: **إن أصحاب محمد ﷺ لم يعلموها، وعلمتموها أنتم، فأنتم أعلم!**»[2].
- **ممن شهد البيعة:** روى **عبد الله بن أبي أوفى** (وكان من أصحاب الشجرة) قال: كان النبي ﷺ إذا أتاه قوم بصدقة قال: اللهم صلِّ عليهم، فأتاه أبي بصدقته فقال: «اللهم صلِّ على آل أبي أوفى»[3].

وروى عباد بن تميم قال: «لما كان يوم الحرة والناس يبايعون لعبد الله ابن حنظلة فقال ابن زيد (**عبد الله بن زيد بن عاصم**): على ما يبايع ابن حنظلة الناس؟ قيل له: على الموت، قال: لا أبايع على ذلك أحداً بعد رسول الله ﷺ، **وكان شهد معه الحديبية**»[4].

وروى إياس بن **سلمة بن الأكوع** قال: «حدثني أبي وكان من أصحاب الشجرة، قال: كنا نصلي مع النبي ﷺ الجمعة ثم ننصرف، وليس للحيطان ظل نستظل»[5].

وروى سلمة بن الأكوع رضي الله عنه ما يثبت تكرار البيعة له بطلب من النبي ﷺ قال: «.. ثم إن رسول الله ﷺ دعانا للبيعة في أصل الشجرة، قال: فبايعته أول الناس، ثم بايع وبايع، حتى إذا كان في وسط من الناس قال (بايع يا سلمة!) قال قلت: قد بايعتك يا رسول الله! في أول الناس، قال (وأيضا) قال: ورآني رسول الله ﷺ عزلاً (يعني ليس معه سلاح)، قال: فأعطاني رسول الله ﷺ حجفة أو درقة، ثم بايع،

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، ح ٢٧٨٠.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة الحديبية، ح ٣٩٣٠.

(٣) السابق، ح٣٩٣٣.

(٤) السابق، ح ٣٩٣٤.

(٥) السابق، ح ٣٩٣٥.

حتى إذا كان في آخر الناس قال (ألا تبايعني؟ يا سلمة!) قال: قلت: قد بايعتك يا رسول الله! في أول الناس، وفي أوسط الناس، قال (وأيضاً) قال: فبايعته الثالثة، ثم قال لي (يا سلمة! أين حجفتك أو درقتك التي أعطيتك؟) قال قلت: يا رسول الله! لقيني عمي عامر عزلاً فأعطيته إياها قال: **فضحك رسول الله ﷺ وقال (إنك كالذي قال الأول: اللهم ابغني حبيباً هو أحب إليَّ من نفسي)**»[1].

وروى العلاء بن المسيب عن أبيه قال: «لقيت **البراء بن عازب** رضي الله عنهما فقلت: طوبى لك صحبتَ النبي ﷺ، وبايعته تحت الشجرة، فقال: يا ابن أخي؛ **إنك لا تدري ما أحدثنا بعده**»[2].

وروى أبو قلابة أن **ثابت بن الضحاك** أخبره «أنه بايع النبي ﷺ تحت الشجرة»[3].

وروى مجزأة بن **زاهر الأسلمي** عن أبيه «وكان ممن شهد الشجرة قال: إني لأوقد تحت القدر بلحوم الحمر، إذ نادى منادي رسول الله ﷺ، إن رسول الله ﷺ ينهاكم عن لحوم الحمر»[4]، وعن مجزأة أيضاً عن رجل منهم من أصحاب الشجرة اسمه **أهبان بن أوس** وكان اشتكى ركبته، وكان إذا سجد جعل تحت ركبته وسادة»[5].

وروى **سويد بن النعمان** وكان من أصحاب الشجرة «كان رسول الله ﷺ وأصحابه أتوا بسويق فلاكوه»[6].

وروى أبو جمرة قال: سألت **عائذ بن عمرو** رضي الله عنه، وكان من أصحاب النبي ﷺ، من أصحاب الشجرة: هل ينقض الوتر؟ قال: إذا أوترت من أوله، فلا توتر من آخره»[7].

- **حكاية البيعة عن عثمان** رضي الله عنه: روى عثمان بن وهب قال: جاء رجل من أهل مصر حج البيت فرأى قوماً جلوساً فقال: من هؤلاء القوم؟ فقالوا: هؤلاء قريش، قال:

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب الجهاد، باب غزوة ذي قرد وغيرها، ح٤٦٥٤.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة الحديبية، ح ٣٩٣٧.

(٣) السابق، ح ٣٩٣٨.

(٤) السابق، ح ٣٩٤٠.

(٥) السابق نفسه.

(٦) السابق، ح ٣٩٤١.

(٧) السابق، ح ٣٩٤٢.

فمن الشيخ فيهم؟ قالوا: عبد الله ابن عمر.
قال يا ابن عمر إني سائلك عن شيء، فحدثني: هل تعلم أن عثمان فرَّ يوم أُحد؟ قال: نعم، قال: تعلم أنه تغيب عن بدر ولم يشهد؟ قال: نعم، قال: تعلم أنه تغيب عن بيعة الرضوان فلم يشهدها؟ قال: نعم، **قال: الله أكبر.**
قال ابن عمر: **تعال أبيِّن لك**، أما فراره يوم أُحد، فأشهد أن الله عفا عنه، وغفر له، وأما تغيبه عن بدر فإنه كانت تحته بنت رسول الله ﷺ، وكانت مريضة، فقال له رسول الله ﷺ: إن لك أجر رجل ممن شهد بدراً وسهمه، وأما تغيبه عن بيعة الرضوان فلو كان أحد أعزّ ببطن مكة من عثمان لبعثه مكانه، فبعث رسول الله ﷺ عثمان، وكانت بيعة الرضوان بعد ما ذهب عثمان إلى مكة، **فقال رسول الله ﷺ بيده اليمنى: هذه يد عثمان، فضرب بها على يده، فقال: هذه لعثمان، فقال له ابن عمر: اذهب بها الآن معك**»[1].

- **وممن تخلف عن البيعة:** روى جابر رضي الله عنه قال: «... فبايعناه غير الجد بن قيس الأنصاري، **اختبأ تحت بطن بعيره**»[2].
- **ما جرى لعثمان رضي الله عنه وتسبب في البيعة:** روى مروان بن الحكم والمسور بن مخرمة قالا: «... وقد كان رسول الله ﷺ قبل ذلك بعث خراش بن أمية الخزاعي إلى مكة، وحمله على جمل له يقال له: الثعلب، فلما دخل مكة عقرت به قريش، وأرادوا قتل خراش، فمنعهم الأحابيش، حتى أتى رسول الله ﷺ.
فدعا عمر ليبعثه إلى مكة فقال: **يا رسول الله إني أخاف قريشاً على نفسي، وليس بها من بني عدي أحد يمنعني، وقد عرفتْ قريش عداوتي إياها، وغلظتي عليها، ولكن أدلك على رجل هو أعزُّ مني؛ عثمان بن عفان.**
قال: فدعاه رسول الله ﷺ، فبعثه إلى قريش يخبرهم أنه لم يأت لمكة لحرب، وأنه جاء زائراً لهذا البيت، معظماً لحرمته، فخرج عثمان حتى أتى مكة، ولقيه أبان بن سعيد بن العاص، فنزل عن دابته، وحمله بين يديه، وردف خلفه، **وأجاره حتى بلغ**

(١) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب قول الله تعالى: «إن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان»، ح ٤٠٦٦.
(٢) أخرجه مسلم، كتاب الإمارة، باب استحباب مبايعة الإمام الجيش، ح١٨٥٦، ويبدو أنه هو نفسه صاحب الجمل الأحمر الذي جاء في سياق رواية سابقة.

رسالة رسول الله ﷺ، فانطلق عثمان حتى أتى أبا سفيان، وعظماء قريش، فبلغهم عن رسول الله ﷺ ما أرسله به، فقالوا لعثمان: إن شئت أن تطوف بالبيت فطف به، فقال: **ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله ﷺ**، فاحتبسته قريش عندها، فبلغ رسول الله ﷺ والمسلمين أن عثمان قد قُتل»[1]، وعند ذلك جمع أصحابه تحت الشجرة وأخذ يبايعهم بيعة الرضوان.

- **صفة البيعة، بيعة الموت:** روى يزيد بن أبي عبيد قال: «قلت لسلمة ابن الأكوع: على أيِّ شيء بايعتم رسول الله ﷺ يوم الحديبية؟ قال: **على الموت**»[2].
وفي رواية لجابر رضي الله عنه قال: «**بايعناه على أن لا نفرَّ، ولم نبايعه على الموت**»[3].
وأما رواية عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ففيها: «**بل بايعهم على الصبر**»[4].
وقد تم توجيه ذلك بتعدد البيعة من النبي ﷺ لأصحابه، **وكلها تدل على أهمية الصبر والثبات وعدم الفرار حتى لو تسبب ذلك بوفاتهم أو مقتلهم، إذ القتل ليس مقصوداً لذاته.**

- **سباق نحو البيعة:** روى نافع قال: «إن الناس يتحدثون أن ابن عمر أسلم قبل عمر، وليس كذلك، ولكن عمر يوم الحديبية أرسل عبد الله إلى فرس له عند رجل من الأنصار يأتي به ليقاتل عليه، ورسول الله ﷺ يبايع عند الشجرة، وعمر لا يدري بذلك، فبايعه عبد الله، ثم ذهب إلى الفرس، فجاء به إلى عمر، وعمر يستلئم للقتال، فأخبره أن رسول الله ﷺ يبايع تحت الشجرة، قال: فانطلق فذهب معه حتى بايع رسول الله ﷺ، **فهي التي يتحدث الناس أن ابن عمر أسلم قبل عمر.**
وفي رواية: أن الناس كانوا مع النبي ﷺ يوم الحديبية تفرقوا في ظلال الشجر، فإذا الناس محدقون بالنبي ﷺ، فقال يا عبد الله: انظر ما شأن الناس قد أحدقوا برسول

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ٤/ ٣٢٣، وذكره الشيخ ابراهيم العلي في صحيح السيرة ص٤٠١، مشيراً إلى تصحيحه ومبيناً أنه لم يرد من جملة حديث مروان والمسور في البخاري.
(٢) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة الحديبية، ح ٣٩٣٦.
(٣) أخرجه مسلم، كتاب الإمارة، باب استحباب مبايعة الجيش، ح١٨٥٦.
(٤) أخرجه البخاري، كتاب الجهاد، باب البيعة في الحرب، ح ٢٩٥٨.

الله ﷺ، فوجدهم يبايعون، فبايع، ثم رجع إلى عمر، فخرج فبايع»[1].

- **حرص النبي ﷺ على السلم المجتمعي واجتناب القتال:** روى عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ، عَنِ الْمِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ، وَمَرْوَانَ يُصَدِّقُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا حَدِيثَ صَاحِبِهِ، قَالَا: «خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ زَمَنَ الْحُدَيْبِيَةِ حَتَّى إِذَا كَانُوا بِبَعْضِ الطَّرِيقِ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: إِنَّ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ بِالْغَمِيمِ فِي خَيْلٍ لِقُرَيْشٍ طَلِيعَةٌ، فَخُذُوا ذَاتَ الْيَمِينِ، فَوَاللَّهِ مَا شَعَرَ بِهِمْ خَالِدٌ حَتَّى إِذَا هُمْ بِقَتَرَةِ الْجَيْشِ، فَانْطَلَقَ يَرْكُضُ نَذِيرًا لِقُرَيْشٍ.

وَسَارَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى إِذَا كَانَ بِالثَّنِيَّةِ الَّتِي يُهْبَطُ عَلَيْهِمْ مِنْهَا بَرَكَتْ بِهِ رَاحِلَتُهُ، فَقَالَ النَّاسُ: حَلْ، حَلْ، فَأَلَحَّتْ، فَقَالُوا: خَلَأَتِ الْقَصْوَاءُ، خَلَأَتِ الْقَصْوَاءُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **مَا خَلَأَتِ الْقَصْوَاءُ وَمَا ذَاكَ لَهَا بِخُلُقٍ، وَلَكِنْ حَبَسَهَا حَابِسُ الْفِيلِ.**

ثُمَّ قَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يَسْأَلُونِي خُطَّةً يُعَظِّمُونَ فِيهَا حُرُمَاتِ اللَّهِ إِلَّا أَعْطَيْتُهُمْ إِيَّاهَا، ثُمَّ زَجَرَهَا فَوَثَبَتْ، قَالَ: فَعَدَلَ عَنْهُمْ حَتَّى نَزَلَ بِأَقْصَى الْحُدَيْبِيَةِ[2].

- **بداية المفاوضات مع قريش ووضوح غاية النبي ﷺ:** «... فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ جَاءَ بُدَيْلُ بْنُ وَرْقَاءَ الْخُزَاعِيُّ فِي نَفَرٍ مِنْ قَوْمِهِ مِنْ خُزَاعَةَ، وَكَانُوا عَيْبَةَ نُصْحِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ أَهْلِ تِهَامَةَ، فَقَالَ: إِنِّي تَرَكْتُ كَعْبَ بْنَ لُؤَيٍّ، وَعَامِرَ بْنَ لُؤَيٍّ نَزَلُوا أَعْدَادَ مِيَاهِ الْحُدَيْبِيَةِ وَمَعَهُمُ الْعُوذُ الْمَطَافِيلُ وَهُمْ مُقَاتِلُوكَ وَصَادُّوكَ عَنِ الْبَيْتِ.

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **إِنَّا لَمْ نَجِئْ لِقِتَالِ أَحَدٍ وَلَكِنَّا جِئْنَا مُعْتَمِرِينَ، وَإِنَّ قُرَيْشًا قَدْ نَهِكَتْهُمُ الْحَرْبُ وَأَضَرَّتْ بِهِمْ، فَإِنْ شَاءُوا مَادَدْتُهُمْ مُدَّةً، وَيُخَلُّوا بَيْنِي وَبَيْنَ النَّاسِ فَإِنْ أَظْهَرْ، فَإِنْ شَاءُوا أَنْ يَدْخُلُوا فِيمَا دَخَلَ فِيهِ النَّاسُ فَعَلُوا وَإِلَّا فَقَدْ جَمُّوا، وَإِنْ هُمْ أَبَوْا، فَوَ الَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَأُقَاتِلَنَّهُمْ عَلَى أَمْرِي هَذَا حَتَّى تَنْفَرِدَ سَالِفَتِي وَلَيُنْفِذَنَّ اللَّهُ أَمْرَهُ،** فَقَالَ بُدَيْلٌ: سَأُبَلِّغُهُمْ مَا تَقُولُ.

قَالَ: فَانْطَلَقَ حَتَّى أَتَى قُرَيْشًا، قَالَ: إِنَّا قَدْ جِئْنَاكُمْ مِنْ هَذَا الرَّجُلِ، وَسَمِعْنَاهُ يَقُولُ

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة الحديبية، ح ٣٩٥١.

(٢) **ومما يؤكد حرص النبي ﷺ على السلم المجتمعي** أيضاً ما روى مسلم عن أنس رضي الله عنه قال: «إن ثمانين رجلاً من أهل مكة هبطوا على رسول الله ﷺ من جبل التنعيم متسلحين، يريدون غرة النبي ﷺ وأصحابه، فأخذهم سلماً فاستحياهم، فأنزل الله عز وجل: (وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم)» أخرجه مسلم في كتاب الجهاد والسير ح ١٨٠٨.

قَوْلًا، فَإِنْ شِئْتُمْ أَنْ نَعْرِضَهُ عَلَيْكُمْ فَعَلْنَا.

فَقَالَ سُفَهَاؤُهُمْ: لَا حَاجَةَ لَنَا أَنْ تُخْبِرَنَا عَنْهُ بِشَيْءٍ، وَقَالَ ذَوُو الرَّأْيِ مِنْهُمْ: هَاتِ مَا سَمِعْتَهُ يَقُولُ، قَالَ: سَمِعْتُهُ يَقُولُ كَذَا وَكَذَا، فَحَدَّثَهُمْ بِمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ.

- **المندوب الثاني عن قريش:** «... فَقَامَ عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ، فَقَالَ: أَيْ قَوْمِ، أَلَسْتُمْ بِالْوَالِدِ؟ قَالُوا: بَلَى، قَالَ: أَوَلَسْتُ بِالْوَلَدِ؟ قَالُوا: بَلَى، قَالَ: فَهَلْ تَتَّهِمُونِي؟ قَالُوا: لَا، قَالَ: أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنِّي اسْتَنْفَرْتُ أَهْلَ عُكَاظَ، فَلَمَّا بَلَّحُوا عَلَيَّ جِئْتُكُمْ بِأَهْلِي وَوَلَدِي، وَمَنْ أَطَاعَنِي؟ قَالُوا: بَلَى، قَالَ: **فَإِنَّ هَذَا قَدْ عَرَضَ لَكُمْ خُطَّةَ رُشْدٍ، اقْبَلُوهَا وَدَعُونِي آتِيهِ، قَالُوا: ائْتِهِ**، فَأَتَاهُ، فَجَعَلَ يُكَلِّمُ النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: نَحْوًا مِنْ قَوْلِهِ لِبُدَيْلٍ، فَقَالَ عُرْوَةُ: عِنْدَ ذَلِكَ أَيْ مُحَمَّدُ، **أَرَأَيْتَ إِنِ اسْتَأْصَلْتَ أَمْرَ قَوْمِكَ، هَلْ سَمِعْتَ بِأَحَدٍ مِنَ الْعَرَبِ اجْتَاحَ أَهْلَهُ قَبْلَكَ** وَإِنْ تَكُنِ الْأُخْرَى، فَإِنِّي وَاللَّهِ لَأَرَى وُجُوهًا وَإِنِّي لَأَرَى أَوْشَابًا مِنَ النَّاسِ خَلِيقًا أَنْ يَفِرُّوا وَيَدَعُوكَ.

فَقَالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ: **امْصُصْ بَظْرَ اللَّاتِ، أَنَحْنُ نَفِرُّ عَنْهُ وَنَدَعُهُ؟!**، فَقَالَ: مَنْ ذَا؟ قَالُوا: أَبُو بَكْرٍ، قَالَ: أَمَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْلَا يَدٌ كَانَتْ لَكَ عِنْدِي لَمْ أَجْزِكَ بِهَا لَأَجَبْتُكَ.

قَالَ: وَجَعَلَ يُكَلِّمُ النَّبِيَّ ﷺ، فَكُلَّمَا تَكَلَّمَ أَخَذَ بِلِحْيَتِهِ وَالْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ قَائِمٌ عَلَى رَأْسِ النَّبِيِّ ﷺ وَمَعَهُ السَّيْفُ وَعَلَيْهِ الْمِغْفَرُ، فَكُلَّمَا أَهْوَى عُرْوَةُ بِيَدِهِ إِلَى لِحْيَةِ النَّبِيِّ ﷺ ضَرَبَ يَدَهُ بِنَعْلِ السَّيْفِ، وَقَالَ لَهُ: **أَخِّرْ يَدَكَ عَنْ لِحْيَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ**، فَرَفَعَ عُرْوَةُ رَأْسَهُ، فَقَالَ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: الْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ، فَقَالَ: أَيْ غُدَرُ، أَلَسْتُ أَسْعَى فِي غَدْرَتِكَ، وَكَانَ الْمُغِيرَةُ صَحِبَ قَوْمًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَقَتَلَهُمْ وَأَخَذَ أَمْوَالَهُمْ، ثُمَّ جَاءَ فَأَسْلَمَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: أَمَّا الْإِسْلَامَ فَأَقْبَلُ، وَأَمَّا الْمَالَ فَلَسْتُ مِنْهُ فِي شَيْءٍ، ثُمَّ إِنَّ عُرْوَةَ جَعَلَ يَرْمُقُ أَصْحَابَ النَّبِيِّ ﷺ بِعَيْنَيْهِ.

قَالَ: فَوَاللَّهِ مَا تَنَخَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ نُخَامَةً إِلَّا وَقَعَتْ فِي كَفِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ فَدَلَكَ بِهَا وَجْهَهُ وَجِلْدَهُ، وَإِذَا أَمَرَهُمُ ابْتَدَرُوا أَمْرَهُ، وَإِذَا تَوَضَّأَ كَادُوا يَقْتَتِلُونَ عَلَى وَضُوئِهِ، وَإِذَا تَكَلَّمَ خَفَضُوا أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَهُ، وَمَا يُحِدُّونَ إِلَيْهِ النَّظَرَ تَعْظِيمًا لَهُ، فَرَجَعَ عُرْوَةُ إِلَى أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: أَيْ قَوْمِ، **وَاللَّهِ لَقَدْ وَفَدْتُ عَلَى الْمُلُوكِ وَوَفَدْتُ عَلَى قَيْصَرَ،**

وكسرى، والنَّجاشيِّ، واللَّه إنْ رَأَيْتُ مَلِكًا قَطُّ يُعَظِّمُهُ أَصْحَابُهُ مَا يُعَظِّمُ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ ﷺ مُحَمَّدًا، واللَّه إنْ تَنَخَّمَ نُخَامَةً إلَّا وَقَعَتْ في كَفِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ فَدَلَكَ بِهَا وَجْهَهُ وَجِلْدَهُ، وَإِذَا أَمَرَهُمُ ابْتَدَرُوا أَمْرَهُ، وَإِذَا تَوَضَّأَ كَادُوا يَقْتَتِلُونَ عَلَى وَضُوئِهِ، وَإِذَا تَكَلَّمَ خَفَضُوا أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَهُ، وَمَا يُحِدُّونَ إِلَيْهِ النَّظَرَ تَعْظِيمًا لَهُ، وَإِنَّهُ قَدْ عَرَضَ عَلَيْكُمْ خُطَّةَ رُشْدٍ فَاقْبَلُوهَا.

- **المندوب الثالث لقريش:** «... فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي كِنَانَةَ: دَعُونِي آتِيهِ، فَقَالُوا: ائْتِهِ، فَلَمَّا أَشْرَفَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَأَصْحَابِهِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **هَذَا فُلَانٌ، وَهُوَ مِنْ قَوْمٍ يُعَظِّمُونَ الْبُدْنَ، فَابْعَثُوهَا لَهُ، فَبُعِثَتْ لَهُ وَاسْتَقْبَلَهُ النَّاسُ يُلَبُّونَ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ، قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ، مَا يَنْبَغِي لِهَؤُلَاءِ أَنْ يُصَدُّوا عَنِ الْبَيْتِ، فَلَمَّا رَجَعَ إِلَى أَصْحَابِهِ، قَالَ: رَأَيْتُ الْبُدْنَ قَدْ قُلِّدَتْ وَأُشْعِرَتْ، فَمَا أَرَى أَنْ يُصَدُّوا عَنِ الْبَيْتِ.**
- **المندوب الرابع لقريش:** «... فَقَامَ رَجُلٌ مِنْهُمْ يُقَالُ لَهُ مِكْرَزُ بْنُ حَفْصٍ، فَقَالَ: دَعُونِي آتِيهِ، فَقَالُوا: ائْتِهِ، فَلَمَّا أَشْرَفَ عَلَيْهِمْ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: هَذَا مِكْرَزٌ، وَهُوَ رَجُلٌ فَاجِرٌ، فَجَعَلَ يُكَلِّمُ النَّبِيَّ ﷺ، فَبَيْنَمَا هُوَ يُكَلِّمُهُ إِذْ جَاءَ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو». قَالَ مَعْمَرٌ: فَأَخْبَرَنِي أَيُّوبُ، عَنْ عِكْرِمَةَ، أَنَّهُ لَمَّا جَاءَ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **لَقَدْ سَهُلَ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ.**
- **المندوب الخامس (سهيل بن عمرو) وشروط الصلح:** قَالَ مَعْمَرٌ: قَالَ الزُّهْرِيُّ فِي حَدِيثِهِ: «... فَجَاءَ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو، فَقَالَ: هَاتِ اكْتُبْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ كِتَابًا، فَدَعَا النَّبِيُّ ﷺ الْكَاتِبَ.

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، قَالَ سُهَيْلٌ: أَمَّا الرَّحْمَنُ، فَوَاللَّهِ مَا أَدْرِي مَا هُوَ، وَلَكِنْ اكْتُبْ: بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ كَمَا كُنْتَ تَكْتُبُ.

فَقَالَ الْمُسْلِمُونَ: وَاللَّهِ لَا نَكْتُبُهَا إِلَّا بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ.

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: اكْتُبْ بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ.

ثُمَّ قَالَ: هَذَا مَا قَاضَى عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ.

فَقَالَ سُهَيْلٌ: وَاللَّهِ لَوْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ مَا صَدَدْنَاكَ عَنِ الْبَيْتِ وَلَا قَاتَلْنَاكَ، وَلَكِنِ اكْتُبْ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ.

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: وَاللَّهِ إِنِّي لَرَسُولُ اللَّهِ، وَإِنْ كَذَّبْتُمُونِي اكْتُبْ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ،
قَالَ الزُّهْرِيُّ: وَذَلِكَ لِقَوْلِهِ: لَا يَسْأَلُونِي خُطَّةً يُعَظِّمُونَ فِيهَا حُرُمَاتِ اللَّهِ إِلَّا أَعْطَيْتُهُمْ إِيَّاهَا.
فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: عَلَى أَنْ تُخَلُّوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْبَيْتِ فَنَطُوفَ بِهِ.
فَقَالَ سُهَيْلٌ: **وَاللَّهِ لَا تَتَحَدَّثُ الْعَرَبُ، أَنَّا أُخِذْنَا ضُغْطَةً، وَلَكِنْ ذَلِكَ مِنَ الْعَامِ الْمُقْبِلِ، فَكَتَبَ.**
فَقَالَ سُهَيْلٌ، وَعَلَى: أَنَّهُ لَا يَأْتِيكَ مِنَّا رَجُلٌ، وَإِنْ كَانَ عَلَى دِينِكَ إِلَّا رَدَدْتَهُ إِلَيْنَا.
قَالَ الْمُسْلِمُونَ: سُبْحَانَ اللَّهِ، كَيْفَ يُرَدُّ إِلَى الْمُشْرِكِينَ وَقَدْ جَاءَ مُسْلِمًا؟
فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ دَخَلَ أَبُو جَنْدَلِ بْنُ سُهَيْلِ بْنِ عَمْرٍو يَرْسُفُ فِي قُيُودِهِ، وَقَدْ خَرَجَ مِنْ أَسْفَلِ مَكَّةَ حَتَّى رَمَى بِنَفْسِهِ بَيْنَ أَظْهُرِ الْمُسْلِمِينَ.
فَقَالَ سُهَيْلٌ: هَذَا يَا مُحَمَّدُ، أَوَّلُ مَا أُقَاضِيكَ عَلَيْهِ أَنْ تَرُدَّهُ إِلَيَّ.
فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: إِنَّا لَمْ نَقْضِ الْكِتَابَ بَعْدُ، قَالَ: فَوَاللَّهِ إِذًا لَمْ أُصَالِحْكَ عَلَى شَيْءٍ أَبَدًا.
قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: فَأَجِزْهُ لِي، قَالَ: مَا أَنَا بِمُجِيزِهِ لَكَ، قَالَ: بَلَى، فَافْعَلْ، قَالَ: مَا أَنَا بِفَاعِلٍ، قَالَ مِكْرَزٌ: بَلْ قَدْ أَجَزْنَاهُ لَكَ.
قَالَ أَبُو جَنْدَلٍ: أَيْ مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ أُرَدُّ إِلَى الْمُشْرِكِينَ، وَقَدْ جِئْتُ مُسْلِمًا، أَلَا تَرَوْنَ مَا قَدْ لَقِيتُ؟!، وَكَانَ قَدْ عُذِّبَ عَذَابًا شَدِيدًا فِي اللَّهِ.

- **علي رضي الله عنه كاتب كتاب الصلح:** روى البراء بن عازب رضي الله عنه قال: «كتب علي بن أبي طالب الصلح بين النبي ﷺ وبين المشركين يوم الحديبية، فكتب: هذا ما كاتب عليه محمد رسول الله، فقالوا: لا تكتب رسول الله، فلو نعلم أنك رسول الله لم نقاتلك، فقال النبي ﷺ لعلي: امحهُ، فقال: ما أنا بالذي أمحاه، **فمحاه النبي ﷺ بيده**، قال: وكان فيما اشترطوا أن يدخلوا مكة فيقيموا بها ثلاثاً، ولا يدخلها بسلاح إلا جلبان السلاح، قلت لأبي إسحق: وما جلبان السلاح؟ قال: القراب وما فيه»[1].

(١) أخرجه مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب صلح الحديبية، ح١٧٨٣.

- **ردود الأفعال حول أثقل الشروط في الصلح**: روى عروة بن الزبير أنه سمع مروان بن الحكم والمسور بن مخرمة يخبران خبراً من خبر رسول الله ﷺ في عمرة الحديبية، فكان فيما أخبرني عروة عنهما «أنه لما كاتب رسول الله ﷺ سهيل بن عمرو يوم الحديبية على قضية المدة، وكان فيما اشترط سهيل بن عمرو أنه قال: لا يأتيك منا أحد، وإن كان على دينك، إلا رددته إلينا، وخليت بيننا وبينه، وأبى سهيل أن يقاضي رسول الله ﷺ إلا على ذلك، فكره المؤمنون ذلك، وامعضوا، فتكلموا فيه.

فلما أبى سهيل أن يقاضي رسول الله ﷺ إلا على ذلك كاتبه رسول الله ﷺ.

فرد رسول الله ﷺ أبا جندل بن سهيل يومئذ إلى أبيه سهيل بن عمرو، ولم يأت رسول الله ﷺ أحد من الرجال إلا رده في تلك المدة، وإن كان مسلماً، **وجاءت المؤمنات مهاجرات**، فكانت أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط ممن خرج إلى رسول الله ﷺ، وهي عاتق، فجاء أهلها يسألون رسول الله ﷺ أن يُرجعها إليهم، حتى أنزل الله تعالى في المؤمنات ما أنزل»[1].

وروي أن عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ قالت: «إن رسول الله ﷺ كان يمتحن من هاجر من المؤمنات بهذه الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾ الممتحنة: ١٢، وعن عمه قال: بلغنا حين أمر الله رسوله ﷺ أن يرد إلى المشركين ما أنفقوا على من هاجر من أزواجهم»[2].

وروى أبو وائل قال: «لما قدم سهل بن حنيف من صفين أتيناه نستخبره، فقال: **اتهموا الرأي**، فلقد رأيتني يوم أبي جندل، ولو أستطيع أن أردَّ على رسول الله ﷺ أمره لرددت، والله ورسوله أعلم»[3].

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة الحديبية، ح ٣٩٤٥.

(٢) السابق ح ٣٩٤٦.

(٣) السابق ح ٣٩٥٣، وقد ذكر الدكتور صالح رضا في **كتابه النافع: إنها النبوة**، العديد من الفوائد القريبة والبعيدة التي تحصَّل عليها المسلمون ببركة هذا الصلح، فانظرها عنده ص٤٣٠، **لتدرك كيف أن الخيرة فيما اختار الله تعالى.**

- **خاتمة المشـــهد بالحلق والتقصير:** روى عبد اللـــه بن عمر رضي الله عنهما قال: «قال خرجنا مع النبي ﷺ، فحال كفار قريش دون البيت، فنحر النبي ﷺ هداياه، وحلق وقصَّر أصحابه»[1].

- **عمر رضي الله عنه وموقفه من الصلـــح:** «... قَالَ: فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّاب: فَأَتَيْتُ نَبِيَّ اللَّه ﷺ، فَقُلْتُ: **أَلَسْـــتَ نَبِيَّ اللَّه حَقًّا؟ قَالَ: بَلَى، قُلْتُ: أَلَسْنَا عَلَى الْحَقِّ وَعَدُوُّنَا عَلَى الْبَاطِلِ؟ قَالَ: بَلَى، قُلْتُ: فَلِمَ نُعْطِي الدَّنِيَّةَ فِي دِينِنَا إِذًا؟**

قَالَ: إِنِّي رَسُولُ اللَّه، وَلَسْتُ أَعْصِيه وَهُوَ نَاصِري[2]، قُلْتُ: أَوَلَيْسَ كُنْتَ تُحَدِّثُنَا أَنَّا سَنَأْتِي الْبَيْتَ فَنَطُوفُ به؟ قَالَ: بَلَى، **فَأَخْبَرْتُكَ أَنَّا نَأْتِيه الْعَامَ؟**

قَالَ: قُلْتُ لَا، قَالَ: فَإِنَّكَ آتِيه وَمُطَوِّفٌ به.

قَالَ: فَأَتَيْتُ أَبَا بَكْر، فَقُلْـــتُ: يَا أَبَا بَكْر، أَلَيْسَ هَذَا نَبِيَّ اللَّه حَقًّا؟ قَالَ: بَلَى، قُلْتُ: أَلَسْنَا عَلَى الْحَقِّ وَعَدُوُّنَا عَلَى الْبَاطِلِ؟ قَالَ: بَلَى، قُلْتُ: فَلِمَ نُعْطِي الدَّنِيَّةَ فِي دِينِنَا، إِذًا قَالَ: أَيُّهَا الرَّجُلُ إِنَّهُ لَرَسُـــولُ اللَّه ﷺ وَلَيْسَ يَعْصِي رَبَّهُ وَهُوَ نَاصِرُهُ فَاسْتَمْسِـــكْ بِغَرْزِه، فَوَاللَّه إِنَّهُ عَلَى الْحَقِّ.

قُلْتُ: أَلَيْسَ كَانَ يُحَدِّثُنَا أَنَّا سَنَأْتِي الْبَيْتَ وَنَطُوفُ بِهِ؟ قَالَ: بَلَى، أَفَأَخْبَرَكَ أَنَّكَ تَأْتِيه الْعَامَ؟ قُلْتُ: لَا، قَالَ: فَإِنَّكَ آتِيه وَمُطَوِّفٌ به.

قَالَ الزُّهْرِيُّ: قَالَ عُمَرُ: فَعَمِلْتُ لِذَلِكَ أَعْمَالًا.

وفي رواية قال عمر رضي الله عنه: «ما زلت أصوم وأتصدق وأعتق من الذي صنعت مخافة كلامي الذي تكلمت به يومئذ حتى رجوت أن يكون خيراً»[3].

- **التكليف بالنحر والتحلل:** «... قالَ: فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ قَضِيَّةِ الْكِتَابِ، قَالَ رَسُـــولُ اللَّه ﷺ لِأَصْحَابِـــه: قُومُوا فَانْحَرُوا، ثُمَّ احْلِقُوا، قَالَ: فَوَاللَّه مَا قَامَ مِنْهُمْ رَجُلٌ حَتَّى قَالَ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَلَمَّا لَمْ يَقُمْ مِنْهُمْ أَحَدٌ دَخَلَ عَلَى أُمِّ سَلَمَةَ فَذَكَرَ لَهَا مَا لَقِيَ مِنَ النَّاسِ.

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة الحديبية، ح ٣٩٤٩.

(٢) لقد أظهر الصحابة كلهم استغرابهم من هذا الشرط فقالوا: يا رسول الله تكتب هذا؟!، قال: نعم، **إنه مَن ذهب إليهم فأبعده الله، ومن جاءنا منهم سيجعل الله له فرجاً ومخرجاً**» أخرجه مسلم، كتاب الجهاد، ح ٩٣.

(٣) أخرجه أحمد ٤/ ٢٣٥، بإسناد قال فيه الدكتور العمري في السيرة النبوية الصحيحة بأنه حسن.

فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، أَتُحِبُّ ذَلِكَ؛ اخْرُجْ، ثُمَّ لَا تُكَلِّمْ أَحَدًا مِنْهُمْ كَلِمَةً حَتَّى تَنْحَرَ بُدْنَكَ، وَتَدْعُوَ حَالِقَكَ فَيَحْلِقَكَ، فَخَرَجَ فَلَمْ يُكَلِّمْ أَحَدًا مِنْهُمْ حَتَّى فَعَلَ ذَلِكَ نَحَرَ بُدْنَهُ[1] وَدَعَا حَالِقَهُ فَحَلَقَهُ، فَلَمَّا رَأَوْا ذَلِكَ قَامُوا فَنَحَرُوا وَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يَحْلِقُ بَعْضًا حَتَّى كَادَ بَعْضُهُمْ يَقْتُلُ بَعْضًا غَمًّا.

- **حكايـة المؤمنات المهاجرات:** «... ثُمَّ جَاءَهُ نِسْوَةٌ مُؤْمِنَاتٌ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ ۖ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ ۖ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ۖ وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُواْ ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۚ وَلَا تُمْسِكُواْ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ وَسْـَٔلُواْ مَآ أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْـَٔلُواْ مَآ أَنفَقُواْ ۚ ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ ۖ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ الممتحنة: ١٠ فَطَلَّقَ عُمَرُ يَوْمَئِذٍ امْرَأَتَيْنِ كَانَتَا لَهُ فِي الشِّرْكِ، فَتَزَوَّجَ إِحْدَاهُمَا مُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ، وَالْأُخْرَى صَفْوَانُ بْنُ أُمَيَّةَ.
- **قصـة أبي بصير:** «... ثُمَّ رَجَعَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى الْمَدِينَةِ فَجَاءَهُ أَبُو بَصِيرٍ رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ وَهُوَ مُسْلِمٌ، فَأَرْسَلُوا فِي طَلَبِهِ رَجُلَيْنِ، فَقَالُوا: الْعَهْدَ الَّذِي جَعَلْتَ لَنَا فَدَفَعَهُ إِلَى الرَّجُلَيْنِ، فَخَرَجَا بِهِ حَتَّى بَلَغَا ذَا الْحُلَيْفَةِ، فَنَزَلُوا يَأْكُلُونَ مِنْ تَمْرٍ لَهُمْ.

فَقَالَ أَبُو بَصِيرٍ لِأَحَدِ الرَّجُلَيْنِ: **وَاللَّهِ إِنِّي لَأَرَى سَيْفَكَ هَذَا يَا فُلَانُ جَيِّدًا فَاسْتَلَّهُ الْآخَرُ، فَقَالَ: أَجَلْ وَاللَّهِ إِنَّهُ لَجَيِّدٌ، لَقَدْ جَرَّبْتُ بِهِ ثُمَّ جَرَّبْتُ، فَقَالَ أَبُو بَصِيرٍ: أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْهِ فَأَمْكَنَهُ مِنْهُ، فَضَرَبَهُ حَتَّى بَرَدَ.**

وَفَرَّ الْآخَرُ حَتَّى أَتَى الْمَدِينَةَ، فَدَخَلَ الْمَسْجِدَ يَعْدُو، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ رَآهُ: لَقَدْ رَأَى هَذَا ذُعْرًا، فَلَمَّا انْتَهَى إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: **قُتِلَ وَاللَّهِ صَاحِبِي وَإِنِّي لَمَقْتُولٌ.**

فَجَاءَ أَبُو بَصِيرٍ، فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، قَدْ وَاللَّهِ أَوْفَى اللَّهُ ذِمَّتَكَ، قَدْ رَدَدْتَنِي إِلَيْهِمْ، ثُمَّ أَنْجَانِي اللَّهُ مِنْهُمْ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **وَيْلُ أُمِّهِ مِسْعَرَ حَرْبٍ لَوْ كَانَ لَهُ أَحَدٌ**، فَلَمَّا سَمِعَ ذَلِكَ عَرَفَ أَنَّهُ سَيَرُدُّهُ إِلَيْهِمْ، فَخَرَجَ حَتَّى أَتَى سِيفَ الْبَحْرِ.

---

(١) كان عدد ما نحره المسلمون من الإبل سبعين، كل بدنة عن سبعة، **وقد نحر الرسول ﷺ جملاً كان لأبي جهل غنمه المسلمون ببدر ليغيظ بذلك المشركين**، وقد نحر الهدي في الحديبية في الحل لكن بعض الهدي دخل به ناجية بن جندب منطقة الحرم فنحره، وهكذا تحلل المسلمون من عمرتهم وشُرع للمحصر التحلل، وأنه لا يلزمه القضاء، وانظر السيرة النبوية الصحيحة للدكتور العمري ص٥٠٠.

قَالَ: وَيَنْفَلتُ مِنْهُمْ أَبُو جَنْدَل بْنُ سُهَيْلٍ فَلَحِقَ بِأَبِي بَصِيرٍ، فَجَعَلَ لَا يَخْرُجُ مِنْ قُرَيْشٍ رَجُلٌ قَدْ أَسْلَمَ إِلَّا لَحِقَ بِأَبِي بَصِيرٍ حَتَّى اجْتَمَعَتْ مِنْهُمْ عِصَابَةٌ، فَوَاللَّهِ مَا يَسْمَعُونَ بِعِيرٍ خَرَجَتْ لِقُرَيْشٍ إِلَى الشَّأْمِ إِلَّا اعْتَرَضُوا لَهَا، فَقَتَلُوهُمْ وَأَخَذُوا أَمْوَالَهُمْ. فَأَرْسَلَتْ قُرَيْشٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ تُنَاشِدُهُ بِاللَّهِ وَالرَّحِمِ لَمَّا أَرْسَلَ، فَمَنْ أَتَاهُ فَهُوَ آمِنٌ فَأَرْسَلَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَيْهِمْ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٢٤﴾ هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْهَدْىَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُۥ ۚ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَـُٔوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ لَوْ تَزَيَّلُوا۟ لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٥﴾ إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٢٦﴾﴾ الفتح: ٢٤ - ٢٦

وكَانَتْ حَمِيَّتُهُمْ أَنَّهُمْ لَمْ يُقِرُّوا أَنَّهُ نَبِيُّ اللَّهِ، وَلَمْ يُقِرُّوا بِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، وَحَالُوا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْبَيْتِ»(١).

- **منزلة من شهد الحديبية:** روى جابر رضي الله عنه «أن عبداً لحاطب جاء رسول الله ﷺ يشكو حاطباً، فقال يا رسول الله: ليدخلن حاطب النار، فقال رسول الله ﷺ: **كذبت، لا يدخلها، فإنه شهد بدراً والحديبية**»(٢).

وروى جابر بن عبد الله أيضاً قال: أخبرتني أم مبشر أنها سمعت النبي ﷺ يقول عند حفصة: «لا يدخل النار إن شاء الله من أصحاب الشجرة أحد الذين بايعوا تحتها، قالت: بلى يا رسول الله، فانتهرها، فقالت حفصة: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾﴾ مريم: ٧١ فقال النبي ﷺ: قد قال الله عز وجل: ﴿ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾﴾ مريم: ٧٢ (٣).

- **في طريق العودة:** روى عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: «لما انصرفنا من غزوة الحديبية، قال رسول الله ﷺ: «من يحرسنا الليلة؟ «قال عبد الله: فقلت: أنا، فقال: «إنك تنام»،

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد، ح٢٧٣١.

(٢) أخرجه مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أهل بدر، ح٢٤٩٥.

(٣) أخرجه مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أصحاب الشجرة، ح٢٤٩٦.

ثم أعاد: «من يحرسنا الليلة؟ «فقلت: أنا، حتى عاد مراراً، قلت: أنا يا رسول الله، قال: «فأنت إذاً»، قال: فحرستهم، حتى إذا كان وجه الصبح، أدركني قول رسول الله ﷺ: «إنك تنام»، فنمت، فما أيقظنا إلا حرُّ الشمس في ظهورنا، فقام رسول الله ﷺ، وصنع كما كان يصنع من الوضوء، وركعتي الفجر، ثم صلى بنا الصبح، فلما انصرف، **قال: «إن الله عز وجل، لو أراد ألا تناموا عنها، لم تناموا، ولكن أراد أن تكونوا لمن بعدكم (عبرة أو أسوة في رفع الحرج عن النائم)، فهكذا لمن نام أو نسي»**.

قال: ثم إن ناقة رسول الله ﷺ، وإبل القوم تفرقت، فخرج الناس في طلبها، فجاءوا بإبلهم، إلا ناقة رسول الله ﷺ، فقال عبد الله: قال لي رسول الله ﷺ: «خذ ههنا»، فأخذت حيث قال لي، فوجدت زمامها قد التوى على شجرة، ما كانت لتحلها إلا يد، قال: فجئت بها النبي ﷺ، فقلت: يا رسول الله، والذي بعثك بالحق نبياً، لقد وجدت زمامها ملتوياً على شجرة، ما كانت لتحلها إلا يد، قال: ونزلت على رسول الله ﷺ سورة الفتح: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١﴾ الفتح: ١ [1].

- **من نتائج الصلح:** روى مُحَمَّدُ بْنُ مُسْلِمِ بْنِ شِهَابٍ الزُّهْرِيُّ، وَغَيْرُهُ، قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَدْ صَالَحَ قُرَيْشًا عَامَ الْحُدَيْبِيَةِ عَلَى أَنَّهُ مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَدْخُلَ فِي عَقْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَعَهْدِهِ دَخَلَ فِيهِ، وَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يَدْخُلَ فِي عَقْدِ قُرَيْشٍ وَعَهْدِهِمْ دَخَلَ فِيهِ. فَتَوَاثَبَتْ خُزَاعَةُ وَبَنُو كَعْبٍ وَغَيْرُهُمْ مَعَهُمْ، فَقَالُوا: نَحْنُ فِي عَقْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَعَهْدِهِ، وَتَوَاثَبَتْ بَنُو بَكْرٍ، فَقَالُوا: نَحْنُ فِي عَقْدِ قُرَيْشٍ وَعَهْدِهِمْ، **وَقَامَتْ قُرَيْشٌ عَلَى الْوَفَاءِ بِذَلِكَ سَنَةً وَبَعْضَ سَنَةٍ**»[2].
- **نزول سورة الفتح:** وفي طريق العودة إلى المدينة نزلت سورة الفتح، وفيها قال النبي ﷺ: «أنزلت عليَّ الليلة سورة لهي أحب إليَّ مما طلعت عليه الشمس»[3].

---

(١) أخرجه أحمد ١/ ٣٩١، وذكره الشيخ إبراهيم العلي في صحيح أسباب النزول برقم: ٢٧٦، وقال: إسناده صحيح.

(٢) ذكره الشيخ ابراهيم العلي في صحيح السيرة برقم ٥٤٣، وهو عند البيهقي في السنن الكبرى برقم ١٧٣٣٤، وقد ذكر الدكتور أكرم العمري أن الصلح لم يدم أكثر من ثمانية عشر شهراً حيث نقضته قريش يوم أعانت حلفاءها من بني بكر ضد حلفاء النبي ﷺ من بني خزاعة على ماء الوتير قريباً من مكة، وانظر السيرة النبوية الصحيحة ص٥٠٧.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب فضل سورة الفتح، ح ٤٧٢٥.

وروى أنس بن مالك رضي الله عنه قال: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١﴾ الفتح: ١، الحديبية، قال أصحابه: هنيئاً مريئاً، فما لنا؟ فأنزل الله: ﴿هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُّؤْمِنَاتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَئُوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ لِّيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۝٢٥﴾ الفتح: ٢٥ (١).

- **تكريم بأثر رجعي:** روى زيد بن أسلم عن أبيه قال: «خرجتُ مع عمر ابن الخطاب رضي الله عنه إلى السوق فلحقت عمر امرأة شابة، فقالت يا أمير المؤمنين: هلك زوجي وترك صبية صغاراً، والله ما ينضجون كراعاً ولا لهم زرع ولا ضرع، وخشيت أن تأكلهم الضبع، وأنا بنت خفاف بن إيماء الغفاري، **وقد شهد أبي الحديبية مع النبي** صلى الله عليه وسلم، فوقف معها عمر ولم يمض، ثم قال: مرحباً بنسب قريب ثم انصرف إلى بعير ظهير كان مربوطاً في الدار فحمل عليه غرارتين ملأهما طعاماً وحمل بينهما نفقة وثياباً، ثم ناولها بخطامه، ثم قال: اقتاديه فلن يفنى حتى يأتيكم الله بخير، فقال رجل يا أمير المؤمنين: أكثرت لها، قال عمر: ثكلتك أمك، والله إني لأرى أبا هذه وأخاها قد حاصرا حصناً زماناً فافتتحاه، ثم أصبحنا نستفيء سهمانهما فيه»(٢).
- **ومما تتابع من الأحداث السريعة في طريق العودة للمدينة بعد الصلح:**
- **مطاردة سلمة بن الأكوع لنفر من المشركين:** روى سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قال: «... **ثم إن المشركين راسلونا الصلح، حتى مشى بعضنا في بعض، واصطلحنا،** قال: وكنت تبيعاً لطلحة بن عبيد الله اسقي فرسه، وأحرسه، وأخدمه وآكل من طعامه، وتركت أهلي ومالي، مهاجراً الى الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، قال: فلما اصطلحنا نحن وأهل مكة، واختلط بعضنا ببعض، أتيت شجرة فكسحت شوكها، فأضجعت في أصلها، قال: **فأتاني أربعة من المشركين من أهل مكة، فجعلوا يقعون في رسول الله** صلى الله عليه وسلم، **فأبغضتهم**، فتحولتُ إلى شجرة أخرى، وعلقوا سلاحهم، واضطجعوا، فبينما هم كذلك إذ نادى منادي من أسفل الوادي: يا للمهاجرين! قتل ابن زنيم.

(١) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة الحديبية، ح ٣٩٣٩.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب صلح الحديبية، ح ٤١٦٠، ولم يعرف ابن حجر هذا الحصن وقال بأنه يميل إلى كونه من حصون خيبر.

قال: فاخترطتُ سيفي، ثم شددت على أولئك الأربعة وهم رقود، فأخذت سلاحهم، فجعلتـه ضغثاً في يدي، قال: ثم قلت: **والذي كرَّم وجـه محمد لا يرفع أحد منكم** رأسه إلا ضربت الذي فيه عيناه، قال: ثم جئت بهم أسوقهم إلى رسول الله ﷺ.

قال: وجاء عمي عامر برجل من العبلات يقال له مكرز يقوده إلى رسـول الله ﷺ على فرس مجفف، في سـبعين من المشركين، فنظر إليهم رسـول الله ﷺ فقال (دعوهـم، يكن لهم بـدء الفجور وثناه)، فعفا عنهم رسـول الله ﷺ، وأنزل الله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٢٤﴾﴾ الفتح: ٢٤

- **وقفة في تفسير هذه الآية:** قال الإمام الرازي: «تبيينا لما تقدم من قوله: (ولو قاتلكم الذيـن كفروا لولوا الأدبـار) أي هو بتقدير الله؛ لأنه كـف أيديهم عنكم بالفرار، وأيديكم عنهم بالرجوع عنهم وتركهم، وقوله تعالى: (ببطن مكة) إشـارة إلى أمر كان هناك يقتضي عدم الكف، ومع ذاك وجد كف الأيدي، وذلك الأمر هو دخول المسـلمين ببطن مكة، فـإن ذلك يقتضي أن يصبر المكفـوف على القتال لكون العدو دخل دارهم طالبين ثأرهـم، وذلك مما يوجب اجتهاد البليد في الذب عن الحريم، ويقتضي أن يبالغ المسـلمون في الاجتهاد في الجهاد لكونهم لو قصروا لكسروا وأسروا لبعد مأمنهم، فقوله: (ببطن مكة) إشارة إلى بعد الكف، ومع ذلك وجد بمشيئة الله تعالى، وقوله تعالى: (من بعد أن أظفركم عليهم) صالح لأمرين: أحدهـما: أن يكون منةً على المؤمنـين بأن الظفر كان لكم، مـع أن الظاهر كان يستدعي كون الظفر لهم؛ لكون البلاد لهم، ولكثرة عددهم، الثاني: أن يكون ذكر أمريـن مانعين مـن الأمرين الأولين، مع أن الله حققهما مـع المنافقين، أما كف أيدي الكفار فكان بعيداً؛ لكونهـم في بلادهم ذابين عن أهليهم وأولادهم، وإليه أشار بقوله: (ببطن مكة)، وأما كف أيدي المسلمين، فلأنه كان بعد أن ظفروا بهم، ومتى ظفر الإنسـان بعدوه الذي لو ظفر هو به لاستأصله يبعد انكفافه عنه، مع أن الله كف اليدين»[1].

---

(١) تفسير مفاتيح الغيب، الإمام الرازي، ١٠/ ٥٠.

- **إتمام المسير والتحفيز النبوي:** قال (سلمة): «... ثم خرجنا راجعين إلى المدينة، فنزلنا منزلاً، بيننا وبين بني لحيان جبل، وهم المشركون، فاستغفر رسول الله ﷺ لمن رقي هذا الجبل الليلة، كأنه طليعة للنبي ﷺ وأصحابه.
قال سلمة: فرقيت تلك الليلة مرتين أو ثلاثاً.
- **(غزوة ذا قرد) الرد على غارة عبد الرحمن الفزاري وملاحقته:** قال سلمة رضي الله عنه: «... ثم قدمنا المدينة، فبعث رسول الله ﷺ بظهره مع رباح غلام رسول الله ﷺ، وأنا معه، وخرجت معه بفرس طلحة، أنديه مع الظهر، فلما أصبحنا إذا عبد الرحمن الفزاري قد أغار على ظهر رسول الله ﷺ، فاستاقه أجمع، وقتل راعيه، قال فقلت: يا رباح! خذ هذا الفرس فأبلغه طلحة بن عبيد الله، وأخبر رسول الله ﷺ أن المشركين قد أغاروا على سرحه.
قال: ثم قمت على أكمة **فاستقبلت المدينة، فناديت ثلاثاً: يا صباحاه!** ثم خرجت في آثار القوم أرميهم بالنبل، وأرتجز أقول:

أنا ابن الأكوع * واليوم يوم الرُّضع

فألحق رجلاً منهم، فأصكُّ سهماً في رحله، حتى خلص نصل السهم إلى كتفه، قال قلت: خذها وأنا ابن الأكوع * واليوم يوم الرُّضع
قال: فو الله! ما زلت أرميهم وأعقر بهم، فإذا رجع إلى فارس أتيت شجرة فجلست في أصلها، ثم رميته، فعقرت به، حتى إذا تضايق الجبل دخلوا في تضايقه، علوت الجبل، فجعلت أرديهم بالحجارة، قال: فما زلت كذلك، تبعهم حتى ما خلق الله من بعير من ظهر رسول الله ﷺ إلا خلفته وراء ظهري، وخلوا بيني وبينه، ثم لتبعتهم أرميهم، حتى ألقوا أكثر من ثلاثين بردة وثلاثين رمحاً، يستخفون، **ولا يطرحون شيئاً إلا جعلت عليه أراماً من الحجارة يعرفها رسول الله ﷺ وأصحابه،** حتى إذا أتوا متضايقاً من ثنية فإذا هم قد أتاهم فلان بن بدر الفزاري، فجلسوا يتضحون (يعني يتغدون)، وجلست على رأس قرن، قال الفزاري: ما هذا الذي أرى؟ قالوا: لقينا من هذا البرح، والله! ما فارقنا منذ غلس يرمينا حتى انتزع كل شيء في أيدينا.
قال: فليقم إليه نفر منكم أربعة، قال: فصعد إليَّ منهم أربعة في الجبل، قال: فلما أمكنوني من الكلام قال قلت: هل تعرفوني؟ قالوا: لا، ومن أنت؟ قال قلت: أنا

سلمة بن الأكوع، **والذي كرَّم وجه محمد ﷺ لا أطلب رجلاً منكم إلا أدركته، ولا يطلبني رجل منكم فيدركني.**

قال أحدهم: أنا أظن، قال: فرجعوا.

- **مدد جيش رسول الله ﷺ:** «... فما برحت مكاني حتى رأيت فوارس رسول الله ﷺ يتخللون الشجر، قال: فإذا أولهم الأخرم الأسدي، على إثره أبو قتادة الأنصاري، وعلى إثره المقداد بن الأسود الكندي.

قال: فأخذت بعنان الأخرم، قال: فولوا مدبرين، قلت: يا أخرم! **احذرهم، لا يقتطعوك حتى يلحق رسول الله ﷺ وأصحابه، قال: يا سلمة! إن كنت تؤمن بالله واليوم الآخر، وتعلم أن الجنة حق والنار حق، فلا تحُل بيني وبين الشهادة،** قال: فخليته، فالتقى هو وعبد الرحمن (الفزاري)، قال: فعقر بعبد الرحمن فرسه، وطعنه عبد الرحمن فقتله، وتحول على فرسه، ولحق أبو قتادة فارس رسول الله ﷺ بعبد الرحمن فطعنه فقتله.

- **ملاحقة على الأرجل:** «... **فو الذي كرَّم وجه محمد ﷺ** أتبعتهم أعدو على رجلي حتى ما أرى ورائي من أصحاب محمد ﷺ ولا غبارهم شيئاً، حتى يعدلوا قبل غروب الشمس **إلى شِعب فيه ماء، يقال له ذا قرد ليشربوا منه**[1]، وهم عطاش قال:

---

(١) وفزارة والغابة وذي القرد كلها أسماء لغزوة واحدة كانت تهدف الرد على فرع من فروع غطفان حاولوا الاعتداء على لقاح النبي ﷺ.

فقد هجم عبد الرحمن بن عيينة بن حصن الفزاري مع مجموعة من قبيلته على لقاح رسول الله ﷺ في الغابة (شمال المدينة المنورة بل أصبح جزءًا منها حاليًا) وتعتبر هذه الغزوة أول غزوة غزاها رسول الله ﷺ بعد الحديبية وقد ربط تاريخها بغزوة خيبر فقد ذكر البخاري في ترجمة لها أنها كانت قبل خيبر بثلاث - أي بثلاث ليال - وسار رسول الله - ﷺ- حتى بلغ ذا قرد في اتجاه خيبر فالتجأ العدو إلى بني غطفان.

روى سلمة قال: حدثني أبي قال غزونا فزارة وعلينا أبو بكر أمره رسول الله ﷺ علينا فلما كان بيننا وبين الماء ساعة أمرنا أبو بكر فعرسنا ثم شن الغارة فورد الماء فقتل من قتل عليه وسبى وأنظر إلى عنق من الناس فيهم الذراري فخشيت أن يسبقوني إلى الجبل فرميت بسهم بينهم وبين الجبل فلما رأوا السهم وقفوا فجئت بهم أسوقهم وفيهم امرأة من بني فزارة عليها قشع من آدم قال القشع النطع معها ابنة لها من أحسن العرب فسقتهم حتى أتيت بهم أبا بكر **فنفلني أبو بكر ابنتها فقدمنا المدينة وما كشفت لها ثوبا فلقيني رسول الله ﷺ في السوق، فقال: يا سلمة هب لي المرأة فقلت: يا رسول الله والله لقد أعجبتني وما كشفت لها ثوبا ثم لقيني رسول الله ﷺ من الغد في السوق، فقال لي يا سلمة هب لي المرأة لله أبوك فقلت: هي لك يا رسول الله فوالله ما كشفت لها ثوبا، فبعث بها رسول الله ﷺ إلى أهل مكة ففدى بها ناساً من المسلمين كانوا أسروا بمكة»** أخرجه مسلم، كتاب الجهاد، باب التنفيل، ح٤٥٤٨».

فنظروا إليَّ أعدو ورائهم فحليتهم عنه (يعني أجليتهم عنه) فما ذاقوا منه قطرة قال: ويخرجون فيشتدون في ثنية قال: فأعدوا فألحق رجلاً منهم فأصكه بسهم في نغض كتفه قال قلت:

خذها وأنا ابن الأكوع، واليوم يوم الرُّضع.

قال: يا ثكلتة أمه! أكوعه بكرة، قال قلت: نعم يا عدو نفسه! أكوعك بكرة.

- **العودة إلى القائد:** «... وأردوا فرسين على ثنية قال: فجئت بهما أسوقهما الى رسول الله ﷺ قال: ولحقني عامر بسطيحة فيها مذقة من لبن، وسطيحة فيها ماء، فتوضأت وشربت، ثم أتيت رسول الله ﷺ وهو على الماء الذي حلاتهم منه، فإذا رسول الله ﷺ قد أخذ تلك الإبل وكل شيء استنقذته من المشركين، وكل رمح وبردة، وإذا بلال نحر ناقة من الإبل الذي استنقذت من القوم، وإذا هو يشوي لرسول الله ﷺ من كبدها وسنامها.
- قال قلت: يا رسول الله! **خلني، فانتخِبْ من القوم مائة رجل، فأتبع القوم فلا يبقى منهم مخبر إلا قتلته، قال: فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه في ضوء النهار.**

فقال: (يا سلمة! أتراك كنت فاعلاً؟) قلت: نعم، والذي أكرمك! فقال: (إنهم الآن ليقرون في أرض غطفان) قال: فجاء رجل من غطفان فقال: نحر لهم جزوراً، فلما كشفوا جلدها رأوا غبارا، فقالوا: أتاكم القوم، فخرجوا هاربين.

- **التعزيز النبوي الكريم:** «...فلما أصبحنا قال رسول الله ﷺ: **(كان خير فرساننا اليوم أبو قتادة، وخير رَجَّالتنا سلمة)** قال: ثم أعطاني رسول الله ﷺ سهمين: سهم الفارس وسهم الراجل، **فجمعهما لي جميعاً**، ثم أردفني رسول الله ﷺ وراءه على العضباء، راجعين إلى المدينة.
- **سباق إلى المدينة:** «... فبينما نحن نسير قال: وكان رجل من الأنصار لا يُسبق شداً، قال: فجعل يقول: ألا مسابق إلى المدينة؟ هل من مسابق؟ فجعل يعيد ذلك، قال: فلما سمعت كلامه قلت: **أما تُكرم كريماً، ولا تهاب شريفاً؟** قال: لا، إلا أن يكون رسول الله ﷺ، قال قلت: يا رسول الله! بأبي أنت وأمي! ذرني

فلأسابق الرجل، قال: (إن شئت) قال قلت: أذهب إليك، وثنيت رجلي فطفرت فعدوت، قال: فربطت عليه شرفاً أو شرفين أستبقي نفسي، ثم عدوت في إثره، فربطت عليه شرفاً أو شرفين، ثم إني رفعت حتى ألحقه قال فأصكه بين كتفيه[1]، قال قلت: قد سبقت والله! قال: أنا أظن قال: **فسبقته إلى المدينة، قال: فو الله! ما لبثنا إلا ثلاث ليال حتى خرجنا إلى خيبر مع رسول الله ﷺ**»[2]

ثانياً: مخاطبة الملوك[3]:

استثمر النبي ﷺ الهدنة بينه وبين قريش بالعديد من الأمور ومنها مخاطبته للملوك، ولقد تحول النبي ﷺ هنا من التشابك العسكري مع قريش إلى التشابك السياسي مع سواهم، ومن الملوك الذين وجَّه النبي ﷺ إليهم رسائله:

- **كسرى، وقيصر، والنجاشي:** روى أنس رضي الله عنه «أن نبي الله ﷺ كتب إلى كسرى وإلى قيصر وإلى النجاشي وإلى كل جبار يدعوهم إلى الله تعالى **وليس بالنجاشي الذي صلى عليه النبي ﷺ**»[4].
- **التزام النبي ﷺ بالأعراف العامة في الرسائل:** لما أراد النبي ﷺ أن يكتب إلى الروم قيل له: «**إنهم لن يقرأوا كتابك إذا لم يكن مختوماً، فاتخذ خاتماً من فضة ونقشه: محمد رسول الله**»[5].

---

(١) قال الإمام النووي في شرحه لهذا الحديث: قوله: فطفرت: أي وثبت وقفزت، وقوله: فربطت عليه شرفاً أو شرفين أستبقي نفسي، معنى ربطت حبست نفسي عن الجري الشديد، والشرف: ما ارتفع من الأرض، وقوله: أستبقي نفسي، بفتح الفاء أي لئلا يقطعني، البهر، وفي هذا دليل لجواز المسابقة على الأقدام، وهو جائز بلا خلاف إذا تسابقا بلا عوض، فإن تسابقا على عوض ففي صحتها خلاف، الأصح عند أصحابنا: لا تصح، وانظر تعليق النووي في المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج على هذا الحديث.

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الجهاد، باب غزوة ذي قرد وغيرها، ح٤٦٥٤.

(٣) وقع شيء من الخلاف بين علماء السيرة حول التوقيت الذي أرسل فيه النبي ﷺ هذه الكتب مخاطباً الملوك فمنهم من قال: بأنها كانت في سنة ست من الهجرة، ومنهم من قال في سنة سبع، ومنهم من ذكرها بعد ذلك، وجاء في ترتيب البخاري أنها كانت في سنة تسع، **وقد وجه العلماء ذلك بأن البخاري لم يكن معتنياً بشكل حثيث في ترتيب الأحداث عند ذكره لها بقدر اعتنائه بثبوت رواياتها**، وهذا ما استنتجه ابن حجر رحمه الله، وانظر فتح الباري ١/ ٣٩.

(٤) أخرجه مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب كتب النبي ﷺ إلى الملوك، ح١٧٧٤.

(٥) أخرجه البخاري، كتاب اللباس، باب اتخاذ الخاتم ليختم به الشيء، ح ٥٥٣٧.

رسالة النبي ﷺ إلى هرقل عظيم الروم:

روى ابـــن عباس رضي الله عنهما قال: **حدثني أبو ســفيان مــن فيه إلى فيَّ** قال: «انطلقتُ في المدة التي كانت بيني وبين رســول الله ﷺ، قال: فبينا أنا بالشأم إذ جيء بكتاب من النبي ﷺ إلى هرقل.

قال: وكان دحية الكلبي جــاء به فدفعه إلى عظيم بصرى فدفعه عظيم بصرى إلى هرقل.

هرقــل يريد التحقــق: «... قال: فقال هرقل: هل ها هنــا أحد من قوم هذا الرجل الــذي يزعم أنه نبي؟ فقالوا: نعم، قال: فدُعيــت في نفر من قريش، فدخلنا على هرقل، فأجلســنا بين يديه، فقال: أيكم أقرب نســباً من هذا الرجل الذي يزعم أنه نبي؟

فقال أبو سفيان: فقلت أنا، فأجلسوني بين يديه، وأجلسوا أصحابي خلفي، ثم دعا بترجمانه، فقال: **قل لهم إني ســائل هذا عن هذا الرجــل الذي يزعم أنه نبي، فإن كذبني فكذِّبوه.**

قال أبو سفيان: وايمُ الله لولا أن يؤثروا عليَّ الكذب لكذبت.

بداية الأسئلة الذكية وما يقابلها من إجابات حذرة: «... ثم قال لترجمانه سله كيف حســبُه فيكم؟ قال: قلت: هو فينا ذو حســب، قال: فهل كان من آبائه ملِك؟ قال قلت: لا.

قال: فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟

قلت: لا.

قال: أيتبعه أشراف الناس أم ضعفاؤهم؟

قال قلت: بل ضعفاؤهم.

قال: يزيدون أو ينقصون؟

قال قلت: لا بل يزيدون.

قال: هل يرتد أحد منهم عن دينه بعد أن يدخل فيه، سخطة له؟

قال قلت: لا.

قال: فهل قاتلتموه؟

قال قلت: نعم.

قال: فكيف كان قتالكم إياه؟

قال قلت: تكون الحرب بيننا وبينه سجالاً، يصيب منا ونصيب منه.

قال: فهل يغدر؟

قال قلت: لا، ونحن منه في هذه المدة لا ندري ما هو صانع فيها.

قال: والله ما أمكنني من كلمة أدخل فيها شيئاً غير هذه.

قال: فهل قال هذا القول أحد قبله؟

قلت: لا.

- **تعليق هرقل، وتأكيده لنبوة سيدنا محمد ﷺ:** «... ثم قال لترجمانه قل له: إني سألتك عن حَسَبه فيكم، فزعمتَ أنه فيكم ذو حسب، وكذلك الرسل تبعث في أحساب قومها.

وسألتك هل كان في آبائه ملِك، فزعمتَ أن لا، فقلت: لو كان من آبائه ملِك قلت رجل يطلب مُلك آبائه.

وسألتك عن أتباعه أضعفاؤهم أم أشرافهم، فقلتَ: بل ضعفاؤهم، وهم أتباع الرسل.

وسألتك هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال، فزعمت أن لا، **فعرفتُ أنه لم يكن ليدع الكذب على الناس، ثم يذهب فيكذب على الله.**

وسألتك هل يرتد أحد منهم عن دينه بعد أن يدخل فيه سخطة له، فزعمتَ أن لا، **وكذلك الإيمان إذا خالط بشاشة القلوب.**

وسألتك هل يزيدون أم ينقصون فزعمتَ أنهم يزيدون، وكذلك الإيمان حتى يتم.

وسألتك هل قاتلتموه؟ فزعمتَ أنكم قاتلتموه، فتكون الحرب بينكم وبينه سجالاً ينال منكم وتنالون منه، **وكذلك الرسل تبتلى ثم تكون لهم العاقبة.**

وسألتك هل يغدر؟ فزعمت أنه لا يغدر، وكذلك الرسل لا تغدر.

وسألتك هل قال أحد هذا القول قبله؟ فزعمتَ أن لا، فقلت: لو كان قال هذا

القول أحد قبله قلت: رجل ائتم بقول قيل قبله.

- **هرقل يتابع التحقيق والتدقيق:** «... قال ثم قال: بم يأمركم؟، قال قلت: يأمرنا بالصلاة والزكاة والصلة والعفاف.
- **النتيجة التي توصل إليها هرقل:** «... قال: إن يكُ ما تقول فيه حقاً فإنه نبي، وقد كنت أعلم أنه خارج، **ولم أكُ أظنه منكم**، ولو أني أعلم أني أخلص إليه لأحببتُ لقاءه، **ولو كنت عنده لغسلتُ عن قدميه، وليبلغنَّ مُلكه ما تحت قدميَّ.**

قال: ثم دعا بكتاب رسول الله ﷺ فقرأه، فإذا فيه:

- **صيغة الرسالة النبوية:** «... بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله، إلى هرقل عظيم الروم، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد: فإني أدعوك بدعاية الإسلام، **أسلِم تسلَم**، وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين، **فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين**، ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ آل عمران: ٦٤
- **مواقف مَنْ حول هرقل، وآخر رأيه في الأمر:** «... فلما فرغ من قراءة الكتاب ارتفعت الأصوات عنده، وكثر اللغط، وأُمر بنا فأخرجنا، قال فقلت: لأصحابي حين خرجنا لقد أمِرَ أمْرُ ابن أبي كبشة، إنه ليخافه ملك بني الأصفر.

فما زلتُ موقناً بأمر رسول الله ﷺ أنه سيظهر حتى أدخل الله عليَّ الإسلام.

قال الزهري: فدعا هرقل عظماء الروم فجمعهم في دار له فقال: يا معشر الروم، هل لكم في الفلاح والرشد آخر الأبد، **وأن يثبت لكم ملككم؟** قال: فحاصوا حيصة حمر الوحش إلى الأبواب، فوجدوها قد غُلِّقت، فقال: عليَّ بهم، فدعا بهم فقال: **إني إنما اختبرت شدتكم على دينكم**، فقد رأيت منكم الذي أحببت، فسجدوا له، ورضوا عنه، فكان ذلك آخر شأن هرقل».[1]

- **رسالة النبي ﷺ إلى كسرى ملك الفرس:**

روى ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ «بعث بكتابه إلى كسرى مع عبد الله بن

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب بدء الوحي، باب حديث أبي سفيان عند هرقل، ح ٧.

حذافة السهمي، فأمره أن يدفعه إلى عظيم البحرين، فدفعه عظيم البحرين إلى كسرى، فلما قرأه مزّقه، فحسبت أن ابن المسيب قال: فدعا عليهم رسول الله ﷺ أن يمزقوا كل ممزّق»[1].

- **رسالة النبي ﷺ إلى المقوقس حاكم مصر:**

روى عَبْد الرَّحْمَن بْن عَبْد الْقَارِيِّ، أَنّ رَسُولَ اللَّه ﷺ: «**بَعَثَ حَاطِبَ ابْنَ أَبِي بَلْتَعَةَ** إِلَى الْمُقَوْقِسَ صَاحِبِ الإِسْكَنْدَرِيَّة، فَمَضَى بِكِتَاب رَسُول اللَّه ﷺ إِلَى الْمُقَوْقِسَ **فَقَبَّلَ الْكِتَابَ، وَأَكْرَمَ حَاطِبًا، وَأَحْسَنَ نُزُلَهُ**، وَسَرَّحَهُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَأَهْدَى لَهُ مَعَ حَاطِب كِسْوَةً، وَبَغْلَةً بِسَرْجِهَا، وَخَادِمَتَيْنِ، إِحْدَاهُمَا أُمُّ إِبْرَاهِيمَ، وَأَمَّا الأُخْرَى فَوَهَبَهَا رَسُولُ اللَّه ﷺ لِجَهْم بْن قَيْس الْعَبْدِيِّ، فَهِيَ أُمُّ زَكَرِيَّا بْن جَهْم الَّذِي كَانَ خَلِيفَةَ عَمْرو بْن الْعَاص عَلَى مِصْرَ»[2].

- **وفي هذه الفترة أسلم ثلاثة من صناديد قريش وهم:**

١. خالد بن الوليد رضي الله عنه.

٢. عثمان بن أبي طلحة رضي الله عنه.

٣. عمرو بن العاص رضي الله عنه، وقيل بأنه أسلم على يد النجاشي في الحبشة، فقد روى عمرو بن العاص رضي الله عنه من فيه قال: «**لما انصرفنا من الأحزاب عن الخندق**[3] جمعت رجالاً من قريش كانوا يرون مكاني، ويسمعون مني، فقلت لهم: تعلمون والله إني لأرى أمر محمد يعلو الأمور علواً كبيراً منكراً،

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب كتاب النبي ﷺ إلى كسرى، ح٤٤٢٤، ولقد جاء في الأثر ما يثبت أن الله تعالى مزّق ملكه وشتت شمله، ولم يقم له بعد تلك الحادثة قائمة حتى يومنا هذا.

(٢) أخرجه ابن هشام في السير ٤/ ٢١٦، والبيهقي في الدلائل ٤/ ٣٩٥، وذكره الشيخ ابراهيم العلي في صحيح السيرة برقم ٦٣٢، وقال بأنه يرتقي إلى درجة الحسن، على الرغم من أن الدكتور أكرم العمري ينفي ثبوت كتب النبي ﷺ للمقوقس حاكم مصر، وللحارث بن أبي شمر حاكم دمشق، ولهوذة بن علي الحنفي حاكم اليمامة، ولجيفر وعباد ابني الجلندي حاكمي عُمان، وللمنذر بن ساوى في البحرين، ويقول: **بأنها كلها لعدم ثبوتها كروايات حديثية لا تصلح للاحتجاج بها في السياسة الشرعية**، وانظر السيرة النبوية الصحيحة ص٥١٣.

(٣) جمهور علماء السيرة يقولون بأن إسلام هؤلاء الثلاثة الكرام لم يكن قبل السنة السابعة من الهجرة، ولعل في ذكر عمرو بن العاص رضي الله عنه أن ذلك كان بعد غزوة الأحزاب ما يشي بأن إسلامهم كان في العام الخامس للهجرة، وهذا محتمل، ولكن لعله ذكر الأحزاب ولم يقصد مطلق الربط بينها وبين حركته نحو الحبشة، بل أراد أنه بدأ يفكر في الذهاب للحبشة بعد هزيمتهم في الأحزاب.

وإني قد رأيت رأياً فما ترون فيه.

قالوا: وما رأيت؟ قال: رأيت أن نلحق بالنجاشي، فنكون عنده، فإن ظهر محمد على قومنا كنا عند النجاشي، فإنا أن نكون تحت يديه أحب إلينا من أن نكون تحت يدي محمد، وإن ظهر قومنا فنحن مَن قد عُرف، فلن يأتينا منهم إلا خير، فقالوا: إن هذا الرأي.

قال فقلت لهم: فاجمعوا له ما نهدي له، وكان أحب ما يُهدى إليه من أرضنا الأدم[1]، فجمعنا له أدماً كثيراً، فخرجنا حتى قدمنا عليه، **فوالله إنا لعنده إذ جاء عمرو بن أمية الضمري، وكان رسول الله ﷺ قد بعثه إليه في شأن جعفر وأصحابه، قال: فدخل عليه، ثم خرج من عنده**، قال فقلت لأصحابي هذا عمرو بن أمية الضمري لو قد دخلت على النجاشي فسألته إياه فأعطانيه، فضربت عنقه، فإذا فعلت ذلك رأت قريش أني قد أجزأت عنها حين قتلت رسول محمد.

قال: **فدخلت عليه فسجدتُ له كما كنتُ أصنع**، فقال: مرحباً بصديقي، أهديت لي من بلادك شيئاً؟

قال قلت: نعم، أيها الملك، قد أهديت لك أدماً كثيراً.

قال: ثم قدمته إليه، فأعجبه واشتهاه، ثم قلت له: أيها الملك إني قد رأيت رجلاً خرج من عندك وهو رسول رجل عدو لنا، فأعطنيه لأقتله، فإنه قد أصاب من أشرافنا وخيارنا.

قال: فغضب ثم مد يده فضرب بها أنفه ضربة ظننت أن قد كسره، فلو انشقت لي الأرض لدخلت فيها فرقاً منه.

ثم قلت: أيها الملك، والله لو ظننت أنك تكره هذا ما سألتكه، فقال له: أتسألني أن أعطيك رسول رجل يأتيه الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى لتقتله.

قال قلت: أيها الملك، أكذاك هو؟

فقال: ويحك يا عمرو، أطعني واتبعه، فإنه والله لعلى الحق، وليظهرن على من خالفه، كما ظهر موسى على فرعون وجنوده.

---

(١) الجلود.

قال قلت: **فبايعني له على الإسلام، قال: نعم، فبسط يده وبايعته على الإسلام، ثم خرجتُ إلى أصحابي، وقد حال رأيي عما كان عليه، وكتمتُ أصحابي إسلامي، ثم خرجتُ عامداً لرسول الله ﷺ لأسلم، فلقيت خالد بن الوليد، وذلك قبيل الفتح**[1]، وهو مُقبل من مكة، فقلت أين يا أبا سليمان؟

قال: **والله لقد استقام المنسم، وإن الرجل لنبي، أذهب والله أسلم، فحتى متى؟ قال قلت: والله ما جئتُ إلا لأسلم.**

قال: فقدمنا على رسول الله ﷺ، فقدم خالد بن الوليد فأسلم وبايع، ثم دنوت فقلت: يا رسول الله إني أبايعك على أن تغفر لي ما تقدم من ذنبي، ولا أذكر وما تأخر.

قال فقال رسول الله ﷺ يا عمرو: بايع فإن الإسلام يجبُّ ما كان قبله، وإن الهجرة تجبُّ ما كان قبلها، قال: فبايعته ثم انصرفت، قال ابن إسحاق: **وقد حدثني من لا أتهم أن عثمان بن طلحة بن أبي طلحة كان معهما أسلم حين أسلما**»[2].

وقد روى ابن شماسة المهري قال: «حضرنا عمرو بن العاص وهو في سياقة الموت، فبكى طويلاً، وحوَّل وجهه إلى الجدار، فجعل ابنه يقول: يا أبتاه أما بشَّرك رسول الله ﷺ بكذا، أما بشَّرك رسول الله ﷺ بكذا، قال: فأقبل بوجهه، فقال: **إن أفضل ما نعدُّ شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله**، إني كنت على أطباق ثلاث:

لقد رأيتني وما أحد أشد بغضاً لرسول الله ﷺ مني، ولا أحب إليَّ أن أكون قد استمكنتُ منه فقتلته، فلو متُّ على تلك الحال لكنت من أهل النار، فلما جعل الله الإسلام في قلبي أتيت النبي ﷺ فقلت: **ابسط يمينك فلأبايعك، فبسط يمينه، قال: فقبضت يدي، قال: ما لك يا عمرو؟ قال قلت: أردت أن أشترط، قال: تشترط بماذا؟ قلت: أن يغفر لي**، قال: أما علمت أن الإسلام يهدم ما كان قبله، وأن الهجرة

---

(١) وهذا مما يؤكد ما ذكرناه في الهامش السابق من أن إسلام عمرو وخالد رضي الله عنهما كان في نهاية العام السابع للهجرة، وليس في العام الخامس لها.

(٢) أخرجه أحمد ح ١٧٧٧٧، وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط: إسناده حسن في المتابعات والشواهد.

تهدم ما كان قبلها، وأن الحج يهدم ما كان قبله...»[1].

أبرز الفوائد والأنوار

- أبرز الفوائد والأنوار في المجال النفسي القيمي السلوكي (التربوي):

- كان النبي ﷺ حريصاً على أداء العمرات لما لها من أثر في تهذيب النفس وتزكيتها، ولأنها زاد إيماني متقدم، لأجل ذلك كان يقول: «العمرة الى العمرة كفارة لما بينهما»[2] ومن هنا لا نجد غرابة في أن عمراته بلغت أربع عمرات.
- لم تتوقف وقفات النبي ﷺ التربوية التعليمية لأصحابه في كل خطوة كان يخطوها معهم، لاسيما تلك الإشراقات العقدية التي تمكّن التوحيد في نفوسهم وتزرع اليقين والثقة التامة بقدرة الله تعالى في تلك النفوس، ولقد كان تعليقه ﷺ في هذا الباب واضحاً يوم قال لهم عند نزول المطر: «من قال مُطرنا برحمة الله وبرزق الله وبفضل الله فهو مؤمن بي، كافر بالكوكب، وأما من قال مُطرنا بنجم كذا، فهو مؤمن بالكوكب كافر بي»، **فالعطاء عطاء الله، وظاهرة نزول المطر ظاهرة ربانية، قبل أن تكون مجرد ظاهرة علمية مادية.**
- لم يتوقف نبي الله ﷺ عن تعليم أصحابه بطريق التعليق على مشاهداته فيهم، فلما رأى أحدهم ذو قمل لفت انتباهه ذلك، وشغله وأهمَّه، فأفتى له بجواز حلق شعره وهو بالحديبية، ثم أمره رسول الله ﷺ أن يُطعم فرقاً بين ستة مساكين، أو يُهدي شاة، أو يصوم ثلاثة أيام.
- ليس في الإسلام تعدد للآلهة أو اجتهادات في التشريع، وحتى لا تقع شبهة من انحرافات النصارى والوثنيين في ديننا كان مِن قدر الله تعالى أن ينسى عموم من نزلوا تحت شجرة الرضوان يوم البيعة مكانها فيما بعد، وذلك حتى لا تصير معبداً يقصده الجهلاء من الناس.

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب كون الاسلام يهدم ما كان قبله، ح١٢١.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب العمرة، باب وجوب العمرة وفضلها، ح ١٦٨٣.

- لأنه ليس أشرف من أن يضع المرء يده بيد نبي الله تعالى ثم يبايعه على الموت في سبيل الله، فإنه حق لأهل بيعة الرضوان وأهلهم أن يفتخروا بذلك، فكانت قائمة الشرف التي استحضرها بعض الرواة لأسماء بعض مَن شهد البيعة، فرضي الله عنهم وأرضاهم.
- كان من طيب نفوس صحابة النبي ﷺ وتواضعهم الشيء الكثير، حتى أن أحدهم لما جاء مادحاً البراء بن عازب رضي الله عنه على مشاركته ببيعة الرضوان صدَّه وردَّه قائلاً: لا تدري ماذا أحدثنا بعده، فهو إلى اتهام نفسه أقرب إليها من مدحها والثناء عليها.
- استمر إكرام أهل الحديبية حتى في زمن عمر رضي الله عنه فقد عدت المرأة أن إخبارها لعمر بأن أحد أقاربها شارك معهم في الحديبية إشارة عبور على عمر رضي الله عنه، فأخذت منه كفايتها وزيادة.
- بكلمات معدودات لخَّص سلمة بن الأكوع رضي الله عنه الجهد الذي بذله الصحابة رضي الله عنهم في قبولهم لهذا الدين حيث قال: «... وكنت تبيعاً لطلحة بن عبيد الله أسقي فرسه، وأحرسه، وأخدمه وآكل من طعامه، وتركت أهلي ومالي، مهاجراً الى الله ورسوله ﷺ...»، فاستحق بذلك هؤلاء الكرام شرف الصحبة للنبي ﷺ في الدنيا والآخرة.
- يقول الدكتور منير الغضبان: **كان لمثل هذا الحدث (صلح الحديبية) في غير هذه الأمة المسلمة أن ينتهي بانقلاب عسكري يطيح بالقائد الأول الذي فرَّط وغامر ولم يرض أن يعد العدة المطلوبة لكن هذا الجيل السعيد الذي تربى على القناعة الكاملة بأن رأي القائد الأعظم عليه الصلاة والسلام أوسع أفقاً وأبعد آماداً وأعمق غوراً من رأيه ما كان لمثل هذا الخاطر أن يرد على رأيه»**[1].
- في حكاية ما جرى لعبد الله بن مسعود رضي الله عنه عند رجوع المسلمين من غزوة الحديبية وكيف أن النبي ﷺ طلب حارساً يوقظهم على صلاة الفجر، ما يدل على عمق معرفة النبي ﷺ بقدرات أصحابه، فهو قد علم أن ابن مسعود رضي الله عنه لا يقدر على الاستمرار مستيقظاً وهو من ثمَّ سيضيع عليهم صلاة الفجر وهذا ما

(١) المنهج السياسي للسيرة النبوية، الدكتور منير الغضبان، ص٢٠٠.

حصـــل، ولكن النبي ﷺ وقد حصل الأمر وانقضى لم يعنف صاحبه الذي اجتهد في الحراسة، بل أرجع الأمر إلى قدر الله تعالى، وهنا لابد من وقفة نفصل فيها بين تقصيرنا وبين ما هو مكتوب لنا في القدر، فلقد أخذ النبي ﷺ بأسباب الاستيقاظ على الصلاة وطلب أكثر من مرة حارساً يوقظهم، لكنه لم يسمع تلبية لأمره إلا من ابن مسعود، وابن مســعود على ضعف قدراته في تنفيذ هذه المهمة إلا أنه أفضل من لا شيء، ولاشــك أن ابن مســعود أيضاً لم يقصر جهده رضي الله عنه، وهنا نقول بأن القدر قد غلب، ولا حرج على أحد بعد ذلك، أما أن نترك أسباب اليقظة والنهوض ثم ننسب تقصيرنا وخذلاننا وتراجعنا إلى الأقدار فهذا لا يجوز، وفي القصة نفسها يتبين لنا كيف أنه لما ضاعت ناقة رســول الله ﷺ ولم يجدها أحد وأنه ﷺ أوكل ابن مسعود بالبحث عنها في اتجاه محدد ليجدها هو تحديداً، وذلك جبراً لخاطره على ما كان قد تسبب به من ضياع صلاة الفجر عن موعدها بعد طول اجتهاده في ذلك، وهذا مما جبر خاطر ابن مسعود رضي الله عنه وتسبب في عودة الناقة إلى النبي ﷺ.

- أبرز الفوائد والأنوار في المجال الاجتماعي التأثيري التواصلي (الدعوي):

- كان ولا يــزال الجانب التحفيزي له أثره في إثارة الهمــم وتحريكها نحو العمل، لأجل ذلك امتدح النبــي ﷺ أهل الحديبية بأنهم خير أهل الأرض، كما كان عبد اللــه بن أبي أوفى يتفاخر بأن ثُمن عدد المشــاركين في عمــرة الحديبية كانوا من قبيلته (أســلم)، ومن التحفيز للمشــاركين في البيعة، ما أطلقه النبي ﷺ لهم من خصوصية مثل خصوصية أهــل بدر، بأن الله تعالى اطلع على قلوبهم فغفر لهم، وحُق لهم ذلك لما أبدوه من غيرة على دين الله، وحرصٍ على رسول الله، والتزامٍ لأمره، وتأدُّب شديد معه في محك صعب كهذا.
- في حكايــة تكرار البيعة لســلمة رضي الله عنه ثلاث مرات فوائد تتعلــق بجانب المداعبة بــين النبي ﷺ وأصحابه في المواقف الصعبة العصيبة، وفيه فوائد تتعلق بالجانب التحفيزي من النبي ﷺ لأصحابه، ولكن يلفت انتباهنا هنا أن تكرار البيعة لم يكن ســوى لســلمة رضي الله عنه فيما بلغنا من الروايات، ويبدو أن النبي ﷺ قد خص سلمة

بذلك لعلمه ما يحمله سلمة رضي الله عنه من صلابة وقوة وشجاعة احتاج لها المسلمون في مواقف ستأتي لاحقاً.

- **من قصة إسلام عمرو بن العاص وخالد بن الوليد رضي الله عنهما يمكننا أن نستشف بعض الأنوار والفوائد ومن ذلك:**

١. تشديد عمرو بن العاص على فتح أفق جديد أو مهرب للحالة التي وصل إليها بعد تتابع الهزائم على قريش.

٢. محاولة عمرو بن العاص ضرب أكثر من هدف في حجر واحد، فهو يريد أن يخرج من مكة لشعوره بأنها لم تعد تصلح كمقام له، وهو أيضاً يريد أن يتابع مشوار حصاره للمسلمين، على الرغم من أنه طُرد من الحبشة في الجولة الأولى التي حاول فيها استعادة المهاجرين في العهد المكي.

٣. يظهر من كلام عمرو بن العاص لأصحابه الذين خرجوا معه ضعف موقفه، وخوفه من علو الإسلام وارتفاع شأن المسلمين، فهو يبحث عن مخرج.

٤. تجهيز الهدايا التي يحبها النجاشي كانت عادة معروفة للدخول عليه ولاستمالة نفسه خصوصاً في هذه الزيارة، وقد جُبلت النفوس على الاصغاء لمن يهديها.

٥. تبين من إرسال النبي ﷺ لعمرو الضمري إلى النجاشي في أمور تتعلق بالمهاجرين عنده أن النبي ﷺ كان يتابع شؤون المهاجرين في الحبشة أولاً بأول حتى لو لم نجد في السيرة تفاصيل في ذلك، فقد وجد عمرو بن العاص، عمرو الضمري عند النجاشي بطريق الصدفة.

٦. تغيرت خطة عمرو بن العاص، وبدلاً من أن يمكث في الحبشة دون إثارة أي شيء حوله، استفزه رؤية رسول رسول الله (عمرو الضمري) رضي الله عنه، فطلب من أصحابه لو أنهم يسمحون له بالدخول على النجاشي ليعطيه عمرو الضمري فيقتله، وبالتالي يزيد من مكانته في قريش، ويجعل العلاقة بين النبي ﷺ والنجاشي متوترة مشحونة، **ولكن شاءت إرادة الله تعالى أن تكون لهذه الخطوة والنية القبيحة ما بعدها من فتح وخير لعمرو بن العاص** رضي الله عنه.

٧. دخـــل عمرو بن العاص على النجاشي وتحبب إليه بالهدايا والســـجود بين يديه ثم تجرأ على طلب قتل عمرو الضمري.

٨. انفعـــل النجاشي انفعالاً غير مســـبوق فخاف عمرو بن العاص على نفســـه خوفاً شـــديداً ثم بيَّن النجاشي بأن عمرو الضمري رسول من عند رجل يأتيه الوحي، فكيف لنا أن نعينك على قتله، وهنا بدأت الحقيقة تتفاعل في نفس عمرو بن العاص الذي أدرك من المقابلة الأولى للنجاشي بأن نبي الله تعالى مرسَل من عند الله، وأن دعوته دعوة حق، لكن كِبراً منعه من اعتناق الإسلام في تلك اللحظة، ليعود إلى المجلس نفســـه ولكن بعد قرابة العشر سنوات، فيعلن إسلامه على يد النجاشي رضي الله عنهما، وماذا لو أن عمرو مات أو قُتل قبل أن يُســـلم، ماذا لو مات أبو سفيان وخالد ابن الوليد قبل أن يسلما، وقد ناصبوا دين الله العداء، وتعرضوا لمخاطر كثيرة كادت تودي بهم، ولكن الله تعالى ســـلَّمهم فأسلموا له، **وكان لهم قصب سبق في كثير من المواقف والفتوحات في صالح الإســـلام والمســـلمين لاحقاً، والفضل مثلما أنه لمن سبق فهو أيضاً لمن أبلى بلاءً حسناً وصدق.**

٩. شاءت إرادة الله تعالى أن يلتقي عمرو بن العاص بخالد بن الوليد رضي الله عنهما، وكما اجتمعا على الكفر بالأمس؛ جمعهما الله تعالى على الإســـلام في الساعة نفسها اليوم.

١٠. اشـــترط عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وحُق له أن يشترط، وكان شرطه أن يقبل الله توبته وأن يغفر ذنبه، فكان له ولغيره ذلك، ذلك أن الإسلام يُصلح ما كان قبله من خطايا ورزايا وذنوب.

- لو نزل الوحي ينفي إشاعة مقتل عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما تنعم الأصحاب الكرام ببركة بيعة الرضوان عـــلى الرغم من أنها كانت مجرد بيعة لم يترتـــب عليها أي قتال، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.
- يقـــول ابن حجر رحمه اللـــه في تعليقه على كلمة أبي بكـــر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**امصص بظر اللات**، وفيه جواز النطق بما يُستبشع من الألفاظ لإرادة زجر من بدا منه ما يستحق

به ذلك»[1]، ويبدو أن عروة بن مسعود كان صفيقاً قبيح اللسان لأجل ذلك عامله أبو بكر رضي الله عنه بالمنطق نفسه الذي يفهمه.

- أبرز الفوائد والأنوار في المجال الاقتصادي المعاشي:

- البركة مرتبطة بالحركة، والقعود والخمول لا يأتي بشيء، فلقد عطش الأصحاب وطلبوا الماء، فكانت بركة النبي ﷺ وهو المتحرك معهم وفيهم وبينهم بمجرد أن نضحوا له من بئر الحديبية، فدعا عندها ربه سبحانه وتعالى، إذ بها تفيض عليهم من الماء فشربوا حتى ارتووا، وما كان لرب العزة أن يخيب حبيبه، وهو الساعي لأجل نصرة دينه.
- اختلفت رواية البراء مع رواية جابر رضي الله عنهما في تحديد مصدر الماء، وهل كان من البئر أو من ركوة النبي ﷺ، فإما أن يكون الأمر قد تكرر مرتين، وإما أن يكون المقصود أنهم نزحوا من البئر شيئاً من الماء وضعوه في قِربة النبي ﷺ ثم دعا عليه فأخذ يفيض من ماء القربة الذي هو من البئر أصلاً.
- ومثل ما أجرى الله تعالى على الماء للمتحركين في سبيله من البركات حتى أفاض عليهم وزاد، أجرى الله تعالى على الطعام الذي كان قليلاً بين أيديهم، فما أن جمعه النبي ﷺ ودعا ربه عنده، حتى كثر وزاد وعمَّ.
- في دعاء النبي ﷺ لكل من يأتيه بالصدقة أن يبارك الله له ولأهله تعزيز منه وتأكيد أهمية الصدقة في تعظيم الحالة الاقتصادية وإنعاشها في المجتمع.
- أكرم النبي ﷺ سلمة رضي الله عنه بحجفة أو درقة أعطاه إياها رسول الله ﷺ عندما بايعه تحت الشجرة، ثم سأله عنها فوجده قد أكرم بها أحد أعمامه، فرضي النبي ﷺ عن هذا الموقف، وأبدى إعجاباً وعلَّق مادحاً لفعل سلمة رضي الله عنه، وهذا نوع إيثار وكرم وطيب نفس من سلمة رضي الله عنه.
-

مكتبة t.me/ktabrwaya

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٥/ ٣٤٠.

- أبرز الفوائد والأنوار في مجال إدارة المواقف والسياسة الشرعية:

- في تسمية عمرة الحديبية أو صلح الحديبية بالغزوة **دليل على أن تغيير النية لسبب عارض عن المسير باتجاهٍ معين يؤدي إلى تغيير العنوان والهدف من هذا المسير**، فقد كان الهدف من المسير أداء العمرة، لكن تعنت المشركين حوَّلها إلى غزوة، ولولا الصلح لحصل الاشتباك المسلح بين الطرفين، وهذا أشبه ما يكون بغزوة بدر التي كان هدف مسيرها في البداية طلب العير، لكن تعنُّت أبي جهل حوَّلها إلى نفير، ولا ضير ما دام أن ذلك كله ابتغاء مرضات الله تعالى.
- **كان النبي ﷺ شديد الحرص على السلم المجتمعي وعلى حقن الدماء**، لأجل ذلك سلك طريقاً وعرة وفيها مشقة لكنها غير مألوفة لقريش حتى يجتنب المواجهة معهم، وقد عمل لأصحابه مسابقة لاجتياز تلك الطريق الوعرة حتى يجاوزوها دونما إحساس بالمشقة فيها، وكان الحافز لذلك مغفرة الذنوب: «من يصعد الثنية، ثنية المرار، فإنه يُحَط عنه ما حُطَّ عن بني إسرائيل، فكان أول من صعدها خيل الخزرج».
- في حكاية الرجل المصري الذي جاء يسأل (ينبش) عن عثمان رضي الله عنه ويعيب عليه تخلفه في المواقف الحاسمة وما أبدى من فرح لما تأكد له ما طلب، دليل على أن في الناس من يفرحون لسقطات الآخرين، حتى لو كان هؤلاء الآخرون من خيرة المسلمين، ولكن ابن عمر رضي الله عنه كان قد أحسن في إدارته للموقف حين أجاب المصري إلى ما طلب، وبمجرد وقوعه بنشوة الفرح والسعادة علّق ابن عمر رضي الله عنهما بما يكشف ويفصح ويسوِّغ فعل عثمان في كل حالة تغيب عنها، لاسيما بيعة الرضوان التي ما كانت لتُعقد لولا عثمان رضي الله عنه، فقد أشيع أن قريش قد أخذته أو قتلته، فكانت البيعة بدعوة من النبي ﷺ انتصاراً لصاحبه وحبيبه ونسيبه عثمان رضي الله عنه، كما أكد للمصري أن النبي ﷺ لم ينس عثمان عندئذ، وحاشاه أن ينسى أصحابه، فضرب بيده على يده ثم قال: وهذه عن عثمان.
- لم تخل خطوة من الخطوات في السيرة لا سيما في العهد المدني إلا وللمنافقين فيها حكاية، فهذا الجد بن القيس، وقيل إنه كان منافقاً رفض فكرة البيعة، وجلس

تحت بعيره، فأي صنف من الناس هؤلاء، وكيف يقبلون على أنفسهم حياة التلون، **وما الذي أخرجك مع القوم إذا كنت لست منهم ولا معهم بكل جوارحك وأعصابك؟!!**

- **سلك النبي ﷺ مسالك متعددة في إدارة ملف العلاقة بقريش عند الحديبية ومن هذه المسالك والاستراتيجيات:**

١. طلبه من خراش بن أمية الخزاعي أن يذهب لقريش ليعلمهم عن نيته في أداء العمرة.

٢. طلبه من عمر رضي الله عنه أن يذهب لقريش لكن عمر رضي الله عنه تقدم بعذر مقنع وهو أنه يخاف من قريش سفاهتها وجهلها في تلك الساعة، ولم يجد من عشيرته سنداً ولا ظهراً، لكنه وقد اعتذر اقترح على النبي ﷺ مَن هو أكثر مناسبة منه في هذه المهمة، ألا وهو عثمان رضي الله عنه، ورحم الله امرأ عرف قدر نفسه.

٣. ذهب عثمان رضي الله عنه ودخل مكة بجوار أبان بن سعيد بن العاص، ورفض أن يطوف بالكعبة قبل أن يدخلها النبي ﷺ فزاد ذلك من تقدير قريش واحترامهم لأصحاب النبي ﷺ ومعرفة قدره فيهم، على الرغم من أن هذا الموقف كان مثيراً ومستفزاً بالنسبة لهم فحبسوه واعتقلوه عندهم.

٤. شاءت إرادة الله تعالى أن يتأخر الوحي لتصل إشاعة للمسلمين بأن قريشاً قتلت عثمان بن عفان رضي الله عنه وعندها أعلن النبي ﷺ حالة الاستنفار القصوى، وأخذ يبايع أصحابه بيعة اختلف الرواة في تحديد غايتها، ولكن الجمع بين الروايات يوحي بأنه بايعهم على الثبات حتى لو اقتضى الأمر الموت في سبيل الغاية والهدف النبيل، وقد أظهر الصحابة حماسة وتسابقاً نحو البيعة، حتى أن ابن عمر رضي الله عنه بايع قبل أبيه، **والبيعة وسيلة شرعية أقرها النبي ﷺ لرفع الهمم والتحفيز على الخير.**

٥. أكد النبي ﷺ مراراً وتكراراً حرصه على السلم المجتمعي وقد أعلنها صريحة حين خلأت القصواء بأن الذي حبسها هو حابس الفيل (فيل أبرهة الأشرم وقد امتنع عن الوصول إلى الكعبة لهدمها)، **وأن قريشاً لو تعرض عليه خطة**

ومشروعاً للوفاق دون إراقة الدماء فإنه يقبل، وهذا من السياسة الشرعية، فالغاية أداء العمرة، ولدى قريش ما يمنع من ذلك، لأجل ذلك صار التفاهم أولى من النزاع المفضي إلى هلاك الطرفين، وليس التفاهم والتفاوض تنازلاً لاسيما وأن الجانحون للسلم هنا هم أعداؤنا، وأما نحن فموقفنا متقدم عليهم، فنحن الذين غزوناهم وجئناهم، ولا تزال مكة في الأعراف السياسية تابعة لهم، حتى وإن كانت في الأصل داراً للموحدين.

٦. علمت قريش بأن النبي ﷺ عازم على مواجهتها فأطلقت له عثمان رضي الله عنه، فعادت المياه إلى مجاريها، ولكن لم تنته مسألة العمرة بعد، لأجل ذلك أرسلت قريش خمسة من المفاوضين والمندوبين بينها وبين النبي ﷺ لتتحقق من نيته، وكان النبي ﷺ يعالج ويعامل كل مندوب بما يرى عنده من صفات وأحوال، لأجل ذلك رجعوا كلهم بانطباعات تفيد بتخفيض حدة الاحتقان عند قريش، وتبلغهم صفاء نية النبي ﷺ، وأنه ما جاء ليقاتل.

٧. تدخلت قدرة الله تعالى في منع أي قتال بين الطرفين، لاسيما في مواجهة تلك المجموعات التي ابتعثها القرشيون لزعزعة الأمن في جهة النبي ﷺ وإثارته واستفزازه للقتال، ولكن الله سلَّم ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٢٤﴾﴾ الفتح: ٢٤

٨. كانت قريش تحسن إدارة الملفات السياسية فقد ابتعثت عنها، منها ومن غيرها، فكان زعيم الأحابيش وزعيم الطائف ورجل من كنانة وزعيم خزاعة كلهم من غير قريش، وكان الباقون من قريش، **وذلك حتى تظهر للنبي ﷺ أن أزمته ليست مع قريش فقط، وإنما هي كذلك مع القبائل المحيطة بمكة.**

٩. أظهر الصحابة رضي الله عنهم حبهم وصدق انتمائهم للنبي ﷺ، وهذا ما لمسه المفاوضون، حتى أن النبي ﷺ كان يهدئهم بين الحين والآخر خشية أن تقع بينهم وبين المفاوضين ما لا يحمد عقباه، **والتريث مطلوب في المواقف المتشنجة وهو مما يعين على حسن تحليل الأمور وأخذ القرار المناسب.**

١٠. بلغ الاستفزاز مبلغه عند الصحابة رضي الله عنهم عندما بدأت عملية كتابة الشروط، فقد كانت طريقة وأسلوب الكتابة مستفزة لما كان من سهيل بن عمرو من تشدد وعناد وكِبر أزعج الصحابة الكرام، لكن النبي ﷺ لم يكن ليدقق كثيراً في الأسلوب، طالما أنه لا ينقص في المحصلة من قيمة الصلح، ولا يخرج بذلك عن الثوابت والمرتكزات الأساسية، وزاد الاستفزاز اشتعالاً لدى الصحابة وهم يرون الشروط الثقيلة، لاسيما شرط رفض من جاء مسلماً، وشرط تأجيل العمرة إلى العام القادم، ولولا الله تعالى وحده لأحدث ذلك الصلح شرخاً بين النبي ﷺ وأصحابه، في وقت كان النبي ﷺ يسعى لتخفيف الاحتقان بينه وبين المسلمين، **ولنا هنا أن نتوقف قليلاً لنتساءل عن ذلك الإبداع في القيادة النبوية والإلهام الرباني، الذي حمل الصحابة على أن تزيد حماستهم لأجل الدين (فيما يظهر) على حماسة قائد الدعوة نفسه، فهل أعظم في باب التدريب والتأهيل والقيادة والتربية من أن ينافس الفرد قائده على المحافظة على الثوابت، ولكن دون مزاودة منهم عليه، ﷺ.**

ولقد عدت قريش ذلك ضربة سياسية قوية أثخنت الجرح المعنوي في نفوس الصحابة وجعلت فجوة بينهم وبين النبي ﷺ، كيف لا وهم يرون ظلماً كان النبي ﷺ قد رباهم على محاربته والتصدي له طيلة حياتهم، وزاد الاستفزاز للصحابة بشكل أكبر وهم يرون وفود المؤمنين الجدد، وعلى رأسهم أبو جندل ابن سهيل بن عمرو يأتون مسلمين، فيردهم النبي ﷺ، ولولا أن الله سلَّم لرد النبي ﷺ المهاجرات من المؤمنات من النساء كذلك، ولكن جعل الله لهؤلاء الصادقات حلاًّ ومخرجاً.

١١. كان عمر رضي الله عنه أول من أبدى انزعاجاً ظاهراً، فواجه به النبي ﷺ وأبا بكر وعثمان، وكلهم يردون أمرهم إلى الله تعالى ورسوله ﷺ، ومما جعل عمر رضي الله عنه يعترض أكثر أنه في تلك اللحظة لم يستطع التمييز بين كون ما جرى من صلح بموافقة الوحي، فإذا كان كذلك فلا مجال مطلقاً لاعتراض أو

اختيـــار آخر، وأما إن كان باجتهاد خالص من النبي ﷺ بصفته البشرية فعمر رضي الله عنه كســـائر الأصحاب معترض، لكنهم كلهم سكتوا، وأما هو فتكلم، ولا أجد في اعتراض عمر رضي الله عنه مشـــكلة، **فهو كما رباه النبي ﷺ لا يعطي الدنية في دينه**، وهو لا يزال في دائرة الأدب، لا ســـيما أنه لم يتبين له بعد بأن الأمر وحـــي من عند الله، فلما تبين له ذلك اعتذر، واســـتغفر، وتراجع، ولا يزال يتصدق عليها حتى مات.

١٢. بـــدأت الخطوات العملية من جهة النبي ﷺ في تنفيذ شروط الصلح فردَّ من جاءه مســـلماً ودعا لهم بالخير، ثم أمر أصحابه بالحلق أو التقصير والتحلل من عمرتهم، وأخذ بمشورة أم سلمة رضي الله عنها من أجل تحريك أصحابه الذيـــن توقفوا عن تلبية أمره، ليس مناكفة له ولدينـــه، وإنما حباً وغيرة عليه وعلى دينه، فهي لا تعد معصية منهم له، وإنما تردداً عن شيء رأوا أنه رباهم على النقيض منه تماماً، فهي صدمة المشـــهد ليـــس أكثر، فلما رأوه يحلق؛ حلقوا وتحللوا.

١٣. **في أخذ المشورة من أم سلمة رضي الله عنها ما يؤكد الدور الكبير للمرأة في الإسلام وفي المواقف كلها، على خلاف ما يعتقده الجاهلون من أن المرأة لا يجوز أو لا يليق أخذ المشورة منها.**

- **تعد رســـائل النبي ﷺ إلى الملوك وما جرى بعدهـــا من ارتدادات من أبرز الوثائق والمشـــاهد التي تبين وبوضوح شـــيئاً من معالم فقه السياســـة الشرعية، فمن هذه المعالم ما يأتي:**

١. لم يســـتثن النبـــي ﷺ أحداً من الملـــوك والجبابرة إلا وجَّه لـــه كتاباً خاصاً مختوماً باسمه، وإن لم تثبت بالســـند المتصل بعض الوثائق لدينا، والدليل عـــلى أن النبي ﷺ لم يســـتثن أحداً؛ ما قاله أنـــس رضي الله عنه: «كتب إلى كسرى وإلى قيصر وإلى النجاشي **وإلى كل جبـــار يدعوهم إلى الله تعالى**»، وهذا الشمول والتعميم يدلك على مدى استيعاب الدعوة العالمية لجميع شرائح المجتمـــع؛ فالملوك والمملوكين والرجال والنســـاء والكبار والصغار كلهم

مستهدفون بالخير لدعوة الإسلام العظيم وما فيها من رحمة.

٢. كان اختيار النبي ﷺ لسفرائه قائماً على مواصفات، كالتحلي بالعلم والفصاحة والصبر والشجاعة والحكمة وحسن التصرف وحسن المظهر.

٣. أخذ النبي ﷺ بالأعراف التي لا تخالف الشريعة في البريد الذي كان يرسله، فهو بريد مختوم، يضمن به من تصل إليه الرسالة من الملوك أنه بريد خاص وحصري وليس عاماً ومفتوحاً.

٤. **استثمر النبي ﷺ فترة الهدنة (صلح الحديبية) التي هادن بها قريشاً ليتفرغ إلى هذا الواجب الكبير**، فهو وإن كان لا يقبل أفراداً متفرقين يأتونه من قريش مسلمين إلا أنه فتح باباً أوسع من أبواب الدعوة، وبدلاً من أن تظل دعوته دعوة قطرية محصورة صارت عالمية مفتوحة، **وهكذا هي الدعوة؛ ما أن يغلق الأعداء باباً من أبوابها، إلا ويفتح الله تعالى أبواباً أعظم وأوسع وأكبر، حتى يجيء اليوم الذي يندم فيه العدو على إغلاقه لذاك الباب الصغير.**

٥. ما وقع كتاب رسول الله ﷺ في يد ملك بعيد النظر ومنصف عادل إلا وقد تحقق له أو للدعوة من ورائه الخير، وما وقع في يد طاغية فاسد مستبدٍّ إلا وقد تسبب في إهلاك نفسه ومَن حوله.

٦. كانت بداية تعاطي هرقل مع كتاب النبي ﷺ الذي أرسله إليه دحية الكلبي تعاطياً إيجابياً حيث أراد أن يسأل ويتحقق فليس شأن هذا الكتاب كأي كتاب آخر.

٧. في سؤال هرقل عن أقرب الناس نسباً من النبي ﷺ ما يدل على أهمية القرابة في الكشف عن شخصية الإنسان كشفاً دقيقاً ليس فيه أي زيادة ولا نقص.

٨. أظهر هرقل حنكة وذكاء في ترتيبه لجلسة التحقيق مع أبي سفيان، ففوَّت عليه فرصة الزيادة أو النقص منه ولم يستطع أن يفلت سوى بشطر كلمة لم تكن لتقدم أو تؤخر في موضوع التحريض على النبي ﷺ في مجلس هرقل شيئاً.

٩. **أظهر أبو سفيان سبب امتناعه عن الكذب، فليس امتناعه ديانة ولا أدباً وخلقاً كريماً منه وإنما خشية أن يقال: كذب أبو سفيان في مجلس هرقل.**

١٠. تميزت أسئلة هرقل بالذكاء والتنوع والإحاطة وقد أراد من خلالها الوصول إلى حقيقة نبوة النبي ﷺ، وأنه ليس بمدَّعٍ للنبوة، وذلك من خلال قياسه على أصحاب النبوات السابقة، أو من ادعى النبوة من غير الأنبياء.

١١. كانت إجابات أبي سفيانُ مختصرة ومحدودة ولم تسمح له أسئلة هرقل السريعة والمتتالية ليشرح أو يستفيض في البيان، ما عطل عليه أي إضافة قد تفسد فكرة رسالة النبي ﷺ إلى هرقل.

١٢. كان لتعليق هرقل على كل سؤال سأله لأبي سفيان ما يبين أن أبا سفيان قد سخَّره الله تعالى وهو على كفره وحربه للإسلام والمسلمين ليكون خير داعية لدين الله تعالى، غير أن أبا سفيان لا يؤجر على بيانه هذا لأنه لم يكن يقصد الدعوة إلى الله تعالى **(وإن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر)**[1].

١٣. أكد هرقل أن الأوصاف التي سأل عنها كلها تدعم الاحتمال الذي يقول بأن سيدنا محمد ﷺ نبي، ومِنْ أجمع ما استنتجه هرقل من تلك المقابلة أن الأنبياء وأصحاب الدعوات يُبتلون ثم يمكنون، وكانت الخاتمة المفاجئة لأبي سفيان ولمن حول هرقل من الأساقفة إذ قال هرقل وبكل وضوح وشجاعة كلمات تُنقش بماء الذهب: إن يكُ ما تقول فيه حقاً فإنه نبي، وقد كنتُ أعلم أنه خارج، ولم أكُ أظنه منكم، ولو أني أعلم أني أخلص إليه لأحببت لقاءه، ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه، وليبلغن ملكه ما تحت قدمي».

- **لما قرأ هرقل رسالة النبي ﷺ وجد فيها من معالم السياسة الشرعية ما زاد من إعجابه فيها ومن ذلك:**

١. البدء بالبسملة، فالرسالة ليست باسم محمد ﷺ إنما هي باسم ربه الذي يدعو له، وتحديد جهة الرسالة، وإثبات كون المرسِل رسول من عند الله تعالى.

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب إن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر، ح ٢٨٩٧.

٢. **إنزال هرقل منزلته اللائقة فهو عظيم، ولكن عظمته ليست مطلقة ولا مفتوحة، لأجل ذلك قال له: إلى عظيم الروم.**

٣. طرح السلام المعلق بمن اتبع الهدى، فهو سلام محدود مقيد، ذلك أنه لا سلم ولا أمان لمن سلك سبل الغواية والضلالة واعتدى.

٤. الدعوة المباشرة والصريحة والمختصرة «أَسْلِمْ تَسْلَمْ» حيث ربط السلام بالإسلام، وهذا يعني أن تركه للإسلام سيفتح عليه جبهة حرب، لكن النبي ﷺ مع ذلك كان مرغباً محفزاً لهرقل على الإسلام فقال له: يؤتك الله أجرك مرتين، أجر التزامك بالنصرانية على أصولها السابقة، ثم أجرك على تركك لها واتباعك الدين الخاتم للنبوات، لأن التزامك الأول إن كان صادقاً سيلهمك إلى التزامك الثاني.

٥. الترهيب والتخويف من إثم تنكب طريق الإسلام، والتأكيد على أن آثام الرعية كلها لاسيما الفقراء والبسطاء ومن لا يستطيعون امتلاك أدوات المعرفة للوصول إلى الحقيقة فهؤلاء كلهم سيكونون في ميزان سيئاتك إن لم تسلم، وسيكون عليك وزرك وأوزار مَن وراءك مِن غير المهتدين، لأجل وقوفك حائلاً دون استبصارهم الطريق القويم.

٦. إنهاء الكتاب بآية تدعو إلى كلمة سواء بين المسلمين وأهل الكتاب، على قاعدة التوحيد لله، ونبذ الشرك به سبحانه.

- على الرغم من شجاعة هرقل في تلك الجلسة إلا أنه لم يكمل مشوار شجاعته تلك، فلم يكن مستعداً للتضحية في سبيل الحقيقة الدامغة التي توصل إليها، فلم تمض فترة وجيزة إلا وقد تنازل هرقل عن الحقيقة بعد استبانتها، ورضخ لضغوط مَن حوله مِن المنتفعين بالكفر والشرك، فاحتال عليهم ليخرج من حرج أوقع نفسه فيه، بأن قال لهم بأنه ما أراد بذلك إلا اختبارهم، والسؤال المفتوح هنا: ألم تؤثر كلمات هرقل في أيِّ راهب ممن حوله، ألم يكن للنتيجة العقلية المنطقية التي توصل إليها هرقل وأعلنها بكل وضوح على مَن حولها أي أثر فيهم؟!، أم أنه وقع عليهم قول الله تعالى: ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ

- جاء تعليق أبي سـفيان في خاتمة لقاء هرقل ليؤكد أن اليقين لديه أخذ يتبلور وأن الكفر بدأ يتزعزع لديه بعد تلك المقابلة، وأخذ يدرك أن دين الله تعالى سـيظهر، وبالفعل ظهر ديـن الله، ودخل الناس في دين الله أفواجاً، ولعل الله تعالى ادخر لأبي سـفيان وقد سـاهم ولو بطريق الإكراه في بيان الحقيقة ليحمله على تذوق طعم هذه الحقيقة يوم الفتح لما دخل دين الله تعالى.
- كانت رسـائل النبـي ﷺ إلى الملوك تمر بمراحل عن طريـق ولاتهم فيما حول الجزيرة العربية، فقد حمل عظيم البحرين كتاب النبي ﷺ إلى كسرى، كما حمل عظيم بصرى كتاب النبي ﷺ إلى هرقل، وهذا يدلك على ما كان للدولة الرومانية والدولة الفارسية من هيبة في محيط الجزيرة العربية، **وهذه السيطرة في ذاك الزمان تشبه سيطرة هؤلاء على عالمنا العربي والإسلامي في زماننا هذا، ولا حول ولا قوة إلا بالله.**
- مزَّق كسرى كتاب النبي ﷺ، كبراً وجحوداً وجهلاً وطيشاً منه، فدعا عليه النبي ﷺ أن يمزق الله ملكه، فتمزق ذلك الملـك، وهلك كسرى، ولم يعد هنالك كسرى بعده.
- لقـي كتاب النبي ﷺ إلى المقوقس ترحاباً وإكرامـاً للنبي ﷺ ولحاطب ابن أبي بلتعة رضي الله عنه، وهو حامل الكتاب إلى المقوقـس، فكان الرد الدبلوماسي اللطيف، وإن لم يُسـلم المقوقس، أهون من رد كسرى العنيف الذي استفز النبي ﷺ فدعا عليه.
- لا ندري ما الذي جعل المقوقس يُقبِّل الكتاب، ويُهدي للنبي ﷺ، ويكرم رسـوله وإن لم يُسـلم، ولكن يبدو أن الذي عنده علم من الكتاب يعلم حق المعرفة أن ما جـاء به النبي ﷺ حق، ولكن ظروفاً تحول بينه وبين الإسـلام، ومهما كانت تلك الظروف فإن أحداً لن يمنعك أن تدخل في الإسلام ولو بالخفية، وهذا خير من أن تموت مشركاً، ولاشك أنه حتى لو لم يُسلم فإنه أفضل وهو على شركه هذا من ذاك السفيه الجاهل الذي ردَّ رداً غليظاً.

- يقول الأستاذ محمد باشميل: «بعد حادثة أبي جندل المؤلمة المؤثرة عاد الصحابة إلى تجديد المعارضة للصلح، وذهبت مجموعة منهم إلى رسول الله ﷺ بينهم عمر بن الخطاب لمراجعته، إلا أن النبي ﷺ بما أعطاه الله من صبر وحكمة وحلم وقوة حجة استطاع أن يقنع المعارضين بوجاهة الصلح، وأنه في صالح المسلمين،... **وبهذا يتبين أن الرسول ﷺ وضع قاعدة احترام المعارضة النزيهة، وذلك بتشجيع الأتباع على إبداء الآراء السليمة التي تخدم المصلحة العامة**»[1].
- يقول الدكتور علي الصلابي: «استدل العلماء والأئمة بصلح الحديبية على جواز عقد هدنة بين المسلمين وأهل الحرب من أعدائهم إلى مدة معلومة»[2].
- يقول الدكتور علي معطي: «تعد رسائل النبي ﷺ إلى أمراء العرب والملوك المجاورين لبلاده نقطة تحول في سياسة دولة الرسول الخارجية، فعظم شأنها وأصبحت لها مكانة دينية وسياسية بين الدول، وذلك قبل فتح مكة، كما أن هذه السياسة مهدت لتوحيد الرسول ﷺ لسائر إنحاء بلاد العرب في عام الوفود»[3].
- **يقول الأستاذ عمر عبيد حسنة: «إن حلف الفضول وصحيفة المقاطعة في شِعب أبي طالب والنزول بجوار المطعم بن عدي والسماح بالهجرة الى أرض الصدق والعدل لوجود ملك لا يظلم عنده الناس، وصلح الحديبية ووثيقة المدينة... كلها معالم رئيسة لكيفية التعامل والتعاقد والشراكة والتكامل والتعارف والتوافق مع الآخر»**[4].
- يقول الأستاذ أحمد الشعيبي: إذا كانت الوثيقة قد أنصفت الآخر (اليهود)، بعدم التدخل في شؤونه الداخلية وأحواله الشخصية فيما يتعلق بالحكم والقضاء، فإنها في المقابل تركت له حرية الاختيار في الاحتكام إلى أهل ملّته أو إلى النبي ﷺ، ونتيجة لهذا التخيير تحاكم اليهود الى الرسول ﷺ فيما كانوا يتظالمون به في

---

(١) صلح الحديبية، محمد أحمد باشميل، دار الفكر، ط٣، ١٩٧٣، ص٢٧٠.

(٢) السيرة النبوية دروس وعبر، الدكتور علي الصلابي، ص٩٦٩.

(٣) التاريخ السياسي والعسكري لدولة المدينة، د. علي معطي، مؤسسة المعارف، بيروت، ط١، ١٩٩٨م، ص٣٥١.

(٤) وثيقة المدينة، المضمون والدلالة، أحمد قائد الشعيبي، بتقديم الاستاذ عمر عبيد حسنة، ص٣١.

الدية»[1].

ثـم يقول أيضا: «إن غاية الرسـول ﷺ الآنية والملحة من هـذه الوثيقة تتمثل في النقاط التالية:

١. ضمان الأمن وتقوية الجبهة الداخلية.
٢. قطع الطريق على قريش كي لا تستفيد من المدينة أو من أحد من سكانها.
٣. إرسال السرايا.
٤. عزل قريش القوية حتى لا تتعاظم قوتها.
٥. عدم فتح أكثر من جبهة في آن.
٦. منع قوافل قريش من المرور في أراضي الدولة الاسـلامية[2]، وهذه الغايات كلها قد تحققت في مدة الصلح.

- في اطلاق النبي ﷺ للرؤيا التي رآها بأنه سيدخل المسجد الحرام آمناً دون تحديد لوقت ذلك الدخول ما يدحض أي احتجاج كان ليصدر عن أيٍّ كان بشـأن وعد النبي ﷺ لأصحابه بدخول مكة ثم قبوله بشروط الصلح التي كان من بينها رجوعه هذا العام وعودته في العام المقبل.
- **يقول الشـيخ محمد الغزالي: «ومِن عجبٍ أن الولايات العربية التابعة للرومان لما أرسـل النبي ﷺ إلى أمرائها يعرض عليهم الإسلام كانت إجاباتهم أخشن وأقسى من رد القيصر نفسه!!»[3].**
- يقول الدكتور منير الغضبان: «والدرس الذي نود أن نتوجه به إلى القيادات الإسلامية والمسـؤولين في الحركة هـو: أن يرحموا أعصاب جنودهم حين لا يسـتطيعون تفسير الأوامر لهم، ففي صلح الحديبية وقائدهم رسول الله ﷺ الموحى إليه من عنـد الله عز وجل ومع ذلك لم تحتمل أعصابهم هذه الضغوط وانتهى الأمر بهم أن توقفوا عن تلبية نداء الرسول ﷺ لهم بالإحلال»[4].

---

(١) وثيقة المدينة، المضمون والدلالة، أحمد الشعيبي، ص٥٨.
(٢) السابق، ص ١٦٤.
(٣) فقه السيرة، الشيخ محمد الغزالي، ص٣٥٨.
(٤) المنهج الحركي للسيرة النبوية، الدكتور منير الغضبان، ص٣٥٤.

ثم يقول أيضا في موضع آخر: «إن الانتقال بالدعوة إلى المجال السياسي بحيث تثبت وجودها فيه بجانب الجهد العسكري الذي تبذله هو الذي يمكّن لهذه الدعوة في الأرض، وإن الدعوة حين تُسَد في وجهها السبل وتوضع في عجلاتها العصي وينزل الاضطهاد بها من كل صوب لا تجد أمامها محيصاً من اللجوء إلى القوة حتى تدعم جذورها في الأرض، لكن هذه القوة هي الوسيلة الناجعة للعودة إلى الحوار الفكري والمجال السياسي مع الخصوم، وتستطيع أن تحقق بترافقٍ ذينك الجانبين معظم أهدافها، أما التخلي عن واحد منهما فهو خلل كبير تصاب به الدعوة»[1].

- يقول الشيخ أبو الحسن الندوي: «**ولكي نشعر بأهمية هذه الرسائل التي وجهت إلى دول وبلاد مختلفة وملوكها ومكانتها الصحيحة في التاريخ المعاصر ووقعها في القلوب والنفوس يجب أن نتعرف بهؤلاء الأشخاص الأربعة: هرقل وكسرى والنجاشي والمقوقس وحجم الحكومات التي كانوا يحكمونها**»[2]، ثم يسرد تفصيلاً بأحوالهم لمن أراد التعرف بهم.
- يقول الدكتور عماد الدين خليل: «**قرر الرسول ﷺ أن ينطلق ليعتمر بأصحابه في مكة مستهدفاً تحقيق أهداف ثلاثة:**

أولها: إشعار الناس جميعا أن علاقات الاسلام بالقوى الأخرى ليس شرطا أن تظل قائمة على الحرب والعنف وأن بالإمكان أن تسودها فترات من السلم والتهادن والتعايش المشترك، على خلاف المذاهب والاتجاهات.

وثانيها: تجميد الصراع في مواجهة قريش والتركيز على جهات أخرى سيما بعد التصعيد الذي شهده الصراع في مواجهة اليهود من جهة، وفي مواجهة البيزنطيين وحلفائهم نصارى العرب من جهة أخرى.

وأما ثالث الأهداف فهو: إقرار حقيقة أن مكة ومقدساتها ليست حكراً للوثنية تمارس فيها تقاليدها بحرية وتسيطر على مقدراتها»[3].

---

(١) السابق، ص ٣٦٣.

(٢) السيرة النبوية، الشيخ أبو الحسن الندوي، ص ٢٩٥.

(٣) دراسة في السيرة، الدكتور عماد الدين خليل، ص ١٨٥.

- يقول الدكتور أحمد الريسوني: «مما لا غبار عليه في الشريعة الاسلامية؛ أن الأفعال لا يحكم عليها بمجرد صورها وظواهرها، ولا بمجرد أسمائها، ولا ببداياتها دون مآلاتها ونهاياتها، بل الحكم الصحيح على أي فعل إنما يكون بالنظر الى ظاهره وباطنه، والباطن أولى، وبالنظر إلى صورته ونية صاحبه، والنية فيه أولى، وبالنظر إلى بدايته وعاقبته، وعاقبته أولى، وبالنظر إلى اسمه وحقيقته، وحقيقته أولى، **وفي كل هذه الوجوه صاغ الفقهاء قواعد فقهية مستمدة من القرآن والسنة أذكر منها:** الأمور بمقاصدها، المقاصد أرواح الأعمال، العبرة بالمقاصد والمعاني لا بالألفاظ والمباني، الأعمال بالخواتيم، اعتبار المآلات،.. **ومن الأمثلة الجلية في هذا الباب ما جرى في (صلح الحديبية) الشهير**»[1].

- أبرز الفوائد والأنوار في المجال الأمني العسكري:

- في رواية البراء ما يدلك على أن بيعة الرضوان وصلح الحديبية فتحٌ، وإن كان ذلك بينهم لم يكن معروفاً بل كانوا يحسبون هذه كلها (شروط الصلح) نقاط ضعف وتنازل للخصوم، حتى كشف الله تعالى لهم نتائج ذلك كله فصارت بالنسبة لهم فتحاً، لأجل ذلك قال البراء: «تعدون أنتم الفتح؛ فتح مكة، وقد كان فتح مكة فتحاً، ونحن نعدُّ الفتح بيعة الرضوان، يوم الحديبية».
- **في إرسال النبي ﷺ عيونه أمامه حتى في عمرة الحديبية ما يؤكد أهمية الجانب الأمني الاستخباري عند كل مسير وخطوة يخطوها المسلمون في حياتهم**، لما يعتري مساراتهم كلها من تهديد يكمن به أعداء الإسلام فتكون القاصمة، وفعلاً أتى العين وأخبر النبي ﷺ بأن قريشاً غاضبة وتجهز لملاقاته.
- كانت ولا تزال المشورة عنواناً لم يفارق النبي ﷺ في مساراته كلها لا سيما تلك المسارات الساخنة الحامية، ولقد بادر النبي ﷺ بالاقتراح ليرى ما عند أصحابه من ردود فعل، فكان اقتراح النبي ﷺ أن تتحول العمرة إلى غزوة وأن يميل على القوم فيقاتلهم، إذ بأبي بكر رضي الله عنه يتدخل في لحظة حاسمة، وهكذا كان شأن هذا

---

(١) مقاصد المقاصد، الأستاذ الدكتور أحمد الريسوني، ص ١١٢.

الرجل المبارك، لا يتكلم في حضرة القائد الكبير ما دامت الأمور تجري وفق أصولها الطبيعية، لكنه كان إن رأى أو سمع ما يستغربه أبدى رأيه بكل شجاعة، وهنا أنطق الله لسانه في حضرة حبيبه المصطفى فقال: «يا رسول الله خرجتَ عامداً لهذا البيت، لا تريد قتل أحد، ولا حرب أحد، فتوجه له، فمن صدَّنا عنه قاتلناه»، وفي كلمات أبي بكر رضي الله عنه ما يوحي بإبقاء نية العمرة، واعتبار القتال أمر طارئ إن لزم.

- أعرب النبي ﷺ عن أسفه لعناد قريش وتعنتها على الرغم من تعدد خسائرها في كل معركة تخوضها، لكنه ﷺ يعلم أن هذه هي طبيعة الكفر، **لا يزال كبراء القوم يتحدون الحق وأهله حتى يخربوا بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين**، ثم إن النبي ﷺ أكَّد تمسكه بالحق الذي معه، وأعلن أنه لن يتركه حتى يموت دونه.
- **شكَّلت عصابة أبي جندل وأبي بصير نقلة نوعية مختلفة في إدارة الصراع، فهي مبادرة فردية خارجة عن إطار القرار الرسمي، لكنها في المحصلة تصبُّ في خدمة المشروع العام**، وتسعى لتحقيق إذعان قريش، وفيها أنفاس الانتصار للمظلوم، وما أجمل تلك المبادرات الفردية التي لا تحمل المجموعة الكبرى كلفتها، ويعود خيرها وبركتها على المجموعة الكبرى والصغرى في المحصلة، وقد صدق من قال: بأنه قد يسع الفرد ما لا يسع الجماعة، وقد حققت هذه المجموعة هدفها بإلغاء الشرط الجائر، وإعادة ضم المسلمين الجدد إلى أحضان دولة رسول الله ﷺ، فوفى النبي ﷺ بوعده، وأرغم الله أنوف المشركين بهمة أصحاب رسول الله ﷺ، **وهكذا تحول التحدي (الشرط الجائر) إلى فرصة لمقارعة قريش، ومِن ثم لفتح الأفق باعتراف قريش بدولة النبي** ﷺ، وذلك أن قريشاً وإن لم تعترف بالنبي ﷺ في هذا الصلح كنبي، إلا أنها اعترفت بأنه نِدٌّ لها، وأنه قائد لدولة أو لمجموعة محترمة، ولولا ذاك ما كانت لتتنازل عن كبريائها ولتكتب صلحاً مع جماعة لا تقيم لها وزناً.
- في الكلمة التي قالها النبي ﷺ عن أبي بصير بأنه مسعِّر حرب، ما يشي بأن ﷺ يريده أن يكون كذلك في ذلك الموقف تحديداً، وفي قوله: لو أنه له رجال، ما

يشي بأن النبي ﷺ يريد ويطمح بأن يلتحق بهذا الرجل الشجاع رجال مثله معه.

- **تبرز قيمة هذا الصلح من نتائجها الباهرة، والتي تعد في مجموعها فتحاً للمسلمين فمن نتائج الصلح:**

١. تأكيد ولاء الصحابة الكرام للنبي ﷺ، والتفافه حول مشروعه ودينه العظيم.
٢. اعتراف قريش بدولة أو مجموعة النبي ﷺ اعترافاً سياسياً.
٣. حقن الدماء للفريقين وإقرار مبدأ حق النبي ﷺ بالعمرة، وإن كان ذلك في العام التالي.
٤. إقرار مبدأ التحالف دون اعتراض من الطرفين، فدخلت بنو خزاعة في حلف النبي ﷺ، وبنو بكر في حلف قريش.
٥. نزول سورة الفتح لتضفي مشاعر البهجة والسرور على نفوس الصحابة الكرام، وتفتح لهم آفاقاً جديدة.
٦. اتهام الرأي والوقوف عند النصوص الصحيحة الصريحة بكل أدب، لأن الخيرة فيما اختار الله، وإذا عجزت عقولنا عن إدراك الحكمة من التشريع؛ فلا أقل من التأدب مع كلام ربنا سبحانه وهدي رسوله ﷺ، لئلا تصيبنا فتنة، فنصبح على ما فعلنا نادمين.

- **جمعت قصة أسر سلمة بن الأكوع رضي الله عنه لأربعة من المشركين الكثير من الفوائد والاستراتيجيات العسكرية والأمنية ومن ذلك:**

١. الصبر الكبير على استفزاز أربعة من المشركين له أخذوا يطعنون برسول الله ﷺ أمامه، وذلك بعد عقد صلح الحديبية، إذ اختصر شرورهم وابتعد عنهم لكي لا يتسبب في خرق صلح أبرمه رسول الله ﷺ.
٢. استثمار فرصة سانحة للانقضاض على المشركين الأربعة، بمجرد أن علم سلمة رضي الله عنه أن هنالك من نقض العهد وقتل واحداً من صحابة الرسول ﷺ.
٣. استخدام عنصر المفاجأة والقدرة الفائقة على تقييد هؤلاء الأربعة وأسرهم وحملهم للنبي ﷺ، دون أن يمس واحداً منهم بأذى.
٤. مشاهدة عفو النبي ﷺ عن هؤلاء الأربعة وغيرهم ممن جيء بهم أسارى

من القرشـــيين الذين حاولوا العبث لإبطال الصلح بعد عقده، وهذا يدل فيما يـــدل على أنه حتى في المجتمع المكي لم يكن الرضا عن بنود الصلح مطبقاً وكاملاً.

- **جمعت قصة سلمة بن الأكوع رضي الله عنه ومطاردته لمن سرقوا لقاح رسول الله ﷺ يوم ذي قرد الكثير من الفوائد والاستراتيجيات العسكرية والأمنية ومن ذلك:**

١. رفض سلمة رضي الله عنه أن يستخدم فرساً ليس له في ملاحقة مَن سرقوا لقاح النبي ﷺ، وأعطى الفرس لزميله رباح، وطلب منه أن يوصله لصاحبه طلحه.
٢. طلب سلمة رضي الله عنه من رباح أن يخبر رسول الله ﷺ بما جرى، وهذا أمر مهم لكي لا يكون القائد العام في غيبة عن الحدث.
٣. شكَّل سلمة رضي الله عنه من نفسه جهازاً إعلامياً حين صعد الجبل وأخذ يصيح في أهـــل المدينة منذراً لهم وبكلمة واحدة يعلمون أنها بمنزلة جرس إنذار دون تفصيل قائلاً لهم: يا صباحاه.
٤. تحوَّل ســـلمة رضي الله عنه إلى فرس أو خيل يعدو في سبيل الله عدواً سريعاً، ولم يجـــد من أحد حوله يعطيه الدافع، فأخذ يدفع دفعاً ذاتياً من خلال ما يرتجز من شعر حماسي؛ أنا ابن الأكوع *** واليوم يوم الرضع.
٥. بدء الرماية أثناء الملاحقة لهم وهم ركوب، بينما كان هو راكضاً خلفهم.
٦. إصابة من استطاع منهم إصابته بجراح أو قتل، أو حسبما تيسر له ذلك.
٧. بدء مناورات كر وفر معهم، وتخفٍّ وظهور.
٨. بدء عملية تحرير المسروقات (اللقاح) من أيدي الســـارقين المارقين، وهو مع كل خطوة للأمام يخلف وراءه من هذه المسروقات شيئاً جديداً.
٩. بدء استلاب أسلحتهم ومتاعهم لاســـيما تلك التي يتركونها وراءهم تخففاً من شدة الفزع والخوف، وهم جمع في مقابل رجل واحد.
١٠. بدء عملية الاحتفاظ بكل ما يتركونه وراءهم من خلال تغطيته ووضع علامة خاصة (كلمة السر أو شيفرة) يعرفها رسول الله ﷺ وأصحابه إذا تبعوهم.
١١. استمراره في رصد من بقي منهم، حتى مع من أتاهم من المدد وهم يتغدون.

١٢. التحـــدي المباشر لأربعة منهم قاموا له، وإعلانه عن اســـمه ومخاطبته لهم بكل جرأة وشـــجاعة، وتصريحه بأنه لا يُسبق، وإذا قرر ملاحقتهم فإن أحداً منهم لا يمكنه أن يفلت منه.

١٣. مشـــاغلتهم حتى جاءه المـــدد، ومعرفته التامة بأصحاب رســـول الله ﷺ وتمييزهم واحداً واحداً، ليتأكد أنهم له مدد، وليسوا عليه عدو أو عيون.

١٤. الحس الأمني العالي لديه، إذ حذَّر صاحبه من أن يباغته العدو، لكن الأخرم كان متلهفاً للشـــهادة فنالها مقبلاً غير مدبر، في حين استطاع هو أن يحتفظ بنفسه بعد كل هذا الجهد ودون أن يصاب بأي أذى.

١٥. اســـتمرار ملاحقته للأعداء، وسبقه لخيول مدد رســـول الله ﷺ، والتشديد على أن يظل العدو منه على مرمى البصر.

١٦. منع الأعداء مـــن شرب ولو جرعة واحدة من مـــاء البئر الذي وجدوه على طريق فرارهم من ســـلمة، واســـتمرار الملاحقة حتى اســـتطاع إصابة أحد رجالهم بسهمه.

١٧. انتهـــاء المهمة بعد إنهاك العدو وقتل بعض أفراده، واســـتعادة جميع ما تم سلبه من اللقاح، مضافاً إليها بعض الغنائم من السيوف والأسلحة وغيرها.

١٨. الطلب الصريح من النبي ﷺ بأن يختار من الصحابة مائة رجل ليتم ملاحقة الأعـــداء حتى لا يبقى منهم (مخبر) يحدث لمن بعده عما جرى لهم، وهذا الاقـــتراح المتحمس أســـعد قلب النبي ﷺ، وهنا لابـــد أن ندرك ما السر في مبايعة النبي ﷺ لسلمة بن الأكوع عند شجرة الرضوان ثلاث مرات.

١٩. لم ينس رســـول الله ﷺ التحفيز والتكريم لسلمة، **فكان تكريماً معنوياً** بأن قال بأن ســـلمة خير الرجَّالة يومئذ، **وتكريماً مادياً** حين أعطاه سهم الفارس والراجل، ثم أردفه خلفه في مشـــهد يدل على تقريبه منه حتى وصل المدينة المنورة.

٢٠. ختم سلمة بن الأكوع رضي الله عنه المشهد بذكره لحكاية السباق الذي سابق به أحد الأنصار وقد وجده يتحدى في المســـابقة فانتهره ووبخه لقبح أسلوبه، لكنه

لم يرعوِ فعزم سلمة على مسابقته بعد أن استأذن النبي ﷺ، وبدأ السباق وقد وصف سلمة التفاصيل الدقيقة لذلك **ما يدلك على شدة عنايته بالتفاصيل لاسيما في مشهد به يعتز الرجال**، واستمر السباق إلى بوابات المدينة حيث كان السبق لسلمة رضي الله عنه، وفي القصة ما فيها مما يدلك على طبيعة شخصية سلمة رضي الله عنه فهو؛ **قوي البنية، مشدود العضلات، سريع البديهة، شجاع النفس، يملك دافعاً ومحركاً ذاتياً، ولديه الغيرة الكاملة على دين الله تعالى، والذوق الرفيع مع الأدب في الحوار، كما أن لديه الحس الأمني والحذر والانتباه، فهو يُصيب ولا يصاب، ويَسبق ولا يُسبق.**

- يقول الدكتور راغب السرجاني: «على الرغم من تصاعد قوة المسلمين العسكرية بشكل لافت للنظر وعلى الرغم من الانتصارات المتكررة هنا وهناك وبخاصة انتصار المسلمين على يهود خيبر وعلى الرغم من عالمية الإسلام في تلك الفترة ومراسلة ملوك العالم وزعمائه ودعوتهم للإسلام على الرغم من كل هذا التقدم والتفوق إلا أن المسلمين ما فكروا في غزو مكة أو إيذاء أهلها وما فكروا حتى في استرداد أموالهم المسلوبة هناك لأنهم ملتزمون تماما بعهدهم»[1]، وكذلك حين دخلوا مكة فاتحين لم يأخذوا من أهلها غنيمة ولا حتى فيئاً يُذكر.

(١) أخلاق الحروب في السنة النبوية، الدكتور راغب السرجاني، ص٢٣٠.

قيَّـد النبي ﷺ أيدي كفار مكة من أن تمتد لنـصرة وإغاثة المجرمين مِن حولهم ضده، لاسيما أولئك اليهود المتربصين به وبدعوته، ومن ثمَّ أتاح الصلح فرصة عظمى لـكي يتفرغ النبي ﷺ لهؤلاء الملاعين ويجري عليهـم التأديب اللائق، فكانت غزوة خيبر.

غزوة خيبر[1]:

- **توقيـت الغزوة:** اختلفـوا في توقيتها بين من قال بأنها **كانت في السـنة السـابعة للهجرة، وهو قول الجمهور**، وبين من قال بأنها كانت في السنة السادسة[2].
- **وقفات على طريق خيبر:**
- **حُداء عامر بن الأكوع في الطريق إلى خيبر، وشهادة القائد بشهادته:**
- روى سَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ رضي الله عنه، قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ إِلَى خَيْبَرَ، فَسِرْنَا لَيْلًا، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ لِعَامِرٍ: يَا عَامِرُ، أَلَا تُسْمِعُنَا مِنْ هُنَيْهَاتِكَ؟ وَكَانَ عَامِرٌ رَجُلًا شَاعِرًا، فَنَزَلَ يَحْدُو بِالْقَوْمِ يَقُولُ:

اللَّهُمَّ لَوْلَا أَنْتَ مَا اهْتَدَيْنَـا ... وَلَا تَصَدَّقْنَا وَلَا صَلَّيْنَـا
فَاغْفِرْ فِدَاءً لَكَ مَا أَبْقَيْنَـا ... وَأَلْقِيَنْ سَكِينَـةً عَلَيْنَـا
وَثَبِّتِ الْأَقْدَامَ إِنْ لَاقَيْنَـا ... إِنَّا إِذَا صِيحَ بِنَا أَبَيْنَـا
وَبِالصِّيَاحِ عَوَّلُوا عَلَيْنَا

فَقَالَ رَسُـولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ هَذَا السَّائِقُ؟ قَالُوا: عَامِرُ بْنُ الْأَكْوَعِ، قَالَ: «يَرْحَمُهُ اللَّهُ

(١) لم يثبت في تفصيل أسماء حصون خيبر وترتيبها وطريقة فتحها مما أورده بعض كُتَّاب السيرة روايات صحيحة بأسانيد ثابتة، لأجل ذلك أعرض عن هذا التفصيل الشيخ ابراهيم العلي في صحيح السيرة، وذكره بشكل مقتضب الدكتور العمري مشيراً إلى أنه لم يثبت.

(٢) ذكر الخلاف الشيخ ابراهيم العلي في صحيح السيرة، ص٤٣٧، وقال بأن الراجح ما ذكره ابن اسحاق والواقدي وموسى بن عقبة وغيرهم بأنها كانت في السنة السابعة، على خلاف ما قاله الإمام مالك وتابعه عليه ابن حزم.

«قَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: وَجَبَتْ يَا نَبِيَّ اللَّهِ، لَوْلَا أَمْتَعْتَنَا بِهِ... فَلَمَّا تَصَافَّ الْقَوْمُ كَانَ سَيْفُ عَامِرٍ قَصِيرًا، فَتَنَاوَلَ بِهِ سَاقَ يَهُودِيٍّ لِيَضْرِبَهُ وَيَرْجِعُ ذُبَابُ سَيْفِهِ، **فَأَصَابَ عَيْنَ رُكْبَةِ عَامِرٍ فَمَاتَ مِنْهُ.**

قَالَ: فَلَمَّا قَفَلُوا، قَالَ سَلَمَةُ: رَآنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ آخِذٌ بِيَدِي قَالَ: «مَا لَكَ؟ «قُلْتُ لَهُ: فَدَاكَ أَبِي وَأُمِّي زَعَمُوا أَنَّ عَامِرًا حَبِطَ عَمَلُهُ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**كَذَبَ مَنْ قَالَهُ، إِنَّ لَهُ لَأَجْرَيْنِ، وَجَمَعَ بَيْنَ إِصْبَعَيْهِ إِنَّهُ لَجَاهِدٌ مُجَاهِدٌ، قَلَّ عَرَبِيٌّ مَشَى بِهَا مِثْلَهُ**»»[1].

- **دعاء القائد:** لما أشرف رسول الله ﷺ على القرية المحصنة وتهيأ لمنازلة أهلها قال لأصحابه قفوا، ثم تضرع إلى الله بهذا الدعاء: «اللهم رب السموات وما أظللن، ورب الأرضين وما أقللن، ورب الشياطين وما أضللن، ورب الرياح وما أذرين، **فإنا نسألك خير هذه القرية، وخير أهلها، وخير ما فيها، ونعوذ بك من شرها، وشر أهلها، وشر ما فيها**»[2].
- **خدمة القائد، وتأكيد الدعاء:** روى أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال لأبي طلحة: «التمس لي غلاماً من غلمانكم يخدمني حتى أخرج إلى خيبر، فخرج بي أبو طلحة مردفي وأنا غلام راهقت الحلم، فكنت أخدم رسول الله ﷺ إذا نزل، فكنت أسمعه كثيراً يقول: **اللهم إني أعوذ بك من الهمِّ والحزن، والعجز والكسل، والبخل والجبن، وضلع الدَّين وغلبة الرجال، ثم قدمنا خيبر**»[3].
- **توجيهات القائد وتأكيد أهمية الدعاء:** روى أبو موسى الأشعري رضي الله عنه قال: «لما غزا رسول الله ﷺ خيبر، أو قال لما توجه رسول الله ﷺ أشرف الناس على وادٍ **فرفعوا أصواتهم بالتكبير؛ الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله، فقال رسول الله ﷺ: أربِعوا على أنفسكم، إنكم لا تدعون أصم ولا غائباً، إنكم تدعون سميعاً قريباً، وهو معكم**، وأنا خلف دابة رسول الله ﷺ فسمعني وأنا أقول: **لا حول ولا قوة إلا بالله**، فقال لي: يا عبد الله بن قيس، قلت: لبيك يا رسول الله، قال: **ألا أدلك على**

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة خيبر، ح٤١٩٦.

(٢) أخرجه ابن هشام في السيرة ٢/ ٢٣٦، بإسناد قال فيه الشيخ الألباني بأنه حسن، وانظر فقه السيرة ص٣٤٢.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الجهاد، باب من غزا بصبي للخدمة، ح ٢٨٩٣.

كلمة من كنز من كنوز الجنة؟ قلت: بلى يا رسول الله فداك أبي وأمي، قال: لا حول ولا قوة إلا بالله»[1].

- **تحريم؛ الثوم، ونكاح المتعة، ولحوم الحمر الإنسية:** روى سلمة ابن الأكوع رضي الله عنه قال: «... فَأَتَيْنَا خَيْبَرَ فَحَاصَرْنَاهُمْ حَتَّى أَصَابَتْنَا مَخْمَصَةٌ شَدِيدَةٌ، ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى فَتَحَهَا عَلَيْهِمْ، فَلَمَّا أَمْسَى النَّاسُ مَسَاءَ الْيَوْمِ الَّذِي فُتِحَتْ عَلَيْهِمْ أَوْقَدُوا نِيرَانًا كَثِيرَةً، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَا هَذِهِ النِّيرَانُ؟ عَلَى أَيِّ شَيْءٍ تُوقِدُونَ؟ قَالُوا: عَلَى لَحْمٍ، قَالَ: «عَلَى أَيِّ لَحْمٍ؟ «قَالُوا: لَحْمِ حُمُرٍ الْإِنْسِيَّةِ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَهْرِيقُوهَا وَاكْسِرُوهَا «فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَوْ نُهَرِيقُهَا وَنَغْسِلُهَا؟ قَالَ: «أَوْ ذَاكَ»[2].

وفي رواية: أن منادي النبي ﷺ نهاهم عنها وقال: فإنها رجس»، وفي رواية ابن عمر رضي الله عنهما «أن رسول الله ﷺ نهى يوم خيبر عن أكل الثوم، وعن لحوم الحمر الأهلية»[3]، وفي رواية علي بن أبي طالب رضي الله عنه «**أن رسول الله ﷺ نهى عن متعة النساء يوم خيبر، وعن أكل لحوم الحمر الإنسية**»[4]، وزاد في رواية جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: «ورخَّص في الخيل»[5].

وفي رواية عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: أن رسول الله ﷺ قال في غزوة خيبر: «من أكل من هذه الشجرة، يعني الثوم، فلا يأتين المساجد»[6].

- **على مائدة القائد:** روى سويد بن النعمان أنه خرج مع النبي ﷺ عام خيبر، حتى إذا كنا بالصهباء وهي من أدنى خيبر صلى العصر، ثم دعا بالأزواد فلم يؤت إلا بالسُّويق، فأُمر به فثري، فأكل وأكلنا، ثم قام إلى المغرب فمضمض ومضمضنا ثم صلى ولم يتوضأ»[7].
- **حرص الصحابة على القائد ومشاهدة البركة في يديه:** روى أبو قتادة رضي الله عنه قال:

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة خيبر، ح ٣٩٦٨.

(٢) السابق، ح٤١٩٦.

(٣) السابق، ح ٣٩٧٨.

(٤) السابق، ح ٣٩٧٩.

(٥) السابق، ح ٣٩٨٢.

(٦) أخرجه مسلم، كتاب المساجد، باب نهي من أكل ثوماً أو بصلاً أو كراثاً أو نحوها، ح١٢٤٨.

(٧) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة خيبر ح ٣٩٥٩.

«خطبنا رسول الله ﷺ فقال: إنكم تسيرون عشيتكم وليلتكم، وتأتون الماء إن شاء الله غداً، فانطلق الناس لا يلوي أحد على أحد.

قال أبو قتادة: فبينما رسول الله ﷺ يسير حتى ابهار الليل، وأنا إلى جنبه، قال: **فنعس رسول الله ﷺ فمال عن راحلته، فأتيته فدعمته من غير أن أوقظه حتى اعتدل على راحلته**، قال: ثم سار حتى تهور الليل مال عن راحلته، قال: فدعمته من غير أن أوقظه، حتى اعتدل على راحلته، قال: ثم سار حتى إذا كان من آخر السحر مال ميلة هي أشد من الميلتين الأوليين، حتى كاد ينجفل فأتيته فدعمته.

فرفع رأسه فقال: من هذا؟ قلت: أبو قتادة، قال: متى كان هذا مسيرك مني؟

قلت: ما زال هذا مسيري منذ الليلة، قال: حفظك الله بما حفظتَ به نبيَّه.

ثم قال: هل ترانا نخفى على الناس، ثم قال: هل ترى من أحد؟

قلت: هذا راكب، ثم قلت: هذا راكب آخر، حتى اجتمعنا فكنا سبعة ركب، قال: فمال رسول الله ﷺ عن الطريق، فوضع رأسه ثم قال: **احفظوا علينا صلاتنا**، فكان أول من استيقظ رسول الله ﷺ والشمس في ظهره، قال: فقمنا فزعين، ثم قال: اركبوا فركبنا، فسرنا حتى إذا ارتفعت الشمس نزل ثم دعا بميضأة كانت معي فيها شيء من ماء، قال: فتوضأ منها وضوءاً دون وضوء، قال: وبقي فيها شيء من ماء، ثم قال لأبي قتادة: **احفظ علينا ميضأتك، فسيكون لها نبأ**، ثم أذن بلال بالصلاة، فصلى رسول الله ﷺ ركعتين، ثم صلى الغداة فصنع كما كان يصنع كل يوم، قال: وركب رسول الله ﷺ وركبنا معه.

قال: فجعل بعضنا يهمس إلى بعض، **ما كفارة ما صنعنا بتفريطنا في صلاتنا؟**

ثم قال: **أما لكم فيَّ أسوة**، ثم قال: **أما إنه ليس في النوم تفريط، إنما التفريط على من لم يُصلِّ الصلاة حتى يجيء وقت الصلاة الأخرى**، فمن فعل ذلك فليصلها حين ينتبه لها، فإذا كان الغد فليصلها عند وقتها.

ثم قال: ما ترون الناس صنعوا؟ قال: ثم قال: أصبح الناس فقدوا نبيهم فقال أبو بكر وعمر: رسول الله ﷺ بعدكم لم يكن ليخلفكم، وقال الناس: إن رسول الله ﷺ بين أيديكم، **فإن يطيعوا أبا بكر وعمر يرشدوا.**

قال: فانتهينا إلى الناس حين امتد النهار وحمي كل شيء، وهم يقولون: يا رسول الله هلكنا، عطشنا، فقال: لا هلك عليكم، ثم قال: أطلقوا لي غمري[1]، قال: ودعا بالميضأة، فجعل رسول الله ﷺ يصب وأبو قتادة يسقيهم، فلم يعد أن رأى الناس ماء في الميضأة تكابوا عليها، فقال رسول الله ﷺ: **أحسِنوا الملأ، كلكم سيُروى.**

قال: ففعلوا، فجعل رسول الله ﷺ يصبُّ وأسقيهم **حتى ما بقي غيري وغير رسول الله ﷺ، قال: ثم صبَّ رسول الله ﷺ فقال لي: اشرب، فقلت: لا أشرب حتى تشرب يا رسول الله، قال: إن ساقي القوم آخرهم شرباً.**

قال: فشربت وشرب رسول الله ﷺ، قال: فأتى الناس الماء جامين رواء[2]»[3].

على بوابات خيبر:

- **تحذيرات يهود، وثبات القائد:** روى أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أتى خيبر ليلاً، وكان إذا أتى قوماً بليل لم يغر بهم حتى يصبح، فلما أصبح خرجت اليهود بمساحيهم ومكاتلهم، فلما رأوه قالوا: **محمد والله محمد، والخميس.**

فقال النبي ﷺ: **خربت خيبر، إنا إذا نزلنا بساحة قوم، فساء صباح المنذَرين»**[4].

في الغزوة:

- **شجاعة لم تنفع صاحبها:** روى أبو هريرة رضي الله عنه قال: «شهدنا خيبر، فقال رسول الله ﷺ لرجل ممن معه يدَّعي الإسلام: هذا من أهل النار، فلما حضر القتال قاتل الرجل أشد القتال حتى كثرت به الجراحة، فكاد بعض الناس يرتاب، فوجد الرجل ألم الجراحة، فأهوى بيده إلى كنانته، فاستخرج منها أسهماً فنحر بها نفسه، فاشتد رجال من المسلمين فقالوا: يا رسول الله صدق الله حديثك، انتحر فلان، فقتل

---

(١) أي أعطوني القدح الصغير.

(٢) نشطاء مستريحين.

(٣) أخرجه مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب قضاء الصلاة الفائتة، ح ٦٨١.

(٤) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة خيبر، ح ٣٩٦١.

نفسه، فقال: **قم يا فلان، فآذَن أنه لا يدخل الجنة إلا مؤمن، إن الله يؤيد الدين بالرجل الفاجر**»[1].

- **ذلك بما كسبت أيديهم:** روى ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ «قاتل أهل خيبر حتى ألجأهم إلى قصرهم، فغلب على الأرض والزرع والنخل فصالحوه على أن يجلوا منها ولهم ما حملت ركابهم، ولرسول الله ﷺ الصفراء والبيضاء، ويخرجون منها.

فاشترط عليهم ألا يكتموا ولا يغيبوا شيئاً، فإن فعلوا فلا ذمة لهم ولا عصمة، فغيبوا مسكاً فيه مال وحلي لحيي بن أخطب كان أحتملـه معه إلى خيبر حين أجليت النضير، فقال رسول الله ﷺ لعمِّ حُيي: ما فعل مسك حيي الذي جاء به من النضير؟

فقال: أذهبَته النفقات والحروب، **فقال ﷺ: العهد قريب، المال أكثر من ذلك، فدفعه رسول الله ﷺ إلى الزبير بن العوام فمسه بعذاب**، وقد كان حيي قبل ذلك قد دخل خربة فوجدوا المسك في خربة، فقتل رسول الله ﷺ أبني أبي حقيق، وأحدهما زوج صفية بنت حيي بن أخطب، وسبى رسول الله ﷺ نساءهم وذراريهم، وقسم أموالهم للنكث الذي نكثوا.

وأراد أن يجليهم منها فقالوا: يا محمد دعنا نكون في هذه الأرض نصلحها ونقوم عليها، ولم يكن لرسول الله ﷺ ولا لأصحابه غلمان يقومون عليها، **فكانوا لا يتفرغون أن يقوموا، فأعطاهم خيبر على أن لهم الشطر من كل زرع ونخل وشيء ما بدا لرسول الله ﷺ.**

وكان عبد الله بن رواحة يأتيهم كل عام يخرصها[2] عليهم، ثم يضمنهم الشطر قال: **فشكوا إلى رسول الله ﷺ شدة حرصه وأرادوا أن يرشوه فقال: يا أعداء الله أتطعموني السحت، والله لقد جئتكم من عند أحب الناس إليَّ، ولأنتم أبغض إليَّ من عدتكم من القردة والخنازير، ولا يحملني بغضي إياكم وحبي إياه على أن لا**

---

(١) السابق، ح ٣٩٦٧.

(٢) يُخمنها ويقدرها.

أعدل عليكم.

فقالوا: بهذا قامت السماوات والأرض.

- **بعض أحوال النبي ﷺ مع صفية رضي الله عنها:** «... ورأى رسول الله ﷺ بعيني صفية خضرة فقال: يا صفية ما هذه الخضرة؟ فقالت: كان رأسي في حجر ابن أبي حقيق وأنا نائمة، فرأيت كأن قمراً وقع في حجري، فأخبرته بذلك، فلطمني وقال: تمنين ملك يثرب؟.

قالت: وكان رسول الله ﷺ من أبغض الناس إليَّ، قتلَ زوجي وأبي وأخي، **فما زال يعتذر إليَّ ويقول: إن أباك ألَّب عليَّ العرب وفعل وفعل حتى ذهب ذلك من نفسي.**

- **عمر رضي الله عنه في مواجهة يهود خيبر:** «... فلما كان زمن عمر بن الخطاب غشوا المسلمين وألقوا ابن عمر من فوق بيت فقال عمر بن الخطاب: من كان له سهم من خيبر فليحضر حتى نقسمها بينهم، فقسمها عمر بينهم، فقال رئيسهم: لا تخرجنا، دعنا نكون فيها كما أقرنا رسول الله ﷺ وأبو بكر.

فقال عمر لرئيسهم: أتراه سقط عني قول رسول الله ﷺ: كيف بك إذا أفضت بك راحلتك نحو الشام يوماً ثم يوماً، وقسمها عمر بين من كان شهد خيبر من أهل الحديبية»[1].

- **راية خيبر:** روى سلمة رضي الله عنه قال: «كان علي بن أبي طالب رضي الله عنه تخلف عن النبي ﷺ في خيبر، **وكان رمداً، فقال: أنا أتخلف عن النبي ﷺ؟!**، فلحق به، فلما بتنا الليلة التي فتحت قال: لأعطين الراية غداً... فقيل: هذا علي، فأعطاه، ففتح عليه»[2].

وفي رواية سهل بن سعد رضي الله عنه: «أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر: **لأعطين هذه الراية غداً رجلاً يفتح الله على يديه، يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله، قال: فبات الناس يدوكون ليلتهم أيهم يعطاها**، فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله

---

(١) أخرجه ابن حبان في موارد الظمآن، ح١٦٩٧، والبيهقي ح٤/ ٢٢٩، وقد ذكره الشيخ ابراهيم العلي في صحيح السيرة برقم ٥٨٠، وقال: إسناده صحيح.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة خيبر، ح ٣٩٧٢.

ﷺ كلهم يرجو أن يعطاها، فقال: أين علي بن أبي طالب؟ فقيل: هو يا رسول الله يشتكي عينيه، قال: فأرسلوا إليه، فأتي به، فبصق رسول الله ﷺ في عينيه، ودعا له، فبرأ، حتى كأن لم يكن به وجع، فأعطاه الراية.

فقال علي: **يا رسول الله أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا؟**

فقال: انفذ على رسلك، حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه.

فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من أن يكون لك حمر النعم»[1].

- **شجاعة علي رضي الله عنه وقتله مرحب اليهودي:** روى سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قال: «... فلما قدمنا خيبر قال: خرج ملكهم مرحب يخطر بسيفه ويقول:

قد علمت خيبر أني مرحب
شاكي السلاح بطل مجرب
إذا الحروب أقبلت تلهب

قال: وبرز له عمي عامر فقال:

قد علمت خيبر أني عامر
شاكي السلاح بطل مغامر

قال: فاختلفا ضربتين، فوقع سيف مرحب في ترس عامر، وذهب عامر يسفل له، فرجع سيفه على نفسه فقطع أكحله، فكانت فيها نفْسُه... وخرج مرحب فقال:

قد علمت خيبر أني مرحب
شاكي السلاح بطل مجرب
إذا الحروب أقبلت تلهب

فقال عليٌّ:

أنا الذي سمتني أمي حيدره
كليث غابات كريه المنظره

---

(١) السابق، ح ٣٩٧٣.

أوفيهم بالصاع كيل السندره[1]

قال: فضرب رأس مرحب فقتله ثم كان الفتح على يديه»[2].

- **إصابة سلمة** رضي الله عنه: روى يزيد بن أبي عبيد قال: «رأيت أثر ضربة في ساق سلمة فقلت: يا أبا مسلم، ما هذه الضربة؟ فقال: هذه ضربة أصابتني يوم خيبر، فقال الناس: أصيب سلمة، فأتيت النبي ﷺ، **فنفث فيه ثلاث نفثات، فما اشتكيتها حتى الساعة**»[3].
- **قُتل شهيدا وأنا عليه شهيد**: روى شداد بن الهاد رضي الله عنه «أن رجلاً من الأعراب جاء إلى النبي ﷺ فآمن به واتبعه، ثم قال: أُهاجر معك، فأوصى به النبي ﷺ بعض أصحابه، فلما كانت غزوةٌ غنِمَ النبي ﷺ سبياً فقسَّم، وقسَم له، فأعطى أصحابه ما قسم له، وكان يرعى ظهرهم، فلما جاء دفعوه إليه، فقال: ما هذا؟ قالوا: قسم قسمه لك النبي ﷺ فأخذه فجاء به إلى النبي ﷺ فقال: ما هذا؟ قال: قسمته لك، قال: ما على هذا اتبعتك، ولكني اتبعتك على أن أُرمى إلى هاهنا، وأشار إلى حلقه بسهم، فأموت فأدخل الجنة، فقال: إن تصدق الله يصدقك، فلبثوا قليلاً ثم نهضوا في قتال العدو، فأُتي به النبي ﷺ يُحمل قد أصابه سهم حيث أشار، فقال النبي ﷺ: أهوَ هوْ؟ قالوا: نعم قال: صدق الله فصدقه، ثم كفنه النبي ﷺ في جبة النبي ﷺ، ثم قدمه فصلى عليه، فكان فيما ظهر من صلاته: **اللهم هذا عبدك خرج مهاجراً في سبيلك فقُتل شهيداً، أنا شهيد على ذلك**»[4].
- **إصابة رافع بن خديج** رضي الله عنه: روى عفان عن جدته أم أبيه امرأة رافع ابن خديج «أن رافعاً رُميَ مع رسول الله ﷺ يوم أحد، ويوم خيبر، قال: أنا أشكُّ، بسهم في ثندوته[5]، فأتى النبي ﷺ فقال يا رسول الله: انزع السهم، قال يا رافع: **إن شئت**

---

(١) أي أقتلكم قتلاً واسعاً ذريعاً.

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب غزوة ذي قرد، ح١٨٠٧.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة خيبر، ح ٣٩٦٩.

(٤) أخرجه النسائي، كتاب الجنائز، باب الصلاة على الشهداء، ح ١٩٥٣، وإسناده صحيح، ولم يظهر لي تحديداً أن مشاركة هذا الرجل كانت في تلك الغزوة بالذات، لكن علماء السيرة يضعونها في هذا المكان تحديداً، فما طابت نفسي تركها وإهمالها، وقد وجدتها رواية صحيحة، وفيها من المعاني والعبر الشيء الكثير.

(٥) طرف الأنف.

نزعت السهم والقطبة جميعاً، وإن شئت نزعت السهم وتركت القطبة، وشهدتْ لك يوم القيامة أنك شهيد؟

قال يا رسول الله: بل انزع السهم، واترك القطبة، واشهد لي يوم القيامة أني شهيد، قال: فنزع رسول الله ﷺ السهم وترك القطبة»[1].

- **حياء من القائد:** روى عبد الله بن مغفل رضي الله عنه قال: «كنا محاصري خيبر، فرمى إنسان بجراب فيه شحم، فنزوت لآخذه، **فالتفتُّ فإذا النبي ﷺ، فاستحييت**»[2].
- **فتاوى على الطريق:** روى فضالة بن عبيد رضي الله عنه قال: «اشتريت يوم خيبر قلادة باثني عشر ديناراً، فيها ذهب وخرز، ففصَّلتها، فوجدتُ فيها أكثر من اثني عشر ديناراً، فذكرتُ ذلك للنبي ﷺ فقال: **لا تباع حتى تُفَصَّلْ**»[3].
- **مشاركة من الفتيان:** روى عمير مولى آبي اللحم، قال: «**شهدت** خيبر مع سادتي، فكلموا فيَّ رسول الله ﷺ» فأمرني فقُلِّدتُ سيفاً، فإذا أنا أجره، فأُخبر أني مملوك، **فأمر لي بشيء من خرثي المتاع**»[4].
- **حكاية تشريع التيمم:** روت عائشة رضي الله عنها «أنها قالت: خرجنا مع رسول الله ﷺ **في بعض أسفاره** حتى إذا كنا بالبيداء أو بذات الجيش انقطع عقد لي، فأقام رسول الله ﷺ على التماسه، وأقام الناس معه، وليسوا على ماء، وليس معهم ماء، فأتى الناس إلى أبي بكر فقالوا: ألا ترى إلى ما صنعت عائشة؟ أقامت برسول الله ﷺ وبالناس معه، وليسوا على ماء، وليس معهم ماء، فجاء أبو بكر ورسول الله ﷺ واضعٌ رأسه على فخذي قد نام، فقال: حبستِ رسول الله ﷺ والناس، وليسوا على ماء وليس معهم ماء؟! قالت: فعاتبني أبو بكر وقال ما شاء الله أن يقول، وجعل يطعن بيده في خاصرتي، فلا يمنعني من التحرك إلا مكان رسول

---

(١) أخرجه أحمد ح ٢٧١٢٨، وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط: إسناده حسن، والقطبة نصل السهم.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة خيبر، ح ٣٩٧٧.

(٣) أخرجه مسلم، كتاب المساقاة، باب بيع القلادة فيها خرز وذهب، ح ٤٠٥١، قال الإمام النووي: وفي هذا الحديث أنه لا يجوز بيع ذهب مع غيره بذهب، حتى يفصل، وكذا لا تباع فضة مع غيرها بفضة، وكذا الحنطة مع غيرها بحنطة، والملح مع غيره بملح وكذا سائر الربويات، بل لابد من فصلها، وانظر المنهاج شرح صحيح مسلم، ج١١/ ٢٠.

(٤) أخرجه أحمد ح ٢١٩٤٠، وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم.

الله ﷺ على فخذي، فنام رسـول الله ﷺ حتى أصبح على غير ماء، **فأنزل الله آية التيمم فتيمموا**، فقال أسـيد ابن الحضير وهـو أحد النقباء: ما هي بأول بركتكم يا آل أبي بكر، فقالت عائشة: فبعثنا البعير الذي كنتُ عليه، فوجدنا العقد تحته»[1].

ما بعد الغزوة:

- **الـزواج بصفية رضي الله عنها**: روى أنس بن مالـك رضي الله عنه قال: «قدمنا خيبر فلما فتح الله عليه الحصن ذُكر له جمال صفية بنت حيي بن أخطب، وقد قُتل زوجها، وكانت عروسـاً، فاصطفاها النبي ﷺ لنفسـه، فخرج بها حتى بلغنا سد الصهباء حلَّت، فبنى بها رسول الله ﷺ، ثم صنع حيساً في نطع صغير، ثم قال لي: آذن من حولك، **فكانت تلـك وليمته على صفية**، ثم خرجنا إلى المدينة، فرأيت النبي ﷺ يحـوي لها وراءه بعباءة، ثم يجلس عند بعـيره، فيضع ركبته، وتضع صفية رجلها على ركبته، حتى تركب»[2].
- **حادثٌ على الطريـق**: روى أنس بن مالك رضي الله عنه «أنه أقبل هو وأبو طلحة مع النبي ﷺ، ومـع النبي ﷺ صفية مردفها على راحلته، فلـما كانوا ببعض الطريق عثرت الناقة، فصُرع النبي ﷺ والمرأة، وإن أبا طلحة قال: أحسب قال: اقتحم عن بعيره، فأتى رسول الله ﷺ، فقال: يا نبي الله، **جعلني الله فداءك، هل أصابك من شيء؟** قال: **لا، ولكن عليك بالمـرأة**، فألقى أبو طلحة ثوبه على وجهه، فقصد قصدها، فألقى ثوبه عليها، فقامت المرأة، فشد لهما على راحلتهما، فركبا، فساروا حتى إذا كانوا بظهر المدينة أو قال أشرفوا على المدينة، قال النبي ﷺ: **آيبون تائبون عابدون لربنا حامدون فلم يزل يقولها حتى دخل المدينة**»[3].

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب الحيض، باب التيمم، ح ٣٦٧، وقد ذكرته في هذا الموضع لأن الامام النووي في شرحه على صحيح مسلم قال بأن منطقة ذات الجيش تقع بين المدينة وخيبر، على الرغم من أن الشيخ محمد الصادق عرجون جعل الحكاية لصيقة في غزوة بني المصطلق، وهي بالتالي عنده تشبه حكاية ما جرى في حادثة الافك، لكنني وجدتها هنا أكثر وجاهة، والله أعلم بالصواب.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة خيبر، ح ٣٩٧٤.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب ما يقول إذا رجع من الغزو، ح ٣٠٨٦، وقد جاء في رواية أن هذه الحادثة حصلت عند رجوع النبي ﷺ من عسفان، **ويرجِّح ابن حجر أن ذلك كان عند العودة من خيبر**، وانظر فتح الباري، ج٦/ ٢٣٧.

غنائم خيبر:

- **بركة غنائم خيبر:** روت عائشة رضي الله عنها قالت: «لما فُتحت خيبر قلنا: **الآن نشبع من التمر**»[1].

وروى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: «**ما شبعنا حتى فتحنا خيبر**»[2].

- **أسلوب توزيع الغنائم:** روى ابن عمر رضي الله عنهما قال: «قسَّم رسول الله ﷺ يوم خيبر للفرس سهمين، وللراجل سهماً، قال: فسَّره نافع فقال: إذا كان مع الرجل فرس فله ثلاثة أسهم، فإن لم يكن له فرس فله سهم»[3].

وفي رواية جبير بن مطعم رضي الله عنه قال: «مشيتُ أنا وعثمان بن عفان إلى النبي ﷺ فقلنا: أعطيت بني المطلب من خُمس خيبر، وتركتنا ونحن بمنزلة واحدة منك، فقال: إنما بنو هاشم وبنو المطلب شيء واحد، قال جبير: ولم يقسم النبي ﷺ لبني عبد شمس، وبني نوفل شيئا»[4].

وروى بُشَيْرُ بْنُ يَسَارٍ، عَنْ رِجَالٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ أَدْرَكَهُمْ يَذْكُرُونَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حِينَ ظَهَرَ عَلَى خَيْبَرَ، وَصَارَتْ خَيْبَرُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَالْمُسْلِمِينَ، ضَعُفَ عَنْ عَمَلِهَا، فَدَفَعُوهَا إِلَى الْيَهُودِ يَقُومُونَ عَلَيْهَا، وَيُنْفِقُونَ عَلَيْهَا عَلَى أَنَّ لَهُمْ نِصْفَ مَا خَرَجَ مِنْهَا، «فَقَسَمَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى سِتَّةٍ وَثَلَاثِينَ سَهْمًا، جَمَعَ كُلُّ سَهْمٍ مِائَةَ سَهْمٍ، فَجَعَلَ نِصْفَ ذَلِكَ كُلِّهِ لِلْمُسْلِمِينَ، وَكَانَ فِي ذَلِكَ النِّصْفِ سِهَامُ الْمُسْلِمِينَ، وَسَهْمُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَعَهَا، **وَجَعَلَ النِّصْفَ الْآخَرَ لِمَنْ يَنْزِلُ بِهِ مِنَ الْوُفُودِ وَالْأُمُورِ وَنَوَائِبِ النَّاسِ**»[5].

وروى عراك بن مالك رضي الله عنه قال: عَنْ نَفَرٍ مِنْ قَوْمِهِ، أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ قَدِمَ الْمَدِينَةَ فِي نَفَرٍ مِنْ قَوْمِهِ وَافِدِينَ وَقَدْ خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى خَيْبَرَ، وَاسْتُخْلِفَ عَلَى الْمَدِينَةِ رَجُلاً مِنْ بَنِي غِفَارٍ يُقَالُ لَهُ: سِبَاعُ بْنُ عُرْفُطَةَ، فَأَتَيْنَاهُ وَهُوَ فِي صَلاةِ الصُّبْحِ، فَقَرَأَ

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة خيبر، ح ٣٩٩٩.

(٢) السابق، ح ٣٩٤٠.

(٣) السابق، ح ٣٩٨٨.

(٤) السابق، ح ٣٩٨٩.

(٥) أخرجه أحمد ح ١٦٤١٧، وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح.

فِي الرَّكْعَـةِ الأُولَى كهيعص وَقَرَأَ فِي الرَّكْعَةِ الثَّانِيَةِ وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: «فَأَقُولُ فِي الصَّلاةِ: وَيْـلٌ لأَبِي فُلانٍ لَهُ مِكْيَالانِ إِذَا اكْتَالَ اكْتَالَ بِالْوَافِي، وَإِذَا كَالَ كَالَ بِالنَّاقِصِ.

فَلَمَّا فَرَغْنَا مِنْ صَلاتِنَا أَتَيْنَا سِبَاعاً، فَزَوَّدَنَا شَيْئًا حَتَّى قَدِمْنَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَقَدِ افْتَتَحَ خَيْبَرَ، فَكَلَّمَ الْمُسْلِمِينَ، فَأَشْرَكُونَا فِي سُهْمَانِهِمْ»[1].

- **وممن لم يقسم لهم النبي ﷺ:** روى أبو هريرة رضي الله عنه **قال:** «أنه أتى النبي ﷺ فسأله، قال له بعض بني سـعيد بن العاص لا تعطه، فقال أبو هريرة: هذا قاتل ابن قوقل، فقال: وا عجباه لوبر تدلى من قدوم الضأن[2]، ويذكر عن الزبيدي عن الزهري قال أخبرني عنبسة بن سعيد أنه سمع أبا هريرة يخبر سعيد بن العاص **قال:** بعث رسول الله ﷺ أبان على سرية من المدينـة قِبَل نجد قال أبو هريرة: فقدم أبان وأصحابه على النبي ﷺ بخيبر بعد ما افتتحها، وإن حزم خيلهم لليف، قال أبو هريرة: قلت يا رسول الله لا تقسم لهم، قال أبان: وأنت بهذا يا وبر تحدر من رأس ضأن، **فقال النبي ﷺ: يا أبان اجلس، فلم يقسم لهم»**[3].

وفي رواية أبي موسى رضي الله عنه وهو يحكي قدوم مهاجري الحبشة على النبي ﷺ عند افتتاحه لخيبر: «قدمنا على النبي ﷺ بعد أن افتتح خيبر، فقسـم لنا، **ولم يقسم لأحد لم يشهد الفتح غيرنا»**[4].

- **آفـة الغلول من الغنيمة:** روى أبو هريرة رضي الله عنه قـال: «افتتحنا خيبر، ولم نغنم ذهباً ولا فضة، إنما غنمنا البقر والإبل والمتاع والحوائط[5]، ثم انصرفنا مع رسـول الله ﷺ إلى وادي القـرى، ومعه عبد له يقال له: مدعـم، أهداه له أحد بني الضباب، فبينما هو يحط رحل رسـول الله ﷺ إذ جاءه سـهم عائر (طائش)، حتى أصاب

---

(١) أخرجه أحمد ح ٨٣٤٨، وذكره الشيخ الألباني في الصحيحة برقم: ٢٩٦٥.

(٢) أي وافد وليس بأصيل.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة خيبر، ح ٣٩٩٦.

(٤) السابق، ح ٣٩٩٢، وقد أخرج الحاكم ٤/ ٢١١، بإسناد قال فيه الشيخ الألباني بأنه حسن، موقف النبي ﷺ يوم لقي جعفر رضي الله عنه عائداً من الحبشة يوم فتح خيبر، حيث قال النبي ﷺ: «والله ما أدري بأيهما أفرح؛ بفتح خيبر أم بقدوم جعفر».

(٥) البساتين.

ذلك العبد.

فقال الناس: هنيئاً له الشهادة، فقال رسول الله ﷺ: **بل والذي نفسي بيده إن الشملة التي أصابها يوم خيبر من المغانم لم تصبها المقاسم لتشتعل عليه ناراً**، فجاء رجل حين سمع ذلك من النبي ﷺ بشراك أو بشراكين، فقال: هذا شيء كنت أصبته، فقال رسول الله ﷺ: **شراك أو شراكان من نار**»[1].

- **الاقتداء لاحقاً في توزيع غنائم خيبر**: روى عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: «أما والذي نفسي بيده لولا أن أترك آخر الناس بياناً، ليس لهم شيء، ما فُتحت عليَّ قرية إلا قسمتها كما قسم النبي ﷺ خيبر، **ولكني أتركها خزانة لهم يقتسمونها**»[2].
- **المهاجرون يردون عطايا إخوانهم الأنصار**: روى أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «لما قدم المهاجرون من مكة إلى المدينة قدموا وليس بأيديهم شيء، وكان الأنصار أهل الأرض والعقار، فقاسمهم الأنصار على أن أعطوهم أنصاف ثمار أموالهم، كل عام، ويكفونهم العمل والمئونة.

وكانت أم أنس بن مالك وهي تدعى أم سليم، وكانت أم عبد الله ابن أبي طلحة كان أخاً لأنس لأمه، وكانت أعطت أم أنس رسول الله ﷺ عذاقاً لها، فأعطاها رسول الله ﷺ أم أيمن مولاته أم أسامة بن زيد، قال ابن شهاب: فأخبرني أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ لما فرغ من قتال أهل خيبر، **وانصرف إلى المدينة، ردَّ المهاجرون إلى الأنصار منائحهم التي كانوا منحوهم من ثمارهم**، قال: فرد رسول الله ﷺ إلى أمي عذاقها[3]، وأعطى رسول الله ﷺ أم أيمن مكانهن من حائطه»[4].
- **دَور اليهود في أرضهم بعد غزوة خيبر**: روى عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال: «أعطى النبي ﷺ خيبر اليهود، أن يعملوها، ويزرعوها، ولهم شطر ما يخرج منها»[5].

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة خيبر، ح ٣٩٩٣.

(٢) السابق، ح ٣٩٩٤.

(٣) العذق هو العنقود.

(٤) أخرجه مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب رد المهاجرين إلى الأنصار منائحهم، ح ١٧٧١، والمنائح جمع منيحة من المنحة والهبة.

(٥) أخرجه البخاري، كتاب الإجارة، باب إذا استأجر أرضاً فمات أحدهما، ح ٢٢٨٥.

- **ما جرى في غنائم خيبر لاحقاً:** روت عائشة رضي الله عنها «أن فاطمة رضي الله عنها بنت النبي ﷺ أرسلت إلى أبي بكر تسأله ميراثها من رسول الله ﷺ، مما أفاء الله عليه بالمدينة وفدك، وما بقي من خُمس خيبر، فقال أبو بكر: إن رسول الله ﷺ قال: **لا نورث ما تركنا صدقة...**»[1].

وروى ابن عمر رضي الله عنه قال: «أعطى رسول الله ﷺ خيبر بشطر ما يخرج من ثمر أو زرع، فكان يعطي أزواجه كل سنة مائة وسق[2]؛ ثمانين وسقاً من تمر، وعشرين وسقاً من شعير، فلما ولي عمر قسم خيبر خيَّر أزواج النبي ﷺ أن يقطع لهن الأرض والماء، أو يضمن لهن الأوساق كل عام، فاختلفن؛ فمنهنَّ من اختار الأرض والماء، ومنهنَّ من اختار الأوساق كل عام، **فكانت عائشة وحفصة ممن اختارتا الأرض والماء**»[3].

- **وضع السُّم للنبي ﷺ:** روى أبو هريرة رضي الله عنه أنه قال: «لما فُتحت خيبر، أهديت لرسول الله ﷺ شاة فيها سمٌّ، فقال رسول الله ﷺ: اجمعوا لي مَن كان ها هنا من اليهود، فجمعوا له، فقال لهم رسول الله ﷺ: إني سائلكم عن شيء فهل أنتم صادقي عنه؟

فقالوا: نعم يا أبا القاسم.

فقال لهم رسول الله ﷺ: من **أبوكم؟ قالوا: أبونا فلان، فقال رسول الله ﷺ: كذبتم، بل أبوكم فلان، فقالوا: صدقت وبررت،** فقال: هل أنتم صادقي عن شيء إن سألتكم عنه.

فقالوا: نعم يا أبا القاسم، وإن كذبناك عرفت كذبنا، كما عرفته في أبينا.

قال لهم رسول الله ﷺ: مَن أهل **النار؟**

فقالوا: نكون فيها يسيراً ثم تخلفوننا فيها.

فقال لهم رسول الله ﷺ: اخسئوا فيها، والله لا نخلفكم فيها أبداً، ثم قال لهم:

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة خيبر، ح ٣٩٩٨.

(٢) الوَسْقُ: مِكيَلةٌ معلومة، وهي ستُّون صَاعًا، والصاعُ خمسةُ أَرطال وثلث، وقيل: الوَسْقُ: حِمْلُ البعير أَو العربة والسفينة.

(٣) أخرجه مسلم، كتاب المساقاة، ح ١٥٥١.

فهل أنتم صادقي عن شيء إن سألتكم عنه؟

قالوا: نعم.

فقال: هل جعلتم في هذه الشاة سُماً؟

فقالوا: نعم، فقال: ما حملكم على ذلك؟ فقالوا: **أردنا إن كنت كذاباً نستريح منك، وإن كنت نبياً لم يضرك**»[1].

- **نوم الصحابة عن صلاة الفجر:** روى أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ «حين قفل من غزوة خيبر سار ليله حتى إذا أدركه الكرى عرَّس[2]، وقال لبلال: اكلأ لنا الليل، فصلى بلال ما قدر له، ونام رسول الله ﷺ وأصحابه، فلما تقارب الفجر استند بلال إلى راحلته مواجه الفجر فغلبت بلالاً عيناه وهو مستند إلى راحلته، فلم يستيقظ رسول الله ﷺ ولا بلال ولا أحد من أصحابه حتى ضربتهم الشمس، فكان رسول الله ﷺ أولهم استيقاظاً، ففزع رسول الله ﷺ، فقال: أي بلال فقال بلال: أخذ بنفسي الذي أخذ، بأبي أنت وأمي يا رسول الله بنفسك، قال: اقتادوا، فاقتادوا رواحلهم شيئاً، ثم توضأ رسول الله ﷺ، وأمر بلالاً فأقام الصلاة فصلى بهم الصبح، فلما قضى الصلاة قال: **من نسي الصلاة فليصلها إذا ذكرها، فإن الله قال:** ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٰ ١٤﴾ طه: ١٤ **قال يونس: وكان ابن شهاب يقرؤها: للذكرى**»[3].
- **تأمير أحد الأنصار على خيبر بعد فتحها وتوجيهاته له:** روى أبو سعيد الخدري وأبو هريرة رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ «استعمل رجلاً على خيبر، فجاءه بتمر جنيب[4]، فقال رسول الله ﷺ: **أكلُّ تمر خيبر هكذا؟**

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الطب، باب ما قيل في سُم النبي ﷺ، ح ٥٤٤١، **وأما حديث كون النبي ﷺ كان لا يزال يجد أثر السم الذي أكله مع الشاة بخيبر حتى مات، فقد أخرجه البخاري معلقاً، وقد حصل خلاف حول قتل النبي ﷺ للمرأة التي دسَّت له السم، والراجح أن النبي ﷺ رفض فكرة قتلها، لكنه لما مات بشر بن البراء بن معرور رضي الله عنه، من أثر سمها، دفعها النبي ﷺ لأوليائه، فقتلوها قصاصاً**، وانظر صحيح السيرة النبوية، للشيخ ابراهيم العلي: ص٤٥٥، وكذا هامش فقه السيرة للغزالي بتعليق الشيخ الألباني ص٣٤٨.

(٢) يعني إذا تعب أو نعس أخذ جانب الطريق ونزل عن دابته طلباً للراحة.

(٣) أخرجه مسلم، كتاب المساجد، باب قضاء الصلاة الفائتة، ح ٦٨٠.

(٤) تمر جيد بل ممتاز.

فقال: لا والله يا رسـول الله، إنا لنأخذ الصاع من هذا بالصاعين بالثلاثة، فقال: لا تفعل، بع الجمع بالدراهم، ثم ابتع بالدراهم جنيباً.

وقال أبو سعيد وأبو هريرة: أن النبي ﷺ بعث أخاً بني عدي من الأنصار إلى خيبر، فأمَّره عليها»[1].

- **جرائم اليهود في خيبر:** روى سهل بن أبي حثمة قال: «... وُجد عبد الله بن سهل مـن الأنصار قتيلاً في قليب مـن قُلُب خيبر، فجاء عماه وأخوه إلى رسـول الله ﷺ؛ أخوه عبد الرحمن بن سـهل، وعماه حويصة ومحيصة، **فذهب عبد الرحمن يتكلم عند رسـول الله ﷺ، فقال: الكبر الكبر**، فتكلم أحد عميه، إما حويصة وإما محيصة، قال سفيان: نسيت أيهما الكبير منهما، فقال: يا رسول الله، إنا وجدنا عبد الله قتيلاً في قليب من قلب خيبر، ثم ذكر يهود وشرهم وعداوتهم.

قال: ليُقسم منكم خمسون أن يهود قتلته، قالوا: كيف نقسم على ما لم نر؟

قال: فتبرئكم يهود بخمسـين يحلفون أنهم لم يقتلوه، قالوا: كيف نرضى بأيمانهم وهم مشركون، قال: فوداه رسول الله ﷺ من عنده...»[2].

حدث لطيف بعد افتتاح خيبر:

- **مكيدة الحجاج بن عِلاط بقريش:** روى أنس رضي الله عنه قال: «لما افتتح رسـول الله ﷺ خيبر قال الحجاج بن عِلاط: يا رسـول الله إن لي بمكـة مالاً، وإن لي بها أهلاً، وإني أريد أن آتيهم، **فأنا في حِلٍّ إن أنا نلتُ منك، أو قلت شـيئاً؟ فأذن له رسـول الله ﷺ أن يقول ما شاء.**

فـأتى امرأته حين قدم، فقال: اجمعي لي ما كان عندك، فإني أريد أن أشـتري من غنائم محمد ﷺ وأصحابه فإنهم قد استبيحوا، وأصيبت أموالهم، قال: ففشا ذلك في مكة، وانقمع المسلمون، وأظهر المشركون فرحاً وسروراً.

قال: وبلغ الخبر العباس، فعُقر وجعل لا يستطيع أن يقوم.

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب استعمال النبي ﷺ على أهل خيبر، ح ٤٠٠١.

(٢) أخرجه أحمد ح ١٧٢٧٦، وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح.

قال: فأخذ ابناً له يقال له: قثم، فاستلقى، فوضعه على صدره وهو يقول:

حي قثم حي قثم شبيه ذي الأنف الأشم

بني ذي النعم يرغم من رغم

قال ثابت عن أنس: ثم أرسل غلاماً إلى الحجاج بن علاط، ويلك ما جئتَ به وماذا تقول؟ فما وعد الله خير مما جئت به.

قال الحجاج بن علاط لغلامه: اقرأ على أبي الفضل (العباس) السلام، وقل له فليخل لي في بعض بيوته لآتيه، فإن الخبر على ما يسره.

فجاء غلامه، فلما بلغ باب الدار قال: أبشر يا أبا الفضل، قال: فوثب العباس فرحاً حتى قبَّل بين عينيه، فأخبره ما قال الحجاج: فأعتقه، ثم جاءه الحجاج، **فأخبره أن رسول الله ﷺ قد افتتح خيبر، وغنم أموالهم، وجرت سهام الله عز وجل في أموالهم، واصطفى رسول الله ﷺ صفية بنت حيي، فاتخذها لنفسه، وخيَّرها أن يعتقها وتكون زوجته، أو تلحق بأهلها، فاختارت أن يعتقها وتكون زوجته.**

ولكني جئت لمال كان لي هاهنا، أردت أن أجمعه، فأذهب به، فاستأذنت رسول الله ﷺ، فأذن لي أن أقول ما شئت، فأخفِ عني ثلاثاً، ثم اذكر ما بدا لك، قال: فجمعت امرأته ما كان عندها من حلي ومتاع، فجمعته فدفعته إليه، ثم استمر به، فلما كان بعد ثلاث، أتى العباس امرأة الحجاج فقال ما فعل زوجك؟ فأخبرته أنه قد ذهب يوم كذا وكذا، وقالت: لا يخزيك الله يا أبا الفضل لقد شق علينا الذي بلغك، قال: أجل لا يخزني الله، ولم يكن بحمد الله، إلا ما أحببنا، فتح الله خيبر على رسوله ﷺ، وجرت فيها سهام الله، واصطفى رسول الله ﷺ صفية بنت حيي لنفسه، فإن كانت لك حاجة في زوجك فالحقي به.

قالت: أظنك والله صادقاً، قال: فإني صادق، الأمر على ما أخبرتك، فذهب حتى أتى مجالس قريش وهم يقولون: إذا مر بهم لا يصيبك إلا خير يا أبا الفضل، قال لهم: لم يصبني إلا خير بحمد الله، قد أخبرني الحجاج بن علاط أن خيبر قد فتحها الله على رسوله، وجرت فيها سهام الله، واصطفى صفية لنفسه.

وقد سألني أن أخفي عليه ثلاثاً، وإنما جاء ليأخذ ماله، وما كان له من شيء هاهنا،

ثـم يذهب، قال: **فردَّ اللـه الكآبة التي كانت بالمسـلمين على المشركين، وخرج المسـلمون ومن كان دخل بيتـه مكتئباً حتى أتوا العبـاس، فأخبرهم الخبر، فسُرَّ المسلمون، وردَّ الله يعني ما كان من كآبة أو غيظ أو حزن على المشركين»**[1].

- **التطور في التشريع:** يحكي العهد المدني تطوراً مجملاً وتفصيلياً في التشريع عما كان عليـه العهد المكي، ومن ذلك ما روى عبد الله بن مسـعود رضي الله عنه قال: «كنا نسلم على رسول الله ﷺ وهو في الصلاة فيردُّ علينا، فلما رجعنا من عند النجاشي سـلمنا عليه فلم يرد علينا، فقلنا: يا رسـول الله كنا نسـلم عليك في الصلاة فترد علينا، فقال: **إن في الصلاة لشغلا**»[2].
- **ماذا فعل عمر رضي الله عنه بحصته من غنيمة خيبر؟:** روى ابن عمر رضي الله عنهما قال: «أصاب عمر أرضاً بخيبر، فأتى النبي ﷺ يسـتأمره فيها، فقال يا رسـول الله: إني أصبت أرضاً بخيبر، لم أصب مالاً قطُّ هو أنفس عندي منه، فما تأمرني به؟ **قال: إن شـئتَ حبَّسـتَ أصلها، وتصدقتَ بها**، قال: فتصـدق بها عمر أنه لا يُباع أصلهـا، ولا يبتاع، ولا يـورث، ولا يوهب، قال: فتصدق عمـر في الفقراء، وفي القربى، وفي الرقاب، وفي سـبيل الله، وابن السبيل، والضيف، **لا جناح على مَن وليها أن يأكل منها بالمعروف، أو يطعم صديقاً غير متموِّل فيه**»[3].
- **من فوائد وأحكام الغزوة:** قال الحافظ ابن حجر: «وقد اشـتملت قصة خيبر على أحكام كثيرة منها:

«جواز قتال الكفار في أشـهر الحرم، والإغارة على مـن بلغَتْهُ الدعوة بغير إنذار، وقسمة الغنيمة على السهام، وأكل الطعام الذي يصاب من المشركين قبل القسمة لمن يحتاج إليـه بشرط أن لا يدَّخره ولا يحوله، وأن مـدد الجيش إذا حضر بعد انقضاء الحرب يسهم له إن رضي الجماعة كما وقع لجعفر والأشعريين، ولا يسهم لهم إذا لم يرضوا كما وقع لأبان بن سـعيد وأصحابه، وبذلك يجمع بين الأخبار، ومنها تحريم لحوم الحمر الأهلية، وأن ما لا يؤكل لحمه لا يطهر بالذكاة، وتحريم

(١) أخرجه أحمد ح ١٢٤٠٩، وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط: اسناده صحيح على شرط الشيخين.
(٢) أخرجه مسلم، كتاب المساجد، باب تحريم الكلام في الصلاة، ح ١٢٠١.
(٣) أخرجه مسلم، كتاب الوصية، باب الوقف، ح ٤٢٠٠.

متعة النساء، وجواز المساقاة والمزارعة، ويثبت عقد الصلح والتوثق من أرباب التهم، وأن من خالف من أهل الذمة ما شرط عليه انتقض عهده وهدر دمه، وأن من أخذ شيئاً من الغنيمة قبل القسمة لم يملكه ولو كان دون حقه، وأن الإمام مخير في أرض العنوة بين قسمتها وتركها، وجواز إجلاء أهل الذمة إذا استغنى عنهم، وجواز البناء بالأهل بالسفر، والأكل من طعام أهل الكتاب وقبول هديتهم»[1].

غزوة ذات الرقاع:

- **توقيتها**: الراجح في توقيتها هو ما ذهب إليه الإمام البخاري وغيره من أنها كانت بعد غزوة خيبر في السنة السابعة من الهجرة[2].
- كان وجهة المسلمين فيها إلى غطفان، ولم يقع فيها قتال، **وإن كان الطرفان قد أخافوا بعضهم، فصلى المسلمون في هذه الغزوة صلاة الخوف**، وقد سُميت بهذا الاسم لأنهم لفُّوا حول أرجلهم الخِرَق بعد أن تنقبت خِفافهم، وكان لكل ستةٍ بعيرٌ يتعاقبون على ركوبه[3].
- **صورة وكيفية صلاة الخوف**: روى صالح بن خوات عمن شهد رسول الله ﷺ يوم ذات الرقاع صلى صلاة الخوف: «أن طائفة صفَّت معه وطائفة وُجاه العدو، فصلى بالتي معه ركعة، ثم ثبت قائماً، وأتموا لأنفسهم، ثم انصرفوا، فصفوا وجاه العدو، وجاءت الطائفة الأخرى، فصلى بهم الركعة التي بقيت من صلاته، ثم ثبت جالساً وأتموا لأنفسهم، ثم سلَّم بهم»[4].
- **محاولة اغتيال النبي ﷺ**: روى جابر رضي الله عنه قال: كنا مع النبي ﷺ بذات الرقاع، فإذا أتينا على شجرة ظليلة تركناها للنبي ﷺ، فجاء رجل من المشركين وسيف النبي الله ﷺ معلق بالشجرة، فاخترطه، فقال: تخافني؟ **قال: لا، قال: فمن يمنعك**

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، ٧/ ٤٩٨.

(٢) الخلاف يطول في تحديد توقيتها بين علماء السيرة السابقين واللاحقين، فمنهم من قال بأنها بعد غزوة بني النضير وليس بعد خيبر.

(٣) انظر السيرة النبوية الصحيحة للدكتور أكرم العمري، ص٥١٧.

(٤) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة ذات الرقاع، ح ٤١٢٩.

مني؟ قال: الله، فتهدده أصحاب النبي ﷺ،... وقال مسدد عن أبي عوانة عن أبي بشر: اسم الرجل غورث بن الحارث، وقاتل فيها محارب خصفة»[1].

- **حكاية ما جرى لحراس النبي ﷺ:** روى جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: «خرجنا مع رسول الله ﷺ في غزوة ذات الرقاع، فأصيبت امرأة من المشركين، فلما انصرف رسول الله ﷺ قافلاً وجاء زوجها، وكان غائباً، فحلف أن لا ينتهي حتى يهريق دماً في أصحاب محمد ﷺ، فخرج يتبع أثر النبي ﷺ، فنزل النبي ﷺ منزلاً، فقال: **مَن رجل يكلؤنا**[2] **ليلتنا هذه؟**

فانتدب رجل من المهاجرين، ورجل من الأنصار، فقالا: نحن يا رسول الله.

قال: فكونوا بفم الشِّعب، قال: وكانوا نزلوا إلى شعب من الوادي، فلما خرج الرجلان إلى فم الشِّعب قال الأنصاري للمهاجري: **أي الليل أحب إليك أن أكفيكه أوله أو آخره؟ قال: اكفني أوله.**

فاضطجع المهاجري فنام، وقام الأنصاري يصلي، وأتى الرجل، فلما رأى شخص الرجل عرف أنه ربيئة القوم، فرماه بسهم، فوضعه فيه، فنزعه فوضعه، وثبت قائماً، ثم رماه بسهم آخر فوضعه فيه، فنزعه فوضعه، وثبت قائماً، ثم عاد له بثالث، فوضعه فيه فنزعه فوضعه، ثم ركع وسجد، ثم أهبَّ صاحبه.

فقال: اجلس، فقد أوتيت، فوثب، فلما رآهما الرجل عرف أن قد نذروا به، فهرب، فلما رأى المهاجري ما بالأنصاري من الدماء، قال: **سبحان الله، ألا أهببتني؟**

قال: كنت في سورة أقرؤها، فلم أحب أن أقطعها حتى أنفذها، فلما تابع الرمي ركعت، فأريتك، **وأيم الله لولا أن أضيع ثغراً أمرني رسول الله ﷺ بحفظه لقطع نفسي قبل أن أقطعها أو أنفذها»**[3].

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة ذات الرقاع، ح٤١٣٦.

(٢) يحرسنا.

(٣) أخرجه أحمد ح ١٤٧٠٤، وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط: حديث حسن.

ثانياً: عمرة القضاء:

- **توقيتها:** كانت في ذي القعدة من **السنة السابعة للهجرة**[1].
- **صفة العمرة والحماية المشددة للقائد:** روى عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنهما قال: «كنا مع النبي ﷺ حين اعتمر (عمرة القضاء)، فطاف فطفنا معه، وصلى وصلينا معه، وسعى بين الصفا والمروة، **فكنا نستره من أهل مكة، لا يصيبه أحد بشيء**»[2].
- **حكاية ابنة حمزة ولحاقها بالنبي ﷺ:** روى البراء رضي الله عنه قال: «لما اعتمر النبي ﷺ في ذي القعدة فأبى أهل مكة أن يدعوه يدخل مكة حتى قاضاهم على أن يقيم بها ثلاثة أيام... فلما دخلها ومضى الأجل... فخرج النبي ﷺ، فتبعته ابنة حمزة تنادي؛ **يا عم، يا عم، فتناولها عليٌّ** فأخذ بيدها وقال لفاطمة عليها السلام: دونك ابنة عمك حملتها، فاختصم فيها عليٌّ وزيد وجعفر، قال علي: أنا أخذتها، وهي بنت عمي، وقال جعفر: ابنة عمي وخالتها تحتي، وقال زيد: ابنة أخي، **فقضى بها النبي ﷺ لخالتها وقال: الخالة بمنزلة الأم، وقال لعلي: أنت مني وأنا منك، وقال لجعفر: أشبهت خلقي وخلقي، وقال لزيد: أنت أخونا ومولانا**، وقال علي: ألا تتزوج بنت حمزة؟ قال: إنها ابنة أخي من الرضاعة»[3].
- **موقف المشركين واستعجالهم النبي ﷺ الخروج من مكة:**

روى البراء رضي الله عنه قال: «لما اعتمر النبي ﷺ في ذي القعدة فأبى أهل مكة أن يدعوه يدخل مكة حتى قاضاهم على أن يقيم بها ثلاثة أيام،... فلما دخلها، ومضى الأجل، **أتوا علياً فقالوا: قل لصاحبك اخرج عنا، فقد مضى الأجل، فخرج النبي ﷺ**»[4].

- **موقف النبي ﷺ وإظهار القوة:** روى ابن عباس رضي الله عنهما قال: «قدم رسول الله ﷺ وأصحابه فقال المشركون: إنه يقدم عليكم وفدٌ وهنهم حمى يثرب،

---

(١) ذكر ذلك ابن حزم في جوامع السيرة ٢١٩، بسند قال فيه الدكتور أكرم العمري: هو حسن.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة الحديبية، ح ٣٩٥٢.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب عمرة القضاء، ح ٤٠٠٥.

(٤) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب عمرة القضاء، ح ٤٠٠٥.

وأمرهم النبي ﷺ أن يرملوا الأشواط الثلاثة، وأن يمشوا ما بين الركنين، **ولم يمنعه أن يأمرهم أن يرملوا الأشواط كلها إلا الإبقاء عليهم**، وفي رواية: قال: لما قدم النبي ﷺ لعامه الذي استأمن قال: **ارملوا، ليرى المشركون قوتهم**، والمشركون من قبل قعيقان»[1].

- **إنشاد الشعر أثناء طواف العمرة:** روى أَنَس رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ «دَخَلَ مَكَّةَ فِي عُمْرَةِ الْقَضَاءِ؛ وَابْنُ رَوَاحَةَ يَمْشِي بَيْنَ يَدَيْهِ، وَهُوَ يَقُولُ:

خَلُّوا بَنِي الْكُفَّارِ عَنْ سَبِيلِهِ الْيَوْمَ نَضْرِبْكُمْ عَلَى تَنْزِيلِهِ

ضَرْبًا يُزِيلُ الْهَامَ عَنْ مَقِيلِهِ وَيُذْهِلُ الْخَلِيلَ عَنْ خَلِيلِهِ[2]

فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: يَا بْنَ رَوَاحَةَ، بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَفِي حَرَمِ اللَّهِ تَقُولُ شِعْرًا؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **خَلِّ عَنْهُ يَا عُمَرُ، فَلَهِيَ أَسْرَعُ فِيهِمْ مِنْ نَضْحِ النَّبْلِ**»[3].

- **زواج النبي ﷺ بميمونة:** روى ابن عباس رضي الله عنهما قال: «تزوج النبي ﷺ ميمونة وهو محرم، وبنى بها وهو حلال، وماتت بسرف، قال أبو عبد الله، وقال: تزوج النبي ﷺ ميمونة في عمرة القضاء»[4].

أبرز الفوائد والأنوار

- أبرز الفوائد والأنوار في المجال النفسي القيمي السلوكي (التربوي):

- بتتبع كثيرٍ من المواقف الثقيلة نجد أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يرتجزون الشعر ذو الكلمات الراقية والمحفزة لما تحمله كلمات الشعر المنشَد من عوامل الحماسة، والتي يحتاجها من يبذل جهداً مضاعفاً لينشط في العمل، ولأجل ذلك

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب عمرة القضاء، ح ٤٠٠٩.

(٢) **وفي رواية جاءت أبيات الشعر على النحو الآتي: خلوا بني الكفار عن سبيله *** قد أنزل الرحمن في تنزيله *** بأن خير القتل في سبيله *** نحن قتلناكم على تأويله *** كما قتلناكم على تنزيله.**

(٣) أخرجه النسائي، كتاب الحج، باب إنشاد الشعر في الحرم، ح٥/ ٢٠٢، والبيهقي، ح١٠/ ٢٨٨، وذكره الشيخ العلي في صحيح السيرة برقم: ٦١٨.

(٤) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب عمرة القضاء، ح ٤٠١١.

طلبوا من عامر بن الاكوع وكان حسَن الأداء في النشيد أن ينشدهم في الطريق إلى خيبر.

- حملت كلمات عامر بن الأكوع من معاني الافتقار إلى الله وردِّ الفضل إليه الشيء الكثير، كما أكدت الثناء على الله تعالى بين يدي طلب الثبات في المواقف الصعبة، حتى أن النبي ﷺ أعجب بذلك فدعا له بالرحمة، وكان ذلك موحياً بطلب الشهادة له في سبيل الله تعالى، فكان أن لقي الله شهيداً.
- من معالم السلوك الحسن التي ربى النبي ﷺ أصحابه عليها أن أمير القوم خادمهم، وأن ساقي القوم آخرهم شرباً.
- كان رسول الله ﷺ يختبر إيمان ويقين أصحابه بالله واليوم الآخر وما أعده الله تعالى لهم من ثواب، لأجل ذلك كان يخير بعضهم مثلما خيَّر رافعاً بين نزع القطبة (النصل) أو أن يبقيها له فتشهد له بين يدي الله يوم القيامة، وكانوا يختارون ما عند الله تعالى، كما اختار ذلك رافع رضي الله عنه.
- كان للنبي ﷺ مهابته بين أصحابه حتى أن الواحد منهم كان يتنزه عن بعض المباحات بين يديه استحياء منه ﷺ، ولأجل ذلك استحيا عبد الله بن المغفل فلم يأخذ الشحم بين يدي النبي ﷺ.
- يحمل دعاء العودة من السفر من معالي الشكر والثناء على الله تعالى والتوبة والإنابة إليه الشيء الكثير: آيبون تائبون عابدون لربنا حامدون، فلم يزل يقولها حتى دخل المدينة».
- بدأت نظرات أبي هريرة رضي الله عنه الثاقبة في كتاب الله تعالى، وقد تفاعلت نفسه مع آيات أول صلاة صلاها فهو لا يزال يذكر صلاته الأولى خلف سباع بن عرفطة، وقد قرأ في الركعة الأولى من سورة مريم، وفي الثانية من سورة المطففين، ثم حدَّث عما جرى في عقله الباطن وهو يقول في الصَّلاة تعليقا على آيات المطففين: وَيْلٌ لأَبِي فُلانٍ لَهُ مِكْيَالانِ إِذَا اكْتَالَ اكْتَالَ بِالْوَافِي، وَإِذَا كَالَ كَالَ بِالنَّاقِصِ».
- تكرر نوم الصحابة عن صلاة الفجر على الرغم من حرصهم لاسيما بلال الذي تعهد بإيقاذهم عليها، إلا أن عينه سهت قبيل الصلاة، وهذا من دلائل بشريتهم

ولا حرج، فهم في سفر شـــاق، ولو أحصينا مرات تأخرهم عن الصلاة في السيرة كلها لما زادت على عدد أصابع اليد الواحدة، وكل ذلك كان في السفر، ولأسباب موضوعية كالحروب الشديدة والسفر الشاق.

- من أبهى صور التعلق بكتاب الله تعالى وحســن التعايش معه؛ تلك الصورة لذاك الحارس على الثغر وهو يقرأ القرآن، فيصاب بأكثر من ســهم ويتم تلاوته، لأنه لا يحب قطع سورة من كتاب الله تعالى، فتراه يقول لصاحبه الذي كان يحرس معه: «كنت في سورة أقرؤها، فلم أحب أن أقطعها حتى أنفذها، فلما تابع الرمي ركعت، فأريتك، وايمُ الله لولا أن أضيع ثغراً أمرني رسول الله ﷺ بحفظه لقطع نفسي قبل أن أقطعها أو أنفذها».
- اتسمت شـــخصية عمر رضي الله عنه بالجرأة في نقد ما يرى أنه خطأ حتى لو حصل ذلك بين يدي رســـول الله ﷺ، وبصرف النظر عن نتائج ذلك، فهو يرى مثلاً أن الإنشاد أثناء الطواف لا يجوز، لأجل ذلك اعترض على عبد الله بن رواحة الذي كان ينشد الشعر في الطواف أثناء عمرة الحديبية، وهذا اعتراض في مكانه، وإن كان رد النبي ﷺ أيضاً رد مقنع، فهي وإن كانت عمرة إلا أنها جاءت تتمة لغزوة، ولا يزال عنصر التحدي قائماً، ومن ثمَّ رد النبي ﷺ اعـــتراض عمر رضي الله عنه بقوله: خَلِّ عَنْهُ يَا عُمَرُ، فَلَهِيَ أَسْرَعُ فِيهِمْ مِنْ نَضْحِ النَّبْلِ».
- برزت قيمة الصدق بوضوح في قصة الرجل الذي رفض أخذ الغنيمة لأنه لم يتطلع لها أصلاً وأعلن عن حماسته لنصرة دين الله تعالى حتى الرمق الأخير، فكان يعمر قلبه بالصدق والإخلاص التام، واليقين الكامل بأن ما عند الله تعالى خير وأبقى، فصـــدق الله تعالى وصدقه الله تعالى، ولا ندري كـــم هو حجم التربية التي نالها هذا الرجل، أم كم هي عدد الجلســـات التي حظي بها في حظرة المعلم والمربي الكبير ﷺ حتى حشا نفســـه وروحه وقلبه بهذا الصدق الكبير، أم أنه مجرد درس واحد أصغى له باهتمام فحرّك من نفســـه كوامنها لتقوم زاهدة في الدنيا مقبلة إلى عالم الآخرة بلهفة وشوق... حتى نال الشهادة!.
- لا جديد على الطبيعة الفسيولوجية للشخصية اليهودية، فهم كانوا ولا يزالون قوم

بهت وسحت وعدوان وحقد وخبث، فهذا موشي ديان وزير دفاعهم الأسبق يقول: «هذا يومٌ بيوم خيبر»، وتلك غولدمائير رئيسة وزرائهم السابقة تقول: «إنني أشم رائحة أجدادي في خيبر» كل ذلك على أنقاض فلسطين المحتلة، وعلى مسمعٍ من العرب والمسلمين.

- أبرز الفوائد والأنوار في المجال الاجتماعي التأثيري التواصلي (الدعوي):

- كان رسول الله ﷺ شديد الملاحظة، فقد لفت انتباهه خُضرة حول عين صفية، فسألها، فأخبرته ما حصل لها مع زوجها، وكانت نبوءة فتحققت.
- كان رسول الله ﷺ مرهف الحس يراعي مشاعر الآخرين، فهو لم يزل يعتذر لصفية عن قتل أبيها وأخيها وزوجها، ويبين لها عذره في ذلك، وأنهم كانوا قد بدأوه التأليب والقتال عليه، حتى رضيت.
- لم يتوقف ميدان تعليم النبي ﷺ وتوجيهه لأصحابه حتى في أشد الظروف، فها هو ذا يفتي لذاك الرجل بفصل الذهب عند البيع والشراء وهو في خيبر.
- مثلما شهد أنس رضي الله عنه خيبراً مع النبي ﷺ ليكون في خدمته شهد كذلك عمير آبي اللحم مع سادته يوم خيبر، وقد اعتنى النبي ﷺ بتجهيزه فحفظ هذا الموقف لرسول الله ﷺ، ورواه للناس بعده.
- في حسن معاملة النبي ﷺ لصفية وإكرامه لها ما يدلك على عمق الإحساس والشعور الذي كان النبي ﷺ يتمتع به، وقد ظهر ذلك بشكل دقيق يوم صُرع خيل النبي ﷺ أو ناقته فوقع عنه، ولما أدركه أبو طلحة لينقذه قال له النبي ﷺ: عليك بالمرأة، أن تهتم بها وتصلح من شأنها، لأنهما وقعا معاً، وكأن الله تعالى قضى بوقوع نبيه الكريم عن خيله ليظهر النبي ﷺ حرصه على صفية، فيزداد حبها في قلبه ويزول ما في نفسها عليه.
- جعل النبي ﷺ جزءاً من حصته في الغنيمة لخدمة الوفود، وهذا تأكيد منه على التواصل مع الآخرين وإكرامهم برجاء اهتدائهم.
- مع تطور التشريع بين العهد المكي (الحديث أو الحركة أثناء الصلاة) والعهد

المدني (إن في الصلاة لشغلاً) لم تعد الصلاة متاحة للتواصل مع البشر وصارت حصرية في باب التواصل بين الخلق وخالقهم فقط.

- في كل مرحلة من مراحل العهد المدني كان رسول الله ﷺ يؤكد تواصله مع مَن حوله بشتى الوسائل لما لهذا التواصل من أثره الكبير في نشر الدعوة وامتدادها وتجذرها وحمايتها، وفي هذه الفترة الزمنية تزوج النبي ﷺ بميمونة بنت الحارث رضي الله عنها، وهي آخر زوجات النبي ﷺ.
- يقول الشيخ محمد الغزالي: «لقد ساق النبي ﷺ نصحه لعلي رضي الله عنه بأن يكون داعياً إلى أهل خيبر حتى يقطع تطلع النفوس إلى المغانم المعجلة، فإن ثروة يهود إذا هُزموا ضخمة، ولكن ثواب مقاتليهم إذا اهتدوا أضخم[1]».
- **تحكي حكاية ابنة حمزة رضي الله عنها العديد من الفوائد في الجانب الاجتماعي التواصلي ومن ذلك:**

١. لولا قرب النبي ﷺ من أولاد حمزة رضي الله عنه ما دفعت واحدة من بناته نفسها إليه بلهفة وهي تقول: يا عم يا عم.

٢. في التنافس الشديد حد الخصومة بين جعفر وعلي وزيد على كفالة ورعاية ابنة حمزة رضي الله عنه ما يدلك على عمق التكافل الاجتماعي آنذاك من جهة وعلى فقه الصحابة رضي الله عنهم ودرايتهم التامة لما يناله كافل اليتيم عند الله تعالى من ثواب.

٣. قاس النبي ﷺ المسافة بين ابنة حمزة رضي الله عنه وبين كل واحد من هؤلاء المتنافسين على كفالتها فوجدها أقرب إلى جعفر من جهة زوجته، والخالة بمنزلة الأم، فكان الحسم، وهذا شكل من أشكال إدارة الموقف الاجتماعي بشكل يرضي جميع المتنافسين.

٤. في المديح الذي أسداه النبي ﷺ لهؤلاء المتنافسين الثلاثة، وإعطاء كل ذي فضل منهم فضله وصفته الملازمة له، ما في ذلك من التشجيع والتحفيز لكل باذلٍ نفسه من أجل الخير والصلة والبر.

---

(١) فقه السيرة، الشيخ محمد الغزالي، ص٣٤٤.

٥. في العرض الذي قدمه علي رضي الله عنه للنبي ﷺ بأن يتزوج ابنة حمزة ما يبين الرغبة الشديدة لعلي رضي الله عنه في كفالة ابنة عمه حمزة رضي الله عنه، ولكن في الجواب النبوي ما يبين شيئاً من فقه التزاوج، وأنه لا يجوز للرجل أن يتزوج مَن كان بينه وبينها صلة رضاعة.

- أبرز الفوائد والأنوار في المجال الاقتصادي المعاشي:

- مع توسع المد الإسلامي وكثرة الخير وزيادة الغنائم؛ بدأت التشريعات تأخذ جانباً من جوانب التخفيف من المباحات التي كانت من مستلزمات مراحل الضيق، فالأمر إذا ضاق اتسع، لكنه أيضاً إذا اتسع ضاق، لأجل ذلك جاء أثناء هذه الغزوة النهي عن:

١. لحوم الحمر الأنسية (الأهلية).

٢. نكاح المتعة.

وهذا فضلاً عن تأكيد كراهة أكل الثوم عند الصلاة والمصلى.

- إذا أوسع الله فأوسعوا، أما في زمن الشدة والضيق فإن الضرورات تبيح المحظورات، حتى أن لحوم الميتة قد تباح في ظروف معينة.
- كان النبي ﷺ إذا قلَّ الزاد حريصاً على الأكل الجماعي، لما فيه من بركة، فطعام الواحد يكفي الاثنين.
- لا تزال في النفس رغبة في الماء إذا انقطع، وتدافعٌ عند حضوره إذا حضر، كيف لا ولا حياة بلا ماء، لأجل ذلك كان النبي ﷺ يهدئ القوم عند حضور الماء بقوله: أحسِنوا الملأ كلكم سيُروى.
- اختار النبي ﷺ عبد الله بن رواحة رضي الله عنه ليكون أميناً على مال خيبر، وقد أحسن النبي الكريم الاختيار لما عُرف عن عبد الله رضي الله عنه من تشدد في التحصيل، وإحسان للضبط، وهذا مما لم يعجب يهود، فحاولوا رشوته، لكنهم وجدوه صلباً فتركوه.
- انتعش اقتصاد المسلمين وتحسنت معيشتهم بعد فتح خيبر، وهذا من فضل الله عليهم وتكليلاً لجهود مضنية وتحديات وتضحيات قدموها ابتغاء مرضات الله،

وقد عبروا عن ذلك بالشبع الذي حصل لهم بعد فتح خيبر.

- كان لرسول الله ﷺ حق التصرف في خُمسه من الغنيمة، وكان يوزعه لحِكَم وأبواب يراها، فكان في كل مرة يجد معترِضاً عليه، فيبدي النبي ﷺ في بعض الأوقات توضيحاً، وفي بعضها الآخر يترك الأمر بلا توضيح، أو يجيب إجابات عامة ومفتوحة، ويبقى المال والغنيمة باب من أبواب حركة الشيطان مهما كانت النفوس نقية، والقلوب منخلعة من الدنيا، موقنة بما عند الله تعالى من خير.
- لم يضيِّق رسول الله ﷺ واسعاً عندما أعطى من عطاء خيبر أبا هريرة رضي الله عنه ومَن معه من الوفد الذين جاؤوا المدينة مسلمين وهو في خيبر، كما أحسن سباع بن عرفطة أمير المدينة أثناء فترة غياب النبي ﷺ في خيبر إكرام هذا الوفد، وفي الكرم والإكرام باب تحفيز على الإسلام واختياره كدين يعطي أصحابه وأهله وعموم الناس عطاء من لا يخشى الفقر، وقد ارتبط الجانب الاقتصادي المعيشي بالجانب الدعوي التأثيري التواصلي من خلال سهم المؤلفة قلوبهم في الزكاة.
- أعجب عمر رضي الله عنه بطريقة توزيع النبي ﷺ لغنائم خيبر حيث جعل أصلها لفائدة عموم المسلمين، لكنه رأى أن هذه الطريقة قد لا تناسب مسلمي زمانه فتوقف عنها، وكان يوزع الغنائم بالطريقة نفسها التي وزع النبي ﷺ سائر غنائم غزواته سوى خيبر.
- بلغ نبل المهاجرين من صحابة النبي ﷺ أنهم عدُّوا عطاء إخوانهم الأنصار لهم أول هجرتهم للمدينة دَيناً في رقابهم، فلما فتح الله عليهم خيبر وزاد الخير وعمَّ وبارك الله لهم فيه بدأوا يرجعون تلك العطايا لإخوانهم الأنصار عن طيب نفس، وكان قدوتهم في ذلك رسول الله ﷺ.
- كان عمر رضي الله عنه حريصاً في مسألة توزيع الغنائم على زوجات النبي ﷺ لأجل ذلك خيَّرهن في حصصهن، فكان الخيار لهن كلٌّ بما أحبت في طريقة حصولها على حقها في ذلك.
- في سؤال عمر رضي الله عنه عن حصته في خيبر ورغبته في التبرع الأمثل فيها، ما يدل على أن للتبرع أبواباً كثيرة، وأن عمر رضي الله عنه جاء يسأل عن أعظمها وأكرمها ذلك أنه

جاء ليتبرع بأجود ما يملك تحقيقاً لقول الله تعالى: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾﴾ آل عمران: ٩٢ فكان التوجيه النبوي الكريم لعمر بأن يجعلها في الوقف، بحيث يُبقي أصلها ويتبرع بخراجها ونتاجها مع شيء من التفصيل في فقه الوقف، ما يؤكد شرف الوقف من جهة، وبركته من جهة أخرى على المجتمع، وتعد فكرة الوقف الإسلامي للعقارات والأراضي وغيرها من أكثر الأفكار نفعاً للاقتصاد الإسلامي ورفداً للدولة المسلمة على مرِّ الأزمنة، فالأصل ثابت، والانتفاع في مصالح الخير كلها يتم من خلال الإنتاج، وأما ما يحتاجه هذا الوقف من نفقات فيُصرف عليه أيضاً من خراجه.

- في جعل مبلغ من أموال غنيمة خيبر من حصة النبي ﷺ للصرف في نوائب الناس دليل واضح على التفكير الاستراتيجي لدى النبي ﷺ من خلال عمل صندوق خاص بقضاء الحوائج وطوارئ النوائب.

- أبرز الفوائد والأنوار في مجال إدارة المواقف والسياسة الشرعية:

- لما أشيع بأن عامر بن الأكوع رضي الله عنه قد مات على غير الشهادة، وأنه قتل نفسه، جاء أخوه سلمة رضي الله عنه يسأل النبي ﷺ فالأمر ملتبس، وسلمة خائف على مصير أخيه، فأجابه النبي ﷺ جواباً قريباً من جوابه لأم حارثة رضي الله عنها بأن عامر في الجنة، وأنه شهيد، وأنه بذل جهداً وجاهد في سبيل الله، وشهد له بالخير، وزاد عليه في الإطراء، فأسعد ذلك سلمة وأزال ما أصابه من غمٍّ على أخيه عامر.
- طلب النبي ﷺ خادماً يخدمه على طريق فتح خيبر، فخرج معه أنس رضي الله عنه على الرغم من صغر سنه، مما ساعد أنس رضي الله عنه على رواية بعض مشاهد تلك الغزوة، ومن ذلك روايته لكلمات دعاء النبي ﷺ الخالدة: «اللهم إني أعوذ بك من الهمِّ والحزن، والعجز والكسل، والبخل والجبن، وضلع الدَّين وغلبة الرجال» وأنس رضي الله عنه كان خادم رسول الله ﷺ في حِله، لكنه اشترك معه في هذه الغزوة (في ترحاله)، وأبو طلحة الذي جاء بأنس للنبي ﷺ لدى قدومه المدينة هو نفسه الذي أتى به الى النبي ﷺ على طريق خيبر.

- مِن معالم السياسة الشرعية في فتح خيبر قبول النبي ﷺ الكراء على أهل خيبر، وهو أن يقوم أهل خيبر من اليهود بالعمل في الأرض مقابل إعطائهم نصف ثمارها، فهم وإن كانوا على شركهم وضلالهم إلا أنهم يُحسنون الزراعة، وهذا ما يبيح استخدام غير المسلمين في أعمال خدماتية كهذه.
- استثمر عمر رضي الله عنه موقف يهود مع ابنه عبد الله فجعل من ذلك سبباً واضحاً في إخراجهم من خيبر، وقام بتوزيعها بحسب الأصول.
- الدعوة مقدمة على الجهاد، والجهاد وسيلة من وسائل الدعوة، هذا ما أراد النبي ﷺ أن يقرره لما قال لعلي رضي الله عنه وقد رأى حماسته في قتال يهود خيبر: «لئن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير» ثم حثه على البدء بدعوتهم، وإلا فهم يستحقون القتال.
- صحيح أن النبي ﷺ كانت بيده القرارات العليا، إلا أنه كان يستشير كثيراً، ومن ذلك أنه لم يصرف لأبي هريرة رضي الله عنه ومَن معه من غنائم خيبر إلا بعد أن استشار مَن حوله في ذلك.
- أكدت حكاية مدعم خادم النبي ﷺ وغلوله من خيبر أن لا شفاعة لمن يغلل حتى لو كان من أقرب الناس إلى النبي ﷺ، كما أكدت كذلك أن الحكم المطلق على الآخرين بالجنة أو النار دون استبانة لا يجوز.
- كان في الحديث العلني عن مصير مدعم الذي غلَّ من غنيمة خيبر ما حرك معاني التوبة عند غيره ممن كان قد غلَّ ولو شيئاً يسيراً من الغنائم قبل توزيعها، طالما أن الأمر بهذه الخطورة وهذا التصرف من النبي ﷺ يدل على قدرة فائقة في إدارة المواقف والتوجيه المبدئي.
- كانت أزمة وضع السمِّ للنبي ﷺ من الأزمات التي تدخَّل الوحي في كشفها وبيانها وعصمة رسول الله ﷺ منها، لكن النبي ﷺ لم يكن ليحكم بالأمر دون إجراء تحقيق مع يهود في ذلك، ولقد سألهم أسئلة ثلاثة في سياق واحد فكذبوا بها كلها، مما أكد للنبي ﷺ أن من كذب في السؤالين الأول والثاني وهي أسئلة بدهية (مَن أبوكم، مَن أهل النار؟) لن يتورع عن الكذب في السؤال الأخير، وهو المتعلق بالسم، وقد دل سؤال النبي ﷺ أن هذا السم وقد وضعته امرأة منهم على

أن ذلك تم بعلمهم كلهم، ومن ثمَّ أصبحوا كلهم شركاء في الجريمة، وكانت هذه الاسئلة بمثابة جهاز كاشف عن الكذب، ومنها يمكن استنباط أسلوبٍ من أساليب التحقيق وانتزاع المعلومة.

- أبرز اليهود قدرتهم في تسويغ كذبهم ولكن ذلك لم يَجُزْ على رسول الله ﷺ الذي أصغى لهم حتى النهاية، ليفضح سوء طواياهم وخبث نفوسهم.
- أبرز النبي ﷺ رحمته ورأفته وقد عفا عن اليهودية التي تولت كِبر وضع السم له، لكنه لما تبين له أن السم قد تسبب بقتل البراء بن معرور قام بإنزال القصاص فيها، فقُتلت قصاصاً.
- كان من حسن إدارة النبي ﷺ لأي مكان يفتتحه أن يجعل عليه أميراً ثم يوصيه ببعض الوصايا الفقهية والإدارية وغيرها، وهكذا فعل عندما استعمل أخا بني عدي على خيبر بعد افتتاحها، وأرشده بعض الإرشادات في مسألة بيع تمورها على اختلاف في أنواعه.
- **في إدارة النبي ﷺ لموقف قتل اليهود لعبد الله بن سهل الأنصاري وإلقائه في بئر من الآبار كثير من الدروس منها:**

١. ضبط النبي ﷺ لانفعالات عبد الرحمن بن سهل (أخو القتيل)، والطلب منه أن يسكت ليفتح المجال للكبار (أعمام القتيل) بالكلام.
٢. إصغاء النبي ﷺ لأحد عمي القتيل بعرض تفاصيل ما جرى، لكنه بعد ذكره للحدث أخذ يجري تعليقات تُبين خبث يهود ومكرهم في باب توجيه الاتهام بشكل قاطع لهم طالما أنه وجد مقتولاً عندهم.
٣. بدأ النبي ﷺ بطلب القَسَم واليمين من هؤلاء بسبب أنه ليس لديهم دليل أكيد على أن واحداً من اليهود بعينه هو القاتل، فالبينة على المدعي، وإلا فخمسين يميناً من المسلمين (على طريقة اليهود) بأن اليهود هم قتلوه تكفي، ولكن كيف يقسم المسلمون على ما لم يروا؟ لأجل ذلك ولأن البينة لم تتحقق على هؤلاء اليهود وهم مَن هُمْ في عدائهم للمسلمين ما كان النبي ﷺ ليظلمهم دون استبانة، فقد تكفل هو بدفع دية عبد الله بن

سهل، لينهي ملف تلك الأزمة العابرة، والكبير تظهر مواقفه في الشدائد وعند النزاعات ليدفع من جيبه أحياناً ما به تعود المياه إلى مجاريها.

- **احتوت حكاية الحجاج بن علاط على مجموعة من الفوائد والأنوار ومنها:**

١. جواز الاحتيال لأخذ الحق من المعتدين، حتى لو اضطر صاحب الحق للكذب وغير ذلك عند الضرورة.

٢. استخدم الحجاج بن علاط أسلوب الأخبار المضللة للتعمية على حركته النشطة في إخراج ماله من مكة والعودة به إلى المدينة.

٣. صحيح أن خدعة الحجاج قد جلبت حزناً للمسلمين وفرحاً للمشركين إذ عرفوا أن دولة الإسلام قد استبيحت في المدينة، إلا أن هذا الأمر لم يطل، فقد قضى الحجاج غايته وأعلم قائد المسلمين في مكة (العباس) بالأمر ثم رجع إلى المدينة بماله كله.

٤. حقق الحجاج هدف إلحاق أهله به من خلال العباس الذي ذهب إليهم وأخبرهم بأمر الحجاج فتبعوه.

٥. كان للسِّرِّية المطلقة التي مارسها الحجاج حتى على زوجته أكبر الأثر في نجاح خطته.

٦. جمع الله تعالى للحجاج من خلال هذه الخطة فرحاً باسترداد ماله وأهله، وفرحاً بجلب الحزن والاكتئاب لمشركي مكة الذين ما تمت فرحتهم بالخبر الكاذب.

٧. أكدت حكاية الحجاج بن علاط ذكاء أصحاب رسول الله ﷺ، وقدرتهم على انتزاع حقوقهم بقوة الفكر والذهن، إن لم يكن بقوة الساعد والسيف.

٨. صحيح أن حكاية الحجاج بن علاط في الأصل حكاية شخصية وخاصة، إلا أنها تحولت بتوفيق الله ثم بحسن التخطيط والإدارة إلى مسألة انتفع بها المسلمون وفرحوا لما علموا عن طريق الحجاج أن خيبر قد فُتحت على المسلمين، كما أوذي بها المشركون لما سمعوا بهذا الخبر، ولما أصابهم من نكسة وخيبة إثر إدراكهم بأنهم تعرضوا للخداع من الحجاج رضي الله عنه.

- مـن أكثر الدلائل عـلى أن صلح الحديبية كان موجعاً للمشركين أن نفوسـهم ما احتملـت الخروج من حول الكعبة يوم عمـرة القضاء وهم يرون النبي ﷺ يؤدي مناسـك العمرة على أعينهم، فما احتملوا ذلك المشـهد أن يزيد على ثلاثة أيام، وبعدهـا جاءوا علياً رضي الله عنه وطلبوا منه أن يذكـر النبي ﷺ بأن الاتفاق يقضي أن لا يزيد المكث في مكة على ثلاثة أيام.

- أبرز الفوائد والأنوار في المجال الأمني العسكري:

- ابتدأ النبي ﷺ خطواته نحو فتح خيبر بدعاء وابتهال إلى الله تعالى، فطلب من الله تعالى أن يعطيه خيرها، وأن يصرف عنه شرها.
- أكـد النبي ﷺ أهمية الدعاء والثناء على اللـه تعالى حينما أخذ الصحابة يكبرون على أبواب خيبر، وهو يوصيهم بالاستمرار في ذلك، ولكن باعتدال في الصوت، كـما ركز النبي ﷺ على بيان أجر ومعنى ما يقوله عبد الله بن قيس وهو يسـمعه يقول: لا حول ولا قوة إلا بالله، وهل أعظم من أن يستشـعر المسـلم في ميدان الجهـاد انعدام حَوله وقوته هو ومن في الكون كلهم ورسـوخ وفاعلية حول الله وقوته فقط؟.
- حاز أبو قتادة على شرف وبركة دعاء النبي ﷺ له لأنه حرس رسول الله ﷺ، ومنعه من السقوط عن الدابة أثناء المسير، ولقد كان مِن جَلَد النبي ﷺ وصبره أن يستمر في مسـيره ليلاً وإن اقتضى الأمر أن يأتيه النعاس، وذلـك لما في المشي بالليل من فائدة الابتعاد عن أجواء النهار الملتهبة الحرارة، لكنه كان إذا اشـتد به النعاس أوصى أحد أصحابه أن يوقظه على موعد صلاة الفجر، ثم يأخذ قسطاً من النوم.
- كان النبي ﷺ إذا فاتته الصلاة قضاها عندما يسـتيقظ، وقـد بيَّن النبي ﷺ أنه لا تفريـط ولا حرج على من اجتهد القيام للصلاة فنـام عنها، ما دام قد صلاها عند قيامه، ومن ثمَّ فإنه ليس على النائم حتى يسـتيقظ مـن حرج إذا فاتته وقد اجتهد وأخذ بأسباب القيام فلم يقم.
- يبدو أن ركب النبي ﷺ سـبق باقـي الجيش، وفي البقية أبـو بكر وعمر فكانت

الكلمة التي أطلقت في باقي الجيش نبراساً وشعاراً يُحتذي في الصحابة إن غاب عنهم رسول الله ﷺ وهذه العبارة هي: «فإن يطيعوا أبا بكر وعمر يرشدوا»، ولعلها من العبارات الموحية لمرحلة متقدمة من عمر الدعوة الاسلامية.

- في كل مـرة كان الأصحاب يفقدون الماء ويوشـك الركب على الهلاك تأتي بركة النبـي ﷺ لترفع الحـرج، ولقد طلب النبي ﷺ الميضـأة (أداة أو وعاء الوضوء) وأخذ بقية ما فيها من ماء ثم دعا عليها وبرَّك لتسـقي القوم كلهم بعد ذلك دون أن تنفذ.
- وصل النبي ﷺ إلى خيبر ليلاً لكنه لم يدخلها إلا صباحاً، وكأنه أراد أن ينذر أهلها ولا يفزعهم.
- دبَّ الرعب في قلوب يهود عند رؤيتهم النبي ﷺ وجيشـه، فأخذوا يصيحون وقد عرفوه، وهم لا شك يعرفونه بما وصف لهم في كتبهم.
- استخدم النبي ﷺ اسـتراتيجية إعلامية نفسية متقدمة على بوابات خيبر حيث بدأ يُكبِّر، ويعلن فتحه لخيبر قبل دخولها.
- التشديد على قيمة الاخلاص لله تعالى والصبر لأجله وعدم استعجال أمره والثقة بوعده، لتحصيل القبول في المعارك، وإلا فإن الشجاعة وحدها لا تنفع صاحبها، وإن مات وهو يبذل أقصى جهده في المعامع الحامية.
- أطلـق النبي ﷺ عبارة خالدة بـيَّن فيها أن الله تعالى ينصر دينـه بالرجل الفاجر أحياناً، وللعبارة أبعاد كثيرة، فقد ينتصر الدين على أكتاف رجل أعطى وقدَّم ودافع حميـة، أو أن الله ينصر الدين على أيدي رجل كان فاجـراً ثم تاب، أو أنه ينصره بغباء الرجل الفاجر عندما يصرُّ على فجوره فيوقعه الله بشرِّ أعماله ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِ فَٱتَّبَعُوٓاْ أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَآ أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴿٩٧﴾ يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ ﴿٩٨﴾﴾ هود: ٩٧ - ٩٨
- اسـتخدم النبي ﷺ يوم خيبر اسـتراتيجية الحصار الخانـق على أهل خيبر حتى جعلهم يطلبون الصلح، فحكم بإخراجهم، ثم بدا له أن يسـتخدمهم في أرضهم، إمعانـاً في إهانتهم من جهة، وحتى يسـتثمر طاقتهم وقدرتهـم الزراعية لصالح

الإسلام والمسلمين.

- لا تزال في اليهود بقية غش وخبث حتى يموتوا، وإلا ما الذي دعاهم للكذب على رسول الله ﷺ وهم في أشد الظروف وأحلكها، وقد أخفوا أموال حيي بن أخطب ودلسوا في بيان مكانها، لكن الله تعالى لهم بالمرصاد، وقد كانت حنكة رسول الله ﷺ في الكشف عن هذا المال فاضحة لهؤلاء المجرمين، إذ إنه لما سألهم عن المال قالوا: أذهبته النفقات والحروب، فقال ﷺ: العهد قريب، المال أكثر من ذلك، فلما أصروا على إخفاء الحقيقة دفع رسول الله ﷺ عم حيي بن أخطب إلى الزبير بن العوام فمسه بعذاب ليعترف، فاعترف عن مكان المال، وفي ذلك جواز انتزاع المعلومة ممن يحرص على إخفائها من الأعداء ولو بالقوة، وذلك في مصلحة الإسلام والمسلمين، وإلا فأخذ المعلومة بالرفق والأسلوب الحسن أحسن.
- ليست راية قيادة فتح خيبر كأي راية لأجل ذلك صنع النبي ﷺ حافزاً كبيراً لمن يحملها، وقد تزامن ذلك مع مرض أصاب علياً رضي الله عنه في عينيه وأقعده عن الخروج مع النبي ﷺ، لكن صدقه مع الله تعالى جعله لا يقيم لنفسه عذراً في القعود فخرج على وجع في عينيه، فكان أن كتب الله تعالى حمل الراية له، مع ما أكرمه به الله تعالى من دعاء النبي ﷺ لعينيه فبرأتا، وهذا جزاء الصدق مع الله، وعدم إعذار النفوس بالقعود عن نصرة الاسلام لأي سبب.
- أظهر علي رضي الله عنه شجاعة متقدمة في قتال مرحب (ملك خيبر كما في رواية سلمة رضي الله عنه)، وقد أجابه بما يستحق، وردَّ عليه رداً بالكلام وبالفعال، حتى أسقطه قتيلاً.
- بقيت آثار غزوة خيبر مؤثرة في سلمة رضي الله عنه، وقد قُتل فيها عمه عامر وأصيب هو فيها بجرح غائر في رجله، فدعا له النبي ﷺ فبرأ.
- في إعطاء النبي ﷺ للعائدين من الحبشة من غنائم خيبر ما يؤكد أن هجرة هؤلاء كانت جهاداً مكتمل المعاني والأركان، كيف لا والمهاجر يعاني مما يعاني منه المجاهد وزيادة.

- تعد غزوة ذات الرقاع التي لم يحصل فيها أي اشتباك ولا قتال بين المسلمين وقبيلة غطفان من أكثر الغزوات شدة على الصحابة من الناحية النفسية، لما حصل بين الطرفين من اشتباكات أمنية، أخاف فيها كلا الطرفين بعضهم بعضاً، حتى إنه قيل بأن تشريع صلاة الخوف قد ابتدأ منها، وهذا ما يدلك على خطورة الناحية النفسية والناحية الإعلامية وأثرهما على الناحية الأمنية والعسكرية الحاسمة في كل معركة وغزوة.
- تشكل صلاة الخوف صورة من صور الحرص على الحس الأمني العالي المستوى جنباً إلى جنب الحرص على الحس الإيماني الكبير.
- من صور الفزع والإخافة التي حصلت للمؤمنين يوم ذات الرقاع اقتراب أحد المشركين من النبي ﷺ ووصوله إلى سيفه، ورفعه عليه، ومحاولة قتله، لولا أن الله تعالى حفظه وحرسه، فالله تعالى هو الحفيظ والحامي والمانع والوكيل، ويبدو أن الرجل أُسقط في يده من مهابة النبي ﷺ، فلم يعد يمنعه من النبي ﷺ شيء، حتى جاء الصحابة وإن جاءوا متأخرين!.
- يبدو أن المرأة التي أصيبت يوم ذات الرقاع قد أصيبت بطريق الخطأ، لإرباك كان يشوب الغزوة، حتى خرج زوجها قاصداً وعازماً على الانتقام من النبي ﷺ وأصحابه الكرام، ولا يزال الرجل يتقدم حتى وصل إلى أقرب نقطة من حارسين كانا قد تطوعا بحراسة النبي ﷺ.
- ما جرى للحارسين الذَين تطوعا بالحراسة من توزيع للمهام بينهما أمر يقوم بها الحراس في العادة، ولكن اشتغال أحدهما في الصلاة وخلود أحدهما الآخر للراحة أحدث ثغرة في هذا الجانب، ومن الثغرات يأتي الخلل، والعدو يقظ منتبه، ولديه ما يبرر أفعاله الشنيعة، ولا اقتراح على أصحاب رسول الله وإن كان من الأجدى والأنفع أن يبقيا على يقظة، أو أن يحرس واحد وينام الآخر، ولكن رغبة الأصحاب في جمع أكثر من أجر في وقت واحد؛ أجر الرباط، وأجر الصلاة والتهجد ومناجاة الله تعالى بخشوع تام، كل ذلك جعل المستيقظ ينشغل بالصلاة على الرغم مما أصابه من أسهم أوشكت أن تفتك به دون أن يقطع صلاته، لقد غلب الجانب

الإيماني في هذا المشهد على الجانب الأمني، فحمى الله تعالى أصحاب رسوله من بطش ذاك الرجل.

- لم يفارق حرس رسول الله ﷺ قائدهم يوم عمرة الحديبية، حرصاً عليه من أذى طائشي قريش، فهم على الرغم من علمهم بوجود عهد بين الفريقين (صلح الحديبية) إلا أن هذا العهد لا يمنع طائشاً من مدِّ يده أو محاولة اغتياله للنبي ﷺ، والاحتياط واجب.
- جمع النبي ﷺ في الرمل عند الأشواط الأولى في الطواف والسعي بين الجانب الإيماني والجانب الأمني العسكري على حدٍّ سواء، فهو يطوف ذاكراً ربه، مسبحاً مهللاً، وفي الوقت ذاته يريد أن يرد على مشركي قريش مبيناً لهم أنه لا وهَنَ ولا ضعف، فالمسلم قوي، وفي ذلك ما فيه من حاجتنا إلى أن نتعالى باستمرار على ضعفنا، وأوجاعنا لنظهر لخصوم الإسلام في كل وقت وحين مدى قوتنا وجاهزيتنا، لأن ضعفنا يغريهم، فإما أن يشمتوا بنا، وإما أن يتقدموا خطوة فيخترقونا ويستبيحوا آخرنا.
- وكما كان النبي ﷺ يحرص على إظهار قوته وقوة أصحابه الجسدية، فقد كان لا يمانع من تشغيل قنوات إعلامية تنشد الشعر القوي الراسخ، وتتحدى به عُتلاء الشرك في مكة وهو بينهم يطوف حول الكعبة، لأجل ذلك دعم النبي ﷺ شعر عبد الله بن رواحه رضي الله عنه، ورد اعتراض عمر رضي الله عنه عليه في ذلك الموقف.
- يناقش الدكتور محمد أبو شهبة مسألة أكان فتح مكة عنوة أم صلحاً فيقول: «وقد اختلف العلماء في ذلك فقال مالك وأبو حنيفة وأحمد وجماهير العلماء وأهل السير إن مكة فتحت عنوة، وقال الشافعي ورواية عن أحمد إنها فتحت صلحاً، والحق أن الراجح والصحيح أن فتحها كان عنوة وبقوة السلاح، ولو أمكنهم أن يقاتلوا أيضاً الجيش الذي كان فيه النبي ﷺ لفعلوا، وقد ناوشوا جيش خالد ولكنهم لم يلبثوا أن هُزموا واستسلموا، ولكن النبي ﷺ للأسباب التي ذكرناها وتأليفاً لقلوب مَن لم يدخل منهم في الإسلام يوم الفتح عاملهم معاملة مَن فُتحت

بلدهم بأمان وصُلح»[1].

- يقول الدكتور صالح رضا: «لاحظ أن تحركات النبي ﷺ والجيش الإسلامي كانت دائماً تحقق أكثر مِن مكسب أو أكثر مِن هدف؛ ففيه هدف مباشر مثلا هنا في فتح خيبر، وفيه أهداف غير مباشرة، كصد العرب والأعداء عن مساعدة يهود وصدهم عن التحرك في مواجهة المسلمين، ويتحقق بتلك الحركة هدف الدعوة واكتشاف أرض المدينة وما فيها ومَن فيها من السكان، فضلاً عن أنه حركة ونشاط عسكري ينمي قدرات الجند»[2].

مكتبة t.me/ktabrwaya

(١) السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة، الدكتور محمد محمد أبو شهبة، ج ٢/ ٤٦٠.

(٢) إنها النبوة، الدكتور صالح رضا، ص٤٣٦.

غزوة مؤتة

بدأ التوجه والنظر بعد الفراغ من مشركي مكة واليهود، وتعطيل آلتهم الحربية بالصلح، سواء أكان صلح الحديبية، أو ما صالح عليه النبي ﷺ يهود خيبر بعد غزوهم، بدأ التوجه لنشر الإسلام خارج الجزيرة، **وعين الرسول ﷺ ترمق وصول الرحمة المهداة من الخالق للخلق إلى بلاد كسرى وقيصر**، فكانت مؤتة من ارتدادات تلك الرؤيا الاستراتيجية الكبرى.

ما قبل الغزوة[1]:

- **وقت الغزوة:** قال ابن إسحاق: حدثني محمد بن جعفر بن الزبير، عن عروة بن الزبير قال: «بعث رسول الله ﷺ بعثه إلى مؤتة في جمادى الأولى **من سنة ثمان**»[2].
- **تعيين القادة من قِبَل القائد العام:** روى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: «أمَّر رسول الله ﷺ في غزوة مؤتة زيد بن حارثة، فقال رسول الله ﷺ: إن قُتل زيد فجعفر، وإن قتل جعفر، فعبد الله بن رواحة»[3].
- **سر تأخر عبد الله بن رواحة عن الجيش:** روى ابن عباس رضي الله عنهما، قال: بعث النبي ﷺ عبد الله بن رواحة في سرية، فوافق ذلك يوم الجمعة، فغدا أصحابه، وقال: أتخلفُ وأصلي مع رسول الله ﷺ، ثم ألحقهم، فلما صلى مع رسول الله

---

(١) انفرد الواقدي رحمه الله بذكر سبب الغزوة **وهو أن شرحبيل بن عمرو الغساني قتل صبراً الحارث بن عمير الأزدي، الذي أرسله النبي ﷺ إلى ملك بصرى بكتابه، وكانت الرسل لا تُقتل، فغضب النبي ﷺ وأرسل جيش مؤتة، وقد حكم الدكتور العمري بالضعف على رواية الواقدي هذه لأنه تفرد بها**، وانظر السيرة النبوية الصحيحة ص ٥٢٢، وقد سميت هذه الغزوة باسم المكان الذي التقى فيه الجيشان وهو أرض مؤتة التي تقع جنوب الأردن في مدينة الكرك.

(٢) أخرجه ابن كثير في البداية والنهاية عن ابن اسحاق بسنده، ج٤/ ١٢٣.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة مؤتة من أرض الشأم، ح ٤٠١٣.

ﷺ رآه، فقال: «ما منعك أن تغـدو مع أصحابك؟ «فقال: أردتُ أن أصلي معك، ثم ألحقهم، فقال: «لو أنفقتَ ما في الأرض جميعاً ما أدركت فضل غدوتهم»[1].

أثناء الغزوة:

- **شـجاعة خالد** رضي الله عنه: روى قيس بن أبي حازم قال: سمعت خالد بن الوليد يقول: «لقد انقطعت في يدي يوم مؤتة تسـعة أسـياف، فما بقي في يـدي إلا صفيحة يمانية»[2].
- **مـن غنائم الغزوة:** روى عَوْف بْن مَالك الأَشْـجَعِيِّ قَـالَ: «خَرَجْتُ مَعَ مَنْ خَرَجَ مَعَ زَيْد بْن حَارِثَةَ مِنَ الْمُسْـلِمِينَ فِي غَزْوَة مُؤْتَةَ، فَرَافَقَنِي مَدَدِيٌّ[3] مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ لَيْسَ مَعَهُ غَيْرُ سَيْفِه، فَنَحَرَ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْـلِمِينَ جَزُورًا، فَسَأَلَهُ الْمَدَدِيُّ طَائِفَةً مِنْ جِلْدِه، فَأَعْطَاهُ إِيَّاهُ، فَاتَّخَذَهُ كَهَيْئَةِ الدَّرَقَة، وَمَضَيْنَا، فَلَقِينَا جُمُوعَ الرُّوم، قَالَ: وَفِيهِمْ رَجُلٌ عَلَى فَرَسٍ لَهُ أَشْـقَرَ عَلَيْهِ سَرْجٌ مُذْهَبٌ وَسِلاحٌ مُذْهَبٌ، فَجَعَلَ الرُّومِيُّ يُغْرِي بِالْمُسْلِمِينَ، وَقَعَدَ لَهُ الْمَدَدِيُّ خَلْفَ صَخْرَة، فَضَرَبَ الرُّومِيَّ فَخَرَّ مِنْ فَرَسِه وَعَلاهُ، فَقَتَلَهُ، فَحَازَ فَرَسَـهُ وَسِلاحَهُ، **فَلَمَّا فَتَحَ اللَّهُ لِلْمُسْـلِمِينَ**، بَعَثَ إِلَيْهِ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ فَأَخَذَ مِنَ السَّلَبِ.

قَـالَ عَوْفٌ: فَأَتَيْتُهُ، فَقُلْتُ: **يَا خَالِدُ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ رَسُـولَ اللَّه ﷺ قَضَى بِالسَّـلَبِ لِلْقَاتِلِ، قَالَ: بَلَى وَلَكِنِّي اسْـتَكْثَرْتُهُ**، قَالَ عَوْفٌ: فَقُلْـتُ: لَتَرُدَّنَّهُ أَوْ لأُعَرِّفَنَّكَهَا عِنْدَ رَسُولِ اللَّه ﷺ، قَالَ: فَأَبَى أَنْ يَرُدَّ عَلَيْه.

قَالَ عَوْفٌ: فَاجْتَمَعْنَا عِنْدَ رَسُـولِ اللَّه ﷺ، وَقَصَصْتُ عَلَيْه قِصَّةَ الْمَدَدِيِّ وَمَا فَعَلَ خَالِدٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: «يَا خَالِدُ مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا صَنَعْتَ؟ «فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّه اسْتَكْثَرْتُهُ.

فَقَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: **«يَا خَالِدُ رُدَّ عَلَيْه مَا أَخَذْتَ مِنْهُ»**.

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده ١/ ٢٥٦، والترمذي في سننه ح٥٢٧، والبيهقي في سننه ٣/ ١٨٧، وقد ذكره الشيخ ابراهيم العلي في صحيح السيرة برقم ٦٣٧، وحاول جاهداً الرقي به إلى درجة الجيد والحسن.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب عمرة القضاء، ح ٤٠١٧.

(٣) رجل من المدد المناصر لجيش المسلمين.

فَقُلْتُ: دُونَكَ يَا خَالِدُ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: «وَمَاذَا؟ «فَأَخْبَرْتُهُ. فَغَضِبَ رَسُولُ اللَّه ﷺ وَقَالَ: «**يَا خَالِدُ لا تَرُدَّ عَلَيْهِ، هَلْ أَنْتُمْ تَارِكُوا لِي أُمَرَائِي، لَكُمْ صَفْوَةُ أَمْرِهِمْ، وَعَلَيْهِمْ كَدَرُهُ**»[1].

من أحوال الغزوة:

- **القادة الشهداء:** روى أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ نعى زيداً وجعفراً وابن رواحة للناس قبل أن يأتيهم خبرهم، فقال: أخذ الراية زيد فأصيب، ثم أخذ جعفر فأصيب، ثم أخذ ابن رواحة فأصيب، وعيناه تذرفان، **حتى أخذ الراية سيف من سيوف الله، حتى فتح الله عليهم**»[2].
- **سعادة الشهداء بجوار رب الأرض والسماء:** روى أنس رضي الله عنه أنه لما سُئل النبي ﷺ عن شهداء مؤتة قال: «**ما يسرهم أنهم عندنا**»[3].
- **شجاعة جعفر** رضي الله عنه: روى ابن عمر رضي الله عنهما قال: «أنه وقف على جعفر يومئذ وهو قتيل، فعددت به خمسين بين طعنة وضربة، **ليس منها شيء في دبره، يعني في ظهره**»[4].
- **كرامة جعفر ذي الجناحين:** «كان ابن عمر إذا حيَّا ابن جعفر قال: **السلام عليك يا ابن ذي الجناحين**»[5].

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب استحقاق القاتل سلب القتيل، ح١٧٥٣، واللفظ لأبي داود في كتاب الجهاد، باب في الإمام يمنع القاتل السلب، ح ٢٧١٩، **وهذا الحديث هو الذي اعتمد عليه الشيخ ابراهيم العلي في ترجيح كون غزوة مؤتة كانت فتحاً ونصرا للمسلمين، ولم تكن هزيمة ولا مرتبة بين الهزيمة والنصر كما يقول بعض الباحثين**، فقد جاء في الحديث كلمة (**فلما فتح الله للمسلمين**) كما أنه فيه ما يثبت وجود غنائم، ولا يغنم إلا الجيش المنتصر، فضلاً على أن جموع الروم ذهلت بطريقة انسحاب جيش المسلمين الذي صبر وأثخن فيهم الجراح، وظن الروم أن مدداً قريباً سيأتي لنصرة جيش المسلمين، فتوقفوا عن ملاحقة جيش المسلمين، ولم يتقدموا نحو بلادهم شبراً، قلت: والحديث الذي قبله جاء فيه لفظ: (فلما فتح الله لمسلمين) وهذا مما يعضد رأي الشيخ العلي رحمه الله في نتيجة الغزوة.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة مؤتة من أرض الشأم ح ٤٠١٤.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب تمني الشهادة، ح ٢٦٤٥.

(٤) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة مؤتة من أرض الشأم، ح٤٠١٢.

(٥) السابق، ح ٤٠١٦.

- **منزلة زيد بن حارثة** رضي الله عنه: روى ابن بريدة عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال: «**دخلت الجنة، فاستقبلتني جارية شابة، فقلت: لمن أنت؟ قالت: أنا لزيد بن حارثة**»(١).
- **حزنٌ على الشهداء وبكاء على جعفر:** روت عائشة رضي الله عنها قال: «لما جاء (خبر) قتل ابن حارثة وجعفر بن أبي طالب وعبد الله بن رواحة رضي الله عنهم، جلس رسول الله ﷺ يُعرف فيه الحزن، قالت عائشة: وأنا أطلع من صائر الباب - تعني من شق الباب - فأتاه رجل فقال: أي رسول الله، إن نساء جعفر - قال وذكر بكاءهن- فأمره أن ينهاهن، قال: فذهب الرجل ثم أتى، فقال: قد نهيتهن، وذكر أنه لم يُطعْنَهُ، قال: فأمر أيضاً فذهب ثم أتى فقال: والله لقد غلبننا، فزعمت أن رسول الله ﷺ قال: **فاحثُ في أفواههن من التراب**، قالت عائشة: **فقلت أرغم الله أنفك، فوالله ما أنت تفعل، وما تركت رسول الله ﷺ من العناء**»(٢).
- **سر تُرك البكاء على عبد الله بن رواحة** رضي الله عنه: روى النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال: «أغمي على عبد الله بن رواحة فجعلت أخته عمرة تبكي؛ وا جبلاه وا كذا، وا كذا، تعدد عليه، فقال حين أفاق: **ما قلتِ شيئاً إلا قيل لي: آنت كذلك؟... فلما مات لم تبكِ عليه**»(٣).
- **منزلة الشهداء الثلاثة:** روى أبو أمامة الباهلي رضي الله عنه في حديثه الطويل الذي يحكي رؤيا النبي ﷺ وهي حق... «ثم أشرفا بي شرفاً؛ فإذا أنا بنفر ثلاثة يشربون من خمر لهم، قلت: من هؤلاء؟ قال: هؤلاء جعفر وزيد وابن رواحة، ثم أشرفا بي شرفاً آخر؛ فإذا أنا بنفر ثلاثة، قلت: من هؤلاء؟ قال: هذا إبراهيم وموسى وعيسى، وهم ينتظرونك»(٤).
- **كفالة النبي ﷺ لأولاد جعفر** رضي الله عنه: روى عبد الله بن جعفر رضي الله عنهما

---

(١) ذكره الذهبي في سير أعلام النبلاء، ج١/ ٢٢٠، بسند قال: هو حسن، وصححه الألباني في الصحيحة برقم ١٨٥٩.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة مؤتة من أرض الشأم، ح ٤٠١٥.

(٣) السابق، ح ٤٠١٩.

(٤) أخرجه الطبراني، ح٧٦٦٦، وابن خزيمة، ح١٩٨٦، وصحح إسناده الشيخ ابراهيم العلي في صحيح السيرة برقم: ٦٤٩.

قـال: «... فَجيءَ بنَا كَأَنَّا أَفْرُخٌ، فَقَالَ: «ادْعُوا ليَّ الْحَلَّاقَ»، فَجيءَ بالْحَلَّاق فَحَلَقَ رُؤوسَـنَا، ثُمَّ قَالَ: **أَمَّا مُحَمَّدٌ فَشَـبيهُ عَمِّنَا أَبي طَالب، وَأَمَّا عَبْدُ اللَّه فَشَـبيهُ خَلْقي وَخُلُقـي**، ثُمَّ أَخَذَ بيَدي، فَأَشَـالَهَا، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ اخْلُفْ جَعْفَـرًا في أَهْله، وَبَارِكْ لعَبْـد اللَّه في صَفْقَة يَمينه»، قَالَهَا ثَلَاثَ مرَار، قَالَ: فَجَاءَتْ أُمُّنَا، فَذَكَرَتْ لَهُ يُتْمَنَا، وَجَعَلَتْ تُفْرِحُ لَهُ، فَقَالَ: «**الْعَيْلَةَ تَخَافينَ عَلَيْهِمْ وَأَنَا وَلِيُّهُمْ في الدُّنْيَا وَالْآخرَة؟**»[1].

ثلاث سرايا بين غزوة مؤتة وفتح مكة:

أولاً: سرية ذات السلاسل:

- جمهور العلماء يقولون بأنها كانت في جمادى الثانية **سـنة ثمان للهجرة**[2]، وأنها كانت لمواجهة قبيلة قضاعة، التي كانت تجهز نفسها لغزو المدينة.
- **تكليف النبي ﷺ عمرو بن العاص رضي الله عنه بقيادة السرية:**

روى عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: «بعث إليَّ رسـول اللـه ﷺ فقال: «**خذ عليك ثيابك، وسلاحك، ثم ائتني**»، قال: فأتيته، وهو يتوضأ فصعَّد فيَّ البصر، ثم طأطأه فقال: «إني أريد أن أبعثك على جيش فيُسـلِّمكَ اللـه ويُغنِّمك، وأرغب لك من المال رغبة صالحة»، فقلت: يا رسـول الله، **ما أسـلمت مـن أجل المال، ولكني أسـلمت رغبة في الإسلام**، وأن أكون مع رسـول الله ﷺ، فقال: «يا عمرو، **نعمَّا بالمال الصالح للمرء الصالح**»[3].

- **سـوء فهم وتوضيح:** روى عَمْـرو بْن الْعَاص رضي الله عنه، «أَنّ رَسُـولَ اللَّه ﷺ بَعَثَهُ في ذَات السَّلاسل، فَسَأَلَهُ أَصْحَابُهُ أَنْ يُوقدُوا نَارًا، فَمَنَعَهُمْ، فَكَلَّمُوا أَبَا بَكْرٍ، فَكَلَّمَهُ في ذَلكَ، فَقَالَ: لَا يُوقدُ أَحَدٌ منْهُمْ نَارًا إلا قَذَفْتُهُ فيهَا.
- قَالَ: فَلَقُـوا الْعَدُوَّ فَهَزَمُوهُمْ، فَـأَرَادُوا أَنْ يَتَّبعُوهُمْ، فَمَنَعَهُـمْ، فَلَمَّا انْصَرَفَ ذَلكَ

---

(١) أخرجه أحمد برقم ١/ ٤٠٢، وذكره الشيخ ابراهيم العلي في صحيح السيرة برقم: ٦٥١.

(٢) عدا عن ابن اسحاق فقد قال بأنها كانت قبل غزوة مؤتة، **وسميت بهذا الاسم لأن جيش المشركين سلسل نفسه بالسلاسل حتى لا يفر، وقيل لأن بها ماء يقال له سلسل.**

(٣) أخرجه ابن حبان في موارد الظمآن، ح٢٢٧٧، وأحمد في المسند، ٤/ ١٩٧، وذكره الشيخ ابراهيم العلي في صحيح السيرة برقم: ٦٥٢.

الْجَيْشُ ذَكَرُوا لِلنَّبِيِّ ﷺ، وَشَكَوْهُ إِلَيْهِ.
فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي كَرِهْتُ أَنْ آذَنَ لَهُمْ أَنْ يُوقِدُوا نَارًا فَيَرَى عَدُوُّهُمْ قِلَّتَهُمْ، وَكَرِهْتُ أَنْ يَتَّبِعُوهُمْ فَيَكُونُ لَهُمْ مَدَدٌ فَيُعْطِفُوا عَلَيْهِمْ، فَحَمِدَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَمْرَهُ.
فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ «مَنْ أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيْكَ؟
قَالَ: «لِمَ؟ «قَالَ: لأُحِبُّ مَنْ تُحِبُّ.
قَالَ: «عَائِشَةُ»، قَالَ: مِنَ الرِّجَالِ؟ قَالَ: أبوها، «أَبُو بَكْرٍ»، قلت: ثم من: قال: عمر بن الخطاب، فعدَّ رجالاً[1].

- **سوء فهم آخر وتوضيح جديد:** روى عمرو بن العاص رضي الله عنه «أنه قال لما بعثه رسول الله ﷺ عام ذات السلاسل، احتلمتُ في ليلة باردة شديدة البرد، فأشفقتُ إن اغتسلت أن أهلك، فتيممتُ، ثم صليت بأصحابي صلاة الصبح، قال: فلما قدمنا على رسول الله ﷺ ذكرت ذلك له، فقال: يا عمرو، صليت بأصحابك وأنت جنب؟، قال قلت: نعم يا رسول الله، إني احتلمت في ليلة باردة شديدة البرد، فأشفقت إن اغتسلت أن أهلك، وذكرت قول الله عز وجل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٖ مِّنكُمۡۚ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا ﴿٢٩﴾ ﴾ النساء: ٢٩، فتيممتُ ثم صليتُ، **فضحك رسول الله ﷺ، ولم يقل شيئاً**»[2].
- **وقفة في تفسير هذه الآية:** قال سيد قطب: «في قوله تعالى (ولا تقتلوا انفسكم..) تعقيب يجيء بعد النهي عن أكل الأموال بالباطل؛ فيوحي بالآثار المدمرة التي يُنشئها أكل الأموال بالباطل في حياة الجماعة؛ إنها عملية قتل.. يريد الله أن يرحم الذين آمنوا منها، حين ينهاهم عنها!
وإنها لكذلك، فما تروج وسائل أكل الأموال بالباطل في جماعة: بالربا، والغش،

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب المناقب، باب فضل عائشة، ح٣٨٨٦، والبخاري مقتصراً على الجزء الأخير منه، ح٣٦٦٢.

(٢) أخرجه أبو داود، كتاب الطهارة، باب إذا خاف الجنب من البرد أيتيمم؟، ح٣٣٤، وقال الشيخ ابراهيم العلي في صحيح السيرة ح٦٥٤: إسناده صحيح، ومثل ذلك حكم عليه الشيخ الألباني في تخريجه لأحاديث فقه السيرة للشيخ الغزالي ص٣٧٣.

والقمار، والاحتكار، والتدليس، والاختلاس، والاحتيال، والرشوة، والسرقة، وبيع ما ليس يباع: كالعرض، والذمة، والضمير، والخلق، والدين! مما تعج به الجاهليات القديمة والحديثة سواء، ما تروج هذه الوسائل في جماعة، إلا وقد كتب عليها أن تقتل نفسها، وتتردى في هاوية الدمار!

والله يريد أن يرحم الذين آمنوا من هذه المقتلة المدمرة للحياة، المردية للنفوس; وهذا طرف من إرادة التخفيف عنهم; ومن تدارك ضعفهم الإنساني، الذي يرديهم حين يتخلون عن توجيه الله، إلى توجيه الذين يريدون لهم أن يتبعوا الشهوات!»[1].

ثانياً: سرية أسامة رضي الله عنه إلى الحرقات من جهينة:

روى أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال: «بعثنا رسول الله ﷺ إلى الحرقة، فصبحنا القوم فهزمناهم، ولحقت أنا ورجل من الأنصار رجلاً منهم، فلما غشيناه قال: لا إله إلا الله، فكفَّ الأنصاري، فطعنته برمحي حتى قتلته، فلما قدمنا بلغ النبي ﷺ.

فقال: يا أسامة، **أقتلته بعد ما قال لا إله إلا الله؟**

قلت: كان متعوذاً، فما زال يكررها حتى تمنيت أني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم»[2].

وفي رواية جندب بن عبد الله البجلي رضي الله عنه قال: أن النبي ﷺ سأل أسامة: لم قتلته؟ قال: **يا رسول الله أوجعَ في المسلمين، وقتل فلاناً وفلاناً، وسمى له نفراً**، وإني حملت عليه، فلما رأى السيف قال: لا إله إلا الله، قال رسول الله ﷺ: أقتلته؟ قال: نعم: قال: **فكيف تصنع بلا إله إلا الله إذا جاءت يوم القيامة...**»[3].

ثالثاً: سرية نجد:

روى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: «بعث النبي ﷺ سرية قِبَل نجد فكنت فيها، فبلغتْ سهامنا اثني عشر بعيراً، ونفِّلنا بعيراً بعيراً، فرجعنا بثلاثة عشر بعيرا»[4].

(١) تفسير في ظلال القرآن، سيد قطب، ٢/ ٦٣٩.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب بعث النبي ﷺ أسامة بن زيد إلى الحرقات من جهينة، ح٤٢٦٩.

(٣) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب تحريم قتل الكافر بعد أن قال: لا إله إلا الله، ح ٢٧٥.

(٤) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب السرية التي قِبَل نجد، ح٤٣٣٨، **وقد بيَّن ابن حجر أن أهل المغازي قالوا بأنها كانت قبل التوجه لفتح مكة، بينما ذكرها البخاري بعد حديثه عن غزوة الطائف.**

- أبرز الفوائد والأنوار في المجال النفسي القيمي السلوكي (التربوي):

- لقد كان رسول الله ﷺ مراعياً لنفوس أصحابه قريباً منهم، لا يسمح لأحد منهم أو من غيرهم أن يجترأ أو أن يتطاول عليهم، فقد دافع النبي ﷺ عن خالد رضي الله عنه عندما شعر بأن عوف بن مالك رضي الله عنه يريد أن يتعالم عليه في خلاف دار بينهما حول سلب المـــددي يوم مؤتة، فقال ﷺ: يَا خَالِدُ لا تَرُدَّ عَلَيْهِ، هَلْ أَنْتُمْ تَارِكُوا لِي أُمَرَائِي، لَكُمْ صَفْوَةُ أَمْرِهِمْ، وَعَلَيْهِمْ كَدَرُهُ».

- في حديث النبي ﷺ عن بعض ما أعده الله تعالى لشـــهداء مؤتة في الجنة جانب نفـــسي مهم في تحفيز مَن وراءهم كي يكونوا مثلهـــم، ومِن أجل أن يكف أهلهم وإخوانهم عن الحزن المفضي إلى الاكتئاب على هؤلاء الأحباب.

- في المســـافة الكبيرة التي قطعتها سرية مؤتة من المدينـــة إلى الكرك، وفي قبولها التحدي لعتاة الروم وجيشهم الجرار؛ ما يدلك على عظيم التربية التي نالها هؤلاء الأصحاب ويقينهم البالغ على الله تعالى، وزهدهم الكبير في هذه الدنيا الفانية.

- **استخدم النبي ﷺ الكثير من استراتيجيات التعزيز النفسي في بيت جعفر رضي الله عنه بعد استشهاده، ومن ذلك:**

١. الذهاب إلى بيته.
٢. السؤال عن أولاده وتحسس حاجاتهم.
٣. تكليف من يقوم على تنظيفهم والحلاقة لهم.
٤. منحهم أوسمة التشبيه الجميل؛ فواحد يشبه عمه، والثاني يشبه رسول الله ﷺ.
٥. الدعاء المخصوص لهم بالبركة والخير.
٦. كفالتهم كفالة شاملة.
٧. تطييب خاطر أمهم الكريمة.

- يقول الدكتور محمد ســـعيد البوطي: «إن المدهش بالنسبة للمسلمين - إذا كانوا مســـلمين -، أن يكون لأرقام العدد والعدة حساب في أفكارهم إلى جانب ما وعد

الله به من نصر وتأييد أو جنة ونعيم خالدين، فالمسلمون كما قال عبد الله بن رواحة رضي الله عنه لا يقاتلون بعدد ولا قوة ولا كثرة وإنما يقاتلون بهذا الدين الذي أكرمهم الله به»[1].

- أبرز الفوائد والأنوار في المجال الاجتماعي التأثيري التواصلي (الدعوي):

- على الرغم من حب الصحابة للنبي ﷺ وحرصهم الشديد على مجالسته وشوقهم له وهم معه؛ إلا أن مَن ذهب إلى الله تعالى منهم شهيداً ورأى ما أعده الله تعالى للشهداء لا تطيب نفسه إلا أن يظل هناك في عالم الرحمة الإلهية، لأجل ذلك عبَّر النبي ﷺ عن فرحة شهداء مؤتة بلقاء ربهم بقوله: «ما يسرهم أنهم عندنا».
- أدَّب النبي ﷺ أصحابه أن يتنادوا بأحب الأسماء والكنى والألقاب، لأجل ذلك كان عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ينادي عبد الله بن جعفر رضي الله عنهما ويسلم عليه قائلاً: السلام عليك يا ابن ذي الجناحين، في إشارة منه إلى بسالة وشجاعة والده من جهة، ولتحفيزه على أن يكون شجاعاً باسلاً في دفاعه عن الإسلام مثل أبيه من جهة أخرى.
- صحيح أن النبي ﷺ قد أبدى إعجاباً شديداً بذكاء وقدرة عمرو بن العاص رضي الله عنه في ذات السلاسل، ولكن هذا لم يمنعه من أن يكون واضحاً وصادقاً في ترتيب أولويات المحبة في قلبه لأصحابه دون محاباة لعمرو بن العاص رضي الله عنه، فعائشة وأبو بكر وعمر وعثمان وغيرهم كلهم في باب المحبة مقدَّمون عند النبي ﷺ على عمرو بن العاص رضي الله عنهم كلهم أجمعين.
- مثلما قدم النبي ﷺ يوم بدر أغلى الناس وأقربهم إليه نسباً يوم بدر؛ قدَّم كذلك يوم أُحد ابن عمه جعفر رضي الله عنه، وحبيب قلبه زيد بن حارثة رضي الله عنه، وهكذا تدار الأزمات عن قُرب، وتتحقق معالم الأسوة الحسنة.

---

(١) فقه السيرة، الدكتور محمد سعيد البوطي، ص٢٦١.

- أبرز الفوائد والأنوار في المجال الاقتصادي المعاشي:

- استكثر خالد ﷺ يوم مؤتة السلب الذي أخذه المددي لنفسه، فمنعه إياه، فرفع عوف بن مالك تلك الخصومة لرسول الله ﷺ، فحكم بالسلب كاملاً مهما بلغ حجمه لذلك المددي، وهذا حق له لأن السلب الفردي يُمنح للمجاهد القاتل على الأصل، إلا إن اشترط الأمير قبل الغزوة غير ذلك، وأما سائر الغنائم فيتم تخميسها كما هو معلوم.
- كانت كلمة النبي ﷺ لعمرو بن العاص ﷺ الذي عزفت نفسه عن الغنيمة، وأراد أن تكون غزوته خالصة لوجه الله تعالى: نعمًّا بالمال الصالح للمرء الصالح، بمنزلة دستور خالدٍ لكل أصحاب المال من تجار ورجال أعمال وغيرهم أن لا يزهدوا في جمع المال وحيازته، ما دامت له موارده المباحة ومصارفه المشروعة، وكم تحتاج ثغور الإسلام كلها في كل وقت إلى المال الصالح في يد العبد الصالح.

- أبرز الفوائد والأنوار في مجال إدارة المواقف والسياسة الشرعية:

- خلل بسيط في ميزان وفقه الأولويات لدى الصحابي الجليل عبد الله ابن رواحة ﷺ جعله يُحرم لأجله خيراً عظيماً، فقد تأخر عن الخروج مع الجيش أول خروج الجيش، لأجل حرصه على حضور خطبة وصلاة الجمعة مع النبي ﷺ، على نية اللحاق بالجيش، فقال له النبي ﷺ وبدون أي مجاملة: «لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما أدركت فضل غدوتهم».
- إن صحت الأخبار بشأن سبب غزوة مؤتة فإن تحريك النبي ﷺ لجيش من خيرة أصحابه ليقطعوا مسافات شاسعة بغية مواجهة عُتلاء الروم يعطينا دلالة واضحة على قيمة الفرد الواحد في الدولة المحترمة (الدولة المسلمة)، كما أن الأمر لا يمس رجلاً واحداً فحسب؛ وإنما يمس هيبة دولة تجرَّأ أعداؤها على قتل رسول من رسلها مبعوث في مهمة رسمية، فإذا اعتدى هؤلاء على رسول واحد ووجدوا من دولة الإسلام استنفاراً وتحدياً فإنهم لاشك لن يفكروا مرة ثانية بالتطاول على هيبة دولة الإسلام، وإلا فالمصير الحتمي لأي تساهل مع من يمس هيبة دولة الإسلام

سيغريه بمزيد من الاستهداف والاستنزاف حتى اخر قطرة دم في المسلمين.

- راقبت عائشة رضي الله عنها من ثقب الباب مشهد ذلك الرجل الذي جاء يحكي خبر نساء جعفر وأهل بيته وبكائهن عليه، وهي تعلم كم زاد هذا الأمر من حزن رسول الله ﷺ، ثم تابعت وصية النبي ﷺ لهذا الرجل بأن يحاول إسكاتهن مرة بعد مرة، وكان الأجدر به أن يكف عن النبي ﷺ إلا أنه استمر في الذهاب والتردد بين النبي ﷺ وبين نساء جعفر فأنكرت في نفسها هذا الموقف، ذلك أن الرجل لم يحقق هدفه في إسكاتهن، ولم يترك رسول الله ﷺ في حاله، **وهذا من أسوأ مواقف إدارة الأزمات، فما دمتَ لا تملك التغيير وقد حاولت، فلا داعي لأن تمارس التعكير على كل ذي نفس متلوعة وثكلى.**
- **في دفن شهداء مؤتة في أرض المعركة دليل على أن جيش المسلمين لم يفقد أعصابه وينسحب مذعوراً من أرض المعركة، بل كان ترويياً هادئاً، وهذا دليل مضاف على أن الانسحاب كان اختيارياً وليس اضطرارياً آنذاك.**
- في حكاية نواح أخت عبد الله بن رواحة رضي الله عنه عليه قبل أن يموت، ما يؤكد خطورة النواح على الميت، ويحذِّر من وصفه بما ليس فيه.
- من حق الصحابة رضي الله عنهم أن يعترضوا على أميرهم عمرو بن العاص رضي الله عنه يوم ذات السلاسل، ومن واجبه أن يبين، فاعترضوا عليه وشكوه للنبي ﷺ فبيَّن.
- **كان عمرو بن العاص رضي الله عنه في غزوة ذات السلاسل مقاصدياً من الدرجة الأولى، فهو لم يفوت صلاة الفجر عندما أصابته جنابة، والماء بارد ولا يمكنه لظرف عسكري أن يوقد النار، فقام بالتيمم،** معتمداً على مطلق قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾﴾ النساء: ٢٩ فأجازه النبي ﷺ لما فعل.
- حاول أسامة رضي الله عنه جاهداً أن يسوِّغ قتله لذاك الذي نطق بالشهادتين بعد أن أوجع في المسلمين وأصابهم إصابات بالغة، لكن ذلك لم يشفع له أمام النبي ﷺ الذي غضب غضباً شديداً لفعل أسامة رضي الله عنه، صحيح أن أسامة رضي الله عنه هنا كان مجتهداً، متأولاً، له وجهة نظر مقبولة؛ لكن الحسم من المشرِّع هنا اقتضى النهي عن مجرد مساس كل مَن نطق بالشهادتين، إلا وفق أسباب موجبة لذلك، كما هو معلوم من

حديث «لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ إِلَّا بِإِحْدَى ثَلَاثٍ: الثَّيِّبُ الزَّانِي، وَالنَّفْسُ بِالنَّفْسِ، وَالتَّارِكُ لِدِينِهِ المُفَارِقُ لِلْجَمَاعَةِ»[1].

- تعمقت روح الجهاد في نفوس أبناء الصحابة فوصفوا جيش مؤتة بأنهم الفرار، **وأسس النبي ﷺ في نفوس أفراد جيش مؤتة أهمية الإعداد لمواجهة قريبة وقادمة مع جيش الروم بقوله لهم: بل أنتم الكرار إن شاء الله، فكانوا الكرار في أكثر من معركة وقفوا فيها في مواجهة الروم لاحقاً.**

- أبرز الفوائد والأنوار في المجال الأمني العسكري:

- كانت فكرة تعيين ثلاثة من القادة فكرة جديدة ولافتة بالنسبة لغزوة مؤتة، ولا يقول عاقل بأن النبي ﷺ يعلم مسبقاً أنهم سيموتون كلهم، وإلا لما أرسلهم للموت، فهو يحب أصحابه حباً جماً، وقد حزن على مقتلهم كلهم في مؤتة، **ولكن رسول الله ﷺ يريد أن يعطينا درساً في استراتيجيات تعيين قادة المعارك والحروب، وأن هذه واحدة من الاستراتيجيات المطلوبة لما يعلم كم يحدثه الفراغ في المنصب الأول في أي جيش من إرباك يعود بضرره على الجيش كله**، فقد قيَّد النبي ﷺ القيادة لجيش مؤتة بهؤلاء الثلاثة، ثم أطلق بعد ذلك للمسلمين حرية الاختيار، فوقع الاختيار بعد ذلك على خالد رضي الله عنه الذي أطلق عليه النبي ﷺ من يومها بأنه؛ سيف الله، ولم يكن مضى على إسلامه سوى أشهر معدودة.

- الشجاعة وقوة القلب ليست هي أبرز ما يميز سيف الله خالد رضي الله عنه في غزواته وقتاله، وإنما أيضاً تميز رضي الله عنه باحتراف القتال، وإلا فكيف يُكسر في يده تسعة أسياف في مؤتة ولا يستطيع العدو أن يصل إليه، هذا فضلاً عن الذكاء والحنكة العسكرية، والقدرة على تحويل التحديات إلى فرص (كما حصل يوم أحد)، مع الحرص الشديد على حرمان خصمه من لذة الفرح بالنصر الكامل (كما حصل يوم مؤتة)، كما أن لديه القدرة على الخروج بأقل قدر ممكن من الخسائر وأكبر قدر ممكن من الأرباح، فهل يحتاج أي قائد عسكري فذٍّ في العالم أعظم وأكثر

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الديات، باب قول الله تعالى: «أن النفس بالنفس» ح ٦٨٧٨.

من هذه الصفات؟.

- كانت فكرة المدد بالنسبة للجيوش قائمة، ولكن لا ندري هل هم من المرتزقة الذين يخرجون للقتال في الجيوش بأجرة، لكون هذه الوظيفة وظيفتهم التي يتكسبون منها وما الموت أو الجراح التي قد تصيبهم إلا من مخاطر الوظيفة كأي وظيفة في الدنيا لها مخاطرها، فهل كان هذا المددي الذي رافق عوف بن مالك الأشجعي مسلماً أم لا؟ وهل كان مخلصاً في إسلامه أم مرتزقاً يطلب الغنيمة فحسب، كل ذلك لم يظهر لنا في الرواية، إنما الذي ظهر تركيز هذا المددي على رجل من رجالات الروم يوم مؤتة، والإصرار على قتله لما يحمل من سلب مميز فيظفر بذلك، وتكون بعد ذلك المشكلة في منحه للسلب أو منعه من قبل خالد رضي الله عنه.
- من أجمع وأجمل ما قيل في نتائج غزوة مؤتة وأنها كانت نصراً وليست هزيمة ما قاله الشيخ إبراهيم العلي رحمه الله: «... فقد جاء في الحديث كلمة (فلما فتح الله للمسلمين) كما أنه فيه ما يثبت وجود غنائم، ولا يغنم إلا الجيش المنتصر، فضلاً على أن جموع الروم ذهلت بطريقة انسحاب جيش المسلمين الذي صبر وأثخن فيهم الجراح، وظن الروم أن مدداً قريباً سيأتي لنصرة جيش المسلمين، فتوقفوا عن ملاحقة جيش المسلمين، ولم يتقدموا نحو بلادهم شبراً»، ومما يزيد على ذلك أن النبي ﷺ رفض تسمية جيش مؤتة بالفرار وأطلق عليهم الكرار.
- كانت مواضع الضربات وعددها من الشهداء هي التي تحدد شدة بأسهم قبل نيلهم للشهادة، فرضي الله عن جعفر، وقد وجدوه شجاعاً مقبلاً غير مدبر.
- في غزوة ذات السلاسل كلف النبي ﷺ عليها عمرو بن العاص رضي الله عنه ولم يكن بينه وبين إسلامه سوى أشهر معدودة، وجعل في جيشه من خيرة الصحابة الكرام، **وفي ذلك ما فيه من استراتيجية استثمار الطاقات**، وما وجود كبار الأصحاب معه إلا بمنزلة رقابة عليه وتوجيه لمساره، ولا أدل على ذلك من اعتراضهم عليه في بعض أمور وجد لنفسه فيها تبريراً مقنعاً.
- كان الهدف من سرية ذات السلاسل تأديب بني قضاعة الذين كانوا يحضِّرون لغزو المدينة، وهذا من الدلائل على أن للنبي ﷺ في كل قبيلة عيون يبلغونه عن

تحركات تلك القبيلة ونياتها بشكل عام.

- يحكي عمرو بن العاص رضي الله عنه طريقة النبي ﷺ في استدعائه له ليقوم بقيادة جيش ذات السلاسل، وكيف أن النبي ﷺ أراده بمهمة خاصة ثم نظر إليه نظرات مدقق، ثم كلفه وحفزه في الوقت ذاته، وكيف أن عمرو رضي الله عنه بيَّن للنبي ﷺ صدق نيته في نصرة دعوته، وأنه لا يطمع في مغنم مطلقاً.
- **استخدم عمرو بن العاص رض الله عنه في ذات السلاسل استراتيجية الكمون والاختفاء، أو إخفاء القوة**، لأجل ذلك منع إيقاد النيران، على الرغم مما تسبب ذلك من حرج في الجيش المسلم لأن للنار استخدامات كثيرة، لكنه أراد ألا يكون مكشوفاً للعدو، **ثم استخدم استراتيجية الحذر من الاستدراج**، وقد كان من عادة جيوش المسلمين ملاحقة الأعداء والإثخان بهم إلى أبعد مدى يهربون إليه، لكن عمرو بن العاص خشي من كمائن العدو، وخاف أن يُستدرج فتوقف عن ملاحقته لهم، وكان موفقاً في كلتا الاستراتيجيتين، إذ بيَّن للنبي ﷺ فرضي عن فعله وأعجب به.
- يقول الدكتور ياسين سويد: «كانت عملية التراجع التي قام بها خالد ابن الوليد في أثناء معركة مؤتة من أكثر العمليات في التاريخ العسكري مهارة ونجاحاً، بل إنها تتفق وتتلاءم مع التكتيك الحديث للانسحاب، فقد عمد خالد بن الوليد إلى سحب الجناحين بحماية القلب، ولما أصبح الجناحان بمنأى عن العدو، وفي مأمنٍ منه، عمد إلى سحب القلب بحماية الجناحين، إلى أن تمكَّن وضمن سلامة الانسحاب كلياً»[1].
- يقول الدكتور صالح رضا: «ومن ثمرات غزوة مؤتة؛ بسط السيطرة الأمنية على أجزاء الجزيرة فإن الجيش تحرك في مسافة طويلة (١١٠٠ كيلو) مما يجعل لهم هيبة في نفوس كل القبائل المحيطة بهذه المنطقة على سعتها من المسلمين ليزدادوا إيماناً، ومن غير المسلمين ليقتنعوا بالإسلام قوة يزداد رسوخها في الأرض»[2]

---

(١) معارك خالد بن الوليد، د. ياسين سويد، ط٤، ١٩٨٩م، المؤسسة العربية للنشر، ص١٧٣.

(٢) إنها النبوة، الدكتور صالح رضا، ص٤٦٩.

مــع كل خطوة من الخطوات التي مررنا بها ونحن نتتبع مســيرة النبي ﷺ، تولَّد لدينا شــعور بأن ثمة فتح كبير وقريب قد آذن وقتــه بالانبلاج والظهور، لكننا لم نكن نتخيل أن كرم الله تعالى على رســوله وعلى المؤمنين كان ليصل إلى مستوى فتحهم للبلد الذي تم إخراجهم منه قسراً قبل ثماني ســنوات، فما أعظم الله، وما أكرمه! ومن هنا ندرك نسبة الفتح إليه ونحن نردد، ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١﴾ الفتح: ١ ونردد كذلك ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۝١﴾ النصر: ١

- **سبب الغزوة:** روى مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ، وَالْمِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ رضي الله عنهما، أنهما قَالا: «كَانَ فِي صُلْحِ رَسُــولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَةِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ قُرَيْشٍ أَنَّهُ مَنْ شَاءَ أَنْ يَدْخُلَ فِي عَقْدِ مُحَمَّدٍ وَعَهْدِهِ دَخَلَ، وَمَنْ شَــاءَ أَنْ يَدْخُلَ فِي عَقْدِ قُرَيْشٍ وَعَهْدِهِمْ دَخَلَ.

فَتَوَاثَبُوا خُزَاعَةُ، فَقَالُوا: نَحْنُ نَدْخُلُ فِي عَقْدِ مُحَمَّدٍ وَعَهْدِهِ.

وَتَوَاثَبَتْ بَنُو بَكْرٍ، فَقَالُوا: نَحْنُ نَدْخُلُ فِي عَقْدِ قُرَيْشٍ وَعَهْدِهِمْ.

فَمَكَثُوا فِي تِلْكَ الْهُدْنَةِ نَحْوَ السَّبْعَةِ، أَوِ الثَّمَانِيَةِ عَشَرَ شَهْرًا.

ثُمَّ إِنَّ بَنِي بَكْرٍ الَّذِينَ كَانُوا دَخَلُوا فِي عَقْدِ قُرَيْشٍ وَعَهْدِهِمْ وَثَبُوا عَلَى خُزَاعَةَ الَّذِينَ دَخَلُوا فِي عَقْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَعَهْدِهِ لَيْلا بِمَاءٍ لَهُمْ يُقَالُ لَهُ الْوَتِيرُ قَرِيبٍ مِنْ مَكَّةَ.

- **خيانــة قريش:** «... فَقَالَتْ قُرَيْشٌ: مَا يَعْلَمُ بِنَا مُحَمَّــدٌ، وَهَذَا اللَّيْلُ وَمَا يَرَانَا أَحَدٌ، فَأَعَانُوهُمْ عَلَيْهِمْ بِالْكُرَاعِ وَالسِّلاحِ، فَقَاتَلُوهُمْ مَعَهُمْ لِلضَّغْنِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.
- **طلب النجدة العاجلة:** «... وَإِنَّ عَمْرَو بْنَ سَالِمٍ رَكِبَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ عِنْدَمَا كَانَ مِنْ أَمْرِ خُزَاعَةَ وَبَنِي بَكْرٍ بِالْوَتِيرِ، حَتَّى قَدِمَ الْمَدِينَةَ إِلَى رَسُــولِ اللَّهِ ﷺ يُخْبِرُهُ الْخَبَرَ، وَقَدْ قَالَ أَبْيَاتَ شِعْرٍ، فَلَمَّا قَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنْشَدَهُ إِيَّاهَا:

اللَّهُــمَّ إِنِّي نَاشِــدٌ مُحَمَّــدَا ... حِلْــفَ أَبِينَــا وَأَبِيــهِ الأَتْلَدَا

كُنَّــا وَالِــدًا وَكُنْــتَ وَلَــدَا ... ثُمَّتْ أَسْــلَمْنَا وَلَمْ نَنْزِعْ يَدَا

فَانْصُرْ رَسُولَ اللَّهِ نَصْرًا عَتِدَا ... وَادْعُوا عِبَادَ اللَّـهِ يَأْتُوا مَدَدَا
فِيهِمْ رَسُـولُ اللَّهِ قَـدْ تَجَرَّدَا ... إِنْ سِيمَ خَسَـفًا وَجْهُهُ تَرَبَّدَا
فِي فَيْلَقٍ كَالْبَحْرِ يَجْرِي مُزْبِدَا ... إِنَّ قُرَيْشًـا أَخْلَفُوكَ الْمَوْعِدَا
وَنَقَضُـوا مِيثَاقَـكَ الْمُؤَكَّدَا ... وَزَعَمُوا أَنْ لَسْتُ أَدْعُو أَحَدَا
فَهُـمْ أَذَلُّ وَأَقَـلُّ عَـدَدَا ... قَدْ جَعَلُـوا لِي بِكَدَاءَ مَرْصَدَا
هُـمْ بَيَّتُونَـا بِالْوَتِـيرِ هُجَّدَا ... فَقَتَلُونَـا رُكَّعًـا وَسُـجَّدَا

إجابة فورية وتفاؤل بالفتح: «... فَقَالَ رَسُـولُ اللَّهِ ﷺ: **نُصِرْتَ يَا عَمْرُو بْنَ سَالِمٍ**، فَمَا بَرِحَ، حَتَّى مَرَّتْ عَنَانَةٌ فِي السَّـمَاءِ، فَقَالَ رَسُـولُ اللَّهِ ﷺ: **إِنَّ هَذِهِ السَّـحَابَةَ لَتَسْـتَهِلُّ بِنَصْرِ بَنِي كَعْبٍ**، وَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ النَّاسَ بِالْجِهَازِ، **وَكَتَمَهُمْ مَخْرَجَهُ، وَسَأَلَ اللَّهَ أَنْ يُعَمِّيَ عَلَى قُرَيْشٍ خَبَرَهُ، حَتَّى يَبْغَتَهُمْ فِي بِلَادِهِمْ**»[1].

- **وقت الغـزوة:** روى ابن عباس رضي الله عنهـما أن النبي ﷺ «خرج في رمضان مـن المدينة، ومعه عشرة آلاف، وذلك على رأس **ثمان سـنين ونصف من مقدمه المدينة**»[2]، وقد ذكر الشيخ ابراهيم العلي في صحيح السيرة أن النبي ﷺ خرج في العاشر من رمضان، ودخل مكة لتسع عشرة ليلة خلت منه[3].

أحداث ما قبل الفتح:

- **تفاصيل دقيقة أثناء المسـير:** روى العباس والزبير رضي الله عنهما قالا: «لما سار رسول الله ﷺ عام الفتح، فبلغ ذلك قريشاً، خرج أبو سفيان بن حرب وحكيم بن حزام وبديل بن ورقاء، يلتمسـون الخبر عن رسول الله ﷺ، فأقبلوا يسيرون حتى أتوا مرَّ الظهران[4]، فإذا هم بنيران كأنها نيران عرفة.

---

(١) أخرجه ابن اسحاق في المغازي، وذكره الشيخ ابراهيم العلي في صحيح السيرة برقم ٦٥٦، وقال: سنده صحيح، وإن كان الشيخ الألباني قد ضعَّفه، وانظر فقه السيرة للشيخ الغزالي ص ٣٧٥.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة الفتح في رمضان، ح ٤٠٢٧.

(٣) وانظر صحيح السيرة ص٥١٣، والمنهاج شرح صحيح مسلم للنووي ٣/ ١٧٦.

(٤) روى جابر رضي الله عنه قال: «كنا مع النبي ﷺ بمرِّ الظهران، ونحن نجني الكُبَّاث، فقال النبي ﷺ: عليكم بالأسود منه، قال فقلنا يا رسول الله، كأنك رعيت الغنم؟ قال: نعم، **وهل من نبي إلا وقد رعاها**» أخرجه مسلم، كتاب الأشربة، باب فضيلة الأسود من الكباث، ح ٥٣١٧.

فقال أبو سفيان: ما هذه لكأنها نيران عرفة، فقال بديل بن ورقاء: نيران بني عمرو، فقال أبو سفيان: عمرو أقل من ذلك.

فرآهم ناس من حرس رسول الله ﷺ فأدركوهم فأخذوهم، فأتوا بهم رسول الله ﷺ، فأسلم أبو سفيان[1]، فلما سار قال للعباس: احبس أبا سفيان عند حطم الخيل حتى ينظر إلى المسلمين، فحبسه العباس فجعلت القبائل تمر مع النبي ﷺ، تمر كتيبة كتيبة على أبي سفيان فمرت كتيبة قال يا عباس، من هذه؟ قال: هذه غفار، قال: ما لي ولغفار، ثم مرت جهينة قال: مثل ذلك ثم مرت سعد بن هذيم، فقال مثل ذلك ومرت سليم فقال مثل ذلك؛ حتى أقبلت كتيبة لم ير مثلها، قال: من هذه؟ قال: **هؤلاء الأنصار عليهم سعد بن عبادة معه الراية.**

فقال سعد بن عبادة: يا أبا سفيان، **اليوم يوم الملحمة، اليوم تستحلُّ الكعبة**، فقال أبو سفيان: يا عباس حبذا يوم الذمار، ثم جاءت كتيبة وهي أقل الكتائب فيهم رسول الله ﷺ وأصحابه وراية النبي ﷺ مع الزبير بن العوام، فلما مرَّ رسول الله ﷺ بأبي سفيان قال: ألم تعلم ما قال سعد بن عبادة؟ قال ما قال، قال: كذا وكذا، فقال: كذب سعد، **ولكن هذا يوم يُعظم الله فيه الكعبة، ويوم تُكسى فيه الكعبة.**

قال: وأمر رسول الله ﷺ أن تركز رايته بالحجون،... قال وأمر رسول الله ﷺ يومئذ خالد بن الوليد أن يدخل من أعلى مكة من كداء، ودخل النبي ﷺ من كدا»[2].

- **مكان إقامة النبي ﷺ**: روى أبو هريرة رضي الله عنه قال: «منزلنا إن شاء الله إذا فتح الله، الخيف، **حيث تقاسموا على الكفر**»[3].

---

(١) روى ابن جرير في التفسير ٢/ ٢٢٩، بإسناد قال فيه الشيخ الألباني بأنه حسن، أن أبا سفيان عندما جاء مسلماً وقد قبله النبي ﷺ، وقال له: لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين، أنشد أبو سفيان:

لعمرك إني حين أحمل راية لتغلب خيل اللات خيل محمد

لكالمدلج الحيران أظلم ليله فهذا أواني حين أُهدى فأهتدي

هداني هاد غير نفسي ودلني على الله من طرَّدته كل مطرد

فضرب الرسول ﷺ على صدره وهو يقول له: «أنت طرَّدتني كل مطرد».

(٢) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب أين ركز النبي ﷺ الراية يوم الفتح، ح ٤٠٣٠.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة الفتح في رمضان، ح ٤٢٨٤.

وفي رواية أسامة رضي الله عنه أنه قال زمن الفتح: أين ننزل غداً؟ قال النبي ﷺ: وهل ترك لنا عقيل من منزل؟»[1].

- **مسألة الصيام في السفر والغزو:** روى جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما، أن رسول الله ﷺ خرج عام الفتح إلى مكة في رمضان، فصام حتى بلغ كراع الغميم، فصام الناس، **ثم دعا بقدح من ماء فرفعه حتى نظر الناس إليه، فشرب، ثم قيل له بعد ذلك: إن بعض الناس قد صام، فقال: أولئك العصاة، أولئك العصاة»**[2].
- **حكاية حاطب بن أبي بلتعة** رضي الله عنه: روى عليّ رضي الله عنه قال: «بعثني رسول الله ﷺ أنا والزبير والمقداد، فقال: انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ، فإن بها ظعينة[3] معها كتاب، فخذوا منها، قال: فانطلقنا تعادى بنا خيلنا حتى أتينا الروضة، فإذا نحن بالظعينة، قلنا لها: أخرجي الكتاب، قالت: ما معي كتاب، فقلنا: **لتخرِجن الكتاب أو لنلقين الثياب.**

قال: فأخرجته من عقاصها، فأتينا به رسول الله ﷺ، فإذا فيه: من حاطب بن أبي بلتعة إلى ناس بمكة من المشركين، يخبرهم ببعض أمر رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: يا حاطب ما هذا؟

قال: يا رسول الله لا تعجل عليَّ، إني كنت امرأ ملصقاً في قريش، يقول كنت حليفاً ولم أكن من أنفسها، وكان مَن معك من المهاجرين مَن لهم قرابات يحمون أهليهم وأموالهم، **فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب فيهم أن أتخذ عندهم يداً يحمون قرابتي، ولم أفعله ارتداداً عن ديني، ولا رضاً بالكفر بعد الإسلام.**

فقال رسول الله ﷺ: أما إنه قد صدقكم، فقال عمر: يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق، فقال: **إنه قد شهد بدراً، وما يدريك لعل الله اطلع على من شهد بدراً، فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم،** فأنزل الله السورة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى تُسِرُّونَ

(١) السابق، ح ٤٢٨٢.

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الصيام، باب جواز الصوم والفطر في رمضان في غير معصية، ح١١١٤.

(٣) المرأة الراكبة أو التي تكون في هودجها.

إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ ۚ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١﴾

الممتحنة: ١ [1].

- **وقفة في تفسير هذه الآية:** قال سيد قطب: «.. ماذا أبقوا بعد هذه الجرائر الظالمة للموالاة والمودة؟ كفروا بالحق، وأخرجوا الرسول والمؤمنين، لا لشيء إلا لأنهم آمنوا بالله ربهم؟ إنه يهيج في قلوب المؤمنين هذه الذكريات المرتبطة بعقيدتهم، وهي التي حاربهم المشركون من أجلها، لا من أجل أي سبب آخر، ويبرز القضية التي عليها الخلاف والخصومة والحرب، فهي قضية العقيدة دون سواها، قضية الحق الذي كفروا به والرسول الذي أخرجوه، والإيمان الذي من أجله أخرجوهم. وإذا تمحضت القضية هكذا وبرزت، ذكرهم بأنه لا محل إذن للمودة بينهم وبين المشركين إن كانوا قد خرجوا من ديارهم ابتغاء رضوان الله وجهادا في سبيله: «إن كنتم خرجتم جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي»[2].
- **توزيع المهام وموقف الأنصار:** روى أبو هريرة رضي الله عنه قال: «... ألا أعلمكم بحديث من حديثكم يا معشر الأنصار، ثم ذكر فتح مكة فقال: أقبل رسول الله ﷺ حتى قدم مكة، فبعث الزبير على إحدى المجنبتين، وبعث خالداً على المجنبة الأخرى، وبعث أبا عبيدة على الحسر، فأخذوا بطن الوادي، ورسول الله ﷺ في كتيبة.

قال: فنظر، فرآني، فقال: أبو هريرة؟

قلت: لبيك يا رسول الله.

فقال: لا يأتيني إلا أنصاري، زاد غير شيبان، فقال: اهتف لي بالأنصار، قال: فأطافوا به، ووبشت قريش أوباشاً لها، وأتباعاً، فقالوا: نقدم هؤلاء، فإن كان لهم شيء كنا معهم، وإن أصيبوا أعطينا الذي سئلنا.

فقال رسول الله ﷺ: ترون إلى أوباش قريش وأتباعهم، ثم قال بيديه إحداهما على الأخرى، ثم قال: حتى توافوني بالصفا.

قال: فانطلقنا فما شاء أحد منا أن يقتل أحداً إلا قتله، وما أحد منهم يوجه إلينا

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة الفتح، ح ٤٠٢٥.

(٢) تفسير في ظلال القرآن، سيد قطب، ٦/ ٣٥٤.

شيئاً، قال: فجاء أبو سفيان[1] فقال: يا رسول الله أبيحت خضراء قريش، لا قريش بعد اليوم، **ثم قال: من دخل دار أبي سفيان فهو آمن[2]، فقالت الأنصار بعضهم لبعض: أما الرجل فأدركته رغبة في قريته ورأفة بعشيرته.**

قال أبو هريرة: وجاء الوحي، وكان إذا جاء الوحي لا يخفى علينا، فإذا جاء فليس أحد يرفع طرفه إلى رسول الله ﷺ حتى ينقضي الوحي، فلما انقضى الوحي قال رسول الله ﷺ: يا معشر الأنصار، قالوا: لبيك يا رسول الله.

قال: قلتم أما الرجل فأدركته رغبة في قريته؟ قالوا: قد كان ذاك.

قال: كلا إني عبد الله ورسوله، هاجرت إلى الله وإليكم، **والمحيا محياكم، والممات مماتكم**، فأقبلوا إليه يبكون، ويقولون: والله ما قلنا الذي قلنا إلا الضنَّ بالله وبرسوله.

فقال رسول الله ﷺ: **إن الله ورسوله يصدقانكم، ويعذرانكم.**

قال: فأقبل الناس إلى دار أبي سفيان، وأغلق الناس أبوابهم، قال: وأقبل رسول الله ﷺ حتى أقبل إلى الحِجر فاستلمه، ثم طاف بالبيت... فلما فرغ من طوافه أتى الصفا فعلا عليه، حتى نظر إلى البيت، ورفع يديه، فجعل يحمد الله ويدعو بما شاء أن يدعو، وفي رواية فيها زيادة: ثم قال بيديه إحداهما على الأخرى؛ احصدوهم حصداً (يقصد الأصنام) قالوا قلنا: ذاك يا رسول الله؟ قال: فما اسمي إذاً، كلا إني عبد الله ورسوله»[3].

- **لباس النبي ﷺ حين دخوله مكة:** روى أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ «دخل

---

(١) ما رواه ابن سعد وغيره من قصة أم حبيبة بنت أبي سفيان وأنه زارها أبوها قبل أن يسلم، فطوت الفراش من تحته، يعتبر خبراً ضعيفاً واهياً، لما فيه من سقط في إسناده وضعف في بعض رجاله.

(٢) ومن أدلة مراعاة النبي ﷺ لنفس أبي سفيان رضي الله عنه لاحقاً كذلك، ما روى أبو زميل عن ابن عباس رضي الله عنه قال: حدثنا أبو زميل حدثني ابن عباس قال: «كان المسلمون لا ينظرون إلى أبي سفيان ولا يقاعدونه، فقال للنبي ﷺ: يا نبي الله ثلاث أعطنيهن؛ قال نعم، قال: عندي أحسن العرب وأجمله، أم حبيبة بنت أبي سفيان أزوجكها، قال: نعم، قال: ومعاوية تجعله كاتباً بين يديك، قال: نعم، قال: وتؤمِّرني حتى أقاتل الكفار، كما كنت أقاتل المسلمين، قال: نعم، قال أبو زميل: **ولولا أنه طلب ذلك من النبي ﷺ ما أعطاه ذلك، لأنه لم يكن يُسأل شيئاً إلا قال:** نعم» أخرجه مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أبي سفيان رضي الله عنه، ح ٦٣٥٩.

(٣) أخرجه مسلم، كتاب الجهاد، باب فتح مكة، ح ١٧٨٠.

مكة عام الفتح، وعلى رأسه مغفر»[1]، وروى جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ «دخل مكة، وقال قتيبة: دخل يوم فتح مكة، وعليه عمامة سوداء، بغير إحرام»[2].

- **الراية واللواء:** قسم النبي ﷺ الجيش إلى ميمنة وميسرة وقلب، فكان خالد ابن الوليد على المجنبة اليمنى، والزبير بن العوام على المجنبة اليسرى، وأبو عبيدة على الرَّجَّالة، **وكانت راية الرسول ﷺ سوداء، ولواؤه أبيض**»[3].
- **دخول مكة من أعلاها:** روت عائشة رضي الله عنها «أن النبي ﷺ دخل عام الفتح من كداء، التي بأعلى مكة»[4].
- **قراءة سورة الفتح على بواباتها:** روى عبد الله بن مغفل قال: «رأيت رسول الله ﷺ يوم فتح مكة على ناقته وهو يقرأ سورة الفتح، يُرجِّع[5]، وقال: لولا أن يجتمع الناس حولي لرجَّعت كما رجع»[6].
- **هدر دماء بعض المشركين:** روى أنس بن مالك رضي الله عنه «أن النبي ﷺ دخل مكة يوم الفتح... جاء رجل فقال: ابن خطل متعلق بأستار الكعبة، فقال: اقتله، قال مالك: ولم يكن النبي ﷺ فيما نرى والله أعلم يومئذ محرماً»[7].
- **تسمية بعض من استشهد على أبواب مكة:** روى عروة بن الزبير رضي الله عنه قال: «...

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب الحج، باب جواز دخول مكة بغير إحرام، ح ١٣٥٨.

(٢) السابق، ١٣٥٧.

(٣) أخرجه ابن ماجة، ٢/ ٩٤١، بإسناد قال فيه الدكتور أكرم العمري في السيرة النبوية الصحيحة ص ٥٣٣، بأنه حسن لذاته.

(٤) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب دخول النبي ﷺ من أعلى مكة، ح ٤٠٣٩.

(٥) بتشديد الجيم، والترجيع ترديد القارئ الحرف في الحلق.

(٦) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب أين ركز النبي ﷺ رايته، ح ٤٠٣١.

(٧) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب أين ركز النبي ﷺ رايته، ح ٤٠٣٥، وقد أحصى ابن حجر رحمه الله عدد من أهدر النبي ﷺ دماءهم فوجد أنهم من الرجال تسعة، ومن النساء ثمانية، كلهم كانوا شديدي الإيذاء للنبي ﷺ ودعوته، وانظر فتح الباري لابن حجر العسقلاني ٨/ ١١-١٢.
أما رواية: «**اذهبوا فانتم الطلقاء**»، فقد قال الشيخ الألباني بضعفها على الرغم من أن النبي ﷺ كان شديد الحرص على السلم المجتمعي لدى دخوله مكة، وعندما استسلم له أهلها، وانظر تخريجه لأحاديث فقه السيرة للشيخ الغزالي ص٣٨٣، كما أن النبي ﷺ امتدح الطلقاء وجعل لهم شأناً وهو يقول كما روى جرير بن عبد الله، عن النبي ﷺ قال: «الطلقاء من قريش والعتقاء من ثقيف بعضهم أولياء بعض في الدنيا والآخرة، والمهاجرون والأنصار بعضهم أولياء بعض في الدنيا والآخرة «أخرجه أحمد ح ١٩٢١٨، وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم.

فقُتــل من خيل خالد بن الوليد رضي الله عنه رجلان، حبيش ابن الأشــعر، وكرز بن جابر الفهري»[1].

- **جــوار أم هانــئ:** روت أم هانئ بنت أبي طالب رضي اللــه عنها أنها «ذهبت إلى رســول الله ﷺ عام الفتح، فوجدته يغتســل، وفاطمة ابنته تستره، فسلمت عليه، فقال: من هذه؟ فقلت: أنــا أم هانئ بنت أبي طالب، فقال: مرحباً بأم هانئ، فلما فرغ من غســله قام فصلى ثماني ركعات، ملتحفــاً في ثوب واحد، فلما انصرف، قلت: يا رســول الله زعم ابن أمي أنه قاتل رجلاً قــد أجرتُه؛ فلان بن هبيرة، فقال رسول الله ﷺ: **قد أجرنا من أجرت يا أم هانئ، قالت أم هانئ: وذاك ضحى**»[2].
- **تحريم نكاح المتعة:** روى الإمام مســلم أن نكاح المتعة أجيز يوم فتح مكة لثلاثة أيام فقط، ثم حُرم تحريماً مؤبداً بعد ذلك[3].
- **الرخصة بالقتال في الحرم خاصة وحصرية:** روى أبو شريح العدوي أنه قال لعمرو بن ســعيد وهو يبعث البعوث إلى مكة: ائذن لي أيها الأمــير أحدثك قولاً قام به رســول الله ﷺ للغد من يوم الفتح، فسمعَتْهُ أذناي، ووعاه قلبي، وأبصرته عيناي، حــين تكلم به، إنه حمد الله وأثنى عليه ثم قال: «إن مكة حرمها الله، ولم يحرمها

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب أين ركز النبي ﷺ الراية يوم الفتح، ح٤٢٨٠.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب ما جاء في زعموا، ح ٥٨٠٦، وفي رواية قالت أم هانئ: يا رسول الله أجرت حموين لي من المشركين...» أخرجه أحمد ح ٢٦٨٩٢، وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم.

(٣) يقول الدكتور أكرم العمري في السيرة النبوية الصحيحة، ص٥٤٣، **بأن نكاح المتعة أبيح وحُرم مرتين، فكان حلالاً قُبيل خيبر، ثم حُرم يوم خيبر، ثم أبيح يوم فتح مكة، ثم حُرم يومئذ بعد ثلاثة أيام تحريماً مؤبداً إلى يوم القيامة، واستمر التحريم**، وانظر ما أخرجه مسلم، كتاب النكاح، باب نكاح المتعة وبأنه أبيح ثم نُسخ، ح١٤٠٣، ونص الرواية هو: عن الربيع بن سبرة **أن أباه غزا مع رسول الله ﷺ فتح مكة قال فأقمنا بها خمس عشرة، ثلاثين بين ليلة ويوم فأذن لنا رسول الله ﷺ في متعة النساء، فخرجت أنا ورجل من قومي ولي عليه فضل في الجمال وهو قريب من الدمامة مع كل واحد منا برد فبردي خلق وأما برد ابن عمي فبرد جديد غض حتى إذا كنا بأسفل مكة أو بأعلاها فتلقتنا فتاة مثل البكرة العنطنطة، فقلنا: هل لك أن يستمتع منك أحدنا؟ قالت: وماذا تبذلان؟ فنشر كل واحد منا برده، فجعلت تنظر إلى الرجلين ويراها صاحبي تنظر إلى عطفها، فقال: إن برد هذا خلق وبردي جديد غض، فتقول: برد هذا لا بأس به ثلاث مرار أو مرتين، ثم استمتعت منها، فلم أخرج حتى حرمها رسول الله ﷺ»**، ومما جاء في القطع بالتحريم، أن رسول الله ﷺ **قال**: «يا أيها الناس إني قد كنت أذنت لكم في الاستمتاع من النساء، وإن الله قد حرم ذلك إلى يوم القيامة، فمن كان عنده منهن شيء فليخل سبيله ولا تأخذوا مما آتيتموهن شيئا» السابق، ح ١٤٠٦.

الناس، فلا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دماً، ولا يعضد[1] بها شجرة، فإن أحد ترخَّص لقتال رسول الله ﷺ فقولوا له: إن الله أذن لرسوله ﷺ ولم يأذن لكم، وإنما أذن لي ساعة من نهار، وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس، وليبلغ الشاهد الغائب، فقيل لأبي شريح: ما قال لك عمرو؟ قال: أنا أعلم بذلك منك يا أبا شريح، إن الحرم لا يعيذ عاصياً، ولا فاراً بدم، ولا فاراً بخربة خربة بلية[2]»[3].

- **هدم الأصنام:** روى عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «دخل النبي ﷺ مكة، وحول البيت ستون وثلاث مائة نصب، فجعل يطعنها بعود في يده، ويقول: جاء الحق وزهق الباطل، إن الباطل كان زهوقاً، جاء الحق، وما يبدئ الباطل وما يعيد»[4].
- **صلاة النبي ﷺ داخل الكعبة:** روى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ «أقبل يوم الفتح من أعلى مكة على راحلته مردفاً أسامة بن زيد، ومعه بلال ومعه عثمان بن طلحة من الحجبة، حتى أناخ في المسجد، فأمره أن يأتي بمفتاح البيت، ففتح، ودخل رسول الله ﷺ، ومعه أسامة وبلال وعثمان، فمكث فيها نهاراً طويلاً، ثم خرج، فاستبق الناس، وكان عبد الله بن عمر أول من دخل، فوجد بلالاً وراء الباب قائماً، فسأله: أين صلى رسول الله ﷺ؟ فأشار له إلى المكان الذي صلى فيه، قال عبد الله: فنسيت أن أسأله؛ كم صلى من سجدة»[5].
- **البيعة بعد الفتح:** روى مجاشع قال: «أتيت النبي ﷺ بأخي بعد الفتح، قلت: يا رسول الله، جئتك بأخي لتبايعه على الهجرة، قال: ذهب أهل الهجرة بما فيها،

---

(١) ولا يقطع.

(٢) اللص المفسد في الأرض.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب الدين يسر، ح ١٧٣٥، وقد أباح النبي ﷺ لخزاعة أن تثأر إن شاءت من بني بكر في اليوم الأول من فتح مكة حتى العصر، فلما كان العصر أعلن وقف أي قتال بمكة وأوضح حرمتها، وانظر السيرة النبوية الصحيحة للدكتور أكرم العمري ص ٥٣٦.

(٤) أخرجه البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب وقل جاء الحق، ح ٤٤٤٣، وأما ما جاء في إرسال النبي ﷺ خالداً رضي الله عنه ليهدم صنم العزى، وأنه قال وهو يهدمها: يا عزى كفرانك لا سبحانك، إني رأيت الله قد أهانك، فقد ورد بحديث ضعيف، وإرسال سعد بن زيد الأشهلي إلى مناة ليهدمها، وإرساله عمرو بن العاص إلى سواع للغاية نفسها، فقد رواها الواقدي في المغازي، ولم تثبت بأسانيد متصلة وصحيحة.

(٥) أخرجه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب الردف على الحمار، ح٢٩٨٨.

فقلت: على أي شيء تبايعه؟ قال: **أبايعه على الإسلام، والإيمان، والجهاد**، فلقيت معبداً بعد، وكان أكبرهما، فسألته فقال: صدق مجاشع»[1]، وفي رواية عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ يوم فتح مكة: «**لا هجرة، ولكن جهاد ونية، وإذا استنفرتم فانفروا**»[2].

- **بيعة النساء:** «**بايع النبي ﷺ عندئذ النساء**، تقول عائشة رضي الله عنها في تلك البيعة: «لا والله ما مسَّت يد رسول الله ﷺ يد امرأة قط»[3].
- **تعليم النبي ﷺ الناس:** روى أبو قلابة عن عمرو بن سلمة قال: قال لي أبو قلابة: ألا تلقاه فتسأله، قال: فلقيته فسألته، فقال: كنا بماء ممر الناس، وكان يمر بنا الركبان فنسألهم ما للناس ما للناس، ما هذا الرجل؟ فيقولون: يزعم أن الله أرسله، أوحى إليه، أو أوحى الله بكذا، فكنت أحفظ ذلك الكلام، وكأنما يقر في صدري، **وكانت العرب تلوم بإسلامهم الفتح**، فيقولون: اتركوه وقومه، فإنه إن ظهر عليهم فهو نبي صادق، **فلما كانت وقعة أهل الفتح، بادر كل قوم بإسلامهم، وبدر أبي قومي بإسلامهم، فلما قدم قال: جئتكم والله من عند النبي ﷺ حقاً، فقال: صلوا صلاة كذا في حين كذا، وصلوا صلاة كذا في حين كذا، فإذا حضرت الصلاة فليؤذن أحدكم وليؤمكم أكثركم قرآناً**، فنظروا فلم يكن أحد أكثر قرآناً مني، لما كنت أتلقى من الركبان، **فقدموني بين أيديهم، وأنا ابن ست أو سبع سنين**، وكانت عليَّ بردة كنت إذا سجدت تقلصت عني، فقالت امرأة من الحي: **ألا تغطوا عنا أست قارئكم، فاشتزوا فقطعوا لي قميصاً، فما فرحت بشيء فرحي بذلك القميص**»[4].
- **سرقة في يوم الفتح:** روى عروة بن الزبير أن امرأة سرقت في عهد رسول الله ﷺ في غزوة الفتح ففزع قومها إلى أسامة بن زيد يستشفعونه، قال عروة فلما كلَّمه أسامة فيها تلونَ وجه رسول الله ﷺ، فقال: **أتكلمني في حدٍّ من حدود الله؟**
قال أسامة: استغفر لي يا رسول الله، فلما كان العشي، قام رسول الله خطيباً فأثنى

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، ح ٤٣٠٥.
(٢) أخرجه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب لا هجرة بعد الفتح، ح ٢٩١٢.
(٣) أخرجه البخاري، كتاب الأحكام، باب بيعة النساء، ح ٦٧٨٨.
(٤) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، ح ٤٣٠٢.

على الله بما هو أهلـــه، ثم قال: **أما بعد فإنما أهلك النـــاس قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، والذي نفس محمد بيده، لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعتُ يدها، ثم أمر رســول الله ﷺ بتلك المرأة فقطعت يدها، فحســنت توبتها بعد ذلك، وتزوجت**، قالت عائشـــة: فكانت تأتي بعد ذلك فأرفع حاجتها إلى رسول الله ﷺ»[1].

- **حماية الكعبة وأهلها بعد الفتح**: روى عبد الله بن مطيع عن أبيه الأســـود بن حارثة أنه قال: ســـمعت النبي ﷺ يوم فتح مكة يقـــول: «لا يقتل قرشي صبراً[2] بعد هذا اليوم إلى يوم القيامة»[3].
- **مـــن خطبـــة النبي ﷺ يوم الفتح**: روى أبو هريرة رضي الله عنه قـــال: إن خزاعة قتلوا رجلاً مـــن بني ليث عام فتح مكة بقتيل منهم قتلوه، فأُخبر بذلك رســـول الله ﷺ فركب راحلته فخطب فقال: «إن الله عز وجل حبس عن مكة الفيل، وسلَّط عليها رسوله والمؤمنين، ألا وإنها لم تحل لأحد قبلي، ولن تحل لأحد بعدي، ألا وإنها أحلت لي ســـاعة من النهار، ألا وإنها ســـاعتي هذه حرام، لا يخبط شـــوكها ولا يعضد شجرها ولا يلتقط ساقطتها، إلا منشد، ومن قتل له قتيل فهو بخير النظرين؛ إما أن يعطى، يعني الدية، وإما أن يقاد أهل القتيل.

قال: فجاء رجل من أهل اليمن يقال له أبو شاة، فقال: اكتب لي يا رسول الله.

فقال: **اكتبوا لأبي شـــاة**، فقال رجل من قريش: إلا الإذخـــر، فإنا نجعله في بيوتنا وقبورنا، فقال رسول الله ﷺ: **إلا الإذخر**»[4].

ومن خطبته كذلك عليه الصلاة والســـلام: روى جابر بن عبد الله رضي الله عنهما

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب مقام النبي ﷺ بمكة، ح٤٣٠٤.

(٢) قتل الصبر هو أن يمسك من ذوات الروح بشيء حياً ثم يرمى بشيء حتى يموت، وكل من قتل في غير معركة ولا حرب ولا خطأ فإنه مقتول صبرا، قال النووي: قَالَ الْعُلَمَاء: مَعْنَاهُ الْإِعْلَام بِأَنَّ قُرَيْشًا يُسْلِمُونَ كُلّهمْ، وَلَا يَرْتَدّ أَحَد مِنْهُمْ كَمَا ارْتَدَّ غَيْرهمْ بَعْده ﷺ مِمَّنْ حُورِبَ وَقُتِلَ صَبْرًا، وَلَيْسَ الْمُرَاد أَنَّهُمْ لَا يُقْتَلُونَ ظُلْمًا صَبْرًا، فَقَدْ جَرَى عَلَى قُرَيْش بَعْد ذَلِكَ مَا هُوَ مَعْلُوم.

(٣) أخرجه مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب لا يقتل قرشي صبراً، ح ١٧٨٢، والمقصود أن أهلها لن يرتدوا عن دينهم.

(٤) أخرجه مسلم، كتاب الحج، باب تحريم مكة وصيدها، ح١٣٥٥.

أنه سمع رسول الله ﷺ يقول عام الفتح وهو بمكة: «إن الله ورسوله حرَّم بيع الخمر والميتة والخنزير والأصنام، فقيل يا رسول الله: أرأيت شحوم الميتة، فإنها يُطلى بها السفن، ويُدهن بها الجلود، ويُستصبح بها الناس، فقال: لا، هو حرام، ثم قال رسول الله ﷺ عند ذلك: **قاتل الله اليهود، إن الله لما حرَّم شحومها جمَّلوه، ثم باعوه، فأكلوا ثمنه**»[1].

- **صلاة النبي ﷺ يوم الفتح:** روى عبد الرحمن بن أبي ليلى رضي الله عنه قال: «ما حدثنا أحد أنه رأى النبي ﷺ يصلي الضحى غير أم هانئ، فإنها قالت: إن النبي ﷺ دخل بيتها يوم فتح مكة، فاغتسل، وصلى ثماني ركعات، **فلم أر صلاة قط أخف منها، غير أنه يتم الركوع والسجود**»[2].
- **مدة إقامة النبي ﷺ بمكة بعد الفتح**[3]: روى ابن عباس رضي الله عنهما قال: «أقام النبي ﷺ بمكة **تسعة عشر يوماً يصلي ركعتين**»[4].
- **إسلام أبي قحافة** رضي الله عنه: سُئل أنس بن مالك رضي الله عنه عن خِضاب، رسول الله ﷺ؟ فقال: «إن رسول الله ﷺ لم يكن شابَ إلا يسيراً، ولكن أبا بكر وعمر بعده خضَّبا بالحناء والكتم، قال: وجاء أبو بكر بأبيه أبي قحافة إلى رسول الله ﷺ يوم فتح مكة يحمله، حتى وضعه بين يدي رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ لأبي بكر: **لو أقررت الشيخ في بيته لأتيناه، مكرمة لأبي بكر، فأسلم ولحيته ورأسه كالثغامة**[5]

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب البيوع، باب بيع الميتة، ح٢٢٣٦.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب التهجد، باب صلاة الضحى، ح ١١٢٢.

(٣) ذكر الشيخ ابراهيم العلي في صحيح السيرة ص٥٤٣، أن من أعمال النبي ﷺ بين فتحه لمكة وغزوة حنين: إرساله خالد بن الوليد رضي الله عنه في سرية إلى بني جذيمة، ولم أجد في الحديث الذي ساقه ما يثبت ذلك، لكنني هنا أثبت الحديث لما فيه من فائدة، فقد روى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: «بعث النبي ﷺ خالد بن الوليد إلى بني جذيمة، فدعاهم إلى الإسلام، فلم يحسنوا أن يقولوا: أسلمنا، فجعلوا يقولون: صبأنا صبأنا، فجعل خالد يقتل منهم ويأسر، ودفع إلى كل رجل منا أسيره، حتى إذا كان يوم، أمر خالد أن يقتل كل رجل منا أسيره، فقلت: والله لا أقتل أسيري، ولا يقتل رجل من أصحابي أسيره، حتى قدمنا على النبي ﷺ فذكرناه، فرفع النبي ﷺ يده فقال: **اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد، مرتين**» أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب بعث النبي ﷺ خالد إلى بني جذيمة، ح٤٠٨٤.

(٤) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب مقام النبي ﷺ بمكة بعد الفتح، ح ٤٠٤٧.

(٥) الثغام: نبت أبيض.

بياضاً، فقال رسول الله ﷺ غيِّروهما، وجنبوه السواد»[1].

أبرز الفوائد والأنوار

- أبرز الفوائد والأنوار في المجال النفسي القيمي السلوكي (التربوي):

- لا شيء يمكن أن يشفع لحاطب رضي الله عنه لولا سابقته الكريمة في بدر، وإلا فإن ما قام به في ظاهر الأمر ينافي قيمة الولاء لله ولرسوله وللمؤمنين.
- راعى النبي ﷺ نفسية أبي سفيان عندما قال: من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، فخصه بها، على الرغم من أنه أسهب وفصَّل بعدها قائلاً: ومن دخل داره فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن.
- كان في الهيئة المتخشعة التي دخل بها النبي ﷺ مكة، وفي كثرة حمده لله تعالى واستغفاره وثنائه على الله أثرها البالغ في نفوس مَن حوله، وهي كلها تدل على عمق تجرد النبي ﷺ، وصدق إخلاصه، وثقته بربه، وحسن استجابته له في هذا الموقف الذي تطيش عنده العقول والألباب، وصدق الله: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١﴾ النصر: ١
- سورة الفتح التي كان النبي ﷺ يكرر قراءتها ويرفع صوته فيها عند دخوله وفتحه مكة، تحتاج منا إلى عناية كبرى، لنستلهم من خلالها حالة الدخول المظفر وآدابه ومتطلباته في تلك اللحظة التاريخية، لعلنا نستدرك على أنفسنا حالة الاستضعاف التي وصلنا إليها ونجدد عهد الفتح المظفر من جديد.
- **بعثت صلاة النبي ﷺ داخل الكعبة بعد تطهيرها من تصاوير وأصنام كانت فيها، برسالة إيجابية إلى عموم المسلمين، بأن الكعبة عادت إلى حاضنتها الأولى، حاضنة التوحيد المجيد.**
- كان للقرآن وزنه عند من يعرفون قيمته، فيقدمون أكثرهم أخذاً للقرآن في كل شيء، ولأجل ذلك أكرم النبي ﷺ عمرو بن سلمة رضي الله عنه بالإمامة في قومه على صغر سنِّه

(١) أخرجه أحمد ح ١٢٦٣٥، وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم.

لما معه من كتاب الله، والأهم من ذلـــك ما كان من قبول لقومه بأن يصلوا وراءه وهو بعد غلام صغير.

- لسائل أن يســـأل هل كان لأهل بدر ميزة مطلقة أم أن لهم حقوقاً وعليهم واجبات وهم محاسَـــبون كذلك، والجواب واضح وصريح بأنهم محاسبون ولهم حقوق وعليهم واجبات لكن سبقهم في البذل والجهاد جعل لهم ميزة.

- أبرز الفوائد والأنوار في المجال الاجتماعي التأثيري التواصلي (الدعوي):

- استثمر النبي ﷺ الهدنة التي كانت بينه وبين أهل مكة في تسوية أموره مع اليهود، وكان آخرهم يهود خيبر، كما أكَّد انتشـــاره الدعوي من خلال الرسائل التي نشرها للملوك، فلم تكن مدة خمول وركود بل فترة انتشار وعمل.
- في الشـــعر الذي تقدم به عمرو بن سالم ما يبين أهمية الجانب الإعلامي في إثارة الحماسة والتحريض أو التشجيع على الخير.
- مع شـــدة حرصه على فتح آفـــاق التوبة لأهل مكة من خـــلال إعلانه العفو عنهم ورغبته الشـــديدة في الحد من هـــدر الدماء، كان النبي ﷺ قـــد جهز قائمة أهدر دمهم من عُتلاء الإجرام في مكة ذكوراً وإناثاً، ممن كانوا يشـــاركون في التحريض المســـتمر على الإسلام والمسلمين، فالعفو عام، والانتقام والثأر خاص، والرحمة عامة، والشدة محدودة ومحصورة وخاصة، وفي كلٍّ خير.
- يظهر لنا من محطات السيرة المختلفة مدى حرص النبي ﷺ على النفوس لاسيما نفوس مَن حوله من النساء المؤمنات، ولقد وافق على إعطاء حق الجوار لأم هانئ عندما طلبت منه ذلك لاثنين من أقاربها، وفي مســـألة الجوار هنا نتذكر كيف منع المشركـــون نبي الله ﷺ من دخول مكة بعد رحلة الطائف إلا بجوار رجل مشرك، وكيـــف أنه اليوم يهدر دم بعض كبراء قريش ولا يســـمح عنهم إلا بجوار امرأة من نساء المسلمين.
- في اختـــلاف صيغة البيعة بين ما كان قبل الفتح وبعـــده دليل على التطور في لغة التشريع بناء على التوســـع الحاصل لدولة الاسلام، فلم يعد بعد الفتح هجرة ولا

حاجة للبيعة على الهجرة، وإنما هي بيعة أكبر وأوسع فهي بيعة على الإسلام والجهاد والنية الكريمة، وإذا كانت الهجرة عنوان ضعف فإنه ليس بعد الفتح ضعف، والجهاد لا سيما جهاد الفتوحات والطلب كل ذلك عناوين قوة وبذاك أصبحت البيعة عندئذ.

- حرصت عائشة رضي الله عنها على بيان ما جرى من تأكيد تواصل النبي ﷺ مع النساء وبيعته لهن، ولكنها أيضاً تنبهت إلى الضابط الشرعي في ذلك، فهو تواصل منضبط مع النساء، وليس تواصلاً منفلتاً، وحاشاه ﷺ أن ينفلت.
- قبل النبي ﷺ حمل العلم إلى أهل اليمن، عن طريق كتاب يكتبه الصحابة الكرام لرجل من أهل اليمن اسمه أبو شاة، وذلك بطلب منه بعد أن طلب أيضاً شيئاً من الاستثناء لخصوصية أهل اليمن في حُكمٍ من الأحكام الشرعية.
- في حكاية إسلام أبي قحافة والد أبي بكر رضي الله عنهما ما يدلنا على تواضع النبي ﷺ وسهولته واقترابه من الناس، كما أن في ذلك ما فيه من شدة ملاحظته ﷺ، حيث أمر بإصلاح شَعر أبي قحافة رضي الله عنه في ذاك الموقف.

- أبرز الفوائد والأنوار في المجال الاقتصادي المعاشي:

- كان رسول الله ﷺ مقتصداً أشد الاقتصاد في إراقة الدماء من الطرفين يوم فتح مكة، حتى قيل أنه لم يُقتل يومذاك سوى ثلاثة من المسلمين رحمة الله عليهم، وسبعة عشر من المشركين كانوا قد تصدوا لجيش الإسلام من جهة خالد بن الوليد رضي الله عنه.
- فتح النبي ﷺ باب نكاح المتعة أيام فتح مكة بعد أن كان أغلقها أيام فتح خيبر، ثم عاد فأغلق بابها، وبوصفه ﷺ مشرِّعٌ فإنه لا يحق لنا السؤال بطريق الاعتراض لماذا؟، وإنما نبحث عن حكمة ذلك فنجد أن الأصل في هذا الباب إغلاقه، لكن فتحه من المشرع لأيام قد يحمل من معاني المكافأة أو التيسير أو الرخصة أو مراعاة أعراف كانت سائدة أو لغيرها من الأسباب، ثم عاد الباب فأُغلق حتى يومنا هذا، ولا يملك أحد فتحه مطلقاً.

- ومثل ما قيل من الاقتصاد في باب نكاح المتعة الذي تم إغلاق بابه بعد فتحه لأيام معدودة نقول في الاقتصاد في الدماء في الحرم، فهو حرم، والحرم آمن، لكن النبي ﷺ أجاز الحرب فيه لساعات اضطراراً ثم أعاد له حرمته، فكانت الحرمة عامة، وإباحة القتال محصورة ومحدودة.
- حقق النبي ﷺ معايير الجودة والاتقان في عبادته يوم فتح مكة، وأهم معايير الجودة العالمية اليوم تقوم على السرعة مع الإتقان، بمعنى أن ينجز المرء أكبر قدر ممكن من الانجاز في أقل قدر ممكن من الأوقات والكُلَف، وهذا تحديداً ما وُصفت به صلاة النبي ﷺ يوم الفتح، وهو من معاني الاقتصاد البليغ، إذ تقول أم هانئ: «إن النبي ﷺ دخل بيتها يوم فتح مكة، فاغتسل، وصلى ثماني ركعات، فلم أر صلاة قط أخف منها، غير أنه يتم الركوع والسجود».
- يقول الدكتور صالح رضا: «رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة بعد فتح مكة في أواخر السنة الثامنة فما لبث إلا قليلاً حتى بعث المصدِّقين إلى القبائل (وهم الذين يجمعون الصدقات والزكوات والجزية وغيرها) ثم ذكر قائمة بأسمائهم ومنهم:

١. عيينة بن حصن الى بني تميم.
٢. يزيد بن حصين الى أسلم وغفار.
٣. على بن أبي طالب إلى نجران.
٤. عدي بن حاتم إلى طيء وبني أسد[1].

مكتبة t.me/ktabrwaya

- أبرز الفوائد والأنوار في مجال إدارة المواقف والسياسة الشرعية:

- يحكي السبب المباشر لغزوة فتح مكة أن الله تعالى إذا قضى أمراً فإنه يجعل له سبباً مباشراً قد لا يخطر على بال أحد، وإلا فمن كان يظن بأن تنقدح شرارة الفتح من سبب بعيد يتعلق بانتصار النبي ﷺ لمعاهديه من بني خزاعة، وكأني بالنبي ﷺ قد اتخذها فرصة وذريعة بعد أن كانت تحدّياً، وذلك لتسوية العلاقة وبشكل

(١) إنها النبوة، الدكتور صالح رضا، ص ٥٣٤.

نهائي مع القرشيين المتكبرين، وإذا أراد الله تعالى أمراً جعل له سبباً، فلولا صلح الحديبية الذي كرهه المسلمون ما كان للفتح أن يكون.

- **أن يكون الفتح في رمضان فهذا يعني اجتماع شرف الزمان مع شرف المكان للصحابة الفاتحين في آن.**
- في الأبيات التي قالها عمرو بن سالم ما يؤكد أن بني خزاعة كانوا مسلمين، ولكن هل كان دخولهم في الإسلام خلال الهدنة بين النبي ﷺ وبين قريش أو قبل ذلك، لا يوجد ما يؤكد هذا أو ينفي ذاك، المهم أن النبي ﷺ قد انتصر لبني خزاعة، لأنهم معاهدين أولاً، ثم لأجل أنهم مسلمين ثانياً.
- حدد النبي ﷺ مكان نزوله مستبشراً بفتح الله تعالى له، وذلك قبل دخوله مكة، وكان قد اختار المكان الذي تعاهد فيه كفار مكة على تأكيد عداوتهم لله ورسوله، وكأني بالنبي ﷺ يريد محو بقايا الجاهلية، وإنزال علم الباطل ووضع علم الحق مكانه.
- بيَّن النبي ﷺ قبح أولئك الذين احتلوا داره منذ أن هاجر للمدينة «وهل ترك لنا عقيل من منزل؟!».
- في تشديد النبي ﷺ على أن من صام في سفر فتح مكة (وقد كان ذلك صيام فريضة) فهو من العصاة مرتين، دليل على أن المزاودين على رسول الله ﷺ في طاعتهم وقد أخذ هو بالرخصة، وهو مَن هو في علمه وقربه لربه، وأصروا على الأخذ بالعزيمة فصاموا في حين أعلن هو على الملأ إنه مفطر للتخفيف على الجميع؛ أن أولئك بحق هم العصاة.
- في قول الصحابة الذين لحقوا بالمرأة ومعها كتاب الخيانة لأهل مكة: لتخرجن الكتاب أو لنلقين الثياب، دليل على جواز التهديد بمثل ذلك لمن تأكد لنا أنها من الجواسيس أو أعوانهم، وأن لديه أو لديها معلومات قد تؤذي الإسلام والمسلمين.
- من الأزمات التي عالجها النبي ﷺ على طريق فتح مكة؛ أزمة نفسية وقعت للأنصار وهم يرون عطف النبي ﷺ على المكيين، حتى قالوا: أما الرجل فأدركته رغبة في قريته ورأفة بعشيرته، فطمأنهم قائلاً: بأن المحيا محياكم، والممات

مماتكم، وراعى شعورهم ولم يُعنفهم، فتأثروا كلهم حدَّ البكاء.

- أعلن النبي ﷺ بشكل عملي معالم التوحيد منذ دخوله مكة، عندما أمر بتحطيم أصنامها، وساهم هو كذلك بيده في هذا العمل الجليل، فكلل الله تعالى له بذلك جهد عشرين عاماً تقريباً من سنوات بعثته، وذلك دون أن يبدي واحد من مشركي مكة الذين أُشربوا في قلوبهم حب الأصنام وعبادتها أي اعتراض مطلقاً... إنه موسم حصاد زاهر... احصدوهم حصداً.
- مع ما كان من إطلاق وتعميم في تحريم مكة وجعل القتال فيها حراماً بعد فتحها إلا أن لكل عام خواصه، ولكل مطلق ما يحدده، لأجل ذلك قال عمرو بن سعيد: «إن الحرم لا يعيذ عاصياً، ولا فاراً بدم، ولا فاراً بخربة خربة بلية».
- كان من حسن إدارة النبي ﷺ لشؤون كل وفد أو مجموعة تأتيه مسلمةً أن يعلمهم شيئاً من أحكام الدين، ثم يحيلهم على أحسنهم أداء، أو أكثرهم جمعاً للقرآن الكريم دون اعتبار للسن، إلا إن تساوى الناس في العلم، فإنه لاشك يقدم عليهم أكبرهم سناً.
- يبدو أن الفوضى التي شهدتها مكة بين يدي فتحها جعلت المرأة المخزومية تبيح لنفسها أن تمتد يدها فتسرق، فكانت واحدة من الأزمات التي حصلت يوم الفتح، وقد حاول الأصحاب إيجاد حل بطريق الشفاعة الحسنة لهذه المرأة عند رسول الله ﷺ، ولكن رسول الله ﷺ والذي كان قد صفح عن بعض من أهدر دماءهم يوم الفتح لم يسمح للشفاعة في حدود الله حتى من أقرب الناس إلى قلبه، لأجل ذلك وبَّخ النبي ﷺ أسامة لقبوله الشفاعة في الحدود، على الرغم من قبوله جوار أم هانىء فيمن أهدر دماءهم يوم الفتح، **ولكن ثمة فرق بين من أهدر الله يدها، وبين من أهدر نبي الله دماءهم، فالرسول ﷺ يصفح في الشيء الذي صدر عنه، ولا يسمح لنفسه الصفح عن شيء من أمر الله تعالى**، لأجل ذلك غضب رسول الله ﷺ وقعَّد قاعدة استواء الناس عند حدود الله تعالى، مهما بلغت قرابتهم من رسول الله ﷺ.
- كان الرسول ﷺ على دراية تامة بحيَل يهود، لأجل ذلك لما حرم بعض الأمور يوم

فتح مكة وسُئل عن التصرف في بعض هذه المحرمات استرجع بعض خطايا يهود وحيلهم في التعامل مع أحكام الله تعالى وشريعته «قاتل الله اليهود، إن الله لما حرَّم شحومها جمَّلوه، ثم باعوه، فأكلوا ثمنه».

- كان رسول الله ﷺ حريصاً على رفع الحرج عن أمته فهو قد مكث في مكة بعد فتحها تسعة عشر يوماً يَقصر من الصلاة، **ولكن لسائل أن يسأل: لماذا لم يبق النبي ﷺ في مكة، ولماذا رجع مرة أخرى إلى المدينة؟ لعل من أسباب وحكم ذلك:**

١. ما قطعه من وعد لأهل المدينة أن المحيا محياهم والممات مماتهم.
٢. أن موقع المدينة على ضوء ما سيأتي من فتوحات تشمل بلاد الشام وغيرها أكثر توسطاً من مكة.
٣. أن النبي ﷺ لم يرد قهر أهل مكة وإنما أراد استثمارهم في الخير، فعيَّن واحداً منهم أميراً عليها، ثم تركها ورجع إلى مدينته الحبيبة.
٤. أن أمر الله تعالى كان يقضي بأن يكون مضجع النبي ﷺ الأخير في حجرة عائشة رضي الله عنها، وليس في أي مكان آخر، ولو أن النبي ﷺ دُفن في مكة ما زار المدينة بعد وفاته ﷺ من الزائرين اليوم لتلك البلاد أحد، إلا شاذّاً لرحله قاصداً مسجد رسوله ﷺ.
٥. أن النبي ﷺ أراد أن ينفي تلك العصبيات التي تجعل المرء يلتصق بعشيرته دائماً، وذلك لأن عشيرة الإسلام أكبر.

- **يقول الشيخ صفي الرحمن المباركفوري: «وهذه الغزوة (فتح مكة) الفاصلة فتحت أعين الناس وأزالت عنها آخر الستور التي كانت تحول بينها وبين الإسلام وبهذا الفتح سيطر المسلمون على الموقف السياسي والديني كليهما معاً في طول الجزيرة وعرضها فقد انتقلت إليهم الصدارة الدينية والزعامة الدنيوية»[1].**

- أبرز الفوائد والأنوار في المجال الأمني العسكري:

- **استخدم النبي ﷺ الكثير من الاستراتيجيات الأمنية والعسكرية للتأكيد على السلم**

---

(١) الرحيق المختوم، الشيخ صفي الرحمن المباركفوري، ص٣٥٣.

المجتمعي وهو في طريقه لفتح مكة، ومن ذلك:

١. استبشاره برؤية السحابة بانتصار بني كعب دون أن يشرح قصده في ذلك بالتفصيل.
٢. حرصه على إخفاء خطواته أو مجرد نية ذهابه باتجاه مكة.
٣. حرصه على مباغتة قريش قدر المستطاع.
٤. تسريعه الخطى ليحقق عنصر المفاجأة، حتى أنه قطع المسافة إلى مكة في قرابة تسعة أيام على الرغم من أنه كان يمشي بحذر، ويسلك طريقاً غير مألوفة، ومعه قرابة العشرة آلاف مجاهد.
٥. الاستعانة بالوحي في كشف خبر حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه والكتاب الذي أرسله لقريش يخبرهم بمجيء النبي ﷺ مع الظعينة.
٦. بث العيون والحرس بشكل مكثف حتى أنه استطاعوا إلقاء القبض على أبي سفيان وثلاثة من كبراء قريش كانوا يستطلعون خبر جيش النبي ﷺ القادم إليهم.
٧. استخدام استراتيجية بثّ الرعب في صدور زعماء قريش الذين تم القبض عليهم، ومنهم أبو سفيان الذي شدد النبي ﷺ على عدم الإفراج عنه قبل أن يستعرض أمامه قدرات المسلمين.
٨. الحرص على كفِّ الألسنة التي تقول بأن اليوم يوم ملحمة، وتأكيده على أن مكة حرم، وأن الواجب احترامها وحقن دماء من فيها قدر المستطاع.
٩. حرص النبي ﷺ على دخول مكة من جهاتها الأربع، وبكثافة عددية غير مسبوقة حتى يشتت القرشيين فيسقط في أيديهم، ويجبرون على الاستسلام دون أية مقاومة.
١٠. التأمين على كل داخل لدار أبي سفيان، ولكل داخل للمسجد، ولكل داخل لبيته.
١١. يقول الدكتور عماد الدين خليل: «لقد سعى الرسول ﷺ إلى تنفيذ أسلوب (منع التجول) لكي يتمكن من دخول مكة بأقل قدر من الاشتباكات

والاستفزازات وإراقة الدماء»[1].

- **في استجواب النبي ﷺ لحاطب رضي الله عنه على الرغم من أنه قد قبض عليه بالجرم المشهود؛ ما يدلنا على وجوب التحقق حتى من دواعي وأسباب الخيانة والتجسس، لأن سبباً يختلف عن آخر، وبالتالي إذا عُرف السبب بطل العجب.**
- كان عمر رضي الله عنه كعادته متحمساً للوقوف في وجه الأخطاء الكبيرة وإنكارها حتى في حضرة النبي ﷺ، ثم ينتظر بذلك توجيه النبي ﷺ بالموافقة أو بالتعديل، وقد تأتي الموافقة لرأي هذا الرجل الملهم من كتاب الله تعالى، وقد جاء التوجيه عند اعتراض عمر رضي الله عنه على حاطب رضي الله عنه من النبي ﷺ بطريق تفيد أن هنالك أموراً من سوابق الأعمال لا تعلمها يا عمر، وبذلك سنَّ النبي ﷺ لأجل حاطب رضي الله عنه سُنة جديدة وهي سُنة مغفرة بعض الذنوب المتأخرة ببعض الأعمال المتقدمة، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.
- لم يكن عذر حاطب رضي الله عنه مقنعاً لا للنبي ﷺ ولا لعمر رضي الله عنه، لأجل ذلك أحال النبي ﷺ عذر حاطب على ما كان سلف من مشاركته في بدر، **وقد استخدم النبي ﷺ استراتيجية التربية بالعفو مع التعزيز على شيء مضى**، وحاطب رضي الله عنه كان له سبق في كثير من المشاهد وليس في بدر فقط، وكأني بالنبي ﷺ أراد أن لا يهدر خير حاطب رضي الله عنه لأجل موقف واحد لا سيما أن الكتاب لم يصل إلى قريش، وبالتالي فإن المفسدة من وراء إرساله لم تتحقق.
- كانت الأسباب الأمنية الخاصة الواقية للنبي ﷺ لا تزال مستمرة حتى عند دخوله مكة حرسها الله، فقد دخلها وعلى رأسه المخفر.
- لابد من دراسة نفسية متقدمة لطبيعة القادة الثلاثة الذين كلفهم النبي ﷺ بحمل راية فتح مكة وإمكاناتهم، فمن هو خالد بن الوليد، ومن هو الزبير بن العوام، ومن هو أبو عبيدة، أما الأول فسيف الله، وأما الثاني فحواريُّ رسول الله، وأما الثالث فأمين الأمة، وكأني برسول الله ﷺ كان يعدهم في جولات سابقة ليكونوا على قدر المسؤولية في هذه الجولة المفصلية، فرضي الله عنهم وأرضاهم أجمعين.

---

(١) دراسة في السيرة، الدكتور عماد الدين خليل، ص ٢٠٤.

- «كانت العرب تلوم بإسلامها الفتح» جملة تحمل في طياتها ما نتج عنه فتح مكة من تحرير عقول وقلوب القبائل المجاورة لمكة من وهْمٍ كان أهل مكة قد زرعوه في نفوسهم، وهو وهم سيطرة الأوثان عليهم، وخشيتهم من مخالفة أمرها، فلما كان الفتح وهدمت الأصنام وتهاوت الجاهلية دخل هؤلاء في دين الله أفواجاً.
- في حكاية ما جرى لخالد رضي الله عنه يوم أرسله النبي ﷺ إلى بني جذيمة ما يوجب التريث قبل التصدي لأي هدف، مع ضرورة الاستبانة والتأكد من الهدف هل هو عدو أم صديق، كما أكدت القصة أهمية معرفة لغات ولهجات الناس لاسيما عند تنفيذ المهمات الخاصة بينهم.
- ومما دلت عليه قصة سرية خالد رضي الله عنه إلى بني جذيمة كذلك أن النبي ﷺ لم يبرأ من خالد، فخالد رضي الله عنه كان ولم يزل سيف الله تعالى، ولكنه برئ من عمله، وعتب على ذاك العمل الذي ينمُّ عن استعجال وضعف في الخبرة في هذا المجال، فاعتذر النبي ﷺ لربه من صنيع خالد، وليس من صحبته لخالد.
- يقول الدكتور محمد السيد الوكيل: «كان لهذا الفتح آثار عظيمة سياسية ودينية واجتماعية، وقد بدأت هذه الآثار بصورة يلمسها كل من يمُعن النظر في هذا الفتح المبارك، فأما الآثار الاجتماعية فتمثلت في رفقه ﷺ بالناس، وحرصه على الأخذ بأيديهم ليعيد إليهم الثقة بأنفسهم، وبالوضع الجديد الذي سيطر على بلدهم، وتعيين من يعلمهم، ويفقههم في دينهم، فقد أبقى معاذ بن جبل رضي الله عنه في مكة بعد انصرافه عنها ليصلي بالناس، ويفقههم في دينهم، وأما الآثار السياسية فقد عيَّن عتَّاب بن أسيد أميراً على مكة، يحكم بين الناس بكتاب الله فيأخذ لضعيفهم، وينتصر للمظلوم من الظالم، وأما الآثار الدينية فإن فتح مكة وخضوعها لسلطان الإسلام، قد أقنع العرب جميعاً بأن الإسلام هو الدين الذي ارتضاه لعباده، فدخلوا فيه أفواجاً»[1].

(١) تأملات في سيرة الرسول ﷺ، د. محمد السيد الوكيل، دار المجتمع، ط١، ١٩٨٧م، ص٢٦٧.

غزوة حنين[1]

لم يكن خيار مواجهة القدر العظيم بفتح الله تعالى ونصره للمؤمنين هو الخيار الأوحد أمام هوازن وثقيف، بل كان أمامهم ما هو أفضل وأحسن من خيارهم، بل خيار زعيمهم الذي قادهم إليه، فعزموا إطاعة أمره وقرروا مواجهة فاتحي مكة، ومَن معهم من مَسلمة الفتح، مواجهةً فاصلةً على طريقة؛ فلنكن أو لا نكون، وما لبث الفاتحون يسعدون بعودتهم إلى حرم الله تعالى، إلا وجاء مَن يخبرهم بأن هوازن وثقيف ارتكبوا حماقة التحشيد للهجوم عليهم، فماذا كانت نتيجة هذه الحماقة؟، باختصار شديد وببساطة متناهية، كانت النتيجة إتمام قدر الله تعالى بإثبات نصره وفتحه وتطهيره للجزيرة العربية كلها من بقايا عبدة الأوثان.

- **بيان الغزوة في كتاب الله:** قال تعالى: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾﴾ التوبة: ٢٥.
- **وقفة في تفسير هذه الآية:** قال الشيخ الشعراوي: «والله سبحانه هنا يقول: {لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ}، وما دام الحديث عن النصر، يكون المعنى: إن الحق سبحانه قد نصركم في مواطن الحرب أي مواقعها، مثل يوم بدر، ويوم الحديبية، ويوم بني النضير، ويوم الأحزاب، ويوم مكة، وكل هذه كانت مواقع نصر من الله للمسلمين، ولكنه في هذه الآية يخص يوماً واحداً بالذكر بعد الكلام عن المواطن الكثيرة، فبعد أن تحدث إجمالاً عن المعارك الكثيرة يقول: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ﴾ التوبة: ٢٥ فكثرة عدد المؤمنين في يوم حنين كان ظرفاً خاصًّا، أما المواطن الأخرى، مثل يوم بدر فقد كانوا قلة، ويوم فتح مكة كانوا كثرة، ولكنهم لم يعجبوا؛ لم يختالوا بذلك، إذن: ففي يوم حنين اجتمعت لهم الكثرة مع الإعجاب، وبذلك يكون يوم حنين له مزية، فهو يوم

(١) حنين واد إلى جنب ذي المجاز قريب من الطائف، وبينه وبين مكة بضعة عشر ميلاً من جهة عرفات.

خاص بعد الحديث العام»[1].

من أحداث الغزوة:

- **توقيت الغزوة، وأمير مكة:** استخلف النبي ﷺ عتَّاب بن أسيد أميراً على مكة عند خروجه، وكان خروجه إلى حنين **في اليوم الخامس من شوال، ووصل إلى حنين في مساء العاشر من شوال**[2]».
- **من التجهيز للغزوة:** روى صفوان بن أمية رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ استعار منه أدراعاً يوم حنين فقال: «**أغَصْبٌ يا محمد؟ فقال: لا بل عارية مضمونة**»[3].
- **التبشير المبكر بالنصر من القائد:** روى سهل بن الحنظلية رضي الله عنه «أنهم ساروا مع رسول الله ﷺ يوم حنين، فأطنبوا السير حتى كانت عشية، فحضرت الصلاة عند رسول الله ﷺ، فجاء رجل فارس فقال: يا رسول الله، إني انطلقت بين أيديكم حتى طلعت جبل كذا وكذا، فإذا أنا بهوازن على بكرة آبائهم، بظعنهم ونعمهم وشائهم، اجتمعوا إلى حنين، فتبسم رسول الله ﷺ وقال: **تلك غنيمة المسلمين غداً، إن شاء الله**».
- **تكليف بالحراسة:** وفي تتمة الحديث السابق ثم قال: من يحرسنا الليلة؟

قال أنس بن أبي مرثد الغنوي: أنا يا رسول الله.

قال: فاركب، فركب فرساً له، فجاء إلى رسول الله ﷺ، فقال له رسول الله ﷺ: استقبل هذا الشِّعب حتى تكون في أعلاه، ولا نغرن من قبلك الليلة، فلما أصبحنا

---

(١) تفسير خواطر الشيخ الشعراوي، الشيخ محمد متولي الشعراوي، ٥/ ٢٣٣.

(٢) أخرج ذلك ابن هشام في السيرة ٢/ ٤٣٧-٤٤٠، وقال الدكتور العمري بأن هذه الروايات وإن لم تصلح حديثياً فإنها تصلح للاستدلال التاريخي، وانظر السيرة النبوية الصحيحة ص٥٥٤، بينما قال الشيخ الألباني بأن حديث تولية عتَّاب بن أسيد حديث حسن، **وقد كان عُمر عتاب آنذاك عشرون عاماً**، وانظر تخريجات الشيخ الألباني على فقه السيرة للشيخ الغزالي ص٣٩٩.

(٣) أخرجه أبو داود، كتاب البيوع، باب تضمين العارية، ح٣٥٦٢، وأحمد في المسند، ٣/ ٤٠١، وقال الشيخ ابراهيم العلي في صحيح السيرة: ٧٠٧: صحيح الإسناد، ولم يكن صفوان مسلماً، وقيل بأن عدد الدروع المستعارة منه مائة درع، **وذكر الدكتور العمري في السيرة الصحيحة أن هنالك روايات غير مسندة لكن لا مانع من قبولها تفيد بأن النبي ﷺ استقرض من حويطب بن عبد العزى أربعين ألف درهم، وأخذ من نوفل بن الحارث بن عبد المطلب معونة قدرها ثلاثة آلاف رمح**، للتجهيز للمعركة ذاتها، ص٥٥٣.

خرج رسول الله ﷺ إلى مصلاه، فركع ركعتين، ثم قال: هل أحسستم فارسكم؟ قالوا: يا رسول الله ما أحسسناه، فثوِّب بالصلاة، فجعل رسول الله ﷺ يصلي وهو يلتفت إلى الشِّعب، حتى إذا قضى صلاته وسلم، قال: أبشروا فقد جاءكم فارسكم، فجعلنا ننظر إلى خلال الشجر في الشِّعب، فإذا هو قد جاء، حتى وقف على رسول الله ﷺ فسلَّم، فقال: إني انطلقت حتى كنت في أعلى هذا الشِّعب حيث أمرني رسول الله ﷺ، فلما أصبحت اطلعت الشِّعبين كليهما، فنظرت، فلم أر أحداً، فقال له رسول الله ﷺ: هل نزلت الليلة؟

قال: لا، إلا مصلياً أو قاضياً حاجة.

فقال له رسول الله ﷺ: **قد أوجبت، فلا عليك ألا تعمل بعدها»**[1].

- **استطلاع أمر العدو:** أرسل النبي ﷺ عبد الله بن أبي حدرد الأسلمي للتعرف على أمر العدو، فمكث فيهم يوماً أو يومين، ثم عاد إلى المسلمين بخبرهم»[2].
- **شدة جاهزية واستعداد العدو:** روى أنس رضي الله عنه قال: «افتتحنا مكة، ثم غزونا حنينا فجاء المشركون بأحسن صفوف رأيت، قال: فصفت الخيل ثم صفت المقاتلة، ثم صفت النساء من وراء ذلك، ثم صفت الغنم ثم صفت النعم»[3].
- **في المعمعة وثبات النبي ﷺ وشجاعة مَن حوله:** روى كثير بن عباس بن عبد المطلب قال: قال عباس: «شهدت مع رسول الله ﷺ يوم حنين، فلزمت أنا وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب رسول الله ﷺ، فلم نفارقه، ورسول الله ﷺ على بغلة له بيضاء، أهداها له فروة بن نفاثة الجذامي.

فلما التقى المسلمون والكفار، ولى المسلمون مدبرين، فطفق رسول الله ﷺ يركض بغلته قبل الكفار.

قال عباس: وأنا آخذ بلجام بغلة رسول الله ﷺ أكفُّها، إرادة أن لا تسرع، وأبو

---

(١) أخرجه أبو داود، كتاب الجهاد، باب فضل الحرس في سبيل الله، ح ٢٥٠١، وذكره الشيخ ابراهيم العلي في صحيح السيرة برقم: ٧٠٩، وقال: إسناده صحيح.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك ٣/ ٤٨، وقال صحيح الإسناد، يقول الدكتور العمري: للحديث شواهد جعلت الشيخ الألباني يحكم بصحته بمجموع طرقه، إرواء الغليل ٥/ ٣٤٤.»

(٣) أخرجه مسلم، كتاب الزكاة، باب إعطاء المؤلفة قلوبهم، ح ١٣٦.

سفيان آخذ بركاب رسول الله ﷺ.

فقال رسول الله ﷺ: أي عباس، ناد أصحاب السمرة، فقال عباس: وكان رجلاً صيِّتاً، فقلت بأعلى صوتي: أين أصحاب السمرة، قال: فوالله لكأن عطفتهم حين سمعوا صوتي عطفة البقر على أولادها.

فقالوا: يا لبيك يا لبيك، قال: فاقتتلوا والكفار، والدعوة في الأنصار يقولون: يا معشر الأنصار، يا معشر الأنصار، قال: ثم قصرت الدعوة على بني الحارث بن الخزرج، فقالوا: يا بني الحارث بن الخزرج، يا بني الحارث بن الخزرج.

فنظر رسول الله ﷺ وهو على بغلته كالمتطاول عليها إلى قتالهم، فقال رسول الله ﷺ، **هذا حين حمي الوطيس.**

قال: ثم أخذ رسول الله ﷺ حصيات فرمى بهن وجوه الكفار، ثم قال: **انهزموا ورب محمد.**

قال: فذهبت أنظر فإذا القتال على هيئته فيما أرى.

قال: فوالله ما هو إلا أن رماهم بحصياته، فما زلت أرى حدهم كليلاً، وأمرهم مدبراً»[1].

وروى سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قال: «غزونا مع رسول الله ﷺ حنيناً، فلما واجهنا العدو تقدمت فأعلو ثنية، فاستقبلني رجل من العدو فأرميه بسهم، فتوارى عني فما دريتُ ما صنع، ونظرتُ إلى القوم فإذا هم قد طلعوا من ثنية أخرى، فالتقوا هم وصحابة النبي ﷺ، فولى صحابة النبي ﷺ، وأرجع منهزماً وعليَّ بردتان، متزراً بإحداهما، مرتدياً بالأخرى، فاستطلق إزاري، فجمعتهما جميعاً، ومررت على رسول الله ﷺ منهزماً وهو على بغلته الشهباء.

فقال رسول الله ﷺ: لقد رأى ابن الأكوع فزعاً، فلما غشوا رسول الله ﷺ نزل عن البغلة، ثم قبض قبضة من تراب من الأرض، ثم استقبل به وجوههم، فقال: **شاهت الوجوه، فما خَلق الله منهم إنساناً إلا ملأ عينيه تراباً، بتلك القبضة، فولوا**

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب غزوة حنين، ح ١٧٧٥.

مدبرين، فهزمهم الله عز وجل، وقسم رسول الله ﷺ غنائمهم بين المسلمين»[1].

- **جاسوس وملاحقة:** روى سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قال: «غزونا مع رسول الله ﷺ هوازن، فبينا نحن نتضحى مع رسول الله ﷺ إذ جاء رجل على جمل أحمر فأناخه، ثم انتزع طلقاً من حقبه فقيَّد به الجمل، ثم تقدم يتغدى مع القوم، وجعل ينظر وفينا ضعفة ورقَّة في الظهر، وبعضنا مشاة، إذ خرج يشتدُّ فأتى جمله فأطلق قيده، ثم أناخه، وقعد عليه، فأثاره، فاشتد به الجمل، فاتبعه رجل على ناقة ورقاء.

قال سلمة: وخرجت أشتدُّ فكنت عند ورك الناقة، ثم تقدمت حتى كنت عند ورك الجمل، ثم تقدمت حتى أخذت بخطام الجمل، فأنخته، فلما وضع ركبته في الأرض اخترطت سيفي، فضربت رأس الرجل، فندر، ثم جئت بالجمل أقوده عليه رحله وسلاحه، **فاستقبلني رسول الله ﷺ والناس معه، فقال من قتل الرجل؟ قالوا: ابن الأكوع، قال: له سلبه أجمع»**[2].

- **شعار المسلمين:** روى سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قال: «كان شعارنا ليلة بيَّتنا فيها هوازن مع أبي بكر الصديق، أمَّره علينا رسول الله ﷺ: **أمت أمت**، وقتلت بيدي ليلتئذ سبعة أهل أبيات»[3].

- **شدة الموقف:** روى البراء رضي الله عنه وجاءه رجل فقال: يا أبا عمارة، أتوليت يوم حنين؟ فقال: **أما أنا فأشهد على النبي ﷺ أنه لم يول**، ولكن عجل سرعان القوم، فرشقتهم هوازن، وأبو سفيان بن الحارث آخذ برأس بغلته البيضاء، يقول: **أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب»**[4]، وفي رواية أخذ النبي ﷺ عندئذ يقول: **«اللهم نزِّل نصرك، قال البراء: «كنا والله إذا احمرَّ البأس، نتقي به، وإن الشجاع منا للذي يحاذي به، يعني النبي ﷺ»**[5].

---

(١) السابق، ح ١٧٧٧.

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب استحقاق القاتل سلب القتيل، ح ١٧٥٤.

(٣) أخرجه أحمد ح ١٦٤٩٨، وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح.

(٤) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب قول الله تعالى: ويوم حنين، ح ٤٠٦١.

(٥) أخرجه مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب غزوة حنين، ح ١٧٧٦.

بعض تضحيات الصحابة:

- **ضربة عبد الله ابن أبي أوفى:** روى إسماعيل قال: «رأيت بيد ابن أبي أوفى ضربة قال: ضُربتها مع النبي ﷺ يوم حنين، قلت: شهدتَ حنيناً؟ قال: قبل ذلك»[1].
- **شجاعة أم سليم رضي الله عنها:** روى أنس رضي الله عنه «أن أم سليم اتخذت يوم حنين خنجراً، فكان معها، فرآها أبو طلحة، فقال: يا رسول الله، هذه أم سليم معها خنجر، فقال لها رسول الله ﷺ: ما هذا الخنجر؟

قالت: **اتخذْتُه، إنْ دنا مني أحد من المشركين بقرتُ به بطنه، فجعل رسول الله ﷺ يضحك.**

قالت: يا رسول الله، **اقتلْ مَن بعدنا مِن الطلقاء، انهزموا بك.**

فقال رسول الله ﷺ: يا أم سليم، **إن الله قد كفى وأحسن**»[2].

- **من أسباب الهزيمة في البداية:** روى البراء رضي الله عنه قال: «... كانت هوازن رماة، وإنَّا لما حملنا عليهم انكشفوا، **فأكببنا على الغنائم، فاستقبلنا بالسهام...**»[3].
- **تفاصيل أخرى في المعركة:** روى أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «لما كان يوم حنين أقبلت هوازن وغطفان وغيرهم، بذراريهم ونعمهم، **ومع النبي ﷺ يومئذ عشرة آلاف، ومعه الطلقاء، فأدبروا عنه، حتى بقي وحده.**

قال: فنادى يومئذ نداءين، لم يخلط بينهما شيئاً، قال: فالتفت عن يمينه فقال: يا معشر الأنصار، فقالوا: لبيك يا رسول الله، أبشر، نحن معك.

قال: ثم التفت عن يساره، فقال: يا معشر الأنصار، قالوا: لبيك يا رسول الله، أبشر، نحن معك.

قال: وهو على بغلة بيضاء، فنزل، فقال: أنا عبد الله ورسوله، فانهزم المشركون، وأصاب رسول الله ﷺ غنائم كثيرة، **فقسم في المهاجرين والطلقاء، ولم يعط الأنصار شيئاً، فقالت الأنصار: إذا كانت الشدة فنحن نُدعى، وتُعطى الغنائم غيرنا!!.**

فبلغه ذلك، فجمعهم في قبة، فقال: يا معشر الأنصار، ما حديث بلغني عنكم، فسكتوا، فقال: **يا معشر الأنصار، أما ترضون أن يذهب الناس بالدنيا، وتذهبون**

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب قول الله تعالى: ويوم حنين، ح ٤٠٦٠.

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب غزو النساء مع الرجال، ح ١٨٠٩.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب قول الله تعالى: ويوم حنين، ح ٤٠٦٣.

بمحمد تحوزونه إلى بيوتكم؟

قالوا: بلى يا رسول الله، رضينا.

قال فقال: لو سلك الناس وادياً، وسلكت الأنصار شِعباً لأخذتُ شِعب الأنصار.

قال هشام: فقلت يا أبا حمزة، أنت شاهد ذاك؟

قال: وأين أغيب عنه.

وروى أنس بن مالك قال: افتتحنا مكة ثم إنا غزونا حنيناً، فجاء المشركون بأحسن صفوف رأيت، قال: فصفت الخيل، ثم صفت المقاتلة، ثم صفت النساء من وراء ذلك، ثم صفت الغنم، ثم صفت النعم، قال: ونحن بشر كثير، قد بلغنا ستة آلاف، وعلى مجنبة خيلنا خالد بن الوليد، قال: فجعلت خيلنا تلوي خلف ظهورنا، فلم نلبث أن انكشفت خيلنا، وفرَّت الأعراب، ومن نعلم من الناس، قال: فنادى رسول الله ﷺ: يال المهاجرين، يال المهاجرين، ثم قال: يال الأنصار، يال الأنصار.

قال: قال أنس: هذا حديث عمية، قال: قلنا لبيك يا رسول الله، قال: فتقدم رسول الله ﷺ، قال: فأيم الله ما أتيناهم حتى هزمهم الله، قال: فقبضنا ذلك المال، ثم انطلقنا إلى الطائف، فحاصرناهم أربعين ليلة، ثم رجعنا إلى مكة، فنزلنا، قال: **فجعل رسول الله ﷺ يعطي الرجل المائة من الإبل**»[1].

مشكلة بعض مَسلمة الفتح: «رأى بعض مسلمة الفتح في الطريق إلى حنين شجرة تُعرف بذات أنواط يُعلق عليها المشركون أسلحتهم، فقالوا: يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، فقال: سبحان الله، كما قال قوم موسى: اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة، **والذي نفسي بيده لتركبن سُنة مَن قبلكم**»[2].

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب الزكاة، باب إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام، ح١٠٥٩.

(٢) أخرجه الترمذي، ٣/ ٣٢١، وقال: حسن صحيح، وأحمد في المسند ٥/ ٢١٨، وذكره الدكتور أكرم العمري في السيرة الصحيحة ص٥٥٥، كما يذكر الدكتور العمري أن بعض أهل مكة ممن لم يُسلموا بعد خرجوا في جيش حنين مع المسلمين طمعاً في الغنيمة، وينقل عن القسطلاني في المواهب اللدنية ١/ ١٦٢، والزرقاني في شرح المواهب ٣/ ٥ **أن عدد هؤلاء ثمانين رجلاً**، كما حكى العمري نقلاً عن موسى بن عقبة وغيره **أن أبا سفيان وصفوان بن أمية وحكيم بن حزام كانوا في الصفوف الأخيرة في جيش المسلمين يرقبون نتيجة المعركة، وفي نفوس بعضهم رغبة في انتصار هوازن**، على الرغم من أن صفوان قال لأحد الرجال الذين أبدوا رغبة في انتصار هوازن: **اسكت فض الله فاك، لأن يربّني (يتأمر عليَّ) رجل من قريش، أحب إلي من أن يربني رجل من هوازن.**

أحداث ما بعد الغزوة:

أحوال غنائم حنين:

- **الأعراب يشتدُّون، والقائد يزهد في الغنيمة:** روى جبير بن مطعم رضي الله عنه أن الأعراب أكبُّوا على النبي ﷺ يقولون له: «يا رسول الله، اقسم علينا فيئنا، حتى اضطروه إلى شجرة، فانتزعت رداءه، فقال: أيها الناس، ردوا عليَّ ردائي، فو الذي نفسي بيده، **لو كان لكم عندي عدد شجر تهامة نعماً لقسمته عليكم، ثم ما ألفيتموني بخيلاً ولا جباناً ولا كذابا**»[1].
- وفي رواية عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: «... ثم قام (النبي ﷺ) إلى جنب بعير فأخذ من سنامه وبرة فجعلها بين أصبعيه، ثم رفعها فقال: أيها الناس، **والله ما لي من فيئكم ولا هذه الوبرة، إلا الخُمس، والخُمس مردود عليكم**»[2].
- **فلَهُ سلَبُه:** روى أبو قتادة رضي الله عنه قال: «خرجنا مع النبي ﷺ عام حنين، فلما التقينا، كانت للمسلمين جولة، فرأيت رجلاً من المشركين قد علا رجلاً من المسلمين، فضربته مِن ورائه على حبل عاتقه بالسيف، فقطعت الدرع، **وأقبل عليَّ فضمني ضمة وجدت منها ريح الموت، ثم أدركه الموت، فأرسلني**، فلحقت عمر بن الخطاب فقلت: ما بال الناس؟ قال: أمر الله عز وجل، ثم رجعوا، وجلس النبي ﷺ فقال: من قتل قتيلاً له عليه بيِّنة فله سلبه.

فقلت: من يشهد لي؟ ثم جلست.

قال: ثم قال النبي ﷺ مثله، فقمت فقلت: من يشهد لي؟ ثم جلست قال: ثم قال النبي ﷺ مثله، فقمت فقال: ما لك يا أبا قتادة؟

فأخبرته، فقال رجل: صدق، وسلَبُه عندي، فأرضه مني.

فقال أبو بكر: لاها الله إذاً لا يعمد إلى أسد من أسد الله يقاتل عن الله ورسوله ﷺ فيعطيك سلبه.

فقال النبي ﷺ: صدق، فأعطه، فأعطانيه، فابتعت به مخرفاً في بني سلمة، فإنه

---

(١) أخرجه البخاري ح ٢٨٢١.

(٢) أخرجه أحمد ح٦٧٢٩، بإسناد قال فيه الشيخ الألباني بأنه حسن، وانظر فقه السيرة للشيخ الغزالي ص٣٩٣.

لأول مال تأثلته[1] في الإسلام»[2].

- **حكيم بن حزام وحكايته مع عطاء حنين:** روى سعيد بن المسيب وعروة بن الزبير أن حكيم بن حزام رضي الله عنه قال: «سألت رسول الله ﷺ فأعطاني، ثم سألته فأعطاني، ثم قال لي: يا حكيم، إن هذا المال خضر حلو، فمن أخذه بسخاوة نفس بورك له فيه، **ومن أخذه بإشراف نفس لم يبارَك له فيه، وكان كالذي يأكل ولا يشبع، واليد العليا خير من اليد السفلى.**

قال حكيم: فقلت: يا رسول الله، والذي بعثك بالحق لا أرزأ[3] أحداً بعدك شيئاً حتى أفارق الدنيا.

فكان أبو بكر يدعو حكيماً ليعطيه العطاء فيأبى أن يقبل منه شيئاً، ثم إن عمر دعاه ليعطيه فأبى أن يقبل، فقال: يا معشر المسلمين، إني أعرض عليه حقه الذي قسم الله له من هذا الفيء فيأبى أن يأخذه، **فلم يرزأ حكيم أحداً من الناس شيئاً بعد النبي ﷺ حتى توفي»**[4].

- **عمر رضي الله عنه والجاريتين:** روى ابن عمر أن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما قال: يا رسول الله، **إنه كان عليَّ اعتكاف يومٍ في الجاهلية، فأمره أن يفي به،** قال: وأصاب عمر جاريتين من سبي حنين، فوضعهما في بعض بيوت مكة، قال: فمنَّ رسول الله ﷺ على سبي حنين، فجعلوا يسعون في السكك، فقال عمر: يا عبد الله، انظر ما هذا؟ فقال: منَّ رسول الله ﷺ على السبي، قال: **اذهب فأرسل الجاريتين»**[5].

- **عطاء صفوان:** روى ابن شهاب قال: «... ثم خرج رسول الله ﷺ بمن معه من المسلمين، فاقتتلوا بحنين، فنصر الله دينه والمسلمين، وأعطى رسول الله ﷺ

---

(١) المخرف هو البستان وقد تأثله أبو قتادة يعني اشتراه وعقد عليه وأصَّله وسجله.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب قول الله تعالى: ويوم حنين، ح ٤٠٦٧.

(٣) لا أرزأ يعني: لا أطلب، يعني: أصل ذلك يأتي بمعنى النقصان، بمعنى أني لا أُنقص أحداً من ماله بالطلب منه، أو الأخذ منه.

(٤) أخرجه البخاري، كتاب فرض الخمس، باب ما كان النبي ﷺ يعطي المؤلفة قلوبهم، ح ٣١٤٣، ولا دليل في الرواية على أنها كانت في حنين، لكن بدء إسلام حكيم في حنين أو قبلها يوم الفتح، جعلني أغلب الظن بأن الحكاية كانت فيها لاعتبار أنه لا غزوة بعدها مع النبي ﷺ فيها من الغنائم، وإنما كانت تبوك بلا غنيمة.

(٥) أخرجه البخاري، كتاب فرض الخمس، الباب السابق، ح ٣١٤٤.

يومئذ صفوان بـــن أمية مائة من النعم، ثم مائة ثم مائـــة، يقول صفوان: **والله لقد أعطاني رسول الله ﷺ ما أعطاني، وإنه لأبغض الناس إليَّ، فما برح يعطيني، حتى إنه لأحب الناس إليَّ**»[1].

- **عطاء أبي سفيان:** روى رافع بن خديج رضي الله عنه قال: «أعطى رسول الله ﷺ أبا سفيان بن حرب، وصفوان بن أمية، وعيينة بن حصن، والأقرع بن حابس؛ **كل إنسان منهم مائة من الإبل**، وأعطى عباس بن مرداس دون ذلك، فقال عباس بن مرداس:

أتجعل نهبي ونهب العبيد بين عيينة والأقرع
فما كان بدر ولا حابس يفوقان مرداس في المجمع
وما كنت دون امرئ منهما ومن تخفض اليوم لا يُرفع

قال: **فأتم له الرسول ﷺ مائة**»[2].

- **المعترض على القســـمة:** روى عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «فلما كان يوم حنين آثر رسول الله ﷺ في القسمة... فقال رجل: والله **إن** هذه لقسمة ما عُدل فيها، وما أريد فيها وجه الله، قال: فقلت: والله لأخبرن رسول الله ﷺ، قال: فأتيته، فأخبرته بما قال، قال: فتغير وجهه حتى كان كالصرف، ثم قال: **فمن يعدل إن لم يعدل الله ورسوله، قال: ثم قال: يرحم الله موسى، فقد أوذي بأكثر من هذا فصبر، قلت: لا جرم لا أرفع إليه بعدها حديثاً**»[3].

- **ومعترض آخر:** روى أبو مُوسَى رضي الله عنه قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، وَهُوَ نَازِلٌ بِالْجُعْرَانَةِ، بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ، وَمَعَهُ بِلالٌ، فَأَتَى رَسُـــولَ اللَّهِ ﷺ رَجُلٌ أَعْرَابِيٌّ، فَقَالَ: أَلا تُنْجِزُ لِي يَا مُحَمَّدُ مَا وَعَدْتَنِي؟

فَقَالَ لَهُ رَسُـــولُ اللَّهِ ﷺ: «أَبْـــشِرْ»، فَقَالَ الأَعْرَابِيُّ: **أَكْثَرْتَ عَـــلَيَّ مِنْ: «أَبْشِرْ»، أَلا تُنْجِزُ لِي يَا مُحَمَّدُ مَا وَعَدْتَنِي؟** فَأَقْبَلَ رَسُـــولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى أَبِي مُوسَى وَبِلال كَهَيْئَةِ الْغَضْبَانِ، فَقَالَ: «**إِنَّ هَذَا قَدْ رَدَّ الْبُشْرَى، فَاقْبَلا أَنْتُمَا**» **فَقَالا: قَدْ قَبِلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ**، ثُمَّ دَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، بِقَدَحٍ فِيهِ مَاءٌ، فَغَسَلَ يَدَيْهِ وَوَجْهَهُ، وَمَجَّ فِيهِ، ثُمَّ قَالَ لَهُمَا:

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب الفضائل، باب ما سئل رسول الله ﷺ شيئاً فقال: لا قط، ح ٤٢٧٧.
(٢) أخرجه مسلم، كتاب الزكاة، باب إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام، ح ١٠٦٠.
(٣) السابق، ح ١٠٦٢.

«اشْرَبَا مِنْهُ وَأَفْرِغَا مِنْهُ عَلَى وُجُوهِكُمَا، وَنُحُورِكُمَا وَأَبْشِرَا.
فَأَخَذَا الْقَدَحَ، فَفَعَلا مَا أَمَرَهُمَا بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَنَادَتْهُمَا أُمُّ سَلَمَةَ مِنْ وَرَاءِ السِّتْرِ: **أَفْضِلا لأُمِّكُمَا مِمَّا فِي إِنَائِكُمَا، فَأَفْضَلا لَهَا مِنْهُ طَائِفَةً**»[1].

- **تأليف قلوب قريش:** روى أنس رضي الله عنه قال: «إني أعطي قريشاً أتألفهم لأنهم حديث عهد بجاهلية»[2].
- **ملاحقة الفارين إلى أوطاس:** روى أبو بردة عن أبيه قال: «لما فرغ النبي ﷺ من حنين، بعث أبا عامر على جيش إلى أوطاس، فلقي دريد ابن الصمة، فقتل دريد، وهزم الله أصحابه.

فقال أبو موسى: وبعثني مع أبي عامر، قال: فرمي أبو عامر في ركبته، رماه رجل من بني جشم بسهم، فأثبته في ركبته، فانتهيت إليه، فقلت: يا عم من رماك؟
فأشار أبو عامر إلى أبي موسى، فقال: إن ذاك قاتلي تراه ذلك الذي رماني.
قال أبو موسى: فقصدت له فاعتمدته فلحقته، فلما رآني ولَّى عني ذاهباً، فاتبعته وجعلت أقول له: **ألا تستحيي؟ ألستَ عربياً؟! ألا تثبت؟!.**
فكفَّ، فالتقيت أنا وهو، فاختلفنا أنا وهو ضربتين، فضربته بالسيف فقتلته، ثم رجعت إلى أبي عامر، فقلت: إن الله قد قتل صاحبك.
قال: فانزع هذا السهم، فنزعته، فنزا منه الماء، فقال: **يا ابن أخي، انطلق إلى رسول الله ﷺ فأقرئه مني السلام، وقل له: يقول لك أبو عامر، استغفر لي،** قال: واستعملني أبو عامر على الناس، ومكث يسيراً، ثم إنه مات، فلما رجعت إلى النبي ﷺ دخلت عليه وهو في بيت على سرير مرمل، وعليه فراش وقد أثر رمال السرير بظهر رسول الله ﷺ وجنبيه، فأخبرته بخبرنا وخبر أبي عامر، وقلت له: قال قل له يستغفر لي، فدعا رسول الله ﷺ بماء، فتوضأ منه، ثم رفع يديه، ثم قال: **اللهم اغفر لعبيد أبي عامر، حتى رأيت بياض إبطيه، ثم قال: اللهم اجعله يوم القيامة فوق كثير من خلقك، أو من الناس.**

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة الطائف، ح ٤٣٢٨.
(٢) أخرجه البخاري، كتاب فرض الخمس، باب ما كان النبي ﷺ يعطي المؤلفة قلوبهم، ح ٣١٤٦.

فقلت: ولي يا رسول الله، فاستغفر، فقال النبي ﷺ: اللهم اغفر لعبد الله بن قيس ذنبه، وأدخله يوم القيامة مدخلاً كريماً، قال أبو بردة: إحداهما لأبي عامر، والأخرى لأبي موسى»[1].

- **النهي عن قتل النساء:** «رأى النبي ﷺ امرأة من نساء هوازن مقتولة عندما بدأ جيش المسلمين بتعقُّب جيش هوازن، فنهى عن قتل النساء وقال: «**ما كانت هذه تقاتل**»[2].
- **إسلام هوازن، وإعادة السبي لهم بعد المشورة:** روى مروان بن الحكم والمسور بن مخرمة قالا: أن رسول الله ﷺ قام حين جاءه وفد هوازن مسلمين، فسألوه أن يرد إليهم أموالهم وسبيهم.

فقال لهم رسول الله ﷺ: معي من ترونوا أحب الحديث إليَّ أصدقه، فاختاروا إحدى الطائفتين؛ إما السبي، وإما المال، وقد كنتُ استأنيت بكم[3]، وكان أنظرهم رسول الله ﷺ بضع عشرة ليلة حين قفل من الطائف، فلما تبين لهم أن رسول الله ﷺ غير راد إليهم إلا إحدى الطائفتين، قالوا: فإنا نختار سبينا.

فقام رسول الله ﷺ في المسلمين، فأثنى على الله بما هو أهله، ثم قال: **أما بعد فإن إخوانكم قد جاءونا تائبين، وإني قد رأيت أن أرد إليهم سبيهم، فمن أحب منكم أن يطيب ذلك فليفعل، ومن أحب منكم أن يكون على حظه حتى نعطيه إياه من أول ما يفيء الله علينا فليفعل**، فقال الناس: قد طيبنا ذلك يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: إنا لا ندري من أذن منكم في ذلك ممن لم يأذن، فارجعوا حتى يرفع إلينا عرفاؤكم أمركم.

فرجع الناس، فكلمهم عرفاؤهم، ثم رجعوا إلى رسول الله ﷺ، فأخبروه أنهم قد

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي موسى وأبي عامر، ح٢٤٩٨.

(٢) أخرجه أبو داود ٢/ ٦٥، بإسناد حكم عليه الدكتور أكرم العمري في السيرة النبوية الصحيحة ص٥٦١، بأنه حسن، كما أورد حديث الإمام أحمد بسنده ٣/ ٤٣٥، أن النبي ﷺ لما بلغه أن بعض المسلمين يقتلون من ذراري الكفار نهاهم عن ذلك، فقال بعضهم: إنما هم أولاد المشركين، قال: **أو هل خياركم إلا أولاد المشركين، والذي نفس محمد بيده ما من نسمة تولد إلا على الفطرة حتى يعرب عنها لسانها**».

(٣) استأنيت: استنظرت، أي أخرت قسم السبي لتحضروا فأبطأتم.

طيبوا وأذنوا، هذا الذي بلغني عن سبي هوازن (قالها عروة بن الزبير عنهما)»[1].

- **عدد القتلى والشهداء:** بلغ عدد قتلى هوازن أثناء الغزوة اثنين وسبعين قتيلاً من بني مالك من ثقيف وحدهم، وقتيلين من الأحلاف من ثقيف، وأما أثناء هزيمتهم فقد قُتل منهم ثلاثمائة قتيل في أوطاس، كما قُتل المئات من بني نصر بن معاوية وهم من أهم فروع هوازن، وأما المسلمون فقد استشهد منهم أربعة، **وأصيب عدد منهم بجروح، منهم: أبو بكر وعثمان وعلي وعبد الله بن أبي أوفى وخالد بن الوليد رضي الله عنهم جميعاً»**[2].

حصار الطائف[3]:

- حاصر المسلمون الطائف بضع عشرة ليلة[4].

(١) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب قول الله تعالى: ويوم حنين، ح ٤٠٦٤.

(٢) انظر السيرة النبوية الصحيحة للدكتور أكرم ضياء العمري ص٥٦٢ - ٥٦٣.

(٣) لأهل الطائف سوابق كثيرة مع الدعوة الاسلامية عدا عن موقفهم القبيح مع النبي ﷺ يوم أتاهم يدعوهم إلى الله تعالى في العهد المكي، ومن ذلك أيضاً، العديد من محاولات افتعال الأزمات والتحدي للمسلمين، والمشاركة في معظم الحروب التي شنتها قريش على النبي ﷺ وأصحابه، ولقد ذكر الإمام مسلم قصة تحكي بعض (حركشات) ثقيف بالنبي ﷺ وحلفائه، حيث روى عمران بن حصين رضي الله عنه قال: «كانت ثقيف حلفاء لبني عقيل، فأسرت ثقيف رجلين من أصحاب رسول الله ﷺ، وأسر أصحاب رسول الله ﷺ رجلاً من بني عقيل وأصابوا معه العضباء، فأتى عليه رسول الله ﷺ وهو في الوثاق، قال: يا محمد فأتاه، فقال: ما شأنك، فقال: بم أخذتني، وبم أخذت سابقة الحاج (العضباء)، فقال: إعظاماً لذلك أخذتك بجريرة حلفائك ثقيف، ثم انصرف عنه، فناداه **فقال: يا محمد، يا محمد، وكان رسول الله ﷺ رحيماً رقيقاً فرجع إليه**، فقال: ما **شأنك؟، قال: إني مسلم، قال: لو قلتها وأنت تملك أمرك أفلحت كل الفلاح**، ثم انصرف، فناداه فقال: يا محمد، يا محمد فأتاه، فقال: ما شأنك؟ قال: إني جائع، فأطعمني، وظمآن فأسقني، قال: هذه حاجتك، ففدي بالرجلين.

قال: وأسرت امرأة من الأنصار(قيل هي امرأة أبي ذر رضي الله عنه)، وأصيبت العضباء، فكانت المرأة في الوثاق، وكان القوم يريحون نعمهم بين يدي بيوتهم، فانفلتت ذات ليلة من الوثاق، فأتت الإبل، فجعلت إذا دنت من البعير رغا، فتتركه حتى تنتهي إلى العضباء، فلم ترغ، قال: وناقة منوقة، **فقعدت في عجزها ثم زجرتها، فانطلقت ونذروا بها، فطلبوها فأعجزتهم، قال: ونذرت لله إن نجاها الله عليها لتنحرنها**، فلما قدمت المدينة رآها الناس، فقالوا: العضباء ناقة رسول الله ﷺ، فقالت: إنها نذرت إن نجاها الله عليها لتنحرنها، فأتوا رسول الله ﷺ فذكروا ذلك له، فقال: **سبحان الله بئسما جزتها، نذرت لله إن نجاها الله عليها لتنحرنها، لا وفاء لنذر في معصية، ولا فيما لا يملك العبد**» أخرجه مسلم، كتاب النذر، باب لا وفاء لنذر في معصية، ح٤٢٢١.

(٤) هذه أصح الروايات وقد حددها عروة بن الزبير بنصف شهر دون زيادة، كما ذكر الدكتور العمري في السيرة الصحيحة ص٥٦٦.

- روى ابن عمر رضي الله عنهما قال: «حاصر رسول الله ﷺ أهل الطائف، فلم ينل منهم شيئاً، قال: إنا قافلون غداً إن شاء الله، فقال المسلمون: أنرجع ولم نفتحه؟ فقال لهم رسول الله ﷺ: اغدوا على القتال غداً، فأصابهم جراح، فقال لهم رسول الله ﷺ: إنا قافلون غداً إن شاء الله، **فأعجبهم ذلك، فضحك النبي ﷺ**»[1].
- **معاناة كبيرة وقلب رحيم:** استعصت حصون ثقيف عن فتح المسلمين لها، وكانت محصنة بأدوات القتال جيداً، ولم يفلح حتى المنجنيق الذي استخدمه المسلمون لأول مرة في فتحها، وقد حرَّق النبي ﷺ بعض نخيل ثقيف ليؤثِّر على أهلها، كما أنَّ مَن في الحصن استخدموا الحديد والنبال، **واستُشهد من المسلمين اثنا عشر رجلاً**، في حين لم يُقتل من المشركين على أسوار الطائف سوى ثلاثة رجال، فطلب الصحابة من النبي ﷺ أن يدعو على ثقيف فقال: «**اللهم اهد ثقيفاً**»[2].
- **دروس وعطايا على أسوار الطائف:** روى أبو نَجيح السُّلَمِيِّ، قَالَ: حَاصَرْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حِصْنَ الطَّائِفِ أَوْ: قَصْرَ الطَّائِفِ فَقَالَ: «**مَنْ بَلَغَ بِسَهْمٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَلَهُ دَرَجَةٌ فِي الْجَنَّةِ**»، **فَبَلَغْتُ يَوْمَئِذٍ سِتَّةَ عَشَرَ سَهْمًا**، «وَمَنْ رَمَى بِسَهْمٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَهُوَ لَهُ عِدْلُ مُحَرَّرٍ، وَمَنْ أَصَابَهُ شَيْبٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَهُوَ لَهُ نُورٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَيُّمَا رَجُلٍ أَعْتَقَ رَجُلًا مُسْلِمًا، جَعَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وِقَاءَ كُلِّ عَظْمٍ مِنْ عِظَامِهِ عَظْمًا مِنْ عِظَامِ مُحَرِّرِهِ مِنَ النَّارِ، وَأَيُّمَا امْرَأَةٍ مُسْلِمَةٍ أَعْتَقَتْ امْرَأَةً مُسْلِمَةً، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ جَاعِلٌ وِقَاءَ كُلِّ عَظْمٍ مِنْ عِظَامِهَا عَظْمًا مِنْ عِظَامِ مُحَرِّرِهَا مِنَ النَّارِ»[3].
- **فتاوى على الطريق:** روت أم سلمة رضي الله عنها قالت: «دخل عليَّ النبي ﷺ وعندي مخنث، فسمعته يقول لعبد الله بن أبي أمية: يا عبد الله أرأيت إن فتح الله

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة الطائف، ح ١٧٧٨.

(٢) أخرجه الترمذي ٥/ ٣٨٠، وقال حسن صحيح، وبيَّن الشيخ الألباني أنه ضعيف، وانظر فقه السيرة للغزالي ص٣٩٨، يقول المغيرة بن شعبة رضي الله عنه مبيناً صحة إسلام أهل الطائف: لا أعلم قوماً من العرب ولا قبيلة كانوا أصح إسلاماً ولا أبعد أن يوجد فيهم غش لله ولكتابه منهم، وانظر ابن سعد في الطبقات، ٢/ ٥٤، وقد ذكرته لشهرته ولبيان حكم الشيخ الألباني عليه.

(٣) أخرجه أحمد ح ١٩٤٢٨، وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح.

عليكم الطائف غداً فعليك بابنة غيلان، فإنها تقبل بأربع وتدبر بثمان[1]، وقال النبي ﷺ: لا يدخلن هؤلاء عليكن، قال ابن عيينة وقال ابن جريج: المخنث هيت، حدثنا محمود حدثنا أبو أسامة عن هشام بهذا وزاد وهو محاصر الطائف يومئذ»[2].

أحداث ما بعد افتتاح الطائف:

- **عمرة الجعرانة:** روى أنس رضي الله عنه قال: «اعتمر رسول الله ﷺ أربع عمر، كلهن في ذي القعدة إلا التي كانت مع حجته؛ عمرة من الحديبية في ذي القعدة، وعمرة من العام المقبل في ذي القعدة، **وعمرة من الجعرانة حيث قسَّم غنائم حنين في ذي القعدة، وعمرة مع حجته**»[3].
- **سرية خالد رضي الله عنه إلى بني جذيمة:** روى عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال: «بعث النبي ﷺ خالد بن الوليد إلى بني جذيمة، فدعاهم إلى الإسلام، فلم يحسنوا أن يقولوا أسلمنا، فجعلوا يقولون صبأنا، صبأنا...»[4]
- **سرية عبد الله بن حذافة السهمي (سرية الأنصار)[5]:** روى علي رضي الله عنه، قال: بعث النبي ﷺ سرية، فاستعمل رجلاً من الأنصار وأمرهم أن يطيعوه، فغضب، فقال: أليس أمركم النبي ﷺ أن تطيعوني؟ قالوا: بلى، قال: فاجمعوا لي حطباً، فجمعوا، فقال: أوقدوا ناراً، فأوقدوها، فقال: ادخلوها، فهموا، وجعل بعضهم يمسك

---

(١) المقصود أنها: مملوءة البدن بحيث يكون لبطنها عكن، وذلك لا يكون إلا للسمينة من النساء.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة الطائف، ح٤٣٢٤.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الحج، باب كم اعتمر النبي ﷺ؟، ح ١٧٨٠.

(٤) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب بعث النبي ﷺ خالد إلى بني جذيمة، ح ٤٠٨٤، وكانت هذه السرية في شهر شوال من سنة ثمان للهجرة، **وقيل بأنها كانت قبل غزوة حنين، وأنها مما شجع هوازن وثقيف على التحضير لمحاربة النبي ﷺ فضلاً عن أنهم وجدوا أنفسهم بعد فتح مكة أمام انتصارات كبيرة للمسلمين، فأرادوا أن ينتصروا لكفرهم وأن يباغتوا المسلمين لإيقافهم عند حدهم، وقد ذكرتها بتمامها قبل غزوة حنين لأنني أميل إلى أن موقعها هناك.**

(٥) ذكرها الدكتور علي الصلابي في كتاب السيرة دروس وعبر، ص١١١٦، وجاء بحديثها الوارد في الصحيحين لكن المشكلة تكمن في عدم وجود ما يثبت أنها كانت في هذه الفترة الزمنية من عُمر الدعوة النبوية تحديداً، أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب سرية عبد الله بن حذافة، ح ٤٣٤٠.

بعضا، ويقولون: فررنا إلى النبي ﷺ من النار، فما زالوا حتى خمدت النار، فسكن غضبه، فبلغ النبي ﷺ، فقال: «لو دخلوها ما خرجوا منها إلى يوم القيامة، الطاعة في المعروف».

- **إسلام عدي بن حاتم الطائي**[1].

أبرز الفوائد والأنوار

- أبرز الفوائد والأنوار في المجال النفسي القيمي السلوكي (التربوي):

- لا تزال آثار ضربات السيوف على أجساد الصحابة رضي الله عنهم تحكي استبسالهم وانغماسهم التام في المعامع مع النبي ﷺ حتى ماتوا.
- تجذرت مسألة الاستجابة التامة لأمر الله ورسوله ﷺ في نفوس الصحابة الكرام، لدرجة أنهم صاروا يرون رؤيا العين واليقين أن الخير كل الخير لا فيما يحوزونه، وإنما في امتثال أمر الله ورسوله، وأن إخفاء أي شيء والتحايل فيه وكنزه، كلُّ ذلك لن يأتي بخير في الدنيا ولا في الآخرة، لأجل ذلك اعتق عمر رضي الله عنه الجاريتين عندما علم بأن النبي ﷺ منَّ على السبايا يوم حنين، دون أن يفكر أو أن يتردد، وما يدري عمر رضي الله عنه لعل تردده يؤدي به إلى الهلاك.
- في كل انفعال من انفعالات النبي ﷺ تظهر لنا بشريته الصادقة، وإلا كيف لا ينفعل ولا يغضب وقد أتاه رجل في غمرة توزيعه لغنائم حنين وسخائه وبذله حتى إنه نسي نفسه ليقول له: اعدل، وإنها قسمة ما أريد بها وجه الله، لذلك تغيَّر وجه النبي ﷺ، وعندها أدرك الراوي (عبد الله بن مسعود) أن ليس كل ما سمع من حديث الناس ينبغي نقله للقائد، لأنه يكفيه ما هو فيه من عنت، فلا داعي لمزيد من التنغيص عليه، ولك أن تنظر كيف أن رسول الله ﷺ قد عانى من هذه الفئة من المجتمع قبل أن تفتح عليه الدنيا، ولكنه عانى منهم أكثر بعدما فتح الله عليه

(١) ذكر ذلك أيضاً الدكتور علي الصلابي في السيرة النبوية دروس وعبر ص١١١٧، وساق ما جاء من حديث القصة في صحيح البخاري، لكنه أيضاً لم يدلل على وقوع تلك الحادثة تاريخياً في هذه الفترة الزمنية تحديداً، وفي قصة إسلام عدي فوائد جمة، وانظرها في صحيح البخاري، كتاب المناقب باب علامات النبوة.

خيبر وحنين.

ومثـــل ما قيل في حكاية هذا الرجل يقال في حكاية الأعرابي الذي رفض البشرى، وكيـــف أن النبي ﷺ تعامل معه بطريق الإهمال، ثـــم أراه أمام ناظريه كيف تكون اســـتجابة الطيبين الكرام أصحاب النفوس الرضية عندما يقول لهم رسول كريم، مرسَل من عند الله، لا ينطق عن الهوى، ولا يخلف ميعاده للناس: أبشروا، فحوَّل النبي ﷺ البشرى إلى غيره لعله يتعلم.

- تجذرت معالم العناية بالنفس البشرية ومراعاة أحوالها في العطاء الســـخي الذي أعطاه النبي ﷺ للقرشـــيين بعد حنين، وقد بيَّن ســـبب ذلك بقوله: لأنهم حديثو عهد بالجاهلية، ويبدو أنهم في الجاهلية كانوا يحصدون مكاسب ومصالح بطرق فاســـدة غير مشروعة هي التي جعلتهم ينافحون طويلاً ضد دين الله تعالى، فهم كانوا أشد خشية وخوفاً على مصالحهم المادية من خوفهم على أصنامهم وآلهتهم التـــي يعبدون من دون الله تعالى، لأجل ذلـــك أظهرت عملية تحطيم أصنام مكة بعد فتحها، على كثرتها وحبهم لها، أظهرت هذه العملية مع عدم إبداء أية مقاومة للدفاع عن الآلهة المزعومة، أن هذه الآلهة لم تكن تمثل لهم تلك القداســـة التي كانـــوا يزعمون، ولو كانت مقدســـة عندهم كما يزعمون لماتوا في ســـبيل الدفاع عنها، ولكن آلهتهم هي نفوسهم وأهواؤهم ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾﴾ الجاثية: ٢٣ فإذا استرضيته وطيَّبت خاطره ولو نسبياً فإنه على الأقل يقف في الحياد عند محاربتك مبدئياً، هذا إن لم يقف معك وينا صرك.

- في مشهد المطاردة التي قام بها أبو موسى رضي الله عنه لذلك الرجل الذي قتل صاحبه أبا عامر رضي الله عنه عند ذات أوطاس، وكيف أن الرجل ولَّى هارباً فاستفز أبو موسى رضي الله عنه الرجل عندما قال له: ألا تستحيي؟ ألست عربياً؟ ألا تثبت؟، فتوقف الرجال وبدأ النزال، فقُتل الرجل، في ذلك كله ما يدلك على الحنكة والحيلة التي اســـتخدمها أبو موسى رضي الله عنه في التأثير على نفس هذا الرجل ليتوقف، وقد علم أن كلماته هذه ســـتوقفه ما دامت لديه بقية نخوة عربية، وهذا مـــا كان، **وفي ذلك مؤشر على أنه**

ليس العربي بالذي يولي وجهه، وإنما العربي هو الذي يتقدم ويقتحم الأهوال وقد يموت، لكنه لا يقبل الدنيَّة والذل، فكيف إن اجتمعت للمرء العروبة والإسلام.

- يظهر لنا من شدة حرص أبي عامر رضي الله عنه في تلك الغزوة على أن يستغفر النبي ﷺ له، طبيعة هذا الرجل وحبه للقاء الله تعالى بصفحة بيضاء، وهذا الذي كان يهمه، لأجل ذلك لما رجع أبو موسى رضي الله عنه وأخبر النبي ﷺ بطلب صاحبه أبو عامر، اهتمَّ النبي ﷺ لأمره كثيراً ودعا له دعاء جميلاً حتى أن الغيرة من تمام وجمال هذا الدعاء قد دبَّت في قلب أبي موسى رضي الله عنه، فطلب مثل ذلك الدعاء، فدعا له النبي ﷺ: اللهم اغفر لعبد الله بن قيس ذنبه، وأدخله يوم القيامة مدخلاً كريماً، فما أجمله من موقف يدلك على تنافس الصحابة، والغبطة التي كانت بينهم حتى فيما بين الحي والشهيد.
- تعد قصة المرأة الأسيرة التي هربت من أسرها على الناقة العضباء، ونذرت إن نجَّاها الله أن تذبح تلك الناقة، ورفض النبي ﷺ تلك الفكرة، وإنكاره على تلك المرأة الجاحدة لحق تلك الناقة عليها، تأديب للنفوس بأن نحفظ الحق والخير لكل من ساهم في جلب النفع أو دفع الضر عنا، حتى لو كان ذلك حيوان لا يعقل، كما أن في ذلك جواز التوقف عن النذر مع دفع الكفارة إن رأينا أن في التوقف عنه خير، وفي الإتيان به أذى، **وللمتشدقين بحقوق الحيوان والرفق به أن يتعلموا من مدرسة محمد ﷺ، ومن هذا المشهد تحديداً أعظم الدروس في الوفاء والرفق.**
- اشتاقت نفس النبي ﷺ إلى الكعبة والعمرة فيها، فما أن رجع من حصار الطائف بعد أن انتهى من توزيع غنائم حنين، إلا ولبس ثياب إحرامه، وقصد ملبياً لله تعالى من الجعرانة التي فيها وزَّع غنائم حنين، ولك أن تنظر كيف تطلعت نفوس الأعراب إلى الغنائم، وتطلعت نفس رسول الله ﷺ إلى الطاعة والعمرة.
- يقول الدكتور منير الغضبان: «لقد كانت عظمة التربية النبوية أن أشعرت هذه القيادات (قيادات الكفر في مكة بعد فتحها) أن عزها بعزِّ محمد ﷺ، وأن شرفها بشرفه بعد أن كانت ترى أن عزها بهزيمته، وشرفها بسحقه والقضاء عليه، ومِن

أجل هذا مضوا على جاهليتهم مع رسول الله ﷺ إلى هوازن، على أمل انتصاره، فيكون انتصاراً لقريش على الأعراب»[1].

- المحن والشدائد هي محكات اكتشاف معادن الرجال، ولا تكاد تخلو فترة من فترات السيرة المستنيرة إلا وفيها مثل هذه المحكات، لأنه لا تزال في النفس بقية من غموض وضبابية حتى يموت صاحبها، والشدائد كاشفات لذاك الغموض.

- أبرز الفوائد والأنوار في المجال الاجتماعي التأثيري التواصلي (الدعوي):

- كان العطاء والهدية، ولا يزال، وسيبقى من أكبر أبواب فتح القلوب المغلقة، وليس أدل على ذلك من قلب صفوان بن أمية رضي الله عنه، وهو يحكي كيف كان النبي ﷺ أبغض الوجوه عنده، فلما أكثر عليه من العطاء لم يملك إلا وأن يكره نفسه التي كرهت هذا الكريم، ومن ثمَّ صار إلى حبه أقرب.
- **كانت أمهات المؤمنين رضي الله عنهن على مسافة قريبة جداً من النبي ﷺ، على الرغم من وجود حجاب يفصل مجلسه عنهن**، بوجود غير محارمهن، ولقد حكت عائشة رضي الله عنها سابقاً يوم مؤتة كيف أنها كانت تراقب النبي ﷺ من صير (ثقب) الباب، وتحكي رواية حديث الرجل الذي رفض بشرى النبي ﷺ كيف أن أم سلمة رضي الله عنها قبلت البشرى دون أن يعرضها النبي ﷺ عليها لأنه لم يرها، لكنها كانت تتبع موقف ذلك الأعرابي الجلف من وراء حجاب، ثم إنها طلبت من بلال وأبي موسى رضي الله عنهما عندما نَادَتْهُمَا مِنْ وَرَاءِ السِّتْرِ قائلة: أَفْضِلا لأُمِّكُمَا مِمَّا فِي إِنَائِكُمَا (وهو إناء البركة والبشرى والخير)، فَأَفْضَلا لَهَا مِنْهُ طَائِفَةً».
- اللهم اهد ثقيفاً... تلك هي الكلمة التي ختم بها النبي ﷺ حصاره لثقيف بعد أن اثخنوا في أصحابه القتل، وكانوا من أشد الناس بأساً في ردع المسلمين، وذلك لأن مطلب النبي ﷺ في هدايته لهم هو الغاية والهدف، فلم يكن النبي ﷺ لينتقم لنفسه على كثرة ما قام به أهل الطائف من إيذاء له في الأول والآخر، فأتى الله تعالى بعد ذلك بأهل الطائف مسلمين.

---

(١) المنهج السياسي للسيرة النبوية، الدكتور منير الغضبان، ص٣٤٥.

- أبرز الفوائد والأنوار في المجال الاقتصادي المعاشي:

- عُرف الأعراب بجلافة الطبع، فكيف وهم يرون الدنيا تلمع بمغانمها وغنائمها يوم حنين أمامهم؟! لأجل ذلك أثقلوا على النبي ﷺ وآذوه وألحوا عليه في الطلب، فكان دفاعه عن نفسه ﷺ وجوابه لهم يمثل قيمة الزهد والتجرد في أبهى معانيها، فهو نبي داعية رسول من عند الله تعالى، يَعرف رسالته وغاية وجوده، وليس هو بجامع مال، يحوز دنيا زائفة، ثم يتركها ويمضي.
- حتى الخُمس الذي هو حصة النبي ﷺ قال بأنه يملك إدارتها، لكنه في المحصلة يرجعها إليهم، بصورة مساعدات نقدية أو عينية وفي ظروف مختلفة.
- في حكاية أبي طلحة رضي الله عنه وحزنه على أنه لم يجد شاهداً يشهد له يشهد أنه قتل ذاك الرجل يوم حنين على الرغم مما وجده أبو قتادة عند قتله لهذا الرجل من شدة وهلع، ما يدلك على أن الصحابة الكرام بشَرٌ من البشر، يخافون من ريح الموت إن أصابتهم وإن كانوا يحبون ما بعد الموت من لقاء ربهم، كما أنهم يحزنون لضياع فرصة من فرص الدنيا، يرون أن لهم فيها حقاً، كما يفرحون لحصولها لهم، ويحدثون الناس بنعمة الله تعالى على ما أفاء لهم من رزق «فأعطانيه، فابتعت به مخرفاً في بني سلمة، فإنه لأول مال تأثلته في الإسلام».
- لما أكثر حكيم بن حزام رضي الله عنه من الطلب، وزاد عليه النبي ﷺ وأفاض من العطاء، احتاجت نفسه إلى درس نبوي عميق يعالج ما كان في نفسه من شُحٍ ورغبة في الزيادة أو طمع أول إسلامه، فكان الدرس المباشر من الحبيب ﷺ، والذي بيَّن له فيه أنه لا بركة مع الطمع والجشع، وعندها أخذ حكيم رضي الله عنه قراراً انسحب عليه طوال حياته حتى مات، بأن لا يسأل الناس شيئاً، وأن لا يأخذ كذلك من أحد حاجة، وهنا ترتبط الناحية النفسية بالناحية المادية، **فإذا حصلت كفاية النفس والروح، وقرَّت العين بما يأتي من رزق الله؛ توقف الطمع والجشع، وحب المتاع والاستكثار من الزاد، فالشبع شبع الروح**، وإلا فكيف يشبع البطن والعين جوعى؟!
- يبدو أن عطاء النبي ﷺ للمؤلفة قلوبهم أمثال صفوان بن أمية وغيره كان من خُمسه وليس من أصل الغنيمة، لأجل ذلك كان لا يعتمد ميزاناً واحداً في ذلك

العطاء، وإنما يقدر لكل إنسان ما به يملأ عينيه، لأجل ذلك لما اعترض عباس بن مرداس على نقص في عطائه مقارنة مع عطاء مَن هم مثله كأبي سفيان وصفوان بن أمية وغيرهما، زاده النبي ﷺ واسترضاه.

- أبرز الفوائد والأنوار في مجال إدارة المواقف والسياسة الشرعية:

- تشير عملية استعارة الدروع لتلك الغزوة من صفوان بن أمية وقد كان كافراً مع قبول النبي ﷺ لبعض طلقاء مكة ممن لم يسلموا بعد أن يخرجوا معه في تلك الغزوة أيضاً، إلى إباحة الاستعانة ببعض الأعداء على بعضهم، واستثمار شيء من الحمية الباقية في النفوس لصالح الجيش المسلم، دون اشتراطات مسبقة.
كما أننا لو تخيلنا بقاءهم في مكة لربما فكَّروا في الانقلاب على أميرها وإعادة الانقلاب على الشرعية فيها، مستمدين نفَساً جديداً من هوازن التي جمعت كل طاقتها لحرب رسول الله ﷺ في حنين.
- من الجدير ذكره أن تنافساً قديماً وشيئاً من البغضاء والكراهية كانت تسود الحالة بين أهل مكة والطائف على الرغم من وجود مصالح مشتركة وعلاقة نسب ومصاهرة بينهم، وعلى الرغم من وقوف ثقيف والطائف مع مشركي مكة في مواقف كثيرة ضد المسلمين، إلا أن خروج أمثال صفوان بن أمية يوم حنين مع النبي ﷺ في مواجهة هوازن وثقيف كان في إطار تداعيات نفسية مختلفة طرأت عليه، فهو وإن كان له بدل المصلحة مصالح عند هوازن وثقيف؛ إلا أنه وهو يرجِّح أن محمداً ﷺ المكي القرشي سينتصر في حنين ما كان له ليخرج في نصرة هوازن، وبالتالي يخوض حرباً خاسرة، وقد ظهرت حقيقة طريقة تفكير العربي العنصري عندما قال صفوان لأحد الرجال الذين استبشروا بهزيمة المسلمين وهم يرونهم يفرون من المعركة في بدايتها: اسكت فض الله فاك، لأن يربُّني (يتأمَّر عليَّ) رجل من قريش، أحب إليَّ من أن يربني رجل من هوازن.
- في استخلاف النبي ﷺ عتّاب بن أسيد على مكة عند ذهابه إلى حنين تأكيد أهمية إدارة شؤون البلاد المفتوحة، وضبط شؤونها، وإلا فإن أهل مكة لا يزالون حديثي

عهد بكفر وجاهلية، ولو فكروا بالأمر لانقلبوا على الشرعية في مكة في غمرة انشغال النبي ﷺ بغزوة حنين، وجدير بالذكر أن عتّاب بن أسيد وهو من الصحابة الشباب صار أميراً على مكة رسمياً حتى بعد رجوع النبي ﷺ إلى المدينة وانتهائه من غزوة حنين.

- انتبهت أم سليم رضي الله عنها إلى أمر فات الرجال، وهو موقف النبي ﷺ ممن فرَّ من الزحف يوم حنين، لاسيما وأنهم قد شكَّلوا خطراً كبيراً على الجيش المسلم وجعلوا العدو ينفرد برسول الله ﷺ، وقد أشارت أم سليم إلى هؤلاء بأصبع الاتهام وهم بعض الطلقاء ممن تبعوا النبي ﷺ طمعاً في الغنيمة يوم حنين، فكانت نظراتها ثاقبة واقتراحها معقولاً بأن يقتصَّ منهم النبي ﷺ ويعاقبهم لارتكابهم كبيرة الفرار من الزحف، **ولكن السياسة الشرعية في هذا الموقف تقتضي العفو الكبير من القائد الكبير، وبدلاً من أن يعاقبهم زاد لهم في العطاء عند توزيع الغنائم، فما وجدت نفوسهم بعد ذلك إلا وأن يحسنوا توبتهم وإسلامهم، ويسلكوا مسالك الفداء الصادق للإسلام.**
- حمل اعتراض الأنصار على توزيع الغنائم وجهة نظر سليمة، ليس لأجل أن النبي ﷺ أعطى المهاجرين وحرمهم، بل لأنه أعطى كذلك الطلقاء وأفاض عليهم وأكرمهم، ومنهم من لم يكن مسلماً بعد «فقسم في المهاجرين والطلقاء، ولم يعط الأنصار شيئاً، فقالت الأنصار: إذا كانت الشدة فنحن نُدعى، وتُعطى الغنائم غيرنا!!، فاحتاج الأمر إلى بيان من القائد، وكان جديراً بالأنصار ألا يثيروها بينهم بشكل داخلي فحسب، ليصل خبر هذه الكلمات إلى النبي ﷺ بطريق الوحي لا بطريقهم.
- **استخدم النبي ﷺ استراتيجية توفير البديل الأتم والأكمل، وإلجام القلوب والعقول عن مجرد التفكير بما هو أحسن في إدارته لأزمة اعتراض الأنصار على توزيع الغنائم يوم حنين، ولاشك أنهم سيقولون بأن نبي الله بينهم ومعهم خير من الغنائم الفانية**، كما استخدم أسلوب الإشباع التام لهم، وترك أي حاجة في نفوسهم للغنيمة الدنيوية الفانية، ما دام أن النبي ﷺ قد اختار طريقهم، وكانت

آخر استراتيجياته في معالجة تلك الأزمة ببيان الحكمة من إعطاء الطلقاء، وهي رغبة منه بتأليف قلوبهم، وفي ذلك نزل مصرف المؤلفة قلوبهم في الزكاة.

- بينت قصة شجرة ذات أنواط طبيعة مَسلمة الفتح، وكيف أنهم لا يزالون يعتنقون آثاراً من آثار الجاهلية، ثم حكت موقف الرسول ﷺ الراسخ في ذلك لما يمثله هذا الفكر من تشابه مع أفكار يهود الأولين، لأجل ذلك حسم الأمر بردِّ طلبهم في أن يجعل لهم ذات أنواط كما للمشركين ذات أنواط، وبالنظر في طبيعة مَسلمة الفتح كان ينبغي توقُّع نتيجة أول حرب يخوضونها مع النبي ﷺ، وهم لم يمض على إسلامهم بعدُ إلا أياماً قليلة، فقد انهزموا وثبت الرسول الكريم حتى لا يكون لهم على الرسول الكريم مِنَّةً وفضلاً، ولكنَّ الله سلَّم.
- صحيح أنه لم تبق امرأة من هوازن إلا وخرجت في الجيش يوم حنين، وإن كانوا في مؤخرة الجيش، إلا أن النبي ﷺ قد أبدى استنكاره لمقتل واحدة من نسائهم رآها مقتولة في ذلك الموقف، ولكن ينبغي التدقيق في صيغة الاستنكار النبوي لمقتل تلك المرأة، فهو كان واضحاً بما يوحي بأن منع قتل النساء ليس على إطلاقه، وإنما قال: ما كانت هذه لتقاتل، وهذا يعني أنه إن ثبت أنها كانت تقاتل فلا حرج من قتلها.
- أكد ثبات النبي ﷺ في المعمعة يوم فرَّ من فرَّ منها ما لثبات القائد في ساعات الحسم من أثر بالغ في إعادة المياه إلى مجاريها الطبيعية، وانقلاب السحر على الساحر، وتحول الهزيمة إلى نصر.
- **كيف أدار النبي ﷺ موقف إعادة السبي لهوازن بعد إعلان إسلامها؟**

١. خيَّرهم بين أخذ السبي أو المال، فاختاروا السبي.
٢. بيَّن لهم أنهم قد تأخروا كثيراً، حتى تم التوزيع للغنائم والسبي، بحيث صار الحق في ذلك كله لمن أخذه ممن شارك في تلك الغزوة بحقه، على الرغم من أنه ﷺ كان يشعر بأنهم سيأتوه مسلمين فعمد إلى تأخير توزيع الغنائم لكنهم تأخروا ثم جاءوا.
٣. تخيير المسلمين في ردِّ السبي لهوازن بعد البيان بأن هوازن قد أسلموا.

٤. الطلب من عرفاء الناس وأمرائهم أن يأتوا بإحصائيات تبين من يريد أن يسخو بفيئه لأجل الله تعالى، ومن يريد أن يقرض هذا الفيء للنبي ﷺ في مقابل أن يرده النبي ﷺ عليه في أول غزوة قادمة.

٥. قبول السماحة من نفس طيبة عن جميع سبايا يوم حنين، بأن ترد إلى أهلها الذين أصبحوا من المسلمين.

- أبرز الفوائد والأنوار في المجال الأمني العسكري:

- حكت آية من كتاب الله تعالى السبب الأبرز في فشل المسلمين في الجولة الأولى من غزوة حنين ألا وهو الإعجاب بالقدرات العددية للجيش ﴿إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾﴾ التوبة: ٢٥
- بينت الآية الحالة التي وصل إليها أفراد الجيش وهم ينهزمون، حتى ضاقت عليهم الأرض بما رحبت.
- كلما امتد نشاط الدولة المسلمة وزاد انتشارها؛ توسعت دائرة المتربصين بها، وإلا فما كان لهوازن وثقيف أن تجمع الجموع لمقاتلة رسول الله ﷺ قبل فتحه لمكة فلما فتح الله تعالى له مكة شعرت هوازن بأن الخطر بات يتهددها، فما برح النبي ﷺ يفرح هو وأصحابه بالفتح إلا وقد جاءهم نبأ تجهيز هوازن وثقيف لهم لمقاتلتهم في حنين، ففتحُ مكة كان في العشرين من رمضان، وحنين كانت في العاشر من شوال من السنة الثامنة للهجرة.
- **مع توسع الفتوحات تصبح المسؤولية أكبر للحفاظ على المكتسبات، ومن ثمَّ يصبح من المهم أن يأخذ الجيش بأسباب مادية أكثر من ذي قبل، لأجل ذلك استعار النبي ﷺ أدرعاً من صفوان بن أمية لتلك الغزوة.**
- التبشير من القائد كان ولا يزال يرافق النبي ﷺ في جميع غزواته، ومن هنا قال ﷺ: تلك غنيمة المسلمين غداً إن شاء الله، ولكن يبدو أن بعض الأصحاب رضي الله عنهم لما سمعوا هذا الكلام اتكلوا، فلم يُحكموا خطتهم، ولم يحزموا خطواتهم،

واعتدُّوا بعددهم وعدتهم، فغُلبوا وانهزموا وهربوا، لولا أن الله تعالى سلَّم، فعادوا واجتمعـوا ثم انتصروا، **وهذا يعني ضرورة الحذر والاقتصاد عند صرف البشريات في المعامع والأزمات.**

- ومثل التبشـير كذلك الأخذ بأسـباب الحراسـة وتكليف أنس بن أبي مرثد بها، باختياره وتحديد مهمته والتشـديد عليها، ثم قيامه بالمهمة على أكمل وجه، فقال له النبي ﷺ كلمة تحفيـز عظيمة لما رأى من اتقانه في واجبه بعد أن خشي النبي ﷺ أن يكون قد قصَّر فيه فقال له: قد أوجبتَ، فلا عليك أن لا تعمل بعدها، ليؤكد بعد ذلك على قيمة وشرف الحراسـة والرباط في سـبيل الله، مع أهمية المبادرة والذاتية بالنسبة للمرابط.
- **ومـع الدعاء ب (اللهم نزِّل نصرك) تكتمل عوامل النصر الثلاثة المشـتركة في كل غزوة (دعاء وابتهال+ حراسة وأمن + تبشير وتفاؤل).**
- وكذلك إرسال العيون للاستطلاع لأنه في ضوء حركة العدو يمكن للقائد العسكري أحياناً أن يبني خطته بين هجوم أو دفاع.
- لما حمـي الوطيس ووقع المسـلمون في كمين هوازن وثقيـف، ولم يبق حول النبي ﷺ سوى القليل من الرجال؛ كانت تلك أكثر اللحظات حرجاً ولو استسلم الرسـول الكريم لانتهت الغزوة، ولما قامت بعدها للإسـلام قائمة، ولكن النصر صبر لحظات، مع شيء من إعادة ترتيب ولملمة الصفوف، وقد استخدم النبي ﷺ للملمة الصفوف أسـلوب إثارة الحمية والتحفيز الخاص، بعيداً عن العموميات المفتوحة، فلم ينادِ المسـلمين عموماً، بل نادى أصحاب البيعة، وكأنه لم يبايعهم لأجل يوم الحديبيـة التي لم يحصل فيه قتال، بقدر ما كانت بيعته لهم لأجل هذا الموقف، ثم نادى في الأنصار على حِدة، وفي المهاجرين على حِدة، **وحتى يؤكد استراتيجية لملمة الصفوف أخذ يذكِّر المسلمين بأنه هو النبي حقاً، كما أخذ يذكر أبناء عشيرته من مَسـلمة الفتح ومَن معهم بأنه ابن عبد المطلب، ولم يسبق للنبي ﷺ أن استخدم هذه الاستراتيجية من قبل، ولكن خطورة الموقف دعته لذلك.**
- أعطـى اللـه تعالى أنبياءه طاقـات إضافية عـن طاقاتنا نحن البـشر، حتى وإن

كانـــوا بشراً مثلنا لكنهم لم يكونوا ليســـتخدموا تلك الطاقات إلا في حدود ضيقة ومحـــدودة، وذلك حتى لا يخرج النبي عن طبيعته البشرية، بحيث يتكلَّ أصحابه ومَن حوله على تلك الطاقات الخارقة، فيقعدوا عن العمل والدعوة والجهاد، ولو علم الصحابة أن حسم غزوة حنين ســيكون بحفنة تراب يلقيها الرسول ﷺ على المشركين فتصيبهم وينهزموا ما تقدموا لتلك المهلكة ابتداءً، بل لو علم النبي ﷺ نفســه أن إدارة الموقف ستنتهي بتلك الحركة ما كان لينتظر حتى يصير المسلمون إلى مـــا صاروا إليه ثم يقـــوم بفعلها، يقول العباس رضي الله عنه وهو الشـــاهد يوم حمي الوطيـــس: «فو الله ما هـــو إلا أن رماهم بحصياته، فما زلـــت أرى حدهم كليلاً، وأمرهم مدبراً».

- مثلما يتجرأ بعض الصحابة فيخترقون صفـــوف الأعداء ليعرفوا أخبارهم، كذلك يبعث الأعداء من يعيش بيننا ويأكل على موائدنا ليســـمع من أخبارنا، وما حكاية الجاســـوس الذي اقترب من مائدة الصحابة وتغدى معهـــم عنا ببعيد، لكن فطنة الصحابة الكرام جعلتهم يشـــكون في أمره، ويبدو أنه خاف فزاد خوفه من شكوك الصحابة حوله، فهرب، وكانت الملاحقة، ومعلوم أن خير الرجالة في ذلك سلمة، وما كان له أن يفلت من ســـلمة الذي بقي يطارده حتى أتى برأسه للنبي ﷺ فأكرمه وأعطاه سلبه أجمع، فرضي الله عن سلمة وسائر الصحابة أجمعين.

هذا يعني شدة العزم والحزم لتحقيق الإثخان الموجع في الأعداء بحيث لا يعودوا لمثلها هم ولا مَن وراءهم من المشركين.

- عندما يُســـأل الصحابي عن الفرار يوم حنين ويجيب بـــأن النبي ﷺ لم يفر، فإن ذلك إشارة منه إلى ثبات النبي ﷺ من جهة، وهذا الثبات يحكي ثبات أصحابه بل أمته كلها، ولكنه يســـكت عن الإجابة عن أحوال غير النبي ﷺ في ذلك الموقف المهيب، وفي ذلك إشـــارة تفيد تأكيد أن فراراً كثيراً قد حصل في ساعة شدة، ولا حول ولا قوة الا بالله.

- **قررت أم ســـليم من خلال حملها للخنجر يوم حنين مبدأ الدفاع عن النفس، وهذا أقـــل ما ينبغي أن يتـــدرب عليه جميع أفراد المجتمع المســـلم؛ صغيرهم وكبيرهم**

ذكرهم وأنثاهم كحدٍّ أدنى، وذلك للوقاية من ميتة النعاج، كما حكت بموقفها ذاك أن للمرأة المسلمة أن تشارك في المعامع بما تقدر عليه من ألوان المشاركة بقصد الدفاع والمقاومة.

- لخصت رواية البراء بكلمات معدودة الذي جرى في الغزوة من الناحية العسكرية من أولها إلى آخرها حين قال: «كانت هوازن رماة، وإنَّا لما حملنا عليهم انكشفوا، فأكببنا على الغنائم، فاستقبلنا بالسهام».
- منذ أن حسم الله تعالى للنبي ﷺ شأن حنين استمر في ملاحقة العدو والإثخان فيهم، **وهذه استراتيجية عسكرية لم تفارق رسول الله ﷺ في معظم غزواته، وكان يراها متممة للنصر، ومرغمة لأنوف الأعداء ومَن وراءهم، وكان إذا خشي التقدم أكثر لبث في ديار العدو أو في أرض المعركة أياماً بعد الانتهاء منها قبل أن يغادرها.**
- **انحسار عدد قتلى هوازن أثناء الغزوة، وتضاعف العدد عند الانهزام يدلك على أن الهزيمة شرٌّ كلها، لاسيما في حالة تخطيط سيء للمعركة قام به قائد جيش هوازن،** إذ صفَّ الناس صفوفاً وأشرك الجميع معه في الحرب، بحيث صارت عملية الفرار من جيش المسلمين أكثر تعقيداً مما لو كان ترتيب جيشه بشكل مختلف، أما عدد شهداء المسلمين فهم لم يزيدوا على أربعة على الرغم من كثرة الجراح فيهم، فهذا يدل على أنه حتى في الجولة الأولى من الغزوة لم يتمكن المشركون من تحقيق الإثخان في صفوف المسلمين، وهذا يعني أن الفرار مع العودة كان له فضل في حماية الصف المسلم من كثرة القتل فيه، هذا بعد التأكد من العودة، من باب الكرِّ ثم الفرِّ، وإلا فإن فراراً بلا عودة خسارة كبرى، حتى لو لم يسقط في تلك الحالة قتيل واحد.
- لم يكن النبي ﷺ حريصاً على فتح الطائف عنوة على أهلها، وكان يود لو أن أهل الطائف يأتون مسلمين، وعلى الرغم من ذلك جرى على عادته في الإثخان واللحاق بالأعداء حتى بلوغ حصونهم، لكنَّ استعصاء حصن الطائف جعل النبي ﷺ يأمر أصحابه بالعودة عنه، ولعل في هذا الأمر ما أثار حماسة الصحابة في البقاء عند الحصن مرابطين حتى يفتحه الله عليهم، **وهذا من باب التحفيز بالمنع،**

فأعطاهم النبي ﷺ ما سألوه من البقاء عند الحصن، ولكن لما زادت الجراح بهم، وصار مشهد فتح حصن الطائف أكثر تعقيداً، وكان رسول الله ﷺ لا يزال لم يوزع غنائم حنين بعد التي تركها في الجعرانة وقد جاء الصحب إليه يطلبون ترك حصن الطائف والعودة للمدينة عندها ضحك النبي ﷺ ضحكة بيَّن لهم فيها أن ما أمرهم به بالأمس من العودة والرجوع خير من تلك الحماسة التي لم تقدم شيئاً.

- قاتل أهل الطائف بشراسة حول حصنهم، على الرغم من استخدام النبي ﷺ في ذلك القتال وسائل غير تقليدية، إلا أن الرد من أهل الحصن كان أشد وأقوى، ما أدى إلى استشهاد عدد هو أكثر من الذين استشهدوا يوم حنين، في حين لم يُصب من المشركين إلا ثلاثة، ولعل تزاحم المعارك على النبي ﷺ وأصحابه هو الذي أفقدهم القدرة والتركيز يوم حصار الطائف، **فمِنْ فتح مكة إلى حنين ومنها إلى أوطاس ثم إلى الطائف، يا لها من رحلة شاقة ومتعبة، لأجل ذلك كان من الحكمة الانسحاب عن الحصن، وقد حقق الرباط حول الحصن شيئاً من أهداف الردع لثقيف.**
- من أروع ما جاء في باب التحفيز على الرماية والجهاد في سبيل الله ما كان من النبي ﷺ يوم حصار الطائف: «من رمى بسهم في سبيل الله فله درجة في الجنة»، وقد تفاعلت نفوس الصحابة رضي الله عنهم مع هذا الحافز، حتى حاز أبو نجيح الأسلمي ستة عشر درجة في الجنة.
- يقول اللواء محمد فرج: «والمنجنيق الذي استخدمه النبي ﷺ أثناء حصاره للطائف كان ذا أثر فعال، لأن المنجنيق بحجارته تُهدم الحصون والأبراج، وبقنابله تُحرق الدُّور والمعسكرات، وهذا النوع يحتاج إلى عدد من الجنود في إدارته، واستخدامه عند القتال»[1].
- ذكر الشيخ سعيد حوى رحمه الله من نتائج غزوة تبوك: «توسعت الدولة الإسلامية وامتد نفوذها، وأصبح لرسول الله ﷺ أمراء في مكة وعلى قبيلة هوازن، وصارت تلك الأماكن جزءاً من الدولة الإسلامية، وتم تأمين القوافل الدعوية، وأخذت

(١) السيرة النبوية دروس وعبر، د. علي الصلابي، ص١٠٩٣.

حركة السرايا تستهدف الأوثان والأصنام لهدمها، وأصبح استئصال وجودها من الجزيرة سهلاً، ونظم رسول الله فريضة الزكاة، فكلَّف مَن يقوم على جمعها من القبائل التابعة للدولة»[1].

مكتبة t.me/ktabrwaya

(١) الأساس في السنة وفقهها في السيرة النبوية، سعيد حوى، ط دار السلام، مصر، ٢/ ٩٦١.

غزوة تبوك وعام الوفود[1]

وما يزال الانتصار يدفع إلى انتصار بعده، ويغري مسيرة الدعوة بمزيد من التقدم في الأرجاء، ليس بهدف القتل والبطش والاقصاء، وإنما بقصد نشر السعادة والطمأنينة والأمن بالإيمان في الأرجاء، لأجل ذلك كانت تبوك، ولما تحقق هدفها وأيقن الأعراب ومَن وراءهم بقوة الإسلام وعظيم فضله وعدله؛ أخذوا يتوافدون على المدينة، ليبايعوا قائد الدعوة، **فلا مكان لشاذٍّ أو غريب أو مختلفٍ متخلِّفٍ عن سرب التوحيد الكبير.**

- **وقتها:** يقول ابن حجر رحمه الله: «كانت غزوة تبوك في شهر رجب **من سنة تسع قبل حجة الوداع بلا خلاف**»[2].
- **سبب تسميها بالعسرة:** ذكر القرطبي في تفسيره لقوله تعالى: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾﴾ التوبة: ١١٧، أي وقت العسرة، والمراد جميع أوقات تلك الغزوة، ولم يرد ساعة بعينها، وقيل: ساعة العسرة أشد الساعات التي مرت بهم في تلك الغزاة، والعسرة صعوبة الأمر»[3].
- **سبب الغزوة:** اختلف المحققون في سببها بين مَن قال بأن أخباراً جاءت تفيد بأن الروم يجمعون للهجوم على المدينة، وبين مَن قال هي لرد الاعتبار عما جرى في مؤتة ولمنع الروم من التوغل إلى الجزيرة، وقيل بل هي من باب مقاتلة الذين يلون الدولة المسلمة من الكفار، ولفتح آفاق جديدة لنشر الدعوة الإسلامية[4].

---

(١) تبوك موضع بين وادي القرى والشام، وهي تبعد عن المدينة المنورة ٧٧٨ كيلو، وكانت من ديار قضاعة التابعة لسلطان الروم.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، ٨/ ١١١.

(٣) تفسير الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ٨/ ٢٧٨، ومما يميز هذه الغزوة وغزوة مؤتة التي وقعت قبلها بستة أشهر تقريباً أن وجهتهما كانت إلى الروم ونصارى العرب، لا إلى يهود وإلى القبائل العربية المشركة كمثل الغزوات التي قبلهما.

(٤) ناقشت الأستاذة فاطمة الحوالي في كتابها: غزوة تبوك دراسة دعوية، سبب الغزوة وتعرضت لكثير من الأسباب المدَّعاة، ومنها ما قاله الشيعة من أن سببها رغبة النبي ﷺ الانتقام من الروم على ما جرى من قتل لأصحابه

- **تربُّص غزو الروم للمدينة:** روى ابن عباس رضي الله عنهما قال: «... وكان لي صاحب من الأنصار إذا غبتُ (يعني عن مجلس النبي ﷺ) أتاني بالخبر، وإذا غاب كنتُ أنا آتيه بالخبر، **ونحن نتخوف مَلكاً من ملوك غسان ذُكر لنا أنه يريد** أن يسير إلينا، فقد امتلأت صدورنا منه، فإذا صاحبي الأنصاري يدقُّ الباب فقال: افتح افتح، فقلتُ: **جاء الغساني؟!**»[1].

التحضير المعلن للغزوة:

- **الحث على التجهيز للغزوة:** قال ﷺ: «**من جهَّز جيش العسرة فله الجنة**، فجهزهم عثمان»[2]، إذ جاء بألف دينار فصبها في حجر النبي ﷺ، والنبي ﷺ يقول: «**ما ضرَّ ابن عفان ما عمل بعد اليوم، يرددها مراراً**»[3].

وجاء خيثمة الأنصاري بصاع تمر فلمزه المنافقون[4]، وجاء أبو عقيل بنصف صاع من تمر فقال المنافقون: إن الله لغني عن صدقة هذا، وما فعل هذا الآخر إلا رياء، فنزلت: ﴿ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٩﴾﴾ التوبة: ٧٩»[5]

- **وقفة في تفسير هذه الآية:** قال الإمام الشوكاني: «إن المنافقين كانوا يعيبون

يوم مؤتة خصوصاً قتلهم لجعفر رضي الله عنه، وانظر كتابها النافع، ط١، ٢٠٠١م، ط جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، في المقدمة، وذكر الشيخ الندوي في كتابه السيرة النبوية ص ٣٦٩، أن من أسباب الغزوة الرغبة في إدخال الرعب في قلوب القبائل العربية التي لم تدخل في الإسلام في جزيرة العرب والقبائل العربية المتنصِّرة الخاضعة لنفوذ الامبراطورية الرومانية.

(١) أخرجه البخاري، كتاب التفسير، باب تفسير سورة التحريم، ح ٤٦٢٩، وقد جاء الشيخ الندوي في كتابه السيرة النبوية ص ٣٦٨، بهذا الحديث ليدلل على أن المسلمين ما خرجوا لتبوك إلا لردع من تسوِّل لهم أنفسهم التمادي على المدينة ودولة الاسلام.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب المناقب، مناقب عثمان، وقد أتى به هنا معلقاً ووصله في كتاب الوقف، ح ٣٤٢٩.

(٣) أخرجه أحمد ٥/ ٥٣، وقال الدكتور العمري في السيرة النبوية الصحيحة ص٥٨٦: يبدو أنه صالح للاعتبار ويقوى بغيره إلى الحسن.

(٤) أخرجه البخاري، كتاب التفسير، باب سورة براءة، ح ٤٣٩١.

(٥) أخرجه الطبري في التفسير ١٠/ ١٩٧، بإسناد قال فيه الدكتور العمري في السيرة النبوية الصحيحة بأنه صحيح.

المسلمين إذا تطوّعوا بشيء من أموالهم وأخرجوه للصدقة، فكانوا يقولون: ما أغنى الله عن هذا، ويقولون: ما فعلوا هذا إلا رياء، ولم يكن لله خالصاً، و { فِي ٱلصَّدَقَٰتِ } متعلق بيلمزون: أي يعيبونهم في شأنها، قوله: { وَٱلَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ إِلاَّ جُهْدَهُمْ } معطوف على المطوّعين: أي يلمزون المتطوّعين، ويلمزون الذين لا يجدون إلا جهدهم؛ وقيل: معطوف على المؤمنين: أي يلمزون المتطوّعين من المؤمنين، ومن الذين لا يجدون إلا جهدهم، وقرىء «جَهدهم» بفتح الجيم، والجُهد بالضم الطاقة، وبالفتح المشقة، وقيل: هما لغتان ومعناهما واحد»[1].

- وروى أبو موسى رضي الله عنه قال: «أرسلني أصحابي إلى رسول الله ﷺ أسأله الحملان لهم، إذ هم معه في جيش العسرة، وهي غزوة تبوك فقلت: يا نبي الله، إن أصحابي أرسلوني إليك لتحملهم، فقال: **والله لا أحملكم على شيء، ووافقتُهُ وهو غضبان، ولا أشعر.**

ورجعتُ حزيناً من منع النبي ﷺ، ومن مخافة أن يكون النبي ﷺ وجد في نفسه عليَّ، فرجعت إلى أصحابي، فأخبرتهم الذي قال النبي ﷺ، فلم ألبث إلا سويعة، إذ سمعت بلالاً ينادي: أي عبد الله بن قيس، فأجبته، فقال: أجب رسول الله ﷺ يدعوك، فلما أتيته قال: خذ هذين القرينين، وهذين القرينين، لستة أبعرة ابتاعهن حينئذ من سعد، فانطلق بهن إلى أصحابك، فقل: إن الله أو قال إن رسول الله ﷺ يحملكم على هؤلاء، فاركبوهن، فانطلقت إليهم بهن.

فقلت: إن النبي ﷺ يحملكم على هؤلاء، ولكني والله لا أدعكم حتى ينطلق معي بعضكم إلى من سمع مقالة رسول الله ﷺ، لا تظنوا أني حدثتكم شيئاً لم يقله رسول الله ﷺ، فقالوا لي: والله إنك عندنا لمصدَّق، ولنفعلنَّ ما أحببت، فانطلق أبو موسى بنفر منهم حتى أتوا الذين سمعوا قول رسول الله ﷺ منعه إياهم، ثم إعطاءهم بعد، فحدثوهم بمثل ما حدثهم به أبو موسى»[2].

- **مواقف المنافقين:** لم يكتف المنافقون بالهمز واللمز لكل مُنفقٍ ومتصدقٍ وداعمٍ

---

(١) تفسير فتح القدير، الإمام الشوكاني، ص٥٥٤.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة تبوك، ح ٤١٥٣.

لجيش العسرة، بل كان لهم دَورين قبيحين آخرين هما:

١. **التخلف عن الالتحاق بجيش العسرة مع تحضير الأعذار الواهية:** قال تعالى: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَتَعْلَمَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٤٣﴾﴾ التوبة: ٤٣ **وذلك بعد أن قالوا** ﴿فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓا۟ أَن يُجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُوا۟ لَا تَنفِرُوا۟ فِى ٱلْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُوا۟ يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾﴾ التوبة: ٨١ ﴿سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا فَٱسْتَغْفِرْ لَنَا ۚ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُم نَفْعًا ۚ بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١١﴾﴾ الفتح: ١١.

٢. **قيامهم ببناء مسجد الضرار أثناء تجهيز النبي ﷺ لجيش العسرة:** وذلك بقصد جمع أوباش الناس، وبغية التفريق بين المؤمنين، وقيل إنهم دعوا النبي ﷺ للصلاة فيه تمويها على الناس فنهاه الله تعالى عن ذلك، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًۢا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُ ۚ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٠٧﴾﴾ التوبة: ١٠٧ [1].

- **وقفة في تفسير هذه الآية:** قال الإمام القرطبي: «في قوله تعالى: {وَتَفْرِيقاً بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ} أي يفرّقون به جماعتهم ليتخلف أقوام عن النبيّ ﷺ، وهذا يدلك على أن المقصد الأكبر والغرضَ الأظهر من وضع الجماعة (والجامع) تأليفُ القلوب والكلمة على الطاعة، وعقدُ الذّمام والحرمة بفعل الدّيانة حتى يقع الأنس بالمخالطة، وتصفو القلوب من وَضَر الأحقاد»[2].

وروى ابن عباس رضي الله عنهما قال: (والذين اتخذوا مسجدا ضرارا) وهم أناس من الأنصار ابتنوا مسجداً، فقال لهم أبو عامر: ابنوا مسجدكم، واستعدوا بما استطعتم

---

(١) وانظر تفسير جامع البيان للطبري ١١/ ٢٣- ٢٤، **بل إن أعمال المنافقين استمرت حتى لحظة رجوع النبي ﷺ من تبوك إذ حاول بعضهم تنفير دابة النبي ﷺ في إحدى الثنايا لتطرحه، ففطن لهم، وأمر بإبعادهم،** وانظر مسند أحمد ٥/ ٣٩٠، بإسناد حسن.

(٢) تفسير الجامع لأحكام القرآن، الإمام القرطبي، ٧/ ٣٢١.

من قوة ومن سلاح، **فإني ذاهب إلى قيصر ملك الروم، فآتي بجند من الروم، فأخرج محمداً وأصحابه**، فلما فرغوا من مسجدهم أتوا النبي عليه الصلاة والسلام فقالوا: قد فرغنا من بناء مسجدنا، **فنحب أن تصلي فيه، وتدعو لنا بالبركة**، فأنزل الله فيه: ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٩﴾﴾ التوبة: ١٠٨ - ١٠٩ [1].

٣. **مكائد جاهزة:** روى أبو الطفيل قال: «كان بين رجل من أهل العقبة[2] وبين حذيفة بعض ما يكون بين الناس، فقال: أنشدك بالله كم كان أصحاب العقبة؟ قال فقال له القوم: أخبره إذ سألك، قال: كنا نخبر أنهم أربعة عشر، فإن كنت منهم فقد كان القوم خمسة عشر، **وأشهد بالله أن اثني عشر منهم حربٌ لله ولرسوله في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد**، وعذر ثلاثة، قالوا: ما سمعنا منادي رسول الله ﷺ، ولا علمنا بما أراد القوم، وقد كان في حَرة فمشى، فقال: إن الماء قليل فلا يسبقني إليه أحد، فوجد قوماً قد سبقوه فلعنهم يومئذ»[3].

- **إمارة المدينة لعلي** رضي الله عنه: روى سعد رضي الله عنه «أن رسول الله ﷺ خرج إلى تبوك، واستخلف علياً، فقال: أتخلفني في الصبيان والنساء؟ قال: **ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه ليس نبي بعدي**»[4].
- **وقت الخروج:** روى عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن أبيه رضي الله عنه «أن النبي ﷺ

---

(١) أخرجه الطبري في التفسير، ١١/ ٢٤، وذكره الشيخ ابراهيم العلي في صحيح أسباب النزول برقم: ٢١٢، وقال: الحديث صحيح لغيره.

(٢) قال الإمام النووي: «وهذه العقبة ليست العقبة المشهورة بمنىً، التي كانت بها بيعة الأنصار رضي الله عنهم، وإنما هذه عقبة على طريق تبوك، **اجتمع المنافقون فيها للغدر برسول الله ﷺ في غزوة تبوك، فعصمه الله منهم**» المنهاج شرح صحيح مسلم، ج١٧/ ١٢٤، وحذيفة رضي الله عنه هو أمين سر النبي ﷺ، و(ملف) المنافقين كان بين يديه.

(٣) أخرجه مسلم، كتاب صفات المنافقين، باب صفات المنافقين وأحكامهم، ح٦٩٦٨.

(٤) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة تبوك، ح ٤١٥٤.

خرج يوم الخميس في غزوة تبوك، **وكان يحب أن يخرج يوم الخميس**»[1].

- **افتخار بعض من شارك فيها ومواقف يذكرونها فيها:** روى صفوان بن يعلى بن أمية عن أبيه قال: «غزوتُ مع النبي ﷺ العسرة، قال: كان يعلى يقول: **تلك الغزوة أوثق أعمالي عندي**»[2].

في الطريق إلى تبوك:

- **بركة دعاء النبي ﷺ:** روى عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: «خرجنا إلى تبوك في قيظ شديد، فنزلنا منزلاً أصابنا فيه عطش شديد، حتى أنه كان الرجل لينحر بعيره فيعصر فرثه فيشربه، ويجعل ما بقي على كبده، فقال أبو بكر الصديق: **يا رسول اللّه إن اللّه عوّدك في الدعاء خيراً، فادع اللّه لنا**، قال: «أتحب ذلك؟» قال: نعم، فرفع رسول اللّه ﷺ يديه، ودعا، فلم يرجعهما حتى قالت (تغيرت ونشطت بها حركة الغيوم) السماء فأظلت، ثم سكبت فملؤوا ما معهم، **ثم ذهبنا ننظر فلم نجدها جاوزت العسكر**»[3].

- **البركة في الطعام، والمشورة النافعة:** روى الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة أو عن أبي سعيد (شك الأعمش) قال: «لما كان غزوة تبوك أصاب الناس مجاعة.

قالوا: يا رسول الله، لو أذنت لنا فنحرنا نواضحنا، فأكلنا وادَّهنا.

فقال رسول الله ﷺ: افعلوا.

قال: فجاء عمر، فقال: يا رسول الله، **إن فعلتَ قلَّ الظهر، ولكن ادعهم بفضل أزوادهم، ثم ادع الله لهم عليها بالبركة، لعل الله أن يجعل في ذلك.**

فقال رسول الله ﷺ: نعم.

قال: فدعا بنطع فبسطه، ثم دعا بفضل أزوادهم، قال: فجعل الرجل يجيء بكف

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب من أراد غزوة فورى بغيرها، ح ٢٩٥٠.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة تبوك، ح ٤١٥٥.

(٣) أخرجه ابن حبان في موارد الظمآن، ح١٧٠٧، وذكره الشيخ ابراهيم العلي في صحيح السيرة برقم ٧٥٩، وقال: هو صحيح، والله أعلم، وقد ذكر ابن اسحاق في رواية له **أن منافقاً رأى هذه الآية وفيها بركة النبي ﷺ فقيل له، فقال: سحابة مارة (يقصد أنها صدفة)**، وانظر سيرة ابن هشام ٢/ ٢٥٢٢.

ذرة، قال: ويجيء الآخر بكف تمر، قال: ويجيء الآخر بكسرة، حتى اجتمع على النطع من ذلك شيء يسير.

قال: فدعا رسول الله ﷺ عليه بالبركة، ثم قال: خذوا في أوعيتكم، قال: فأخذوا في أوعيتهم حتى ما تركوا في العسكر وعاءً إلا ملئوه.

قال: فأكلوا حتى شبعوا، وفضلت فضلة، فقال رسول الله ﷺ: أشهد أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله، لا يلقى الله بهما عبد غير شاكٍّ فيُحجب عن الجنة»[1].

- **وقفات نبوية على الطريق (١) (في حديقة امرأة، هبوب الريح، كتاب صاحب أيلة، خير دور الأنصار):**

- روى أبو حميد قال: «خرجنا مع رسول الله ﷺ غزوة تبوك، فأتينا وادي القرى على حديقة لامرأة فقال رسول الله ﷺ: اخرصوها فخرصناها، وخرصها رسول الله ﷺ عشرة أوسق، وقال: أحصيها حتى نرجع إليك إن شاء الله.

وانطلقنا حتى قدمنا تبوك، فقال رسول الله ﷺ: ستهبُّ عليكم الليلة ريح شديدة، فلا يقم فيها أحد منكم، فمن كان له بعير فليشد عقاله، **فهبت ريح شديدة، فقام رجل، فحملته الريح حتى ألقته بجبلي طيء.**

وجاء رسول ابن العلماء صاحب أيلة إلى رسول الله ﷺ بكتاب، وأهدى له بغلة بيضاء، فكتب إليه رسول الله ﷺ، وأهدى له برداً، ثم أقبلنا حتى قدمنا وادي القرى، فسأل رسول الله ﷺ المرأة عن حديقتها كم بلغ ثمرها؟ فقالت عشرة أوسق، فقال رسول الله ﷺ: إني مسرع فمن شاء منكم فليسرع معي، ومن شاء فليمكث.

فخرجنا حتى أشرفنا على المدينة، فقال: هذه طابة، **وهذا أُحد، وهو جبل يحبنا ونحبه.**

ثم قال: إن خير دُور الأنصار: دار بني النجار، ثم دار بني عبد الأشهل، ثم دار بني عبد الحارث بن الخزرج، ثم دار بني ساعدة، **وفي كل دُور الأنصار خير**، فلحقنا سعد بن عبادة، فقال أبو أسيد: ألم تر أن رسول الله ﷺ خيَّر دور الأنصار، فجعلنا

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة، ح ٢٧.

آخراً، فأدرك سعد رسول الله ﷺ فقال: **يا رسول الله، خيَّرتَ دور الأنصار، فجعلتنا آخراً؟!**

فقال: أو ليس بحسبكم أن تكونوا من الخيار»[1].

- **وقفات نبوية على الطريق (٢) (جمع الصلوات، وتكثير عين تبوك):**

روى معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: «خرجنا مع رسول الله ﷺ عام غزوة تبوك، فكان يجمع الصلاة، فصلى الظهر والعصر جميعاً، والمغرب والعشاء جميعاً، حتى إذا كان يوماً أخَّر الصلاة، ثم خرج فصلى الظهر والعصر جميعاً[2]، ثم دخل ثم خرج بعد ذلك فصلى المغرب والعشاء جميعاً.

ثم قال: إنكم ستأتون غداً إن شاء الله عين تبوك، وإنكم لن تأتوها حتى يضحي النهار، فمن جاءها منكم فلا يمس من مائها شيئاً حتى آتي، فجئناها وقد سبقنا إليها رجلان، والعين مثل الشراك تبضُّ بشيء من ماء، قال: فسألهما رسول الله ﷺ: هل مسستما من مائها شيئاً؟ قالا: نعم، **فسبهما النبي ﷺ، وقال لهما ما شاء الله أن يقول**، قال: ثم غرفوا بأيديهم من العين قليلاً قليلاً، حتى اجتمع في شيء، قال: وغسل رسول الله ﷺ فيه يديه ووجهه، ثم أعاده فيها، فجرت العين بماء منهمر، أو قال: غزير، حتى استقى الناس، ثم قال: **يوشك يا معاذ إن طالت بك حياة، أن ترى ما هاهنا قد مُلئ جناناً»**[3].

- **وقفات نبوية على الطريق (٣): (دومة الجندل، وحكاية مناديل سعد):** أرسل النبي ﷺ وهو في تبوك خالد بن الوليد مع عدد من الصحابة إلى **دومة الجندل**، وقد أسروا أكيدر بن عبد الملك الكندي - ملكها - وهو في الصيد خارجها[4] فصالحه النبي ﷺ على الجزية، وقد تعجَّب الصحابة من قَباء[5] كان أكيدر يلبسه، فقال

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب الفضائل، باب معجزات النبي ﷺ، ح١٣٩٢.

(٢) في رواية الإمام مسلم سأل سعيد بن جبير عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: **ما حمله على ذلك (يعني على الجمع) قال: أراد أن لا يحرج أمته، كتاب صلاة المسافرين، باب الجمع بين الصلاتين في الحضر، ح ١٦٢٨.**

(٣) أخرجه مسلم، كتاب الفضائل، باب معجزات النبي ﷺ، ح ٧٠٦.

(٤) ذكره ابن حجر في الإصابة ١/ ٤١٢، من طريق ابن اسحاق بسند قال فيه الدكتور العمري بأنه حسن لولا عنعنة ابن اسحاق.

(٥) ثوب يلبس فوق الثياب، مبالغة في الزينة.

الرسول ﷺ: «**أتعجبون من هذا؟ فو الذي نفسي بيده لمناديل سعد بن معاذ في الجنة أحسن من هذا**»[1].

- **وقفات نبوية على الطريق (٤): (فتاوى على الهواء):** سئل النبي ﷺ في هذه الغزوة **عن سترة المصلي؟ فأجاب بأنها مثل مؤخرة الرحل**[2]، وسأل معاذ بن جبل رضي الله عنه عن عمل يدخله الجنة، فأجابه بأن رأس الأمر الاسلام وقوامه الصلاة والزكاة وذروة سنامه الجهاد[3]، ولما شرب ﷺ من قربة من جلد **قال عن أهبة الميتة: دباغها طهورها**[4].
- **وقفات نبوية على الطريق (٥): (الصلاة خلف عبد الرحمن بن عوف):** روى عروة بن المغيرة بن شعبة أنه سمع أباه يقول: «عدل رسول الله ﷺ وأنا معه في غزوة تبوك قبل الفجر، فعدلتُ معه، فأناخ رسول الله ﷺ يتبرز، فسكبت على يديه من الإداوة، فغسل كفه، ثم غسل وجهه، ثم حسر عن ذراعيه، فضاق كُمَّا جبته، فأدخل يده فأخرجهما من تحت الجبة، فغسلهما إلى المرفق، فمسح برأسه، ثم توضأ على خفيه، ثم ركب.

فأقبلنا نسير حتى نجد الناس في الصلاة قد قدَّموا عبد الرحمن بن عوف، فركع بهم ركعة من صلاة الفجر، **فقام رسول الله ﷺ فصفَّ مع المسلمين فصلى وراء عبد الرحمن بن عوف الركعة الثانية**، ثم سلَّم عبد الرحمن بن عوف، فقام رسول الله ﷺ يتم صلاته، ففزع المسلمون، وأكثروا التسبيح، لأنهم سبقوا رسول الله ﷺ بالصلاة، فلما سلَّم رسول الله ﷺ قال لهم: «**أحسنتم، أو أصبتم**»[5]
- **وقفات نبوية على الطريق (٦): (من علامات الساعة):** روى عوف بن مالك قال: **أتيت النبي ﷺ في غزوة تبوك وهو في قبة من أدم**، فقال: اعدد ستاً بين يدي

---

(١) أخرجه ابن هشام في السيرة ٤/ ١٧٠، بإسناد قال فيه الدكتور أكرم العمري بأنه حسن.

(٢) أخرجه النسائي ٢/ ٦٢، بإسناد قال فيه الدكتور العمري بأنه صحيح.

(٣) أخرجه أحمد ٥/ ٢٤٥، بإسناد قال فيه الدكتور العمري بأنه حسن.

(٤) أخرجه أبو داود، كتاب اللباس، ٤/ ٦٤، بإسناد قال فيه الدكتور العمري بأنه حسن.

(٥) أخرجه ابن خزيمة في صحيحه، كتاب الصلاة، باب جماع أبواب قيام المؤمنين خلف الإمام، ح ١٦٤٢، وأخرجه أحمد ح ١٨١٦٤، وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح.

الساعة؛ موتي، ثم فتح بيت المقدس، ثم موتان يأخذ فيكم كقعاص الغنم، ثم استفاضة المال، حتى يُعطى الرجل مائة دينار فيظل ساخطاً، ثم فتنة لا يبقى بيت من العرب إلا دخلته، ثم هدنة تكون بينكم وبين بني الأصفر، فيغدرون، فيأتونكم تحت ثمانين غاية، تحت كل غاية اثنا عشر ألفا»[1].

- **وقفات نبوية على الطريق (٧): (القضاء العادل):** روى صفوان بن يعلى بن أمية عن أبيه قال: «غزوت مع النبي ﷺ غزوة تبوك،... قال يعلى: كان لي أجير، فقاتل إنساناً فعضَّ أحدهما يد الآخر، (قال: لقد أخبرني صفوان أيهما عضَّ الآخر) فانتزع المعضوض يده من فيِّ العاض، فانتزع إحدى ثنيتيه[2]، **فأتيا النبي ﷺ، فاهدر ثنيته**»[3].

- **خطبة النبي ﷺ في تبوك:** روى أبو سعيد الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: «إِنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ عَامَ تَبُوكَ، خَطَبَ النَّاسَ وَهُوَ مُسْنِدٌ ظَهْرَهُ إِلَى نَخْلَة، فَقَالَ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرِ النَّاسِ وَشَرِّ النَّاسِ، إِنَّ مِنْ خَيْرِ النَّاسِ رَجُلاً عَمِلَ فِي سَبِيلِ اللَّه، عَلَى ظَهْرِ فَرَسِه، أَوْ عَلَى ظَهْرِ بَعِيرِه، أَوْ عَلَى قَدَمَيْه، حَتَّى يَأْتِيَهُ الْمَوْتُ، وَإِنَّ مِنْ شَرِّ النَّاسِ رَجُلاً فَاجِرًا جَرِيئًا، يَقْرَأُ كِتَابَ اللَّه لَا يَرْعَوِي إِلَى شَيْءٍ مِنْهُ»[4].

- **النصر بالرعب من عطايا رب العزة لنبيه ﷺ:** روى جَابِرُ بْنُ عَبْد اللَّه رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: «أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ مِنَ الْأَنْبِيَاء قَبْلِي: **نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ**، وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا، وَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكَتْهُ الصَّلَاةُ فَلْيُصَلِّ، وَأُحِلَّتْ لِي الْغَنَائِمُ، وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً، وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ»[5].

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الجزية والموادعة، باب ما يحذر من الغدر، ح ٣١٧٦.

(٢) الثَّنِيَّة: إحدى الأسنان الأربع التي مقدَّم الفم، ثنتان من فوق وثنتان من تحت، والثَّنِيَّة كذلك: الطريق في الجبل.

(٣) أخرجه مسلم، كتاب القسامة والمحاربين، ح٤٣٤٨.

(٤) أخرجه أحمد ح ١١٣١٩، وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط: حديث حسن.

(٥) أخرجه البخاري، كتاب الصلاة، باب جُعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، ح ٤٢٧، وقد جاء في مسند أحمد ما يشير إلى أن النبي ﷺ قال ذلك في تبوك ح ٢/ ٢٢٢.

أحداث ما بعد الغزوة:

- **مدة الإقامة في تبوك، والمرور بديار ثمود:** مكث النبي ﷺ في تبوك عشرين ليلة[1]، وقد مر جيش المسلمين وهو في طريق العودة من تبوك بديار ثمود، فسارع الناس لدخول بيوت الحجر، فنهاهم النبي ﷺ وقال: «**لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم أن يصيبكم ما أصابهم، إلا أن تكونوا باكين**» ثم قنع رأسه وأسرع السير حتى أجاز الوادي[2].
- **إعذار المخلفين بعذر، ومشاركتهم في الأجر:** روى أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ «رجع من غزوة تبوك فدنا من المدينة، فقال: **إن بالمدينة أقواماً ما سرتم مسيراً، ولا قطعتم وادياً، إلا كانوا معكم، قالوا: يا رسول الله، وهم بالمدينة؟!، قال: وهم بالمدينة، حبسهم العذر**»[3]، وفي هؤلاء وغيرهم من أصحاب الأعذار نزل قوله تعالى: ﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا۟ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا۟ مَا يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾﴾ التوبة: ٩٢ [4]
- **وقفة في تفسير هذه الآية:** قال سيد قطب: «ليس على الضعفاء العاجزين عن القتال لعلة في تكوينهم، أو لشيخوخة تقعدهم، ولا على المرضى الذين لا يستطيعون الحركة والجهد، ولا على المعدمين الذين لا يجدون ما يتزودون به.. ليس على هؤلاء حرج إذا تخلفوا عن المعركة في الميدان، وقلوبهم مخلصة لله ورسوله، لا يغشون ولا يخدعون، ويقومون بعد ذلك بما يستطيعونه - دون القتال - من حراسة أو صيانة أو قيام على النساء والذرية في دار الإسلام، أو أعمال أخرى تعود بالنفع على المسلمين، ليس عليهم جناح، وهم يحسنون بقدر ما يستطيعون، فلا جناح على المحسنين، إنما الجناح على المسيئين.

ولا جناح كذلك على القادرين على الحرب، ولكنهم لا يجدون الرواحل التي

---

(١) أخرجه ابن حبان في موارد الظمآن ١٤٥، بإسناد قال فيه الدكتور أكرم العمري بأنه صحيح.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب نزول النبي ﷺ الحجر، ح ٤٠٩٢.

(٣) السابق، ح ٤١٦١.

(٤) يقول الدكتور العمري في السيرة النبوية الصحيحة ص٥٩٢: لا توجد روايات صحيحة في تعيين أسماء من نزلت بحقهم هذه الآيات.

تحملهم إلى أرض المعركة، فإذا حرموا المشاركة فيها لهذا السبب؛ ألمت نفوسهم حتى لتفيض أعينهم دموعا، لأنهم لا يجدون ما ينفقون.

وإنها لصورة مؤثرة للرغبة الصحيحة في الجهاد، والألم الصادق للحرمان من نعمة أدائه، وإنها لصورة واقعة حفظتها الروايات عن جماعة من المسلمين في عهد الرسول ﷺ تختلف الروايات في تعيين أسمائهم، ولكنها تنفق على الواقعة الصحيحة»[1].

- **حكاية أبي لبابة ومن معه:** روى ابن عباس رضي الله عنه قال، في قوله تعالى: ﴿وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠٢﴾﴾ التوبة: ١٠٢، قال: **كانوا عشرة رهط تخلفوا عن النبي ﷺ في غزوة تبوك،** فلما حضر رجوع النبي ﷺ أوثق سبعة منهم أنفسهم بسواري المسجد، فكان ممر النبي ﷺ إذا رجع في المسجد عليهم، فلما رآهم قال: «مَن هؤلاء الموثقون أنفسهم بالسواري؟ قالوا: هذا أبو لبابة وأصحاب له، تخلفوا عنك يا رسول الله، وحلفوا لا يُطلقهم أحد حتى تطلقهم وتعذرهم، فقال النبي عليه السلام: **وأنا أقسم بالله لا أطلقهم، ولا أعذرهم حتى يكون الله هو الذي يطلقهم، رغبوا عني وتخلفوا عن الغزو مع المسلمين،** فلما بلغهم ذلك قالوا: ونحن لا نطلق أنفسنا حتى يكون الله الذي يطلقنا، فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠٢﴾﴾ التوبة: ١٠٢، «وعسى من الله واجب، فلما نزلت أرسل إليهم النبي ﷺ فأطلقهم وعذرهم»[2].
- **توبة المخلفين الثلاثة:** روى محمد بن شهاب قال: «... ثم غزا رسول الله ﷺ غزوة تبوك **وهو يريد الروم ونصارى العرب بالشام».**

قال ابن شهاب: فأخبرني عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك أن عبد الله بن كعب كان قائد كعب من بنيه حين عمي، قال: سمعت كعب بن مالك يحدث حديثه حين تخلف عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك.

---

(١) تفسير في ظلال القرآن، سيد قطب، ٣/ ١٦٨٣.

(٢) أخرجه الطبري في التفسير، ١١/ ١٢، وذكره الشيخ ابراهيم العلي في صحيح أسباب النزول برقم: ٢١١، وقال: إسناده حسن.

- **كعب بن مالك رضي الله عنه يبين أنه لم يتخلف قبل:** قال كعب بن مالك: «...لم أتخلف عن رسول الله ﷺ في غزوة غزاها قط إلا في غزوة تبوك، غير أني قد تخلفت في غزوة بدر، ولم يعاتب أحداً تخلف عنه إنما خرج رسول الله ﷺ والمسلمون يريدون عير قريش، حتى جمع الله بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد.
ولقد شهدتُ مع رسول الله ﷺ ليلة العقبة حين تواثقنا على الإسلام، **وما أحب أن لي بها مشهد بدر، وإن كانت بدر أذكرُ في الناس منها.**
- **توصيف كعب لحاله ولمقدمات الغزوة:** «... وكان من خبري حين تخلفت عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك أني لم أكن قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنه في تلك الغزوة، والله ما جمعت قبلها راحلتين قط حتى جمعتهما في تلك الغزوة فغزاها رسول الله ﷺ في حرٍّ شديد، واستقبل سفراً بعيداً ومفازاً، واستقبل عدواً كثيراً، فجلا للمسلمين أمرهم ليتأهبوا أهبة غزوهم، فأخبرهم بوجههم الذي يريد، **والمسلمون مع رسول الله ﷺ كثير، ولا يجمعهم كتاب حافظ، يريد بذلك الديوان،** قال: كعب فقلَّ رجل يريد أن يتغيب يظن أن ذلك سيخفى له ما لم ينزل فيه وحي من الله عز وجل، وغزا رسول الله ﷺ تلك الغزوة حين طابت الثمار والظلال، فأنا إليها أصعر.
- **بداية التردد والقعود عن تجهيز النفس:** «... فتجهز رسول الله ﷺ والمسلمون معه وطفقت أغدو لكي أتجهز معهم، فأرجع ولم أقض شيئاً، وأقول في نفسي أنا قادر على ذلك إذا أردت، فلم يزل ذلك يتمادى بي حتى استمر بالناس الجد، فأصبح رسول الله ﷺ غادياً، والمسلمون معه، ولم أقض من جهازي شيئاً ثم غدوت، فرجعت، ولم أقض شيئاً، فلم يزل ذلك يتمادى بي حتى أسرعوا وتفارط الغزو، **فهممت أن أرتحل، فأدركهم، فيا ليتني فعلت،** ثم لم يقدر ذلك لي.
- **حاله بين المخلفين:** «... فطفقت إذا خرجت في الناس بعد خروج رسول الله ﷺ يحزنني أني لا أرى لي أسوة إلا رجلاً مغموصاً عليه في النفاق، أو رجلاً ممن عذر الله من الضعفاء.
- **النبي ﷺ يتفقد أصحابه:** «... ولم يذكرني رسول الله ﷺ حتى بلغ تبوك، فقال

وهو جالس في القوم بتبوك: ما فعل كعب بن مالك؟ قال رجل من بني سلمة: **يا رسول الله حبسه برداه، والنظر في عطفيه.**

فقال له معاذ بن جبل: بئس ما قلت، والله يا رسول الله ما علمنا عليه إلا خيراً، فسكت رسول الله ﷺ، فبينما هو على ذلك رأى رجلاً مبيضاً يزول به السراب، فقال رسول الله ﷺ: **كن أبا خيثمة، فإذا هو أبو خيثمة الأنصاري، وهو الذي تصدق بصاع التمر حين لمزه المنافقون.**

- **تحضير النفس لمواجهة القائد:** فقال كعب بن مالك: «... فلما بلغني أن رسول الله ﷺ قد توجه قافلاً من تبوك حضرني بثي، فطفقت أتذكر الكذب، وأقول بم أخرج من سخطه غداً، وأستعين على ذلك كل ذي رأي من أهلي، فلما قيل لي: إن رسول الله ﷺ قد أظل قادماً زاح عني الباطل، **حتى عرفت أني لن أنجو منه بشيء أبداً، فأجمعت صدقه.**
- **رجوع القائد ومواقف عموم المخلفين:** «... وصبَّح رسول الله ﷺ قادماً، **وكان إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد، فركع فيه ركعتين،** ثم جلس للناس، فلما فعل ذلك، جاءه المخلفون، فطفقوا يعتذرون إليه، ويحلفون له، وكانوا بضعة وثمانين رجلاً، فقبل منهم رسول الله ﷺ علانيتهم، وبايعهم، واستغفر لهم، ووكل سرائرهم إلى الله.
- **كعب بين يدي القائد:** «... حتى جئتُ، فلما سلمتُ تبسَّم تبسُّم المغضب، ثم قال: تعال، فجئت أمشي حتى جلست بين يديه، فقال لي: ما خلَّفك؟ ألم تكن قد ابتعت ظهرك؟

قال: قلت: يا رسول الله إني والله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت أني سأخرج من سخطه بعذر، ولقد أُعطيت جدلاً، **ولكني والله لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديث كذب ترضى به عني ليوشكن الله أن يسخطك عليَّ، ولئن حدثتك حديث صدق تجد عليَّ فيه، إني لأرجو فيه عقبى الله.**

والله ما كان لي عذر، والله ما كنت قط أقوى، ولا أيسر مني حين تخلفت عنك.

قال رسول الله ﷺ: أما هذا فقد صدق، فقم حتى يقضي الله فيك، فقمت.

- **الضغط المجتمعي القريب:** «... وثار رجال من بني سلمة فاتبعوني، فقالوا لي: والله ما علمناك أذنبتَ ذنباً قبل هذا، لقد عجزت في أن لا تكون اعتذرت إلى رسول الله ﷺ بما اعتذر به إليه المخلفون، فقد كان كافيك ذنبك استغفار رسول الله ﷺ لك، قال: **فوالله ما زالوا يؤنبونني حتى أردت أن أرجع إلى رسول الله ﷺ فأكذب نفسي.**

قال: ثم قلت لهم: هل لقي هذا معي من أحد؟ قالوا: نعم، لقيه معك رجلان، قالا مثل ما قلت، فقيل لهما مثل ما قيل لك، قال: قلت من هما؟ قالوا: مرارة بن الربيع العامري، وهلال بن أمية الواقفي، **قال: فذكروا لي رجلين صالحين قد شهدا بدراً، فيهما أسوة، قال: فمضيت حين ذكروهما لي.**

- **العقوبة النفسية:** «... قال: ونهى رسول الله ﷺ المسلمين عن كلامنا أيها الثلاثة من بين من تخلف عنه، قال: فاجتَنَبَنا الناس، وقال: تغيروا لنا، حتى تنكرت لي في نفسي الأرض، فما هي بالأرض التي أعرف، فلبثنا على ذلك خمسين ليلة، فأما صاحباي فاستكانا وقعدا في بيوتهما يبكيان، وأما أنا فكنت أشبّ القوم وأجلدهم، فكنت أخرج فأشهد الصلاة، وأطوف في الأسواق، ولا يكلمني أحد، وآتي رسول الله ﷺ فأسلِّم عليه وهو في مجلسه بعد الصلاة، فأقول في نفسي: **هل حرك شفتيه بردِّ السلام أم لا؟**

ثم أصلي قريباً منه وأسارقه النظر، فإذا أقبلت على صلاتي نظر إلي، وإذا التفت نحوه أعرض عني.

- **حتى أقرب الناس هجروهم:** «... حتى إذا طال ذلك عليَّ من جفوة المسلمين مشيت، حتى تسورت جدار حائط أبي قتادة، وهو ابن عمي، وأحب الناس إلي، فسلمت عليه، فوالله ما ردَّ عليَّ السلام، فقلت له: **يا أبا قتادة، أنشدك بالله، هل تعلمن أني أحب الله ورسوله؟** قال: فسكت، فعدت فناشدته، فسكت، فعدت فناشدته، فقال: الله ورسوله أعلم، ففاضت عيناي، وتوليت حتى تسورت الجدار.
- **فتنة من طرف خفي، واستغلال خسيس للأزمة:** «... فبينا أنا أمشي في سوق المدينة، **إذا نبطي من نبط أهل الشام ممن قدم بالطعام يبيعه بالمدينة يقول:** من

يدل على كعب بن مالك؟

قال: فطفق الناس يشيرون له إليَّ، حتى جاءني، فدفع إليَّ كتاباً من ملك غسان، وكنت كاتباً، فقرأته، فإذا فيه: أما بعد، **فإنه قد بلغنا أن صاحبك قد جفاك، ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيعة، فالحق بنا نواسك.**

قال: فقلت حين قرأتها، وهذه أيضاً من البلاء، فتياممت بها التنور، فسجرتها بها.

- **التصعيد في العقوبة النفسية:** «... حتى إذا مضت أربعون من الخمسين، واستلبث الوحي، إذا رسول رسول الله ﷺ يأتيني، فقال: إن رسول الله ﷺ يأمرك أن تعتزل امرأتك، قال فقلت: أطلقها أم ماذا أفعل؟

قال: لا، بل اعتزلها، فلا تقربنها.

قال: فأرسل إلى صاحبي بمثل ذلك، قال فقلت لامرأتي: **الحقي بأهلك فكوني عندهم، حتى يقضي الله في هذا الأمر.**

قال: فجاءت امرأة هلال بن أمية رسول الله ﷺ، فقالت له: يا رسول الله، إن هلال بن أمية شيخ ضائع، ليس له خادم، فهل تكره أن أخدمه؟ قال: لا، ولكن لا يقربنك، فقالت: إنه والله ما به حركة إلى شيء، و والله ما زال يبكي منذ كان من أمره ما كان إلى يومه هذا.

قال: فقال لي بعض أهلي: لو استأذنت رسول الله ﷺ في امرأتك، فقد أذن لامرأة هلال بن أمية أن تخدمه، قال فقلت: لا أستأذن فيها رسول الله ﷺ، **وما يدريني ماذا يقول رسول الله ﷺ إذا استأذنته فيها؟ وأنا رجل شاب.**

- **بداية الفرج بعد طول حرج:** «... قال: فلبثت بذلك عشر ليال، فكمل لنا خمسون ليلة من حين نهي عن كلامنا، قال: ثم صليت صلاة الفجر صباح خمسين ليلة على ظهر بيت من بيوتنا، فبينا أنا جالس على الحال التي ذكر الله عز وجل منا قد ضاقت عليَّ نفسي، وضاقت عليَّ الأرض بما رحبت، سمعتُ صوتَ صارخٍ أوفى على سلع يقول بأعلى صوته: **يا كعب بن مالك، أبشر، قال: فخررتُ ساجداً،** وعرفتُ أن قد جاء فرَجٌ، قال: فآذن رسول الله ﷺ الناس بتوبة الله علينا حين صلى صلاة الفجر.

- **تبشير المسلمين وفرحتهم:** «... فذهب الناس يبشروننا، فذهب قبل صاحبي مبشرون، وركض رجل إليَّ فرساً، وسعى ساع من أسلم قبلي، وأوفى الجبل، فكان الصوت أسرع من الفرس، فلما جاءني الذي سمعت صوته يبشرني؛ **فنزعتُ له ثوبيَّ، فكسوتهما إياه ببشارته، والله ما أملك غيرهما يومئذ،** واستعرت ثوبين فلبستهما، فانطلقت أتأمم رسول الله ﷺ، يتلقاني الناس فوجاً فوجاً، يهنئوني بالتوبة، ويقولون: لتهنئك توبة الله عليك، حتى دخلت المسجد، فإذا رسول الله ﷺ جالس في المسجد، وحوله الناس، فقام طلحة بن عبيد الله يهرول، حتى صافحني، وهنأني، **والله ما قام رجل من المهاجرين غيره،** قال: فكان كعب لا ينساها لطلحة.
- **البشارة من القائد:** «... قال كعب: فلما سلمتُ على رسول الله ﷺ قال: وهو يبرق وجهه من السرور، ويقول: أبشر بخير يوم مرَّ عليك منذ ولدتك أمك، قال فقلت: **أمِنْ عندك يا رسول الله، أم من عند الله؟**
فقال: لا، بل من عند الله، وكان رسول الله ﷺ إذا سُرَّ استنار وجهه، كأن وجهه قطعة قمر، قال: وكنا نعرف ذلك.
- **ضبط المشاعر:** «... قال: فلما جلست بين يديه قلت: يا رسول الله إن من توبتي أن أنخلع من مالي صدقة إلى الله، وإلى رسوله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: **أمسك بعض مالك، فهو خير لك، قال: فقلت، فإني أمسك سهمي الذي بخيبر.**
- **الدرس الأكبر:** «... قال وقلت: **يا رسول الله إن الله إنما أنجاني بالصدق،** وإن من توبتي أن لا أحدث إلا صدقاً ما بقيت، قال: فوالله ما علمت أن أحداً من المسلمين أبلاه الله في صدق الحديث منذ ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ إلى يومي هذا أحسن مما أبلاني الله به، والله ما تعمدت كذبة منذ قلت ذلك لرسول الله ﷺ إلى يومي هذا، **وإني لأرجو أن يحفظني الله فيما بقي.**
- **آيات الكتاب المبين وفيها براءة المخلفين:** «... قال: فأنزل الله عز وجل: ﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾

وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ وَضَاقَتۡ عَلَيۡهِمۡ أَنفُسُهُمۡ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾ التوبة: ١١٧ - ١١٩

- **استشعار النعمة:** «... قال كعب: والله ما أنعم الله عليَّ من نعمة قط بعد إذ هداني الله للإسلام أعظم في نفسي من صدقي رسول الله ﷺ، أن لا أكون كذبته فأهلك كما هلك الذين كذبوا، إن الله قال للذين كذبوا حين أنزل الوحي شر ما قال لأحد، وقال الله: ﴿ سَيَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمۡ إِذَا ٱنقَلَبۡتُمۡ إِلَيۡهِمۡ لِتُعۡرِضُواْ عَنۡهُمۡۖ فَأَعۡرِضُواْ عَنۡهُمۡۖ إِنَّهُمۡ رِجۡسٞۖ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿٩٥﴾ يَحۡلِفُونَ لَكُمۡ لِتَرۡضَوۡاْ عَنۡهُمۡۖ فَإِن تَرۡضَوۡاْ عَنۡهُمۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرۡضَىٰ عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿٩٦﴾ ﴾ التوبة: ٩٥ - ٩٦ (١).
- **استقبال النبي ﷺ:** روى السائب بن يزيد رضي الله عنه قال: «لما قدم رسول الله ﷺ من غزوة تبوك تلقاه الناس، **فلقيته مع الصبيان على ثنية الوداع**»(٢).
- **وفاة عبد الله بن أبي بن أبي سلول:** روى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه قال: «لما توفي عبد الله بن أبي جاء ابنه عبد الله بن عبد الله إلى رسول الله ﷺ فأعطاه قميصه، وأمره أن يكفنه فيه، **ثم قام يصلي عليه، فأخذ عمر بن الخطاب بثوبه فقال: تصلي عليه وهو منافق، وقد نهاك الله أن تستغفر لهم؟**

قال إنما خيرني الله أو أخبرني الله، فقال: ﴿ ٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ أَوۡ لَا تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ إِن تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ سَبۡعِينَ مَرَّةٗ فَلَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿٨٠﴾ ﴾ التوبة: ٨٠ فقال: سأزيده على سبعين، قال: فصلى عليه رسول الله ﷺ، وصلينا معه، ثم أنزل الله عليه: ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٖ مِّنۡهُم مَّاتَ أَبَدٗا وَلَا تَقُمۡ عَلَىٰ قَبۡرِهِۦٓۖ إِنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُواْ وَهُمۡ فَٰسِقُونَ ﴿٨٤﴾ ﴾ التوبة: ٨٤ (٣).
- **بعث أبي بكر على الحج سنة تسع من الهجرة:** روى أبو هريرة رضي الله عنه «أن أبا بكر

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب التوبة، باب توبة كعب بن مالك وصاحبيه، ح ٢٧٩٨.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب استقبال الغزاة، ح ٣٠٨٢، واللفظ لأبي داود، كتاب الجهاد، ح ٢٧٥٩.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب التفسير، باب ولا تصلِّ على أحد منهم، ح ٤٣٩٥، وعند البخاري برقم ١٢٧٠، أن النبي ﷺ أتاه بعدما دُفن فأخرجه فنفث فيه من ريقه، وألبسه قميصه، قال ابن عيينة: كانت له يوم بدر على النبي ﷺ يدٌ حيث ألبس قميصه لعمه العباس، فأراد النبي ﷺ أن يكافئه بها.

الصديق رضي الله عنه بعثه في الحجة التي أمَّره عليها رسول الله ﷺ، قبل حجة الوداع يوم النحـــر، في رهط يؤذن في الناس؛ **ألا لا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عُريان**»[1].

وروى زيد بن يثيع رضي الله عنه قال: سألنا علياً رضي الله عنه: «بأي شيء بعثتَ في الحجة؟ قال: بعثتُ بأربع: **لا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة، ولا يطوف بالبيت عريان، ولا يجتمع مســلم وكافر في المسجد الحرام بعد عامه هذا، ومن كان بينه وبين النبي ﷺ عهد فعهده إلى مدته، ومن لم يكن له عهد فأجله إلى أربعة أشهر**»[2].

عام الوفود[3]:

- كان رسولنا الكريم يحترم وفوده ويكرمها وينزلها أحسن المنازل ومن شدة إكرامه لها فقد أوصى بها حين قال: «**أجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم**»[4].

وفد إلى النبي ﷺ بعد قدومه من تبوك عدة وفود، ومن هؤلاء:

- **وفود ملك أيلة**: روى أبو حميد الســاعدي قال: «... ثم جاء رسول الله ﷺ رسول ملك أيلة فأهدى لرســول الله ﷺ بغلة بيضاء، وكساه رسول الله ﷺ بُرداً، وكتب له يجيرهم...»[5].
- **قدوم وفد ثقيف**: سئل جابر بن عبد الله رضي الله عنهما عن شأن ثقيف إذ بايعت،

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب مواقيت الصلاة، باب المصلي يناجي ربه، ح ١٥٤٣، وقد ذكر الدكتور العمري في السيرة النبوية الصحيحة ص ٦١٠، أنه لما خرج أبو بكر بالناس من المدينة نزلت سورة براءة، فأرسل النبي ﷺ علي بن أبي طالب بصدر سورة براءة ليعلنها على الناس في موسم الحج يوم النحر، وهو العاشر من ذي الحجة، وقال النبي ﷺ: «**لا يؤدي عني إلا رجل من أهل بيتي**» أخرجه ابن هشام في السيرة ٣/ ٢٠٣، بإسناد قال بأنه حسن، وله شواهد يتقوى بها، ومما جاء في الرواية: أن علياً رضي الله عنه خرج يمتطي العضباء - ناقة رسول الله- حتى أدرك أبا بكر بالطريق، فلما رآه أبو بكر سأله: أأمير أم مأمور؟ قال: بل مأمور، ثم مضيا.

(٢) أخرجه أحمد ح ٥٩٤، وقال الشيخ الألباني: صحيح، وانظر فقه السيرة للشيخ الغزالي ص٤١٨.

(٣) الراجح عند علماء السيرة أن هذه الوفود كلها كانت في العام التاسع للهجرة، وانظر السيرة النبوية الصحيحة للدكتور أكرم العمري ص ٦٠٨، وقد تجد في كتب السيرة أسماء وعناوين لوفود أخرى، لكنني حرصت على الروايات الثابتة المسندة منها.

(٤) أخرجه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب جوائز الوفد، ح ٢٨٨٨.

(٥) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب قول الله تعالى: ويوم حنين، ح٤٣١٨.

قال: «اشترطت على النبي ﷺ أن لا صدقة عليها ولا جهاد، وأنه سمع النبي ﷺ بعد ذلك يقول: **سيتصدقون ويجاهدون إذا أسلموا**»[1].

وروى عمرو بن الشريد عن أبيه قال: «كان في وفد ثقيف رجل مجذوم، فأرسل إليه النبي ﷺ: **إنَّا قد بايعناك فارجع**»[2].

- **قدوم وفد بني تميم**: روى عمران بن حصين رضي الله عنهما قال: «دخلتُ على النبي ﷺ، وعقلتُ ناقتي بالباب، فأتاه ناس من بني تميم، فقال: اقبلوا البشرى يا بني تميم، قالوا: قد بشرتنا فأعطنا مرتين، ثم دخل عليه ناس من أهل اليمن، فقال: اقبلوا البشرى يا أهل اليمن، إذ لم يقبلها بنو تميم، قالوا: قد قبلنا يا رسول الله، قالوا: جئناك نسألك عن هذا الأمر، قال: كان الله، ولم يكن شيء غيره، وكان عرشه على الماء، وكتب في الذكر كل شيء، وخلق السموات والأرض.

فنادى مناد: ذهبت ناقتك يا ابن الحصين، **فانطلقتُ، فإذا هي يقطع دونها السراب، فوالله لوددت أني كنت تركتها**»[3].

وروى عبد الله بن الزبير أخبرهم أنه قدم ركب من بني تميم على النبي ﷺ فقال أبو بكر: أمِّر القعقاع بن معبد بن زرارة، قال عمر: بل أمِّر الأقرع بن حابس، قال أبو بكر: ما أردت إلا خلافي، قال عمر: ما أردتُ خلافك، فتماريا حتى ارتفعت أصواتهما، فنزل في ذلك: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ الحجرات: ١ [4].

---

(١) أخرجه أبو داود، كتاب الخراج والإمارة والفيء، باب ما جاء في خبر الطائف، ح٣٠٢٥، وذكره الشيخ ابراهيم العلي في صحيح السيرة برقم ٧٨٤، وقال: سنده حسن، وعند ابن اسحاق أن وفد ثقيف قدم إلى النبي ﷺ بعد فراغه من غزوة تبوك، وقد مكث وفد ثقيف في المدينة خمسة عشر يوماً يتعلمون الإسلام، ثم عادوا إلى ديارهم وجعل النبي ﷺ عثمان بن أبي العاص أميراً عليهم، لأنه كان أحرصهم على تعلم القرآن، وإن كان أصغرهم سِنّاً، **كما أرسل معهم أبا سفيان والمغيرة بن شعبة الثقفي ليهدموا اللات.**

(٢) أخرجه مسلم، كتاب السلام، باب اجتناب المجذوم، ح ٥٧٨٣.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب بدء الخلق، باب قوله تعالى: «وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده»، ح ٣١٩١، **وروى أبو هريرة** رضي الله عنه **قال: «ما زلت أحب بني تميم منذ ثلاث: سمعت من رسول الله** ﷺ **يقول فيهم: هم أشد أمتي على الدجال، قال: وجاءت صدقاتهم فقال رسول الله** ﷺ**: هذه صدقات قومنا، وكانت سبية منهم عند عائشة فقال: أعتقيها فإنها من ولد إسماعيل**» أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة عيينة بن حصن، ح ٤٣٦٦.

(٤) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة عيينة بن حصن، ح ٤٣٦٧.

وفي رواية عَنِ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ، قَالَ: «**كَادَ الخَيِّرَانِ أَنْ يَهْلِكَا** أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، رَفَعَا أَصْوَاتَهُمَا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ حِينَ قَدِمَ عَلَيْهِ رَكْبُ بَنِي تَمِيمٍ، فَأَشَارَ أَحَدُهُمَا بِالأَقْرَعِ بْنِ حَابِسٍ أَخِي بَنِي مُجَاشِعٍ، وَأَشَارَ الآخَرُ بِرَجُلٍ آخَرَ - قَالَ نَافِعٌ لاَ أَحْفَظُ اسْمَهُ - فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ لِعُمَرَ: مَا أَرَدْتَ إِلَّا خِلاَفِي، قَالَ: مَا أَرَدْتُ خِلاَفَكَ فَارْتَفَعَتْ أَصْوَاتُهُمَا فِي ذَلِكَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ۝٢﴾ الحجرات: ٢ الآيَةَ قَالَ ابْنُ الزُّبَيْرِ: «**فَمَا كَانَ عُمَرُ يُسْمِعُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَعْدَ هَذِهِ الآيَةِ حَتَّى يَسْتَفْهِمَهُ**، وَلَمْ يَذْكُرْ ذَلِكَ عَنْ أَبِيهِ يَعْنِي أَبَا بَكْرٍ»[1].

- **قدوم وفد بني عامر**: روى مُطَرِّف قال: قال أبي: «انطلقتُ في وفد بني عامر إلى رسول الله ﷺ، فقلنا: **أنت سيدنا، فقال: السيد الله تبارك وتعالى**، قلنا: وأفضلنا فضلاً، وأعظمنا طولاً، فقال: قولوا بقولكم أو بعض قولكم، ولا يستجرينكم الشيطان»[2].
- **قدوم وفد بني سعد بن بكر**: روى أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «بينما نحن جلوس مع النبي ﷺ في المسجد، دخل رجل على جمل فأناخه في المسجد، ثم عقله، ثم قال لهم: أيكم محمد؟

والنبي ﷺ متكئ بين ظهرانيهم، فقلنا: هذا الرجل الأبيض المتكئ.

فقال له الرجل: يا ابن عبد المطلب، فقال له النبي ﷺ: قد أجبتك.

فقال الرجل للنبي ﷺ: **إني سائلك فمشدد عليك في المسألة، فلا تجد عليَّ في نفسك.**

فقال: **سلْ عما بدا لك**، فقال: أسألك بربك ورب من قبلك، آلله أرسلك إلى الناس كلهم؟

فقال: اللهم نعم.

قال: أنشدك بالله، آلله أمرك أن نصلي الصلوات الخمس في اليوم والليلة؟

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب لا ترفعوا أصواتكم، ح ٤٨٤٥.

(٢) أخرجه أبو داود في السنن، كتاب الأدب، باب كراهية التمادح، ح ٤٨٠٦، وذكره الشيخ ابراهيم العلي في صحيح السيرة برقم: ٧٩٧، وقال بأن سنده صحيح.

قال: اللهم نعم.

قال: أنشدك بالله، آلله أمرك أن نصوم هذا الشهر من السنة؟

قال: اللهم نعم.

قال: أنشدك بالله، آلله أمرك أن تأخذ هذه الصدقة من أغنيائنا، فتقسمها على فقرائنا؟

فقال النبي ﷺ: اللهم نعم.

فقال الرجل: آمنت بما جئتَ به، وأنا رسول مَن ورائي مِن قومي، وأنا ضمام بن ثعلبة، أخو بني سعد بن بكر»[1].

- **قدوم وفد عبد القيس:** روى ابن عباس رضي الله عنهما قال: «قدم وفد عبد القيس على النبي ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: من الوفد؟ أو من القوم؟ قالوا: ربيعة، قال: مرحباً بالقوم أو بالوفد غير خزايا ولا الندامى، فقالوا: يا رسول الله، إنَّا هذا الحي من ربيعة، وقد حالت بيننا وبينك كفار مضر، فلسنا نخلص إليك إلا في شهر حرام، **فمرنا بأشياء نأخذ بها، وندعو إليها مَن وراءنا.**

قال: آمركم بأربع، وأنهاكم عن أربع، الإيمان بالله شهادة أن لا إله إلا الله، وعقد واحدة وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وأن تؤدوا لله خُمس ما غنمتم، وأنهاكم عن الدباء، والنقير، والحنتم، والمزفت»[2].

- **قدوم وفد بني حنيفة:** روى ابن عباس رضي الله عنهما قال: «قدم مسيلمة الكذاب

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب العلم، باب ما جاء في العلم وقوله تعالى: «وقل رب زدني علما»، ح ٦٣، وفي رواية لأبي داود أن ضمام لما رجع إلى قومه قال لهم: بئست اللات والعزى، قالوا: صه يا ضمام، اتق البرص والجذام، اتق الجنون، قال: **ويلكم إنهما لا يضران ولا ينفعان... قال: فوالله ما أمسى من ذلك اليوم وفي حاضره رجل ولا امرأة إلا مسلماً، قال ابن عباس رضي الله عنهما: فما سمعنا بوافد قوم كان أفضل من ضمام بن ثعلبة»** أخرجه أبو داود في كتاب الصلاة، باب ما جاء في المشرك يدخل المسجد، ح٤٨٧.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب وفد عبد القيس، ح ٤١١١، وأشج عبد القيس هو الذي قال فيه النبي ﷺ: إن فيك لخُلقين يحبهما الله، قلت وما هما يا رسول الله؟ قال: **الحلم والأناة**، أخرجه أحمد ٤/ ٢٠٥، ويروي البخاري أن أول جمعة جمعت بعد جمعة في مسجد رسول الله ﷺ في مسجد عبد القيس بجواثي من البحرين، أخرجه البخاري، كتاب الجمعة، باب الجمعة في القرى والمدن، ح ٨٩٢، والمراد بهذه الأشياء (الدباء والنقير والحنتم والمزفت) أوعية كانوا يجعلون فيها التمر أو الزبيب مع الماء حتى يحلو ثم يشربونه وقد يتخمر، وسبب النهي سرعة تخمر ما وضع بها، وقد نسخ النهي عن الانتباذ فيها مع منع كل ما كان مسكرا.

على عهد رسول الله ﷺ، فجعل يقول: إن جعل لي محمد الأمر من بعده تبعته، وقدَّمها في بشر كثير من قومه، فأقبل إليه رسول الله ﷺ ومعه ثابت بن قيس بن شماس، وفي يد رسول الله ﷺ قطعة جريد، حتى وقف على مسيلمة في أصحابه، فقال: **لو سألتني هذه القطعة ما أعطيتكها، ولن تعدو أمر الله فيك، ولئن أدبرت ليعقرنك الله**، وإني لأراك الذي أريت فيك ما رأيت، فأخبرني أبو هريرة أن رسول الله ﷺ قال: بينما أنا نائم، رأيت في يدي سوارين من ذهب، فأهمني شأنهما، فأوحي إلي في المنام أن انفخهما، فنفختهما فطارا، فأولتهما كذابَين يخرجان بعدي، فكان أحدهما: العنسي (صاحب صنعاء)، والآخر مسيلمة الكذاب، صاحب اليمامة»[1].

- **حكاية ثمامة بن أثال من بني حنيفة:** روى أبو هريرة رضي الله عنه قال بعث النبي ﷺ خيلا قِبَل نجد فجاءت برجل من بني حنيفة يقال له ثمامة بن أثال فربطوه بسارية من سواري المسجد فخرج إليه النبي ﷺ فقال ما عندك يا ثمامة؟ فقال: عندي خير يا محمد، إن تقتلني تقتل ذا دم، وإن تنعم تنعم على شاكر، وإن كنت تريد المال فسل منه ما شئت.

فترُك حتى كان الغد ثم قال له ما عندك يا ثمامة؟ قال: ما قلت لك إن تنعم تنعم على شاكر، فتركه حتى كان بعد الغد، فقال: ما عندك يا ثمامة؟ فقال: عندي ما قلت لك، فقال: أطلقوا ثمامة، فانطلق إلى نجل قريب من المسجد فاغتسل، ثم دخل المسجد، فقال: **أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله.**

يا محمد والله ما كان على الأرض وجه أبغض إليَّ من وجهك، فقد أصبح وجهك أحب الوجوه إلي، والله ما كان من دين أبغض إليَّ من دينك، فأصبح دينك أحب الدين إلي، والله ما كان من بلد أبغض إليَّ من بلدك، فأصبح بلدك أحب البلاد إلي.

وإن خيلك أخذتني وأنا أريد العمرة، فماذا ترى، فبشره رسول الله ﷺ، وأمره أن يعتمر، فلما قدم مكة قال له قائل: صبوت؟ قال: لا ولكن أسلمت مع محمد

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب وفد بني حنيفة، ح ٤٣٧٣.

رسول الله ﷺ، **ولا والله لا يأتيكم من اليمامة حبة حنطة حتى يأذن فيها النبي ﷺ**»[1].

- **قدوم وفد الأشعريين أهل اليمن**: روى أبو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «أَتَاكُمْ أَهْلُ الْيَمَنِ هُمْ أَرَقُّ أَفْئِدَةً، وَأَلْيَنُ قُلُوباً، **الْإِيمَانُ يَمَانٌ، وَالْحِكْمَةُ يَمَانِيَةٌ**، وَالْفَخْرُ وَالْخُيَلَاءُ لَفِي أَصْحَابِ الْإِبِلِ، وَالسَّكِينَةُ وَالْوَقَارُ فِي أَهْلِ الْغَنَمِ»[2].
- **قدوم وفد مزينة**: روى النُّعْمَانُ بْنُ مُقَرِّنٍ، قَالَ: قَدِمْنَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي أَرْبَعِ مِائَةٍ مِنْ مُزَيْنَةَ، فَأَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِأَمْرِهِ، فَقَالَ بَعْضُ الْقَوْمِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا لَنَا طَعَامٌ نَتَزَوَّدُهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِعُمَرَ: زَوِّدْهُمْ، فَقَالَ: مَا عِنْدِي إِلَّا فَاضِلَةٌ مِنْ تَمْرٍ، وَمَا أُرَاهَا تُغْنِي عَنْهُمْ شَيْئاً، فَقَالَ: انْطَلِقْ فَزَوِّدْهُمْ فَانْطَلَقَ بِنَا إِلَى عُلِّيَّةٍ لَهُ، فَإِذَا فِيهَا تَمْرٌ مِثْلُ الْبَكْرِ الْأَوْرَقِ فَقَالَ: خُذُوا فَأَخَذَ الْقَوْمُ حَاجَتَهُمْ، قَالَ: **وَكُنْتُ أَنَا فِي آخِرِ الْقَوْمِ، قَالَ: فَالْتَفَتُّ وَمَا أَفْقِدُ مَوْضِعَ تَمْرَةٍ وَقَدْ احْتَمَلَ مِنْهُ أَرْبَعُ مِائَةِ رَجُلٍ**»[3].
- **دعاء النبي ﷺ لدوس بالهداية**: روى أبو هريرة رضي الله عنه قال: «جاء الطفيل بن عمرو إلى النبي ﷺ فقال: إن دوساً قد هلكت، عصت وأبت، فادع الله عليهم، فقال: **اللهم اهد دوساً، وائت بهم**»[4].
- وروى أبو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: «لَمَّا قَدِمْتُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، قُلْتُ فِي الطَّرِيقِ: يَا لَيْلَةً مِنْ طُولِهَا وَعَنَائِهَا عَلَى أَنَّهَا مِنْ دَارَةِ الْكُفْرِ نَجَّتْ»، قَالَ: وَأَبَقَ مِنِّي غُلَامٌ لِي فِي الطَّرِيقِ، قَالَ: **فَلَمَّا قَدِمْتُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ بَايَعْتُهُ، فَبَيْنَا أَنَا عِنْدَهُ إِذْ طَلَعَ الْغُلَامُ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، هَذَا غُلَامُكَ؟ فَقُلْتُ: هُوَ حُرٌّ لِوَجْهِ اللَّهِ، فَأَعْتَقْتُهُ**»[5].

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب وفد بني حنيفة، ح ٤٣٧٢، في هذه الرواية ما يشير الى أن إسلام ثمامة بن أثال سبق قدوم وفد بني حنيفة باعتبار أن عام الوفود هذا كان بعد فتح مكة، والذي يظهر من الرواية أن أهل مكة لم يكونوا مسلمين وقد تهدد ثمامة تجارتهم، والله أعلم بالصواب.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب قدوم الأشعريين وأهل اليمن، ح ٤٣٨٨، وفي رواية في مسند الإمام أحمد برقم ٣/ ١٠٥، أنهم لما دنوا من المدينة كانوا يرتجزون: **غداً نلقى الأحبة محمداً وحزبه**، وإسناد الرواية صحيح.

(٣) أخرجه أحمد برقم ٥/ ٤٤٥، بإسناد قال فيه الشيخ ابراهيم العلي بأنه حسن.

(٤) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب قصة دوس والطفيل، ح ٤٣٩٢.

(٥) السابق، ح ٤٣٩٣، ومعلوم أن توقيت إسلام أبو هريرة كان في العام السابع للهجرة، وليس في هذا العام، ولكنني أتيت بهذه الرواية في سياق الحديث عن قبيلة أبي هريرة رضي الله عنه.

وروى جابر رضي الله عنه أن الطفيل بن عمرو الدوسي أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، هل لك في حصن حصين ومَنَعَة؟

قال: حصن كان لدوس في الجاهلية، **فأبى ذلك النبي ﷺ للذي ذخر الله للأنصار**، فلما هاجر النبي ﷺ إلى المدينة هاجر إليه الطفيل بن عمرو وهاجر معه رجل من قومه، فاجتووا المدينة[1]، فمرض فجزع، فأخذ مشاقص له، فقطع بها براجمه، فشخبت يداه حتى مات[2].

فرآه الطفيل بن عمرو في منامه، فرآه وهيئته حسنة، ورآه مغطياً يديه، فقال له: ما صنع بك ربك؟ فقال: **غفر لي بهجرتي إلى نبيه ﷺ**، فقال: ما لي أراك مغطياً يديك؟ قال: قيل لي لن نُصلح منك ما أفسدت.

فقصها الطفيل على رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: **اللهم وليديه فاغفر**»[3].

- **قدوم وفد نجران**: روى حذيفة رضي الله عنه قال: «جاء العاقب والسيد صاحبا نجران إلى رسول الله ﷺ يريدان أن يلاعناه، قال: فقال أحدهما لصاحبه: لا تفعل، فوالله لئن كان نبياً فلاعنّا لا نفلح نحن ولا عقبنا من بعدنا، قالا: إنَّا نعطيك ما سألتنا، وابعث معنا رجلاً أميناً، ولا تبعث معنا إلا أميناً، فقال: **لأبعثنَّ معكم رجلاً أميناً حقّ أمين، فاستشرف له أصحاب رسول الله ﷺ، فقال: قم يا أبا عبيدة بن الجراح**، فلما قام، قال رسول الله ﷺ: **هذا أمين هذه الأمة**»[4].
- **قدوم وفد كِندة**: روى الأشعث بن قيس رضي الله عنه قال: «أتيت رسول الله ﷺ في وفد كِندة، ولا يروني إلا أفضلهم، فقلت: يا رسول الله ألستم منا؟ فقال: نحن بنو النضر بن كنانة لا نقفو أُمَّنا، ولا ننتفي من أبينا، قال: فكان الأشعث بن قيس يقول: لا أوتى برجل نفي رجلاً من قريش من النضر بن كنانة إلا جلدته الحد»[5].

---

(١) كرهوا المقام فيها لضجر وبعض سقم أصابهم.

(٢) المشاقص: ما طال وعرُض من السهام، وأما البراجم: فهي مفاصل الأصابع، وأما معنى: فشخبت يداه: أي سال دمهما بغزارة.

(٣) أخرجه مسلم: كتاب الإيمان، باب الدليل على أن قاتل نفسه لا يكفر، ح ١١٦.

(٤) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب قصة نجران، ح ٤١١٩.

(٥) أخرجه ابن ماجة، كتاب الحدود، باب من نفى رجلاً من قبيلة، ح ٢٦١٢، وقال الشيخ ابراهيم العلي بأن إسناده قوي، وانظر صحيح السيرة برقم: ٨٢٤.

وروى الأشعث بن قيس، قال: قدمتُ على رسول الله ﷺ في وفد كندة، فقال لي: «هل لك من ولد؟»، قلت: غلام وُلد لي في مخرجي إليك، من ابنة جمده[1]، ولوددت أن مكانه شبع القوم، قال: «**لا تقولن ذلك، فإن فيهم قرة عين، وأجراً إذا قُبضوا، ثم ولئن قلت ذاك، إنهم لمجبنة محزنة، إنهم لمجبنة محزنة**»[2].

- **حكاية عُمان والبحرين**: صالح النبي ﷺ أهل هذه البلاد وفرض عليها الجزية.

وروى جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال لي رسول الله ﷺ: «لو قد جاء مال البحرين لقد أعطيتك هكذا وهكذا ثلاثاً، فلم يقدم مال البحرين حتى قُبض رسول الله ﷺ.

فلما قدم على أبي بكر أمر منادياً فنادى: من كان له عند النبي ﷺ دَين أو عدة فليأتني.

قال جابر: فجئت أبا بكر، فأخبرته أن النبي ﷺ قال: لو جاء مال البحرين أعطيتك هكذا وهكذا ثلاثاً، قال: فأعطاني، قال جابر: فلقيت أبا بكر بعد ذلك فسألته، فلم يعطني، ثم أتيته فلم يعطني، ثم أتيته الثالثة، فلم يعطني.

فقلت له: قد أتيتك فلم تعطني، ثم أتيتك فلم تعطني، ثم أتيتك فلم تعطني، فإما أن تعطيني، وإما أن تبخل عني، فقال: أقلت تبخل عني؟ وأي داءٍ أدوأ من البخل؟ قالها ثلاثاً، **ما منعتك من مرة إلا وأنا أريد أن أعطيك.**

وعن عمرو عن محمد بن علي قال: سمعت جابر بن عبد الله يقول: جئته، فقال لي أبو بكر: عدها، فعددتها، فوجدتها خمس مائة، فقال: خذ مثلها مرتين»[3].

وروى أنس رضي الله عنه قال: دعا النبي ﷺ الأنصار ليكتب لهم بالبحرين قالوا: لا والله حتى تكتب لإخواننا من قريش بمثلها، فقال: ذاك لهم ما شاء الله على ذلك يقولون له قال: **فإنكم سترون بعدي أثرة فاصبروا حتى تلقوني على الحوض**»[4].

وروى أنس رضي الله عنه قال: «أتي النبي ﷺ بمال من البحرين، فقال: (انثروه في

---

(١) يقال أن جمده من ملوك بني وليعة.

(٢) أخرجه أحمد ح ٢١٨٤٠، وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط: حديث صحيح.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب قصة عُمان والبحرين، ح ٤١٢٢.

(٤) أخرجه البخاري، كتاب الجزية والموادعة، باب ما أقطع النبي ﷺ من البحرين، ح ٣١٦٣.

المسجد)، فكان أكثر مال أتي به رسول الله ﷺ، إذ جاءه العباس، فقال: يا رسول الله، **أعطني إني فاديت نفسي وفاديت عقيلاً**، قال: (خذ)، فحثا في ثوبه، ثم ذهب يقله، فلم يستطع، فقال: مُر بعضهم يرفعه إليَّ، قال: (لا)، قال: فارفعه أنت عليَّ، قال: (لا)، فنثر منه ثم ذهب يقله فلم يرفعه، فقال: فمر بعضهم يرفعه عليَّ، قال: (لا)، قال: فارفعه أنت عليَّ، قال: (لا)، فنثر منه ثم احتمله على كاهله، ثم انطلق، **فما زال يتبعه بصره حتى خفي علينا، عجباً من حرصه، فما قام رسول الله ﷺ وثَّم منها درهم**»[1].

وروى أبو برزة رضي الله عنه قال: «بعث رسول الله ﷺ رجلاً إلى حيٍّ من أحياء العرب، فسبُّوه وضربوه، فجاء إلى رسول الله ﷺ فأخبره، فقال رسول الله ﷺ: **لو أتيت أهل عُمان، أتيت ما سبُّوك ولا ضربوك**»[2].

- **قدوم وفد بني أسد:** روى ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: قَدِمَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَفْدُ بَنِي أَسَد، فَتَكَلَّمُوا فَأَبَانُوا، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّه، قَاتَلَتْكَ مُضَرُ كُلُّهَا وَلَمْ نُقَاتِلْكَ، وَلَسْنَا بِأَقَلِّهِمْ عَدَدًا وَلا أَكَلِّهِمْ شَوْكَةً، وَصَلْنَا رَحِمَكَ.

فَقَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ لأَبِي بَكْر وَعُمَرَ حَيْثُ سَمِعَ كَلامَهُمْ: أَيَتَكَلَّمُونَ هَكَذَا؟ قَالَ: **يَا رَسُولَ اللَّه إِنَّ فِقْهَهُمْ لَقَلِيلٌ، وَإِنَّ الشَّيْطَانَ لينطق على لسانهم**»[3].

- **قدوم جرير بن عبد الله البجلي:** روى جرير رضي الله عنه قال: «لما دنوت من المدينة، أنخت راحلتي، وحللت عيبتي[4]، ولبست حلتي، ثم دخلت المسجد; فإذا برسول الله ﷺ يخطب، فرماني الناس بالحدق.

فقلت لجليسي: يا عبد الله، هل ذكر رسول الله من أمري شيئاً؟ قال: نعم، ذكرك بأحسن الذكر; بينما هو يخطب، إذ عرض له في خطبته، فقال: **إنه سيدخل عليكم من هذا الفج من خير ذي يمن; ألا وإن على وجهه مسحة مَلِك، قال: فحمدتُ الله**

t.me/ktabrwaya مكتبة

(١) السابق، ح٣١٦٥.

(٢) أخرجه مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أهل عُمان، ح ٦٤٤٢.

(٣) أخرجه أبو يعلى، ح ٢٣٦٣، وذكره الشيخ ابراهيم العلي في صحيح السيرة برقم: ٨٢٨، وقال بأن رجاله رجال الصحيح.

(٤) أي أنه فتح وأرخى مستودع الثياب والصندوق الذي يُحفظ فيه كل شيء نفيس.

على ما أبلاني»[1].

وقد أرسل النبي ﷺ جريراً في سرية ذي الخلصة: روى جرير رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: ألا تريحني من ذي الخلصة؟

فقلت: بلى، فانطلقت في خمسين ومائة فارس من أحمس، وكانوا أصحاب خيل، وكنت لا أثبت على الخيل، فذكرت ذلك للنبي ﷺ، فضرب يده على صدري حتى رأيت أثر يده في صدري.

وقال: **اللهم ثبِّته، واجعله هادياً مهدياً، قال: فما وقعت عن فرس بعد.**

قال: وكان ذو الخلصة بيتاً باليمن، لخثعم وبجيلة، فيه نصبٌ تعبد، يقال له الكعبة.

قال: فأتاها، فحرقها بالنار، وكسرها، قال: ولما قدم جرير اليمن، كان بها رجل يستقسم بالأزلام، فقيل له: إن رسول رسول الله ﷺ ها هنا، فإن قدر عليك ضرب عنقك، قال: فبينما هو يضرب بها، إذ وقف عليه جرير، فقال: لتكسرنها، ولتشهدن أن لا إله إلا الله، أو لأضربن عنقك، قال: فكسرها وشهد، ثم بعث جرير رجلاً من أحمس يكنى أبا أرطاة إلى النبي ﷺ يبشره بذلك، فلما أتى النبي ﷺ قال: يا رسول الله، والذي بعثك بالحق ما جئت حتى تركتها كأنها جمل أجرب، قال: **فبرَّك النبي ﷺ على خيل أحمس، ورجالها خمس مرات»**[2].

- **قدوم وفد الشباب:** روى مالك بن الحويرث قال: «أتينا رسول الله ﷺ **ونحن شببة متقاربون**، فأقمنا عنده عشرين ليلة، وكان رسول الله ﷺ رحيماً رقيقاً، فظن أنَّا قد اشتقنا أهلنا، فسألنا عن من تركنا مِن أهلنا، فأخبرناه، فقال: **ارجعوا إلى أهليكم، فأقيموا فيهم، وعلموهم، ومُروهم، فإذا حضرت الصلاة؛ فليؤذن لكم أحدكم، ثم ليؤمكم أكبركم»**[3].
- **حكاية وفد مضر:** روى جرير رضي الله عنه قال: «كنا عند رسول الله ﷺ في صدر النهار،

---

(١) أخرجه أحمد برقم ٤/ ٢٥٦، والحميدي برقم ٨٠٠، وذكره الشيخ العلي في صحيح السيرة برقم: ٨٢٩، وقال: إسناده صحيح، وجرير رضي الله عنه هو الذي يقول: **ما حجبني رسول الله ﷺ منذ أسلمت ولا رآني إلا تبسم»** أخرجه البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب ذكر جرير البجلي، ح ٣٨٢٢.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة ذي الخلصة، ح ٤٣٥٥.

(٣) أخرجه مسلم، كتاب المساجد، باب من أحق بالإمامة، ح ١٥٣٣، وشببة جمع شاب، ومعناه متقاربون في السن.

قـال: فجاءه قوم حفاة عراة مجتابي النمار أو العباء[1] متقلدي السـيوف، عامتهم من مضر بل كلهم من مضر، فتمعر وجه رسول الله ﷺ لما رأى بهم من الفاقة.

فدخل ثم خرج، فأمر بلالاً فـأذَّن وأقام فصلى ثم خطب فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ النساء: ١ إلى آخر الآية، والآية التي في الحـشر ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾﴾ الحشر: ١٨.

تصـدق رجل من دیناره، من درهمه، من ثوبه، مـن صاع بُره، من صاع تمره، حتى قال: ولو بشقِّ تمرة، قال: فجاء رجل من الأنصار بصرة كادت كفه تعجز عنها، بل قد عجزت.

قال: ثم تتابع الناس حتى رأيت كومين من طعام، وثياب، حتى رأيت وجه رسـول الله ﷺ يتهلل كأنه مذهبة[2].

فقال رسـول الله ﷺ: **من سنَّ في الإسلام سُنة حسـنة، فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سنَّ في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء**»[3].

- **قدوم تميم الداري رضي الله عنه وحديث الجساسة:** روت فاطمة بنت قيس أخت الضحاك بن قيس وكانت من المهاجرات الأُوَل قالت: «... فلما قضى رسول الله ﷺ صلاته جلس على المنبر وهو يضحك، فقال ليلزم كل إنسان مصلاه، ثم قال: أتدرون لم جمعتكم؟

قالوا: الله ورسـوله أعلم، قـال: إني والله ما جمعتكم لرغبـة ولا لرهبة، **ولكن جمعتكم لأن تميماً الداري كان رجلاً نصرانياً فجاء، فبايع وأسلم، وحدثني حديثاً**

---

(١) أي يلبسون ثياب صوف فيها خرق عند وسطها.

(٢) يستنير فرحاً وسروراً كأنه فضة مذهبة.

(٣) أخرجه مسلم، كتاب الزكاة، باب الحث على الصدقة، ح ٢٣٤٨، وقد ترجح لديَّ أن هؤلاء القوم جاءوا في عام الوفود (أو بعده) وليس قبل ذلك، لأن راوي الحديث هو جرير بن عبد الله رضي الله عنه، ولم يكن قد أسلم قبل ذلك، والله تعالى أعلم.

وافق الذي كنت أحدثكم عن مسيح الدجال، حدثني أنه ركب في سفينة بحرية مع ثلاثين رجلاً من لخم وجذام، فلعب بهم الموج شهراً في البحر، ثم أرفئوا إلى جزيرة في البحر، حتى مغرب الشمس، فجلسوا في أقرب السفينة، فدخلوا الجزيرة، فلقيتهم دابة أهلب كثير الشعر، لا يدرون ما قبله من دبره من كثرة الشعر. فقالوا: ويلك ما أنت؟ فقالت: أنا الجساسة، قالوا: وما الجساسة؟ قالت: أيها القوم انطلقوا إلى هذا الرجل في الدير، فإنه إلى خبركم بالأشواق.

قال: لما سمَّت لنا رجلاً فرِقنا منها أن تكون شيطانة.

قال: فانطلقنا سراعاً حتى دخلنا الدير، فإذا فيه أعظم إنسان رأيناه قط خلقاً، وأشده وثاقاً، مجموعة يداه إلى عنقه ما بين ركبتيه إلى كعبيه بالحديد، قلنا: ويلك ما أنت؟ قال: قد قدرتم على خبري، فأخبروني ما أنتم؟ قالوا: نحن أناس من العرب ركبنا في سفينة بحرية، فصادفنا البحر حين اغتلم فلعب بنا الموج شهراً، ثم أرفأنا إلى جزيرتك هذه، فجلسنا في أقربها، فدخلنا الجزيرة، فلقيتنا دابة أهلب كثير الشعر لا يدرى ما قبله من دبره من كثرة الشعر، فقلنا: ويلك ما أنت فقالت: أنا الجساسة، قلنا: وما الجساسة؟ قالت: اعمدوا إلى هذا الرجل في الدير فإنه إلى خبركم بالأشواق، فأقبلنا إليك سراعاً، وفزعنا منها، ولم نأمن أن تكون شيطانة.

فقال: أخبروني عن نخل بيسان، قلنا: عن أي شأنها تستخبر؟ قال: أسألكم عن نخلها، هل يثمر؟ قلنا له: نعم.

قال: أما إنه يوشك أن لا تثمر.

قال: أخبروني عن بحيرة الطبرية، قلنا عن أي شأنها تستخبر؟ قال: هل فيها ماء؟ قالوا: هي كثيرة الماء.

قال: أما إن ماءها يوشك أن يذهب.

قال: أخبروني عن عين زغر، قالوا: عن أي شأنها تستخبر؟ قال: هل في العين ماء؟ وهل يزرع أهلها بماء العين؟ قلنا له: نعم هي كثيرة الماء، وأهلها يزرعون من مائها.

قال: أخبروني عن نبيِّ الأميين، ما فعل؟ قالوا: قد خرج من مكة، ونزل يثرب.

قال: أقاتله العرب؟ قلنا: نعم.

قال: كيف صنع بهم؟ فأخبرناه أنه قد ظهر على من يليه من العرب، وأطاعوه.

قال لهم: قد كان ذلك؟ قلنا: نعم، قال: أما إن ذاك خير لهم أن يطيعوه.

وإني مخبركم عني، إني أنا المسيح، وإني أوشك أن يؤذن لي في الخروج، فأخرج، فأسير في الأرض، فلا أدع قرية إلا هبطتها في أربعين ليلة، غير مكة وطيبة، فهما محرمتان عليَّ كلتاهما، كلما أردت أن أدخل واحدة أو واحداً منهما استقبلني مَلَك بيده السيف صلتا يصدني عنها، **وإن على كل نقب منها ملائكة يحرسونها.**

قالت قال رسول الله ﷺ: وطعن بمخصرته في المنبر، هذه طيبة، هذه طيبة، هذه طيبة، يعني المدينة، ألا هل كنت حدثتكم ذلك؟

فقال الناس: نعم، فإنه أعجبني حديث تميم أنه وافق الذي كنت أحدثكم عنه وعن المدينة ومكة، ألا إنه في بحر الشأم، أو بحر اليمن، لا بل من قبل المشرق ما هو من قبل المشرق، ما هو من قبل المشرق، ما هو وأومأ بيده إلى المشرق.

قالت: فحفظت هذا من رسول الله ﷺ»[1].

- **إسلام همدان في اليمن:** روى البراء رضي الله عنه قال: «بعثنا رسول الله ﷺ مع خالد بن الوليد إلى اليمن، قال: ثم بعث علياً بعد ذلك مكانه، فقال مُر أصحاب خالد من شاء منهم أن يعقب معك فليعقب، ومن شاء فليقبل، فكنت فيمن عقب معه، قال: فغنمت أواق ذوات عدد»[2].
- **بعث علي وخالد رضي الله عنهما إلى اليمن:** روى أبو سعيد الخدري يقول بعث علي بن أبي طالب رضي الله عنه إلى رسول الله ﷺ من اليمن بذهيبة في أديم مقروظ لم تحصل من ترابها قال فقسمها بين أربعة نفر بين عيينة بن بدر وأقرع بن حابس

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب قصة الجساسة، ح ٢٩٤٢.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب بعث علي وخالد رضي الله عنهما إلى اليمن، ح ٤٣٤٩، وقد أورده الإسماعيلي من طريق أبي عبيدة بن أبي السفر «سمعت إبراهيم بن يوسف «وهو الذي أخرجه البخاري من طريقه فزاد فيه: قال البراء: فكنت ممن عقب معه، فلما دنونا من القوم خرجوا إلينا، فصلى بنا عليٌ وصفنا صفاً واحداً، ثم تقدم بين أيدينا، فقرأ عليهم كتاب رسول الله ﷺ، فأسلمت همدان جميعاً، فكتب عليٌ إلى رسول الله ﷺ بإسلامهم، فلما قرأ الكتاب خرَّ ساجداً، ثم رفع رأسه وقال: **السلام على همدان، السلام على همدان.**

وزيد الخيل والرابع إما علقمة وإما عامر بن الطفيل، فقال رجل من أصحابه: كنا نحن أحق بهذا من هؤلاء، قال: فبلغ ذلك النبي ﷺ **فقال: ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء، يأتيني خبر السماء صباحاً ومساء**، قال: فقام رجل غائر العينين، مشرف الوجنتين، ناشز الجبهة، كث اللحية، محلوق الرأس، مشمر الإزار، فقال يا رسول الله: اتق الله، **قال: ويلك، أولستُ أحق أهل الأرض أن يتقي الله**، قال: ثم ولى الرجل، قال خالد بن الوليد: يا رسول الله ألا أضرب عنقه؟ **قال: لا، لعله أن يكون يصلي.**

فقال خالد: وكم من مصلٍّ يقول بلسانه ما ليس في قلبه!!.

قال رسول الله ﷺ إني لم أومر أن أنقب عن قلوب الناس، ولا أشق بطونهم، قال: ثم نظر إليه وهو مقف فقال: إنه يخرج من ضئضئ هذا قوم يتلون كتاب الله رطباً، لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، وأظنه قال: **لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل ثمود**»[1].

- **بعث معاذ وأبي موسى الأشعري رضي الله عنهما أيضاً إلى اليمن:** روى أبو بردة رضي الله عنه قال: «بعث رسول الله ﷺ أبا موسى ومعاذ بن جبل إلى اليمن، قال: وبعث كل واحد منهما على مخلاف[2]، قال: واليمن مخلافان، ثم قال: يسرا ولا تعسرا، وبشرا ولا تنفرا، فانطلق كل واحد منهما إلى عمله، وكان كل واحد منهما إذا سار في أرضه كان قريباً من صاحبه، أحدث به عهداً، فسلم عليه، فسار معاذ في أرضه قريباً من صاحبه أبي موسى، فجاء يسير على بغلته حتى انتهى إليه، وإذا هو جالس، وقد اجتمع إليه الناس، وإذا رجل عنده قد جُمعت يداه إلى عنقه، فقال له معاذ: يا عبد الله بن قيس، أيم هذا؟

قال: هذا رجل كفر بعد إسلامه، قال: لا أنزل حتى يُقتل.

قال: إنما جيء به لذلك، فانزل، قال: ما أنزل حتى يُقتل، فأُمر به فقتل، ثم نزل،

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب بعث النبي ﷺ علياً وخالداً رضي الله عنهما إلى اليمن قبل حجة الوداع، ح٤٣٥١.

(٢) المخلاف هو الإقليم، واليمن مخلافان اثنان.

فقـــال: يا عبد الله، كيف تقرأ القرآن؟ قال: أتفوقه تفوقاً[1]، قال: فكيف تقرأ أنت يا معـــاذ؟ **قال: أنام أول الليل، فأقوم وقـــد قضيتُ جزئي من النوم، فأقرأ ما كتب الله لي، فأحتسبُ نومتي، كما أحتسب قومتي**»[2].

أبرز الفوائد والأنوار

- **أبرز الفوائد والأنوار في المجال النفسي القيمي السلوكي (التربوي):**

- لم تشـــكل الكلمة التي قالها النبي ﷺ لعثمان رضي الله عنه يـــوم العسرة أية خطورة على نفســـه القوية الراســـخة المنضبطة، وأما لو قالها النبي ﷺ لنا في هذا الزمان فإن الحال لاشك سيختلف» ما ضر عثمان ما عمل بعدها».
- حُق لكل من عاش مشـــهداً من مشـــاهد الفداء والبذل مع النبي ﷺ أن يفتخر به وأن يقول: **هو أوثق أعمالي عندي**، كما قال يعلى بن أمية وهو يصف مشاركته في غزوة تبوك.
- في استعجال النبي ﷺ لأصحابه لما مروا من ديار ثمود ما يؤكد قيمة الابتعاد عن آثار الذين ظلموا، قريبة كانت تلك الآثار أم بعيدة، خشية أن يكون بيننا وبين هؤلاء أي علاقة زمانية أو مكانية.
- لم يكن رسول الله ﷺ لينسى من مدحه وثنائه وتحفيزه أولئك الذين بذلوا المستطاع للخروج معه في تبوك، لكنه لم يجد ما يحملهم عليه، أو أنهم من أصحاب الأعذار بين مريـــض وأعمى وأعرج أو صاحب مهمة خاصة كلَّفـــه بها النبي ﷺ، فهؤلاء أطلق لهم النبي ﷺ تعميماً يؤكد مشـــاركتهم مـــع إخوانهم الخارجين إلى الغزوة في الأجر ســـواءً بسواء، وهذا إن دل فإنما يدل على حُسن تفهُّم النبي ﷺ لأعذار هـــؤلاء، وتفريقه بين المنافقين الذين تخلفوا عن الغزوة عمداً، وبين الثلاثة الذين تخلفوا عن الغزوة كسلاً.

---

(١) أتفوقه تفوقاً: بالفاء ثم القاف أي ألازم قراءته ليلاً ونهاراً شيئاً بعد شيء، وحيناً بعد حين: مأخوذ من فُواق الناقة، وهو أن تحلب ثم تُترك ساعة حتى تدر، ثم تحلب هكذا دائماً.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب بعث أبي موسى ومعاذ إلى اليمن قبل حجة الوداع، ح ٤٠٨٦.

- تمتعت شـــخصية كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بالحساسية العالية لدرجة أنه لم ينس لطلحة أنه هو الوحيد الذي قام له عندما دخل على النبي ﷺ ليبشره بتوبة الله عليه.
- في سؤال كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ للنبي ﷺ إن كانت التوبة عليه من النبي الكريم أم من الله ما يؤكد علم كعب بأن الخطيئة التي ارتكبها لم تكن في حق النبي الكريم، إنما كانت في حق الله تعالى، وهو ينتظر توبة من الله، فقد صدق مع الله، فكان له ما رغب.
- لخص كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ســبب قبول توبته بالصدق مع الله تعالى، فعاهد نفسه وربه ألا يكذب ليحفظه الله فيما بقي له من العمر.
- حتى الصبيان الصغار كان لهم مشاركات وجدانية تصنع في نفوسهم بعض الآثار الايجابية لاحقاً، لأجل ذلك كان أهلهم يحرصون على مشاركتهم احتفالات الأمة بنصرها، ومن هنا نجد أن الصبية والفتيان كانوا يحضرون اســتقبال النبي ﷺ بعد عودته مع جيشــه مظفراً منصوراً من غزواته، ومثل ذلك كانوا في اســتقبال جيش مؤتة وهم يقولون له: يا فُرَّار يا فُرَّار.
- كان رسول الله ﷺ يقوم بتعزيز شخصيات أو مجموعات بطريق ذمه لمجموعات أخرى، فها هو يحكي لذاك الرجل الذي أرســله الى قوم فسبوه وشتموه، لو أنك ذهبــت الى أهل عُمان لم يؤذوك، فهذا تعزيز لأهل عُمان وكأنه يريدهم أن يكونوا حماة مدافعين عن رُســله وأصحابه الكرام، **ولم تفتح (لو) هنا عمل الشيطان، بل فتحــت عمل الرحمن، بدلالة هذا الرجل عــلى أفق جديدة للدعوة، وتحفيزٍ لأهل عُمان على حسن وِفادة واستقبال الرسل.**
- **راعــى النبي ﷺ احتياجات الشــباب**، فهو على الرغم مــن رغبته في أن يبقوا الى جانبه يوم جاء وفدهم إليه، ومعهم مالك بن الحويرث إلا أنه ﷺ سأل عن أهلهم ومَن تركوا وراءهم، فوجد أنه مراعــاةً لهم ولأهلهم لابد أن يختصروا مدة الإقامة عنده، فلربما كان واحدهم ليس لأهله من يخدمهم إلا هو، ولربما كان واحد آخر قريب العهد بزواج، ولغيرها من الحاجات، لكنه قبل أن يصرفهم إلى أهلهم كلفهم بمهمات محددة، حيث التعليم والنصيحة لأهلهم من جهة، ونظم أمورهم بالنسبة لإدارة شــؤون الصلاة، حيث الإمامة لأكبرهم، وقد وجدهم متســاوين في القراءة

لكتاب الله تعالى من جهة أخرى.

- بلغ أبو لبابة رضي الله عنه ومن تخلف معه عن الغزوة مبلغاً عظيماً في تأنيب الذات ومعاقبة النفس، لدرجة أنهم ربطوا أنفسهم بسواري المسجد، وقد شدد النبي ﷺ في عقوبتهم لدرجة أنه رفض الصفح عنهم، وأحال أمرهم إلى الله تعالى، كما أنهم هم لم يصفحوا عن أنفسهم للسبب ذاته، حتى تاب الله تعالى عليهم، كمثل توبته سبحانه على المخلفين الثلاثة عن الغزوة نفسها.
- يقول الدكتور محمد سعيد البوطي: «لماذا اختار مع المنافقين اللين والصفح واختار مع المسلمين الصادقين الشدة والعقوبة؟

والجواب: أن الشدة والقسوة في هذا المقام مظهر للإكرام والتشريف، وهو ما لا يستأهله المنافقون، وكيف يستأهل المنافقون أن تنزل آيات في عقوبتهم وعفو الله عنهم»[1].

- أبرز الفوائد والأنوار في المجال الاجتماعي التأثيري التواصلي (الدعوي):

- صحيح أن لعلي رضي الله عنه منزلة راقية عند النبي ﷺ لكنها لا تبلغ به كما يدَّعي الشيعة الروافض أن تجعله وريثه في كل شيء حتى في النبوة الدينية وفي الخلافة السياسية، وما أجمل ضبط النبي ﷺ لبيان محبته وتقديره لعلي رضي الله عنه عندما قال له» غير أنه لا نبي بعدي».
- كان النبي ﷺ يحب أن يسمع اقتراحات أصحابه ويرغب في تفاعلهم معه، فلما اشتد العطش في طريق تبوك حتى صاروا يشربون من فرث الإبل بعد نحرها جاء أبو بكر يمشي على استحياء إلى النبي ﷺ ويطلب منه على ما اعتاده الصحابة من دعائه وبركته بأن يسقيهم الله تعالى، فأجاب الحبيب حبيبه بلغة فيها شيء من التحبب عندما قال له: أتحب ذلك، وهو لا شك لم يسأل إلا لأنه يحب ذلك، **كما أن النبي ﷺ يعلم الجواب، لكنه التحبب بين الأحباب، فكان الدعاء، ونزل المطر بفضل رب الأرباب.**

---

(١) فقه السيرة النبوية، الدكتور محمد سعيد البوطي، ص ٣٠٦.

- في بدء النبي ﷺ عند عودته من أسفاره بالذهاب إلى المسجد تأكيد على حُسن اتصاله بربه أولاً، ولأن المسجد مكان تواصل المسلم مع إخوانه فهو يحب أن يعرف آخر أخبار المدينة، ويتواصل ولو بشكل سريع مع أصحاب الحاجات العاجلة فيها، قبل أن يرجع إلى أهله ويسعد بهم ومعهم.
- كان للجانب الاجتماعي أثره في حكاية كعب التائب، فهو يخشى أن يفضح في أهله ومجتمعه، لأجل ذلك حاول قومه إقناعه بأن يرجع إلى النبي ﷺ وأن يخترع عنده أي كذبة كما فعل سائر المنافقين، لكنه آثر الصدق، وقهر تلك الضغوط الاجتماعية من حوله.
- جلس كعب رضي الله عنه بين يدي القائد للتحقيق فسأله وفي وجهه علامات الغضب، حتى تلك الابتسامة النبوية لم تكن صافية هذه المرة في وجه كعب، ولا أعتقد بأن هيئة النبي ﷺ عندما جاءه المخلفون من المنافقين تشبه هيئته عند كعب رضي الله عنه.
- أكَّد كعب أنه قادر على الكذب فقد أوتي جدلاً، لكنه لا يريد السلامة من الفضيحة عند الخلق ثم يجد فضيحة أكبر منها عند الخالق، فخرج من مجلس النبي ﷺ بأقلِّ القدر من الخسائر، على ما كان منه من خطأ أو هو خطيئة، حيث نال وسام الصدق مبدئياً (أما هذا فقد صدق) وإن نال عقوبة النبذ مرحلياً، **وفي قول النبي ﷺ: أما هذا فقد صدقكم دليل ضمني على أن مَن سوى هذا فقد كذبكم، وهو شكل من أشكال فضح المنافقين وتعريتهم بطريق التعريض.**
- كان من الأمور التي ثبَّتت كعب رضي الله عنه وجعلته يستمر في صدقه أنه سأل إن كان هنالك أحد غيره وقع بما وقع فيه، فقالوا له بأن هنالك رجلين آخرين مثله، وهنا تتأكد أهمية المجموعة حتى ولو كانت صغيرة في تثبيت الفؤاد على القيم العالية مهما كانت كلفة ذلك، ولو لم يجر بين أفراد هذه المجموعة أي اتصال يُذكر، إنما هو الاتصال النفسي في قصة كعب والمخلفين مثله.
- **استخدم النبي ﷺ استراتيجية غير معهودة في إدارة أزمة المخلفين الثلاثة، ونرى هنا أن النبي ﷺ يقرر ذلك بشكل بشري محض لأننا لا نعلم أن وحياً كلفه بتلك الطريقة الإبداعية في العقاب، معتمداً على الجانب النفسي، فهو وإن لم يعتقل أو**

يحبس أحداً منهم إلا أنه حجب الناس عنهم فصار السجن أولى وأحسن بالنسبة لهم من تلك العقوبة، ولعله اختار لهم هذا النوع من العقوبة لأن الجزاء من جنس العمل، أليسوا مَن عزلوا أنفسهم عن نبض الأمة المتحرك إلى تبوك، وفي وقتٍ تحرك الناس وتفاعلوا مع قضيتهم الساخنة، أخرج هؤلاء الثلاثة أنفسهم من دائرة اهتمامات أمتهم، واعتنى كلٌّ منهم بنفسه، وآثر الانشقاق والغيبة والابتعاد، فكان جزاؤهم من جنس عملهم، ولكل من يبتعد عن أمته عند احتياجها إليه عقوبة بالمثل، أن تبتعد عنه الأمة وتنبذه حتى يتوب ويدرك شناعة موقفه ذاك.

- زادت العقوبة في وقعها على كعب دون صاحبيه لأنه كان أشبَّ منهما، وهذا من عدل الله تعالى لأنه ما دام أشب منهما فالجهاد في حقه أوجب منهما، بحيث أصبح قعوده أكثر إثماً من قعودهما، فكان شعوره بالعقوبة النفسية مضاعفاً عن شعورهما، كيف لا وهما قد لزما بيوتهما، أما هو فيتحرك وتضيق الأرض عليه بما رحبت، وكُلف بعد ذلك بتسريح زوجته، فصار في حالة من الاعتقال المفتوح، ولعل في خطوة تسريح أهله عنه ما يؤكد أن الجزاء من جنس العمل كذلك، فما دامت جريمتك كان سببها رغبتك في قعودك عند أهلك، فإن عقوبتك تكمن في حرمانك منهم وأنت عندهم.
- بلغ الأمر ذروته عند كعب رضي الله عنه وقد ضاقت عليه الأرض بما رحبت أن يسأل قريباً له إن كان يشهد له بالإيمان أم أنه منافق، وكأنه أصبح يشكُّ في نفسه ويريد أن يستبين... لكنه لم يجد جوابا.
- خاف كعب من مراجعة النبي ﷺ بشأن زوجته لأنه لا يريد أن يأتي بأي حركة من جهته قد تزيد الطين بلة.
- على الرغم من تشريع الحج إلا أن النبي ﷺ لم يحج في العام الأول من تشريعه، وإنما بعث أبا بكر ليحج في الناس، وكأنه يريد أن يعطي أبا بكر دوراً في الإمارة الدينية للناس تمهيداً لأدوار متقدمة سيؤديها بعد وفاة رسول الله ﷺ هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى أراد النبي ﷺ أن يبقى في المدينة لضبط شؤون دولته وتحقيق الهدوء والاستقرار التام فيها، وهذا في فقه الأولويات أولى من الحج،

ليكون العام العاشر وليس التاسع للهجرة هو عام حجة الوداع.

- كانت التعليمات الصارمة التي أصدرها النبي ﷺ بمنزلة قانون يضبط علاقات المجتمع المسلم وعهوده بشكل لا مجال فيه للموارية، وبذلك تأكدت عقيدة الولاء والبراء من خلال المعاني التي أصَّلتها سورة التوبة عند نزولها في ذلك الظرف الكريم.
- شكَّل ما يسمى بعام الوفود نقلة نوعية في الدعوة إلى الله تعالى، فبالأمس القريب كان النبي ﷺ هو الذي يتحرك للآخرين، ويبعث رسائله للملوك، واليوم تأتيه الوفود لتتعرف على ما عنده من خير، ولتبايعه على الإسلام، ولتتعلم منه الخير ثم ترجع إلى أقوامها لتبلغها الإسلام، وهذا كله من فضل الله تعالى، **ثم إنه جدير بالذكر أن نعلم بأن الأفكار تحارَب في البداية، ثم إن كتب الله تعالى لها القبول يأتيها من يخطب وُدها ويتابع أصحابها.**
- كان النبي ﷺ يبادل من يجامله مجاملة بمجاملة مثلها، وهذا ما فعله مع وفد ملك أيلة.
- وجوب الالتزام بأمر النبي ﷺ، وإلا ففي مهبِّ الريح يكون مصير كل مخالف.
- تخيير النبي ﷺ لأصحابه عند تحوله من المشي البطيء إلى المشي السريع حتى لا يختلط الأمر على أصحابه، وتحصل فتنة.
- استذكار ذكريات أُحد وبيان عمق محبة ساكني هذا المكان عند النبي ﷺ.
- حسن استذكار النبي ﷺ لعشائر المدينة وبيان فضلهم وتعدادهم على سبيل التفضيل، مع رده الحكيم لمن جاء يسأله عن سبب تأخير ذكر عشيرته في باب التحبب إليهم كلهم، وهذا سؤال ما كان ليسأله أي إنسان يحب الخير لعشيرته لاسيما في موقف من مواقف الشرف كهذا ولا ضير، وهو مما يؤكد أنه لا يزال ثمة تنافس كبير بين أهل المدينة على الشرف والفضيلة.
- تشريع الجمع بين الصلوات سواء أكان جمع تأخير أم جمع تقديم، أو ما يسمى بالجمع الصوري رفعاً للحرج.
- استذكار النبي ﷺ لصاحبه سعد بن معاذ وهذا نوع وفاء، وتبشير الصحابة رضي

الله عنهم بأن مناديل سعد رضي الله عنه في الجنة أطيب وأنعم ملمساً من قِباء أكيدر ملك دومة الجندل.

- لم يمنع الحراك الجهادي للنبي ﷺ في مسيره إلى تبوك أن يجيب على سؤالات أصحابه على الطريق، وأن يتواصل معهم تواصلاً فقهياً علمياً، فبيَّن لهم أحوال سترة المصلي، وحدَّثهم عن رأس الأمر وعموده، وأخبرهم كيف يطهر جلد الميتة.
- يعلق الشيخ محمد الغزالي راداً على من تعجب لبروز هذه اللغة الشديدة التي أطلقتها آيات سورة براءة في البراءة من المشركين، والتي أعلنها علي رضي الله عنه في تلك الحجة فيقول: «فلما تبين أن الوثنيين يستخفون بكل شيء وأنهم يستغلون الحق الممنوح لهم في الفتنة والعدوان والقتل، لم يبق لتركهم من حكمة، وإن الكلب العقور لا يُترك طليقاً فإذا أفلت من قيده فأهدر دمه، فمن السفه عدُّ ما حدث جريمة قتل، والذين يظنون أو يحلو لهم الظن بأن الإسلام عندما طارد الوثنية خنق حرية الرأي هم أشخاص واهمون أو مغرضون، وعلى هدى التجارب والمصائب التي عاناها المسلمون طوال اثنين وعشرين عاماً تعرف سر الغضب الذي اشتغل آخر الأمر، ولمَ نزل الوحي يعالن المشركين بالقطيعة ويرفض منهم كل اعتذار»[1].

- أبرز الفوائد والأنوار في المجال الاقتصادي المعاشي:

- لا يمكن أن يمشي جيش العسرة ولا أي جيش آخر خطوة واحدة بلا تجهيز ولا إعداد، لأجل ذلك ولما لجيش العسرة من خصوصية فقد فتح النبي ﷺ باب التطوع والتبرع المادي بشكل واسع، وجعل لذلك حوافز كبرى، مما أدى إلى تفاوت الأصحاب في العطاء، وقد أنفق ذو سعة من سعته، وأما من قُدر عليه رزقه فقد أنفق وسعه كذلك.
- ربط كعب رضي الله عنه توبته بانخلاعه من ماله كله، لأجل الله تعالى، وفي هذا الربط وإن لم تأته الموافقة التامة من النبي ﷺ عليه إلا أن في هذا الربط ما يحكي معرفة كعب التامة لسبب تخلفه عن الغزو، ألا وهو هذا المال الذي رغب فيه وشجعه

(١) فقه السيرة، الشيخ محمد الغزالي، ص ٤١٩.

على القعود.

- كان النبي ﷺ حريصاً على سداد حاجة الوفود المادية والمعاشية نسبياً، مثل حرصه على سداد حوائجهم المعنوية والنفسية، لأجل ذلك كان ينظر في حالهم فيراهم جياعاً فيسد جوعتهم دون سؤال منهم أحياناً، وأحياناً أخرى يستجيب لطلبهم في ذلك، وهذا ما حصل مع وفد مزينة، وكان الشاهد على البركة التي حلت في تمر رسول الله ﷺ الذي أطعمهم إياه النعمان بن مقرن رضي الله عنه.
- وعد النبي ﷺ جابراً رضي الله عنه أن يعطيه من مال البحرين إن جاء فمات النبي ﷺ قبل أن يأتي مال البحرين وهو الجزية التي صالح النبي ﷺ عليها أهل ذلك البلد، فصار النبي ﷺ بعد وفاته في حلٍّ من وعده لجابر، لكن وفاء أبي بكر رضي الله عنه بوعود النبي ﷺ جعله يعلن في الناس إن كان لأحد حق فليأته، فلما جاء جابر أعطاه ثم كرر المسألة فلم يعطه، ولا ندري هل كان العطاء الأول ناقصاً أم أن هنالك أولويات أخرى كانت تشغل أبا بكر حينئذ، على كل حال كانت مراجعة ومكاشفة جابر لأبي بكر رضي الله عنهما مفيدة، بحيث أعطاه وزاده في العطاء، وأغلق الموقف بينهما، **ومهما كانت النفوس راقية إلا أن شيطان المال إن جاء فإنه يزعزع تلك النفوس، ويفصم ما بينها من علاقات، والمكاشفة مطلوبة وواجبة.**
- أثبت طلب الأنصار للنبي ﷺ عندما أراد أن يكتب لهم مما سيأتيه من مال البحرين بأن يكتب لإخوانهم المهاجرين مثله، ما كانت تحمله نفوس الأنصار من سخاوة وكرم، حتى أنهم أرادوا أن يشركهم النبي ﷺ مع إخوانهم الأنصار بمجرد الوعد بمال سيأتي، فكيف بالمال الذي بين أيديهم، إنه رقيٌّ لم يُسبق، ولشدة فرح النبي ﷺ بهم حذَّرهم من فتن قادمة تكون الأثرة (وهي عكس الإيثار) هي السائدة، وعندئذ ليس لنا إلا الصبر.
- أثبتت حكاية بعض مال البحرين لما جاء أن الله تعالى أكرم عبده ونبيه ﷺ بخير عظيم قبل وفاته بعد مراحل معيشية صعبة عاشها هو وأصحابه، وقد كان لموقف العباس بين يدي النبي ﷺ ما يدل على أن المال له وزنه في النفوس مهما كانت راقية، فها هو العباس رضي الله عنه يريد أن يأخذ بدل الفداء الذي دفعه ليفدي نفسه يوم

بدر، وقد كان مسلماً ودخل في جيش المشركين مضطراً ليخفي إسلامه، فراعى النبي ﷺ حاجة العباس، لكنه لم يُعنه على حمل الزائد عن حاجته على الرغم من طلبه وإصراره في الطلب، ليعطي له ولمن حوله درساً في قبح الشح والحرص على الدنيا، وما قام النبي ﷺ من مجلسه إلا وقد صرف جميع ما جاءه، ليثبت زهده التام، فهو لم يبق لنفسه مما جاء من هذا الخير العظيم شيئاً، وما عند الله خير وأبقى.

- **استخدم النبي ﷺ استراتيجية الاستنفار و(الفزعة) لسداد فقر وحاجة وفد مضر، فآتت هذه الاستراتيجية أُكلها بشكل كبير**، وقد ركز النبي ﷺ في تعليقه الأخير على الثناء والتبريك لكل جهد يكون سبباً في تحريك جهودٍ بعده للخير، إذ ليس من أنفق أولاً كمن تبع، ولا من تقدم بالخير كمن لحق، وفي كلٍّ خير، ومثل ذلك فيمن يتصدى ويتصدر لأعمال السوء، إنه التأصيل الشرعي للحسنة الجارية... فله أجرها... أو للسيئة الجارية... فعليه وزرها.
- في اعتراض من اعترض على قسمة النبي ﷺ لبعض ما جاءه من اليمن ما يدلك على أنه لن يزال الاعتراض على قسمة الفيء والغنائم والخيرات من البشر لتنوع واختلاف أهوائهم، حتى لو كان الذي يوزع ذلك نبي من الأنبياء ولا يُبقي لنفسه مما وزع شيئاً.
- برزت عناية النبي ﷺ بجانب الإحصاء لكل شيء وهو على الطريق في حدود دولته.

- أبرز الفوائد والأنوار في مجال إدارة المواقف والسياسة الشرعية:

- تابع النبي ﷺ مسيرته الدعوية وفي كل مرة يكتشف صفة من صفات المنافقين، كما سجَّل القرآن الكريم كذلك مواقفهم من لحظة إعلان النبي ﷺ نيته التوجه إلى تبوك، حيث صدرت عنهم خطوات عدة كشفت نواياهم، فهي بحق (غزوة تبوك) الفاضحة الكبرى لهم، **هذا ومما قام به المنافقون آنذاك:**

١. الهمز واللمز بالمنفقين سواء أكانوا من المكثرين أم من المقلين.

٢. اختلاق الأعذار الواهية للقعود عن الزحف.
٣. تشتيت جهود المسلمين من خلال اشتغالهم ببناء وافتتاح مسجد الضرار.
٤. تحضير كتيبة مكونة من عدد لا يقل عن عشرة رجال لمحاولة اغتيال النبي ﷺ، ففضحهم الله تعالى، وهم الذين قال عنهم حذيفة رضي الله عنه بأنهم حرب على الله ورسوله في الدنيا والآخرة.
٥. محاولة تنفير ناقة النبي ﷺ ليقع عنها لولا أن انتبه لهم وأمر بإبعادهم عنها.

- دل موقف النبي ﷺ مع الذي جاء يسأله أن يحمله وأن يجهزه هو ومن وراءه من أصحابه ولم يكن النبي ﷺ يجد ما يحملهم عليه فأقسم النبي ﷺ يميناً وهو في حالة انفعال وغضب على ألا يحملهم كل ذلك إنما دل على بشرية النبي ﷺ، فيبدو أنه كان قد تعرض لضغط ما، فجاء ذاك الرجل في وقت غير مناسب، حتى أن الرجل نفسه شعر بذلك، لكن النبي ﷺ سرعان ما هدأت نفسه وطاب خاطره وتذكَّر ما كان منه من انفعال لربما يكون قد تسبب بجرح وألم لذاك الرجل، فأرسل إليه وراجعه وأعطاه مما يعينه هو ومَنْ وراءه على الجهاد، حتى أسعد قلبه وأرضاه، وكان من شدة حرص الصحابة الكرام على التثبُّت من الأمور أن أصرَّ ذاك الرجل على أن يأتي هو وبعض أصحابه النبي ﷺ ويسمعوا منه مباشرة قرار الصرف والعطاء.
- لما جاء الصحابة رضي الله عنهم يسألون رسول الله ﷺ أن ينحروا الإبل وأجازهم لذلك، كان من رأي عمر رضي الله عنه أن يتوقفوا عن ذلك، وقدَّم للنبي ﷺ السبب المقنع، ولم يكتف بذلك بل أعطاه البديل المتاح وهو جمع الأزواد والدعاء عليها، أما أن يعترض الواحد منا على شيء في ظل أزمة خانقة دون أن يقدم البديل المتاح فهذا مما نمارسه كلنا في الغالب، لأجل ذلك سمع النبي ﷺ من عمر رأيه وسببه الوجيه، ثم أُعجب برأيه وأخذ به، فنزلت البركة فأكلوا وشبعوا، وكفى الله المؤمنين تبعات قتل الجمال.
- اختبار النبي ﷺ جيشه بعدم مساس الماء مطلقاً عندما يرونها وهو أشبه باختبار طالوت لجنوده، وكأني بالنبي ﷺ مع كثرة الاختبارات يوم تبوك، وتبوك بحدِّ ذاتها

اختبار، يريد أن يؤكد مبدأ التصفية والتنقية للصف المسلم وهو في آخر غزوة من الغزوات التي كتبها الله تعالى له في حياته كلها، **فكانت تبوك محك واختبار ومناورة على الرغم من أنه لم يحصل فيها أي اشتباك أو قتال.**

- بيان مصير مَن خالف أوامر القائد، وكيف أن النبي ﷺ سبَّهما.
- التبشير على الطريق وحديث النبي ﷺ لمعاذ بعدما رأوا بركَة النبي ﷺ في عين تبوك أن هذه المنطقة سيأتي عليها زمان وتصبح أرض حدائق وجنان كثيرة، وهذا ليس تبشيراً لهم فحسب، بل نبوءة خير لمن هم بعدهم كذلك.
- استثمار النبي ﷺ لوجوده في تبوك ببث السرايا التي كان من بركاتها أسر أكيدر ملك دومة الجندل، ثم مصالحة النبي ﷺ له وإطلاق سراحه على أن يدفع الجزية للمسلمين.
- في صلاة النبي ﷺ خلف عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه كرامة له من جهة، كما أن النبي ﷺ يهيئ أصحابه من طرف خفي بأنه لن يظل لهم إماماً، فالموت حق على كل حي، كما كان في تعليق النبي ﷺ على فعل الصحابة حين سبقوه بالصلاة خشية فواتها بأن: أصبتم وأحسنتم، دليل على أن موازنة الصحابة بين انتظار الصلاة مع النبي ﷺ مع خشية فواتها على فضله، ليس بأفضل من الصلاة خلف عبد الرحمن بن عوف مع ضمان لحوقها وعدم فواتها، وفي كلٍّ خير.
- في حديث النبي ﷺ وهو في تبوك عن علامات الساعة وفتن آخر الزمان ما يوحي باقتراب أجله، وكأنه يريد تحصين أمته من الأمور التي يخاف منها، وتحضيرها لأمور ينبغي الإعداد لها، كما أنه ذكر فتوحات قريبة وحكى عن حروب لابد أن تقع بين المسلمين والروم، وجدير أن نذكر بأن غزوة تبوك كان هدفها الاشتباك مع الروم، إلا أنهم لم يحضروا، وتفرق جمعهم، وقد انتظر النبي ﷺ قدومهم طويلاً، فلم يأتوا، فكان نصر الله عليهم بالرعب.
- أجرى النبي ﷺ محاكمة عادلة بين الرجلين العاض والمعضوض، وفي تلك المحاكمة ما يدل على سعة أفق النبي ﷺ ونظراته الثاقبة، وحسن إدارته للمواقف، فليس كل من جاء يشكو على آخر، له حق في شكايته بالضرورة، والمتسبب أظلم.

- أكـدت خطبة النبي ﷺ يوم تبوك قيمة الرباط على العمل لأجل الله تعالى في أي صـورة من صور العمل، حتى يموت المرء وهو في عـداد العاملين، كما أنكرت على الذين لا ينتفعون بما يقرأون من كتاب الله تعالى فيكون حجة عليهم بدلاً من أن يكون حجة لهم، كما بينت شـذوذ الفاجر الذي يجاهر بفجوره ومعصيته، وأنه مـن شرار خلق الله تعالى، كل تلك المعاني قالها النبي ﷺ في ظرف اسـتثنائي، وهو في تبوك؛ تلـك الرحلة الصعبة، التي كان من غاياتها فضح المنافقين، ولعل في تلك الخطبة من معاني فضح هؤلاء بشـكل غير مباشر، إذ أثنى النبي ﷺ على الثابتين على عمل الخير، كما عاب المنافقين الذين يقرأون القرآن ولا ينتفعون به، ويتباهون بفجورهم من شدة جرأتهم على ربهم.
- النصر بالرعب من هبـات الله تعالى لنبيه ﷺ ولأمته من بعده، فمحمد ﷺ وأمته لديهم من علامات المهابة؛ حتى أن خصومهم يحسبون لهم حسابات كثيرة، وهم لا يحملون من الأسـلحة إلا الشيء اليسير، ولعل السـبب في تلك المهابة التي زرعها الله تعالى في نفوس الأعداء من هذه الأمة، أنها أمة تخاف الله تعالى، ومن خاف الله تعـالى خافه كل شيء، وفي المقابل من تـرك مخافة الله تعالى خوَّفه سبحانه من كل شيء.
- في التفصيل الكبير والدقيق الـذي حكاه كعب بن مالك رضي الله عنه للأزمة التي مرَّ بها ما يدلنا على عميق الأثر الذي تركته تلك الحادثة في نفسـه، حتى أنه كان يصف بعض الإيماءات والإيحاءات لعموم مَن حوله، وهكذا الآلام والجراحات صعبٌ نسـيانها، ولكن في روايتها بعد انتهاء مرارتها لـذة لا تدانيها لذة، **ومن أبرز معالم تلك الأزمة واستراتيجيات إدارتها ما يأتي:**

١. لم يكن لكعب بن مالك سـوابق تخلُّف عن القتال فيما سبق، وحتى غزوة بدر التي غاب عنها فإن له في غيابه عذراً آنذاك.
٢. كعـب بن مالك يحكي أن له كرامة وفضلاً مـن الله عليه في حضوره لبيعة العقبة، التي قال بأنها تزيد عنده في فضلها عن بدر، على الرغم من اشتهار بدر أكثر منها، وكل ينظر إلى الأمور من زوايا نظر مختلفة.

٣. يؤكد كعب أنه لا عذر له في التخلف عن تبوك مطلقاً، سوى الكسل، والميل إلى الدعة، وضعف تقديره لخطورة الغياب عن غزوة بحجم غزوة تبوك، مع اشتداد الحر ونزول فاكهة الصيف في المدينة.

٤. كثرة عدد المشـــاركين مع عدم وجود سجلٍّ يجمعهم أغرت كعب بن مالك بمزيد من التخلُّف والقعود آنذاك، وهو إذ يعدد هذه الأســـباب فإنما يحكي الأسباب نفسها لتخلف المسلمين عن الغزوات في كل زمان ومكان.

٥. حكى كعب خبر تلبيس إبليس عليه في اللحظات الأخيرة بين التجهُّز للغزوة وتأخير ذلك حتى هوَّن في نظره مسألة التخلف عن الجهاد.

٦. أبدى كعب ندمه على ســـبقهم له، وتخلفه عنهم، ولكن بعد فوات الأوان، على الرغم من أنه لو لحقهم بعد يوم أو يومين كما فعل أبو خيثمة رضي الله عنهما ما أوقع نفسه بحرج التخلف والقعود، ولقد فرح النبي ﷺ بقدوم أبي خيثمة على الرغم من تأخره، فأن تصل متأخراً خير من أن تغيب.

٧. غابت السكرة وحضرت الفكرة كما يقولون، فكان من أكثر أوجاع كعب أنه لا يرى في المدينة إلا معذوراً بحق، أو مشتبهاً فيه بجُنحة النفاق.

٨. من شدة دقة كعب رضي الله عنه كان يسأل عن أحواله عند النبي ﷺ وهو في تبوك، وهل ذكره النبي ﷺ أم لا؟، ومن شـــدة ملاحظة النبي ﷺ، وعلى الرغم من كثرة عدد مَن خرج في تبوك إلا أنه افتقد كعباً هناك، وســـأل عنه، وهذا من حبه له، فكان الجواب الذي ابتلعه كعب ولم ينســـه، وإن كان فيه توصيف بالمنقصة لكعب: حبســـه بـــرداه، والنظر في عطفيـــه، ولم يدقق كعب في التعرف على هوية القائل لهذا الكلام، لأنه وإن كان في كلامه قدح إلا أنه لم يجانب الصواب، وإن كان قد حفظ لمعاذٍ رضي الله عنه دفاعه عنه في تلك اللحظة.

٩. يحكي كعب بعض ما كان يجري من خلجات النفس فها هو ذا يعلم برجوع النبي ﷺ من تبوك، ويبدأ الشـــيطان يزين له من ألـــوان الكذب ما ينجو به من العتـــاب والعقاب النبوي، لكنه يدرك وقد تخرَّج في مدرســـة النبوة أن الكـــذب على النبي ﷺ مفضوح مكشـــوف، وأنه بذلك بـــدلاً من أن يحل

مشـــكلة التخلف عنه، يزيد الطين بِلَّةً بالكذب عليه، فيطرد وسواسه ويعزم على الصدق مهما جلب وراءه من نتائج.

١٠. جهَّـــز كل منافق بين يدي النبي ﷺ عذراً مغشوشـــاً مكذوباً فقبل النبي ﷺ منهم، وكانـــوا قرابة المائة، ولم يفتش عن نياتهم، وهو يعلم غشـــهم، فقد فضـــح الله أمرهم، وبايعهم وعفا عنهم، **وهذا ما زاد من التحدي أمام كعب الـــذي يخشى الفضيحة والكذب في آن واحد، فالفضيحة له إن صدق، وإثم الكذب عليه إن كذب.**

١١. في معظـــم الأحيان تحملنا الأزمة إلى أزمات وتنقلنا من ظلمة إلى ظلمات، بحيث تتضاعف علينا الاختبارات، فإما أن نتماســـك ونثبت، وإما أن ننهار ونهلك، والجسد المريض تتكالب عليه الفطريات والبكتيريا الضارة، لأجل ذلك يحتـــاج إلى تعزيز جهاز مناعته ليقوى عـــلى معالجة المرض الأكبر، ومن هنا كان رفضُ كعب لكتاب القبطي القادم من ملك غســـان يغريه فيه بترك الإسلام ورسول الإسلام ومجتمع الإسلام، واللحاق به، تأكيد منه على نجاحه في الاختبار الثاني، وهو لا يقل خطورة عن الاختبار الأول، ولك أن تنظر كيف يتدخل الشـــيطان وأعوانه في وقت حرج لصناعة أو زيادة الشرخ في المجتمع المســـلم، وقد كنا نتحدث عن الجانب الأمني الاســـتخباري المطلوب بالنســـبة للصف المســـلم، وتأتي قصة كعب عند هذا المنعطف الخطـــير لتحكي لنا كيف أن حالة الرصد التي كان يقوم بها عموم مَن حول المدينة لتلك الدولة الناشئة، هي التي جعلتهم يعلمون بأن ثمة مشكلة وأزمة في المجتمع المسلم، وأن التدخل منهم والعبث في تلك اللحظة قد يصنع إرباكاً لصالح هؤلاء الأعداء، نعم إن عدونا مســـتيقظ منتبه وهو يتربص بنا غفلة أو أزمة أو ضعفاً وخللاً، وكم قيل لمن هم منا وفينا: إلحق بنا نواسك، فلحق بهم دون أن يتردد، ليصير سيفاً من سيوف الأعداء المصلتة على هذه الأمة، على ثمن بخس دراهم معدودة ينالها منهم، في وقت ألقى فيه كعب رضي الله عنه رسالة القبطي في التنور فاحترقت، ولو أنه لم يلقها لاحترق هو، ولكن

الله عصمه وحماه.

١٢. نزلت كلمة: أبشر، على كعب منزلة الروح عندما تحل في الجسد، ففرح فرحة غامرة سجد على إثرها وأكرم البشير، حتى أنه نسي نفسه، فاستعار ثياباً ليخرج بها إلى البشير ﷺ.

كان زعيم المنافقين عبد الله بن أبيٍّ يمثل شريحة قبيحة في المجتمع، فلما مات أراد النبي ﷺ أن يصلي عليه بوصفه محسوباً على الإسلام والمسلمين، حتى وإن كان النبي ﷺ يعرف خبث سريرته، لكنه يريد أن يعطينا درساً في معاملة الناس على ظواهر حالهم، فقبل دعوة ابنه بالصلاة على جثمانه، ولكن عمر رضي الله عنه لم تقبل نفسه ذلك، لما يحمله من حب لله ورسوله وكرهٍ للمنافقين، فحاول منع النبي ﷺ عن ذلك، لكن رحمة النبي ﷺ وشفقته جعلته لا يأبه لقول عمر، وعمر كان مؤدباً مع رسول الله ﷺ فهو لا يملك إن رأى ما لا يعجبه إلا أن ينصح ويقترح ويذكِّرْ، فجاءت الآيات لتوافق عمر رضي الله عنه.

من أبرز معالم إدارة المواقف والسياسة الشرعية في عام الوفود:

١. قبول النبي ﷺ من وفد ثقيف ألا يتصدقوا ولا يجاهدوا مرحلياً، وهو يعلم أنهم لاحقاً سيتصدقون ويجاهدون.

٢. إخباره للمجذوم في وفد ثقيف أنه بايعه عن بُعد، مما يؤكد تقديره له وحرصه على سلامة أصحابه.

٣. كان من الوفود من يحمل همَّ المادة والزاد، أكثر من حرصه على العلم والإيمان، لأجل ذلك لما استعجل بنو تميم العطاء، ولم يقبلوا البشرى من النبي ﷺ تحول النبي ﷺ عنهم وأعطى البشرى لأهل اليمن فقبلوها، ثم أكدوا رغبتهم في التعلم والاهتداء من خلال سؤالهم للنبي ﷺ عن مبتدأ نشوء الكون، فأكرمهم النبي الكريم وأجاب سؤلهم أحسن إجابة، لدرجة أن عمران بن الحصين استمتع بذلك فنسي ناقته حتى ضاعت.

٤. أظهر الخلاف الذي حصل بين أبي بكر وعمر (الخيران) رضي الله عنهما في مجلس رسول الله ﷺ بشرية هؤلاء الصحابة الكرام من جهة انفعالاتهم

وارتفاع أصواتهم في أفضل المجالس، وفي مرحلة متقدمة من عُمر الدعوة، وبعد بلوغهم سن الرشد عمرياً وإيمانياً، لكن مما لا شك فيه أن خلافهم كان مستساغاً، لأن أحدهم لم يقترح نفسه ولا قريباً من أقاربه للإمارة بقدر ما اقترح كل منهم رجلاً من الوفد نفسه بحسب ما يرى من نظرة وعلم في الرجال، ويبدو أن تعديل عمر على رأي أبي بكر هو الذي أثار أبا بكر، كما يبدو أن اتهام أبي بكر لعمر هو الذي أثار عمر رضي الله عنهما وأرضاهما، وكلُّ ذلك من ضعف الإنسان ومن عمل الشيطان، ولكن كيف أدار النبي ﷺ الموقف وأنهى الأزمة بين علَمَين من أعلام الإسلام؟

قيل إن النبي ﷺ قال: لا يرجعا إلى مجلسي هذا حتى يصطلحا، ولشعورهما بخطورة منع النبي ﷺ لهما من مجالسته بادرا بالصلح فيما بينهما حتى اصطلحا.

٥. حاول وفد بني عامر إطلاق أوصاف التعظيم على النبي ﷺ كما يفعل الناس في العادة مع عظمائهم، فأدبهم وبيَّن لهم قيمته ووزنه، وأنه بشر من البشر، وهذا ضبط في المفاهيم والتصورات واجب.

٦. في حكاية الرجل من وفد بني سعد بن بكر الذي سأل وشدد في المسألة، ما يؤكد تواضع النبي ﷺ، إذ إن الرجل لم يتمكن من تمييزه بين أصحابه، لأنه لم يكن يتميز عنهم في شيء، كما أن النبي ﷺ أصغى للرجل باهتمام كامل، واحتمل جلافة منطقه، وأجابه على جميع أسئلته بصدر رحب، وصحيح أن هذا الرجل (ضمام بن ثعلبة) كان شديداً في السؤال؛ إلا أنه كان يُضمر الخير، ويبحث بصدق عن الحقيقة، ولم يكن مماريا ولا مجادلاً.

٧. كان النبي ﷺ يستخدم عبارات الترحيب وحُسن الثناء والتبشير للأقوام التي تأتيه، ومن ذلك قوله لوفد عبد القيس بعد أن سأل عنهم وتعرَّف عليهم: مرحباً بالقوم أو بالوفد، غير خزايا ولا الندامى.

٨. دلَّ نهي النبي ﷺ وفد عبد القيس عن الشرب بآنية معينة على مدى معرفته بالوفود وعمق إدراكه لاحتياجاتها، كما أنه كان يرتب لكل وفد أولويات

الإصلاح في ديارهم بحسب معرفته لاحتياجاتهم، وإلا لكانت وصيته لجميع الوفود واحدة، والوصية الواحدة للجميع لا تتناسب مع الحكمة التي كان النبي ﷺ يتمتع بل ويوصي أصحابه بها.

٩. في الرد الحاسم من النبي ﷺ على مسيلمة الكذاب الذي جاء في وفد بني حنيفة ما يدل على أن شأن النبوة ليس بيد النبي ﷺ يعطيه من يشاء، وأن اشتراط تولي الأمر بعد النبي ﷺ لا يحق لأي أحد، فالأمر بيد الله يعطيه من يشاء، وأنه على الرغم من أن بني حنيفة رجالهم وأتباعهم كُثر؛ إلا أنه لا تنازل ولا تسويات ولا حلول وسط في هذا الشأن الحساس.

١٠. في رؤيا النبي ﷺ التي أوَّلها بأنه سيخرج بعده كذابان، ما يشي بحرص النبي ﷺ على أمته، ورغبته في تربيتهم تربية وقائية، من خلال ما يكشف لهم من خبايا وفتن وأزمات الأزمنة القادمة، **وما حكاية أحاديث الفتن كلها إلا من هذا الباب الوقائي الراسخ.**

١١. أحسن النبي ﷺ معاملة ثمامة بن أثال وجعله أسيراً مربوطاً في المسجد يرى أخلاق المسلمين، ولم يأبه إلى العروض التي قدمها ثمامة، فليس القصد من الإتيان به إلى النبي ﷺ أخذ ماله، وإنما القصد هدايته، ولقد كان في الإفراج عنه وتسريحه بلا مقابل ما جعله يدرك سماحة الإسلام ولُطف رسول الله ﷺ، **ولقد علم النبي ﷺ مكانة ثمامة ووزنه، وأنه سيد لا يقبل الإذلال، ويأسره العفو والصفح أكثر مما يؤثر فيه القيد والأسر، فكان ذلك التغير والانقلاب السريع في حياة ثمامة، الذي سخَّر حياته كلها فداء للدين بعد ذلك،** وأعلن حبه الصادق لله ولرسوله وللمؤمنين، وحقق معاني الولاء والبراء في الإسلام، وكانت خطوته في الرد على قريش وتحديها في تجارتها برهاناً عملياً على انحيازه التام والصريح لدين الله تعالى.

١٢. راعى النبي ﷺ نفوس الأشعريين من أهل اليمن وامتدحهم بما فيهم من خير، وحكى ما فيهم من صفات، أو ما يحب أن يرى عليهم من الصفات، وذكر صفات خصهم فيها على الرغم من اشتراك غيرهم معهم فيها، مثل:

الإيمان يمان، وفي التخصيص رفع لشأن المخصوص دون هدر لشأن غيره، وهذا يشبه قول النبي ﷺ: من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ثم قال: ومن دخل داره فهو آمن.

١٣. كان رسول الله ﷺ شديد الحرص على هداية الأقوام، ولم يكن يحب هلاكهم، على الرغم من تعنت بعضهم، حتى أن الطفيل رضي الله عنه وقد رأى من قومه تعنُّتاً وعصياناً وإعراضاً طلب من النبي ﷺ أن يدعو عليهم، فدعا لهم بالهداية، فجاءوا بعد ذلك مسلمين، ولقد كانت رؤية النبي ﷺ في الدعاء تقوم على طلب الرحمة للجميع، لما في الهداية من رحمات، لكنَّ قوماً يسرفون على أنفسهم ويبالغون في تحدي الله ورسوله، ويطلقون أيديهم وألسنتهم في الاعتداء على المؤمنين، أولئك سواء أكانوا أفراداً أم مجموعات كان النبي ﷺ يدعو على (بعضهم) بالهلاك.

١٤. أعتق أبو هريرة رضي لله عنه غلامه من شدة فرحه بقدومه مسلماً، وهذا ما يدل على أن الإسلام دين سماحة وعفو، وأن حلاوته إذا لامست حنايا الأنفس تحول صاحبها إلى كتلة عطاء وسخاء وبذل.

١٥. أظهرت حكاية العرض الذي قدمه الطفيل بن عمرو الدوسي للنبي ﷺ ورفض النبي ﷺ له، صدق مبادرة الطفيل، وأهمية المبادرة من الفرد للقائد بالمتاح من أسباب الدعم والحماية والرعاية، كما بينت أن هناك صفات وشروط كانت في ذهن النبي ﷺ لدار هجرته، ومكان حصنه وحمايته، وأن حماسة الطفيل في العرض المقدم منه للنبي ﷺ لم تلقَ منه إعجاباً أو موافقة لعدم موافقتها لتلك الشروط والمواصفات، فكان الرد الإيجابي حتى أكرم الله الأنصار بهذا الخير، أما قصة المنتحِر المهاجر مع الطفيل فهي تؤكد سعة رحمة الله من جهة، وتدعونا للتريث وعدم الاستعجال في الحكم على الناس ومصائرهم بمجرد الاطلاع على ظواهر أعمالهم، وأن الأعمال وإن كانت بخواتيمها إلا أن سوابق الخير الكبيرة تُحسب لأصحابها، ولعلها تشفع لهم بين يدي علاَّم النيات والقلوب، وهذه ثاني قصة في الانتحار، ولكن

سـوابق الخير العظيم جعلت الفرق بينهما واضحاً؛ بين من ذهب إلى الجنة، ومن ذهب إلى النار.

١٦. اسـتدرك صاحبا نجران على نفسيهما في اللحظة الأخيرة، وإلا فإن الملاعنة لـن تكون لصالحهما، وهذا عندما يلهم العقـل صاحبه فلا يأتي العناد على صاحبه فيهلكه كما أهلك أبا جهل سابقاً، وفي الاستدراك خير، ولقد أجاب النبي ﷺ طلبهما، وأرسل معهما أمين الأمة، وقد امتدحه وخصه بهذه الصفة على الرغم من اشتراك عموم المسـلمين مع أبي عبيدة فيها في ذلك الزمن، وذلك تحفيزاً له وتكريماً له بذلك الوسام الذي لن ينساه حتى يموت.

١٧. في الحوارين اللذين دارا بين النبي ﷺ وبين الأشعث بن قيس ما يؤكد معرفة النبي ﷺ بالأنساب، ولما لهذه المعرفة من أهمية في عالم الدعوة، ثم تأكيد أهمية البحث عن العوامل المشـتركة، ولو كانت بعيدة بيننا وبين الناس، ثم تبين أهمية حسـن التودد إلى الآخرين بسؤالهم عن أولادهم، وتؤكد حرص الصحابة على متابعة النبي ﷺ حتى في الظروف الخاصة، فهذا الأشعث بن قيس رضي الله عنه على الرغم من أن زوجته حديثة عهد بولادة إلا أنه لم يفوت فرصة مجيء قومه إلى النبي ﷺ فجاء معهم، وترك زوجته وابنه الوليد الجديد، **وقد بـيَّن النبي ﷺ قيمـة الأولاد في الدنيا (قرة عـين) وفي الأخرة (أجر وثواب)، هذا لمن أحسـن لهم وأكرمهم، وإلا فهم عدوٌّ لنـا ويحملوننا على الأخلاق الدنيئـة؛ كالجبن والبخل، خوفاً على حاضرهم ومسـتقبلهم، فما أعظمه من توجيـه!، ذلك الذي يبين أن أولادنا بحسـب ما نريدهم، فإن أردناهم سـبباً لفرحتنا وخيرنا، كانوا كذلك، وإلا فهم سبب لشقائنا وهلاكنا، لا سمح الله.**

١٨. اسـتاء النبي ﷺ كثيراً من منطق بني أسد وأسلوبهم في الخطاب، فهم جاءوا يمنُّون على رسول الله ﷺ أنهم لم يقاتلوه، وكفوا أيديهم عنه في وقت كانت القبائل كلها تقاتله، وأعرب عن اسـتيائه هذا لصاحبه أبو بكر رضي الله عنه، وكان أبو بكر عالماً بالأنسـاب والمنطق، وله دراية واسعة في عادات الناس، فاعتذر للنبي ﷺ عن سـوء أدب هؤلاء القوم، لقلة فقههم، واستحواذ الشيطان على

ألسنتهم.

١٩. استطاع النبي ﷺ أن يملك قلب جرير بن عبد لله رضي الله عنه لكثرة ما امتدحه في غيابه، فلما لقيه زاد من حبه له، ولقد كان جرير سيداً مهيباً جميلاً وقوراً يعجب بطلعته وحسن منطقه كل من رآه، ومن ثمَّ كان النبي ﷺ يقربه، فهو طاقة اجتماعية سياسية مميزة، لذلك لم يره النبي ﷺ إلا تبسَّم، ولم يحجبه منذ أسلم، وحرص النبي ﷺ على استثمار طاقته في الدعوة منذ اللحظة الأولى التي بايعه فيها، فقد بايع النبي ﷺ على النصح لكل مسلم، كما استثمر النبي ﷺ طاقته في الجهاد والعمليات الخاصة وقد بعثه لهدم ذي الخلصة، وفي دعاء النبي ﷺ له أن يثبِّته الله تعالى تحصَّل لجرير نوعان من الثبات؛ فهو ثبات على القيم والهدى والإيمان، وثبات على الخيل والفرس (نور على نور)، وفي التبريك المكرور من النبي ﷺ على أحمس وخيلها حافز ومحرِّض لهم على المزيد من العطاء والبذل والتضحية في سبيل الله تعالى، ولا تحتاج النفوس الطاهرة إلى أكثر من كلمات شكر وثناء، لتزيد من الهمة والعطاء، وهذا جانب نفسي مهم.

- **يظهر لنا من حديث تميم الداري حول الجساسة عدة فوائد منها:**

١. أهمية جمع الناس على القضايا الساخنة وضرورة ذلك.

٢. بيان شرف ومنزلة تميم الداري الذي ترك النصرانية وأسلم ثم بايع.

٣. سعادة النبي ﷺ لما رأى من مطابقة بين ما كان يقوله للصحابة الكرام، وبين كلام صدر عن غيره من الناس.

٤. في كثير من الأسئلة التي طرحها الدجال على تميم الداري ومَن معه ممن ألقتهم السفينة في عرض البحر ما يدل على ترقُّبه لظهور النبي ﷺ، ومعرفته التامة بصفاته.

٥. في اعتراف الدجال بأن الخير للناس أن يتَّبعوا النبي ﷺ دليل على صدق رسالته ﷺ: (أما إن ذاك خير لهم أن يطيعوه).

٦. **في تعريف الدجال بنفسه وصفاته ودوره في آخر الزمان ما يثبت صدقية النبي**

ﷺ من جهة، كما يؤكد وجوب الحذر والانتباه منه وأخذ جميع (الاجراءات الإيمانية) للوقاية من شره.

٧. في بيان تحريم المدينة على الدجال ما يبعث الطمأنينة في نفوس الصحابة في ذاك الزمان على مدينتهم التي بنوها بدمائهم وعرق جبينهم، كما يبعث الطمأنينة في نفوسنا نحن أن هنالك مكان آمنٌ يمكن الهرب إليه من ذلك الخبيث اللعين.

٨. في عدم تأكيد النبي ﷺ على مكان وجود الدجال ما يوجب الحذر المطلق على كل حال.

كانت سياسة النبي ﷺ في إدارة بعثاته إلى اليمن تقتضي التنوع ليصنع الإثراء عند أهل اليمن من جهة، وليسد بعض ثغراتهم من جهة أخرى، وحتى لا يثقل على أصحابه من جهة ثالثة، فلم يكن ليثقل على الوفد المرافق لأمراء الرسول ﷺ إلى اليمن، يقول البراء: بعثنا رسول الله ﷺ مع خالد بن الوليد إلى اليمن، قال: ثم بعث علياً بعد ذلك مكانه، فقال مُر أصحاب خالد من شاء منهم أن يعقب معك فليعقب، ومن شاء فليُقبل، فكنت فيمن عقب معه».

من أشد وأخطر الناس على المجتمع المسلم قبل المشركين والكافرين والمنافقين قوم يزعمون الإيمان، يزاودون في عبادتهم على الله تعالى ورسوله الكريم، ظاهرهم التدين، وباطنهم التعصب والغلظة، لم يسلم من تطاولهم حتى رسول الله ﷺ وهو المرشد المعلم، وإلا فماذا يعني أن يقول قائلهم للنبي ﷺ: اتق الله، في هيئة كأنه يعترض على النبي ﷺ، وقد هدَّأ النبي ﷺ من انفعالات خالد رضي الله عنه الذي أراد أن يضرب عنق الرجل، والمانع هو أنه لعل الرجل من المصلين، لكن خالداً رضي الله عنه أجاب بأن بعض مَن يصلي ليس له مِن صلاته شيء بما داخل نفسه من نفاق أو خبث أو غش، فضبط النبي ﷺ الموقف بشكل أكبر عندما قال بأنه لم يُؤمر بالكشف عن قلوب الناس، لكنه حذَّرنا من فتن آخر الزمان، إذ يكثر أمثال هؤلاء المزاودين، أصحاب المظاهر الزائفة والقلوب الخبيثة المتعنتة، ومع تحذيره لنا منهم نجد أنه يلمح إلى هدر دمائهم، هذا إن صاروا يشكلون

ظاهرة، وليسوا أفراداً متفرقين، ولاشك أن النبي ﷺ يقصد نوعاً من الناس نراهم اليوم وهم التكفيريون الذين أخرجوا الأمة كلها من الملة لعقدة المزاودة عندهم، فهم لا يعلمون مقاصد القرآن، وإن كانوا يحفظونه، ولا يفقهون غايات الشريعة وإن كانوا يمارسونها، **فهم (من وجهة نظرهم) وحدهم المؤمنون وغيرهم كافر، فهم يستبيحون دماء الناس ما داموا يكفرونهم، ولكن النبي ﷺ لم يقفل ذلك الموقف إلا ببيان ما ينبغي علينا القيام به إذا شكّل هؤلاء ظاهرة جماعية سلبية في المستقبل، وقال بأن علاجهم القتل والإبادة.**

- في الانفعالات الإيجابية التي أبداها النبي ﷺ لدى سماعه نبأ إسلام همدان ما يبين رقة قلب النبي ﷺ ورغبته الجامحة في إسلام أهل الأرض أجمعين.. خرَّ ساجداً... وقال: السلام على همدان مرتين.
- كان النبي ﷺ يُحكم توزيعه الإداري للرسل الذين يرسلهم إلى اليمن، وكان يوصيهم بالتيسير، كما يوصيهم بالتطاوع وعدم الاختلاف، لأن الاختلاف يُفسد النفوس، ويحطم المشاريع الكبرى، ويُذهب البركة، ولعلم النبي ﷺ أن الشيطان لن يزال بالعاملين حتى يُخرجهم عن الصراط المستقيم، ولن يزال بهم حتى يجعل التحاسد والضغينة بينهم.
- كان لحرص الصحابيين الجليلين معاذ بن جبل وأبي موسى الأشعري رضي الله عنهما على الالتقاء بين الفترة والأخرى في اليمن أثره في التعاون على البر والتقوى، وزيادة الألفة والمحبة بينهما، وكان لحكمهما على من بدَّل دينه بالقتل تأكيد على أنهما متطاوعان لا يختلفان، لاسيما فيما يجدان أن فيه عندهم بيِّنة ودليل، وفي سؤال أحدهما لأخيه عن حاله مع القرآن ما يدل على أهمية التناصح بين الأخوين، ولعل لكل واحد مدرسته في التعامل مع كتاب الله تعالى، لكن مدرسة معاذ الذي كان يحتسب نومته وقومته ليكون مع الله تعالى بالنية والعمل في كل وقت وحين تحتاج منا إلى اهتمام ومزيد عناية، لنفيد من خيرها وبركتها.
- **في السياسة الشرعية؛ ما بُني بقصد الهدم جاز هدمه، وما هُدم بقصد البناء جاز هدمه... وكان مسجد الضرار نموذجاً على الشق الأول من هذه السياسة.**

- يقــول الدكتور منير الغضبان: «علم النبي ﷺ كــذب عبد الله بن أبي ودَجَله وهو على فراش الموت، وعلم أن طلبه الاستغفار والصلاة عليه جزء من اللعبة، ولكن رسول الله ﷺ لا يود أن يبقي مَنفذاً لأعداء الإسلام أن في داخل صفه جزء يمكن التسلل إليه والتعاون معه وتسخيره لخدمة مآرب العدو...»[1].
- يقول الدكتور محمد أبو شهبة: وهنا شبهة نرى لزاماً أن نعرض لها ونبين الحق فيها وهي: لم عدل النبي ﷺ عن تبليغ أبي بكر صدر سورة براءة ووكل ذلك إلى علي؟ والجواب أن صدر سورة براءة تضمن نقض العهود المطلقة غير المقيدة بوقت أو التي مدتها فوق أربعة أشهر فيما زاد عن أربعة أشهر، وكان العرب قد تعارفوا فيما بينهم في عقد العهود ونقضها ألا يتولى ذلك إلا ســيد القبيلة أو رجل من رهطه، فأراد الله ســبحانه وتعالى أن يكون المبلِّغ عن النبي رجــلاً من أهله حتى يقطع ألســنة العرب بالاحتجاج على أمر هو من تقاليدهم، ولا سيما أنه ليس فيه منافاة للإسلام، فلذلك تدارك النبي ﷺ الأمر»[2].
- يقول الدكتور محمد ســعيد البوطــي: «لقد دل عمل رســول الله ﷺ هذا (هدم مسجد الضرار) على ضرورة تعطيل أو هدم أو تحريق أماكن المعصية التي يعصى الله ورســوله فيها، وإن اختبأت حقيقة هذه الأماكن عن أنظار الناس وراء مظاهر الخير والبر»[3].
- يقول الدكتور صالح رضا: «إن وفود القبائل والبطون هو اقرار ضمني وعهد عملي بأنهــم تركوا الحياة القائمة على الأهواء والشــهوات، والتــي تنظر إلى المصالح وتحكــم العادات الموروثة، وتهمل التفكر والتفكــير، وتعطل العقل عن العمل، وهو إقرار بأنهم ســيبدأون حياة جديدة أساسها النظام والتزام المبادئ، وتحصيل المعرفة، وإعمال العقل، والتفكر؛ كما يريد الإسلام، وكما يشير القرآن»[4].

---

(١) المنهج السياسي للسيرة النبوية، الدكتور منير الغضبان، ص ٤١١.

(٢) السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة، الدكتور محمد محمد أبو شهبة، ج٢/ ٥٣٩.

(٣) فقه السيرة النبوية، الدكتور محمد سعيد البوطي، ص ٣١٣.

(٤) إنها النبوة، الدكتور صالح رضا، ص ٥٨٤.

- أبرز الفوائد والأنوار في المجال الأمني العسكري:

- كان بإمكان النبي ﷺ أن يؤجل وقت خروج جيش العسرة إلى وقت فيه اليُسر والظل، ذلك أنه لا يوجد سبب مباشر ومُلِحٌّ للغزوة، ولما يبدو أن حياة النبي ﷺ كانت مبرمجة بشكل رباني بحيث يبقى للنبي ﷺ من السنوات التي أذن الله تعالى له أن يحياها سنتان؛ واحدة يؤدي فيها حجة الوداع، والثانية يستقبل فيها نهاية أجله، كما أنه يبدو أن النبي ﷺ أراد أن يختبر عزيمة جنده، وأن يمحص بتلك الغزوة صفَّه، فلو كانت في فصل الشتاء مثلاً لوجد من المنافقين معه في الصف رجالاً، فالشدائد تُظهر معادن الرجال، وكأني بغزوة العسرة قد طردت الخَبَث، وعملت على تصفية ما بقي من عوالق النفوس، لاسيما إنه لم يجر فيها قتال، فكانت بمثابة مناورة، استفاد منها المسلمون بتنقية صفهم أكثر مما استفادوا على الجبهات الأخرى، على الرغم مما حققته الغزوة أيضاً من إظهار لهيبة المسلمين، كيف لا، والنبي ﷺ يسير بهذا الجيش الجرار، وفي تلك الأيام الشديدة الحرارة، ويقطع الفيافي والقفار، ليعلن تحديه لدولة الروم، بعد أن كان ما كان على جبهة الروم في غزوة مؤتة.

- لا يقل شرف الحارس والأمير على المدينة بتكليفٍ من النبي ﷺ عن شرف المجاهد في سبيل الله مع النبي ﷺ، هذا ما أراد أن يقرره النبي ﷺ عندما قال لعلي رضي الله عنه ما قال، ولو أن كل واحد يريد الخروج ولا يبقى في المدينة أحد، فإن هذا لا شك سيفتح الباب على مصراعيه للمنافقين وبقايا يهود ومَن معهم من المشركين أن يقلبوا الأمور رأساً على عقب بعد خروج النبي ﷺ منها، لا سيما في فترة غياب طويل، كما حصل في تبوك.

- كان النبي ﷺ يتفاءل خيراً بيوم الخميس، ويحب الخروج في معاركه يوم الخميس، ولكن ليست هذه سُنة بقدر ما هو ميل ورغبة أو تكتيك، لأن بعض المعارك لا يمكننا أن نتحكم في وقتها لأننا نحتاج في لحظة ما أن نرد خصماً أو أن ننتهز فرصة غفلة لدى العدو، إلا أن تكون الأيام كلها متاحة لنا، فلا أجمل من أن نحب ما أحبه النبي ﷺ فنحرك الجيوش يوم الخميس بعون الله تعالى، ولعل من حِكَم

رغبته المستمرة في الانطلاق لغزواته وسفره يوم الخميس ما كان يتحراه من إجابة الدعاء ليلة الجمعة ويومه.

- بينت رواية كعب بن مالك رضي الله عنه لحكاية تخلفه عن تبوك أن وجهة النبي ﷺ يوم تبوك كانت نحو الروم ونصارى العرب، وكأن النبي ﷺ كان من استراتيجيته العسكرية أن يعالج مشركي العرب، ثم يهود، ليتفرغ بعد ذلك إلى عموم النصارى وعُمَّالهم وأمرائهم أو أُجرائهم من الأعراب وغيرهم في الجوار القريب.
- **يقول محمود شيت خطاب: «تعمل الجيوش الحديثة على تدريب جنودها تدريباً عنيفاً؛ كاجتياز مواقع وعراقيل صعبة جداً، وقطع مسافات طويلة في ظروف جوية مختلفة، وحرمان من الطعام والماء بعض الوقت، وذلك لإعداد هؤلاء الجنود لتحمل أصعب المواقف المحتمل مصادفتها في الحرب، ولقد تحمل جيش العسرة مشقات لا تقل صعوبة عن مشقات هذا التدريب العنيف... إن غزوة تبوك تدريب عنيف للمسلمين، كان غرض الرسول ﷺ منه إعدادهم لتحمُّل رسالة حماية حرية نشر الإسلام خارج شبه الجزيرة العربية، فقد كانت هذه الغزوة آخر غزوات الرسول ﷺ، فلا بد من الاطمئنان إلى كفاءة جنوده قبل أن يلحق بالرفيق الأعلى»**[1].
- **ذكر الشيخ محمد الصادق عرجون خصائص عدة مميزة لغزوة تبوك ومنها:**

١. أنها كانت خاتمة غزوات رسول الله ﷺ التي قاد فيها كتائب الجهاد وحشودها بنفسه ذلك أنها كانت غزوة الإعلان العملي لعموم الرسالة.
٢. أنها كانت غزوة عسرة في كل شيء حتى أن الله تعالى سماها ساعة العسرة.
٣. أنه ﷺ خالف عادته الكريمة التي كان يسير عليها في غزواته من التورية والكناية.
٤. أنها كانت امتحاناً قاسياً للبذل والإنفاق والتصدق، لتجهيز جيش كثيف عدده.
٥. أنها استوعبت أكبر وأعظم جيش قاده رسول الله ﷺ في حياته المباركة.

---

(١) الرسول القائد ﷺ، محمود شيت خطاب، ط٢، ١٩٦٠م، دار مكتبة النهضة بغداد، ص٢٨١.

٦. أنها فضحت المنافقين والذين في قلوبهم مرض فكشفت عن سوآتهم.

ثم يقول: في ظل هـذه الخصائص كانت هذه الغزوة منفـردة بوضعها الجهادي وقدرها الاجتماعي بين غزوات المجتمع المسلم في مهد حياته، فإذا تخلف عنها مسـلم لم يعرف عنـه إلا الصدق في إيمانه والاخـلاص في يقينه، كان ذلك من أعجب العجب»[1].

- **فائـدة[2]: ذكر الدكتور صالـح رضا نقلاً عن الكاتب العسـكري المتقاعد العميد الركن ابراهيم كاخيا الدروس العسـكرية المسـتفادة من تحضير وتنظيم الغزوات النبوية بشكل عام، فقال:**

المرحلة الأولى: تحضير وتنظيم المعركة، وأبرز دروس ذلك:

١. امتلاك المعلومات الحديثة والدقيقة.
٢. الأخذ بالمشورة الصالحة.
٣. اتخاذ القرارات الصائبة والحاسمة.
٤. تحقيق المفاجأة على كافة المستويات التكتيكية والاستراتيجية.
٥. الالتزام بقواعد وتدابير الأمن القتالي.
٦. تزكية الروح المعنوية في نفوس المقاتلين.

المرحلة الثانية: سير الاعمال القتالية (الديناميك):

١. السيطرة الحازمة والقيادة المستمرة.
٢. القتال بالصف.
٣. انتهاج الأسلوب الهجومي.
٤. الاستمرار في الأعمال القتالية.
٥. التركيز على الرمي وأهميته.
٦. استخدام وسائط قتالية جديدة.
٧. استخدام أساليب الحرب النفسية.

---

(١) محمد رسول الله ﷺ، الشيخ محمد الصادق عرجون، ص ٤٥٩ - ٤٦٠.

(٢) انظر كتاب إنها النبوة للدكتور صالح رضا، من ص ٦٦٤ - ص ٦٦٩.

المرحلة الثالثة، فترة ما بعد الحرب (استمرار نتائج المعركة):

١. مطاردة العدو المنسحب.

٢. الإقامة في ساحة القتال مدة زمنية.

٣. انسانية الحرب.

مكتبة t.me/ktabrwaya

لكلِّ أجلٍ كتاب، ولكل شيء إذا ما تم نقصانُ، وكما أشرقت الحياة بميلاد الحبيب، أظلمت المدينة بوفاته ﷺ، ولكن لم يمت من ترك نوراً وهداية وشفاء وعلماً، لم يمت من ترك رجالاً كأمثال أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، رضوان الله عليهم جميعاً، يحملون أنفاسه في العالمين، ويحرصون على هديه جيلاً بعد جيل إلى يوم الدين، ولقد شاءت إرادة الله تعالى أن يجمع الناس كل الناس في صعيد واحد قبيل الوفاة لينظر إليهم النبي ﷺ نظرات الوداع، ولينظروا إليه نظرات الاستمتاع، **ها هو سيد الخلق محمد ﷺ يلفظ أنفاسه الأخيرة، لكنه ما مات فقد وضع بين أيدينا (سيرته المستنيرة).**

حجة الوداع:

- **سبب تسميتها:** «سميت بذلك لأن النبي ﷺ ودَّع الناس فيها، ولم يحج بعدها، وسميت حجة الإسلام، لأنه عليه الصلاة والسلام لم يحج من المدينة غيرها، ولكن حج قبل الهجرة مرات؛ قبل النبوة وبعدها»[1].

وروى جابر رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «خذوا عني مناسككم، **فلعلي لا أحجُّ بعد عامي هذا**»[2].

- **وقتها:** اتفق علماء السيرة على أن حجة الوداع كانت **في السنة العاشرة من الهجرة،** وإن اختلفوا في العام الذي فرض الله تعالى فيه الحج على المسلمين، بين من قال بأن ذلك كان في العام العاشر أو التاسع أو السادس للهجرة، على اختلاف

---

(١) ذكر ذلك ابن كثير عند تفسيره لقوله تعالى: «اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا» (المائدة: ٣).

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الحج، باب في رمي الجمار، ح ٢٧٥٨.

الروايات وطريقة فهمهم لها[1].

- **توقيت الخروج من المدينة، والوصول لمكة ووصفٌ مختصرٌ لحجة الوداع**: روى عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: «انطلق النبي ﷺ من المدينة بعد ما ترجَّل وادَّهن ولبس إزاره ورداءه، هو وأصحابه، فلم ينهَ عن شيء من الأردية والأُزر تُلبس، إلا المزعفرة التي تردع على الجلد، فأصبح بذي الحليفة، ركب راحلته حتى استوى على البيداء، أهلَّ هو وأصحابه، وقلَّد بدنته[2]، وذلك لخمسٍ بقين من ذي القعدة.

فقدم مكة لأربع ليال خلون من ذي الحجة، فطاف بالبيت، وسعى بين الصفا والمروة، ولم يحل من أجل بدنه، لأنه قلدها، ثم نزل بأعلى مكة عند الحجون، وهو مُهِلٌّ بالحج، ولم يقرب الكعبة بعد طوافه بها، حتى رجع من عرفة، وأمر أصحابه أن يطوفوا بالبيت، وبين الصفا والمروة، ثم يقصروا من رءوسهم، ثم يحلوا، وذلك لمن لم يكن معه بدنة قلدها، ومن كانت معه امرأته فهي له حلال، والطيب والثياب»[3].

- **صلاة النبي ﷺ بوادي العقيق**: روى عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: «سمعت النبي ﷺ بوادي العقيق يقول: أتاني الليلة آت من ربي فقال: صلِّ في هذا الوادي المبارك، وقُلْ: **عمرة في حجة**»[4].

- **حيض أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها**: روت عائشة رضي الله عنها قالت: «خرجنا مع رسول الله ﷺ مُهلين بالحج في أشهر الحج، وفي حُرُم الحج، وليالي الحج، حتى نزلنا بسرف، فخرج إلى أصحابه فقال: من لم يكن معه منكم هدي فأحب أن يجعلها عمرة فليفعل، ومن كان معه هدي فلا، فمنهم الآخذ بها، والتارك لها ممن لم يكن معه هدي.

فأما رسول الله ﷺ فكان معه الهدي، ومع رجال من أصحابه لهم قوة، فدخل عليَّ

---

(١) لدى ابن كثير في البداية والنهاية ٥/ ١٠٩، تفصيل في ذلك.

(٢) تقليدُ البدَنَةِ أَن يُجعَلَ في عنقها عُرْوةُ مَزادة أَو خَلَقُ نَعْل فيُعْلم أنها هدي.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الحج، باب ما يلبس المحرم من الثياب والأردية، ح ١٥٤٥.

(٤) أخرجه البخاري، كتاب الحج، باب قول النبي ﷺ: العقيق وادٍ مبارك، ح ١٥٣٤.

رسول الله ﷺ وأنا أبكي، فقال: ما يبكيك؟
قلت: سمعت كلامك مع أصحابك، فسمعت بالعمرة، قال: وما لكِ؟ قلت: لا أصلي، قال: **فلا يضرك، فكوني في حجك، فعسى الله أن يرزقكيها، وإنما أنت من بنات آدم، كتب الله عليك ما كتب عليهن.**
قالت: فخرجتُ في حجتي حتى نزلنا منى، فتطهرتُ، ثم طفنا بالبيت، ونزل رسول الله ﷺ المحصب، فدعا عبد الرحمن بن أبي بكر، فقال: **أُخرج بأختك من الحرم، فلتهل بعمرة، ثم لتطف بالبيت، فإني أنتظركما ها هنا.**
قالت: فخرجنا، فأهللتُ، ثم طفتُ بالبيت، وبالصفا والمروة، فجئنا رسول الله ﷺ وهو في منزله من جوف الليل.
فقال: هل فرغتِ؟ قلتُ: نعم، فآذن في أصحابه بالرحيل، فخرج، فمرَّ بالبيت فطاف به قبل صلاة الصبح، ثم خرج إلى المدينة»[1].

- **حُكم أكل المذبوح على يد غير المحرم:** روى عبد الله بن أبي قتادة، عن أبيه رضي الله عنه قال: «خرج رسول الله ﷺ حاجاً، وخرجنا معه، قال: فصرف من أصحابه فيهم أبو قتادة فقال: «خذوا ساحل البحر حتى تلقوني»، قال: فأخذوا ساحل البحر، فلما انصرفوا قبل رسول الله ﷺ **أحرموا كلهم، إلا أبا قتادة فإنه لم يحرم**، فبينما هم يسيرون، إذ رأوا حُمُر وحش، فحمل عليها أبو قتادة فعقر منها أتاناً[2]، فنزلوا فأكلوا من لحمها، قال: فقالوا: أكلنا لحماً ونحن محرمون، قال: فحملوا ما بقي من لحم الأتان، فلما أتوا رسول الله ﷺ، قالوا: يا رسول الله إنَّا كنا أحرمنا، وكان أبو قتادة لم يحرم، فرأينا حُمُر وحش فحمل عليها أبو قتادة فعقر منها أتاناً، فنزلنا فأكلنا من لحمها، فقلنا نأكل لحم صيد ونحن محرمون؟!، فحملنا ما بقي من لحمها، فقال: «**هل منكم أحد أمَرَهُ أو أشار إليه بشيء؟**»، قال: قالوا: لا، قال: «**فكلوا ما بقي من لحمها**»[3].
- **تفصيل حيثيات حجة الوداع:** روى جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: «دَخَلْنَا عَلَى

(١) أخرجه مسلم، كتاب الحج، باب بيان وجوه الإحرام، ح١٢١١.
(٢) الأتان هو البغل الناتج عن تزاوج الحصان مع أنثى الحمار.
(٣) أخرجه مسلم، كتاب الحج، باب تحريم الصيد للمحرم، ح ٢٨٤٧.

جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ فَسَأَلَ عَنِ الْقَوْمِ حَتَّى انْتَهَى إِلَيَّ، فَقُلْتُ: أَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ حُسَيْنٍ، **فَأَهْوَى بِيَدِهِ إِلَى رَأْسِي، فَنَزَعَ زِرِّي الْأَعْلَى، ثُمَّ نَزَعَ زِرِّي الْأَسْفَلَ، ثُمَّ وَضَعَ كَفَّهُ بَيْنَ ثَدْيَيَّ**، وَأَنَا يَوْمَئِذٍ غُلَامٌ شَابٌّ، فَقَالَ مَرْحَباً بِكَ يَا ابْنَ أَخِي، سَلْ عَمَّا شِئْتَ. فَسَأَلْتُهُ وَهُوَ أَعْمَى، وَحَضَرَ وَقْتُ الصَّلَاةِ، فَقَامَ فِي نِسَاجَةٍ مُلْتَحِفًا بِهَا، كُلَّمَا وَضَعَهَا عَلَى مَنْكِبِهِ، رَجَعَ طَرَفَاهَا إِلَيْهِ مِنْ صِغَرِهَا، وَرِدَاؤُهُ إِلَى جَنْبِهِ عَلَى الْمِشْجَبِ[1]، فَصَلَّى بِنَا، فَقُلْتُ: «**أَخْبِرْنِي عَنْ حَجَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ**.

- **إعلان الحجة النبوية:**

«... فَقَالَ بِيَدِهِ: فَعَقَدَ تِسْعاً، فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ **مَكَثَ تِسْعَ سِنِينَ لَمْ يَحُجَّ، ثُمَّ أَذَّنَ فِي النَّاسِ فِي الْعَاشِرَةِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حَاجٌّ، فَقَدِمَ الْمَدِينَةَ بَشَرٌ كَثِيرٌ**، كُلُّهُمْ يَلْتَمِسُ أَنْ يَأْتَمَّ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَيَعْمَلَ مِثْلَ عَمَلِهِ.

- **ولادة أسماء بنت عميس رضي الله عنها:**

«... فَخَرَجْنَا مَعَهُ حَتَّى أَتَيْنَا ذَا الْحُلَيْفَةِ **فَوَلَدَتْ أَسْمَاءُ بِنْتُ عُمَيْسٍ مُحَمَّدَ بْنَ أَبِي بَكْرٍ**، فَأَرْسَلَتْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَيْفَ أَصْنَعُ؟ قَالَ: «اغْتَسِلِي وَاسْتَثْفِرِي[2] بِثَوْبٍ وَأَحْرِمِي».

- **توصيف لحال الناس مع النبي ﷺ:**

«... فَصَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي الْمَسْجِدِ، ثُمَّ رَكِبَ الْقَصْوَاءَ حَتَّى إِذَا اسْتَوَتْ بِهِ نَاقَتُهُ عَلَى الْبَيْدَاءِ نَظَرْتُ إِلَى مَدِّ بَصَرِي بَيْنَ يَدَيْهِ مِنْ رَاكِبٍ وَمَاشٍ، وَعَنْ يَمِينِهِ مِثْلَ ذَلِكَ وَعَنْ يَسَارِهِ مِثْلَ ذَلِكَ، وَمِنْ خَلْفِهِ مِثْلَ ذَلِكَ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنَ أَظْهُرِنَا، **وَعَلَيْهِ يَنْزِلُ الْقُرْآنُ وَهُوَ يَعْرِفُ تَأْوِيلَهُ وَمَا عَمِلَ بِهِ مِنْ شَيْءٍ عَمِلْنَا بِهِ.**

- **عطرُ النبي ﷺ:** روت عائشة رضي الله عنها قالت: «طَيَّبْتُ رسول الله ﷺ بيديَّ

---

(١) ما يتم تعليق الثياب عليه.

(٢) استثفري: ومعنى ذلك أن تربط خيطاً في وسطها، تربط حبلاً في وسطها ثم بعد ذلك تأتي بخرقة تشدها على فرجها فتربط هذه الخرقة من أمامها بالخيط ومن خلفها بالخيط، كيفيته معروفة يعني، معنى ذلك تتحفظ، ولا يلزم أن يكون هناك خيط ولا رباط، يقوم مقامه ما يمسك هذا الذي يمسك الدم.

بذريرة[1]، في حجة الوداع، للحل والإحرام»[2].

وفي رواية سأل فيها الزبير رضي الله عنه عائشة رضي الله عنها: «بأي شيء طيبت رسول الله ﷺ عند حرمه؟ قالت: **بأطيب الطيب**»[3].

- **تلبية النبي ﷺ والناس معه:** «... فَأَهَلَّ بالتَّوْحِيدِ: **لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ، إِنَّ الْحَمْدَ وَالنِّعْمَةَ، لَكَ وَالْمُلْكَ، لَا شَرِيكَ لَكَ**، وَأَهَلَّ النَّاسُ بِهَذَا الَّذِي يُهِلُّونَ بِهِ فَلَمْ يَرُدَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَيْهِمْ شَيْئًا مِنْهُ، وَلَزِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ تَلْبِيَتَهُ.
- **عمرة النبي ﷺ:**

«... قَالَ جَابِرٌ رضي الله عنه: **لَسْنَا نَنْوِي إِلَّا الْحَجَّ، لَسْنَا نَعْرِفُ الْعُمْرَةَ**، حَتَّى إِذَا أَتَيْنَا الْبَيْتَ مَعَهُ، اسْتَلَمَ الرُّكْنَ، فَرَمَلَ ثَلَاثًا وَمَشَى أَرْبَعًا، ثُمَّ نَفَذَ إِلَى مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَام، فَقَرَأَ: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾﴾ البقرة: ١٢٥ فَجَعَلَ الْمَقَامَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْبَيْتِ، فَكَانَ أَبِي يَقُولُ: وَلَا أَعْلَمُهُ ذَكَرَهُ إِلَّا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، كَانَ يَقْرَأُ فِي الرَّكْعَتَيْنِ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾﴾ الإخلاص: ١ ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١﴾﴾ الكافرون: ١ ثُمَّ رَجَعَ إِلَى الرُّكْنِ فَاسْتَلَمَهُ، ثُمَّ خَرَجَ مِنَ الْبَابِ إِلَى الصَّفَا، فَلَمَّا دَنَا مِنَ الصَّفَا قَرَأَ: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾﴾ البقرة: ١٥٨ **أَبْدَأُ بِمَا بَدَأَ اللَّهُ بِهِ، فَبَدَأَ بِالصَّفَا، فَرَقِيَ عَلَيْهِ حَتَّى رَأَى الْبَيْتَ**، فَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ فَوَحَّدَ اللَّهَ وَكَبَّرَهُ، وَقَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، **لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ، أَنْجَزَ وَعْدَهُ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ، وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ**، ثُمَّ دَعَا بَيْنَ ذَلِكَ، قَالَ مِثْلَ هَذَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ نَزَلَ إِلَى الْمَرْوَةِ، حَتَّى إِذَا انْصَبَّتْ قَدَمَاهُ فِي بَطْنِ الْوَادِي سَعَى، حَتَّى إِذَا صَعِدَتَا مَشَى حَتَّى أَتَى الْمَرْوَةَ، فَفَعَلَ عَلَى الْمَرْوَةِ كَمَا فَعَلَ عَلَى الصَّفَا.

---

(١) قال النووي رحمه الله: الذريرة: قناب قصب طيب يجاء به من الهند، وانظر: المنهاج شرح صحيح مسلم ج٨/ ٣٤١.

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الحج، باب الطيب للمحرم عن الإحرام، ح ٢٨٢٠.

(٣) السابق، ح٢٨٢١.

حَتَّى إِذَا كَانَ آخِرُ طَوَافِهِ عَلَى الْمَرْوَةِ، فَقَالَ: **لَوْ أَنِّي اسْتَقْبَلْتُ مِنْ أَمْرِي مَا اسْتَدْبَرْتُ، لَمْ أَسُقِ الْهَدْيَ، وَجَعَلْتُهَا عُمْرَةً، فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ لَيْسَ مَعَهُ هَدْيٌ فَلْيَحِلَّ وَلْيَجْعَلْهَا عُمْرَةً**، فَقَامَ سُرَاقَةُ بْنُ مَالِكِ بْنِ جُعْشُمٍ، فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ: أَلِعَامِنَا هَذَا أَمْ لأَبَدٍ؟ فَشَبَّكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَصَابِعَهُ وَاحِدَةً فِي الأُخْرَى، وَقَالَ: **دَخَلَتِ الْعُمْرَةُ فِي الْحَجِّ مَرَّتَيْنِ، لَا بَلْ لأَبَدِ أَبَدٍ.**

- **صفة طواف النبي ﷺ:** روى جابر رضي الله عنه قال: «طاف رسول الله ﷺ بالبيت في حجة الوداع على راحلته، يستلم الحجر بمحجنه، **لأنْ يراه الناس، وليُشرفْ، وليَسألوه، فإن الناس غَشُوهُ**»(١).

- **قدوم عليٍّ رضي الله عنه بالبُدن من اليمن:**

«... وَقَدِمَ عَلِيٌّ مِنَ الْيَمَنِ بِبُدْنِ النَّبِيِّ ﷺ، فَوَجَدَ فَاطِمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مِمَّنْ حَلَّ وَلَبِسَتْ ثِيَابًا صَبِيغًا وَاكْتَحَلَتْ، فَأَنْكَرَ ذَلِكَ عَلَيْهَا، فَقَالَتْ: إِنَّ أَبِي أَمَرَنِي بِهَذَا، قَالَ: **فَكَانَ عَلِيٌّ يَقُولُ بِالْعِرَاقِ: فَذَهَبْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مُحَرِّشًا عَلَى فَاطِمَةَ لِلَّذِي صَنَعَتْ، مُسْتَفْتِيًا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِيمَا ذَكَرَتْ عَنْهُ، فَأَخْبَرْتُهُ أَنِّي أَنْكَرْتُ ذَلِكَ عَلَيْهَا، فَقَالَ: صَدَقَتْ صَدَقَتْ، مَاذَا قُلْتَ: حِينَ فَرَضْتَ الْحَجَّ؟، قَالَ: قُلْتُ اللَّهُمَّ إِنِّي أُهِلُّ بِمَا أَهَلَّ بِهِ رَسُولُكَ، قَالَ: فَإِنَّ مَعِيَ الْهَدْيَ فَلَا تَحِلُّ**، قَالَ: فَكَانَ جَمَاعَةُ الْهَدْيِ الَّذِي قَدِمَ بِهِ عَلِيٌّ مِنَ الْيَمَنِ، وَالَّذِي أَتَى بِهِ النَّبِيُّ ﷺ مِائَةً، قَالَ: فَحَلَّ النَّاسُ كُلُّهُمْ وَقَصَّرُوا إِلَّا النَّبِيَّ ﷺ وَمَنْ كَانَ مَعَهُ هَدْيٌ.

- **البدء بأعمال الحج من يوم التروية:**

«... فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ التَّرْوِيَةِ تَوَجَّهُوا إِلَى مِنًى فَأَهَلُّوا بِالْحَجِّ، وَرَكِبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَصَلَّى بِهَا الظُّهْرَ وَالْعَصْرَ وَالْمَغْرِبَ وَالْعِشَاءَ وَالْفَجْرَ، ثُمَّ مَكَثَ قَلِيلاً حَتَّى طَلَعَتِ الشَّمْسُ، وَأَمَرَ بِقُبَّةٍ مِنْ شَعَرٍ تُضْرَبُ لَهُ بِنَمِرَةَ، فَسَارَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، **وَلَا تَشُكُّ قُرَيْشٌ إِلَّا أَنَّهُ وَاقِفٌ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ كَمَا كَانَتْ قُرَيْشٌ تَصْنَعُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَأَجَازَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى أَتَى عَرَفَةَ فَوَجَدَ الْقُبَّةَ قَدْ ضُرِبَتْ لَهُ بِنَمِرَةَ، فَنَزَلَ بِهَا حَتَّى إِذَا زَاغَتِ الشَّمْسُ، أَمَرَ بِالْقَصْوَاءِ فَرُحِلَتْ لَهُ، فَأَتَى بَطْنَ الْوَادِي.**

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب الحج، باب جواز الطواف على بعير وغيره، ح ٣٠٦٣.

- **خطبة النبي ﷺ بعرفة، وجمعه الصلاة فيها:**

«... فَخَطَبَ النَّاسَ، وَقَالَ: إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا.

أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ تَحْتَ قَدَمَيَّ مَوْضُوعٌ، وَدِمَاءُ الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعَةٌ، وَإِنَّ أَوَّلَ دَمٍ أَضَعُ مِنْ دِمَائِنَا دَمُ ابْنِ رَبِيعَةَ بْنِ الْحَارِثِ، كَانَ مُسْتَرْضِعاً فِي بَنِي سَعْدٍ فَقَتَلَتْهُ هُذَيْلٌ.

وَرِبَا الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعٌ، وَأَوَّلُ رِبًا أَضَعُ رِبَانَا؛ رِبَا عَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، فَإِنَّهُ مَوْضُوعٌ كُلُّهُ.

فَاتَّقُوا اللَّهَ فِي النِّسَاءِ، فَإِنَّكُمْ أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانِ اللَّهِ، وَاسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللَّهِ، وَلَكُمْ عَلَيْهِنَّ أَنْ لَا يُوطِئْنَ فُرُشَكُمْ أَحَدًا تَكْرَهُونَهُ، فَإِنْ فَعَلْنَ ذَلِكَ فَاضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ مُبَرِّحٍ، وَلَهُنَّ عَلَيْكُمْ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ.

وَقَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ إِنِ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ؛ كِتَابُ اللَّهِ.

وَأَنْتُمْ تُسْأَلُونَ عَنِّي فَمَا أَنْتُمْ قَائِلُونَ؟، قَالُوا: **نَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَلَّغْتَ وَأَدَّيْتَ وَنَصَحْتَ.** فَقَالَ بِإِصْبَعِهِ السَّبَّابَةِ يَرْفَعُهَا إِلَى السَّمَاءِ وَيَنْكُتُهَا إِلَى النَّاسِ: اللَّهُمَّ اشْهَدْ، اللَّهُمَّ اشْهَدْ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ أَذَّنَ، ثُمَّ أَقَامَ فَصَلَّى الظُّهْرَ، ثُمَّ أَقَامَ فَصَلَّى الْعَصْرَ، وَلَمْ يُصَلِّ بَيْنَهُمَا شَيْئًا.

وروى يحيى بن حصين قال: سمعت جدتي تحدث: أنها سمعت النبي ﷺ يخطب في حجة الوداع وهو يقول: ولو استعمل عليكم عبد يقودكم بكتاب الله فاسمعوا له وأطيعوا»[1].

وروى عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ وهو على ناقته المخضرمة **بعرفات:** «أتدرون أي يوم هذا، وأي شهر هذا، وأي بلد هذا؟ قالوا: هذا بلد حرام، وشهر حرام، ويوم حرام، قال: ألا وإن أموالكم ودماءكم عليكم حرام كحرمة شهركم هذا في بلدكم هذا في يومكم هذا، ألا وإني فرطكم على الحوض، وأكاثر بكم الأمم، **فلا تسودوا وجهي**، ألا وإني مستنقذٌ أناساً، ومستنقَذٌ مني أناس،

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية، ح ٤٧٣٥.

فأقول: يا رب أصيحابي، فيقول: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك»[1].

- **البقاء في عرفة حتى الغروب:**

«... ثُمَّ رَكِبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى أَتَى الْمَوْقِفَ، فَجَعَلَ بَطْنَ نَاقَتِهِ الْقَصْوَاءِ إِلَى الصَّخَرَاتِ، وَجَعَلَ حَبْلَ الْمُشَاةِ بَيْنَ يَدَيْهِ وَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ، فَلَمْ يَزَلْ وَاقِفًا حَتَّى غَرَبَتِ الشَّمْسُ وَذَهَبَتِ الصُّفْرَةُ قَلِيلاً، حَتَّى غَابَ الْقُرْصُ وَأَرْدَفَ أُسَامَةَ خَلْفَهُ، وَدَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَقَدْ شَنَقَ لِلْقَصْوَاءِ الزِّمَامَ، حَتَّى إِنَّ رَأْسَهَا لَيُصِيبُ مَوْرِكَ رَحْلِهِ[2]، وَيَقُولُ بِيَدِهِ الْيُمْنَى: **أَيُّهَا النَّاسُ السَّكِينَةَ، السَّكِينَةَ**، كُلَّمَا أَتَى حَبْلاً مِنَ الْحِبَالِ أَرْخَى لَهَا قَلِيلاً حَتَّى تَصْعَدَ.

- **ماذا كان شغل الناس في عرفة؟:** روى عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: «كنا مع النبي ﷺ غداة عرفة، **فمنا المكبِّر ومنا المهلل**»[3].

- **الذهاب إلى مزدلفة وجمع الصلاة فيها:**

«... حَتَّى أَتَى الْمُزْدَلِفَةَ، فَصَلَّى بِهَا الْمَغْرِبَ وَالْعِشَاءَ بِأَذَانٍ وَاحِدٍ، وَإِقَامَتَيْنِ، وَلَمْ يُسَبِّحْ بَيْنَهُمَا شَيْئًا، ثُمَّ اضْطَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى طَلَعَ الْفَجْرُ، وَصَلَّى الْفَجْرَ حِينَ تَبَيَّنَ لَهُ الصُّبْحُ بِأَذَانٍ وَإِقَامَةٍ.

- **الذهاب إلى المشعر الحرام:**

«... ثُمَّ رَكِبَ الْقَصْوَاءَ حَتَّى أَتَى الْمَشْعَرَ الْحَرَامَ، فَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ فَدَعَاهُ وَكَبَّرَهُ وَهَلَّلَهُ وَوَحَّدَهُ، فَلَمْ يَزَلْ وَاقِفًا حَتَّى أَسْفَرَ جِدًّا، فَدَفَعَ قَبْلَ أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ.

- **مشهد طريف حصل للفضل بن العباس في الطريق إلى الجمرات:**

«... وَأَرْدَفَ[4] الْفَضْلَ بْنَ عَبَّاسٍ، وَكَانَ رَجُلاً حَسَنَ الشَّعْرِ أَبْيَضَ وَسِيماً، فَلَمَّا دَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ **مَرَّتْ بِهِ ظُعُنٌ يَجْرِينَ، فَطَفِقَ الْفَضْلُ يَنْظُرُ إِلَيْهِنَّ، فَوَضَعَ رَسُولُ**

---

(١) أخرجه ابن ماجة، كتاب المناسك، باب الخطبة يوم النحر، ح ٣٠٥٧، وقال الدكتور همام سعيد وابنه الدكتور محمد في موسوعة الشمائل النبوية: حديث صحيح.

(٢) يعني شدَّ زمامها وجعلها تمشي مشياً رفيقاً خفيفاً.

(٣) أخرجه مسلم، كتاب الحج، باب استحباب إدامة الحاج التلبية، ح٣٠٨٤، وفي رواية أنس رضي الله عنه عند مسلم أيضاً: ولا يعيب أحدنا على صاحبه، ح٣٠٨٦.

(٤) فائدة: كتب الإمام ابن مندة رحمه الله كتاباً أسماه: «أسامي أرداف النبي ﷺ»، وقد ذكر فيه تعريفاً بسبعة وثلاثين صحابياً كان النبي ﷺ قد أردفهم في مواضع مختلفة على الدابة.

اللَّه ﷺ يَدَهُ عَلَى وَجْهِ الْفَضْلِ، فَحَوَّلَ الْفَضْلُ وَجْهَهُ إِلَى الشِّقِّ الآخَرِ يَنْظُرُ، فَحَوَّلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدَهُ مِنَ الشِّقِّ الآخَرِ عَلَى وَجْهِ الْفَضْلِ، يَصْرِفُ وَجْهَهُ مِنَ الشِّقِّ الآخَرِ يَنْظُرُ.

- **الوصول إلى الجمرات:**

«... حَتَّى أَتَى بَطْنَ مُحَسِّرٍ فَحَرَّكَ قَلِيلاً ثُمَّ سَلَكَ الطَّرِيقَ الْوُسْطَى الَّتِي تَخْرُجُ عَلَى الْجَمْرَةِ الْكُبْرَى، حَتَّى أَتَى الْجَمْرَةَ الَّتِي عِنْدَ الشَّجَرَةِ، فَرَمَاهَا بِسَبْعِ حَصَيَاتٍ، يُكَبِّرُ مَعَ كُلِّ حَصَاةٍ مِنْهَا، مِثْلِ حَصَى الْخَذْفِ[1]، رَمَى مِنْ بَطْنِ الْوَادِي.

وفي رواية قدامة بن عمار قال: رأيت رسول الله ﷺ يوم النحر يرمي الجمرة عن ناقة له صهباء، لا ضرب ولا طرد، **ولا إليك إليك**[2]»[3].

- **الذهاب إلى المنحر لنحر الهدي:**

«... ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَى الْمَنْحَرِ فَنَحَرَ ثَلاَثًا وَسِتِّينَ بِيَدِه، ثُمَّ أَعْطَى عَلِيًّا فَنَحَرَ مَا غَبَرَ وَأَشْرَكَهُ فِي هَدْيِه، ثُمَّ أَمَرَ مِنْ كُلِّ بَدَنَةٍ بِبَضْعَةٍ فَجُعِلَتْ فِي قِدْرٍ، فَطُبِخَتْ فَأَكَلاَ مِنْ لَحْمِهَا وَشَرِبَا مِنْ مَرَقِهَا.

- **الإفاضة إلى الكعبة المشرفة:**

«... ثُمَّ رَكِبَ رَسُولُ اللَّه ﷺ، فَأَفَاضَ إِلَى الْبَيْتِ فَصَلَّى بِمَكَّةَ الظُّهْرَ، فَأَتَى بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ يَسْقُونَ عَلَى زَمْزَمَ، فَقَالَ: **انْزِعُوا**[4] **بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، فَلَوْلاَ أَنْ يَغْلِبَكُمُ النَّاسُ عَلَى سِقَايَتِكُمْ، لَنَزَعْتُ مَعَكُمْ، فَنَاوَلُوهُ دَلْوًا فَشَرِبَ مِنْهُ**»[5].

- **إفطار النبي ﷺ يوم عرفة:** روت ميمونة رضي الله عنها «أن الناس شكُّوا في صيام

---

(١) الرَّمْيُ بالحصى (الصغار) بأَطْراف الأَصابع، يقال: خَذَفَه بالحصى خذفاً.

(٢) لا ضرب ولا طرد: بالفتح والرفع منونا فيهما أي لا دفع، ولا إليك إليك: أي تنح تنح، وهو اسم فعل بمعنى تنح عن الطريق، قال الطبري: قوله: إليك إليك، نحو قول القائل: الطريق الطريق: وقال الطيبي: أي ما كانوا يضربون الناس ولا يطردونهم ولا يقولون تنحوا عن الطريق كما هو عادة الملوك والجبابرة،

(٣) أخرجه أحمد ح ١٥٤١١، وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط: إسناده حسن.

(٤) انزعوا: ومعناه استقوا بالدلاء، وانزعوها بالرشاء، وقوله ﷺ: لولا أن يغلبكم الناس لنزعت معكم، معناه لولا خوفي أن يعتقد الناس ذلك من مناسك الحج ويزدحمون عليه بحيث يغلبونكم ويدفعونكم عن الاستقاء لاستقيت معكم لكثرة فضيلة هذا الاستقاء.

(٥) أخرجه مسلم، كتاب الحج، باب حجة النبي ﷺ، ح ١٢٨١، وهو أطول وأجمع حديث في الحج.

النبي ﷺ يوم عرفة، فأرسلت إليه بحِلاب وهو واقف في الموقف، فشرب منه، والناس ينظرون»[1].

- **من فقه الموسم:** روى عبد الله بن عباس رضي الله عنهما «أنه أقبل يسير على حمار ورسول الله ﷺ قائم بمنى في حجة الوداع، يصلي بالناس، فسار الحمار بين يدي بعض الصف، ثم نزل عنه فصفَّ مع الناس»[2].
- **خطوات النبي ﷺ:** روى عروة رضي الله عنه قال: سُئل أسامة وأنا شاهد، عن سير النبي ﷺ في حجته فقال: «العنق، **فإذا وجد فجوة نص**»[3].
- **وقوف النبي ﷺ بعرفات مخالفاً لقريش:** روت عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «كَانَتْ قُرَيْشٌ وَمَنْ دَانَ دِينَهَا يَقِفُونَ بِالْمُزْدَلِفَةِ، وَكَانُوا يُسَمَّوْنَ الْحُمْسَ، **وَكَانَ سَائِرُ الْعَرَبِ يَقِفُونَ بِعَرَفَاتٍ، فَلَمَّا جَاءَ الإِسْلاَمُ أَمَرَ اللَّهُ نَبِيَّهُ ﷺ أَنْ يَأْتِيَ عَرَفَاتٍ، ثُمَّ يَقِفَ بِهَا، ثُمَّ يُفِيضَ مِنْهَا**، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٩٩﴾﴾ البقرة: ١٩٩.[4]
- **كرامة من مات ملبياً:** روى ابن عباس رضي الله عنهما «بينما رجل واقف مع رسول الله ﷺ بعرفة، إذا وقع عن راحلته، فأوقصته أو قال فأقصعته، فذُكر ذلك للنبي ﷺ فقال: اغسلوه بماء وسدر، وكفنوه في ثوبيه، ولا تمسوه بطيب، ولا تخمروا رأسه، **فإنه يُبعث يوم القيامة ملبياً**»[5].
- **استئذان سودة رضي الله عنها أن تدفع قبل الناس:** روت عائشة رضي الله عنها قالت: نزلنا المزدلفة، فاستأذنت النبي ﷺ سودة أن تدفع قبل حطمة الناس، **وكانت امرأة بطيئة، فأذن لها، فدفعت قبل حطمة الناس**، وأقمنا حتى أصبحنا نحن، ثم دفعنا بدفعه، **فلأن أكون استأذنت رسول الله ﷺ، كما استأذنتْ سودة،**

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الصوم، باب صوم يوم عرفة، ح ١٩٨٩.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب حجة الوداع، ح ٤٤١٢.

(٣) السابق ح ٤٤٢٣، وقال ابن حجر في الشرح: قوله: (العنق) بفتح المهملة والنون هو السير الذي بين الإبطاء والإسراع، وقوله: (نص) أي أسرع، قال أبو عبيد: النص تحريك الدابة حتى يستخرج به أقصى ما عندها.

(٤) أخرجه البخاري، كتاب التفسير، باب «ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس»، ح ٤٥٢٠.

(٥) أخرجه البخاري، كتاب الجنائز، باب الكفن في ثوبين، ح ١٢٦٥.

أحب إليَّ من مفروحٍ به»[1].

- **حجم الحصى عند الجمرات:** روى ابْن عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّه ﷺ غَدَاةَ الْجَمْرَةِ: «**هَاتِ الْقُطْ لِي**».
فَلَقَطْتُ لَهُ حَصَيَاتٍ مِنْ حَصَى الْخَذْفِ، فَلَمَّا وَضَعَهُنَّ فِي يَدِه، قَالَ: «**نَعَمْ بِأَمْثَالِ هَؤُلَاءِ، نَعَمْ بِأَمْثَالِ هَؤُلَاءِ، نَعَمْ بِأَمْثَالِ هَؤُلَاءِ، وَإِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فِي الدِّينِ، فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمُ الْغُلُوُّ فِي الدِّينِ**»[2].
- **مكان النبي ﷺ حين رمى الجمرة:** روى عبد الرحمن بن يزيد قال: رأيت عبد الله بن مسعود رمى جمرة العقبة من بطن الوادي فقال: هذا والذي لا إله غيره مقام **الذي أنزلت عليه سورة البقرة**»[3].
- **ترتيب أعمال النبي ﷺ يوم النحر:** روى أَنَس بْن مَالك رضي الله عنه «أَنّ رَسُولَ اللَّه ﷺ رَمَى جَمْرَةَ الْعَقَبَة، ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَى الْبُدْن فَنَحَرَهَا، وَالْحَجَّامُ جَالِسٌ، وَقَالَ بِيَدِه عَنْ رَأْسِه، فَحَلَقَ شِقَّهُ الْأَيْمَنَ، فَقَسَمَهُ فِيمَنْ يَلِيه، ثُمَّ قَالَ: «**احْلِقْ الشِّقَّ الْآخَرَ**»، **فَقَالَ: «أَيْنَ أَبُو طَلْحَةَ»، فَأَعْطَاهُ إِيَّاهُ**»[4].
- **الدعاء للمحلقين يوم النحر:** روى ابْن عُمَرَ رضي الله عنهما، أَنّ رَسُولَ اللَّه ﷺ قَالَ: «رَحِمَ اللَّهُ الْمُحَلِّقِينَ»، قَالُوا: وَالْمُقَصِّرِينَ يَا رَسُولَ اللَّه، قَالَ: «رَحِمَ اللَّهُ الْمُحَلِّقِينَ»، قَالُوا: وَالْمُقَصِّرِينَ يَا رَسُولَ اللَّه، قَالَ «رَحِمَ اللَّهُ الْمُحَلِّقِينَ»، **قَالُوا: وَالْمُقَصِّرِينَ يَا رَسُولَ اللَّه، قَالَ: «وَالْمُقَصِّرِينَ»**[5].
- **رفع الحرج وتأصيل ثقافة التيسير:** روى عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: «وقف رسول الله ﷺ على راحلته، فطفق ناس يسألونه؛ فيقول القائل منهم: يا رسول الله إني لم أكن أشعرُ أن الرمي قبل النحر، فنحرتُ قبل الرمي؟

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الحج، باب من قدم ضعَفَة أهله بليل، ح ١٦٨٠.
(٢) أخرجه النسائي، كتاب الحج، باب التقاط الحصى، ح ٣٠٥٧، وابن ماجة، كتاب المناسك، باب قدر الحصى، ح٣٠٢٩، وذكره الشيخ ابراهيم العلي في صحيح السيرة برقم: ٨٧٥، ورجَّح تصحيح الحاكم والذهبي له.
(٣) أخرجه البخاري، كتاب الحج، باب رمي الجمار من بطن الوادي، ح ١٧٤٧.
(٤) أخرجه مسلم، كتاب الحج، باب بيان أن السُّنة يوم النحر أن يرمي ثم ينحر ثم يحلق، ح ١٣٠٥.
(٥) أخرجه مسلم، كتاب الحج، باب تفضيل الحلق على التقصير، ح ١٣٠١.

فقال رسول الله ﷺ: **فارمِ ولا حرج**، قال: وطفق آخر يقول: إني لم أشعر أن النحر قبل الحلق، فحلقت قبل أن أنحر؟ فيقول: **انحر ولا حرج**، قال: فما سمعته يُسأل يومئذ عن أمر **مما ينسى المرء ويجهل**، من تقديم بعض الأمور قبل بعض، وأشباهها، إلا قال رسول الله ﷺ: **افعلوا ذلك ولا حرج**»[1].

- **عيادة النبي ﷺ لسعد:** روى عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه رضي الله عنه قال: «كان رسول الله ﷺ يعودني عام حجة الوداع[2] من وجع اشتد بي (أشفيت منه على الموت) فقلت: إني قد بلغ بي من الوجع، وأنا ذو مال، ولا يرثني إلا ابنة، **أفأتصدق بثلثي مالي؟**

قال: لا، فقلت: بالشطر؟ فقال: لا، ثم قال: الثلث، والثلث كبير أو كثير، **إنك أن تذر ورثتك أغنياء، خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس**، وإنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أجرت بها، حتى ما تجعل في فيِّ امرأتك.

فقلت: يا رسول الله، أأخلَّف بعد أصحابي؟

قال: إنك لن تخلف فتعمل عملاً صالحاً إلا ازددتَ به درجة ورفعة، ثم لعلك أن تخلف حتى ينتفع بك أقوام، ويُضر بك آخرون.

اللهم أمض لأصحابي هجرتهم، ولا تردهم على أعقابهم، لكن البائس سعد بن خولة، **يرثي له رسول الله ﷺ أن مات بمكة**»[3].

- **منزل النبي ﷺ عند انتهائه من أعمال الحج في منى:** روى ابن عمر رضي الله عنهما «أن النبي ﷺ، وأبا بكر وعمر، كانوا ينزلون الأبطح»[4].
- **طواف الوداع:** روى ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كان الناس ينصرفون في كل وجه، فقال رسول الله ﷺ: **لا ينفرنَّ أحد حتى يكون آخر عهده بالبيت**»[5].

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب الحج، باب من حلق قبل النحر أو نحر قبل الرمي، ح ١٣٠٦.

(٢) وذكره لحجة الوداع هنا لا يعني بالضرورة أن ذلك الموقف كان أثناء أداء المناسك على وجه القطع واليقين، ولكني ذكرت الحديث هنا لأنه يحتمل ذلك.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الجنائز، باب رثاء النبي ﷺ سعد بن خولة، ح ١٢٩٥.

(٤) أخرجه مسلم، كتاب الحج، باب استحباب النزول بالمحصب، ح ١٣١٠.

(٥) السابق ح ١٣١١.

وفي روايــة لابن عباس رضي الله عنه **أيضاً قال:** أمر النبي ﷺ الناس **أن يكون آخر عهدهم بالبيت، إلا أنه خفف عن المرأة الحائض»**[1].

- **حكاية أم ســنان:** روى ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ لامرأة من الأنصار يقال لها أم ســنان، ما منعك أن تحجــي معنا؟ قالت: لم يكن لنا إلا ناضحان، فحج أبو ولدها وابنها عــلى ناضح، وترك لنا ناضحاً ننضح عليه، قال: **فإذا جاء رمضان فاعتمري، فإن عمرة فيه تقضي حجة أو حجة معي»**[2].

من أعمال النبي ﷺ بعد حجة الوداع:

- **موعظة ووصية غدير خُم:** روى زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: «قام رســول الله ﷺ يوماً فينا خطيباً بمــاء يدعى خُماً، بين مكة والمدينة، فحمد اللــه وأثنى عليه، ووعظ وذكَّر، ثم قال: أما بعد، ألا أيها الناس، فإنما أنا بشر، يوشــك أن يأتي رسول ربي فأجيب، وأنا تارك فيكم ثقلين: أولهما كتاب الله، فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله، واستمسكوا به، **فحثَّ على كتاب الله، ورغَّب فيه.**

ثــم قال: وأهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، **أذكركم الله في أهل بيتي.**

فقال له حصين: **ومَن أهل بيته يا زيد؟ أليس نســاؤه من أهل بيته؟ قال: نساؤه من أهل بيته...»**[3].

- **تجهيز جيش أســامة إلى أرض فلســطين:** روى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما «أن رســول الله ﷺ بعث بعثاً، وأمَّر عليهم أسامة بن زيد، فطعن الناس في إمارته، فقام رسول الله ﷺ فقال: **إن تطعنوا في إمارته، فقد كنتم تطعنون في إمارة أبيه من**

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب الحج، باب وجوب طواف الوداع وسقوطه عن الحائض، ح ١٣٢٧.

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الحج، باب فضل العمرة في رمضان، ح ٣٠٢٩، والناضحان بعيران للسقاية.

(٣) أخرجه مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل علي رضي الله عنه، ح ٢٠٤٨، وفي رواية الامام أحمد ٣/ ١١٠، تصريح بأن ذلك كان يوم دفع النبي ﷺ من حجة الوداع، وفيه زيادة قال فيها النبي ﷺ: «إن الله مولاي وأنا ولي كل مؤمن، ثم أخذ بيد علي رضي الله عنه فقال: **من كنت وليه فهذا وليه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه**»، وذكره الشيخ ابراهيم العلي في صحيح السيرة برقم: ٨٨٨.

قبل، وايمُ الله إن كان لخليقاً للإمارة، وإن كان لمن أحب الناس إليَّ، وإن هذا لمن أحب الناس إليَّ بعده»[1].

مرض رسول الله ﷺ ووفاته:

- **بداية أعراض المرض:**

زيارة النبي ﷺ مقبرة شهداء أُحد: روى عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: صلى رسول الله ﷺ على قتلى أُحد بعد ثماني سنين، كالمودع للأحياء والأموات، ثم طلع المنبر فقال: إني بين أيديكم فرط، وأنا عليكم شهيد، وإن موعدكم الحوض، وإني لأنظر إليه من مقامي هذا، **وإني لستُ أخشى عليكم أن تشركوا، ولكني أخشى عليكم الدنيا أن تنافسوها**، قال: فكانت آخر نظرة نظرتها إلى رسول الله ﷺ»[2].

- **مرضه واستئذانه لنسائه أن يكون علاجه في بيت عائشة رضي الله عنها:** روت عائشة رضي الله عنها قالت: «أول ما اشتكى رسول الله ﷺ في بيت ميمونة، فاستأذن أزواجه أن يمرَّض في بيتها (بيت عائشة)، وأذنَّ له، قالت: **فخرج ويدٌ له على الفضل بن عباس، ويدٌ له على رجل آخر**، وهو يخطُّ برجليه في الأرض، فقال عبيد الله: فحدثتُ به ابن عباس، فقال: أتدري من الرجل الذي لَم تسمِّ عائشة؟

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب بعث النبي ﷺ أسامة بن زيد، ح ٤٤٦٨، وقد ذكر ابن إسحاق أن النبي ﷺ **أمر أسامة رضي الله عنه أن يوطئ الخيل تخوم البلقاء والداروم من أرض فلسطين، فتجهز الناس، وأوعب مع أسامة المهاجرون والأنصار**، قال ابن هشام: وهو آخر بعث بعثه رسول الله ﷺ، وانظر السيرة النبوية لابن هشام: ٢/ ٦٤٢، والسيرة النبوية لابن كثير: ٤/ ٤٤٠، **وأكد ابن كثير رحمه الله أنه كان في الجيش عمر رضي الله عنه، لكنه نفى واستبعد أن يكون أبو بكر رضي الله عنه أيضاً ممن كان في جيش أسامة رضي الله عنه.**

(٢) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة أحد، ح ٣٨١٦، وروى أحمد والطبراني حديث أبو مويهبة مولى رسول الله ﷺ وفيه إثبات زيارة النبي ﷺ لأهل البقيع أيضاً، فعن عبد الله بن عمرو بن العاص، عن أبي مويهبة، مولى رسول الله ﷺ، قال: طرقني النبي ﷺ ذات ليلة فقال: «أبو مويهبة انطلق، فإني قد أمرت أن أستغفر لأهل هذا البقيع»، فانطلقت أو قال: فانطلقنا، فلما توسط البقيع استغفر لأهل المقابر، ثم قال: «**ليهن لكم ما أصبحتم فيه، لو تدرون مما نجاكم الله منه، أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم يتبع آخرها أولها، الآخرة شر من الأولى**»، ثم قال: «يا أبا مويهبة، هل علمت أن الله خيرني أن يؤتيني خزائن الأرض والخلد فيها، ثم الجنة وبين لقاء ربي؟»، قال: قلت: بأبي أنت وأمي فخذ مفاتيح خزائن الأرض والخلد فيها، قال: «كلا يا أبا مويهبة **لقد اخترت لقاء ربي، ثم استغفر لأهل المقابر وانصرف**»، فلما أصبح بدأه شكواه الذي قُبض فيه، والحديث ذكره الشيخ ابراهيم العلي في صحيح السيرة برقم: ٨٩٠، وحكم عليه الدكتور نزار ريان في كتابه الماتع: (وأظلمت المدينة)، بأن إسناده حسن، وانظر في الكتاب، ط دار المنهاج، ط١، ٢٠٠٨م، ص ٣٤.

هو علي»[1].

وروت عائشة رضي الله عنها أنها قالت: «وا رأساه، فقال رسول الله ﷺ: ذاك لو كان وأنا حي، فأستغفرُ لك، وأدعو لك، **فقالت عائشة: وا ثكلياه، والله إني لأظنك تحب موتي، ولو كان ذاك لظللت آخر يومك معرساً**[2] **ببعض أزواجك**، فقال النبي ﷺ: بل أنا وا رأساه...»[3].

- **وصف شدة مرضه ﷺ:** روت عائشة رضي الله عنها قالت: «ما رأيت أحداً أشد عليه الوجع من رسول الله ﷺ»[4].

وروى عَبْدُ اللَّه بْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قال: دَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يُوعَكُ وَعْكًا شَدِيدًا، فَمَسِسْتُهُ بِيَدِي، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّه إِنَّكَ لَتُوعَكُ وَعْكًا شَدِيدًا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: أَجَلْ، **إِنِّي أُوعَكُ كَمَا يُوعَكُ رَجُلَانِ مِنْكُمْ، فَقُلْتُ: ذَلِكَ أَنَّ لَكَ أَجْرَيْنِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ أَجَلْ**، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُصِيبُهُ أَذًى؛ مَرَضٌ فَمَا سِوَاهُ، إِلَّا حَطَّ اللَّهُ لَهُ سَيِّئَاتِهِ كَمَا تَحُطُّ الشَّجَرَةُ وَرَقَهَا»[5].

وروت عائشة رضي الله عنها أيضاً قالت: قال النبي ﷺ بعد ما دخل بيتها واشتدَّ به وجعه: «هريقوا عليَّ من سبع قِرَبٍ لم تُحلل أوكيتهن[6]، لعلي أعهد إلى الناس، قالت: فأجلسناه في مخضب[7] لحفصة زوج النبي ﷺ، ثم طفقنا نَصُبُّ عليه من تلك القرب، **حتى جعل يشير إلينا أن قد فعلتنَّ؟** قالت: وخرج إلى الناس فصلى لهم، وخطبهم»[8].

- **مع ابنته فاطمة رضي الله عنها:** وروى أنس رضي الله عنه قال: «لما ثقل النبي ﷺ جعل يتغشاه، فقالت فاطمة عليها السلام: وا كرب أباه، فقال لها: ليس على أبيك كرب

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب مرض النبي ﷺ ووفاته، ح ٤٤٤٢.

(٢) الدخول على الزوجات.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب المرضى، باب قول المريض: وا رأساه، ح ٥٣٤٢.

(٤) أخرجه البخاري، كتاب المرضى، باب شدة المرض، ح ٥٣٢٢.

(٥) أخرجه البخاري، كتاب المرضى، باب وضع اليد على المريض، ح ٥٣٥٥.

(٦) مُحكمة الإغلاق لم تحلل أربطتهن.

(٧) طست أو إناء.

(٨) أخرجه البخاري، كتاب الطب، ح ٥٣٨٤.

بعد اليوم، فلما مات قالت: يا أبتاه، أجاب ربّاً دعاه، يا أبتاه، مِن جنة الفردوس مأواه، يا أبتاه، إلى جبريل ننعاه، فلما دُفن قالت فاطمة عليها السلام: يا أنس، **أطابت أنفسكم أن تحثوا على رسول الله ﷺ التراب**»[1].

- **كتاب لم يكتبه النبي ﷺ:** عن ابن عباس رضي الله عنهما قال لما حضر رسول الله ﷺ، وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب، قال النبي ﷺ: «**هلم أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده**، فقال عمر: إن النبي ﷺ قد غلب عليه الوجع، وعندكم القرآن، حسبنا كتاب الله، فاختلف أهل البيت، فاختصموا؛ منهم من يقول: قرِّبوا يكتب لكم النبي ﷺ كتاباً لن تضلوا بعده، ومنهم من يقول ما قال عمر، **فلما أكثروا اللغو والاختلاف عند النبي ﷺ، قال رسول الله ﷺ: قوموا**، قال عبيد الله: فكان ابن عباس يقول: إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله ﷺ وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب، مِن اختلافهم ولغطهم»[2].
- **النبي ﷺ ينعي للمسلمين نفسه في الخطبة:** روى أبو سعيد الخدري رضي الله عنه قال: خطب رسول الله ﷺ الناس، وقال: إن الله خيَّر عبداً بين الدنيا، وبين ما عنده، **فاختار ذلك العبد ما عند الله**، قال: فبكى أبو بكر، فعجبنا لبكائه أن يخبر رسول الله ﷺ عن عبد خُيِّر، فكان رسول الله ﷺ هو المخير، وكان أبو بكر أعلمنا، فقال رسول الله ﷺ: **إن مِن أمنِّ الناس عليَّ في صحبته وماله أبا بكر، ولو كنت متخذاً خليلاً غير ربي لاتخذتُ أبا بكر**، ولكن أخوَّة الإسلام ومودته، لا يبقين في المسجد باب إلا سُدَّ إلا باب أبي بكر»[3].
- **وصية النبي ﷺ بالأنصار:** روى ابن عباس رضي الله عنهما قال: «خرج رسول الله ﷺ في مرضه الذي مات فيه بملحفة قد عصب بعصابة دسماء، حتى جلس على المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد، **فإن الناس يكثرون، ويقلُّ الأنصار**،

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب مرض النبي ﷺ ووفاته، ح ٤٤٦٢.

(٢) السابق، ح ٤٤٣٢، وفي رواية لابن عباس رضي الله عنه أنه قال: **يوم الخميس وما يوم الخميس ثم بكى حتى خضب دمعه الحصباء، فقال: اشتد برسول الله ﷺ وجعه يوم الخميس فقال: ائتوني بكتاب أكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده فتنازعوا...**» أخرجه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب جوائز الوفد، ح ٣٠٥٣.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب قول النبي ﷺ سدوا الأبواب كلها إلا باب أبي بكر، ح ٣٤٥٤.

حتى يكونوا في الناس بمنزلة الملح في الطعام، فمن ولي منكم شيئاً يضر فيه قوماً وينفع فيه آخرين، فليقبل من محسـنهم، ويتجاوز عن مسيئهم، فكان آخر مجلس جلس به النبي ﷺ»[1].

- **وصية النبي ﷺ بالمهاجرين:** وفي رواية عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال: «أوصيكم بالسـابقين الأولين من المهاجرين وبأبنائهم من بعدهم إلا تفعلوه لا يقبل منكم صرف ولا عدل»[2].
- **تكليف النبي ﷺ أبا بكر أن يؤم الناس:** روت عائشـة رضي الله عنها قالت: «ثقل النبي ﷺ فقال: أصلى الناس؟

قلنا: لا، هم ينتظرونك، قال: ضعوا لي ماءً في المخضب.

قالت: ففعلنا، فاغتسل، فذهب لينوء[3]، فأغمي عليه، ثم أفاق.

فقال ﷺ: أصلى الناس؟ قلنا: لا، هم ينتظرونك يا رسول الله.

قال: ضعوا لي ماءً في المخضب، قالت: فقعد، فاغتسـل، ثم ذهب لينوء، فأغمي عليـه، ثم أفاق فقال: أصلى الناس؟ قلنا: لا، هم ينتظرونك يا رسـول الله، فقال: ضعوا لي ماءً في المخضب، فقعد، فاغتسل، ثم ذهب لينوء فأغمي عليه.

ثم أفـاق فقال: أصلى الناس؟ فقلنـا: لا، هم ينتظرونك يا رسـول الله، والناس عكوف في المسجد ينتظرون النبي عليه السلام لصلاة العشاء الآخرة، فأرسل النبي ﷺ إلى أبي بكر بأن يصلي بالناس، فأتاه الرسـول فقال: إن رسول الله ﷺ يأمرك أن تصلي بالناس.

فقال أبو بكـر: وكان رجلاً رقيقاً، **يا عمر، صلِّ بالنـاس، فقال له عمر: أنت أحق بذلك**، فصلى أبو بكر تلك الأيام، ثم إن النبي ﷺ وجد من نفسه خفة، فخرج بين رجلين، أحدهما العبـاس لصلاة الظهر، وأبو بكر يصلي بالناس، فلما رآه أبو بكر ذهب ليتأخر، فأومأ إليه النبي ﷺ، بأن لا يتأخر، قال: أجلساني إلى جنبه، فأجلساه

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الجمعة، باب قول الخطيب: أما بعد، ح ٩٢٧.

(٢) أخرجه البزار في مسنده برقم: ٣/ ٢٣٣، وقال الدكتور نزار ريان وقد ذكره في كتابه «وأظلمت المدينة»: إسناده حسن.

(٣) أي حاول القيام مع بذل الجهد في ذلك.

مكتبة t.me/ktabrwaya

إلى جنب أبي بكر، قال: **فجعل أبو بكر يصلي وهو يأتمّ بصلاة النبي ﷺ، والناس بصلاة أبي بكر، والنبي ﷺ قاعد**»[1].

وروت عائشة رضي الله عنها قالت: «لما ثقل رسول الله ﷺ جاء بلال يؤذنه بالصلاة، فقال: مروا أبا بكر فليصل بالناس، قالت: فقلت: يا رسول الله، إن أبا بكر رجل أسيف، وإنه متى يقم مقامك لا يسمع الناس، فلو أمرت عمر، فقال: مروا أبا بكر فليصل بالناس، قالت: فقلت: لحفصة قولي له: إن أبا بكر رجل أسيف، وإنه متى يقم مقامك لا يسمع الناس، فلو أمرت عمر، فقالت له: فقال رسول الله ﷺ: **إنكنَّ لأنتنَّ صواحب يوسف، مروا أبا بكر فليصل بالناس...**»[2].

- **نعيه نفسه لابنته فاطمة رضي الله عنها**: روت عائشة رضي الله عنها قالت: «اجتمع نساء النبي ﷺ، فلم يغادر منهن امرأة، **فجاءت فاطمة تمشي كأن مشيتها مشية رسول الله ﷺ**، فقال: مرحباً بابنتي، فأجلسها عن يمينه، أو عن شماله، ثم إنه أسرَّ إليها حديثاً فبكت فاطمة، ثم إنه سارها فضحكت أيضاً، فقلت لها: ما يبكيك؟ فقالت: **ما كنت لأفشي سرَّ رسول الله ﷺ**.

فقلت: ما رأيت كاليوم فرحاً أقرب من حزن، فقلت لها حين بكت: أخصَّك رسول الله ﷺ بحديثه دوننا، ثم تبكين، وسألتها عما قال، فقالت: ما كنت لأفشي سرَّ رسول الله ﷺ، حتى إذا قُبض سألتُها، فقالت: إنه كان حدثني **أن جبريل كان يُعارضه بالقرآن كل عام مرة، وإنه عارضه به في العام مرتين، ولا أراني إلا قد حضر أجلي**، وإنك أول أهلي لحوقاً بي، ونِعْمَ السلف أنا لك، فبكيتُ لذلك، ثم إنه سارني فقال: ألا ترضين أن تكوني سيدة نساء المؤمنين، أو سيدة نساء هذه الأمة، فضحكتُ لذلك»[3].

- **وصية النبي ﷺ لصفية**: روى ذؤيب بن حلحلة رضي الله عنه قال: «لما حُضر النبي ﷺ

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الأذان، باب إنما جُعل الإمام ليؤتم به، ح ٦٨٧.

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الصلاة، باب استخلاف الإمام، ح ٤١٨، وتحكي عائشة رضي الله عنها أنه ما حملها على كثرة مراجعة النبي ﷺ إلا أنه لم يقع في قلبها أنه يحب الناس بعده رجلاً قام مقامه أبداً، **ولا كانت ترى أنه لن يقوم أحد مقامه إلا تشاءم الناس به**، فأرادت أن يعدل ذلك رسول الله ﷺ عن أبيها أبو بكر رضي الله عنه.

(٣) أخرجه مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل فاطمة رضي الله عنها، ح ٢٤٥٠.

قالت صفية: يا رسـول الله، لكل امرأة من نسائك أهل يُلجأ إليهم، وإنك أجليت أهلي، **فإن حدث حدث فإلى مَن؟ قال: إلى علي بن أبي طالب**»[١].

- **تأثر النبي ﷺ بسُـمٍّ يوم خيبر:** روت عائشة رضي الله عنها كان النبي ﷺ يقول في مرضه الذي مات فيه: «يا عائشة؛ ما أزال أجد ألم الطعام الذي أكلتُ بخيبر، فهذا أوان وجدتُ انقطاع أبهري[٢] من ذلك السم»[٣].
- **آخـر ما قرأه النبي ﷺ في صلاة الجماعـة:** روى ابن عباس رضي الله عنهما قال: إن أم الفضل بنت الحارث سـمعته وهو يقرأ «والمرسلات عرفاً»، فقالت: يا بني، لقد ذكرتني بقراءتك هذه السـورة، إنها لآخر ما سمعت رسول الله ﷺ يقرأ بها في المغرب»[٤].
- **مشهد علاج النبي ﷺ:** روت عائشـة رضي الله عنها قالت: «لددناه[٥] في مرضه، فجعل يشير إلينا أن **لا تلدوني، فقلنا: كراهية المريض للدواء**، فلما أفاق قال: ألم أنهكم أن تلدوني؟ قلنا: كراهية المريض للدواء، فقال: لا يبقى أحد في البيت إلا لُدَّ، وأنا أنظر، إلا العباس، فإنه لم يشهدكم»[٦].
- **مشـهد رقية النبي ﷺ:** روت عائشـة رضي الله عنها قالت: «كان رسول الله ﷺ إذا مـرض أحد من أهله، نفث عليه بالمعوذات، فلما مرض مرضه الذي مات فيه، **جعلتُ أنفث عليه، وأمسحه بيد نفسه، لأنها كانت أعظم بركة من يدي**»[٧].
- **مـن وصايا النبي ﷺ قبل وفاته:** روى ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كشـف رسـول الله ﷺ السـتارة والناس صفوف خلـف أبي بكر، فقال: أيها النـاس، إنه لم يبق من

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير، برقم ٤٢١٤، وقال الدكتور نزار ريان وقد ذكره في كتابه «وأظلمت المدينة»: إسناده صحيح.

(٢) الأبهر: هو عرق يتعلق به القلب، فإذا انقطع مات صاحبه.

(٣) أخرجه البخاري بطريقة التبويب (معلقا) في كتاب المغازي، باب مرض النبي ﷺ ووفاته وقول الله تعالى: «إنك ميت وإنهم ميتون ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون»، ح ٤١٦٦.

(٤) أخرجه البخاري، كتاب الأذان، باب القراءة في المغرب، ح ٧٣٦.

(٥) اللدود هو صب الدواء في إحدى جانبي الفم.

(٦) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب مرض النبي ﷺ ووفاته، ح ٤٤٦٢.

(٧) أخرجه مسلم، كتاب السلام، باب رقية المريض بالمعوذات والنفث، ح ٢١٩٢.

مبشرات النبوة إلا الرؤيا الصالحة، يراها المسلم أو تُرى له، ألا وإني نُهيت أن أقرأ القرآن راكعاً أو ساجداً، **فأما الركوع فعظِّموا فيه الرب عز وجل، وأما السجود فاجتهدوا في الدعاء، فقَمِنٌ** أن يُستجاب لكم، وفي رواية قال: كشف رسول الله ﷺ الستر ورأسه معصوب في مرضه الذي مات فيه، فقال: اللهم هل بلغت، ثلاث مرات...»[1].

وروت عائشة وابن عباس رضي الله عنهم أن رسول الله ﷺ لما حضرته الوفاة، جعل يُلقي على وجهه طرف خميصة له، فإذا اغتمَّ كشفها عن وجهه وهو يقول: **«لعنة الله على اليهود، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» تقول عائشة: يُحذِّر مثل الذي صنعوا»**[2].

وروى أنس رضي الله عنه قال: «كانت عامة وصية رسول الله ﷺ حين حضره الموت: **الصلاة وما ملكت أيمانكم**، حتى جعل رسول الله ﷺ يغرغر بها صدره، وما كاد يفيض بها لسانه»[3].

- **طلبه إخراج اليهود من الجزيرة:** روى أَبو عُبَيْدَةَ رضي الله عنه قَالَ: «**آخِرُ مَا تَكَلَّمَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ: «أَخْرِجُوا يَهُودَ أَهْلِ الْحِجَازِ، وَأَهْلِ نَجْرَانَ مِنْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ...»**»[4].
- **آخر ابتسامة للنبي ﷺ:** روى أنس بن مالك رضي الله عنه أن أبا بكر رضي الله عنه كان يصلي لهم في وجع رسول الله ﷺ، الذي توفي فيه، حتى إذا كان يوم الاثنين، وهم صفوف في الصلاة، كشف رسول الله ﷺ ستر الحجرة، فنظر إلينا وهو قائم، **كأن وجهه ورقة مصحف، ثم تبسم رسول الله ﷺ ضاحكاً.**

قال: فبُهتنا ونحن في الصلاة من فرحٍ بخروج رسول الله ﷺ، ونكص أبو بكر على عقبيه ليصل الصف، وظن أن رسول الله ﷺ خارج للصلاة، فأشار إليهم رسول الله ﷺ بيده، أن أتموا صلاتكم، قال: ثم دخل رسول الله ﷺ فأرخى الستر، قال:

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب الصلاة، باب النهي عن قراءة القرآن في الركوع أو السجود، ح ٤٧٩.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الصلاة، باب ٥٥، ح ٤٣٥.

(٣) أخرجه ابن ماجه، ٢/ ١٥٥، بإسناد قال فيه الشيخ الألباني بأنه صحيح، وانظر فقه السيرة للشيخ الغزالي ص٤٦٦.

(٤) أخرجه أحمد، ١/ ١٩٥، وأبو يعلى، ٨٧٢، وذكره الشيخ ابراهيم العلي في صحيح السيرة برقم: ٩١، وقال: إسناده صحيح.

فتوفي رسول الله ﷺ من يومه ذلك»[1].

- **بحة صوته وتخييره قبيل موته:** روت عائشة رضي الله عنها قالت: «كنت أسمع أنه لا يموت نبي حتى يُخير بين الدنيا والآخرة، فسمعت النبي ﷺ يقول في مرضه الذي مات فيه، وأخذته بحة، يقول: ﴿مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾﴾ النساء: ٦٩، **فظننت أنه خُيِّر**»[2].
- **لحظة وفاته ﷺ:** روت عائشة[3] رضي الله عنها قالت: «إن من نعم الله عليَّ أن رسول الله ﷺ تُوفي في بيتي، وفي يومي، وبين سَحْرِي ونَحْرِي (على صدري)، وأن الله جمع بين ريقي وريقه عند موته.

دخل عبد الرحمن بن أبي بكر وبيده السواك، وأنا مسندة رسول الله ﷺ، فرأيته ينظر إليه، وعرفت أنه يحب السواك، فقلت: آخذه لك؟ فأشار برأسه أن نعم، فتناولته فاشتد عليه، وقلت: أُلينه لك؟ فأشار برأسه أن نعم، فليَّنتُهُ فأمرَّه (استاك به)، وبين يديه ركوة أو علبة - شك الراوي- فيها ماء، فجعل يدخل يديه في الماء فيمسح بها وجهه يقول: **لا إله إلا الله، إن للموت سكرات**، ثم نصب يده فجعل يقول: **في الرفيق الأعلى، حتى قُبِض، فمالت يده ﷺ**»[4].

وفي رواية أخرى لعائشة رضي الله عنها قال: «فبينما رأسه ذات يوم على منكبي إذ مال رأسه نحو رأسي فظننت أنه يريد من رأسي حاجة، فخرجتْ من فيه نطفة باردة، فوقعت على ثغرة نحري، فاقشعر منها جلدي، فظننتُ أنه غشي عليه، فسجيته ثوباً»[5].

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب الصلاة، باب استخلاف الإمام، ح ٤١٩.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب مرض النبي ﷺ، ح٤٤٣٥.

(٣) روت عائشة رضي الله عنها قالت: «تزوجها رسول الله ﷺ وهي بنت تسع، **ومات عنها وهي بنت ثمان عشرة**» أخرجه مسلم، كتاب النكاح، باب تزويج الأب البكر الصغيرة، ح٣٤٦٧.

(٤) أخرجه البخاري، كتاب الجمع، باب من تسوك بسواك غيره، ح ٨٩٠.

(٥) أخرجه أحمد في مسنده برقم: ٦/ ١٢١، وقال الدكتور نزار الريان في كتابه «وأظلمت المدينة»: إسناده صحيح.

مشاهد ومواقف الصحابة في مسألة الخلافة بعد النبي ﷺ:

- **موقف علي والعباس رضي الله عنهما:** روى عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أن علياً يعني ابن أبي طالب رضي الله عنه «خرج من عند النبي ﷺ في وجعه الذي توفي فيه، فقال الناس: يا أبا حسن، كيف أصبح رسول الله ﷺ؟

قال: أصبح بحمد الله بارئاً، فأخذ بيده العباس، فقال: ألا تراه أنت، والله بعد الثلاث عبد العصا[1]، **والله إني لأرى رسول الله ﷺ سيُتوفى في وجعه، وإني لأعرف في وجوه بني عبد المطلب الموت**، فاذهب بنا إلى رسول الله ﷺ فنسأله فيمن يكون الأمر، فإن كان فينا علمنا ذلك، وإن كان في غيرنا أمرناه فأوصى بنا.

قال علي: **والله لئن سألناها رسول الله ﷺ فيمنعنا لا يعطيناها الناس أبداً**، وإني لا أسألها رسول الله ﷺ أبداً»[2].

- **إيحاء النبي ﷺ بشأن الخلافة بعده لأبي بكر:** روى مُحَمَّد بْن جُبَيْر بْن مُطْعِم، عَنْ أَبِيه، قَالَ: «أَتَت امْرَأَةٌ النَّبِيَّ ﷺ، فَأَمَرَهَا أَنْ تَرْجِعَ إِلَيْه، قَالَتْ: أَرَأَيْتَ إِنْ جِئْتُ وَلَمْ أَجِدْكَ، كَأَنَّهَا تَقُولُ الْمَوْتَ، **قَالَ ﷺ: «إِنْ لَمْ تَجِدِينِي فَأْتِي أَبَا بَكْرٍ»**[3].

وروى ابن أبي مليكة قال: سمعت عائشة رضي الله عنها وسئلت: «من كان رسول الله ﷺ مستخلفاً لو استخلفه؟ قالت: أبو بكر، فقيل لها: ثم مَن بعد أبي بكر؟ قالت: عمر، ثم قيل لها: مَن بعد عمر؟ قالت: أبو عبيدة بن الجراح، ثم انتهت إلى هذا»[4].

وروت عائشة رضي الله عنها قالت: قال لي رسول الله ﷺ في مرضه: «ادعي لي أبا بكر أباك، وأخاك، حتى أكتب كتاباً، **فإني أخاف أن يتمنى متمنٍّ، ويقول قائل: أنا أولى، ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر**»[5].

---

(١) هو كناية عمن يصير تابعاً لغيره، والمعنى أنه يموت بعد ثلاث وتصير أنت مأموراً عليك، وهذا من قوة فراسة العباس رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الاستئذان، باب المعانقة وقول الرجل: كيف أصبحت، ح ٦٢٦٦.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب لو كنت متخذاً خليلاً، ح ٣٦٥٩.

(٤) أخرجه مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أبي بكر، ح ٢٣٨٥.

(٥) السابق، ح ٣٢٨٧.

مواقف وأحداث بعد وفاة النبي ﷺ:

- **موقف أبي بكر رضي الله عنه عندما رأى النبي ﷺ ميتاً:** روت عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ، قالت: «أقبل أبو بكر رضي الله عنه على فرسه من مسكنه بالسنح، حتى نزل فدخل المسجد، فلم يكلم الناس، حتى دخل على عائشة رضي الله عنها، فتيمم النبي ﷺ، وهو مسجى ببرد حبرة، فكشف عن وجهه، **ثم أكب عليه، فقبله، ثم بكى، فقال: بأبي أنت يا نبي الله، لا يجمع الله عليك موتتين، أما الموتة التي كتبت عليك فقد متها.**

قال أبو سلمة: فأخبرني ابن عباس رضي الله عنهما: «أن أبا بكر رضي الله عنه خرج وعمر رضي الله عنه يكلم الناس، فقال: اجلس، فأبى، فقال: اجلس، فأبى، فتشهد أبو بكر رضي الله عنه، فمال إليه الناس، وتركوا عمر، فقال: **أما بعد، فمن كان منكم يعبد محمداً ﷺ، فإن محمداً ﷺ قد مات، ومن كان يعبد الله، فإن الله حي لا يموت،** قال الله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾ آل عمران: ١٤٤ والله لكأن الناس لم يكونوا يعلمون أن الله أنزلها، حتى تلاها أبو بكر رضي الله عنه، فتلقاها منه الناس، فما يسمع بشر إلا يتلوها»[1].

- **وقفة في تفسير هذه الآية:** قال الشيخ محمد رشيد رضا: «وحاصل المعنى أن محمداً ليس إلا بشراً رسولاً قد خلت ومضت الرسل من قبله فماتوا، وقد قُتل بعض النبيين كزكريا ويحيى فلم يكن لأحد منهم الخلد، وهو لا بد أن تحكم عليه سنة الله بالموت فيخلو كما خلوا من قبله، إذ لا بقاء إلا لله وحده، ولا ينبغي للمؤمن الموحد أن يعتقده لغيره، أفإن مات كما مات موسى وعيسى، أو قتل كما قتل زكريا ويحيى تنقلبون على أعقابكم، أي تولون الدبر راجعين عما كان عليه، يهديهم الله بهذا إلى أن الرسول ليس مقصودا لذاته فيبقى للناس، وإنما المقصود من إرساله ما أرسل به من الهداية فيجب العمل بها من بعده، كما وجب في عهده، ولله در أنس بن النضر ورضي عنه فإنه في تلك الساعة التي زاغت

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الجنائز، باب الدخول على الميت، ح ٤٤٥٥.

فيها الأبصار والبصائر، واشتد الكرب حتى بلغت القلوب الحناجر، وقال بعض الضعفاء والمنافقين ما قالوا، قد قال: «يا قوم إن محمد قتل فإن رب محمد لم يقتل فقاتلوا على ما قاتل عليه محمد ﷺ، اللهم إني أعتذر إليك مما يقول هؤلاء، وأبرأ إليك مما جاء به هؤلاء «ثم شد بسيفه وقاتل حتى قُتل»[1].

وروى سعيد بن المسيب عن عمر رضي الله عنه قال: «والله ما هو إلا أن سمعت أبا بكر تلاها فعقرت حتى ما تُقلني رجلاي، وحتى أهويت إلى الأرض حين سمعته تلاها، علمت أن النبي ﷺ قد مات»[2].

- **موقف عمر والمغيرة رضي الله عنهما:** روت عائشة رضي الله عنها قال: «... فَجَاءَ عُمَرُ وَالْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ، فَاسْتَأْذَنَا، فَأَذِنْتُ لَهُمَا، وَجَذَبْتُ إِلَيَّ الْحِجَابَ، فَنَظَرَ عُمَرُ إِلَيْهِ، فَقَالَ: وَاغَشْيَاهْ، مَا أَشَدُّ غَشْيَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ قَامَا، فَلَمَّا دَنَوَا مِنَ الْبَابِ، قَالَ الْمُغِيرَةُ: يَا عُمَرُ، مَاتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: كَذَبْتَ، **بَلْ أَنْتَ رَجُلٌ تَحُوسُكَ فِتْنَةٌ، إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَا يَمُوتُ حَتَّى يُفْنِيَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْمُنَافِقِينَ**... ثُمَّ قَالَ عُمَرُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، هَذَا أَبُو بَكْرٍ، وَهُوَ ذُو شَيْبَةِ الْمُسْلِمِينَ فَبَايِعُوهُ، فَبَايَعُوهُ»[3].

تفصيل ما جرى في سقيفة بني ساعدة:

- روى عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال:
- **عمر رضي الله عنه يستجيب لنصيحة عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه:**

«...كنت أقرئ رجالاً من المهاجرين منهم عبد الرحمن بن عوف، فبينما أنا في منزله بمنى، وهو عند عمر بن الخطاب في آخر حجة حجها، إذ رجع إليَّ عبد الرحمن فقال: لو رأيت رجلاً أتى أمير المؤمنين اليوم فقال: يا أمير المؤمنين، هل لك في فلان يقول: لو قد مات عمر، لقد بايعت فلاناً، **فوالله ما كانت بيعة أبي بكر إلا فلتة، فتمتْ، فغضب عمر** ثم قال: إني إن شاء الله لقائم العشية في الناس، فمحذرهم هؤلاء الذين يريدون أن يغصبوهم أمورهم، قال عبد الرحمن: **فقلت**

---

(١) تفسير المنار، الشيخ محمد رشيد رضا، ٤/ ١٣٢.

(٢) السابق.

(٣) أخرجه أحمد، ٦/ ٣١، وذكره الشيخ ابراهيم العلي في صحيح السيرة برقم: ٩٣٦، وقال: إسناده حسن.

يا أمير المؤمنين، لا تفعل، فإن الموسم يجمع رعاع الناس وغوغاءهم، فإنهم هم الذين يغلبون على قربك حين تقوم في الناس، وأنا أخشى أن تقوم فتقول مقالة يطيرها عنك كل مطير، وأن لا يعوها، وأن لا يضعوها على مواضعها، فأمهل حتى تقدم المدينة، فإنها دار الهجرة والسنة، فتخلص بأهل الفقه وأشراف الناس، فتقول ما قلت متمكناً، فيعي أهل العلم مقالتك، ويضعونها على مواضعها.

فقال عمر أما والله إن شاء الله لأقومنَّ بذلك أول مقام أقومه بالمدينة.

قال ابن عباس: فقدمنا المدينة في عقب ذي الحجة، فلما كان يوم الجمعة عجلت الرواح حين زاغت الشمس، حتى أجد سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل جالساً إلى ركن المنبر، فجلست حوله، تمسُّ ركبتي ركبته، فلم أنشب أن خرج عمر بن الخطاب، فلما رأيته مقبلاً قلت لسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل: ليقولنَّ العشية مقالة لم يقلها منذ استخلف، فأنكر عليَّ وقال: ما عسيت أن يقول ما لم يقل قبله.

- **عمر رضي الله عنه يبدأ البيان التفصيلي حول ما جرى في سقيفة بني ساعدة:**

«... فجلس عمر على المنبر، فلما سكت المؤذنون قام فأثنى على الله بما هو أهله، ثم قال: أما بعد، فإني قائل لكم مقالة قد قدر لي أن أقولها، لا أدري لعلها بين يدي أجلي، **فمن عقلها ووعاها فليحدث بها حيث انتهت به راحلته، ومن خشي أن لا يعقلها فلا أحل لأحد أن يكذب عليَّ.**

- **عمر رضي الله عنه يُثبت حدَّ الزنى للمحصن:** «... إن الله بعث محمداً ﷺ بالحق، وأنزل عليه الكتاب، فكان مما أنزل الله: آية الرجم، فقرأناها، وعقلناها، ووعيناها، رجم رسول الله ﷺ، ورجمنا بعده، **فأخشى إن طال بالناس زمان أن يقول قائل: والله ما نجد آية الرجم في كتاب الله، فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله، والرجم في كتاب الله حق على من زنى**، إذا أُحصن من الرجال والنساء، إذا قامت البينة أو كان الحبَل أو الاعتراف.

- **عمر رضي الله عنه يُثبت بشرية النبي ﷺ، ويبين آية منسوخة:**

«... ثم إنَّا كنا نقرأ فيما نقرأ من كتاب الله: أن لا ترغبوا عن آبائكم، فإنه كفر بكم أن ترغبوا عن آبائكم، أو إن كفراً بكم أن ترغبوا عن آبائكم، ألا ثم إن رسول الله

ﷺ قال: لا تطروني كما أطري عيسى بن مريم، وقولوا: عبد الله ورسوله.

- **عمر رضي الله عنه يبين فكرة استخلاف أبي بكر رضي الله عنه:**

«... ثم إنه بلغني أن قائلاً منكم يقول: والله لو قد مات عمر، بايعت فلاناً، فلا يغترن امرؤ أن يقول: إنما كانت بيعة أبي بكر فلتة وتمت، **ألا وإنها قد كانت كذلك، ولكن الله وقى شرها، وليس منكم من تقطع الأعناق إليه مثل أبي بكر،** من بايع رجلاً عن غير مشورة من المسلمين، فلا يبايع هو ولا الذي بايعه تغرة أن يقتلا[1].

- **عمر رضي الله عنه يبين مَن الذين تأخروا عن بيعة أبي بكر:**

«... وإنه قد كان من خبرنا حين توفى الله نبيه ﷺ، أن الأنصار خالفونا، واجتمعوا بأسرهم في سقيفة بني ساعدة، وخالف عنا عليٌّ والزبير، ومن معهما، واجتمع المهاجرون إلى أبي بكر.

- **عمر رضي الله عنه يشير على أبي بكر بضرورة تطييب خواطر الأنصار:**

«... فقلت لأبي بكر: يا أبا بكر، انطلق بنا إلى إخواننا هؤلاء من الأنصار، فانطلقنا نريدهم، فلما دنونا منهم، لقِيَنا منهم رجلان صالحان، فذكرا ما تمالأ عليه القوم، فقالا: أين تريدون يا معشر المهاجرين؟ فقلنا: نريد إخواننا هؤلاء من الأنصار، فقالا: لا عليكم، أن لا تقربوهم، اقضوا أمركم، فقلت: والله لنأتينهم، فانطلقنا حتى أتيناهم في سقيفة بني ساعدة، فإذا رجل مزمل بين ظهرانيهم، فقلت: من هذا؟ فقالوا: هذا سعد بن عبادة، فقلت: ما له؟ قالوا: يوعك.

- **بداية حديث الأنصار وبيان اعتراضهم:**

«... فلما جلسنا قليلاً، تشهَّد خطيبهم، فأثنى على الله بما هو أهله، ثم قال: أما بعد، **فنحن أنصار الله، وكتيبة الإسلام، وأنتم معشر المهاجرين رهط، وقد دفت دافة من قومكم، فإذا هم يريدون أن يختزلونا من أصلنا، وأن يحضنونا من الأمر.**

- **عمر يتحمس للرد، فيوقفه أبو بكر رضي الله عنهما:**

---

(١) قال ابن بطال: التغرة: التغرير، يقال: غررت بالقوم تغريراً وتغرة، وإنما أراد عمر أن في بيعتهما تغريراً بأنفسهما للقتل وتعرضاً له، فنهاهما عنه

«... فلما سكت أردت أن أتكلم، وكنت قد زوَّرت[1] مقالة أعجبتني، أريد أن أقدمها بين يدي أبي بكر، وكنت أداري منه بعض الحد، فلما أردت أن أتكلم قال أبو بكر: على رسلك، فكرهت أن أغضبه، **فتكلم أبو بكر، فكان هو أحلم مني، وأوقر، والله ما ترك من كلمة أعجبتني في تزويري إلا قال في بديهته مثلها، أو أفضل منها، حتى سكت.**

- **أبو بكر رضي الله عنه يثني على الأنصار، ويرشح للخلافة رجلين من قريش:**

«... فقال: **ما ذكرتم فيكم من خير فأنتم له أهل، ولن يعرف هذا الأمر إلا لهذا الحي من قريش، هم أوسط العرب نسباً وداراً، وقد رضيتُ لكم أحد هذين الرجلين؛ فبايعوا أيهما شئتم**، فأخذ بيدي، وبيد أبي عبيدة بن الجراح، وهو جالس بيننا، فلم أكره مما قال غيرها، كان والله أن أُقدَّم، فتضرب عنقي، لا يقربني ذلك من إثم، أحب إلي من أن أتأمر على قوم فيهم أبو بكر، **اللهم إلا أن تسول إليَّ نفسي عند الموت شيئاً لا أجده الآن.**

- **اقتراح مختلف من أحد الأنصار:**

«... فقال قائل من الأنصار: أنا جذيلها المحكك، وعذيقها المرجَّب[2]؛ **منا أمير، ومنكم أمير، يا معشر قريش**، فكثر اللغط، وارتفعت الأصوات، حتى فرقتُ من الاختلاف.

- **عمر يحسم الموقف لصالح أبي بكر رضي الله عنهما:**

---

(١) يقول الدكتور حامد الخليفة في رده على الرافضة الذين يطعنون في عمر رضي الله عنه أنهم استخدموا هذه الجملة لصالحهم: (زورت مقالة)، وليس المقصود ما ذهبوا إليه مما يقومون به ويمارسونه وإنما المقصود: أي أعددت كلاماً وتأملته واختبرته في نفسي كأنني تكلمت به، خشية أن يكون فيه سبباً لفرقة، أو إغضاباً لأحد من المسلمين، إذا تكلمت به قبل تزويره وتقويمه، **فوزنه في ميزان الشرع والمصلحة والحكمة والسياسة**، ولم يدع باباً للشك والظن والشبهة، فبلغ فيما أعدّه في ذهنه منتهى السداد والصواب؛ الذي يستحسنه سامعه ويصدقه وينصره، لقوة حجته، ووضوح برهانه، وإتقان سبكه، وصحة مراميه، وجميل مقاصده، وهذا شأن ذوي التروي والقيادة والعلم والنباهة والحكمة، خوفاً على أنفسهم من وقوع الزلل الذي يأتي غالباً مع العجلة، **وانظر مقاله على الشبكة العنكبوتية بعنوان: إبطال شبهات الرافضة حول مقولتَي الفاروق رضي الله عنه:** «زوَّرْتُ مقالة أعجبتني «و «كانت بيعة أبي بكر فَلْتَة فتمت «.

(٢) يعني أنه: داهيتها، والجُذَيل المحكّك هو أصلُه عودٌ يُنصب في معاطن الإبل الجربى لتحتكّ به؛ فكأنّه يريد أن يقول لهم أنا ممن يُستشفى بحصيف رأيه كما تستشفى الإبل بالاحتكاك.

«... فقلت: ابسط يدك يا أبا بكر، فبسط يده، فبايعتُه، وبايعه المهاجرون، ثم بايعَتْهُ الأنصار، ونزونا على سعد بن عبادة، فقال قائل منهم: قتلتم سعد بن عبادة، فقلت قتل الله سعد بن عبادة، قال عمر: وإنَّا والله ما وجدنا فيما حضرنا من أمر أقوى من مبايعة أبي بكر، **خشينا إن فارقنا القوم ولم تكن بيعة أن يبايعوا رجلاً منهم بعدنا، فإما بايعناهم على ما لا نرضى، وإما نخالفهم فيكون فساد**، فمن بايع رجلاً على غير مشورة من المسلمين فلا يتابَع هو ولا الذي بايعه، تغرة أن يقتلا»[1].

- **خطبة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما بعد البيعة:** روى أنس رضي الله عنه قال: لَمَّا بُويِعَ أَبُو بَكْرٍ فِي السَّقِيفَةِ، وكَانَ الْغَدُ، جَلَسَ أَبُو بَكْرٍ عَلَى الْمِنْبَرِ، فَقَامَ عُمَرُ فَتَكَلَّمَ قَبْلَ أَبِي بَكْرٍ، فَحَمِدَ اللَّهَ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، ثُمَّ قَالَ:

«أَيُّهَا النَّاسُ، إِنِّي قَدْ كُنْتُ قُلْتُ لَكُمْ بِالأَمْسِ مَقَالَةً مَا كَانَتْ إِلا عَنْ رَأْيِي، وَمَا وَجَدْتُهَا فِي كِتَابِ اللَّهِ، وَلا كَانَتْ عَهْدًا عَهِدَهُ إِلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ، وَلَكِنِّي قَدْ كُنْتُ أَرَى أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ سَيُدَبِّرُ أَمْرَنَا حَتَّى يَكُونَ آخِرَنَا، وَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَبْقَى فِيكُمْ كِتَابَهُ الَّذِي هَدَى بِهِ رَسُولَ اللَّهِ، فَإِنِ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ؛ هَدَاكُمُ اللَّهُ لِمَا كَانَ هَدَاهُ لَهُ.

وَإِنَّ اللَّهَ قَدْ جَمَعَ أَمْرَكُمْ عَلَى خَيْرِكُمْ؛ صَاحِبَ رَسُولِ اللَّهِ، وَثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ، فَقُومُوا فَبَايِعُوا.

فَبَايَعَ النَّاسُ أَبَا بَكْرٍ بَيْعَةَ الْعَامَّةِ، بَعْدَ بَيْعَةِ السَّقِيفَةِ.

فتكلم أبو بكر، فحمد الله، وأثنى عليه بالذي هو أهله، ثم قال: أما بعد أيها الناس، **فإني قد وليت عليكم، ولست بخيركم، فإن أحسنت فأعينوني؛ وإن أسأت فقوموني.**

الصدق أمانة، والكذب خيانة.

والضعيف فيكم قوي عندي حتى أريح عليه حقه، إن شاء الله، والقوي فيكم ضعيف عندي حتى آخذ الحق منه، إن شاء الله.

لا يدع قوم الجهاد في سبيل الله، إلا ضربهم الله بالذل.

ولا تشيع الفاحشة في قوم قط إلا عمهم الله بالبلاء.

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الحدود، باب رجم الحبلى من الزنا إذا أحصنت، ح ٦٤٤٢.

أطيعوني ما أطعت الله ورسوله، فإذا عصيت الله ورسوله، فلا طاعة لي عليكم. قوموا إلى صلاتكم، يرحمكم الله»[1].

- **هل بايع عليٌّ والزبير أبا بكر رضي الله عنهم كلهم:** روى أبو سعيد الخدري رضي الله عنه قال: «... فَلَمَّا قَعَدَ أَبُو بَكْرٍ عَلَى الْمِنْبَرِ نَظَرَ فِي وُجُوهِ الْقَوْمِ، فَلَمْ يَرَ عَلِيًّا، فَسَأَلَ عَنْهُ، فَقَامَ نَاسٌ مِنَ الأَنْصَارِ فَأَتَوْا بِهِ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: ابْنُ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَخَتَنُهُ، **أَرَدْتَ أَنْ تَشُقَّ عَصَا الْمُسْلِمِينَ؟**.

فَقَالَ: لا تَثْرِيبَ يَا خَلِيفَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَبَايَعَهُ.

ثُمَّ لَمْ يَرَ الزُّبَيْرَ بْنَ الْعَوَّامِ، فَسَأَلَ عَنْهُ، حَتَّى جَاءُوا بِهِ، قَالَ: ابْنُ عَمَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَحَوَارِيُّهُ، **أَرَدْتَ أَنْ تَشُقَّ عَصَا الْمُسْلِمِينَ؟**.

فَقَالَ مِثْلَ قَوْلِهِ: لا تَثْرِيبَ، يَا خَلِيفَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَبَايَعَهُ»[2].

وروت عائشة رضي الله عنها قالت: «... وكان لعليٍّ من الناس وجه، حياة فاطمة[3]، فلما توفيت، استنكر عليٌّ وجوه الناس، فالتمس مصالحة أبي بكر، ومبايعته، **ولم يكن يبايع تلك الأشهر**، فأرسل إلى أبي بكر، أن ائتنا، ولا يأتنا أحد معك، كراهية لمحضر عمر، فقال عمر: لا والله لا تدخل عليهم وحدك.

فقال أبو بكر: وما عسيتهم أن يفعلوا بي، والله لآتينهم.

فدخل عليهم أبو بكر: فتشهَّد عليٌّ، فقال: إنَّا قد عرفنا فضلك، وما أعطاك الله، ولم ننفس عليك خيراً ساقه الله إليك، ولكنك استبددت علينا بالأمر، وكنا نرى لقرابتنا من رسول الله ﷺ نصيباً، حتى فاضت عينا أبي بكر.

فلما تكلم أبو بكر قال: **والذي نفسي بيده لقرابة رسول الله ﷺ أحب إليَّ أن أصل من قرابتي**، وأما الذي شجر بيني وبينكم من هذه الأموال، فلم آلُ فيها عن الخير،

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في المصنف برقم: ٥/ ٤٣٧، وابن اسحاق في السيرة كما عند ابن هشام برقم: ٢/ ٦٦٠، وقال الشيخ ابراهيم العلي في صحيح السيرة برقم: ٩٣١، بأن إسناد كل منهما صحيح.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك ٣/ ٧٦، وابن كثير في السيرة ٤/ ٤٩٥، وقال: هذا إسناد صحيح محفوظ، وذكره الشيخ ابراهيم العلي في صحيح السيرة برقم: ٩٣٢.

(٣) يعني في حياة فاطمة، وهذا جزء من حديث يحكي وفاة فاطمة رضي الله عنها بعد النبي ﷺ بستة أشهر، وهذا ما يؤكد أن بيعة علي رضي الله عنه التامة الخالصة وبلا حرج قد تأخرت لستة أشهر، ثم تمت، والحمد لله على التمام.

ولم أترك أمراً رأيت رسول الله ﷺ يصنعه فيها إلا صنعته.

فقال علي لأبي بكر: موعدك العشية للبيعة، فلما صلى أبو بكر الظهر، رقي على المنبر، **فتشهَّد وذكر شأن عليٍّ، وتخلفه عن البيعة، وعَذَرَهُ بالذي اعتذر إليه. ثم استغفر وتشهَّد عليٌّ، فعظَّم حق أبي بكر، وحدَّث أنه لم يحمله على الذي صنع نفاسة على أبي بكر، ولا إنكاراً للذي فضَّله الله به، ولكنا نرى لنا في هذا الأمر نصيباً، فاستبدَّ علينا، فوجدنا في أنفسنا، فَسُرَّ بذلك المسلمون، وقالوا: أصبت، وكان المسلمون إلى عليٍّ قريباً حين راجع الأمر المعروف»**[1].

- **زهد كبير:** روت عائشة رضي الله عنها قالت: «توفي رسول الله ﷺ وما في بيتي من شيء يأكله ذو كبد **إلا شطر شعير في رفٍّ لي، فأكلت منه حتى طال عليَّ، فكلته، ففني»**[2].

وروت عائشة رضي الله عنها قالت: «توفي رسول الله ﷺ وقد شبعنا من الأسودين؛ **التمر والماء»**[3].

وروى أبو هريرة رضي الله عنه قال: «والذي نفس أبي هريرة بيده، ما أشبع رسول الله ﷺ أهله ثلاثة أيام تباعاً، من خبز حنطة، حتى فارق الدنيا»[4].

- **وصية غالية:** روى جرير رضي الله عنه قال: «كنت باليمن، فلقيت رجلين من أهل اليمن، ذا كلاع، وذا عمرو، فجعلت أحدثهم عن رسول الله ﷺ فقال له ذو عمرو: لئن كان الذي تذكر من أمر صاحبك، لقد مر على أجله منذ ثلاث، وأقبلا معي حتى إذا كنا في بعض الطريق، رفع لنا ركب من قبل المدينة، فسألناهم، فقالوا: **قُبض رسول الله ﷺ، واستُخلف أبو بكر، والناس صالحون.**

فقالا: أخبر صاحبك أنَّا قد جئنا، ولعلنا سنعود إن شاء الله، ورجعا إلى اليمن، فأخبرت أبا بكر بحديثهم، قال: أفلا جئت بهم، فلما كان بعد، قال لي ذو عمرو: يا جرير، إن بك عليَّ كرامة، **وإني مخبرك خبراً، إنكم معشر العرب لن تزالوا بخير ما كنتم إذا هلك أمير تأمرتم في آخر، فإذا كانت بالسيف، كانوا ملوكاً يغضبون**

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب غزوة خيبر، ح ٣٧١١.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب فرض الخمس، باب نفقة نساء النبي ﷺ بعد وفاته، ح٣٠٩٧.

(٣) أخرجه مسلم، كتاب الزهد، باب الدنيا سجن المؤمن، ح ٧٣٨١.

(٤) السابق، ح ٧٣٨٣.

غضب الملوك، ويرضون رضا الملوك»[1].

- **تغسيل النبي ﷺ، ومن تولى دفنه:** روى عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِب رضي الله عنه قال: «غَسَّلْتُ رَسُولَ اللَّه ﷺ، فَذَهَبْتُ أَنْظُرُ مَا يَكُونُ مِنَ الْمَيِّت، فَلَمْ أَرَ شَيْئًا، وكَانَ طَيِّبًا حَيًّا وَمَيِّتًا، ﷺ، **وَوَلِيَ دَفْنَه وَأَجْنَانَهُ دُونَ النَّاسِ أَرْبَعَةٌ: عَلِيٌّ، وَالْعَبَّاسُ، وَالْفَضْلُ، وَصَالِحٌ مَوْلَى رَسُولِ اللَّه ﷺ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ**، وَلُحِدَ لِرَسُولِ اللَّه ﷺ لَحْدًا وَنُصِبَ عَلَيْه اللَّبِنُ نَصْبًا»[2].
- **كفن النبي ﷺ:** روت عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: «كُفِّنَ رَسُولُ اللَّه ﷺ فِي ثَلاثَة أَثْوَاب بِيض سُحُولِيَّة، مِنْ كُرْسُف، لَيْسَ فِيهَا قَمِيصٌ وَلا عِمَامَةٌ، فَأَمَّا الْحُلَّةُ فَإِنَّمَا شُبِّهَ عَلَى النَّاسِ فِيهَا أَنَّهَا اشْتُرِيَتْ لَهُ حُلَّةٌ لِيُكَفَّنَ فِيهَا، فَتُرِكَت الْحُلَّةُ، فَأَخَذَهَا عَبْدُ اللَّه بْنُ أَبِي بَكْر، فَقَالَ: «**لأَحْبِسَنَّهَا لِنَفْسِي حَتَّى أُكَفَّنَ فِيهَا، ثُمَّ قَالَ: لَوْ رَضِيَهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِنَبِيِّه ﷺ لَكَفَّنَهُ فِيهَا، فَبَاعَهَا وَتَصَدَّقَ بِثَمَنِهَا**»[3].
- **الصلاة على النبي ﷺ، ومكان دفنه:** روى سالم بن عبيد رضي الله عنه قَالَ: قال أبو بكر رضي الله عنه: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَفْرِجُوا لِي، فَأَفْرَجُوا لَهُ، فَجَاءَ حَتَّى أَكَبَّ عَلَيْه وَمَسَّهُ، فَقَالَ: «إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ» (الزمر: ٣٠).

ثُمَّ قَالُوا: يَا صَاحِبَ رَسُولِ اللَّه ﷺ، أَقُبِضَ رَسُولُ اللَّه ﷺ؟ قَالَ: نَعَمْ، فَعَلِمُوا أَنْ قَدْ صَدَقَ، قَالُوا: يَا صَاحِبَ رَسُولِ اللَّه ﷺ، أَيُصَلَّى عَلَى رَسُولِ اللَّه؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالُوا: وَكَيْفَ؟ قَالَ: يَدْخُلُ قَوْمٌ، فَيُكَبِّرُونَ، وَيُصَلُّونَ، وَيَدْعُونَ، ثُمَّ يَخْرُجُونَ، ثُمَّ يَدْخُلُ قَوْمٌ، فَيُكَبِّرُونَ، وَيُصَلُّونَ، وَيَدْعُونَ، ثُمَّ يَخْرُجُونَ، حَتَّى يَدْخُلَ النَّاسُ.

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب ذهاب جرير إلى اليمن، ح ٤٣٥٩.

(٢) أخرجه الحاكم ١/ ٣٦٢، والبيهقي ٤/ ٥٣، وقال الشيخ ابراهيم العلي في صحيح السيرة برقم: ٩٣٤ بأن إسناده صحيح، وذكر حديث أبي داود (ح٣١٤١) عن عائشة رضي الله عنها قالت: «**لما أرادوا غسل النبي ﷺ قالوا: والله ما ندري أنجرد رسول الله ﷺ من ثيابه كما نجرد موتانا، أم نغسله وعليه ثيابه؟ فلما اختلفوا ألقى الله عليهم النوم، حتى ما منهم رجل إلا وذقنه في صدره، ثم كلمهم مكلمٌ من ناحية البيت، لا يدرون من هو: أن اغسلوا النبي ﷺ وعليه ثيابه، فقاموا إلى رسول الله ﷺ فغسلوه وعليه قميصه، يصبون الماء فوق القميص، ويدلكونه بالقميص، دون أيديهم، وكانت عائشة تقول: لو استقبلت من أمري ما استدبرت، ما غسله إلا نساؤه**» وذكر بأن البوصيري في مصباح الزجاجة ٢/ ٢٥، قال: هذا إسناد صحيح.

(٣) أخرجه مسلم، كتاب الجنائز، باب ما جاء في كفن الميت، ح ٩٤١.

قَالُوا: يَا صَاحِبَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، أَيُدْفَنُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالُوا: أَيْنَ؟ قَالَ: **فِي الْمَكَانِ الَّذِي قَبَضَ اللَّهُ فِيهِ رُوحَهُ، فَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يَقْبِضْ رُوحَهُ إِلا فِي مَكَانٍ طَيِّبٍ، فَعَلِمُوا أَنْ قَدْ صَدَقَ، ثُمَّ أَمَرَهُمْ أَنْ يَغْسِلَهُ بَنُو أَبِيهِ»**[1].

- **اختيار اللحد[2] لدفنه ﷺ:** روى عامر بن سعد بن أبي وقاص أن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال في مرضه الذي هلك فيه: «الحدوا لي لحداً، وانصبوا عليَّ اللبن نصباً، كما صُنع برسول الله ﷺ»[3].
- **فراش قبر النبي ﷺ:** روى ابن عباس رضي الله عنهما قال: «جُعل في قبر رسول الله ﷺ قطيفة حمراء»[4].
- **متى دفن النبي ﷺ:** روت عائشة رضي الله عنها قالت: «**توفي رسول الله ﷺ يوم الاثنين، ودُفن يوم الأربعاء**»[5].
- **آخر الناس عهداً برؤية النبي ﷺ:** روى علي رضي الله عنه قال: «أحدث الناس عهداً برسول الله ﷺ قثم بن عباس»[6].
- **وأظلمت المدينة (المنورة):** روى أَنَس رضي الله عنه قَالَ: «**لَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الَّذِي دَخَلَ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ أَضَاءَ مِنْهَا كُلُّ شَيْءٍ، فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الَّذِي مَاتَ فِيهِ أَظْلَمَ مِنْهَا كُلُّ شَيْءٍ، وَمَا نَفَضْنَا أَيْدِينَا مِنَ التُّرَابِ، وَإِنَّا لَفِي دَفْنِهِ ﷺ، حَتَّى أَنْكَرْنَا قُلُوبَنَا**»[7].

---

(١) أخرجه الترمذي في الشمائل المحمدية، برقم ٣٧٨، والنسائي في وفاة النبي ﷺ برقم ٤٢، وذكره الشيخ ابراهيم العلي في صحيح السيرة برقم: ٩٣٦، ونقل تصحيح البوصيري له في الزوائد ١/ ٤٠٦ بقوله: هذا إسناد صحيح ورجاله ثقات.

(٢) ضريح أو شق يكون في جانب القبر للميت.

(٣) أخرجه مسلم، كتاب الجنائز، باب اللحد وصب اللبن على الميت، ح ٩٦٦.

(٤) أخرجه مسلم، كتاب الجنائز، باب جعل القطيفة في القبر، ح ٩٦٧، والقطيفة كساء له خمل.

(٥) أخرجه أحمد ٢١/ ٢٥٧، وهو في السيرة النبوية لابن كثير: ٤/ ٥٣٩، وذكره الشيخ إبراهيم العلي في صحيح السيرة النبوية برقم: ٩٤٥.

(٦) أخرجه أحمد ٢١/ ٥٤، والطبري في التاريخ ٣/ ٢٠٥، وابن هشام في السيرة ٢/ ٦٦٤، وقال الساعاتي: صحيح ورجاله ثقات.

(٧) أخرجه أحمد ٣/ ١٢٢، والترمذي، كتاب المناقب، باب رسول الله ﷺ خاتم النبيين، ح ٣٦٢٢، وابن ماجة، كتاب الجنائز، باب ذكر وفاته ودفنه، ح ١٦٣١، وذكره الشيخ ابراهيم العلي في صحيح السيرة برقم: ٩٤٨، وقال الشيخ الألباني في تخريجه لأحاديث كتاب فقه السيرة للشيخ الغزالي: هذا حديث صحيح.

- **مصيبة انقطاع الوحي من السماء:** روى أَنَس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بَعْدَ وَفَاةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِعُمَرَ: «انْطَلِقْ بِنَا إِلَى أُمِّ أَيْمَنَ، نَزُورُهَا كَمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَزُورُهَا، فَلَمَّا انْتَهَيْنَا إِلَيْهَا بَكَتْ، فَقَالَا لَهَا: مَا يُبْكِيكِ؟ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِرَسُولِهِ ﷺ. فَقَالَتْ: **مَا أَبْكِي أَنْ لَا أَكُونَ أَعْلَمُ أَنَّ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِرَسُولِهِ ﷺ، وَلَكِنْ أَبْكِي أَنَّ الْوَحْيَ قَدِ انْقَطَعَ مِنَ السَّمَاءِ**، فَهَيَّجَتْهُمَا عَلَى الْبُكَاءِ، فَجَعَلَا يَبْكِيَانِ مَعَهَا»[1].

مقدار عُمر النبي ﷺ حين مات: روت عائشة رضي الله عنها قالت: «إن رسول الله ﷺ **قُبض وهو ابن ثلاث وستين**»[2].

- **ميراث النبي ﷺ:** روت عائشة رضي الله عنها «أن فاطمة عليها السلام بنت النبي ﷺ، أرسلت إلى أبي بكر تسأله ميراثها من رسول الله ﷺ، مما أفاء الله عليه بالمدينة، وفدك، وما بقي من خُمس خيبر.

فقال أبو بكر: إن رسول الله ﷺ قال: **لا نورَّث، ما تركنا صدقة**، إنما يأكل آل محمد ﷺ في هذا المال، وإني والله لا أغيِّر شيئاً من صدقة رسول الله ﷺ عن حالها، التي كان عليها في عهد رسول الله ﷺ، ولأعملنَّ فيها بما عمل به رسول الله ﷺ، **فأبى أبو بكر أن يدفع إلى فاطمة منها شيئاً.**

فوجدت فاطمة على أبي بكر في ذلك، فهجرته، فلم تكلمه حتى توفيت، وعاشت بعد النبي ﷺ ستة أشهر، **فلما توفيت، دفنها زوجها عليٌّ ليلاً، ولم يؤذن بها أبا بكر، وصلى عليها...** »[3].

وروى مالك بن أوس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «أرسل إليَّ عمر بن الخطاب، فجئته حين تعالى النهار، قال: فوجدته في بيته جالساً على سرير، مفضياً إلى رماله، متكئاً على وسادة من أدم، فقال لي: يا مال (يعني: يا مالك)، إنه قد دفَّ أهل أبيات من قومك، وقد أمرت فيهم برضخ، فخذه، فاقسمه بينهم.

قال: قلت: لو أمرت بهذا غيري، قال: خذه يا مال، قال: فجاء يرفأ[4] فقال: هل لك

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أم أيمن، ح ٢٤٥٤.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب المناقب، باب وفاة النبي ﷺ، ح ٣٥٣٦.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب المناقب، باب وفاة النبي ﷺ، ح ٣٥٣٦.

(٤) اسم حاجب أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه.

يا أمير المؤمنين في عثمان، وعبد الرحمن بن عوف، والزبير، وسعد؟ فقال عمر: نعم، فأذن لهم فدخلوا.

ثم جاء فقال: هل لك في عباس، وعلي؟ قال: نعم، فأذن لهما، فقال عباس: يا أمير المؤمنين، اقض بيني وبين هذا الكاذب الآثم الغادر الخائن (يقصد عليّ رضي الله عنه)، وقد اختلفا في الميراث)، فقال القوم: أجل يا أمير المؤمنين، فاقض بينهم، وأرحهم.

فقال مالك بن أوس: يخيل إليَّ أنهم قد كانوا قدموهم لذلك.

فقال عمر: اتئدا، أنشدكم بالله الذي بإذنه تقوم السماء والأرض، أتعلمون أن رسول الله ﷺ قال: لا نورث، ما تركنا صدقة؟

قالوا: نعم، ثم أقبل على العباس وعلي، فقال: أنشدكما بالله الذي بإذنه تقوم السماء والأرض، أتعلمان أن رسول الله ﷺ قال: لا نورث، ما تركناه صدقة؟ قالا: نعم.

فقال عمر: إن الله جل وعز كان خصَّ رسوله ﷺ بخاصة لم يخصص بها أحداً غيره، قال تعالى: ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾﴾ الحشر: ٧ ما أدري، هل قرأ الآية التي قبلها أم لا، قال: فقسم رسول الله ﷺ بينكم أموال بني النضير، فوالله ما استأثر عليكم، ولا أخذها دونكم، حتى بقي هذا المال، فكان رسول الله ﷺ يأخذ منه نفقة سنة، ثم يجعل ما بقي أسوة المال، ثم قال: أنشدكم بالله الذي بإذنه تقوم السماء والأرض، أتعلمون ذلك؟ قالوا: نعم، ثم نشد عباساً وعلياً بمثل ما نشد به القوم، أتعلمان ذلك؟ قالا: نعم، قال: فلما توفي رسول الله ﷺ، قال أبو بكر: أنا وليُّ رسول الله ﷺ، فجئتما تطلب ميراثك من ابن أخيك، ويطلب هذا ميراث امرأته من أبيها.

فقال أبو بكر: قال رسول الله ﷺ: ما نورث، ما تركناه صدقة، فرأيتماه كاذباً آثماً غادراً خائناً؟!!

والله يعلم إنه لصادق بار راشد تابع للحق.

ثم توفي أبو بكر، وأنا ولي رسول الله ﷺ، وولي أبي بكر، فرأيتماني كاذباً آثماً غادراً خائناً، والله يعلم إني لصادق بار راشد تابع للحق.

فوليتها، ثم جئتني أنت وهذا، وأنتما جميع، وأمركما واحد، فقلتما: ادفعها إلينا، فقلت: إن شئتم دفعتها إليكما على أن عليكما عهد الله أن تعملا فيها بالذي كان يعمل رسول الله ﷺ، فأخذتماها بذلك، قال: أكذلك؟ قالا: نعم، قال: **ثم جئتماني لأقضي بينكما، ولا والله لا أقضي بينكما بغير ذلك، حتى تقوم الساعة، فإن عجزتما عنها فرداها إليّ**»[1].

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب حكم الفيء، ١٧٥٧، قال الإمام النووي رحمه الله في المنهاج: قوله: (اقض بيني وبين هذا الكاذب) إلى آخره، قال جماعة من العلماء: **معناه: هذا الكاذب إن لم يُنصِف، فحذف الجواب، وقال القاضي عياض: قال المازري: هذا اللفظ الذي وقع لا يليق ظاهره بالعباس، وحاش لعلي أن يكون فيه بعض هذه الأوصاف فضلاً عن كلها، ولسنا نقطع بالعصمة إلا للنبي ﷺ ولمن شهد له بها، لكنا مأمورون بحسن الظن بالصحابة - رضي الله عنهم أجمعين - ونفي كل رذيلة عنهم، وإذا انسدت طرق تأويلها نسبنا الكذب إلى رواتها، قال: وقد حمل هذا المعنى بعض الناس على أن أزال هذا اللفظ من نسخته تورعا عن إثبات مثل هذا، ولعله حمل الوهم على رواته، قال المازري: وإذا كان هذا اللفظ لا بد من إثباته، ولم نضف الوهم إلى رواته فأجود ما حمل عليه أنه صدر من العباس على جهة الإدلال على ابن أخيه (علي)؛ لأنه بمنزلة ابنه، وقال ما لا يعتقده وما يعلم براءة ذمة ابن أخيه منه، ولعله قصد بذلك ردعه عما يعتقد أنه مخطئ فيه، وأن هذه الأوصاف يتصف بها لو كان يفعل ما يفعله عن قصد، وأن عليا كان لا يراه إلا موجبة لذلك في اعتقاده،...** ولا بد من هذا التأويل لأن هذه القضية جرت في مجلس فيه عمر رضي الله عنه وهو الخليفة، وعثمان وسعد وزبير وعبد الرحمن - رضي الله عنهم - ولم ينكر أحد منهم هذا الكلام مع تشددهم في إنكار المنكر، وما ذلك إلا لأنهم فهموا بقرينة الحال أنه تكلم بما لا يعتقد ظاهره مبالغة في الزجر، قال المازري: وكذلك قول عمر رضي الله عنه : إنكما جئتما أبا بكر فرأيتماه كاذبا آثما غادرا خائنا، وكذلك ذكر عن نفسه أنهما رأياه كذلك، وتأويل هذا على نحو ما سبق وهو أن المراد أنكما تعتقدان أن الواجب أن نفعل في هذه القضية خلاف ما فعلته أنا وأبو بكر، فنحن على مقتضى رأيكما لو أتينا ما أتينا ونحن معتقدان ما تعتقدانه لكنا بهذه الأوصاف، أو يكون معناه: أن الإمام إنما يخالف إذا كان على هذه الأوصاف ويتهم في قضاياه، فكان مخالفتكما لنا تشعر من رآها أنكم تعتقدان ذلك فينا، والله أعلم.

قال المازري: وأما الاعتذار عن علي والعباس - رضي الله عنهما - في أنهما ترددا إلى الخليفتين مع قوله ﷺ: لا نورث ما تركناه فهو صدقة وتقرير عمر رضي الله عنه أنهما يعلمان ذلك، فأمثل ما فيه ما قاله بعض العلماء أنهما طلبا أن يقسماها بينهما نصفين ينفقان بها على حسب ما يفعل الإمام بها لو وليها بنفسه، فكره عمر أن يوقع عليها اسم القسمة، لئلا يظن لذلك مع تطاول الأزمان أنها ميراث، وأنهما ورثاه، لا سيما وقسمة الميراث بين البنت والعم نصفان، فيلتبس ذلك، ويظن أنهم تملكوا ذلك.

وانظر: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، للإمام يحيى بن شرف النووي، ط دار الخير، ١٩٩٦م، ص٤٢٥-٤٢٧.

- **هل ترك النبي ﷺ وصية؟:** روى طلحة بن مصرِّف قال: «سألت عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه: هل أوصى رسول الله ﷺ؟ فقال: لا، قلت: لم كُتب على الناس الوصية، أو فلم أُمروا بالوصية؟ قال: **أوصى بكتاب الله عز وجل**»[1].
- **آخر سورة أنزلت كاملة على النبي ﷺ:** روى البراء بن عازب رضي الله عنه قال: «أن آخر سورة أنزلت تامة؛ **سورة براءة**، وأن آخر آية أنزلت آية الكلالة»[2].

وروى أنس رضي الله عنه قال: «أن الله تعالى تابع الوحي على رسول الله ﷺ قبل وفاته، حتى توفي، **وأكثر ما كان الوحي يوم توفي رسول الله ﷺ**»[3].

قلت: لأجل ذلك كانت تلك هي **السيرة المستنيرة.**

أبرز الفوائد والأنوار

- أبرز الفوائد والأنوار في المجال النفسي القيمي السلوكي (التربوي):

- تحمل التلبية التي يرددها المسلم بعد إحرامه، ويستمر فيها قبيل شروعه في أداء المناسك من المعاني النفسية الروحانية الباعثة على حسن الاستجابة لله تعالى، والاقبال عليه، وتوحيده ونبذ الشرك، وشكره وحسن الثناء عليه، وتنزيهه وتعظيمه، من المعاني الدافعة لطاعته والاستقامة على هديه وتجديد البيعة والعهد له الشيء الكثير.
- لأن أداء المناسك ليس كما يفهمه بعض مسلمي زماننا عبارة عن حركات أو أعمال يؤديها المسلم في أمكنة وأزمنة محددة فحسب، بل هو أكبر وأعظم من ذلك، فهو طاعة تحتاج إلى خشوع وصفاء نفسي كان النبي ﷺ يوصي أصحابه بالسكينة قائلاً: السكينة السكينة، **لأن السكينة تزيل تشويش النفوس، وتجعلها مهيأة لاستقبال رحمات ولطائف الله تعالى، فتجد الحاج والمعتمر صاحب السكينة غزير الدمعة، يتأثر بكل ما يرى ويسمع، يخاف ربه ويرجو رحمته.**

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب الوصية، باب ترك الوصية لمن ليس له شيء يوصي فيه، ح ٤٢٠٣.

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الفرائض، باب آخر آية أنزلت آية الكلالة، ح ٤١٣٠.

(٣) أخرجه مسلم، كتاب التفسير، باب في تفسير آيات متفرقة، ح ٧٤٤٠.

- كان للكلمات التي رددها المسلمون أثر بالغ في حياتهم، صحيح أنهم على عرفة كانوا يكبرون ويهللون بألسنتهم، لكنهم يستشعرون معاني ما يقولون في أفئدتهم، فالتكبير بالنسبة لهم يعني استصغار كل شيء دون الله الكبير العظيم المهيمن مالك الملك، وقد رأوا في مسيرة حياتهم مع النبي ﷺ حقيقة ذلك، وأصنام الكفر تتهاوى وأركان الخبث تتنكس وهم يصدحون بالتكبير، معلنين فهمهم وإدراكهم لحجم أنفسهم، وأن هذا إنما هو عطاء الكبير سبحانه، وأما التهليل فهو إشهار التوحيد، ففيه النفي أولاً لوجود آلهة تُعبد، وفيه الإثبات لعبودية الله تعالى الواحد المستحق للعبادة وحده.
- بانسيابية تامة وهدوء كامل، انتهى النبي ﷺ من أعمال يوم عرفة، ثم دلف إلى مزدلفة وأخذ بالرخصة فجمع المغرب مع العشاء وقصر العشاء، ولأنه إنسان وبشر؛ أخذ لنفسه في المزدلفة قسطاً من الراحة، **ليعلم المسلمون أن نوم الصالحين عبادة، ما دام أنه خرج من عبادة ثم نام ليواصل في عبادة أخرى، ونبي الله ﷺ تنام عينه ولا ينام قلبه.**
- لم يترك رسولنا الكريم مكاناً نزل فيه إلا ودعا ربه وسبَّحه وهلَّله لتشهد له كل تلك البقاع، وليطهرها من أدران الجاهلية وأوثانها الخبيثة.
- تتأكد بشرية الصحابة بين الحين والآخر على الطريق، فها هو النبي ﷺ مردفٌ الفضل بن العباس خلفه، ومعلوم كيف أن الحج موسمٌ تختلط فيه النساء بالرجال، ولكثرة الناس يكون الاقتراب أكثر وأكبر، ولعلم الله تعالى بحالنا في زماننا هذا وكيف تضعف النفوس أحياناً فيسترق البعض من كلا الجنسين نظراته للآخر، وهذا بعض ما يحاول الشيطان أن يأخذه منا في موسم هو من أكثر المواسم إرغاماً لأنفه، لأجل ذلك كان هذا المشهد في حضرة النبي ﷺ حيث أخذ الفضل يسترق للفتيات نظرة تلو نظرة، والرسول ﷺ يشيح وجهه في مشهد تتأكد فيه حاجة البشر وشهوتهم من جهة، كما يتأكد فيه التوجيه النبوي القريب والأمثل، لا بالوعظ فحسب، بل بإشاحة الوجه إلى الطرف الآخر ليكون في ذلك لنا درساً عملياً في التعفف وعبرة راسخة في غض البصر.

- في ذكر عائشة رضي الله عنها لاسم الرجل الأول الذي كان يسوق النبي ﷺ إلى بيتها وهو الفضل بن العباس رضي الله عنهما، وإهمالها لذكر اسم الرجل الثاني وهو علي رضي الله عنه ما يؤكد بشرية هؤلاء الكبار، فعائشة رضي الله عنها يبدو أنها قد أخذت موقفاً من علي رضي الله عنه منذ حادثة الإفك جعلها تكره ذكر اسمه، وإن كانت لا تكرهه بوصفه حب النبي ﷺ له، ولأن المؤمنين إخوة متحابون، لكنهم وإن كانوا صحابة كباراً إلا أنهم بشر من البشر.
- ومثل هذا الموقف الذي أظهر بشرية عائشة رضي الله عنها كذلك موقفها مع النبي ﷺ حين أعلن عن وجع رأسه فشعرت أنه يتمنى وفاتها قبله ليذهب إلى زوجاته ويعاشرهن فرحاً بوفاتها، وهذا لم يكن قصد النبي ﷺ، لكنها الغيرة.
- شدة وعك ومرض النبي ﷺ فيها من المواساة لكل مريض قد يصيبه سوء ظن بربه، فيعتقد أن رب العزة يريد أن يعاقبه وأن ينتقم منه، فيرجع إلى سيرة النبي ﷺ ليرى كيف كان الأنبياء أشد الناس بلاءً ثم الأمثل فالأمثل، فليس مرض الحياة أو الموت دليل بُغض الله للعبد، وإن كان فيه كفارة لذنوبه ورِفعة لدرجاته عند ربه، فرسولنا كان يوعك كما يوعك الرجلان منا، وكانت درجة حرارته ترتفع ولا تنزل إلا بصبِّ الكثير من الماء عليه، ولقد لدُّوه (أي سقوه الدواء في طرف فمه) وهو في غيبة عن وعيه من شدة ألمه، **كل ذلك ليكون الأسوة لنا في الشكر عند صحته، وفي الصبر عند مرضه.**
- كان العامل النفسي غالباً لدى عائشة رضي الله عنها لما رفضت فكرة صلاة والدها في الناس لأنها خافت من أن يتشاءم الناس بوالدها، لأجل ذلك حولت الموضوع إلى عمر رضي الله عنه، واستعانت بحفصة رضي الله عنها، والتي لم تفهم مقصد عائشة رضي الله عنها، إلا ما كان من ظاهر كلامها، بأن أبا بكر رجل أسيف، لكنها لما تلقت عتاباً من النبي ﷺ على اقتراحها بأن يصلي في الناس عمر وجدت في نفسها على عائشة، التي أوقعتها في ذلك المأزق، فرضي الله عنهن أجمعين، وهكذا حال البشر، فمهما بلغ القوم من السمو والرقي إلا أن النفس البشرية فيها ما فيها من تعرُّجات وانحناءات وضعف.

- أخذ الصحابة الكرام يروون حكاياتهم مع النبي ﷺ لاسيما تلك المشاهد واللمسات الأخيرة في حياته بينهم، لأجل ذلك استذكرت أم الفضل رضي الله عنها آخر ما كان رسول الله ﷺ قد قرأ به في صلاة المغرب، فأثار ذلك من شجونها وهي تسمع تلاوة ابن عباس رضي الله عنهما لسورة المرسلات.
- عبر أنس رضي الله عنه عن حالة نفسية عاطفية عاشها وهو يحكي حالته بل حالة عموم الناس بقدوم النبي ﷺ إلى المدينة، وحالتهم حين سماعهم نبأ وفاة النبي ﷺ حين قال: «لَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الَّذِي دَخَلَ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ أَضَاءَ مِنْهَا كُلُّ شَيْءٍ، فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الَّذِي مَاتَ فِيهِ أَظْلَمَ مِنْهَا كُلُّ شَيْءٍ، وَمَا نَفَضْنَا أَيْدِينَا مِنَ التُّرَابِ، وَإِنَّا لَفِي دَفْنِهِ ﷺ، حَتَّى أَنْكَرْنَا قُلُوبَنَا».

- أبرز الفوائد والأنوار في المجال الاجتماعي التأثيري التواصلي (الدعوي):

- كان اختلاف العلماء في تقدير زمن تشريع الحج مرتبط بتقديراتهم حول عد بدء التشريع له بحجة الوداع أم بما قبلها من حجج.
- كانت حجة الوداع تأكيداً لعلاقة النبي ﷺ بربه، وتجديداً لعلاقته بعموم المسلمين، في موقف ليس هنالك مثله مهما حاول الأصحاب الاجتماع لسماع ورؤية الدروس من قائدهم، فليس أعظم من هذا الموقف، الذي روى فيه جابر رضي الله عنه كل همسة وخطوة وحركة ونَفَس من أنفاس النبي ﷺ فيه.
- أكد النبي ﷺ علاقته بكل مكان نزل فيه، ومن ذلك وادي العقيق الذي سمي بالوادي المبارك، وقال بأن فيه عمرة بحجة.
- تطييب الخواطر والنفوس لا سيما نفوس القوارير؛ كان من الأمور التي اعتنى بها النبي ﷺ في تلك الرحلة المباركة، ولا أدل على ذلك من سماحه لعائشة رضي الله عنها أن تحرم لعمرتها من التنعيم، وسُمي ذلك الميقات بمسجد عائشة رضي الله عنها، ولا غرابة أن يستذكر الناس تلك العاطفة الجياشة والاحساس بالآخرين الذي تمتع به النبي ﷺ كلما مرت رحالهم بذاك المسجد والميقات المهيب، ومثل ذلك فعل النبي ﷺ مع أسماء بنت عميس التي ولدت في ذلك الموقف

محمد بن أبي بكر فقال لها النبي ﷺ: «اغْتَسِلِي وَاسْتَثْفِرِي بِثَوْبٍ وَأَحْرِمِي».

- احتوى التشريع الإسلامي على أمور غاية في الدقة والترتيب، ففي حكاية صيد أبي قتادة للصحابة وهم محرمون، أجاز له ولهم النبي ﷺ الأكل منه بعد أن تأكد بأنه لم يكن محرماً وأن أحداً لم يُشر إليه ولم يأمره بالصيد.
- **ليست اللمسة في مسألة تطييب عائشة رضي الله عنها للنبي ﷺ قُبيل إحرامه وبُعيد إحلاله لمسة فقهية تبيح ذلك الفعل فحسب، بل هي لمسة جمالية عاطفية تواصلية تدلك على ما ينبغي للمرأة من العناية بزوجها في ذلك الموسم المزدحم.**
- في كل عمل من أعمال العمرة والحج تأكيد لارتباط النبي ﷺ بأبيه أبي الأنبياء ابراهيم وابنه إسماعيل عليهما السلام؛ فالطواف يحكي حكاية ابراهيم وإسماعيل وهما يبنيان الكعبة المشرفة، والسعي يذكرنا بقصة إسماعيل وأمه هاجر وهما يبحثان عن الماء ليجدا زمزم، تلك الماء المباركة، والتي لا تزال فينا معجزة إلى قيام الساعة، وكذا سائر المناسك فهناك حجر إسماعيل ومقام إبراهيم عليهما السلام.
- عمقت سورة الإخلاص معاني التوحيد في النفوس، لأجل ذلك كان يقرؤها النبي ﷺ بعد طوافه كما حققت سورة الكافرون معاني الولاء والبراء في النفوس، لأجل ذلك كان يقرؤها في الركعة الثانية، ولك أن تتخيل النبي ﷺ في ذلك الموقف المهيب وحاله وهو يرتل هاتين السورتين دون سواهما في ذاك الموقف.
- كانت الفرصة بين النبي ﷺ وبين أصحابه للاشتباك المعرفي التثقيفي كبيرة، فكانوا يسألونه في كل شيء ويجيبهم عن كل شيء، وكان منهجه في الاجابة ما أوصى به مَن بعثهم إلى اليمن وهو التيسير والتبشير وفتح الآفاق، لذلك كان جوابه للرجل الذي سأله ألعامنا هذا أم للأبد: دَخَلَتِ الْعُمْرَةُ فِي الْحَجِّ مَرَّتَيْنِ، لَا بَلْ لِأَبَدٍ أَبَدٍ.
- ابتكر النبي ﷺ فكرة المنبر المتحرك، حتى يحقق هذا التواصل مع أكبر فئة ممكنة من المسلمين، وهذا لأن المقام ليس مقام قعود بل مقام حركة، وهذا المنبر ببساطة متناهية هو الدابة التي يركب عليها، يقول جابر: «طاف رسول الله ﷺ بالبيت في حجة الوداع على راحلته، يستلم الحجر بمحجنه،، لأنْ يراه الناس، ولِيُشرفْ،

ولِيَسألوه، فإن الناس غَشُوْهُ».

- **كانت لفتة النبي ﷺ للنساء في خطبة عرفة من أبدع ما يكون في تصحيح المفاهيم والعادات السائدة حولهن، هذا من جهة ومن جهة أخرى أراد أن يعطي في موقفه ذاك احتراماً وتقديراً لتلك الفئة الكبيرة والضعيفة من المجتمع، مما مكّن صلته بهن، وأوصى باحترامهن وتقديرهن، لاسيما وأن لهنّ علينا بدل الفضل أفضال.**
- استشهد النبي ﷺ أصحابه على كلماته وجهده المبذول معهم، وطلب منهم أن يشهدوا له بأنه بلّغ وأدى، فكان ذلك منه لطيفاً ليصنع التفاعل من خلال الحوار معهم، وليتأكد من بلوغ دعوته فيهم على الرغم من أن رب العزة ليس بحاجة لشهادة الناس في رسله وأنبيائه عموماً.
- كان ﷺ يحب الإرداف، وهو أن يختار واحداً من أصحابه ليكون معه على الناقة، فيأخذ من المربي الأول تربية وعلماً، ويكون بمنزلة الحارس والخادم والساعد الأيمن للنبي ﷺ، فهنيئاً لأسامة بن زيد وللفضل بن العباس رضي الله عنهما إرداف النبي ﷺ لهما خلفه في حجة الوداع.
- لم يدع جابر رضي الله عنه همسة ولا مشهداً ولا موقفاً صغيراً ولا كبيراً في حجة الوداع إلا بيَّنه، وهذا ما يدلك على عمق قرب أصحاب النبي ﷺ منه، وكأني به كان يحمل (كاميرا) تصوير يلتقط ب(الفيديو) صوت النبي ﷺ وصورته، في كل حركة وسكنة، ووددت لو أن تلك الكاميرا كانت بحوزته طيلة فترة السيرة المستنيرة كلها.
- كان لكل أثر من آثار النبي ﷺ بركة يعرفها أصحابه رضي الله عنهم، لأجل ذلك لم يكن يعزُّ عليهم شيئاً مما يمكن أن ينفعهم أو أن يؤنس نفوسهم فها هو ذا عند حلقه لشعره يهديه لأصحابه، ثم يخص الجزء الأكبر منه لأبي طلحة، فهل كان أبو طلحة وأولاده وأحفاده ومَن بعدهم لينسوا هذا العطاء من النبي ﷺ... **حقاً إنه عطاء رمزي معنوي، إلا أن بركته من أنفاس النبي ﷺ، وهذه وحدها تكفي.**
- لا يكاد يمر بالنبي ﷺ موقف إلا ويستحضر معه أصحابه الذين جاهدوا وهاجروا معه، فهو في معرض إجابته على سؤال سعد رضي الله عنه حول مسألة طول الأعمار، وهل سيخلف بعد أصحابه أم سيموت قبلهم، يستذكر فضل المهاجرين فيقول: اللهم

أمض لأصحـــابي هجرتهم، ولا تردهم على أعقابهـــم، ولا ينسى حتى بعض من تخلف عنه من الهجرة ومات مســـلماً في مكة فيقول: لكن البائس سعد بن خولة، يرثي له رسول الله ﷺ أن مات بمكة.

- حســـن التفقد للأصحاب ذكوراً كانوا أو إناثاً مع توفير البديل وجبر الخواطر هي أبرز ما يمكن أن نأخذها كدروس مســـتفادة من حادثة أم ســـنان التي سألها النبي ﷺ عن ســـبب تغيبها عن حجة الوداع، فأبدت عذرها المقنع، وقد رأى في عينيها حسرة فوات هذا الـــشرف الكبير، فجعل عمرتها في رمضان التالي بأجر حجة مع رسول الله ﷺ، دون أن تسقط بها الفريضة، وهذا ليس جبر لخاطرها فقط، بل جبر لخواطرنا نحن كذلك.
- أكـــد النبي ﷺ صدق تواصله ووفائه وانتمائه للميتين والأحياء من أصحابه عندما جعـــل من آخر أعماله قبل وفاتـــه زيارته لمقبرة أُحد، والدعـــاء لأهلها ثم توجهه بموعظة لأصحابه صارحهم فيها بـــأن أجله قد اقترب، وأنه لا يخاف عليهم الردة والشرك، فهو مطمئن على رسوخ الإيمان في قلوبهم، وهذا مما عزز الإيمان فيهم، لكنـــه في الوقت ذاته حذرهم أشـــد التحذير مما وقعنا فيه نحـــن اليوم، من الدنيا الغالبة، التي تفرق الصفوف، وتجعل الوهن والضعف يدبُّ في حياتنا.
- كان رســـولنا الكريم ﷺ ذا علاقة حسنة مع جميع زوجاته، فحاشاه أن يظلم أو أن يجور، وكان يعطي لكلٍّ حقها حتى في الفراش، ولكن لعائشـــة منزلة تعرفها سائر نساء النبي ﷺ، **وكأني به كان يشترط عليهن قبل الزواج بهن شرطاً غير مكتوبٍ أن لعائشة رضي الله عنها منزلة مختلفة**، لأجل ذلك لما مرض النبي ﷺ مرض وفاته اســـتأذنهن، فأذنَّ له أن يعالج في بيتها، فرضيت بذلك نفوســـهن عنه كلهن، كما طابت نفسه بأن يمَّرض عند زوجته الحبيبة عائشة رضي الله عنها.
- لشـــدة قربه من النبي ﷺ كان أبو بكر رضي الله عنه هو الوحيد الذي فهم من خطبة النبي ﷺ أنه ينعى نفســـه، لما تكلم عن تخيير الله لعبد واختياره لقاء الله تعالى، ولشدة حـــب النبي ﷺ لأبي بكر لم يهُـــن عليه نزول دمعته حزناً عليـــه، فأخذ يمتدح أبا بكـــر، ويوصي بأن يظل بابـــه مفتوحاً، ثم حكى عن حـــب أبي بكر له، وتضحيته

لأجله وعمق الصلة بينهما، وفي ذلك إيحاء بتفضيله عن سواه في خلافته لشؤون المسلمين.

- أكَّد النبي ﷺ حبه وتقديره لما بذله الأنصار، ثم حكى كيف أنهم يَقلون ويندُرون ندرة الملح، فلا ينبغي استغناء أي أمير يلي أمور المسلمين عنهم، كما أوصى بالتجاوز عنهم، والقبول من محسنهم، لسابقتهم في خدمة دين الله تعالى، وأوصى بهم كل الخير، وذلك وهو في مرضه الذي مات فيه، وللأنصار مكانة رفيعة في نفس كل مسلم، لكونهم أساس انطلاق دولة الإسلام بعد أن كان للمهاجرين أساس في انطلاق دعوة الاسلام، ومثل ما أوصى بالأنصار فقد أوصى كذلك بالمهاجرين وأولادهم وحذَّر تحذيراً شديداً من ظلمهم وتجاوز حقوقهم.
- في سؤال صفية رضي الله عنها حول ما سيؤول إليه حالها بعده ﷺ ما يدل على استشعارها بدنو أجل النبي ﷺ، وفي رد النبي ﷺ صفية لعلي رضي الله عنه كي يرعى شؤونها بعده، ما يدل على أن المستأمَن الأكبر على آل بيت النبي ﷺ بعده هو علي رضي الله عنه.
- في حكاية عائشة رضي الله عنها لطريقة رُقيتها لرسول الله ﷺ ما يبين عمق الصلة بينها وبين رسول الله ﷺ، ومدى حرص النبي ﷺ وحرقته وشعوره بشعور مَن كان يمرض من آل بيته، حيث كان يرقيه بآيات يتزامن معها وضع يده الشريفة على مكان الوجع، فلما أرادت عائشة رضي الله عنها تقليد ذلك المشهد للنبي ﷺ عند مرضه، **لم تجد أكرم ولا أطهر ولا أبرك من يده الشريفة لترقيه بها، فهي تدعو وترتل آيات الرقية بلسانها وقلبها، وتمسح بيد النبي ﷺ على مكان وجعه.**
- الابتسامة الصادقة والوجه المشرق كالقمر، هي آخر وسيلةُ تواصل بين النبي ﷺ وبين أصحابه، لما أطل عليهم بوجهه المشرق يوم وفاته، فوجدهم يصلون ففرح لذلك، أما هم فكادوا يُفتنون من جمال تلك الابتسامة، واطمأنت نفوسهم على حبيبهم وقائدهم، لكنها فرحة لم تطل طويلاً.
- يحق لعائشة رضي الله عنها أن تفخر أن مات رسول الله ﷺ وهي أقرب الناس إليه، بل إن تواصلها معه كان قريباً من خلال ذاك السواك الذي مزج ريقيهما معاً،

فمات رسول الله ﷺ وهو أقرب الناس إلى من يحب، وهذا من فضل الله تعالى عليه وعليها، وما أصعب أن يموت الإنسان بين يدي من يكره، وكانت كلمة: في الرفيق الأعلى، هي المؤشر الأخير على أنه خُيِّر فاختار ترك عائشة وأبي بكر وعمر وسائر الأصحاب الكرام، كما ترك نفاق المنافقين، وقُبح اليهود والمشركين، ليصعد هناك إلى جوار ربه، ﴿ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾ القمر: ٥٥

- ليس أشد على قلب أبي بكر رضي الله عنه من موقف رؤية حبيبه رسول الله ﷺ ميتاً مُسجى لتختلط دموعه بوجه النبي ﷺ، فياله من موقف مهيب، ولولا التهيئة الربانية المسبقة له بأن حبيبه سيغادر إلى ربه؛ لانفلق فؤاد أبي بكر على ما فقد، ولكن الله سلَّم.
- نال آل بيت النبي ﷺ شرف تغسيل النبي ﷺ وتكفينه ودفنه دون الناس، ولم ينازعهم في هذا الشرف أحد.
- كان عبد الله بن أبي بكر رضي الله عنه فقيهاً لما ترك الحلة التي أخذها بعدما كانوا سيكفنون رسول الله ﷺ بها، ذلك أنه لو كان فيها خير لرضيها الله تعالى لنبيه، ولو رضيها الله لنبيه ما وصلت إليه.
- يحكي مشهد حرص أبي بكر وعمر رضي الله عنهما على زيارة أم أيمن بعد وفاة رسول الله ﷺ، ما يحمله هذان الرجلان من رغبة صادقة في استمرار وصل من كان النبي ﷺ يصلهم في حياته، براً منهما به ووفاء له، ولكن مشهد بكاء أم أيمن بسبب انقطاع الوحي وتوقف اتصاله بعالم الأرض كان أكثر تأثيراً من المشهد الأول.

- أبرز الفوائد والأنوار في المجال الاقتصادي المعاشي:

- استخدم النبي ﷺ سياسة التخيير في موضوع نية العمرة، لما يرتبط ذلك بالحال المعيشي والقدرة لدى أصحابه على سَوق الهدي أو عجزهم عن ذلك، فهو إنما جاء ليرفع عنهم الحرج، صحيح أن الحج لمن استطاع إليه سبيلاً والاستطاعة تشمل الجانب البدني والمادي من جهة، والنفسي والفكري من جهة أخرى، ومع

مراعاته للجانب الاقتصادي للحجيج كان يؤكد أن الأجر محفوظ للجميع ذلك أن بديل ذبح الهدي الثابت في حج التمتع والقِران إن لم يستطع إليه سبيلا أن يصوم ثلاثة أيام في الحج وسبعة عند العودة.

- **إذا أراد الله تعالى تيسير أمر الرزق لعباده هيَّأ لذلك أسباباً خارجة عن المألوف، وإلا فما الذي جعل الصحابي الجليل أبا قتادة رضي الله عنه لا يُحرم من بين أصحابه، ثم يتيسر له وحده أمر الصيد، فيصد حمار وحش، فيأكل منه ويطعمهم، ثم يجيز النبي ﷺ ذلك لهم وله.**
- دللت الكثرة العددية لعدد المشاركين في حج الوداع مع النبي ﷺ بحسب وصف جابر رضي الله عنه لها؛ على مدى الانتشار الذي تحقق للإسلام، ومدى الحضور الذي أثبته النبي ﷺ بفضل الله تعالى في ذاك الزمان، على الرغم من أن الكثرة العددية لم تكن في يوم من الأيام مما يعوِّل عليه المسلمون.
- الحج فيه منافع للناس، وما أجمل أن تجتمع الطاعة بما يعود على الناس بالخير، فيصلحهم ويوسع معاشهم، ولك أن تنظر لترى كيف كان دَور الهدي في شعيرة الحج منعشاً للاقتصاد، ونافعاً للجوعى، وفي الحج منافع للناس وهدى.
- الاعتدال والوسطية وترك الغلو وعدم الإسراف هو العنوان الأبرز من عناوين هيئة وحركة النبي ﷺ في الحج، فهو يوصي بالسكينة على الرغم من قدرته على المشي السريع، كما أنه يرمي الهوينا على الرغم من قدرته على الرمي بقوة، وذلك ليؤصل لنا مبدأ الوسطية والاقتصاد في تلك المواسم التي لا تحتاج إلا إلى الرفق والتؤدة، ويعجبني في هذا المقام ذكر وصف عمار رضي الله عنه لرمي النبي ﷺ فها هو ذا يقول: رأيت رسول الله ﷺ يوم النحر يرمي الجمرة عن ناقة له صهباء، لا ضرب ولا طرد، ولا إليك إليك»، ولما سُئل أسامة عن سَير النبي ﷺ في حجته قال: «العنق، فإذا وجد فجوة نص».

ومما أكد هذا المنهج النبوي الأصيل في الوسطية والاعتدال؛ أنه لما طلب من ابن عباس رضي الله عنه أن يناوله الحصى ليرمي، واختار ابن عباس الحصيات الصغيرة امتدح النبي ﷺ فعله، وقال: «نعم بمثل هؤلاء (يعني في حجمهنَّ الصغير) وكررها ثلاثاً،

للتأكيد، ثم عقَّب في النهي عن التشـــدد والغلو، تلك الآفة التي تأتي للعبَّاد والزهاد والمتدينين منا، فتهلكهم وتقطع ظهورنا وظهورهم، ولن ييأس الشـــيطان في الأخذ بنا بـــين دائرة التطرف اليميني بالغلو والتشـــدد، ودائرة التطرف اليســـاري بالتمييع والتسطيح والتضييع، ولا يبقى على الوسطية النبوية في حلِّه وترحاله إلا الموفَّقون.

- أكد مشـــهد أكل النبي ﷺ وشُربه هو وعلي رضي الله عنهما من لحم ومرق الهدي الذي قاما بذبحه على جواز أكل الحاج من هديه، وهذا ما يؤكد قول الله: ﴿ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ ٣٧ ﴾ الحج: ٣٧ «فالنفقة المادية التي ننفقها مردودة علينا في محصلة الأمر، مع زيادة في تحصيل أجرها وبركتها، وذلك من فضل الله علينا.
- ضبط النبي ﷺ ســـلوك سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه وهو في مرض الموت، وقد نوى التصدق بماله كله، بأن أوصاه بإبقاء ما يُغني ويكفي أولاده، وهذا الضبط واجب، ففيه تأكيد لقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ٢٩ ﴾ الإسراء: ٢٩ كما بين له أن باب الصدقة أوسع مما يتصوره، فإطعام الأهل والعيال صدقة، والإنفاق عليهم والتوســـعة عليهم واجب كذلك، وهذا مما يوجب علينا ضبط نياتنا بأن تكون لله تعالى، حتى فيما نطعمه لأولادنا وأزواجنا.
- فكرة تخيير الله تعالى لرســـله قبل وفاتهم، ورضاهم بمـــا قدَّر الله تعالى لهم من أعمار، تؤكد بما لا يدع مجالاً للشـــك أنه لا عبرة بطول أعمار الناس أو قصرها إن لم تحوِ تلك الأعمار إنجازات وأعمال يرضى عنها رب العزة ســـبحانه، وأنه مهما طلب المرء مـــن الله تعالى أن يطيل عمره إلا أن النهاية الحتمية ســـتأتيه ولو بعد حـــين، فالاختصار بعد إنجاز المهمات أولى، وما عند الله خير وأبقى، وفي قصة تخيير الله تعالى لنبيه موسى عليه الســـلام حـــين ضرب ملك الموت ففقأ عينه[1]

---

(١) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «أرسل ملك الموت إلى موسى عليهما السلام، فلما جاءه صكه، فرجع إلى ربه فقال: أرسلتني إلى عبد لا يريد الموت، قال: ارجع إليه فقل له: يضع يده على متن ثور فله بما غطت يده بكل شعرة سنة، قال: أي رب ثم ماذا؟ قال: ثم الموت، قال: فالآن، قال: فسأل الله أن يدنيه من الأرض المقدسة رمية بحجر، قال أبو هريرة: فقال رسول الله ﷺ: لو كنت ثَمَّ لأريتكم قبره إلى جانب الطريق، تحت الكثيب الأحمر» أخرجه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب وفاة موسى عليه السلام، ح ٣٢٢٦.

دروس وعبر في السياق ذاته كثيرة.

- صوَّرت عائشة رضي الله عنها وغيرها حالة بيت النبوة، ومشهد الزهد والتخشُّن وضعف الجانب المعيشي، وهذا كله ليكون القدوة في الانخلاع من الدنيا، والتعلق في الآخرة، وعدم منافسة أحد على معاشه.
- **الخلاف الكبير الذي جرى بين فاطمة رضي الله عنها وبين أبي بكر ﵁ حول ميراثها من النبي ﷺ، يدل على بشرية فاطمة من جهة، وما للجانب المادي من تأثيره على النفوس، وعلى العلاقة بين الكبار، لاسيما إن كان لكلٍّ وجهة نظر وحق، ودون الوصول إلى حالة من التفاهم بينهما.**
- ومثله ذلك الخلاف الذي حصل بين علي ﵁ والعباس ﵁ حول توزيع الميراث، وما نتج عن ذلك من طعن وشتيمة من العباس لابن أخيه علي رضي الله عنهما، وهذا كله مما يؤكد بشريتهم، وأنه مهما علت صفاتهم فإنه لا ينقص منها ضعفٌ هنا أو هناك.
- الحج سوق كبير يبتغي فيه المسلمون من فضل الله رزقاً، فضلاً عن تحصيلهم للأجر منه تعالى، فقد روى ابن عباس رضي الله عنهما قال «كانت عكاظ ومجنة وذو المجاز أسواقاً في الجاهلية، فلما كان الإسلام فكأنهم تأثموا فيه فنزلت: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ ١٩٨﴾ البقرة: ١٩٨ **في مواسم الحج**»[1].

- أبرز الفوائد والأنوار في مجال إدارة المواقف والسياسة الشرعية:

- كان النبي ﷺ يقدم بين الفترة والأخرى من الكلمات والمواقف ما يهيئ به أصحابه لأزمة سماع نبأ وفاته، فهم وإن كانوا يدركون بأن الموت حق إلا أنه ليس من السهل عليهم أن يستقبلوا خبر وفاته بسهولة، **ومن العبارات التي أطلقها النبي ﷺ عند حجة الوداع قوله بهذا الشأن: فلعلي لا أحج بعد عامي هذا.**

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب البيوع، باب الأسواق التي كانت في الجاهلية، ح ١٩٩٢.

- كانت لفتة مهمة ورائعة من النبي الكريم ﷺ أن يعلن أنه سيحج في العام العاشر للهجرة، ليجتمع له القاصي والداني من أمته، طمعاً في صحبته في ذلك المشهد المهيب ﴿ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ ﴾ الحج: ٢٧.
- فصل النبي ﷺ في الأمر بين فاطمة رضي الله عنها وزوجها القادم من اليمن ليشارك مع النبي ﷺ في حجة الوداع، حين سأله ماذا نويت؟ وأجابه بأنه نوى على نيته، وهذا من فقه عليٍّ رضي الله عنه، فأجابه النبي ﷺ بما يشير بأن كليهما على صواب، لأن فاطمة حجَّت متمتعة، في حين كان حج النبي ﷺ وعلي حج القِران.
- كانت مخالفة المشركين في هيئة عباداتهم وعاداتهم صعبة وشاقة؛ هذا في بادئ الأمر، ولكن في كل موقف بعد فتح مكة صار التسليم هو العنوان الأكبر، لأجل ذلك خالف النبي ﷺ عادات قريش في حجها بأن جعل وقفته في عرفات وليس في المشعر الحرام، وقال مصرحاً بلا مواربة: الحج عرفة.
- **برز الإبداع في إدارة الموقف والتوفيق في السياسة الشرعية في خطبة الوداع عندنا نهى النبي ﷺ عن ربا عمه قبل ربا الناس**، وعن ثارات الجاهلية لا سيما تلك التي تخصُّ أحد أقاربه قبل ثارات الناس، فهذا كله كأنما هو إطفاء للجمر الكامن تحت الرماد، والذي يوشك أن يشتعل مع أول فرصة مواتية.
- حاشا لرسول الله ﷺ أن يتركنا بلا منهاج ولا دستور، وحاشا لله كذلك وقد خلق عباده أن يتركهم هملاً بلا دستور وقوانين وتعليمات ترتب شؤون حياتهم، وتضبط علاقاتهم مع بعضهم ومع غيرهم، فكانت وصيته الكبرى هي: كتاب الله تعالى.
- أدرك النبي ﷺ ما في الولاية العامة والولايات الخاصة من حساسية، لاسيما عند قوم لا تزال نفوسهم لا تقبل أن يحتكموا لمن هم أقل منهم شرفاً ومنزلة وجاهاً وسمعة، لذلك بقي ﷺ يعالج ذلك في مستوى القيادة الروحية في الصلاة مثلاً أن جعل الإمامة لأقرئهم للقرآن، وليس لكبير العشيرة وعمدتها إن كان لا يفقه من كتاب الله شيئاً، كما أنه ألمح في خطبة الوداع بأن الإمارات بأنواعها حتى على مستوى خلافة النبوة الطاهرة تحتاج إلى سعة صدر واستيعاب تام، **فالإمارة**

السياسية تختلف عن الدينية بأن الأولى فيها مطامع وإعلام لامع، لذلك أكد بأن الطاعة للإمام والأمير واجبة حتى لو كان عبداً لا يؤبه له، طالما أن عموم المسلمين رضوا به إماماً.

- كان رسول الله ﷺ شديد الحرص في كل حركة وسَكَنة، لكي لا يفعل أمراً فيصير من بعده سُنة وهو ليس بذاك، لأجل ذلك لما رأى بني عبد المطلب ينشلون الماء لسقاية الناس من بئر زمزم قال لهم: «انْزِعُوا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، فَلَوْلاَ أَنْ يَغْلِبَكُمُ النَّاسُ عَلَى سِقَايَتِكُمْ، لَنَزَعْتُ مَعَكُمْ، فَنَاوَلُوهُ دَلْوًا فَشَرِبَ مِنْهُ» وهذا من حُسن فطنة رسول الله ﷺ.
- أحسن النبي ﷺ في إدارة موقف التبيين للناس يوم عرفة بشأن صيامهم أو فِطرهم، بوصف ما كانوا يعلمون من فضل صيام يوم عرفة، لكنهم لا يعلمون حُكمه بالنسبة للحاج، ففصل رسول الله ﷺ بالأمر عملياً لا نظرياً، عندما أُعطي كأساً من لبن فشربه على الملأ.
- ومثل ذلك بيان ابن عباس رضي الله عنه وهو الفقيه القريب من النبي ﷺ أن سترة المصلي من سترة إمامه، وأن الحمار وسائر الدواب لا تقطع صلاة المصلين إن حصل ومرت من أمامهم للضرورة في صلاة الجماعة، طالما أن الإمام يحفظ سُترته، وقد مرَّ رضي الله عنه بحماره من أمام المصلين ولا حرج.
- كم كان موقف ذاك الذي مات وهو يلبي محزناً في عيون الصحابة الكرام وقلوبهم، ولأنه موقف مهيب عظيم يكثر في الناس، فإننا نفقد في الحج في كل عام العشرات، هذا بلا تزاحم، فكيف إن حصل تزاحم أو حادث ما، لأجل ذلك حلَّ النبي ﷺ أزمة الحزن المتكررة هذه بوفاة المحرم إما في حادث سيارة وهو يلبي أو بمرض أو لغيرها من أسباب الموت؛ بتحويل الحزن عليه إلى فرح له، كيف لا وقد أوصى النبي ﷺ بأن يغسل ويكفن كما هو، ليأتي يوم القيامة ملبياً، والمرء يُبعث على ما مات عليه، فبدلاً من حزننا عليه صرنا نقول: هنيئاً له.
- رفع الحرج والتيسير كان يصاحب النبي ﷺ في تلك الرحلة العظيمة، ولعلنا نقيس أهمية رفع الحرج عن الناس عند كل ازدحام قياساً على منهج النبي ﷺ

في ذلك الموقف المهيب، وهو يحقق فينا فهم مقاصد التشريع وإدارة المواقف، وفقه السياسة الشرعية بشكل أوسع، ومما أجراه النبي ﷺ من فتاوى التيسير ورفع الحرج؛ أنه أفتى لزوجته سَـودة وقد كانت بحسب وصف عائشة رضي الله عنها لها: امرأة بطيئة، فأذن له أن تنزل من مزدلفة قبل الفجر، أي قبل نزول الناس، حتى إن عائشـة رضي الله عنها لما رأت أزمة نـزول الناس تمنت أنها لو كانت أخذت بمثل رخصة سودة رضي الله عنها.

كـما أنه ﷺ كان يفتي بما يرفع الحرج عن كل ناسٍ أو مختلطٍ أو جاهل، فالمقام مقام تيسـير وتعليم، والخيارات متعددة، والأهم هو الخشـوع التام وفهم غايات الحج، والحرص على تتبع أثر النبي ﷺ قدر الاستطاعة، وإلا فلا حرج.

كان في آخـر ما قاله النبي ﷺ وهو يجيب سـعداً رضي الله عنه على سـؤاله حول الحياة وطول العمر بعد أصحابه ما فيه مـن أهمية وضوح الغاية من الحياة، وأنها فرصة لتحقيق المزيد من الحسـنات، **فليس الاسـتعجال للموت محمود طالما أن باب الخير لا يزال مفتوحاً**، ثم ضبط له البوصلة في نيته من طول عمره، وامتداد حياته، وهـو يؤكد أن من أكبر غايات حياتنا هي أن ننفع أقواماً (المؤمنون، وعموم الناس والمسـتضعفين، ومن يحتاجون دعوتنا وهدايتنا وعوننـا، لننال ببركة ذلك أجوراً كثيرة)، أو نضرُّ ونهلك آخرين (المعتدون الذين سـمحوا لأنفسـهم أن يستبيحوا ديننا وأعراضنا وأموالنـا وعقولنا وأرواحنا)، **وكأني بالنبي ﷺ يريدنا أن نكون بين مُصلِح ومجاهد، على هذه النية يحلو طلب إطالة الأعمار، وإلا فعلينا وليست لنا.**

من حسن الإدارة للمواقف والأحداث والبرامج والنشاطات؛ حُسن إقفال المشهد بشـكل عام، لأجل ذلك لما رأى النبي ﷺ الفوضى التي كانت عند انتهاء الناس من أعمال الحج ضبط ذلك بجعل طواف الوداع لازماً على جميع المسـتطيعين من الحجيج، ليكـون الصدور الأخير (الانصراف عن مكة) قريب عهد ببيت الله الحرام.

في موعظة رسـول الله ﷺ عند غدير خُم تشديد على أن النبي ﷺ أراد أن يمضي موقف وفاته دون أزمة تهدم ما بناه في سـنوات طوال، لأجل ذلك أوصى بكتاب

اللـــه تعالى، ثم أوصى بمراعاة أهل بيتـــه والرفق بهم، ومن أشرف وأطهر أهل بيته نساؤه أمهات المؤمنين رضي الله عنهن، فكيف طابت نفوس (الروافض) المريضة أن يُخرِجوا من آل بيته بعض نسائه، كعائشة رضي الله عنها؟!!

- علم رســـول الله ﷺ أن ابنته فاطمة رضي الله عنها ستكون أكثر المتأثرين بوفاته، لأجـــل ذلك ألمح لها بأنه ســـيموت، تخفيفاً لصدمة موته على نفســـها، فحزنت وبكت، لكنه طيَّب خاطرها بكونها ســـتلحق به في أقرب فرصة، ولن يطول غيابه عنها، وعلى الرغم من شـــدة فكرة الموت على النفوس إلا أن نفسها سعدت بهذا الخبر، لأنها ستكون قريباً من والدها الرسول الأكرم ﷺ، ولما اشتد مرضه وأخذت تبكي لما ترى من وجع وكرب والدهـــا الكريم، خفَّض بكاءها وحزنها قائلاً: بأنه لا حزن على أبيك، نعم لا حزن، بوصفه أصبح بجوار رب كريم، ثم استغربت من جرأة الصحابة الكرام، أحباب الرسول ﷺ على دفن رسول الله ﷺ، لكنها تذكرت أن هذه ليســـت جرأة إنما هو دين وسُـــنة الله تعالى فيمن يموت من عباده، وهذا حال من مات من أنبياء الله تعالى كلهم، إنما الجرأة ما كانت لتكون لو أنهم تركوا رسول الله ﷺ بلا دفن!!!

- **كانت اســـتراتيجية إدارة الأزمات المتوقعة حاضرة في نفس رســـول الله ﷺ لأجل ذلـــك أوصاهم بكتاب اللـــه تعالى، وهو خير ما يأتلفون عليـــه، وهو منهاج الحياة على امتداد عُمر الدعوة الإســـلامية ليس فقط في زمـــن الأصحاب الكرام، بل إلى يومنا هذا ومن بعدنا حتى قيام الساعة، صحيح أن النبي ﷺ أراد جمعهم ليوصيهم بمســـائل محددة قد تتعلق بخلافته أو غيرها من الأمـــور، لكن نزاعاً طبيعياً حصل بينهـــم في حضرته جعله يعدل عن فكرة الإيصـــاء والتوضيح هذه، وهذا فيه ما فيه من أهمية الوصية في المســـائل الحساسة قُبيل الموت، وشؤم الاختلاف والتنازع، ولكن مما لابد أن يوقن به كل مســـلم أن الله تعالى لو حكمت إرادته أن يبين النبي ﷺ لأصحابـــه لبيَّن لهم، إما بجعلهم لا يختلفون ابتـــداءً، أو بتطييب خاطر النبي ﷺ وجعله يتعافى أياماً أو ساعات قليلة ليبين لهم بعدها، لكن إرادة الله غلبت أن يكتم النبي ﷺ ذلك عنهـــم، ليجتهدوا وليصلوا بعد اجتهاد وخلاف إلى ما يُصلح**

حالهم، وقد تم ما أراد الله ورسوله من تعيين أبي بكر خليفة على المسلمين، وكأني برب العزة يريد أن يجعل هذا الشأن من واجب الأحياء (شأن تنصيب الخليفة والإمام) دون أن يكون للذاهبين إلى ربهم من الحكام دَور فيه أكثر من الوصية غير الملزمة لأحد، وللأحياء حقهم في اختيار من يسوسهم ويقودهم، ولن يجتمع الناس اجتماعًا مُطبقاً على شخصية مهما بلغت في الفهم والتدين، كما أن الأمة لا تجتمع على ضلالة.

- حتى في اللحظات الحرجة كان رسولنا ﷺ حريصاً على الصلاة فسأل مراراً: هل صلى الناس؟ وكان الجواب بأنهم لا يزالون في انتظار إمامهم، لكنه لما شعر بعجز وضعف أحسن إدارة الأزمة والموقف بتوكيل أبي بكر رضي الله عنه، وهو يعلم رقته وشدة تخشعه وصعوبة تماسكه في الصلاة، هذا إن صلاها خلف النبي ﷺ، فكيف يصلي والنبي ﷺ موجود؟!، لكن للنبي ﷺ حكمة بالغة فهو يريد تهيئة الصحابة لحضور أبي بكر وقيامه على شؤون المسلمين الدينية، فالصلاة أساس، لأجل ذلك أنكر النبي ﷺ على عائشة رضي الله عنها وعلى حفصة محاولة تحويل الأمر إلى عمر رضي الله عنهم أجمعين، ولا أعتقد بأن عمر رضي الله عنه كان ليقبل لو أن الأمر وصل إليه، وهنالك رواية تثبت رفضه للأمر، فكيف يصلي في الناس وأبو بكر حيّ.
- صلاة أبي بكر رضي الله عنه في الناس والنبي ﷺ لا يزال على قيد الحياة شكل من أشكال استراتيجيات توريث الخبرات، إذ إن النبي ﷺ قد التحق بتلك الصلاة، فصلى مأموماً بأبي بكر رضي الله عنه.
- تنوعت وصايا رسول الله ﷺ التي ختم بها حياته مع أصحابه، ولكنها كلها أظهرت حرص النبي ﷺ على دعوته ودينه، فمن وصية بكتاب الله تعالى، إلى وصية بالصلاة، وأخرى بآل بيته، ورابعة يوصيهم فيها بطرد يهود من جزيرة العرب، ويحذرهم من الاقتداء بهم واتباعهم في طريقة بنائهم للقبور، وليس تحذير النبي ﷺ من يهود إلا دليل على امتداد خطر هؤلاء المناكيد، وسيبقى خطرهم يتهدد أمتنا حتى يشاء الله تعالى بظهور جيل ﴿عِبَادًا لَّنَآ أُوْلِى بَأْسٍ شَدِيدٍ ۝٥﴾ الإسراء: ٥

الذي سيعالج أوجاع الأرض من شرورهم.

- ليس من أزمة ولا موقف أصعب من لحظة وفاة الإنسان، كيف لا وقد ختم النبي ﷺ حياته بقوله: إن للموت سكرات، فإذا كان النبي ﷺ قد وجد تلك السكرات، وهو النبي الطاهر الكريم، فماذا نقول نحن... غفرانك ربنا وإليك المصير.
- في مواقف أصحاب رسول الله ﷺ لدى سماعهم نبأ وفاة رسول الله ﷺ ما يفيد أهمية وجود هذا التنوع في الآراء، لحماية المجتمع المسلم وإدارة أزماته بعد وفاة قائده الأول، فالتهديد الأول من عمر رضي الله عنه كان ضرورياً لضبط الأمور من الانفلات، لكن توضيح الأمر بكل هدوء من قبل أبي بكر هو الذي ضبط المسائل بشكل تام ونهائي في المحصلة.
- **كان مما أدهش عمر رضي الله عنه لدى إخبار المغيرة له بأن النبي ﷺ قد مات، أنه ما كان يتوقع أن يموت النبي الكريم قبل إغلاقه لملف كبير جدٌّ كبير يهدد كيان الدولة المسلمة؛ إنه ملف المنافقين المتغلغل في ثنايا الدولة المسلمة، هذا الكيان الخفي الذي يسري كالسم، كان يتطلب تبتراً واستئصالاً، وهذا ما كان يتوقعه عمر، ولكن هيهات هيهات، وقد جعل الله تعالى الصراع وتصفية الحسابات بين الحق والباطل لا يتوقف، لأجل ذلك بقي الملف مفتوحاً، والله المستعان.**
- **تعددت مواقف الصحابة الكرام من مسألة الإمارة وإدارة الأمور بعد رسول الله ﷺ، وقد رصدتُ مواقفهم على النحو الآتي:**

١. موقف عليٍّ والعباس وموقف الزبير رضي الله عنهم جميعاً: ولقد ذكرت موقفهم معاً لتشابه بينهم فيه وابتدأت بذكره بهم لتهامس حصل بين علي والعباس بخصوص هذا الأمر قبل وفاة الرسول ﷺ، حين أدرك العباس قبيل وفاة النبي ﷺ بأنه سيموت، لما يعرفه من وجوه أعمامه قبيل وفاتهم، وكان الاقتراح من العباس أن يذهب هو وعلي فيسألا رسول الله ﷺ عن أمر الخلافة والإمارة بعده، وهو السؤال الأخطر والأكبر سياسياً، والذي ابتعد عنه كبار الصحابة أمثال أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، وكانت الحكمة لدى العباس تقضي بأنه يريد أن يعرف موقعه وموقع آل بيت النبي ﷺ من الأمر

بين أن يكون لهم فيقبلون بذاك، وبين أن يكون لغيرهم فيوصي بهم النبي ﷺ، ولقد أوصى النبي ﷺ بآل بيته كثيراً قبل وفاته، كما أوصى بالأنصار، وفي ذلك إشارة إلى أن الخلافة لن تكون في آل البيت ولا في الأنصار، وإنما هي وصية لأي خليفة سيلي رسول الله ﷺ بهاتين الفئتين الكريمتين، فكان في جواب علي شيء من الحكمة، إذ بيَّن أن ترك السؤال أولى، وذلك حين قال: والله لئن سألناها رسول الله ﷺ فيمنعنا لا يعطيناها الناس أبداً، وإني لا أسألها رسول الله ﷺ أبداً، ثم لما مات رسول الله ﷺ امتنع علي رضي الله عنه عن البيعة فترة من الزمن، لعلها ستة أشهر تقريباً، حتى توفيت فاطمة رضي الله عنها، فكانت المراجعة، وكان التبيين وانفرجت الأمور، فكانت بيعة علي والزبير والعباس رضي الله عنهم لأبي بكر رضي الله عنه.

وجاء في رواية أخرى بأن أبا بكر رضي الله عنه افتقد علياً والزبير في يوم مبايعة الناس له، وسأل عنهما ثم بايعهما، لكن يبدو أنها كانت على مضضٍ منهما.

٢. **موقف أبي بكر** رضي الله عنه: أوحت كثير من النصوص بأحقية أبي بكر رضي الله عنه بالإمارة بعد النبي ﷺ، ولكن كلها إشارات لا تأكيد فيها، وقد ذكرنا بعضها سابقاً كاختيار النبي ﷺ لإمامة المسلمين في صلاتهم، ومنها تلك المرأة التي قال لها النبي ﷺ: ارجعي في العام القادم، فإن لم تجديني فأتي أبا بكر رضي الله عنه، ومن ذلك قول النبي ﷺ لعائشة: ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر.

أما أبو بكر رضي الله عنه فقد كان خالي الذهن من هذا الأمر كله، ولم يصدر عنه أي شيء يدل على حبه أو توفُّزه وتحفُّزه له، لأنه يعلم ثقله على النفس في الدنيا والآخرة، لأجل ذلك رشَّح للخلافة عمر أو أبا عبيدة، وكان صادقاً وجاداً في هذا الترشيح، ونِعم الترشيح هو.

٣. **موقف عمر** رضي الله عنه: كان عمر رضي الله عنه واضحاً ليس لديه أي التباس في دعم ترشيحه لأبي بكر رضي الله عنه للأمر، فبايع ودعا الناس للبيعة، ودافع عن أبي بكر أمام أي ترشيح آخر، حتى أثبت الأمر لأبي بكر رضي الله عنهما.

٤. **موقف الأنصار رضي الله عنهم:** أحب الانصار رضي الله عنهم أن يكون

لهم دَور في إدارة المرحلة القادمة، دون أن يطرحوا لذلك اسماً محدداً، ثم إنهم لما أدركوا بأن في قريش أو في المهاجرين مَن هو أولى منهم بذلك، أعلنوا موقفاً مختلفاً وسطياً، وهو من الحلول التي يطرحها الناس عادة، بأن يكون من المكيين أمير، ومن المدنيين أمير، ولم يزل الحوار بينهم وبين عمر رضي الله عنه حتى لانت قلوبهم رضي الله عنهم، واصطلحوا على أبي بكر رضي الله عنه في السقيفة، وقد كان الموقف في تلك السقيفة حاداً وحرجاً، وهنالك من يحاول زيادة حدته، لكن حكمة أبي بكر وضبط عمر رضي الله عنهما لأعصابه من جهة، **والسرعة في إتمام الأمر وعدم الخروج من تلك السقيفة قبل حسم الأمر لصالح أبي بكر؛ كل ذلك أسهم في هذا الخير، وإلا لحصلت فتنة، ولكن الله سلَّم.**

- ليس أروع ولا أفضل عند الأزمات من استحضار دليل أو نصٍّ ثابت صريح صحيح يرفع الإشكال، ويزيل اللبس، وهذا الذي أكرم الله تعالى به أبا بكر لما ذكر قول الله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ١٤٤﴾ آل عمران: ١٤٤.
- كان لموقف عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه أكبر الأثر في تسديد حراك عمر رضي الله عنه يوم أراد أن يرد على ملأ كبير من الناس فيمن يطعنون بإمارة أبي بكر، ويقولون بأنها صدفة أو فلتة عابرة، وهكذا ييسر الله تعالى لكل مخلص من البطانة الصالحة من سداد رأيه، وضبط انفعالاته، وإلا لأفسد عمر رضي الله عنه أكثر من إصلاحه في ذاك الموقف الشديد، وبقي يتربص ظرفاً مناسباً حتى وجده ثم أعلن فيه الرد المناسب على تلك الترهات وبوضوح تام، أزال فيه كل شبهة، وأسكت كل متقوِّل.
- **قبل أن يبدأ عمر رضي الله عنه حديثه السياسي فيما يتعلق بفكرة تأمير أبي بكر رضي الله عنه وتداعياتها، قدَّم بحديث حول آية حد الزنى، وأثبتها، وبيَّن كيف سيأتي على الناس زمان ينكرونها، وهذا ما حصل في زماننا هذا، كما أثبت بشرية الرسول ﷺ وكراهيته لكل من يرفع النبي ﷺ بالإطراء الزائد فوق منزلته، كما فعلت النصارى،**

فهـو بذلك يضبط عقول الناس وقلوبهم بضوابـط دينية، ثم يأتي بتوضيح مفصّل حول ما جرى.

- تأكدت خلافة أبي بكر رضي الله عنه في اليوم الثاني، ببيعة العامة بعد بيعة السـقيفة، وكان عمـر رضي الله عنه هو الداعم والمقدم والمحرض على تلـك البيعة المباركة، وقد شرح للناس أن تقديمه لأبي بكر ليس بوحيٍ من السـماء وهذا استدراك مهم، وإنما هو باجتهـاد، وذلك حتى لا يختلط الأمرُ على الناس، وليبرأ عمر رضي الله عنه من هذا الفهم الذي قد يتسرب للناس.
- **أصَّل أبو بكر رضي الله عنه في خطبته الأولى من معالم السياسـة وعناوين الإدارة الناجحة أمورا كثيرة منها:**

١. أكد أنه تولى عليهم برضاهم، وأنه منهم وليس بخيرهم.
٢. دعاهم لإعانته عند الإحسان.
٣. طلب منهم تقويمه عند الإساءة والتقصير.
٤. تنـاول أعظم قيمة تقوم عليها الشـعوب، وتبنى عليها الدول، ألا وهي قيمة الصدق.
٥. حذَّر من الكذب والخيانة لما فيهما من إفساد للبلاد وإهلاك للعباد.
٦. أكَّد مبدأ الوقوف بقوة مع كل ضعيف ومظلوم مقهور.
٧. أكَّد مبدأ الوقوف بحزم في وجه كل قوي ظلوم ومعتدٍ أثيم.
٨. أشار إلى أهمية استمرار حركة الجهاد، وضرورة ذلك في تحقيق هيبة الدولة، وبيَّن خطورة تركه، وما ينتج عن ذلك من ذل وهوان.
٩. حذر أشـد التحذير من الفواحش وانتشـارها، وحمَّل كل فرد في المجتمع مسؤولية ما ينتج عنها من بلاء وعلل.
١٠. دعا الناس للطاعة المشروطة، وبشـكل واضح وصريـح، لأنه يعلم بأنه لا طاعة لمخلوق في معصية.
١١. دعاهم لأداء الصلاة، ثم دعا لهم بالرحمة.

- أكـد موضوع مضي البيعة لأبي بكر رضي الله عنه على الرغم من عدم مبايعة علي رضي الله عنه له

في الفترة الأولى، على أنه لا اعتبار بالأقلية النادرة في الأمور السياسية، ولن يكون هنالك إجماع مطبق على أحد مطلقاً.

- وصف علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أبا بكر بالاستبداد في الأمر يوم راجعه بشأن البيعة، وقد فهم علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حزم أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وعمر في ذلك الموقف بأنه استبداد، فلما تراجعا وتصافيا زالت الغشاوة، وكانت البيعة.
- حدد ذلك اليمني (ذو عَمرو) في وصيته الغالية لجرير بن عبد الله البجلي معالم الحكم الراسخ فقال: إنكم معشر العرب لا تزالون بخير ما دمتم إذا هلك أمير تأمرتم في آخر، فإذا كانت بالسيف، كانوا ملوكاً يغضبون غضب الملوك، ويرضون رضا الملوك» وهو يؤكد بذلك أهمية عدم ترك فراغ دستوري يصنع الفوضى والإرباك المجتمعي، **كما أكد على ضرورة التداول السلمي للسلطة، دون إعمال السيف، فالسيوف لا تحل المشكلات السياسية؛ بل تُعقِّدها.**
- ألهم الله تعالى أمير المؤمنين خليفة رسول الله ﷺ الإجابة على كل سؤال فيما يتعلق بتغسيل النبي ﷺ، وتكفينه، والصلاة عليه، ودفنه، ولولا ذلك الإلهام وسرعة البديهة في الجواب المباشر، لحصل عند كل سؤال من هذه الأسئلة أزمة حادة، نظراً لأنه لم يسبق أن مات النبي الكريم أمامهم ثم قام ليخبرهم ماذا يصنعون به عند موته!، حتى إنه في كل حيثية من هذه الحيثيات شيء جديد، فقد صلوا عليه متفرقين، وليسوا مجتمعين خلف إمام واحد، وأجَّلوا دفنه ثلاثة أيام حتى تم تنظيم شؤون الدولة السياسية، ثم قاموا بدفنه في مكان موته، وليس في مقابر المسلمين، وهذه كلها خصوصيات للنبي ﷺ.
- صار الصحابة رضي الله عنهم يوصون بأن يكون دفنهم بالطريقة نفسها التي دُفن فيها رسول الله ﷺ، ولكن في مقابر المسلمين.
- أحسن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في دفاعه عن أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بعد وفاته في المشكلة التي دارت بين العباس وعلي رضي الله عنهما حول الميراث، وليس أعظم في باب احترام وتقدير الذات من احترام وتقدير الآخرين، لاسيما أولي السابقة، ومَن أساء لإخوانه فإنما يسيء لنفسه، هكذا هم الكبار.

- من أعظم ما يوحي إليه استمرار نزول الوحي على النبي ﷺ حتى وفاته، وملازمته له في يوم وفاته، هو أن سيرة النبي ﷺ كانت لا تزال تستنير بنور الوحي الكريم، حتى لقي ربه تعالى.
- مما يستوجبه كون سورة التوبة هي آخر ما نزل على النبي ﷺ، أن نولي هذه السورة العناية الفائقة، لاعتبار ما جمع الله تعالى لنا فيها من حِكم وأحكام خاتمة، بينت حالة المجتمع المسلم، وعلاقاته التي رسا إليها داخلياً وخارجياً.
- **يقول ابن تيمية:** «يجب أن يُعرف أن ولاية أمر الناس من أعظم واجبات الدين بل لا قيام للدين ولا للدنيا إلا بها».. ثم ساق أدلة عقلية على وجوب التأمير منها أنها من ما يتم به أداء الواجب فلذلك وجبت، فلا بد للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الواجبين بنص الشرع من (قوة وإمارة) «وكذلك سائر ما أوجبه الله من الجهاد والعدل وإقامة الحج والجمع والأعياد ونصر المظلوم وإقامة الحدود»[1].
- يقول الدكتور حاكم المطيري: «إن من دعا إلى مبدأ (منا أمير ومنكم أمير) لم يتعرض للاضطهاد، ولم يُصادَر حقه في إبداء رأيه، ولم تتم تصفيته بدعوى الحفاظ على النظام، إذ إن الإسلام لا يقرُّ مثل هذه الأساليب المحظورة شرعاً، وكيف يضطهد من يطالب بحقه في الشورى، وحقه في أن يرشح نفسه لتختاره الأمة، أو تختار غيره؟!»[2].
- **يقول الدكتور أحمد الريسوني:** «وإنما ساغ للصحابة الحاضرين (لمجلس النبي ﷺ يوم طلب اجتماعهم ليخبرهم بوصية لا يختلفون بعدها) في تنفيذ الطلب النبوي حتى ذهب بعضهم إلى عدم الحاجة إليه، لما يعلمون من أن التصرفات النبوية لا تكون دائماً من قبيل الوحي والرسالة، وعلى سبيل الإلزام والتشريع العام، بل تكون أحياناً مجرد تدبير آني يقدِّره عليه السلام، ويرى فيه منفعة لهم بحكم عطفه وشفقته عليهم، وقد تأكد ذلك في هذه الحالة بعدم حرصه ﷺ على تنفيذ طلبه، ولو كان وحياً وشرعاً واجب التنفيذ، لما تركه ولما وسعه تركه

t.me/ktabrwaya
مكتبة

(١) السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، الإمام ابن تيمية، ص١٧٦.
(٢) الحرية أو الطوفان، الدكتور حاكم المطيري، ص٥٧.

والانصراف عنه، ولذلك استنبط ابن عاشور قاعدة مفادها أن: «من علامات عدم قصد التشريع، عدم الحرص على تنفيذ الفعل»[1].

- أبرز الفوائد والأنوار في المجال الأمني العسكري:

- على الرغم من عدم زوال أثر الشرك والمشركين في السنة التي كانت فيها عمرة القضاء، إلا أنه طاف ﷺ هو وأصحابه حول الكعبة وليس حول الأصنام التي فيها، ولا حول الأصنام المحيطة بها، وهذا الفصل القلبي اقتضته تلك الظروف الحرجة، وإلا فهو من الناحية الشكلية يطوف حول الأصنام وحول الكعبة في الوقت ذاته، وهنا تكمن أهمية النية في صناعة ذلك الفرز الواجب.
- سن النبي ﷺ في عمرة القضاء سنة الرمل (الهرولة الخفيفة) ليري المشركين قوته، إلا أن هذه السُّنة قد استمرت، فها هو ذا عليه الصلاة والسلام في حجة الوداع يرمل على الرغم من زوال الخطر، لكنه أراد أن يُبقي الأثر.
- كان النبي ﷺ يستشعر فضل الله عليه بين الصفا والمروة، لاسيما وهو يستحضر مشهداً من أشد المشاهد التي مرت به يوم الأحزاب، فهو يقول معلناً التوحيد، ومُثنياً على الله النصير المجيد؛ لا اله إلا الله وحده، نصر عبده، وأعزَّ جنده، وهزم الأحزاب وحده.
- **في كل خطوة من خطوات شعيرة الحج ما يشي بأنه معسكر إعداد وتدريب على الجهاد، ففيه السعي والطواف، والجلوس كما الرباط معتكفين على طاعة ربهم لا ينشغلون عنه، وفيه إراقة الدم لوجه الله، وفيه الرمي، وفيه المشقة والتعب والتضحية، وبين الجهاد والحج عوامل كثيرة مشتركة، يكفي أن آية الإذن بالجهاد الأول إنما نزلت في سورة الحج وهي قوله تعالى:** ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾ الحج: ٣٩.
- أصَّل النبي ﷺ لحرمة الدماء، معلناً عن عقد السلم المجتمعي، الذي كان طالما يحرص عليه، مؤكداً حرمة دماء المسلمين على بعضهم.

---

(١) مقاصد المقاصد، الأستاذ الدكتور أحمد الريسوني، ص٥٣.

إبليس الذي نرجمه هناك في الجمرات، ليس إلا تعبير رمزي عن إبليس الموجود في نفوسنا، والمتغلغل في مختلف أركان حياتنا، والمسيطر على عروش الفاسدين من الساسة لدينا، ولكنه مشهد يجسد استعداد المسلم للمقاومة بأقل ما يمكن (حجارة الخذف) في مواجهة أعتى قوة في الدنيا، طالما أنه مع كل حذف ورمي يردد: الله أكبر الله أكبر، وصدق الله: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ۚ وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾﴾ الأنفال: ١٧.

كان بإمكان النبي ﷺ أن يكلف من يشاء من أصحابه في الذبح، لكنه ذبح بيده الشريفة ثلاثاً وستين بدنة، وهذا فيه من الدلالة على قوة النبي ﷺ وشدة بأسه من جهة، كما أن فيه إشارة إلى تلك السنوات التي عاشها النبي ﷺ، وكأنه أراد أن يقدم لله تعالى شكراً على كل سنة عاشها، أو إنه أراد أن يطلب عفو الله تعالى عن سنواته هذه كلها، ثم أعطى السكين لعلي رضي الله عنه حتى يُتم الذبح، وعلي رضي الله عنه هو الذي ساق الهدي مع النبي ﷺ ابتداء، لأجل ذلك لم يرغب رسول الله ﷺ أن يعطي هذا الشرف لغيره، فلعله يجد في نفسه ويحزن.

ليس ثمة فرق كبير عند التحلل من الإحرام بين الحلق والتقصير، ولكن يبدو لما في الحلق من سخاءً أكثر وأكبر يشعر به كل من حلق، دون مَن قصَّر؛ كان النبي ﷺ قد دعا بالرحمة وكرر الترحم على من حلق، ولولا إصرار السائل على طلب الرحمة للمقصرين ما دعا لهم، وهذا الحديث في شكله وأسلوبه يشبه حديث حق الصحبة للأم ثم للأب.

لم يكن النبي ﷺ في اختياره لقادته العسكريين معتبطاً ولا ضارباً بليل، وإنما كان يختارهم ويعرف كيف يختارهم، ويهيئهم للمهمات الصعبة قبل تكليفهم بها، فأسامة رضي الله عنه لما جعله النبي ﷺ أميراً لفتح فلسطين وبلاد الشام كان شاباً قد مارس الجهاد من خلال عدة سرايا أرسله فيها، كما أن النبي ﷺ يعرف أسامة في الحل والسفر، ألم يكن رِدفه في حجة الوداع، ولإرساله إلى بلاد الشام وفلسطين رفع لمعنوياته واستثمار لطاقته، فهو يريد أن يوجهه إلى البلاد التي استشهد فيها والده

زيد بن حارثة (بطل مؤتة)، لأجل ذلك كره النبي ﷺ تلك الأصوات المعترضة على أسامة رضي الله عنه، وهذا نوع توزيع للأدوار ينسجم مع قول الله تعالى: ﴿ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾ ﴾ آل عمران: ١٢١ **والأهم من القيادة، وجود فريق متفاعل متفاهم لتكتمل الحلقة، فإذا كان في الجيش أمثال عمر رضي الله عنه فإن الجيش لن يزيغ بتوفيق من الله تعالى، ولقد تعلَّم أسامة رضي الله عنه من محكات سابقة وأخطاء وقع فيها (شفاعته للمخزومية، وقتله لمن قال لا إله إلا الله...) وليس أفضل في باب التعلُّم أن تتعلم من أخطائك، لأنك لاشك لن تكررها.**

- سيبقى الجدال قائماً في مسألة وفاة النبي ﷺ بأثرٍ من سُمِّ خيبر، فمِن قائلٍ بذلك لما صح عن النبي ﷺ أنه أعلن عن تأثره بذاك السم قبيل وفاته، وهو بذلك يريد أن ينسب شرف الشهادة لرسول الله ﷺ، ومِن قائل بعدم جواز وقوع ذلك على الرسول الكريم الذي حكم الله تعالى بعصمته من الناس، ولأن منزلة النبي ﷺ أعلى وأجلُّ من منزلة الشهيد، وكلٌّ يريد أن يزكي رسول الله ﷺ، ويرفع من قيمته، والله تعالى قول: ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾ ﴾ الشرح: ٤

ولا أجد في نفسي ما يمنع تشريف الله تعالى نبيه ﷺ بهذا الشرف، ولا يقلل ذلك من مرتبة النبوة، فرسولنا الكريم قد نال مرتبة النبوة والصديقية والشهادة، ولا ضير؛ وقد جمع الله تعالى له الخير كله، ولقد أعجبني تحمس عبد الله بن مسعود رضي الله عنه لفكرة نيل النبي ﷺ وسام الشهادة حين قال: [1]» لأن أحلف بالله تسعاً، إن رسول الله ﷺ قُتل قتلاً، أحب إليَّ من أن أحلف واحدة، وذلك بأن الله عز وجل اتخذه نبياً، وجعله شهيدا (يشير إلى قتل اليهود له بالسُّم)».

ولقد كان ﷺ يتمنى الشهادة في موضع عديدة، صلى الله عليك وسلم يا رسول الله.

طبتَ حياً وميتاً يا حبيب الله

تمَّ بحمد الله تعالى

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده ١/ ٤٠٨، وقال الدكتور همام سعيد وابنه الدكتور محمد في موسوعة الشمائل النبوية: هو صحيح.

بدأ التشريع الإسلامي يأخذ شكله وتتضح معالمه في المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والتعبدية والسلوكية والعسكرية وغيرها مع كل آية تتنزل على قلب النبي ﷺ، حتى تمم الله له الدين وأكمله، قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ ۙ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣﴾﴾ المائدة: ٣

أولا: في الجانب التربوي التزكوي النفسي:

- كانت التربية بالأحداث المتعاقبة، وبحضور المعلم والمربي الأول (القدوة) سيدنا محمد ﷺ بين أصحابه تشكل أكبر عامل مع عوامل صقل نفوس هؤلاء الأصحاب الكرام، وتربيتها على القيم العالية؛ كالبذل والعطاء والتضحية والشجاعة وسعة الصدر والاستيعاب والأخوة والإيثار والأمانة والمبادرة والإيجابية والشعور بالمسؤولية بشكل عام.
- كانت التربية بالتنويه أو التعليق أو المحاسبة على الخطأ المتنوع في حجمه، مما ترك أبلغ الأثر في نفس المخطئ ومَن حوله ممن شهد ذاك المشهد.
- كان الجانب البشري حاضراً ولم يغب حتى عن شخصية النبي ﷺ وهو الموحى له من عند الله تعالى، مما جعله ذلك يأخذ بخلاف الأولى في بعض المواقف، فيأتيه وحي السماء مصححاً أو مستدركاً أو حتى معاتباً أحياناً.
- كان التحفيز المادي والمعنوي عنواناً من عناوين مضاعفة الإنتاجية والإتقان، وتحقيق الإيجابية المطلوبة، والشعور بالمسؤولية لكل فرد من أفراد المجتمع المدني.

ثانيا: في الجانب الاجتماعي الدعوي التواصلي:

- كان الهاجس الأكبر الذي برز في العهد المدني هو الحرص على استيعاب أكبر

عدد ممكن من المؤمنين الجدد برسالة الإسلام العالمية، وإلا فتحييد من يمكن تحييده عن طريق جيش الدعاة العظيم، وإلا فالمواجهة لكسر إرادة مانعي الخير عن كل بقعة يتاح لهذا الخير أن يصل إليها.

- حرص النبي ﷺ على تمتين الجبهة الداخلية وتعزيز أواصر المحبة والأخوة وبذر بذور التكافل والتعاون، فظهرت نماذج سطرها التاريخ، تشهد للروح العالية في ذاك العهد المجيد.
- حرص النبي ﷺ على اكتشاف وتنمية واستثمار طاقات أصحابه، فأبلى كلٌّ في ميدانه بلاءً حسناً، ومهَّد ذلك لتكليفهم بمسؤوليات كبرى أثناء وبعد حياة النبي ﷺ.
- استخدم النبي ﷺ العديد من استراتيجيات الدعوة والتبليغ والاتصال في ذاك العهد، ومنها:

١. الاتصال الفردي المباشر، والاتصال الجماعي من خلال منابر الخطابة والوعظ المتعددة.
٢. مراسلة الملوك واستقبال الوفود والإجابة على سؤالات السائلين، ومخاطبة الناس على قدر عقولهم، وإنزال الناس منازلهم.
٣. القدوة الحسنة والسلوك الطيب، والدفع والمجادلة بالتي هي أحسن.
٤. كان النبي ﷺ حريصاً على توريث منهجه وطريقته وأسلوبه في الدعوة والاتصال بالناس، وليس فقط على تبليغ الدين وتعليم الأحكام، وبالتالي حمل كل فرد من الصحابة مسؤولية تبليغ الدين للآخرين ونشره والدفاع عنه في العالمين.

ثالثا: في الجانب الاقتصادي المعاشي:

- أكَّد النبي ﷺ مبدأ التكافل، بحيث يحمل الأنصاري أخاه المهاجر ويحمل الغني أخاه الفقير.
- فتح التشريع الإسلامي في العهد المدني آفاق الحركة الاقتصادية النشطة من خلال تشريعه لأحكام صدقة الفطر والزكاة والكفارات والنذور وغيرها.

- ضبط التشريع الإسلامي الحركة الاقتصادية بضوابط تحمي المجتمع من آفات الكسب والصرف الحرام، والتي من شأنها إضعاف السوق وإنهاك الناس.
- كان للغزوات والفتوحات ما لها ما دور في تنشيط الحركة الاقتصادية في المدينة، حيث الفيء والغنيمة والجزية والخراج وفداء الأسرى وأحكامها.
- بدأت سوق المدينة تتحرك في مقابل أسواق كان اليهود يسيطرون عليها قبل هجرة النبي ﷺ إليها.

رابعا: في الجانب الإداري السياسي:

- أسست وثيقة المدينة المنورة للعديد من القواعد السياسية التي تضبط علاقة المسلمين ببعضهم وعلاقتهم بغيرهم.
- انطلقت معالم السياسة الشرعية على قاعدة حفظ المصالح والضرورات الخمس، فمثلاً حيثما كان للسلم باب مفتوح كان النبي ﷺ يحرص على إبقائه مفتوحاً وإلا فالبادئ أظلم.
- في لغة الخطاب النبوي وفي منهجية الحراك النبوي في العهد المدني ما يؤكد أن صورة ذلك في مرحلة الدعوة تختلف عن صورتها في مرحلة الدولة، فلقد تحول المسلمون آنذاك من فقه الاستضعاف إلى فقه الإستخلاف، ولم يعد الباطل يتصيدهم كأفراد فقد صاروا أمة تعرف قدر نفسها، ويحسب لها الخصوم ألف حساب.
- برزت بوضوح قاعدة (الضرورات التي تبيح المحظورات) بتفريعاتها وأقسامها لتعطي مجالاً وحيزاً معقولاً للساسة أن يتحركوا عند كل مضيق ومنعطف، ولكن دون استباحة للخوض في الحرام، فالأمر إذا ضاق اتسع، لكنه إذا اتسع ضاق.
- كان لإدارة الأزمات الحظ الأوفر في العهد المدني، فعلى الرغم من كثرة الفرص المتاحة إلا أن التحديات كانت ولم تزل منذ اللحظة الأولى للهجرة، وحتى ما بعد وفاة الحبيب ﷺ.
- يقول الأستاذ محمد النوباني: «ازداد التمايز بين الكتل الداخلية والخارجية بشكل موازٍ مع ازدياد المشروع الإسلامي في التوسع، حيث ازدادت الكتل المناوئة للمشروع الإسلامي ما بين معسكر قريش واليهود والمنافقين، إلى الروم والفرس

والحبشة والغساسنة...»[1].

خامسا: في الجانب الأمني العسكري:

- غلب الحراك والتشابك العسكري على مرويات العهد المدني، لما لسخونة المواجهة من أثر في نفوس حاملي هذه الروايات، ولأن المعارك تبقى آثارها في الذاكرة الانفعالية بعيدة المدى أكثر من غيرها.
- تنوعت وتعددت استراتيجيات الحراك العسكري بين دفاع وهجوم وبين كرٍّ وفرٍّ بحسب مقتضى الحال.
- حرص النبي ﷺ على الجمع بين استمراره في نشر رسالة الإسلام السمحة، وبين المحافظة على هيبة الكيان الوليد الجديد، يقول الأسير المقدسي محمود عيسى: «وبعد الهجرة كانت سياسته ﷺ مع هذه القبائل أن يسالم من أراد المسالمة والموادعة، ويحارب من أراد حربه وسعى لها، وأن يستمر في دعوته إلى الله، وبقي هذا دأبه... حتى فتح مكة»[2].
- بدأ الوجود الإسلامي في المدينة على قاعدة حسن النية في التعامل مع الآخرين، لاسيما بعد ضبط العلاقة معهم من خلال ما عرف بوثيقة المدينة، ولكن سرعان ما بدأ الآخرون بالخيانات المتعاقبة، فكان الرد الحازم لكل من ثبت تورطه في الخيانة.
- كان الجانب الأمني يزداد ويتعاظم لاسيما في مجتمع يسكنه يهود، وينخر فيه رؤوس النفاق، فالحذر والعين المفتوحة والساهرة كل ذلك مطلوب آنذاك، ليس لأجل حماية الحراك الدعوي والجبهة العسكرية فحسب؛ وإنما لأجل حماية مكتسبات الدولة المسلمة كذلك.
- جمع النبي ﷺ في حراكه العسكري والأمني بين الأخذ بالأسباب المادية البحتة، وبين الحرص على السبب الرباني الروحي المعنوي، ليؤكد علاقة الحس الأمني بالحس الإيماني، في ظروف كانت تصل في تعقيدها إلى أن تبلغ القلوب الحناجر ويظن البعض بالله الظنونا.

(١) النظرية الحركية في السياسة الشرعية، الأستاذ محمد النوباني، ص١٨٧.

(٢) السياسة بين الواقعية والشرعية، الأسير المقدسي محمود عيسى، ص ١٧٨.

مثلما أكرمنا الله تعالى بالوقوف على دلالات وهدايات سورة الأنعام مكية النزول في ختام الجزء الأول من السيرة النبوية المستنيرة، فإنه يطيب لنا أن نقف على دلالات وهدايات **سورة براءة مدنية النزول** في ختام هذا الجزء، والغاية أولاً وأخير أن تبقى معالم السيرة المستنيرة بالوحي والقرآن واضحة ظاهرة للعيان حتى لا يظن ظان بأن محمداً ﷺ لم يكن زعيماً ملهماً وقائداً عظيماً فحسب، دون أن يكون له أي اتصال بالوحي من السماء.

كما أنني قمت باختيار سورة التوبة هنا لأنها كما أسلفت في الروايات السابقة مدنية النزول، وهي من آخر ما نزل على قلب النبي ﷺ، فإلى الدراسة، والتي اخترت مجملها من كلمات الإمام ابن عاشور في مقدمة تفسيره للسورة وذلك بتصرف يسير مني حيث قال ابن عاشور رحمه الله: «سُميت هذه السورة في أكثر المصاحف وفي كلام السلف: سورة «براءة» ولهذه السورة أسماء أخر، وقعت في كلام السلف، من الصحابة والتابعين، فروي عن ابن عمر، وعن ابن عباس: كنا ندعوها - أي سورة «براءة «- المقشقشة من قشقشه: إذا أبراه من المرض، كان هذا لقباً لها ولسورة الكافرون لأنهما تخلصان من آمن بما فيهما من النفاق والشرك، لما فيهما من الدعاء إلى الإخلاص، ولما فيهما من وصف أحوال المنافقين، وكان ابن عباس يدعوها الفاضحة قال: ما زال ينزل فيها «ومنهم ومنهم «حتى ظننا أنه لا يبقى أحد إلا ذكر فيها.

وعن حذيفة: أنه سماها سورة العذاب لأنها نزلت بعذاب الكفار، أي عذاب القتل والأخذ حين يثقفون، وعن عبيد بن عمير أنه سماها المنقِّرة لأنها نقرت عما في قلوب المشركين، وعن المقداد بن الأسود، وأبي أيوب الأنصاري: تسميتها البحوث بمعنى الباحثة وهو مثل تسميتها المنقرة.

وعن الحسن البصري أنه دعاها الحافرة كأنها حفرت عما في قلوب المنافقين من النفاق، فأظهرته للمسلمين.

وعن قتادة: أنها تسمى المثيرة لأنها أثارت عورات المنافقين وأظهرتها.

وعن ابن عباس أنه سماها المبعثرة لأنها بعثرت عن أسرار المنافقين، أي أخرجتها من مكانها.

وفي الإتقان: أنها تسمى المخزية وأحسب أن ذلك لقوله تعالى: إن الله مخزي الكافرين

وفي الإتقان أنها تسمى المنكلة، وفيه أنها تسمى المشددة.

وعن سفيان أنها تسمى المدمدمة من دمدم: إذا أهلك، لأنها كانت سبب هلاك المشركين. فهذه أربعة عشر اسماً.

- وهي مدنية بالاتفاق.
- وهذه السورة آخر السور نزولاً عند الجميع، نزلت بعد سورة الفتح، في قول جابر بن زيد، فهي السورة الرابعة عشر بعد المائة في عداد نزول سور القرآن.
- والجمهور على أنها نزلت دفعة واحدة، فتكون مثل سورة الأنعام بين السور الطوال.

وعدد آيها، في عد أهل المدينة ومكة والشام والبصرة: مائة وثلاثون آية، وفي عد أهل الكوفة مائة وتسع وعشرون آية.

أما عن مقاصدها وأبرز معانيها فيعدد ابن عاشور رحمه الله ذلك بقوله:

١. افتتحت السورة بتحديد مدة العهود التي بين النبي ﷺ وبين المشركين وما يتبع ذلك من حالة حرب وأمن وفي خلال مدة الحرب مدة تمكينهم من تلقي دعوة الدين وسماع القرآن.
٢. وأتبع بأحكام الوفاء والنكث وموالاتهم.
٣. ومنع المشركين من دخول المسجد الحرام وحضور مناسك الحج.
٤. وإبطال مناصب الجاهلية التي كانوا يعتزون بأنهم أهلها.
٥. وإعلان حالة الحرب بين المسلمين وبينهم.
٦. وإعلان الحرب على أهل الكتاب من العرب حتى يعطوا الجزية، وأنهم ليسوا

بعيداً من أهل الشرك وأن الجميع لا تنفعهم قوتهم ولا أموالهم.

٧. وحرمة الأشهر الحرام.

٨. وضبط السنة الشرعية وإبطال النسيء الذي كان عند الجاهلية.

٩. وتحريض المسلمين على المبادرة بالإجابة إلى النفير للقتال في سبيل الله ونصر النبي ﷺ وأن الله ناصر نبيه وناصر الذين ينصرونه.

١٠. وتذكيرهم بنصر الله رسوله يوم حنين، وبنصره إذ أنجاه من كيد المشركين بما هيأ له من الهجرة إلى المدينة.

١١. والإشارة إلى التجهيز بغزوة تبوك.

١٢. وذم المنافقين المتثاقلين والمعتذرين والمستأذنين في التخلف بلا عذر.

١٣. وصفات أهل النفاق من جبن وبخل وحرص على أخذ الصدقات مع أنهم ليسوا بمستحقيها.

١٤. وذكر أذاهم الرسول ﷺ بالقول.

١٥. وأيمانهم الكاذبة وأمرهم بالمنكر ونهيهم عن المعروف وكذبهم في عهودهم وسخريتهم بضعفاء المؤمنين.

١٦. والأمر بضرب الجزية على أهل الكتاب.

١٧. ومذمة ما أدخله الأحبار والرهبان في دينهم من العقائد الباطلة، ومن التكالب على الأموال.

١٨. وأمر الله بجهاد الكفار والمنافقين.

١٩. ونهي المؤمنين عن الاستعانة بهم في جهادهم والاستغفار لهم.

٢٠. ونهي نبيه ﷺ عن الصلاة على موتاهم.

٢١. وضرب المثل بالأمم الماضية.

٢٢. وذكر الذين اتخذوا مسجد الضرار عن سوء نية، وفضل مسجد قباء ومسجد الرسول بالمدينة.

٢٣. وانتقل إلى وصف حالة الأعراب من محسنهم ومسيئهم ومهاجرهم ومتخلفهم، وقوبلت صفات أهل الكفر والنفاق بأضدادها صفات المسلمين وذكر ما أعد

لهم من الخير.

٢٤. وذكر في خلال ذلك فضل أبي بكر، وفضل المهاجرين والأنصار.

٢٥. والتحريض على الصدقة والتوبة والعمل الصالح.

٢٦. والجهاد وأنه فرض على الكفاية.

٢٧. والتذكير بنصر الله المؤمنين يوم حنين بعد يأسهم.

٢٨. والتنويه بغزوة تبوك وجيشها، والذين تاب الله عليهم من المتخلفين عنها.

٢٩. والامتنان على المسلمين بأن أرسل فيهم رسولاً منهم، جبله على صفات فيها كل خير لهم.

٣٠. وشرع الزكاة ومصارفها والأمر بالفقه في الدين ونشر دعوة الدين»[1].

هذه هي خلاصة ما جاء في السورة الخاتمة من مقاصد وأحكام، وهي ما انتهى إليه التشريع الإسلامي في صورته الأخيرة، مما يحكي حالة المجتمع المدني؛ وما بلغه من قوة ورسوخ من جهة، ووضوح وانكشاف من جهة أخرى، وكأنها تحكي لنا أننا سنعود إلى تلك الحالة من العزة والشموخ يوم نتتبع خطى السيرة المستنيرة خطوة بخطوة، فنصلي كما صلى الحبيب ونصوم ونزكي ونحج وندعو ونجاهد، وننظم علاقتنا بربنا وبأنفسنا وبغيرنا بالطريقة نفسها التي كان عليها الحبيب، لنبلغ من الشموخ والعلو والرفعة مبلغه، دون أن تنسخ آيات هذه السورة ما جاء قبلها من سور وآيات، فلكل مقام مقال، ولكل زمان أحكامه التي فصَّلها القرآن تفصيلاً، والحمد لله أوله وآخره.

---

(١) تفسير التحرير والتنوير، الإمام محمد الطاهر بن عاشور، ١١/ ٩٤-٩٥.

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الأمين، وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين، المجاهدين المرابطين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

لم أكد أنتهي من تتبع السيرة المستنيرة حتى فاضت جوارحي كلها شوقاً إلى الحبيب ﷺ، فالحر من راعى وداد لحظة، وقد كانت لحظات، أو انتمى لمن أفاده لفظة، وقد كانت ألفاظاً بل مواقف بل حياة.

سلام عليك يا رسول الله، سلام عليك يا حبيب الله، سلام على يا زعيم الأمة وقائدها ومعلمها ومرشدها ورائدها وسيدها وشفيعها.

وماذا يكتب القلم بعد أن أسدل القدر الإلهي ستار السيرة المستنيرة بنور الوحي الكريم، وهل بقي لدينا ما نقوله ونكتبه.

إنني في هذه اللحظة أعلن رغبتي الجامحة وشوقي الكبير للعودة إلى السيرة المستنيرة من البداية حتى هذه النهاية، أقرأ وأتتبع خطوات الحبيب من إرهاصات مولده مروراً بما مر به من يُتم وتكليف بالدعوة وهجرة وجهاد وفتح، ثم موت، حتى إذا انتهيت تجددت الرغبة لديَّ بالعودة لها من جديد، على طريقة الختمة للمصحف بصورة الحال المرتحل، كيف لا، وحياة النبي ﷺ كانت ترجمة عملية لكلام رب البرية، ولئن كان القرآن هو كتاب ربنا المسطور، فإن محمد ﷺ هو كتاب ربنا المنظور.

وصدق الشاعر وليد الأعظمي إذ يقول:

أعِدْ عليَّ حديث المصطفى أعِدِ ... ونوِّرِ القلب بالإيمان والرَّشَدِ

واقصصْ عليَّ حكايات بها عبرٌ ... لمن يريد جلاء الهمِّ والكمَدِ

فسيرة المصطفى نورٌ يضيء لنا ... سبيلنا للعلى بالنصر والمدَدِ[1]

لقد استشعرت عظم وخطورة مهمة رسول الله ﷺ مع كل تتبع لخطواته المباركة،

(١) ديوان وليد الأعظمي، الشاعر وليد الأعظمي، ص ٤٠٤.

لأقف في هذه اللحظات وكأنني بين من حج معه على صعيد عرفات فأصدح بمثل ما صدح به الصحب الكريم: أشـــهد أنك يا رسول الله قد بلَّغت الرسالة، وأديت الأمانة، ونصحت الأمة، وكشـــفت الغمة، وجاهدت في الله حق جهاده حتى أتاك اليقين، وما أجمـــل ما قاله الإمام أبو الأعلى المودودي حـــول خطورة مهمة نبينا الكريم ﷺ، فهو يقـــول: «حقاً لقد كانت هذه المهمة في منتهى الخطورة والارهاف: شـــخصية واحدة تجتمع فيهـــا مكانتان: مكانة بشرية، ومكانة النبوة، دون أن يمكن تفريق إحداهما عن الأخرى بخط واضح، إلا أن الرســـول ﷺ قد قام بهذه المهمة على أحسن وجه وأقوم طريق، بما آتاه الله من الحكمة، **ففي جانبٍ جعل أصحابه يطيعون محمداً الرســـول**، طاعة ما رأت مثلها عين السماء، منذ بدء الخليقة لأمير من الأمراء أو لملك من الملوك، **وفي الجانـــب الآخر منح محمد البشر، لأتباعه المتفانين فيه المســـتميتين له حرية في التفكير والرأي** لم يمنح مثلها أي رجل عظيم متغالٍ في حب المســـاواة والديمقراطية، مَن كان تحت إمرته من بني جنسه»[1].

لقد كانت جولة في رحاب الســـيرة المســـتنيرة ماتعة نافعة، وأسأل الله تعالى أن تكون لي ولوالـــديَّ ولزوجتـــي وأولادي ولمن لهم حق عليَّ كذلـــك رافعة ومقبولة وشافعة.

هذا جهد المقل، ولا يزعم أحد أنه جمع فأوعى في باب دراســـة سيرة النبي ﷺ، فإن كان فيه من خلل وزلل فإنني أســـتغفر اللـــه العظيم وأتوب إليه، وإن كان فيها من خير ونور فإنني أحمد الله تعالى على ما ألهمَ وأعان وســـدد، فلقد كنت أستخير ربي فيما آخذُ وأدعُ من الروايات والأفكار السانحة، والحمد لله أوله وآخره.

(١) مفاهيم إسلامية حول الدين والدولة، الامام أبي الأعلى المودودي، ص ٩٧.

الفهارس:
قائمة المصادر والمراجع:

١. أخلاق الحروب في السُّنة النبوية، الدكتور راغب السرجاني، مؤسسة اقرأ، ط١، ٢٠١٠م.

٢. الأساس في السنة وفقهها في السيرة النبوية، سعيد حوى، ط دار السلام، مصر.

٣. أصول الاقتصاد الإسلامي، لرفيق يونس، دمشق، دار القلم، بيروت، الدار الشامية، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.

٤. أصول الفكر السياسي في القرآن المكي: عبد القادر التجاني/ ط١/ ١٩٩٥م/ دار البشير في عمان.

٥. الاقتصاد الإسلامي في ضوء الشريعة الإسلامية، لمحمود بابلي، الرياض، مطبعة المدينة المنورة،ط٢، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٦م.

٦. إنها النبوة، الدكتور صالح رضا، مطبعة الشرق الأوسط، ط٢، ٢٠١٠م.

٧. أنوار الفجر في فضائل أهل بدر، الدكتور سيد العفاني، ط دار العفاني، ط١، ٢٠٠٦م.

٨. التاريخ السياسي والعسكري لدولة المدينة، الدكتور علي معطي، مؤسسة المعارف، بيروت، ط١، ١٩٩٨م.

٩. تاج العروس من جواهر القاموس للزبيدي: ط دار إحياء التراث، ط١٩٨٤م.

١٠. تاريخ الأمم والملوك للإمام أبي جعفر الطبري، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، دار سويدان بيروت، ط١.

١١. تأملات في سيرة الرسول ﷺ، الدكتور محمد السيد الوكيل، دار المجتمع، ط١، ١٩٨٧م.

١٢. التعريفات لعلي بن محمد الجرجاني: تحقيق ابراهيم الأبياري، ط دار الريان للتراث.

١٣. تفسير إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، للإمام أبي السعود محمد بن العمادي، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، ط مكتبة الرياض الحديثة، ١٩٩٩م.

١٤. تفسير البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، دار إحياء التراث العربي، ط ١٩٩٩م.
١٥. تفسير التحرير والتنوير، الإمام محمد الطاهر بن عاشور، ط دار سحنون، تونس، ١٩٨٠م.
١٦. تفسير تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، الشيخ عبد الرحمن بن ناصر بن السعدي، ط دار ابن حزم، ط ٢٠٠٧م.
١٧. تفسير جامع البيان، الإمام الطبري، ط دار الفكر، ط١، ١٩٩٥م.
١٨. تفسير الجامع لأحكام القرآن للإمام محمد بن أحمد القرطبي، دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٩٩٥م.
١٩. تفسير خواطر الشعراوي، الشيخ محمد متولي الشعراوي، دار أخبار اليوم، ٢٠٠٦م.
٢٠. تفسير روح المعاني، الإمام الآلوسي، ط دار إحياء التراث العربي، ط ١٩٩٨م.
٢١. تفسير القرآن العظيم، الإمام ابن كثير، ط دار طيبة، ط ٢٠٠٢م.
٢٢. تفسير مفاتيح الغيب، الإمام الرازي، ط دار الكتب العلمية، ط ٢٠٠٤م.
٢٣. تفسير المنار، الشيخ محمد رشيد رضا، الهيئة المصرية للكتاب، ط ٢، ١٩٩٨م.
٢٤. التفسير الوسيط للقرآن الكريم، الشيخ محمد سيد طنطاوي، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧ هـ ١٩٧٨م.
٢٥. تفسير فتح القدير، الإمام محمد بن علي الشوكاني، دار المعرفة، ٢٠٠٤م.
٢٦. تفسير في ظلال القرآن، الأستاذ سيد قطب، ط دار الشروق، ط ٣٢، ٢٠٠٣م.
٢٧. جامع الترمذي، الإمام محمد بن عيسى الترمذي، ط دار الكتب العلمية، ط ٢٠٠٠م.
٢٨. الجواب الصحيح لمن بدَّل دين المسيح لشيخ الاسلام ابن تيمية، تحقيق علي ناصر وآخرون، دار العاصمة، ط٢، ١٩٩٩م.
٢٩. الحرية أو الطوفان، الدكتور حاكم المطيري، ط ٥، ٢٠١٣م.
٣٠. الدبلوماسية النبوية (في مكة)، الاستاذ عبد الرحمن أبو المجد، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت، ط١، ٢٠٠٩م.

٣١. دراسات في السيرة النبوية، حسين مؤنس، الزهراء للإعلام العربي، ط١، ١٩٨٤م، القاهرة.
٣٢. دراسة في السيرة، الدكتور عماد الدين خليل، دار النفائس، ط٤، ٢٠١٤م.
٣٣. دروس في السيرة النبوية وعبرها، الدكتور أحمد العليمي، مطبوعات جامعة الإمارات، ٢٠١٠م.
٣٤. ديوان وليد الأعظمي، الشاعر وليد الأعظمي، ط دار القلم، ط ٣، ٢٠٠٤م.
٣٥. الرحيق المختوم، صفي الرحمن المباركفوري، ط دار النفائس، ط ١، ٢٠٠٦م.
٣٦. الرسول ﷺ، سعيد حوى، ط دار عمار بيروت وعمان، ط ١٩٨٨م.
٣٧. الرسول القائد ﷺ، محمود شيت خطاب، ط٢، ١٩٦٠م، دار مكتبة النهضة بغداد.
٣٨. زاد المعاد، الإمام شمس الدين ابن قيم الجوزية، ط مؤسسة الرسالة، ط ١٩٩٨م.
٣٩. زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن قيم الجوزية، تحقيق مصطفى عطا، دار الكتب العلمية، ط٢، ٢٠٠٢م.
٤٠. سنن النسائي، الإمام أحمد بن شعيب النسائي، ط مكتبة المطبوعات الإسلامية، ط ١٩٩٤م.
٤١. سنن أبي داود، الإمام سليمان بن الأشعث السجستاني، ط المكتبة العصرية.
٤٢. سنن الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي، تحقيق عادل مرشد، ط دار الأعلام، ط١، ٢٠٠١م.
٤٣. السياسة الشرعية، الاستاذ الدكتور عبد الله ابراهيم الكيلاني، ط١، دار الفرقان والمعهد العالمي للفكر، ٢٠٠٩.
٤٤. السياسة الشرعية عند الإمام ابن قيم الجوزية، لجميلة بنت عبد القادر الرفاعي، ص ٤٧، دار الفرقان، عمان، الأردن، ط٢٠٠٤م.
٤٥. السياسة بين الواقعية والشرعية، الأسير المقدسي محمود عيسى، ط دار العلوم العربية، ط١، ٢٠١٦م.
٤٦. السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، الإمام ابن تيمية، دار ابن حزم،

ط١، ٢٠٠٥.
٤٧. سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، مؤسسة الرسالة، ط ٢٠٠١م.
٤٨. السيرة الحلبية (إنسان العيون في سيرة النبي المأمون) لعلي بن ابراهيم الحلبي، ط دار الكتب العلمية، ط٣، ٢٠١٠م.
٤٩. السيرة النبوية، الإمام عبد الملك بن هشام، ط مؤسسة علوم القرآن.
٥٠. السيرة النبوية، الشيخ أبو الحسن الندوي، دار القلم، ط٥، ٢٠١٠م.
٥١. السيرة النبوية دروس وعبر للدكتور مصطفى السباعي: ط دار ابن حزم، ٢٠١٠م.
٥٢. السيرة النبوية للدكتور عمر نجار علي: دار النداء اسطنبول، ط١، ٢٠١٤م
٥٣. السيرة النبوية دروس وعبر، الدكتور علي الصلابي، دار الكتاب الثقافي، عمان.
٥٤. السيرة النبوية للإمام شمس الدين الذهبي، تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرون، ط مؤسسة الرسالة، ط١١، ١٩٩٨م.
٥٥. السيرة النبوية دروس وعبر للدكتور مصطفى السباعي، دار ابن حزم، ٢٠١٠م.
٥٦. السيرة النبوية في الصحيحين وعند ابن اسحاق، للدكتور سلمان بن حمد العودة، ط دار نور الاسلام، ط١.
٥٧. السيرة النبوية لعبد الملك بن هشام، ط مؤسسة علوم القرآن.
٥٨. السيرة النبوية الصحيحة، الدكتور أكرم ضياء العمري، ط مكتبة العبيكان، ط٧، ٢٠١٣م.
٥٩. السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة، الدكتور محمد محمد أبو شهبة، دار القلم، ط١١، ٢٠١١م.
٦٠. شرح السنة لأبي محمد الحسين البغوي، تحقيق علي معوض، دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٦٥م.
٦١. الشفا بتعريف حقوق المصطفى، القاضي عياض، دار الكتاب العربي، ١٩٨٤م، ط١.
٦٢. صحيح أسباب النزول، الشيخ ابراهيم العلي، دار القلم، ط١، ٢٠٠٣م.

٦٣. صحيح ابن حبان، الإمام محمد بن حبان البستي، ط مؤسسة الرسالة، ط ٢، ١٩٩٣م.
٦٤. صحيح البخاري، الإمام محمد بن إسماعيل البخاري، ط دار الريان للتراث، ١٩٨٦م.
٦٥. صحيح السيرة النبوية، ابراهيم العلي، ط دار النفائس، ط١٠، ٢٠١٥م.
٦٦. صحيح مسلم، الإمام مسلم بن الحجاج، دار إحياء الكتب العربية، ط ٢٠٠٢م.
٦٧. صفة الصفوة، لأبي الفرج بن الجوزي، ط دار الكتب العلمية، تحقيق سعيد اللحام وابراهيم رمضان، ط١، ١٩٨٥م.
٦٨. صلح الحديبية، محمد أحمد باشميل، دار الفكر، ط٣، ١٩٧٣م.
٦٩. صور من جهاد الصحابة، عمليات جهادية خاصة، الدكتور صلاح الخالدي، ط دار القلم، ط٢، ٢٠٠٣م.
٧٠. الطبقات الكبير، ابن سعد، مكتبة الخانجي بالقاهرة، تحقيق علي محمد عمر، ط١، ٢٠٠١م.
٧١. طريق الدعوة في ظلال السيرة، محمد عبد الهادي ظاهر، دار عمار، ط٢٠٠٧م، ط١.
٧٢. الطرق الحكمية في السياسة الشرعية، لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر «ابن قيم الجوزية»، تحقيق: محمد بن حامد الفقي، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، جمهورية مصر العربية، ط ١٩٥٣م.
٧٣. عقيدة المسلم، الشيخ محمد الغزالي، ط دار القلم دمشق/ ط١٠.
٧٤. غزوة بدر الكبرى من الناحية العسكرية والسياسية، ط١، ط الجمهورية العربية المتحدة.
٧٥. غزوة تبوك دراسة دعوية، الأستاذة فاطمة الحوالي، ط١، ٢٠٠١م، ط جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
٧٦. فتح الباري لابن حجر العسقلاني، دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٨٩م.
٧٧. فقه السيرة، الشيخ محمد الغزالي، ط دار القلم، ط١، ٢٠٠٦م.

٧٨. فقه السيرة النبوية، الدكتور محمد سعيد البوطي، دار الفكر المعاصر، ط١١، ١٩٩١م.
٧٩. فقه السيرة النبوية، قراءة سياسية دعوية حركية، الدكتور موفق نوري، دار ابن كثير دمشق، ط١، ٢٠٠٦م.
٨٠. في السيرة النبوية، قراءة في جوانب الحذر والحماية، للدكتور ابراهيم علي محمد أحمد، من سلسلة كتاب الأمة، العدد ٥٤، السنة السادسة عشرة، وزارة الأوقاف في قطر، ١٤١٧هـ.
٨١. في ظلال القرآن لسيد قطب، ط دار الشروق، ط٢٥، ١٩٩٦م.
٨٢. قراءة سياسية للسيرة النبوية، محمد قلعجي، دار النفائس، ط١، ١٩٩٦م.
٨٣. القدوة في السيرة النبوية، الدكتور أحمد رجب الأسمر، ط دار الفرقان، ٢٠٠٤م.
٨٤. قواعد التحديث لجمال الدين القاسمي: تحقيق محمد البيطار، ط دار احياء الكتب العربية، ط١.
٨٥. لباب النقول في أسباب النزول، الإمام جلال الدين السيوطي، ط دار الكتاب العربي، ٢٠٠٦م.
٨٦. لسان العرب لابن منظور: ط دار احياء التراث بيروت، ط١، ١٩٩٥م.
٨٧. ماذا قدم النبي الكريم ﷺ للإنسانية، للدكتورة رقية العلواني، ط دار النهضة، ط١/ ٢٠٠٨م.
٨٨. محمد رسول الله ﷺ منهج ورسالة، الشيخ محمد الصادق بن عرجون، ط دار القلم، ط٣، ٢٠٠٩م.
٨٩. المسند، الإمام أحمد بن حنبل، ط مؤسسة الرسالة، ط١، ٢٠٠٨، تحقيق الشيخ شعيب الأرناؤوط وآخرون.
٩٠. مفاهيم إسلامية حول الدين والدولة، الامام أبي الاعلى المودودي، ط دار القلم (الكويت)، ط٥، ١٩٩٤م.
٩١. معارك خالد بن الوليد، الدكتور ياسين سويد، ط٤، ١٩٨٩م، المؤسسة العربية للنشر.

٩٢. المعجم الكبير، الإمام سليمان الطبراني، ط دار إحياء التراث، ط٢، ٢٠٠٢م.
٩٣. مقاصد المقاصد، الأستاذ الدكتور أحمد الريسوني، ط دار النداء، ط١، ٢٠١٤م.
٩٤. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج للإمام يحيى النووي، ط دار الخير، ١٩٩٦م.
٩٥. منهج النبي ﷺ في حماية الدعوة والمحافظة على منجزاتها خلال الفترة المكية، للأستاذ الطيب برغوث، المعهد العالمي للفكر، ط١، ط١٩٩٦م.
٩٦. المنهج الحركي للسيرة النبوية، الدكتور منير الغضبان، ط دار الوفاء، ط١٠، ١٩٩٨م.
٩٧. المنهج السياسي للسيرة النبوية، الدكتور منير الغضبان، دار السلام، ط ١، ٢٠١٣م.
٩٨. موسوعة الشمائل المحمدية، الدكتور همام سعيد وابنه الدكتور محمد، ط مجلة البيان، ط١، ٢٠١٢م.
٩٩. النظرية الحركية في السياسة الشرعية، الأستاذ محمد النوباني، ط١، ٢٠١٦م.
١٠٠. هذا الحبيب محمد ﷺ يا محب، أبو بكر الجزائري، دار البيان الحديثة، ط١، ٢٠٠٢م.
١٠١. الهجرة الأولى في الإسلام: الدكتور سليمان بن حمد العودة/دار طيبة للنشر/ ط ١/ ١٤١٩هـ
١٠٢. وامحمداه، للدكتور سيد العفاني، مصر، ط ١، ٢٠٠٦، دار العفاني..
١٠٣. وأظلمت المدينة، الدكتور نزار ريان، ط دار المنهاج، ط١، ٢٠٠٨م.
١٠٤. وثيقة المدينة، المضمون والدلالة، الاستاذ أحمد قائد الشعيبي، تقديم الأستاذ عمر عبيد حسنة، كتاب الأمة، وزارة الأوقاف القطرية، العدد ١١٠، ط٢٠٠٥م.
١٠٥. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لشمس الدين بن خلكان، ط دار الثقافة بيروت، ط٢.

t.me/ktabrwaya مكتبة

قائمة الموضوعات:

الاهداء	٣
المقدمة	٤
مفهوم السيرة النبوية أهدافها	١٢
مراحل تدوين السيرة وأبرز مراجعها	١٩
قواعد وضوابط في دراسة السيرة	٢٤
العهد المكي	
مكة قبل الاسلام والنسب النبوي الكريم	٣٠
المولد النبوي وحياة الطفولة	٣٨
حياة الشباب النبوي وزواجه بخديجة رضي الله عنها	٤٤
ارهاصات النبوة وأول لقاء بالوحي	٥٠
الدعوة السرية والمسلمون الأوائل	٦٠
الدعوة الجهرية وصور الإيذاء	٦٩
الهجرة إلى الحبشة وعام الحزن	٨٥
رحلة الطائف	١٠٢
الاسراء والمعراج	١٠٩
طلب النصرة وبيعتا العقبة	١٢١
الهجرة إلى المدينة المنورة	١٣٤
ملاحق هامة وذات صلة	١٥١

العهد المدني

مدخل إلى العهد المدني	١٦٢
منطلقات الدولة النبوية (المسجد والمؤاخاة والوثيقة)	١٧١
غزوة بدر الكبرى	١٩٩
غزوة بني قينقاع ومقتل كعب بن الأشرف	٢٥٣
غزوة أحد	٢٦٨
السرايا والبعوث بين غزوتي أحد والأحزاب	٣١٠
غزوتي الأحزاب وبني قريظة	٣٢٧
غزوة بني المصطلق وحادثة الإفك	٣٥٥
غزو (صلح) الحديبية ومخاطبة الملوك	٣٨١
غزوة خيبر وعمرة القضاء	٤٣٤
غزوة مؤتة	٤٧٣
غزوة فتح مكة	٤٨٧
غزوة حنين	٥٠٩
غزوة تبوك وعام الوفود	٥٣٨
حجة الوداع ووفاة الحبيب ﷺ	٥٩٧
ملامح وخصائص العهد المدني	٦٥٨
في ظلال سورة براءة (التوبة)	٦٦٢
الخاتمة	٦٦٦
قائمة المصادر والمراجع	٦٦٨
قائمة الموضوعات	٦٧٥

مكتبة t.me/ktabrwaya